

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وستين

ذكر الخبر عن الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

فمما كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالباً بدم الحسين بن علي بن أبي طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدوي .

* ذكر الخبر عما كان من أمرها في ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن فضيل بن خديج ، حدثه عن عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير من بني هند ؛ أن أصحاب سليمان بن صرد لما قدموا كتب إليهم المختار :

أمّا بعد ؛ فإنّ الله أعظم لكم الأجر ، وحطّ عنكم الوزر ، بمفارقة القاسطين ، وجهاد المُحلّين ؛ إنكم لم تنفقوا نفقة ، ولم تقطعوا عقبة ^(١) ، ولم ٥٩٩/٢ تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة ، وكتب لكم بها حسنة ، إلى ما لا يحصىه ^(٢) إلا الله من التضعيف ؛ فأبشروا فإنّي لو قد خرجت إليكم قد ^(٣) جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف ^(٤) بإذن الله ، فجعلتُهم ^(٥) بإذن الله رؤساء ؛ وقتلتُهم فذّاً وتوأمّاً ؛ فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ؛ ولا يبعد الله إلا من عصي وأبى ؛ والسلام يا أهل الهدى .

فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو ، من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة ^(٦) ؛ فأتى بالكتاب رفاعة بن شداد

(٢) ف : « لم يحصى » .

(١) ف : « وادياً » .

(٤) ١ : « من عدوكم » ، ف : « السيف في عدوكم » .

(٣) ف : « لقد » .

(٦) ١ : « الظاهرة والباطنة » .

(٥) ١ : « يجعلهم » .

والمُشَنَّى بن مُخَرَّبَة العبدى وسعد بن حُذيفة بن اليمَّان ويزيد بن أنس وأحمر بن شُمَيْط الأحمسيّ وعبد الله بن شدَّاد البجليّ وعبد الله بن كامل ؛ فقرأ عليهم الكتاب ؛ فبعثوا إليه ابن كامل ؛ فقالوا : قل له : قد قرأنا الكتاب ^(١) ؛ ونحن حيث يسرك ؛ فإن شئت أن نأتيسك حتى نخرجك فعلنا . فأتاه ، فدخل عليه السجن ؛ فأخبره بما أرسل إليه به ؛ فسُرَّ باجتماع الشيعة له ؛ وقال لهم : لا تريدوا هذا ؛ فإني أخرج في أيّامى هذه .

٦٠٠/٢ قال : وكان المختار قد بعث غلاماً يدعى زريبياً إلى عبد الله بن عمر ابن الخطّاب ، وكتب إليه :

أمّا بعد : فإني قد حبست مظلوماً ، وظنّ بي الولاة ظنوناً كاذبة ؛ فاكتب في يرحمك الله إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً ؛ عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويؤمنك ^(٢) ؛ والسلام عليك .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أمّا بعد ؛ فقد علمتُمَا النّدى بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصّهر ، والنّدى بيني وبينكما من الودّ ؛ فأقسمت عليكما بحقّ ما بيني وبينكما لسمّا تحلّيتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا ، والسلام عليكما ورحمة الله .

فلما أتى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة كتابُ عبد الله ابن عمر دعواً للمختار بكفّلاء يضمّنونه بنفسه ^(٣) ، فأتاه أناس من أصحابه كثير ، فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيس لعبد الله بن يزيد : ما تصنع بضمان هؤلاء كلهم ! ضمّنته عشرة منهم أشرافاً معروفين ، ودّع سائرهم . ففعل ذلك ، فلما ضمّنوه ، دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلّفاه بالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ؛ لا يبغيهما غائلة ، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ؛ فإن هو فعل فعليه ألف بدّة

(١) ف : « كتابك » .

(٢) ط : « بمنك » ، تحريف ، صوابه من ا ، وفيها : « ببركتك ومنك » .

(٣) ا : « فضمّنوه بنفسه » .

ينحرها لدى رِناج الكعبة ؛ وماليكُهم كلهم ذكّرهم وأثأهم أحراراً . فحلف
لهما بذلك ، ثم خرج فجاء داره فنزلها .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى ، عن حميد بن مسلم ،
قال : سمعت المختار بعد ذلك يقول ^(١) : قاتلهم الله ! ما أحققهم حين يرون
أننى أفى لهم بأيمانهم هذه ! أمّا حلفي لهم بالله ؛ فإنه ينبغي لى إذا حلفت على
يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدّع ما حلفت عليه وآتى الذى هو خير ؛ ٦٠١/٢
وأكفر يميني ، وخروجي عليهم خير من كفى عنهم ؛ وأكفر يميني ؛ وأمّا
هدى ألف بدنة فهو أهون على من بصة ؛ وما عن ألف بدنة فيهلوسى !
وأما عتق مماليكى فوالله لو ددت أنه قد استتب لى أمرى ، ثم لم أملك مملوكاً
أبدأ .

قال : ولمّا نزل المختار داره عند خروجه من السّجن ، اختلف ^(٢) إليه
الشيعة واجتمعت عليه ؛ واتفق رأيها ^(٣) على الرضا به ، وكان الذى يبايع له الناس
وهو فى السّجن خمسة نفر : السائب بن مالك الأشعرى ، ويزيد بن أنس ،
وأحمر بن شمس ، ورفاعة بن شدّاد الفتياني ، وعبد الله بن شدّاد الجشمي .
قال : فلم تزل أصحابه يكثرون ، وأمره يقوى ويشدّ حتى عزل ابن الزبير
عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، وبعث عبد الله بن مطيع
على عملهما إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الصّقّعب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام ، قال : دّعا ابن الزبير عبد الله بن مطيع أخا بني عدى
ابن كعب والحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الخزوي ؛ فبعث عبد الله بن مطيع
على الكوفة ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة على البصرة . قال :
فبلغ ذلك بحير بن ريسان الحميري ؛ فلقبهما ، فقال لهما : يا هذان ؛
إن القمر الليلة بالناطح ^(٤) ، فلا تسيرا . فأما ابن أبى ربيعة ؛ فأطاعه ؛ فأقام يسيرا ٦٠٢/٢

(١) ف : « يقول بعد ذلك » . (٢) ١ : « اختلفت » .

(٣) ف : « رأيهم » . ١ : « رأيها »

(٤) الناطح والناطح : من منازل القمر مما يتشام به .

ثم شخص إلى عمله فسلم ؛ وأماً عبد الله بن مطيع فقال له : وهل نطلب إلا النطح ! قال : فلي والله نطحاً وبطحاً ، قال : يقول عمر : والبلاء موكل بالقول .

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : بلغ عبد الملك بن مروان أن ابن الزبير بعث عمالاً على البلاد ؛ فقال : مَنْ بعث على البصرة ؟ فقيل : بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حرّ بوادي عوف ، بعث عوفاً وجلس ! ثم قال : مَنْ بعث على الكوفة ؟ قالوا : عبد الله بن مطيع ، قال : حازم وكثيراً ما يسقط ، وشجاع وما يكره أن يفرّ ، قال : مَنْ بعث على المدينة ؟ قالوا : بعث أخاه مُصعب بن الزبير ، قال : ذاك اللئيم التَّهْد ، وهو رجل أهل بيته .

قال هشام : قال أبو مخنف : وقدِم عبد الله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان ، فقال لعبد الله ابن يزيد : إن أحببت أن تقيم معي أحسنتُ صحبتك ، وأكرمتُ مثواك ؛ وإن لحقتُ بأمر المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة ، وعلى مَنْ قبله من المسلمين . وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة : الحقُّ بأمر المؤمنين ؛ فخرج إبراهيم حتى قدم المدينة ، وكسر على ابن الزبير الخراج ؛ وقال : إنَّما كانت فتنة ؛ فكفَّ عنه ابن الزبير .

قال : وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلّاة والخراج ؛ وبعث على شُرطته إياس بن مضارب العجليّ ، وأمره أن يُحسن السيرة والشدة على المريب .

٦٠٣/٢ قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزديّ - وكان قد أدرك ذلك الزمان ، وشهد قتل مُصعب بن الزبير - قال : إنني لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أماً بعد ؛ فإنَّ أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثنى على مصركم وثغوركم ، وأمرني بجباية فيثكم ؛ وألاّ أحمل فضل فيثكم عنكم إلاّ برضاً منكم ، ووصيّة عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته ، وبسيرة عثمان ابن عفان التي سار بها في المسلمين ؛ فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا ، وخذوا

على أيدي سفهائكم ؛ **وَأَلَّا تَفْعَلُوا فَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَلُمُونِي ؛** فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ؛ **وَأَلْقِيَنَّ دَرَّةً^(١)** الأصغر المرتاب . فقام إليه السائب بن مالك الأشعري ، فقال : **أَمَّا أَمْرُ ابْنِ الزَّبِيرِ إِيَّاكَ أَلَّا تُحْمَلَ فَضْلُ فَيْثُنَا عَنَّا إِلَّا بِرِضَانَا فَإِنَّا نَشْهَدُكَ^(٢)** أَنَّا لَا نَرْضَى أَنْ تُحْمَلَ^(٣) فَضْلُ فَيْثُنَا عَنَّا ؛ **وَأَلَّا يَقْسَمَ إِلَّا فَيْثُنَا ؛** **وَأَلَّا يُسَارَ فَيْثُنَا إِلَّا بِسِيرَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّتِي سَارَ بِهَا فِي بِلَادِنَا** هذه حتى هلك رحمة الله عليه ، **وَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي سِيرَةِ عُمَانَ فِي فَيْثُنَا وَلَا فِي أَنْفُسِنَا ؛** فإنها إنما كانت أثره وهوى ، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فَيْثُنَا ؛ وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرراً ؛ وقد كان لا يألو الناس خيراً . فقال يزيد ابن أنس : **صَدَقَ السَّائِبُ بْنُ مَالِكٍ وَبَرٌّ ، رَأَيْنَا مِثْلَ رَأْيِهِ ، وَقَوْلُنَا مِثْلَ قَوْلِهِ .** فقال ابن مطيع : **نَسِيرُ فِيكُمْ بِكُلِّ سِيرَةٍ أَحْبَبْتُمُوهَا وَهَوَيْتُمُوهَا ثُمَّ نَزَلَ .** فقال : **يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ الْأَسَدِيُّ : ذَهَبَتْ بِفَضْلِهَا يَا سَائِبُ ؛ لَا يَعْدَمُكَ الْمُسْلِمُونَ !** أما والله لقد قمتُ وإني لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقالتك ، وما أحب أن الله ولّي الردّ عليه رجلاً من أهل المِصْرَ ليس من شيعتنا .

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع ، فقال له : **إِنَّ السَّائِبَ بْنَ مَالِكٍ مِنْ رَعُوسِ أَصْحَابِ الْخِتَارِ ، وَلَسْتُ آمِنُ الْخِتَارِ ؛ فَابْعَثْ إِلَيْهِ فَلْيَأْتِكَ ؛** فإذا جاءك فاحبسْه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس ؛ فإن عيوني قد أتنى فخبّرني أن أمره قد استجمع له ؛ وكأنه قد وثب بالمِصْرَ . قال : **بِعِثْ إِلَيْهِ ابْنُ مَطِيعٍ زَائِدَةُ بْنُ قُدَامَةَ وَحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبُرْسُمِيُّ مِنْ هَمْدَانَ ،** فدخلا عليه ، فقالا : **أَجِبْ الْأَمِيرَ ، فِدَعَا بِثِيَابِهِ وَأَمْرَ بِإِسْرَاحِ دَابَّتِهِ ، وَتَحْشُشْ^(٣) لِلذَّهَابِ** معهما ؛ فلما رأى زائدةُ بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى : **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٤) ،** ففهمها الختار ، فجلس ثم ألقى ثيابه عنه ، ثم قال : **أَلْقَوَاعِلَى الْقَطِيفَةِ ؛ مَا أَرَانِي إِلَّا قَدْ وَعَيْكَ ؛** إني لأجد قففةً

(١) الدرّة : الميل والعوج . (٢) ف : « نشهد »

(٣) التحشش : الحركة ، وفي ط : « تحشش » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٤) سورة الأنفال : ٣٠ .

شديدة ، ثم تمثّل قول عبد العزّز بن صهّل الأزدى :

إِذَا مَا مَعَشَرٌ تَرَكَوْا نَدَاهُمْ وَلَمْ يَأْتُوا الْكِرِيهَةَ لَمْ يَهَابُوا

ارجعنا إلى ابن مطيع ، فأعلمناه حالى التى أنا عليها . فقال له زائدة بن قدامة : أمّا أنا ففاعل ؛ [فقال : ^(١)] وأنت يا أخاهمّدان فاعذرني عنده فإنه خير لك . ٦٠٥/٢

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم الهمداني ، عن حسين بن عبد الله ، قال : قلت في نفسي : والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بآمن من أن يظهر غداً فيهلكني . قال : فقلت له ، نعم ، أنا أضع ^(٢) عند ابن مطيع عذرك ، وأبلغه كل ما تحب ؛ فخرجنا من عنده ؛ فإذا أصحابه على بابهِ ، وفي داره منهم جماعة كثيرة . قال : فأقبلنا نحو ابن مطيع ، فقلت لزائدة بن قدامة : أما إني قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية ؛ وعلمت ما أردت بها ، وقد علمت أنها هي ثبّطته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه ، وأسرج دابّته ؛ وعلمت حين تمثّل البيت الذي تمثّل أنما أراد يخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تُفهمه ، وأنه لن يأتيه . قال : فجاحدني أن يكون أراد شيئاً من ذلك ؛ فقلت له : لا تحلف ؛ فوالله ما كنت لأبلغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه ؛ ولقد علمت أنّك مشفق عليه ، تجد له ما يجد المرء لابن عمه . فأقبلنا إلى ابن مطيع ؛ فأخبرناه بعلّته وشكواه ؛ فصدّقنا ولها عنه . قال : وبعث المختار إلى أصحابه ؛ فأخذ يجمعهم في الدُّور حوله ، وأراد أن يشب بالكوفة في المحرم ؛ فجاء رجل من أصحابه من شيبام ^(٣) — وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح — فلقى سعيد بن منقذ الثّوريّ وسعر ابن أبي سَعر الحنفيّ والأسود بن جحرّاد الكنديّ وقدامة بن مالك الجشميّ ؛ فاجتمعوا في منزل سَعر الحنفيّ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

٦٠٦/٢ أمّا بعد ؛ فإنّ المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ولا ندرى أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؛ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به

(١) تكلّة من ا .

(٢) كذا في ا ، س ، وفي ط : « أصنع » .

(٣) ابن الأثير : « وشبام : حى من همدان » .

وبما دعانا إليه ؛ فإن رخص لنا في اتّباعه اتّبعناه ؛ وإن نهانا عنه اجتنبناه ؛ فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا أثر عندنا من سلامة ديننا . فقالوا^(١) له : أرشدك الله ! فقد أصبت ووفّقت ؛ اخرج بنا إذا شئت . فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيّامهم ، فخرجوا ، فلاحقوا بابن الحنفية ؛ وكان إمامهم عبد الرحمن بن شريح ، فلما قدموا عليه سأله عن حال الناس فخبّروه عن حالهم وما هم عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني خليفة بن ورقاء ، عن الأسود بن جراد الكندي قال : قلنا لابن الحنفية ؛ إن لنا إليك حاجة ؛ قال : فسر^(٢) هي أم علانية ؟ قال : قلنا : لا ؛ بل سرّ ، قال : فرويداً إذا ؛ قال : فكث قليلاً ، ثم تنحى جانباً فدعانا فقمنا إليه ، فبدأ عبد الرحمن بن شريح ، فتكلّم ، فحمّد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ؛ فإنكم أهل بيت خصّكم الله بالفضيلة ، وشرفكم بالنبوة ، وعظّم حقكم على هذه الأمة ؛ فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأى ، مخسوس النصيب ؛ قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه . عظمت مصيبة اختصصتم^(٣) بها ، بعد^(٤) ما عم بها المسلمون ، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم ؛ والطلب بدماء^(٥) أهل البيت ، والدفع عن الضعفاء ؛ فبايعناه على ذلك . ثم إننا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه ، وندين له ؛ فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه .

ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبنا ؛ وهو يسمع ، حتى إذا فرغنا حمّد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أمّا بعد ؛ فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله^(٦) به من فضل ؛ فإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ فله الحمد ! وأمّا ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين ؛ فإن ذلك كان في الذكر الحكيم

(١) ف : « قالوا » . (٢) ١ ، ف : « أفسر » .

(٣) كذا في ف ، وفي ط : « ما قد خصكم » . (٤) كذا في ١ ، وفي ط : « فقد عم »

(٥) ف : « بدم » . (٦) ف : « خصنا » .

وهي ملحمة كُتبت عليه ، وكرامة أهداها الله له ، رفع بما كان منها درجات قوم عنده ، ورضع بها آخرين ، وكان أمر الله مفعولا ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ؛ فوالله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال : فخرجنا من عنده ، ونحن نقول : قد أذن لنا ؛ قد قال : لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، ولو كره لقال : لاتفعلوا . قال : فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا ^(١) ممن كنا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ؛ ممن كان على رأينا من إخواننا ؛ وقد كان بلغ المختار مخرجنا ، فشق ذلك عليه ، وخشى أن تأتيه بأمر يُخذل الشيعة عنه ؛ فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا ^(٢) ؛ فلم يتهيأ ذلك له ^(٣) ؛ فكان المختار يقول : إن نُفيرا منكم ارتابوا وتحسروا وخابوا ؛ فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا ؛ وإن هم كبؤوا ^(٤) وهابوا ، واعترضوا وانجابوا ، فقد ثبروا وخابوا ؛ فلم يكن إلا شهراً ^(٥) وزيادة شيء ؛ حتى أقبل القوم على رواحلهم ؛ حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقد فُتِنْتُمْ وارتبتم ، فقالوا له : قد أمرنا بنصرتك فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحاق ، اجمعوا إلى الشيعة ، فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال : يا معشر الشيعة ؛ إن نفرأ منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به ، فرحلوا إلى إمام الهدى ، والنقيب المرتضى ابن خير من طشي ^(٦) ومشي ؛ حاشا النبي المجتبي ؛ فسألوه عمماً قدمت به عليكم ؛ فنبأهم أني وزيره وظهره . ورسوله وخليفة ؛ وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المخالين ، والطلب بدماء أهل بيت ^(٧) نبيكم المصطفين . فقام عبد الرحمن بن شريح ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا معشر الشيعة ؛ فإننا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع إخواننا عامة ؛ فقدمنا على المهدي بن علي ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعمماً دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرتة ومؤازرتة وإجابته إلى ما دعانا إليه ،

(١) كذا في أ ، وفي ط : « لقدومنا » . (٢) ف : مقدمنا . (٣) ف : له ذلك .

(٤) ف : « نكصوا » . (٥) ف : « غير شهر » .

(٦) كذا في ط ، وفي اللسان : « تطشى المريض ، برئ » . (٧) ف : « بدم أهل البيت » .

فأقبلنا طيبة أنفسنا ، منشحة صدورنا ، قد أذهب الله منها الشك والغيل والريب ، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا ؛ فليبلغ ذلك شاهدكم ، ٦٠٩/٢ غائبكم ، واستعدوا وتأهبوا . ثم جلس وقمنا رجلا رجلا^(١) ؛ فتكلمنا بنحو من كلامه ؛ فاستجمعت له الشيعة^(٢) وحدبت عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني نُمَيْر بن وَعَلَة والمَشَرِق ، عن عامر الشعبي ، قال : كنت أنا وأبي أول من أجاب المختار . قال : فلما تهيأ أمره ودنا خروجه ؛ قال له أحمر بن شُمَيْط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شداد : إن أشرف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع ؛ فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القسوة على عدونا ، وألا يضرنا خلاف من خالفنا ، فإنه فتي بئس ، وابن رجل شريف بعيد الصيت ؛ وله عشيرة ذات عز و عدد . قال لهم المختار : فالقوه فادعوه ، وأعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين وأهل بيته .

قال الشعبي : فخرجوا إليه وأنا فيهم ، وأبي ، فتكلم يزيد بن أنس ، فقال له : إننا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك ، ندعوك إليه ؛ فإن قبلته كان خيرا لك ، وإن تركته فقد أدينا إليك فيه النصيحة ؛ ونحن نحب أن يكون عندك مستورا . فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : وإن مثلي لا تخاف غائلته ولا سعايته ؛ ولا التقرب إلى سلطانه باغتيال الناس ، إنما أولئك الصغار الأخطار الدقاق همما . فقال له : إننا ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأى الملا من الشيعة ؛ إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه ، والطلب بدماء أهل البيت ، و قتال المحلّين ، والدفع عن الضعفاء . قال : ثم تكلم أحمر بن شُمَيْط ، فقال له : إنى لك ناصح ، ولخطك محب ، وإن أباك قد هلك وهو سيّد الناس^(٣) ، وفيك منه إن رعيت حق الله خلفك ؛ قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس ، وأحييت من ذلك أمرا قد مات ؛ إنما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها ، إنه قد بنى لك أولك مفتخرًا^(٤) . وأقبل القوم

(١) ف : « رجلا رجلا » . (٢) ف : « لنا الشيعة وله » .

(٣) تكملة من ١ . (٤) ط : « فتحرى » ، والصواب ما أثبتته من ١ .

كلّهم عليه ^(١) يدعونه إلى أمرهم ويرغبونه فيه. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر :
 فإني قد أجبتمكم إلى ما دعوتوني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على
 أن تولّوني الأمر، فقالوا : أنت لذلك أهل ؛ ولكن ليس إلى ذلك سبيل ؛ هذا
 المختار قد جاءنا من قبيل المهديّ ؛ وهو الرسول والمأمور بالقتال ؛ وقد أمرنا
 بطاعته . فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبهم . فانصرفنا من عنده إلى المختار
 فأخبرناه بما ردّ علينا ؛ قال : فغبر ثلاثاً ؛ ثم إن المختار دعا بضعة عشر
 رجلاً من وجوه أصحابه — قال الشعبي : أنا وأبي فيهم — قال : فسار بنا ومضى أمانا
 يقصد بنا بيوت الكوفة قدّاً لا ندري أين يريد ؛ حتى وقف على باب إبراهيم بن
 الأشتر ؛ فاستأذنّا عليه فأذن لنا، وألقت لنا وسائله ؛ فجلسنا عليها وجلس المختار
 معه على فراشه ؛ فقال المختار :

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وصلى الله على محمد ، والسّلام
 عليه ، أمّا بعد ، فإنّ هذا كتاب إليك من المهديّ محمد بن أمير المؤمنين
 الوصيّ ؛ وهو خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلّها قبل اليوم
 بعد أنبياء الله ورسله ؛ وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ،
 وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك ، وسيغني الله المهديّ محمدّاً وأوليائه عنك .
 قال الشعبي : وكان المختار قد دفع الكتاب إلى حين خرج من منزله ؛
 فلما قضى كلامه قال لي : ادفع الكتاب إليه ، فدفعته إليه ، فدعا بالمصباح وفضّ
 خاتمه ، وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد المهديّ إلى إبراهيم بن مالك
 الأشتر ، سلامٌ عليك ؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد
 فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيبّي الذي ارتضيته لنفسى ، وقد
 أمرته ^(٢) بقتال عدوتي والطلب بدماء أهل بيتي ؛ فانهضْ معه بنفسك
 وعشيرتك ومنّ أطاعك ؛ فإنك إن نصرتنّي وأجبت دعوتي وساعدت وزيري
 كانت لك عندي بذلك ^(٣) فضيلة ؛ ولك بذلك أعنة الخيل وكلّ جيش
 غازٍ ، وكلّ مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل

(١) ف : « عليه كلهم » .

(٢) ف : « وأمرته » .

(٣) ف : « بذلك عندي » .

الشَّامَ ، على الوفاء بذلك على عهد الله ؛ فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيله أبداً ، والسلام عليك .

فلما قضى إبراهيمُ قراءة الكتاب ، قال : لقد كتب إلى ابنُ الحنفية ؛ وقد كتبتُ^(١) إليه قبل اليوم ؛ فما كان يكتب إليّ إلا باسمه واسم أبيه ، قال له ٦١٢/٢ المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى ؟ فقال له : يزيد بن أنس وأحمر بن شميطة وعبد الله بن كامل وجماعتهم — قال الشعبي : إلا أنا وأبي — فقالوا : نشهد أن هذا كتاب محمد ابن عليّ إليك ، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر القراش فأجلس المختار عليه ، فقال : أبسط يدك أبياعك ؛ فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم ، ودعا لنا بفاكهة ، فأصبنا منها ؛ ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا ؛ وخرج معنا ابنُ الأشر ؛ فركب مع المختار حتى دخل رحله ؛ فلما رجع إبراهيم منصرفاً أخذ بيدي ، فقال : انصرف بنا يا شعبي ، قال : فانصرفت معه ومضى بي حتى دخل بي رحله ، فقال : يا شعبي ، إني قد حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك ؛ أفترى هؤلاء شهدوا على حق ؟ قال : قلت له : قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشيخة المصّر وفرسان العرب ، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً . قال : فقلت له هذه المقالة ؛ وأنا والله لهم على شهادتهم متهم ؛ غير أني يعجبني الخروج وأنا أرى رأى القوم ؛ وأحبّ تمام ذلك الأمر^(٢) ؛ فلم أطلعهم على ما في نفسي من ذلك ؛ فقال لي ابن الأشر : اكتب لي أسماءهم فلاني ليس كلّهم أعرف . ودعا بصحيفة ودواة ، وكتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعري ، ويزيد بن أنس الأسديّ وأحمر بن شميطة الأحمسيّ ومالك بن عمرو النهديّ ؛ حتى أتى على أسماء القوم ؛ ثم كتب : شهدوا أن محمد بن عليّ كتب إلى إبراهيم بن الأشر يأمره بموازرة المختار ومظاهرتة على قتال المحليّين ، والطلب بدماء أهل البيت ، وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شرّاحيل ابن عبد — وهو أبو عامر الشعبيّ الفقيه — وعبد الرحمن بن عبد الله النخعيّ ،

(٢) بعدها في ف : « لهم » .

(١) ف : « وكتبت » .

وعامر بن شراحيل الشعبي . فقلت له : ما تصنع بهذا رحمك الله ؟ فقال :
دعنه يكون . قال : ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومن أطاعه ، وأقبل يختلف إلى
المختار .

* * *

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني يحيى بن أبي عيسى الأزدي ،
قال : كان حميد بن مسلم الأزدي صديقاً لإبراهيم بن الأشتر ؛ وكان
يختلف إليه ؛ ويذهب به معه ؛ وكان إبراهيم يروح في كل عشية عند المساء ،
فيأتي المختار ، فيمكث عنده حتى تصوب النجوم ، ثم ينصرف ؛ فمكثوا بذلك
يدبرون أمورهم ؛ حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع
عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين ، ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم .
فلما كان عند غروب الشمس ، قام إبراهيم بن الأشتر ؛ فأذن ؛ ثم إنه
استقدم ، فصلّى بنا المغرب ، ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت : أخوك أو
الذئب^(١) ٦١٤/٢ — وهو يريد المختار ، فأقبلنا علينا السلاح ، وقد أتى إياس بن مضارب
عبد الله بن مطيع فقال : إن المختار خارج عليك إحدى الليلتين ؛ قال :
فخرج إياس في الشرط^(٢) ، فبعث ابنه راشداً إلى الكناسة ، وأقبل يسير
حول السوق في الشرط .

ثم إن إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع ، فقال له : إني قد بعثت
ابني إلى الكناسة ، فلو بعثت في كل جبانة بالكوفة عزيمة رجلاً من
أصحابك في جماعة من أهل الطاعة ؛ هاب المريب الخروج عليك . قال :
فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جبانة السبيع ، وقال :
اكفني قومك ، لا أوتين من قبلك ، وأحكم أمر الجبانة التي وجهتك إليها ،
لا يحدثن بها حديث ؛ فأوليك العجز والوهن . وبعث كعب بن أبي كعب
الخشعمي إلى جبانة بشر ، وبعث زحر بن قيس إلى جبانة كندة ، وبعث
شمير بن ذى الجوشن إلى جبانة سالم ، وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم إلى
جبانة الصائديين ، وبعث يزيد بن الحارث بن رؤيم أبا حوشب إلى جبانة مراد ،

(١) يقال : أخوك أو الذئب ؛ إذا اشتد الظلام . (٢) ف : « الشرطة » .

وأوصى كلَّ رجل أن يكفّيه قومه ، وألاّ يؤتسى من قبله ، وأن يحكم الوجه الذى وجهه فيه ؛ وبعث شبيب بن ربیع إلى السبّخة ، وقال : إذا سمعت صوت القوم فوجه نحوهم ؛ فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين ؛ فزلوا هذه الجبابين ، وخرج إبراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد إتيان المختار ؛ ٦١٥/٢ وقد بلغه أن الجبابين قد حُشيت رجالا ، وأن الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبى عيسى . عن حميد بن مسلم . قال : خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حريث ، ونحن مع ابن الأشتر كتيبة نحو من مائة ، علينا الدروع ، قد كفرنا ^(١) عليها بالأقبية ، ونحو متقلدو السيوف ؛ ليس معنا سلاحٌ إلّا السيوف فى عواتقنا ، والدروع قد سترناها بأقبيتنا ؛ فلمّا مررنا بدار سعيد بن قيس فجزّناها إلى دار أسامة ، قلنا : مُرّ بنا على دار خالد بن عرفة ، ثم امض بنا إلى بَجيلة ، فلنمرّ فى دورهم حتى نخرج إلى دار المختار — وكان إبراهيم فتى حداثا شجاعا ؛ فكان لا يكره أن يلقاهم — فقال : والله لأمرنّ على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق ، ولأرعبن به عدونا ولأرينّهم هوانهم علينا . قال : فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هبّار ^(٢) ؛ ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث ؛ حتى إذا جاوزها ألفينا إياس بن مضارب فى الشرط مظهرين السلاح ، فقال لنا : من أنتم ؟ ما أنتم ؟ فقال له إبراهيم : أنا إبراهيم بن الأشتر ، فقال له ابن مضارب : ما هذا الجمع معك ؟ وما تريد ؟ والله إنّ أمرك لمريب ! وقد بلغنى أنك تمرّ كلّ عشية ها هنا ، وما أنا بتاركك حتى آتى بك الأمير فىرى فيك رأيه . فقال إبراهيم : لأبأ لغيرك ! نحلّ سبيلنا ، فقال : كلاّ والله لا أفعل — ومع إياس بن مضارب رجل من همدان ، يقال له أبو قطن ، كان يكون مع إمرة الشرط فهم يكرّمونه ٦١٦/٢ ويؤثرونه ، وكان لابن الأشتر صديقاً — فقال له ابن الأشتر : يا أبا قطن ، ادنْ منى — ومع أبى قطن رمح له طويل — ؛ فدنا منه أبو قطن ، ومعه الرمح ؛

(١) كفرنا ، أى سترنا . (٢) ط : « هبار » ، وانظر الجزء الرابع ص ٢٧٣ .

وهو يرى أن ابن الأشتر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلى سبيله ؛ فقال إبراهيم — وتناول الرمح من يده^(١) : إن رمحك هذا لطويل ؛ فحمل به إبراهيم على ابن مضارب ، فطعنه في شُغرة نحره فصرعه ، وقال لرجل من قومه : انزل [عليه]^(٢) ، فاحتز رأسه ، فنزل إليه فاحتز رأسه ، وتفرق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع . فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن إياس مكان أبيه^(٣) على الشرطة ، وبعث مكان راشد بن إياس إلى الكُنتاسة تلك الليلة سويد بن عبد الرحمن المِنَقَرِيّ أبا القعقاع بن سويد . وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء ، فدخل عليه فقال له إبراهيم : إننا اتعدنا للخروج للقابلة ليلة الخميس ، وقد حدث أمرٌ لا بدّ من الخروج الليلة ، قال المختار : ما هو ؟ قال : عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه ، فقتلته ؛ وهذا رأسه مع أصحابي على الباب . فقال المختار : فبشرك الله بخير ! فهذا طير صالح ، وهذا أول الفتح إن شاء الله . ثم قال^(٤) : المختار : قم يا سعيد بن منقذ ، فأشعل في المهادي^(٥) النيران ثم ارفعها للمسلمين ، وقم أنت يا عبد الله بن شدّاد ؛ فناد : « يا منصور أمت » ؛ وقم أنت يا سفيان بن ليل ، وأنت يا قدامة ابن مالك ، فناد : يا لثارات الحسين ! ثم قال المختار : على بدرعي وسلاحي ، فأتي به ؛ فأخذ يلبس سلاحه ويقول :

٦١٧/٢ قَدْ عَلِمْتُ بَيِّضَاءَ حَسَنَاءَ الطَّلَلِ وَاضِحَةَ الْخَدَيْنِ عَجْزَاءَ الْكَفَلِ

* أَنَى غَدَاةَ الرَّوْعِ مِقْدَامٌ بَطْلٌ *

ثم إن إبراهيم قال للمختار : إن هؤلاء الرؤوس الذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون إخواننا أن يأتونا ، ويضيّقون عليهم ؛ فلو أتى خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتي قومي ؛ فيأتيني كلّ منّ قد بايعني من قومي ، ثم سرت بهم في نواحي الكوفة ، ودعوت بشعارنا ؛ فخرج إلى منّ أراد الخروج إلينا ، ومنّ قدر على إتيانك من الناس ؛ فمن أتاك حبسته عندك إلى منّ

(١) ف : « بيده » . (٢) من ف .

(٣) ف « راشد مكان أبيه إياس » . (٤) كذا في ف : وفي ط : « فقال » .

(٥) في اللسان : « المردية : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم ، تحمل عليها قضبانها » .

معك ولم تفرقهم ؛ فإن عوجلت فأتييت كان معك من تمتنع به ؛ وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت إليك في الخيل والرجال . قال له . إمتالا^(١) فاعجل وإيّاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله ، ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع ألا تقاتل ، واحفظ ما أوصيتك به إلا أن يبدأك أحد بقتال . فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة التي أقبل فيها ؛ حتى أتى قومه ، واجتمع إليه جلّ من كان بايعه وأجابه . ثم إنّه سار بهم في سيكك الكوفة طويلاً من الليل ؛ وهو في ذلك يتجنب السكك التي فيها الأمراء ، فجاء إلى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع في الجبابين وأفواه الطرق العظام ، حتّى انتهى إلى مسجد السكون ، وعجلت إليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير . فشده عليهم إبراهيم بن الأشتر وأصحابه ، فكشفوهم حتّى دخلوا جبانة كندة ، فقال إبراهيم : من صاحب الخيل في ٦١٨/٢ جبانة كندة ؟ فشده إبراهيم وأصحابه عليهم ، وهو يقول : اللهم إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيك ، وثرنا لهم ، فانصرنا عليهم ، وتمم لنا دعوتنا ؛ حتّى انتهى إليهم هو وأصحابه ، فخالطوهم وكشفوهم فقبل له : زحر بن قيس ؛ فقال : انصرفوا بنا عنهم ، فركب بعضهم بعضاً كلّما لقيتهم زقاق دخل منهم طائفة^٢ ، فانصرفوا يسرون .

ثم خرج إبراهيم يسير حتّى انتهى إلى جبانة أثير ، فوقف فيها طويلاً ، وفادى أصحابه بشعارهم ، فبلغ سويد بن عبد الرحمن المنقري مكانهم^(٢) في جبانة أثير ، فرجا أن يصيبهم فيحطّى بذلك عند ابن مطيع ، فلم يشعر ابن الأشتر إلا وهم معه في الجبانة ، فلمّا رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه : يا شرطّة الله ، انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنزلوا . ثم شده عليهم إبراهيم ، فضر بهم حتّى أخرجهم من الصحراء ، ولّوا منهزمين يركب بعضهم بعضاً ، وهم يتلاومون ، فقال قاتل منهم : إن هذا الأمر يراد ؛ ما يلقون لنا جماعة

(١) إمالا ، أى إن كنت لا تفعل غير ذلك .

(٢) ف : « هديهم ومكانهم » .

لَا هَزْمُوهُمْ ! فلم يزل يَهْزِمُهُمْ حَتَّى أَدْخَلَهُمُ الْكُنَاسَةَ . وقال أصحاب
إِبْرَاهِيمَ لِإِبْرَاهِيمَ : اتَّبِعْهُمْ وَاغْتَنِمْ مَا قَدْ دَخَلَهُمْ مِنَ الرَّعْبِ ، فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ إِلَى
مَنْ نَدَعُو وَمَا نَطْلُبُ . وَإِلَى مَنْ يَدْعُونَ وَمَا يَطْلُبُونَ ! قال : لا ، وَلَكِنْ
سِيرُوا بِنَا إِلَى صَاحِبِنَا حَتَّى يُؤْمِنَ اللَّهُ بِنَا وَحِشْتِنَا ، وَنَكُونَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى عِلْمٍ ،
وَيَعْلَمَ هُوَ أَيْضًا مَا كَانَ مِنْ عَسَائِنَا ، فَيَزِدَادَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قُوَّةً وَبَصِيرَةً إِلَى
قَوَاهِمِ وَبَصِيرَتِهِمْ ، مَعَ أَنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَتَى . ٦١٩/٢

فَأَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَصْحَابِهِ حَتَّى مَرَّ بِمَسْجِدِ الْأَشْعَثِ ، فَوَقَفَ بِهِ سَاعَةً ،
ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى دَارَ الْخِتَارِ ، فَوَجَدَ الْأَصْوَاتَ عَالِيَةً ، وَالْقَوْمَ يَقْتَتِلُونَ ،
وَقَدْ جَاءَ شَيْبَثُ بْنُ رَبِيعٍ مِنْ قِبَلِ السَّبْخَةِ ، فَعَبَّى لَهُ الْخِتَارِيَّيْنِ بَنِي أَنْسَ ،
وَجَاءَ حَجَّارُ بْنُ أَبِجَرِ الْعَجَلِيِّ ، فَجَعَلَ الْخِتَارُ فِي وَجْهِهِ أَحْمَرَ مِنْ شَمِيطٍ ،
فَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ ، وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ قِبَلِ الْقَصْرِ ، فَبَلَغَ حَجَّارًا وَأَصْحَابَهُ أَنَّ
إِبْرَاهِيمَ قَدْ جَاءَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَتَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَذَهَبُوا فِي
الْأَزْقَةِ وَالسَّكَنَةِ ، وَجَاءَ قَيْسُ بْنُ طَهْفَةَ فِي قَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي
نَهْشَدٍ مِنْ أَصْحَابِ الْخِتَارِ ، فَحَمَلَ عَلَى شَيْبَثِ بْنِ رَبِيعٍ وَهُوَ يَقَاتِلُ يَزِيدَ بْنَ
أَنْسَ ، فَخَلَّى لَهُمُ الطَّرِيقَ حَتَّى اجْتَمَعُوا جَمِيعًا . ثُمَّ إِنَّ شَيْبَثَ بْنَ رَبِيعٍ
تَرَكَ لَهُمُ السَّكَةَ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى لَقِيَ ابْنَ مَطِيعٍ ، فَقَالَ : ابْعَثْ إِلَى أَمْرَاءِ الْجَبَابِيَةِ
فَرِهِمْ فَلْيَأْتُوكَ ، فَاجْمَعْ إِلَيْكَ جَمِيعَ النَّاسِ ، ثُمَّ انْهَدِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَقَاتِلِهِمْ
وَابْعَثْ إِلَيْهِمْ مَنْ تَتَّقِي بِهِ فَلْيَكْفِكَ قِتَالَهُمْ ، فَإِنَّ أَمْرَ الْقَوْمِ قَدْ قَسَوِي ، وَقَدْ خَرَجَ
الْخِتَارُ وَظَهَرَ ، وَاجْتَمَعَ لَهُ أَمْرُهُ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْخِتَارُ مِنْ شُورَةِ شَيْبَثِ بْنِ رَبِيعٍ
عَلَى ابْنِ مَطِيعٍ خَرَجَ الْخِتَارُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ فِي ظَهْرِ دَيْرٍ
هَنْدٍ مِمَّا بَلَى بُسْتَانَ زَائِدَةَ فِي السَّبْخَةِ .

قال : وَخَرَجَ أَبُو عُمَانَ النَّهْدِيُّ فَنَادَى فِي شَاكِرٍ وَهُمْ يَجْتَمِعُونَ فِي دَوْرِهِمْ ،
يَخَافُونَ أَنْ يَظْهَرُوا فِي الْمِيدَانِ لِقُرْبِ كَعْبِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ الْخَثْعَمِيِّ مِنْهُمْ ، وَكَانَ كَعْبُ
فِي جَبَانَةٍ بَشَرٍ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ شَاكِرًا تَخْرُجُ جَاءَ يَسِيرُ ^(١) حَتَّى نَزَلَ بِالْمِيدَانِ ،
وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ بِأَفْوَاهِ سِكَكِهِمْ وَطَرُقِهِمْ . قال : فَلَمَّا أَتَاهُمْ أَبُو عُمَانَ النَّهْدِيُّ

في عصابة من أصحابه ، نادى : يا لسَّارات الحسين ! يا منصورُ أميت !
 يأيتها الحثيِّ المهتدون ، ألا إنَّ أميرَ آلِ محمدٍ ووزيرَهم . قد خرج فنزل
 ديرَ هند ، وبعثنى إليكم داعيًّا ومبشرًا ، فانخرجوا إليه يرحمكم الله ! قال :
 فخرجوا من الدَّور يتداعون : يا لسَّارات الحسين ! ثم ضاربوا كعب بن
 أبي كعب حتَّى خلَّى لهم الطريق ، فأقبلوا إلى المختار حتَّى نزلوا معه في
 عسكره ، وخرج عبد الله بن قراد الخثعميَّ في جماعة من خثعم نحو المائتين
 حتَّى لحق بالمختار ، فنزلوا معه في عسكره ، وقد كان عرض له كعب بن
 أبي كعب فصافه ، فلمَّا عرفهم ورأى أنَّهم قومه خلَّى عنهم ، ولم
 يقاتلهم .

وخرجتُ شبَّام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبيَّانة مرَّاد ، فلمَّا
 بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم : إن كنتم تريدون اللِّحاق
 بالمختار فلا تمرُّوا على جبيَّانة السَّبيع ، فلاحقوا بالمختار ، فتوافى إلى المختار
 ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفًا كانوا بايعوه ، فاستجمعوا له قبل
 انفجار الفجر ، فأصبح قد فرغ من تعبته .

قال أبو مخنف : فحدثني الواليُّ قال : خرجتُ أنا وحميد بن مسلم ،
 والنعمان بن أبي الجعد إلى المختار ليلةَ خرج ، فأتيناها في داره ، وخرجنا معه
 إلى معسكره ؛ قال : فوالله ما انفجرَ الفجر حتَّى فرغ من تعبته ؛ فلمَّا ٢٢١/٢
 أصبح استقدم ، فصلَّي بنا الغداةَ بغلَّس ، ثم قرأ « والنازعات » و« عبس وتولَّى » ،
 قال : فاسمعنا إمامًا أم قومًا أفصحَ لُحجةً منه .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله ، أنَّ ابنَ مطيع بعث إلى
 أهل الجبابين ، فأمرهم أن ينضمُّوا إلى المسجد ، وقال لراشد بن إياس بن
 مضارب : نادِ في الناس فليأتوا المسجد ، فنادى المنادى : ألا برئت الذمَّة
 من رجل لم يحضر المسجد الليلة ! فتوافى النَّاسُ في المسجد ، فلمَّا اجتمعوا
 بعث ابن مطيع شبَّيث بن ربَّيع في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث
 راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشُّرَط .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصَّلْت التيميَّ عن أبي سعيد الصَّيقل ،

قال : لما صَلَّيَ المختار الغداةَ ثم انصرف سَمِعْنَا أصواتًا مرتفعة فيما بين
 بنى سُلَيْمٍ وسَكَّةَ البريد ، فقال المختار : مَنْ يَعْلَمُ لَنَا عِلْمَ هَؤُلَاءِ مَا هُمْ ؟
 فقلت له : أَنَا أَصْلَحُكَ اللَّهُ ! فقال المختار : إِمَّا لَا ^(١) فَأَلْقِ سِلَاحَكَ وَانْطَلِقْ
 حَتَّى تَدْخُلَ فِيهِمْ كَأَنَّكَ نَظَّارٌ ، ثُمَّ تَأْتِينِي بِخَبْرِهِمْ . قال : ففعلتُ ، فلَمَّا
 دَنَوْتُ مِنْهُمْ إِذَا مُؤَذِّنُهُمْ يَقِيمُ ، فَجِئْتُ حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَلِذَا شَبَّهْتُ بَنَ
 رِبَعِي مَعَهُ خَيْلٌ عَظِيمَةٌ ، وَعَلَى خَيْلِهِ شَيْبَانُ بْنُ حُرَيْثِ الضَّبِّيُّ ، وَهُوَ فِي
 الرَّجَالَةِ مَعَهُ مِنْهُمْ كَثْرَةٌ ، فَلَمَّا أَقَامَ مُؤَذِّنُهُمْ تَقَدَّمَ فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ ، فَقَرَأَ : ﴿ إِذَا
 زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَزْلُزَلَ اللَّهُ بِكُمْ ،
 وَقَرَأَ : ﴿ وَالْعِمَادُ بِآتٍ ضَبْحًا ﴾ ، فَقَالَ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : لَوْ كُنْتُ قَرَأْتُ سَوْرَتَيْنِ هُمَا
 أَطْوَلُ مِنْ هَاتَيْنِ ^(٢) شَيْئًا ! فَقَالَ شَبَّهْتُ : تَرَوْنَ الدَّيْلِمَ قَدْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِكُمْ ،
 وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : لَوْ قَرَأْتُ سُورَةَ « الْبَقَرَةِ » وَ « آلِ عِمْرَانَ » ! قَالَ : وَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ،
 قَالَ : فَأَقْبَلْتُ سَرِيعًا حَتَّى أَتَيْتُ الْمُخْتَارَ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِ ^(٣) شَبَّهْتُ وَأَصْحَابِهِ ،
 وَأَتَاهُ مَعِيَ سَاعَةً أَتَيْتُهُ ^(٤) سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعْرٍ الْخَنْفِيُّ يَرْكُضُ مِنْ قِبَلِ مَرَادٍ ،
 وَكَانَ مِمَّنْ بَايَعَ الْمُخْتَارَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ لَيْلَةَ خُرُوجِ مَخَافَةِ الْحَرَسِ ،
 فَلَمَّا أَصْبَحَ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسِهِ ، فَرَّ بِجَبَانَةٍ مَرَادٍ ، وَفِيهَا رَاشِدُ بْنُ إِيَّاسٍ ، فَقَالُوا :
 كَمَا أَنْتَ ! وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَرَكَضَهُمْ حَتَّى جَاءَ الْمُخْتَارَ ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَ رَاشِدٍ ، وَأَخْبَرْتُهُ
 أَنَا خَبْرَ شَبَّهْتُ ، قَالَ : فَسَرَّحَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْثَرِ قَبْلَ رَاشِدِ بْنِ إِيَّاسٍ فِي تِسْعِمَائَةٍ —
 وَيُقَالُ سَمَائَةٌ فَارِسٌ وَسَمَائَةٌ رَاجِلٌ — وَبِعَثَ نَعِيمُ بْنُ هَبِيرَةَ أَخَا مَصْقَلَةَ بْنِ هَبِيرَةَ
 فِي ثَلَاثَةِ فَارِسٍ وَسَمَائَةٍ رَاجِلٍ ، وَقَالَ لَهَا : امْضِيَا حَتَّى تَلْقِيَا عَدُوَّكُمْ ، فَلِذَا
 لَقِيَتْهُمَا فَانْزِلَا فِي الرِّجَالِ وَعَجِّلَا الْفَرَاغَ وَابْدَأْهُمَا بِالْإِقْدَامِ ، وَلَا تَسْتَهْدِفَا لَهُمَا ،
 فَلِإِنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْكُمْ ، وَلَا تَرْجِعَا إِلَى حَتَّى تَظْهَرَا أَوْ تُقْتَلَا . فَتَوَجَّهَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى
 رَاشِدٍ ، وَقَدَّمَ الْمُخْتَارُ يُزِيدُ بْنُ أَنَسٍ فِي مَوْضِعِ مَسْجِدِ شَبَّهْتُ فِي تِسْعِمَائَةٍ أَمَامَهُ .
 وَتَوَجَّهَ نَعِيمُ بْنُ هَبِيرَةَ قَبْلَ شَبَّهْتُ .

قال أبو مخنف : قال أبو سعيد الصيقل : كنت أنا فيمن توجه مع نعيم

(١) إِمَّا لَا ، أَيْ إِنْ كُنْتَ لَا تَفْعَلُ غَيْرَ ذَلِكَ . (٢) ف : « مِنْهَا » .

(٣) ف : « وَافِيَتُهُ » .

(٤) ف : « خَبَرٌ » .

ابن هبيرة إلى شَبَيْث ومعى سَعْر بن أبي سَعْر الحنفيّ، فلما انتهينا إليه قاتلناه ٦٢٣/٢ قتالا شديداً، فجعل نعيم بن هبيرة سَعْر بن أبي سَعْر الحنفيّ على الخيل، ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت، فضربناهم حتى أدخلناهم البيوت؛ ثم إن شَبَيْث بن رَبِيعٍ ناداهم: يا حماة السوء! بئس فرسان الحقائق (١) أنتم! أمينٌ عبيدكم تهربون (٢)؛ قال: فثابت إليه منهم جماعة (٣) فشدّ علينا وقد تفرّقنا فهزمتنا، وصبر نعيم بن هبيرة فقتل، ونزل سَعْر فأسير وأسيرت أنا وخليد مولى حسان بن محدوج (٤)، فقال شَبَيْث لخليد - وكان وسيماً جسيماً: مَنْ أنت؟ فقال: (٥) خليد مولى حسان بن محدوج الذهلي، فقال له شَبَيْث: يا بن المتكء، تركت بيع الصّحانة (٦) بالكُناسة وكان جزاء من أعتقك أن تعدّو عليه بسيفك تضرب رقابه! اضربوا عنقه، فقتل، ورأى سَعْر الحنفيّ فعرفه، فقال: أخو بني حنيفة؟ فقال له: نعم؛ فقال: ويحك! ما أردت إلى اتّباع هذه السَّبِيّة! قبح الله رأيك، دعوا ذاك. فقلت في نفسي: قتل المولى وترك العربي؛ إن علم والله إني مولى قتلتني. فلماً عُرِضت عليه قال: من أنت؟ فقلت: من بني تيم الله؛ قال: أعربي أنت أو مولى؟ فقلت: لا بل عربيّ، أنا من آل زياد بن خَصَفَة، فقال: بخ بخ! ذكرت الشريف المعروف، الحقّ بأهلك. قال: فأقبلتُ حتّى انتهيت إلى الحمراء، ٦٢٤/٢ وكانت لي في قتال القوم بصيرة، فجئت حتّى انتهيت إلى المختار؛ وقلت في نفسي: والله لآتين أصحابي فلا وأسينهم بنفسي، فقبح الله العيش بعدهم! قال: فأتيهم وقد سبقني إليهم سَعْر الحنفيّ، وأقبلت إليه خيل شَبَيْث، وجاءه قتل نعيم بن هبيرة، فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير؛ قال: فدنوت من المختار، فأخبرته بالذي كان من أمري، فقال لي: اسكت؛ فليس هذا بمكان الحديث. وجاء شَبَيْث حتّى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس

(١) ف: «الحقيقة».

(٢) ف: «تفرون».

(٣) ف: «جماعة منهم».

(٤) ط: «يخرج»، والصواب ما أثبتته؛ وانظر الاشتقاق ٣٤٧. (٥) ف: «قال».

(٦) المتكء من النساء: هي التي لم تخفض؛ وهو من السب عندهم. وفي اللسان: «الصحانة

بالكسر: إدام يتخذ من السك، يمد ويقصر، والصحانة أخص منه».

وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث بن رؤيم في ألفين من قبل سكة لحام جريز ، فَوَقَفُوا في أفواه تلك السكك ، وولَّى المختارُ يزيد بن أنس خيلَه ، وخرج هو في الرَّجالة .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب الوالبي ؛ والبة الأزدي ، قال : حملتُ علينا خيلَ شَبَبَتْ بن رِبْعَى حملتين ، فما يزول منّا رجل من مكانه ، فقال يزيد بن أنس لنا : يا معشر الشيعة ، قد كنتم تُقْتَلُونَ وتُقَطَّعُ أيديكم وأرجلكم ، وتسمَلُ أعينكم ، وتُرفَعُونَ على جذوع النخل في حُبِّ أهل بيت نبيكم ؛ وأنتم مقيمون في بيوتكم ، وطاعة عدوكم ، فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم ! إذًا والله لا يدعون منكم عينًا تطرف ، وليقتلنكم صبرًا ، ولتروُنَ منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خيرٌ منه ، والله لا يُسْجِيَكُمْ منهم إلّا الصدق والصبر ، والظعن الصائب في أعينهم ، والضرب الدَّارَكُ^(١) على هامهم . فتيسروا للشدة ، وتهيئوا للحملة ، ٦٢٥/٢ فإذا حرّكت رايتي مرتين فاحملوا . قال الحارث : فتهيئنا وتيسرنا ، وجشونا على الرُّكَب ، وانتظرنا أمره .

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن إبراهيم بن الأشتر كان حين توجهه إلى راشد بن إياس ، مضى حتّى لقيه في مراد ، فإذا معه أربعة آلاف ، فقال إبراهيم لأصحابه : لا يهولنكم كثرة هؤلاء ، فوالله لرُبَّ رجل خيرٌ من عشرة ، ولرُبَّ فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة . بإذن الله والله مع الصّابرين ، ثم قال : يا خزيمة بن نصر ، سرّ إليهم في الخيل . ونزل هو يمشي في الرجال ، ورايته مع مزاحم بن طُفَيْل ، فأخذ إبراهيم يقول له : ازدكف برايتك ، امض بها قدّمًا قدّمًا . واقتل الناس ، فاشتد قتالهم ، وبصر خزيمة بن نصر العيسى براشد بن إياس ، فحمل عليه

فقطعه ، ففَقَسَته ، ثم نادى : قتلْتُ راشداً وربَّ الكعبة . وانهزم أصحابُ راشد ، وأقبل إبراهيمُ بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار ، وبعث النعمانُ بن أبي الجعد يبشِّر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد ، فلمّا أن جاءهم البشير بذلك كبرّوا ، واشتدّت أنفسهم ، ودخل أصحاب ابن مطيع الفسّسل ، وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسيّ في جيش كثيف نحو من ألفين . فاعترض إبراهيم بن الأشتر فوُيِقَ الحمراء ليرده عَمَنَ في السبخة من أصحاب ابن مطيع ، ففقدَ إبراهيم خزيمة بن نصر إلى حسان بن فائد في الخيل ، ومشى إبراهيم نحوه في الرجال . فقال :

والله ما اطعنا برمح ، ولا اضطررنا بسيف ، حتّى انهزموا . وتخلّف حسان بن فائد في أخريات الناس يتحميهم ، وحمل عليه خزيمة بن نصر ، فلمّا رآه عرفه ، فقال له : يا حسان بن فائد ، أما والله لولا القرابة لعرفت أنّي سألتمس قتلَكَ بجهدى ، ولكن النجاء ، فعتّثر بحسان فرسه فوقع ، فقال : تعسّا لك ؛ أبا عبد الله ! وابتدره الناس فأحاطوا به ، فضاربهم ساعة بسيفه ، فناداه خزيمة بن نصر ، قال : إنّك آمن يا أبا عبد الله ، لا تقتل نفسك ، وجاء حتّى وقف عليه ونهّته الناس عنه ، ومرّ به إبراهيم ، فقال له خزيمة : هذا ابن عمّي وقد آمنته ؛ فقال له إبراهيم : أحسنت ، فأمر خزيمة بطلب فرسه حتّى أتى به ، فحسّمه عليه ، وقال : الحق بأهلك .

قال : وأقبل إبراهيم نحو المختار ، وشبّث محيط بالمختار ويزيد بن أنس ، فلمّا رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سيكك الكوفة التي تلى السبخة ، وإبراهيم مقبل نحو شبّث ، أقبل نحوه ليصدّه عن شبّث وأصحابه ، فبعث إبراهيم طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر ، فقال : أغن عنا يزيد بن الحارث ، وصمك هو في بقيّة أصحابه نحو شبّث بن ربعي .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب أن إبراهيم لمّا أقبل نحونا رأينا شبّثاً وأصحابه ينكصون وراءهم رويداً رويداً ، فلمّا دنا إبراهيم من شبّث وأصحابه ، حمل عليهم ، وأمرنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم ،

فحملنا عليهم ، فانكشفوا حتّى انتهوا إلى أبيات الكوفة ، وحمل خزيمة ابن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه ، وازدحموا على أفواه السكك ، وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت ، وأقبل المختار في جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث ، فلما انتهى أصحاب المختار إلى أفواه السكك رمته تلك الرامية ^(١) بالنبل ، فصدّوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ، ورجع الناس من السبّخة منهزمين إلى ابن مطيع ، وجاءه قتل راشد بن إلياس ، فأسقط في يده .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن هاني ، قال : قال عمرو بن الحجاج الزبيدي لابن مطيع : أيّها الرجل لا يستقبط في خلدك ، ولا تلق بيديك ، أخرج إلى الناس فاندبهم إلى عدوك فاغزهم ، فإنّ الناس كثير عددُهم ، وكلهم معك إلا هذه الطاغية التي خرجت على الناس ، والله مخزبها ومهلكها ، وأنا أوّل مُستدب ، فاندب معي طائفة ، ومع غيري طائفة . قال : فخرج ابن مطيع ، فقام في الناس ، فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال : أيّها الناس ، إن من أعجب العجائب عجزكم عن غضبة منكم قليل عددها ، خبيث دينها ، ضالّة مضلّة . اخرجوا إليهم فامنعوا منهم حرّيمكم وقتلواهم عن مصرّكم ، وامنعوا منهم فيسيئكم ، وإلا والله ليشاركسيئكم في فيسيئكم من لا حقّ له فيه . والله لقد بلغت أنّ فيهم خمسمائة رجل من محرّريكم عليهم أميرٌ منهم ، وإنّما ذهاب عزّكم وسلطانكم وتغيّر دينكم حين يكثرّون . ثم نزل .

قال : ومنعهم يزيد بن الحارث أن يدخلوا الكوفة . قال : ومضى المختار من السبّخة حتّى ظهر على الجبّانة ، ثم ارتفع إلى البيوت ؛ بيوت مزيّنة وأحمس وبارق ، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم ، وبيوتهم شاذّة منفردة من بيوت أهل الكوفة ، فاستقبلوه بالماء ، فسقى أصحابه ، وأبى المختار أن يشرب . قال : فظن أصحابه أنّه صائم ، وقال أحمر بن هديج من همدان

لابن كامل : أتري الأمير صائماً ؟ فقال له : نعم ، هو صائم ، فقال له : فلو أنه كان في هذا اليوم مفطراً كان أقوى له ؛ فقال له : إنه معصوم ، وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال له : صدقت ، أستغفر الله . وقال المختار : نعم مكان المقاتل هذا ، فقال له : إبراهيم بن الأشتر : قد هزمهم الله وفلسهم ، وأدخل الرعب قلوبهم ، وتنزل هاهنا ! سربنا ؛ فوالله ما دون القصر أحد يمنع ، ولا يمتنع كبير امتناع ؛ فقال المختار : ليقيم ها هنا كل شيخ ضعيف وذى علة ، وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسيروا إلى عدونا . ففعلوا ، فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدي ، وقدم إبراهيم بن الأشتر أمامه ، وعبى أصحابه على الحال التي كانوا عليها في السبحة .

قال : وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل ، فخرج عليهم من سكة الثوريين ، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه . فطواه إبراهيم ، ودعا المختار يزيد بن أنس ، فأمره أن يصمد لعمر بن الحجاج ، فضى نحوه ، وذهب المختار في أثر إبراهيم ، فضا جميعاً حتى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلّى خالد بن عبد الله وقف ، وأمر إبراهيم أن يمضى على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبل الكناسة ، فضى ، فخرج إليه من سكة ابن محرز ، وأقبل شمر بن ذى الجوشن في ألفين ، فسرّح المختار إليه سعيد بن منقذ الحمدي فواقعه ، وبعث إلى إبراهيم أن اطوه ، وامض ٦٢٩/٢ على وجهك . فضى حتى انتهى إلى سكة شيب ، وإذا ^(١) نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخزومة في نحو من ألفين — أو قال : خمسة آلاف ، وهو الصحيح — وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى في الناس : أن الحقوا بابن مساحق . قال : واستخلف شيب بن ربعي على القصر ، وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة .

قال أبو مخنف ^(٢) : حدثني حصيرة بن عبد الله ، قال : إني لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه ، حتى إذا دنا منهم قال لهم : انزلوا ، فنزلوا ، فقال :

(١) ف : « فإذا » .

(٢) بعدها في ف : « لوط بن يحيى » .

قربوا خيولكم بعضها إلى بعض ، ثم امشوا إليهم مصليتين بالسيوف ، ولا يهولنكم أن يقال : جاءكم شبيب بن ربيع وآل عتيبة بن النشاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث ... قال : فسَمَّى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ، ثم قال : إن هؤلاء لو قد وجدوا لهم حرَّ السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المِعْزَى عن الذئب . قال حصيرة : فلما لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائيه فرفعه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود ، وقد شدَّ بها على القباء ، وقد كفر بالقباء على الدرع ، ثم قال لأصحابه : شدوا عليهم فدَّى لكم عمى وخالى ! قال : فوالله ما لبثهم أن هزَمَهم ؛ فركب بعضهم بعضاً على فم السكة وازدحموا ، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق ، فأخذ بلبجام دابته ، ورفع السيف عليه ، فقال له ابن مساحق : يا ابن الأشتر ، أنشدك الله ، أتطلبني بثأراً ! هل بيني وبينك من إحنة ! فخلَّى ابن الأشتر سبيله ، وقال له : اذكرها ؛ فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر ، وأقبلوا يسرون حتَّى دخلوا الكناسة في آثار القوم حتَّى دخلوا السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً .

قال أبو مخنف : وحدَّثني النضر بن صالح أن ابن مطيع مكث ثلاثاً ، يرزق أصحابه في القصر حيث حُصِرَ الدقيق ، ومعه أشراف الناس ، إلا ما كان من عمرو بن حريث ، فإنه أتى داره ولم يلزم نفسه الحصار ، ثم خرج حتى نزل البر ، وجاء المختار حتَّى نزل جانب السوق ، وولَّى حصار القصر إبراهيم بن الأشتر ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شُمَيْط ، فكان ابن الأشتر ممّاً إلى المسجد وباب القصر ، ويزيد بن أنس ممّاً إلى بني حذيفة وسكة دار الروميين ، وأحمر بن شُمَيْط ممّاً إلى دار عمارة ودار أبي موسى . فلمّا اشتدَّ الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلَّهم الأشراف ، فقام إليه شبيب فقال : أصلح الله الأمير ! انظر لنفسك ولن معك ، فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم . قال ابن مطيع : هاتوا ، أشيروا على برأيكم ؛

قال شَيْبَة : الرَّأْيُ أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ أَمَانًا وَلَنَا ، وَتَخْرُجَ
وَلَا تُهْلِكَ نَفْسَكَ وَمِنْ مَعَكَ . قَالَ ابْنُ مَطِيع : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ آخُذَ مِنْهُ
أَمَانًا وَالْأُمُورَ مُسْتَقِيمَةً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَازِ كُلِّهِ وَبِأَرْضِ الْبَصْرَةِ ؛ قَالَ : ٦٣١/٢
فَتَخْرُجَ لَا يَشْعُرُ بِكَ أَحَدٌ حَتَّى تَنْزِلَ مَنْزِلًا بِالْكُوفَةِ عِنْدَ مَنْ تَسْتَنْصِيحُهُ وَتَشِيقَ بِهِ ،
وَلَا يَعْلَمُ بِمَكَانِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَتُلْحِقَ بِصَاحِبِكَ ؛ فَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ خَارِجَةَ
وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ وَأَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ :
مَا تَرَوْنَ فِي هَذَا الرَّأْيِ الَّذِي أَشَارَ بِهِ عَلَيَّ شَيْبَةُ ؟ فَقَالُوا : مَا نَرَى الرَّأْيَ إِلَّا
مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْكَ ، قَالَ : فَرُويدًا حَتَّى أُمْسِيَ .

قال أبو مخنف : فَحَدَّثَنِي أَبُو الْمَغْلَسِ النَّيَّيْ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
الليثيَّ أَشْرَفَ عَلَى أَصْحَابِ الْخِطَارِ مِنَ الْقَصْرِ مِنَ الْعَشِيِّ يَسْتَمِهُمُ ، وَيَنْتَحِي لَهُ
مَالِكُ بْنُ عَمْرِو أَبُو نَمْرُودَ (١) النَّهْدِيُّ بِسَهْمٍ ، فَيَمْرُ بِحُلَقِهِ ، فَقَطَعَ بِلَدَةٍ مِنْ حُلَقِهِ
فَمَا لَوْ فَوْقَ ؛ قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ وَبَرَأَ بَعْدُ ؛ وَقَالَ النَّهْدِيُّ حِينَ أَصَابَهُ : خَذَهَا
مِنْ مَالِكَ ، مِنْ فَاعِلٍ كَذَا .

قال أبو مخنف : وَحَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ فَائِدٍ بْنِ
بَكِيرٍ ، قَالَ : لَمَّا أُمْسَيْنَا فِي الْقَصْرِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، دَعَانَا ابْنُ مَطِيعٍ ، فَذَكَرَ
اللَّهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : أَمَا بَعْدُ ،
فَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِينَ صَنَعُوا هَذَا مِنْكُمْ مَنْ هُمْ ؛ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَا هُمْ أَرَادَ لَكُمْ
وَسَفَهَاؤَكُمْ وَطَغَامَكُمْ وَأَخْسَاؤَكُمْ ، مَا عَدَا الرَّجُلَ أَوْ الرَّجُلَيْنِ ، وَأَنْ أَشْرَافَكُمْ
وَأَهْلَ الْفَضْلِ مِنْكُمْ لَمْ يَزَالُوا سَامِعِينَ مَطِيعِينَ مَنَاصِحِينَ ، وَأَنَا مَبْلُغٌ ذَلِكَ صَاحِبِي ،
وَمُعَلِّمُهُ طَاعَتَكُمْ وَجِهَادَكُمْ عِدْوَةً ، حَتَّى كَانَ اللَّهُ الْغَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ ، وَقَدْ كَانَ ٦٣٢/٢
مِنْ رَأْيِكُمْ وَمَا أَشْرَمَ بِهِ عَلَيَّ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَخْرُجَ السَّاعَةَ . فَقَالَ
لَهُ شَيْبَةُ : جِزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرًا ! فَقَدْ وَاللَّهِ عَفَفْتَ عَنْ أَمْوَالِنَا ، وَأَكْرَمْتَ
أَشْرَافِنَا ، وَنَصَحْتَ لِمَ صَاحِبِكَ ، وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ ، وَاللَّهُ مَا كُنَّا لِنَفَارِقَكَ أَبَدًا
إِلَّا وَنَحْنُ مِنْكَ فِي إِذْنٍ ، فَقَالَ : جِزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا ، أَخَذَ أَمْرًا حَيْثُ أَحَبَّ ، ثُمَّ خَرَجَ
مِنْ نَحْوِ دُرُوبِ الرُّومِيِّينَ حَتَّى أَتَى دَارَ أَبِي مُوسَى ، وَخَلَّى الْقَصْرَ ، وَفَتَحَ أَصْحَابَهُ

الباب، فقالوا : يا بن الأشر ، آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون ؛ فخرجوا فبايعوا المختار .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن عامر العدوي ؛ من عدى جهينة - وهو أبو الأشعر - أن المختار جاء حتى دخل القصر ، فبات به ، وأصبح أشرفُ الناس في المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختار فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : الحمد لله الذي وعد وليه النصر ، وعدوه الخُسْرَ ، وجعله فيه إلى آخر الدهر ، وَعَدًّا مَفْعُولًا ، وقضاءً مقضيًا ، وقد خاب من افترى . أيها الناس ، إنَّه رُفِعَتْ لَنَا رَايَةٌ ، ومُدَّتْ لَنَا غَايَةٌ ، فقل لَنَا فِي الرَايَةِ : أَنْ ارْفَعُوهَا وَلَا تَضَعُوهَا ، وَفِي الْغَايَةِ : أَنْ اجْبُرُوا إِلَيْهَا وَلَا تَعْدُوها ، فسمعنا دعوة الداعي ، ومقالة الواعي ؛ فكم من نَاعٍ وَنَاعِيَةٍ ، لَقَتْلَى فِي الْوَاعِيَةِ ! وَبُعْدًا لِمَنْ طَغَى وَأَدْبَرَ ، وَعَصَى وَكَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَا فَادْخُلُوا أَيُّهَا النَّاسُ فَبَايَعُوا بَيْعَةَ هَدَى ، فَلَا وَالَّذِي جَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا مَكْفُوفًا ، وَالْأَرْضَ فَجَاجًا سَبُلًا ، مَا بَايَعْتُمْ بَعْدَ بَيْعَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَآلِ عَلِيٍّ أَهْدَى مِنْهَا .

١٣٣/٢

ثم نزل فدخل ، ودخلنا عليه وأشرف الناس ، فبَسَطَ يَدَهُ ، وَابْتَدَرَهُ (١) النَّاسُ فَبَايَعُوهُ ، وَجَعَلَ (٢) يَقُولُ : تَبَايَعُونِي عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَالطَّلَبِ بِدَمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَجِهَادِ الْمُحَلِّينَ ، وَالِدَفْعِ عَنِ الضُّعَفَاءِ ، وَقِتَالِ مَنْ قَاتَلَنَا ، وَسَلَمِ مَنْ سَالَمَنَا ، وَالْوَفَاءِ بِبَيْعَتِنَا ، لَا نَقِيلُكُمْ وَلَا نَسْتَقِيلُكُمْ ؛ فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ : نَعَمْ ، بَايَعْتَهُ . قَالَ : فَكَأَنِّي وَاللَّهِ أَنْظِرُ إِلَى الْمُنْدَرِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ضِرَارِ الضُّبِّيِّ إِذْ أَتَاهُ حَتَّى سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ ، ثُمَّ بَايَعَهُ وَانصَرَفَ عَنْهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْقَصْرِ اسْتَقْبَلَ سَعِيدُ بْنُ مَنْقِذِ الثَّوْرِيِّ فِي عَصَابَةٍ مِنَ الشَّيْعَةِ واقفًا عِنْدَ الْمَصْطَبَةِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ وَمَعَهُ ابْنُهُ حَيَّانُ بْنُ الْمُنْدَرِ ، قَالَ رَجُلٌ مِنْ سَفَهَائِهِمْ : هَذَا وَاللَّهِ مِنْ رِعْوَسِ الْجَبَّارِينَ ، فَشَدُّوا عَلَيْهِ وَعَلَى ابْنِهِ ، فَقَتَلُوهُمَا ، فَصَاحَ بِهِمْ سَعِيدُ بْنُ مَنْقِذٍ : لَا تَسْعَجِكُمَا ، لَا تَسْعَجِكُمَا حَتَّى نَنْظُرَ مَا رَأَى أَمِيرُكُمْ فِيهِ . قَالَ : وَبَلَغَ الْمُخْتَارَ ذَلِكَ ، فَكَرِهَهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَأَقْبَلَ الْمُخْتَارَ يَمْنَى النَّاسَ ، وَيَسْتَجِرُّ مَوَدَّتَهُمْ وَمَوَدَّةَ الْأَشْرَافِ ، وَيُحَسِّنُ السَّيْرَةَ جُهْدَهُ .

(١) ف : « وابتدعه » . (٢) ف : « فاجعل » .

قال : وجاءه ابن كامل فقال للمختار ، أعلمت أن ابن مطيع في دار أبي موسى ؟ فلم يُجِبْه بشيء ، فأعادها عليه ثلاث مرّات فلم يُجِبْه ، ثمّ أعادها فلم يُجِبْه ، فظنّ ابن كامل أن ذلك لا يوافقه ، وكان ابن مطيع قبلُ للمختار صديقاً ، فلمّا أمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم ، فقال له : تجهّزْ بهذه واخرج ؛ فإنّي قد شعرت بمكانك ، وقد ظننتُ أنّه لم يمنعك من الخروج إلّا أنّه ليس في يدك ما يقوّيك على الخروج . وأصاب ٦٣٤/٢ المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة ، فأعطى أصحابه اللّذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر - وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة ^(١) رجل - كلّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم ، وأعطى ستّة آلاف من أصحابه أتوّه بعد ما أحاط بالقصر ، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتّى دخل القصر مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير ، ومنّاهم العدل وحسن السيرة ، وأدنى الأشراف ، فكانوا جلساءه وحُدّاثه ، واستعمل على شُرطته عبد الله بن كامل الشّاكرى ، وعلى حرسه كيسان أبا عمّرة مولى عُرينة ؛ فقام ذات يوم على رأسه ، فرأى الأشراف يحدّثونه ، ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم ، فقال لأبي عمّرة بعضُ أصحابه من الموالى : أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ! فدعاه المختار فقال له : ما يقول لك أولئك اللّذين رأيتهم يكلّمونك ؟ فقال له - وأسرّ إليه : شقّ عليهم أصلحك الله صرّفك وجهك عنهم إلى العرب ، فقال له : قلّ لهم : لا يشقنّ ذلك عليكم ، فأنتم منى وأنا منكم . ثمّ سكّت طويلاً ، ثمّ قرأ : ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ ^(٢) . قال : فحدّثني أبو الأشعر موسى بن عامر قال : ما هو إلّا أن سمعها الموالى منه ، فقال بعضهم لبعض : أبشروا ، كأنكم والله به قد قتلهم .

قال أبو مخنف : حدّثني حصيرة بن عبد الله الأزديّ وفُضَيْل بن خديج الكنديّ والنضر بن صالح العبسي ، قالوا : أوّل رجل عقد له المختار

(١) ف : « وخمسمائة » .

(٢) سورة السجدة : ٢٢ .

٦٣٥/٢ راية عبد الله بن الحارث أخو الأشتر ، عتق له على أرمينية ، وبعث محمد ابن عمير بن عطارد على آذربيجان ، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخَى ، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصرية ، وهو حليف لثقيف على بهقُبَاذ الأعلى ، وبعث محمد بن كعب بن قَرَظَة على بهقُبَاذ الأوسط ، وبعث حبيب بن منقذ الثوري على بهقُبَاذ الأسفل ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمّان على حُلوان ، وكان مع سعد بن حذيفة ألفاً فارس بحُلوان . قال : ورزقه ألف درهم في كل شهر ، وأمره بقتال الأكراد ، وإقامة الطرق ، وكتب إلى عماله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كُورهم إلى سعد بن حذيفة بحُلوان ، وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل ، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة ، غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله إلّا بأمر ابن الزبير ، وكان قبل ذلك في إمارة عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد منقطعاً بإمارة الموصل ، لا يكتب أحدًا دون ابن الزبير .

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبيل المختار أميراً تنحى له عن الموصل ، وأقبل حتى نزل تكريت ، وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم ، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس ، وإلى ما يصير أمرهم ، ثم شخص إلى المختار فبايع له ^(١) ، ودخل فيما دخل فيه أهل بلده .

٦٣٦/٢ قال أبو مخنف : وحدثنى صلة بن زهير النهدي ، عن مسلم بن عبد الله الضبائي ، قال : لما ظهر المختار واستمكن ، ونفى ابن مطيع وبعث عماله ، أقبل يجلس للناس غدوة ^(٢) وعشيّة ، فيقضي بين الخصمين ، ثم قال : والله إن لي فيما أزاول وأحاول لشُغلاً عن القضاء بين الناس ، قال : فأجلس للناس شريحاً ، وقضيت بين الناس ، ثم إنه خافهم فتمارض ، وكانوا يقولون : إنه عثمانى ، وإنه ممن شهد على حُجْر بن عدى ، وإنه لم يبلغ عن هاني ابن عروة ما أرسله به — وقد كان على بن أبي طالب عزله عن القضاء — فلما

(١) ف : « فبايعه » .

(٢) ف : « بكرة » .

أن سمع بذلك ورآهم يذمونه ويسندون إليه مثل هذا القول تسمارص ، وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود . ثم إن عبد الله مرض ، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضياً .

قال مسلم بن عبد الله : وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان ، فقتله بالسوط ، فلما ظهر المختار كان معتزلاً حتى استأمن له عبد الله بن شداد ، فجاء إلى المختار ذات يوم فقال :

أَلَا انتَسَأْتُ بِالوُدِّ عَنْكَ وَأَذْبَرْتَ
وَحَمَلَهَا وَأَسَى سَعَى غَيْرِ مُؤْتَلٍ
فَخَفَضَ عَلَيْكَ الشَّأْنَ لَا يُرْدِكَ الْهَوَى
وَفِي لَيْلَةِ الْمُخْتَارِ مَا يُذْهِلُ الْفَتَى
دَعَا يَا لِنَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ فَأَقْبَلْتُ
وَمِنْ مَذْجِجِ جَاءَ الرَّئِيسُ ابْنُ مَالِكٍ
وَمِنْ أَسَدٍ وَاقِيَ يَزِيدُ لِنَضْرِهِ
وَجَاءَ نُعَيْمٌ خَيْرُ شَيْبَانَ كُلِّهَا
وَمَا ابْنُ شَمِيطٍ إِذْ يُحَرِّضُ قَوْمَهُ
وَلَا قَيْسُ نَهْدٍ لَا وَلَا ابْنُ هَوَازِنٍ
وَسَارَ أَبُو النُّعْمَانِ لِلَّهِ سَعِيَهُ
بِخَيْلٍ عَلَيْهَا يَوْمَ هَيْجَا دُرُوعُهَا
فَكَرَّ الْخَيُْولُ كَرَّةً ثَقِفَتْهُمْ
فَوَلَّى بِضَرْبٍ يَشْدَخُ الْهَامَ وَقَعُهُ
فَحُوصِرَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ بَائِياً
فَمَنْ وَزِيرُ ابْنِ الْوَصِيِّ عَلَيْهِمْ

مُعَالِنَةً بِالْهَجْرِ أَمْ سَرِيعٌ ^(١)
فَأُبْتُ بِهِمْ فِي الْفُؤَادِ جَمِيعٍ
فَلَيْسَ انْتِقَالُ خَلَّةٍ بِبَدِيعٍ
وَيُلْهِيهُ عَنْ رُودِ الشُّبَابِ شُمُوعُ ^{٦٣٧/٢}
كَتَائِبُ مِنْ هَمْدَانٍ بَعْدَ هَزِيعٍ
يَقُودُ جُمُوعاً عُيِّتَ بِجُمُوعٍ
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الدِّمَارِ مَنِيعٍ
بِأَمْرِ لَدَى الْهَيْجَا أَحَدٌ جَمِيعٍ
هَنَّاكَ بِمَخْذُولٍ وَلَا بِمُضِيعٍ
وَكُلُّ أَخُو إِيخْبَانَةٍ وَخُشُوعٍ
إِلَى ابْنِ إِيَّاسٍ مُضْجِرّاً لَوْقُوعٍ
وَأُخْرَى حُسُوراً غَيْرَ ذَاتِ دُرُوعٍ
وَشَدَّ بِأَوَّلَاهَا عَلَى ابْنِ مُطِيعٍ
وَطَعَنَ غَدَاةَ السُّكْتَيْنِ وَجِيعٍ ^{٦٣٨/٢}
بِذُلٍّ وَإِرْغَامٍ لَهُ وَخُضُوعٍ
وَكَانَ لَهُمْ فِي النَّاسِ خَيْرٌ شَفِيعٍ

وَأَبَ الْهَدَى حَقًّا إِلَى مُسْتَقَرِّهِ بِخَيْرٍ إِيَّابِ آبِهِ وَرُجُوعِ
إِلَى الْهَاشِمِيِّ الْمُهْتَدَى الْمُهْتَدَى بِهِ فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ وَمُطِيعٍ

قال : فلمَّا أنشدھا المختارَ قال المختار لأصحابه : قد أثنتي عليكم كما
تسمعون ، وقد أحسن الثناءَ عليكم ، فأحسنوا له الجزاء . ثمَّ قام المختار ،
فدخل وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتَّى أخرج إليكم ؛ قال : وقال عبد الله
ابن شدَّاد الجُشَمِيُّ : يا بن همام : إنَّ لك عندى فرسًا ومُطَرَفًا ، وقال
قيس بن طَهْمَةَ الشَّهْدَى وكانت عنده الرِّباب بنت الأشعث : فإنَّ لك عندى
فرسًا ومُطَرَفًا ، واستحيا أن يعطيَه (١) صاحبه شيئًا لا يعطى مثله ، فقال (٢)
ليزيد بن أنس : فما تعطيه ؟ فقال يزيد : إن كان ثواب الله أراد بقوله فما عند
الله خيرٌ له ، وإنَّ كان إنَّمَا اعتَرَى بهذا القول أموالنا ، فوالله ما فى أموالنا
ما يسعُه ؛ قد (٣) كانت بقيت من عطائى بقيَّة فقويت بها إخوانى ؛ فقال
أحمر بن شُمَيْط مبادرًا لهم قبل أن يكلّموه : يا بن همام ، إن كنت أردت
بهذا القول وجهَ الله فاطلب ثوابك من الله ، وإن كنت إنما اعتريت به رضا
الناس وطلبَ أموالهم ، فاكُدم الجنْدَل ؛ فوالله ما منَّ قال قولاً لغير الله وفى
غير ذات الله بأهلٍ أن يُنْحَلَ ، ولا يوصل ؛ فقال له : عضضت بأير أبيك !
فرفع يزيد بن أنس السوط وقال لابن همام : تقول هذا القول يا فاسق !
وقال لابن شُمَيْط : اضربه بالسيف ، فرفع ابن شميطة عليه السيف (٤) ووثب
ووثب أصحابهما يتفلسّتون على ابن همام . وأخذ بيده إبراهيم بن الأشتر فألقاه
وراءه ، وقال : أنا له جارٍ ، لِمَ تأتون إليه ما أرى ! فوالله إنَّه لو اصل الولاية ،
راضٍ بما نحن عليه ، حسنَ الثناء ، فإن أنتم لم تكافئوه بحسن ثنائه ، فلا تشتموا
عرضه ، ولا تسفِكوا دمه . ووثبت مدحج فحالت دونه ، وقالوا :
أجاره ابن الأشتر ، لا والله لا يوصل إليه . قال : وسمع لخطبهم
المختار (٥) ، فخرج إليهم ، وأومأ بيده إليهم ، أن اجلسوا ، فجلسوا ، فقال لهم :
٦٤٠/٢ إذا قيل لكم خير فاقبلوه ، وإن قدرتم على مكافأة فافعلوا ، وإن لم تقلدوا

(١ - ١) ف : « دون عطية صاحبه وقال » . (٢) ف : « وقد » .

(٣) ف : « السيف عليه » . (٤) ف : « المختار لخطبهم » .

على مكافأة فتنصّلوا ، واتقوا لسانَ الشاعر ، فإنَّ شرَّه حاضر ، وقولَه فاجر ،
وسعيته بائر ، وهو بكم غداً غادر . فقالوا^(١) : أفلا نقتله ؟ قال : إننا قد
أمسناه وأجرناه ، وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر ، فجلس مع الناس .
قال : ثمَّ إنَّ إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفاً وفرنساً ومُطرقاً
فرجع بها وقال : لا والله ، لا جاورت هؤلاء أبداً . وأقبلت هوازنُ وغضبتُ
واجتمعتُ في المسجد غضباً لابن همام ، فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا
عما اجتمعوا له ، ففعلوا ، وقال ابن همام لابن الأشتر يمدحه :

أطفأ عني نارَ كلبين ألبا على الكلابِ ذو الفِعالِ ابنُ مالكِ
فتى حينَ يلقى الخيلَ يفرقُ بينها بطعنِ دراكٍ أو بضربِ مؤاشِكِ
وقد غَضِبْتُ لى مِنْ هوازنِ عَصْبَةً طوالُ الذِّرا فيها عراضِ المَبَارِكِ
إذا ابنُ شَمِيطٍ أو يزيدُ تعرَّضا لها وقعا في مُستَحارِ المهالكِ^(٢) ٦٥١/٢
وثبَّتُمْ علينا يا موالِي طيِّبُ مع ابنِ شَمِيطٍ شَرِّ مَاشٍ ورَاتِكِ^(٣)
وأعظمُ ديارٍ على اللهِ فِرْيَةً وما مُفْتَرٍ طاغٍ كآخَرِ نَاسِكِ
فيا عجباً مِنْ أَحْمَسَ ابْنَةِ أَحْمَسِ^(٤) تَوَثَّبُ حَوْلِي بِالْقَنَا والنِّيَاكِ^(٥)
كَأَنَّكُمْ فِي الْعِزِّ قَيْسٌ وَخُثْعُمٌ وهل أنتمُ إِلَّا لثامُ عَوَارِكِ^(٦)
وأقبل عبد الله بن شدّاد من الغد فجلس في المسجد يقول : علينا توثَّبُ
بنو أسد وأحمس ! والله لا نرضى بهذا أبداً . فبلغ ذلك المختار ، فبعث إليه
فدعاه ، ودعا بيزيد^(٧) بن أنس وبابن^(٨) شميظ ، فحمّد الله وأثنى عليه
وقال^(٨) : يا بن شدّاد ، إنَّ اللّذي فعلتَ نَزْرَعَةً مِنْ نَزْرَعَاتِ الشَّيْطَانِ ، فثبَّ
إلى الله ، قال : قد تَبَيَّنْتُ ، وقال : إنَّ هذينِ أخوأك ، فأقبل إليهما ، وأقبل
منهما ، وهب لي هذا الأمر ؛ قال : فهو لك ، وكان ابن همام قد قال قصيدةً

(١) ف : « قالوا » .

(٢) ف : « موبقات المهالك » .

(٣) الرتك : مشية فيها اهتزاز .

(٤) ف : « وما عجب » .

(٥) ف : « تولت قتلى » .

(٦) ف : « وما أنتم غير الإماء العوارك » .

(٧) ف : « يزيد » .

(٨) ف : « وابن » .

(٩) ف : « ثم قال » .

أخرى في أمر المختار ، فقال :

أضحت سُلَيْمَى بعدَ طولِ عِتَابٍ وَتَجَرَّمُ وَنَفَادِ غَرْبِ شَبَابٍ
 قد أَرَمَعْتَ بِصَرِيْمَتِي وَتَجَنَّبِي (١) وَتَهَوُّكِ مُذْ ذَاكَ فِي إِعْتَابِ (٢)
 لَمَّا رَأَيْتُ الْقَصْرَ أَغْلَقَ بَابُهُ وَتَوَكَّلْتُ هَمْدَانُ بِالْأَسْبَابِ (٣)
 ٦٤٢/٢ وَرَأَيْتُ أَصْحَابَ الدَّقِيقِ كَأَنَّهُمْ (٤) حَوْلَ الْبُيُوتِ ثَعَالِبُ الْأَسْرَابِ
 وَرَأَيْتُ أَبْوَابَ الْأَزَقَّةِ حَوْلَنَا دَرَبَتْ بِكُلِّ هِرَاوَةٍ وَذُبَابِ
 أَتَقَنَنْتُ أَنَّ خِيُولَ شَيْعَةٍ رَاشِدٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا فَيْشٌ أَيْرِ ذُبَابِ

[ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وثب المختار بمن كان بالكوفة (٥) من قتلة الحسين والمشايخين على قتله ، فقتل من قتل عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم ، فلم يقدر عليه .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية من قتل منهم ومن هرب فلم يقدر عليه منهم :

وكان سبب ذلك - فيما ذكره هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحكم - أن مروان بن الحكم لما استوسقت له الشام بالطاعة ، بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز عليه حَبِيشُ بن دُبْلَجَةَ القِنِيّ - وقد ذكرنا أمره ونخبر مهلكه قبل - والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد - وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين الورد - وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجهه إلى العراق ما غلب عليه ، وأمره أن ينهب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً . ٦٤٣/٢

قال عوانة : فرّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيس عيلان (٦) على

- (١) ف : « هجرى وطول تجنبي » . (٢) ف : « لا تمجلن فلست من أصحابي » .
 (٣) ف : « وتعلقت همدان بالبواب » . (٤) ف : « أصحاب البيوت » .
 (٥) ف : « في الكوفة » . (٦) أ : « قيس بن عيلان » .

طاعة ابن الزبير ، وقد كان مروانُ أصاب قيساً يوم مَرَجِ راهط
وهم مع الضحَّاك بن قيس مخالفين على مروان ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ،
فلم يزل عبيد الله مشتغلاً بهم عن العراق نحواً من سنة . ثمَّ إنَّه أقبل إلى
الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عاملُ المختار على الموصل إلى
المختار : أما بعد ، فإني أخبرك أيها الأمير أنَّ عبيد الله بن زياد قد دخل أرضَ
الموصل ، وقد وجَّه قبلي خيله ورجاله ، وأنى انحزرت إلى تكريت حتَّى
يأتيني رأيك وأمرُك ، والسلام عليك .

فكتب إليه المختار : أمَّا بعد ، فقد بلغني كتابُك ، وفهمتُ كلَّ ما ذكرتَ
فيه ، فقد أصبتَ بانحيازك إلى تكريت ، فلا تبرحنَّ مكانك الَّذي أنت به
حتَّى يأتيك أمرى إن شاء الله ، والسلام عليك .

قال هشام ، عن أبي مخنف : حدثني موسى بن عامر ، أنَّ كتاب
عبد الرحمن بن سعيد لمَّا ورد على المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه ،
فقال له : يا يزيد بن أنس ، إنَّ العالمَ ليس كالجاهل ، وإنَّ الحقَّ ليس
كالباطل ، وإني أخبرك خبر من لم يكذب ولم يكذب ، ولم يُخالف ولم يرتب ،
ولمَّا المؤمنون الميامين ، الغالبون المساليم ، وإنَّك صاحب الخيل التي تجرَّ
جِيعابها ، وتضفر أذنانها ، حتَّى تُوردها منابت الزيتون ، غائرة عيونُها ،
لاحقةً بطونُها . اخرج إلى الموصل حتَّى تنزل أدانيها^(١) ، فإني ممدِّك

بالرجال بعد الرجال . فقال له يزيد بن أنس : سرَّح معي ثلاثة آلاف فارس ٦٤٤/٢
أنتخبهم ، وخلّتي والفرج الَّذي توجَّهنا إليه ، فإن احتجتُ إلى الرجال
فسأكتب إليك ؛ قال له^(٢) المختار : فاخرج فانتخب على اسم الله مَنْ أحببت^(٣) .
فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس ، فجعل على رُبُع المدينة النعمان بن
عوف بن أبي جابر الأزدى ، وعلى رُبُع تميم وهندان عاصم بن قيس بن حبيب
الهمداني ، وعلى مَدْحِج وأسد ورقاء بن عازب الأسدي ، وعلى رُبُع ربيعة
وكندة سَعْر بن أبي سَعْر الحنفي .

ثمَّ إنَّه فصل من الكوفة ، فخرج وخرج معه المختار والناس يشيعونه ، فلما

(١) ف : «بأدانيها» . (٢) ف : «فقال» . (٣) ف : «ثلاثة آلاف من أحببت» .

بلغ دير أبي موسى ودّعه المختار وانصرف ، ثم قال له : إذا لقيت عدوك فلا تنظرهم ، وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخرها ، وليكن خبرك في كل يوم عندى ، وإن احتجت^(١) إلى مدد فاكتب إلىى مع أنى مُمددك ولو لم تستمدد ، فإنه أشدّ لعصُدك ، وأعزّ لجُسدك ، وأرعب لعدوك . فقال له يزيد بن أنس : لا تمدّنى إلّا بدعائك ، فكفى به مددًا . وقال له الناس : صَحْبِكَ اللهُ وأدّاك وأيدك^(٢) . وودّعه . فقال لهم يزيد : سلوا الله لي الشهادة ، وإيمُ الله لئن لقيتَهُم ففاننى النصرُ لا تُفْتِننى الشهادة إن شاء الله . فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس : أما بعد ، فخلّ بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله ، والسلام عليك . فخرج يزيد بن أنس بالناس حتّى بات بسُورًا ، ثم غدا بهم سائرًا حتّى بات بهم بالمدائن ؛ فشكا الناس إليه^(٣) ما دخلهم من شدّة السير عليهم ، فأقام بها يومًا وليلة . ثمّ إنّه اعترض بهم أرض جُوحى حتّى خرج بهم فى الراذانات ، حتّى قطع بهم إلى أرض الموصل ، فنزلت ببنات تلى ، وبلغ مكانه ومنزلهُ الَّذى نزل به عبيد الله بن زياد ، فسأل عن عدّتهم ، فأخبرته عيونه أنّه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس ، فقال عبيد الله : فأنا أبعث إلى كل ألف ألفين . ودعا ربيعة بن المخارق الغنوى وعبد الله بن حملة الخثعمي ، فبعثهما فى ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، وبعث ربيعة بن المخارق أولًا ، ثمّ مكث يومًا ، ثمّ بعث خلفه عبد الله بن حملة ، ثمّ كتب إليهما : أيكما سبق فهو أمير على صاحبه ، وإن انتهيتما جميعًا فأكبركما سنّا أميرًا على صاحبه والجماعة . قال : فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو ببنات تلى ، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنى .

قال أبو مخنف : فحدثنى أبو الصلت ، عن أبي سعيد الصيّقل ، قال : خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشى معه الرجال يُمسِكونه عن يمينه وعن شماله ، بفخذيه وعصديه وجنبه ، فجعل يقف على الأربع :

(٢) ف : « وأيدك وأدّاك سالمًا غانمًا » .

(١) ف : « وإذا احتجت » .

(٣) ف : « فشكا إليه الناس » .

رُبْع ربيع^(١) ويقول : يا شرطة الله ، اصبروا تَوْجَرُوا ، وصابروا عدوكم تَظْفَرُوا ، وَقَاتِلُوا أولياءَ الشيطان ، إن كَسَدَ الشيطان كان ضَعِيفًا ، إن هَلَكْتُ فَأَمِيرُكم ورقاء بن عازب الأسدي ، فإن هَلَكْتُ فَأَمِيرُكم عبد الله بن ٦٤٦/٢ ضَمْرَةَ العذري ، فإن هَلَكْتُ فَأَمِيرُكم سَعْرُ بن أبي سَعْر الحنفي . قال : وأنا والله فيمن يمشي معه وَيُمْسِكُ بَعْضُهُ وَيَدُهُ ، وإني لأعرف في وجهه أن الموت قد نزل به . قال : فجعل يزيد بن أنس عبد الله بن ضَمْرَةَ العذري على ميمنته ، وسَعْرُ بن أبي سَعْر على يسرته ، وجعل ورقاء بن عازب الأسدي على الخيل ، ونزل هو فَوْضِعَ بين الرجال على السريز ، ثم قال لهم : ابرزوا لهم بالعراء ، وقد مَوْنَى في الرجال ، ثم إن شِئْمَ فقاتلوا عن أميركم ، وإن شِئْمَ ففروا عنه . قال : فأخرجناه في ذى الحجة يوم عرفة سنة ست وستين ، فأخذنا نُمْسِكُ أحيانًا بظَهْرِهِ فيقول : اصنعوا كذا ، اصنعوا كذا ، وافعلوا كذا ، فيأمر بأمره ، ثم لا يكون بأسرع من أن يغلبه الوجع فيُوضَعُ هُنْثِيهَةً ويقتل الناس ، وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس . قال : فحملت يسرته على ميمينتنا ، فاشتد قتالهم ، وتَحْمِلُ يسرتنا على ميمنتهم فتهزمها^(٢) ، ويَحْمِلُ ورقاء بن عازب الأسدي في الخيل فتهزمهم ، فلم يرتفع الضحى حتى هزمناهم ، وحويناهم عسكرهم .

قال أبو مخنف : وحدثنى موسى بن عامر العدوي ، قال : انتهينا إلى ربيعة ابن المخارق صاحبهم ، وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل^(٣) ينادي : يا أولياء الحق ، ويا أهل السمع والطاعة ، إلى أنا ابن المخارق ؛ قال موسى : فأما أنا فكنت غلامًا حداثًا ، فهبته ووقفت ، ويَحْمِلُ عليه عبد الله بن ورقاء الأسدي وعبد الله بن ضَمْرَةَ العذري ، فمقتلاه .

قال أبو مخنف : وحدثنى عمرو بن مالك أبو كبشة القيني ؛ قال : ٦٤٧/٢ كنت غلامًا حين راهقت مع أحد عمومتي في ذلك العسكر ، فلمبًا نزلنا بعسكر الكوفيين عيانًا ربيعة بن المخارق فأحسن التعبئة ، وجعل على ميمنته ابن

(١) : « ربيعًا ربعا » . (٢) : « فهزمتها » . (٣) : « ف » : « بارك » .

أخيه ، وعلى ميسرته عبد ربه السلمي ، وخرج هو في الخيل والرجال وقال :
يا أهل الشام ، إنكم إنما تقاتلون العبيد الأبقار ، وقوماً قد تركوا الإسلام
وخرجوا منه ، ليست لهم نقيّة ، ولا ينطقون بالعربيّة ؛ قال : فوالله إن كنت
لأحسب أن ذلك كذلك حتّى قاتلناهم ؛ قال : فوالله ما هو إلّا أن اقتتل
الناس إذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول :

بَرِثْتُ مِنْ دِينِ الْمُحَكَّمِينَا وَذَاكَ فِينَا شَرُّ دِينٍ دِينَا
ثُمَّ إِنَّ قِتَالَنَا وَقِتَالَهُمْ أَشَدُّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ لَإِنَّهُمْ هَزَمُونَا حِينَ
ارْتَفَعَ الضُّحَى فَقَتَلُوا صَاحِبَنَا ، وَحَوَّوْا عَسْكَرَنَا ؛ فَخَرَجْنَا مِنْهُمْ حَتَّى
تَلَقَّانَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَلَةَ عَلَى مَسِيرَةِ سَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي يَقَالُ لَهَا بَنَاتُ
تَلَى ، فَرَدَّانَا ، فَأَقْبَلْنَا مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ بِيَزِيدَ بْنِ أَنَسٍ ، فَبِتْنَا مُتَحَارِسِينَ
حَتَّى أَصْبَحْنَا فَصَلَّيْنَا الْغَدَاةَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا عَلَى تَبِئَةٍ حَسَنَةٍ ، فَجَعَلَ عَلَى
مِيمَتِهِ الزَّبِيرُ بْنُ خَزِيمَةَ^(١) ؛ مِنْ خَشَعُمْ ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ ابْنُ أَقْيَصِرِ الْقَحَافِ مِنْ
خَنَعُمْ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَضْحَى ، فَأَقْتَتَلْنَا قِتَالًا شَدِيدًا ،
ثُمَّ لَإِنَّهُمْ هَزَمُونَا هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَقَتَلُونَا قِتَالًا ذَرِيعًا ، وَحَوَّوْا عَسْكَرَنَا ، وَأَقْبَلْنَا
حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَحَدَّثَنَا بِمَا لَقِينَا .

٦٤٨/٢ قال أبو مخنف : وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَامِرٍ ، قَالَ : أَقْبَلَ إِلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
حَمَلَةَ الْخَثْعَمِيُّ ؛ فَاسْتَقْبَلَ فَلَّ رُبَيْعَةَ بْنَ الْخَارِقِ الْغَنَوِيَّ فَرَدَّهُمْ ، ثُمَّ جَاءَ حَتَّى
نَزَلَ بَنَاتُ تَلَى ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَادَا وَغَادَيْنَا ، فَتَطَارَدَتِ الْخَيْلَانُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ،
ثُمَّ انْصَرَفُوا وَانْصَرَفْنَا ؛ حَتَّى إِذَا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ خَرَجْنَا فَأَقْتَتَلْنَا ، ثُمَّ هَزَمْنَاهُمْ .
قَالَ : وَنَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَلَةَ فَأَخَذَ يَنَادِي أَصْحَابَهُ : الْكَرَّةَ بَعْدَ الْفَرَّةِ ، يَا أَهْلَ
السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ؛ فَحَمَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قِرَادٍ الْخَثْعَمِيُّ فَقَتَلَهُ ، وَحَوَّيْنَا
عَسْكَرَهُمْ وَمَا فِيهِ ، وَأَتَى يَزِيدُ بْنُ أَنَسٍ بِثَلَاثَةِ أَسِيرٍ وَهُوَ فِي السُّوقِ ، فَأَخَذَ
يَوْمُئِذٍ بِيَدِهِ أَنْ اضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، فَقَتَلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ .

وقال يزيد بن أنس : إِنَّ هَلَكْتُ فَأَمِيرُكُمْ وَرَقَاءُ بْنُ عَازِبِ الْأَسَدِيِّ ، فَمَا
أَمَسَى حَتَّى مَاتَ ، فَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ وَرَقَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَدَفَنْتُهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ
أَصْحَابُهُ أَسْقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَكَسَّرَ مَوْتُهُ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ ، وَأَخَذُوا فِي دَفْنِهِ ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط من غير فقط .

فقال لهم ورقاء : يا قوم ، ماذا ترون ؟ إنَّه قد بلغني أنَّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام ، فأخذوا يتسلَّلون ويرجعون . ثم إنَّ ورقاء دعا رؤوسَ الأرباع وفُرسانَ أصحابه فقال لهم : يا هؤلاء ، ماذا ترون فيما أخبرتُكم ؟ إنَّما أنا رجل منكم ، ولست بأفضلكم رأياً ، فأشيروا عليَّ ، فإنَّ ابن زياد قد جاءكم في جُنْد أهل الشام الأعظم ، وبجَلَّتْهم وفُرسانهم وأشرافُهم ، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقةً على هذه الحال ، وقد هلك يزيدُ بن أنس أميرنا ، وتفرَّقت عَنَّا طائفةٌ مِنَّا ، فلو انصرفنا اليومَ من ٦٤٩/٢ تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم ، وقبل أن نبلُغهم ، فسيعلموا أنَّنا إنَّما ردَّنا عنهم هلاكُ صاحبنا ، فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم ! ولأنَّنا إنَّما نعتلَّ لانصرافنا بموت صاحبنا . وإنَّنا إن لقيناهم اليومَ كنَّا مخاطرين ، فإن هُزِمنا اليومَ لم تنفعنا هزيمتُنا لِيَأْهم من قبل اليوم . قالوا : فإنَّك نعماً رأيت ، انصرفَ رحمك الله . فانصرف ، فبلغ مُنصرَفُهم ذلك المختارَ وأهل الكوفة ، فأرجف الناسُ ، ولم يعلموا كيف كان الأمرُ أنَّ يزيدَ بن أنس هلك ، وأنَّ الناسَ هُزِموا ، فبعث إلى المختار عاملُه على المدائن عيناً له من أنباط السواد فأخبره الخبر ، فدعا المختارُ لإبراهيمَ بن الأشتر فعمَّقه له على سبعة آلاف رجل ، ثم قال له : سرَّ حتَّى إذا أنت لقيتَ جيشَ ابن أنس فارددهم معك ، ثمَّ سرَّ حتَّى تلقى عدوك فتناجزهم . فخرج إبراهيم فوضَّع عسكره بحمام أعين .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو زهير النضر بن صالح ، قال : لمَّا مات يزيد أنس التقى أشرافُ الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا : قتلَ يزيد بن أنس ، ولم يصدِّقوا أنَّه مات ، وأخذوا يقولون : والله لقد تأمَّر علينا هذا الرجل بغير رضا مِنَّا ، ولقد أدنى موالينا ، فحملتهم على الدوابِّ ، وأعطاهم وأطعمهم فيتنا ، ولقد عصَّتنا عبيدنا ، فحربَ بذلك أيتامنا وأراملنا . فاتَّعدوا منزلَ شبَّث بن ربعي وقالوا : نجتمع في منزل شيخنا - وكان شبث جاهلياً إسلامياً -

فاجتمعوا فأتوا منزله ، فصلَّى بأصحابه ، ثمَّ تذكروا هذا النحو من الحديث ٦٥٠/٢ قال : ولم يكن فيما أحدث المختارُ عليهم شيء هو أعظمُ من أن جعل للموالى

الفسيء نصيباً - فقال لهم شَبَبْتُ: دعوني حتى ألقاه ؛ فذهب فلقيه ، فلم يدعُ شيئاً ممّا أنكره أصحابه إلّا وقد ذاكره إيتاه ، فأخذ لا يذكر خصلة إلّا قال له المختار : أرضيهم في هذه الخصلة ، وآتي كلّ شيء أحبوا ؛ قال : فذكر الممالك ؛ قال : فأنا أردّ عليهم عبيدَهم ، فذكر له الموالى ، فقال : عمدتَ إلى موالينا ، وهم فيءٌ أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعاً فأعتقنا رقابهم ، نأملُ الأجرَ في ذلك والثواب والشكر ، فلم ترّضْ لهم بذلك حتّى جعلتهم شركاءنا في فيثنا ، فقال لهم المختار : إنّ أنا تركتُ لكم مواليكُم ، وجعلتُ فيثكم فيكم ، أتقاتلون معي بني أميّة وابنَ الزبير ، وتعطون على الوفاء بذلك عهدَ الله وميثاقه ، وما أطمئنّ إليه من الإيمان ؟ فقال شَبَبْتُ : ما أدري حتّى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك ، فخرج فلم يرجع إلى المختار . قال : وأجمعَ رأى أشرفِ أهل الكوفة على قتال المختار .

قال أبو مخنف : فحدثني قدامةُ بن حوشب ، قال : جاء شَبَبْتُ ابنَ رُبَيْعٍ وشَمِيرَ بنِ ذِي الْجَوْشَنِ ومُحَمَّدَ بنَ الْأَشْعَثِ وعبدَ الرحمن بن سعيد بن قيس حتّى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخنعمي ، فتكلّم شَبَبْتُ ، فَحَسَمَ الله وأثنى عليه ، ثمّ أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار ، وسأله أن يجيبهم إلى ذلك ، وقال فيما يَعيُبُ به المختار : إنّه تأمّر علينا بغير رضا منّا ، وزعم أنّ ابنَ الحنفية بعثه إلينا ، وقد علمنا أنّ ابنَ الحنفية لم يفعل ، وأطعم موالينا فيثنا ، وأخذ عبيدنا ، فحربَ بهم يتامانا وأراهمنا ، وأظهر هو وسببته البراءة من أسلافنا الصالحين . قال : فرحبَ بهم كعب بن أبي كعب ، وأجابهم إلى ما دَعَوَهُ إليه .

قال أبو مخنف : حدثني أبي يحيى بن سعيد أنّ أشرفِ أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف ، فدعّوه إلى أن يجيبهم إلى قتال المختار ، فقال لهم : يا هؤلاء ، إنكم إن أبيتم إلّا أن تخرجوا لم أخذُ لكم ، وإن أنتم أطعتموني لم تخرجوا . فقالوا : لِمَ ؟ قال : لأنّي أخاف أن تتفرّقوا وتختلفوا وتتخاذلوا ، ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم ؛ أليس

معه فلان وفلان ! ثمّ معه عبيدكم ومواليكم ، وكلمة هؤلاء واحدة ، وعبيدكم ومواليكم أشدّ حنقاً عليكم من عدوّكم ، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب ، وعداوة العجم ، وإن انتظرتموه قليلاً كفيتموه بقدوم أهل الشام ، أو بمجيء أهل البصرة ، فتكونوا قد كفيتموه بغيركم ، ولم تجعلوا بأسكم بينكم ؛ قالوا : ننشدك الله أن تخالفنا ، وأن تُفسد علينا رأيناً وما قد اجتمعت عليه جماعتنا . قال : فأنا رجل منكم ، فإذا شئتم فاخرجوا . فسار بعضهم إلى بعض وقالوا : انتظروا حتّى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر ؛ قال : فأماهلوا حتّى إذا بلغ ابن الأشتر سباباط ، وثبوا بالختار . قال : فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمداني في همدان في جبانة السبيع ، وخرج زحر بن قيس الجعفي وإسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كيندة .

قال هشام : فحدثني سليمان بن محمد الحضرمي ، قال : خرج إليهما جبير الحضرمي فقال لهما : أخرجا عن جبانتنا ، فإننا نكره أن نعرى ٦٥٢/٢ بشر ؛ فقال له إسحاق بن محمد : وجبانتهكم هي ؟ قال : نعم ، فانصرفوا عنه ؛ وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي في جبانة بشر ، وسار بشير بن جرير بن عبد الله إليهم في بجيلة ، وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جبانة مخنف ، وسار إسحاق بن محمد وزحر بن قيس إلى عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بجبانة السبيع ، وسارت بجيلة وخثعم إلى عبد الرحمن ابن مخنف وهو بالأزد . وبلغ الذين في جبانة السبيع أن المختار قد عبأ لهم خيلاً ليسير إليهم . فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضاً إلى الأزد وبجيلة وخثعم ، يسألونهم بالله والرحم لما عجلوا إليهم . فساروا إليهم واجتمعوا جميعاً في جبانة السبيع ، ولمّا أن بلغ ذلك المختار سرّه اجتماعهم في مكان واحد ، وخرج شمر بن ذي الجوشن حتّى نزل بجبانة بني سكل في قيس ، ونزل شبث بن ربعي وحسان بن فائد العبسي وربيعة بن ثروان الضبي في مضر بالكُناسة ، ونزل حمجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رويم في ربيعة فيما بين التمارين والسبخة ، ونزل عمرو بن الحجاج الزبيدي في جبانة مراد بمن تبعه من مدحج ، فبعث إليه أهل اليمن : أن اتنا ، فأبى أن يأتيهم

وقال لهم : جدوا ، فكأنى قد أتيتكم . قال : وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن توبة بالرخص إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط ألا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إلى . قال : وبعث إليهم المختار في ذلك اليوم : أخبروني ما تريدون ؟ فلاني صانع كل ما أحببتهم ، فقالوا : فإننا نريد أن تعزلنا ، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يسبعك . فأرسل إليهم المختار أن ابعثوا إليه من قبلكم وفدا ، وأبعث إليه من قبلي وفدا ، ثم انظروا في ذلك حتى تستبينوه ؛ وهو يريد أن يرثيهم بهذه المقالة ليقدّم عليه إبراهيم بن الأشتر ، وقد أمر أصحابه فكفّوا أيديهم ، وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك ، فليس شيء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه من الماء إلا القليل الوثج^(١) ، يجيئهم إذا غفلوا عنه . قال : وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان ، فقاتلته شاكرا قتالا شديدا ، فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى ردّ عاديّتهم عنه ، ثم أقبل على حاميتيها يسيران حتى نزل عقبة بن طارق مع قيس في جبانة بني سكلول ، وجاء عبد الله بن سبيع حتى نزل مع أهل اليمن في جبانة السبيع .

قال أبو مخنف : حدثني يونس بن أبي إسحاق ، أن شمر بن ذي الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم : إن اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم ، وإلا فلا ، والله لا أقاتل في مثل هذا المكان في سبيلك ضيقة ، ونقاتل من غير وجه . فانصرف إلى جماعة قومه في جبانة بني سكلول . قال : ولما خرج رسول المختار إلى ابن الأشتر بلغه من يومه عشية ، فنأدى في الناس : أن ارجعوا إلى الكوفة ، فسار بقية عشية تلك ، ثم نزل حين أمسى ، فتعشى أصحابه ، وأراحوا الدواب شيئا كلا شيء ، ثم نادى في الناس ، فسار ليلته كلها ، ثم صلى الغداة بسورا ، ثم سار من يومه فصلّى العصر على باب الجسر من الغد ، ثم إنّه جاء حتى بات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجند ، حتى إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مخرجهم على المختار ، خرج المختار إلى

(١) الوثج : القليل من كل شيء .

المنبر فصعده .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جناب الكلبي أن شبث بن ربعي بعث إليه ابنه عبد المؤمن فقال : إننا نحن عشيرتك ، وكف يمينك ، لا والله لا نقاتلك ، ففك بذلك مناً ؛ وكان رأيته قتاله ، ولكنه كاده . ولمّا أن اجتمع أهل اليمّسن بجبّانة السبيع حضرت الصلاة ، فكّره كل رأس من رؤوس أهل اليمن أن يتقدّمه صاحبته ، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أول الاختلاف ، قدّموا الرضا فيكم ، فإن في عشيرتكم سيّد قراء أهل مصر ، فليصل بكم رفاعه بن شهّاد الفتياي من بجيلة ، ففعلوا ، فلم يزل يصلّي بهم حتّى كانت الوقعة .

قال أبو مخنف : وحدثني وازع بن السري أن أنس بن عمرو الأزدي انطلق فدخل في أهل اليمن ، وسمّهم وهم يقولون : إن سار المختار إلى إخواننا من مضر سرنا إليهم ، وإن سار إلينا ساروا إلينا ، فسمّعها منهم رجل ، وأقبل جواداً حتّى صعد إلى المنبر ، فأخبره بمقاتلتهم ، فقال : أمّا ٦٥٥/٢ هم فخلّصنا لو سرت إلى مضر أن يسيروا إليهم ، وأمّا أهل اليمّسن فأشهد لأن سرت إليهم لا تسير إليهم مضر ، فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه . ثم إن المختار نزل فعبأ أصحابه في السوق — والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء — فقال لإبراهيم بن الأشتر : إلى أيّ الفريقين أحبّ إليك أن تسير ؟ فقال : إلى أيّ الفريقين أحببت ، فنظر المختار — وكان ذا رأي ، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ في قتالهم — فقال : سر إلى مضر بالكُناسة وعليهم شبث بن ربعي ومحمد بن عمير بن عطار ، وأنا أسير إلى أهل اليمّسن .

قال : ولم يزل المختار يُعرف بشدة النفس ، وقلة البقيّة على أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر ، فسار إبراهيم بن الأشتر إلى الكُناسة ، وسار المختار إلى جبّانة السبيع ، فوقف المختار عند دار عُمَر بن سعد بن أبي وقاص ، وسرح بين أيديه أحمَر بن شُميط البجلي ثمّ الأحمسي ، وسرح عبد الله بن كامل الشاكري ، وقال لابن شُميط : الزم هذه السكّة حتّى^(١) تخرج إلى أهل

جَبَّانَةَ السَّبَّيعِ مِنْ بَيْنِ دُورِ قَوْمِكَ . وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ : الزَّمْ هَذِهِ
السَّكَّةَ حَتَّى تَخْرُجَ عَلَى جَبَّانَةَ السَّبَّيعِ مِنْ دَارِ آلِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ ،
وَدَعَاهُمَا فَأَسْرَّ إِلَيْهِمَا أَنَّ شَبَابًا قَدْ بَعَثْتُ تُخْبِرُنِي أَنَّهُمْ قَدْ أَتَوْا الْقَوْمَ مِنْ
وَرَائِهِمْ ، فَمَضَيْتُ^(١) فَسَلَكَ الطَّرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ^(٢) أَمَرَهُمَا بِهِمَا^(٣) ، وَبَلَغَ أَهْلَ الْيَمَنِ
مَسِيرُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْهِمْ ، فَاقْتَسَمُوا تَيْسَنِكَ السَّكَّتَيْنِ ، فَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي فِي
دُبُرِ مَسْجِدِ أَحْمَسَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ
وَلِإِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ وَزَحْرَ بْنَ قَيْسٍ ، وَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي تَلَى الْفُرَاتَ فَإِنَّهُ
وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ ، وَبَشِيرُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَعْبُ بْنُ
أَبِي كَعْبٍ . ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اقْتَتَلُوا كَأَشَدِّ قِتَالٍ اقْتَتَلَهُ قَوْمٌ . ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ^(٤)
أَحْمَرَ بْنَ شُمَيْطٍ انْكَشَفُوا وَأَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ أَيْضًا ، فَلَمْ يَسْرِعِ الْمُخْتَارُ
إِلَّا وَقَدْ جَاءَهُ الْفَسَلُ قَدْ أَقْبَلَ ؛ فَقَالَ : مَا وَرَاءَكُمْ ؟ قَالُوا : هُزْمُنَا ؛ قَالَ : فَمَا فَعَلَ
أَحْمَرَ بْنُ شُمَيْطٍ ؟ قَالُوا : تَرَكْنَاهُ قَدْ نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ الْقَصَاصِ — يَعْنُونَ
مَسْجِدَ أَبِي دَاوُدَ فِي وَادِعَةٍ ، وَكَانَ يَعْتَادُهُ رِجَالُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقْصُونَ
فِيهِ ، وَقَدْ نَزَلَ مَعَهُ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ — وَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ : مَا نَدْرِي
مَا فَعَلَ ابْنُ كَامِلٍ ! فَصَاحَ بِهِمْ : أَنْ انْصَرِفُوا . ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ حَتَّى انْتَهَى
إِلَى دَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجُدِّيِّ ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادِ الْخَثْعَمِيِّ — وَكَانَ عَلَى
أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ — فَقَالَ : سِرُّ فِي أَصْحَابِكَ إِلَى ابْنِ كَامِلٍ ، فَإِنْ
يَكُ هَلَكَ فَأَنْتَ مَكَانُهُ ، فَقَاتِلِ الْقَوْمَ بِأَصْحَابِكَ وَأَصْحَابَهُ ، وَإِنْ تَجَدَّهُ حَيًّا
صَالِحًا فَسِرُّ فِي مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ كُلُّهُمْ فَارْسَ ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ بَقِيَّةَ أَصْحَابِكَ ،
وَمَرُّ^(٥) بِالْجُدِّ مَعَهُ وَالْمَنَاصِحَةَ لَهُ ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَنَاصِحُونَنِي ، وَمَنْ نَاصَحَنِي
فَلْيَبْشِرْ ، ثُمَّ امْضِ فِي الْمِائَةِ حَتَّى تَأْتِيَ أَهْلَ جَبَّانَةَ السَّبَّيعِ مِمَّا يَلِي حِمَّامَ قَطْنَ
ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ . فَضَى فَوْجِدَ ابْنِ كَامِلٍ وَاقْفَاً عِنْدَ حِمَّامَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ

(١ - ١) ف : « وسلكا الطريق الذي » .

(٢) ف : « به » .

(٣) ف : « وإن أصحاب أحمر » .

(٤) ف : « وأمرهم » .

معه أناس^(١) من أصحابه قد صبروا ، وهو يقاتل القوم ، فدفع إليه ثلثمائة ٦٥٧/٢
من أصحابه ثم مضى حتى نزل إلى جبانة السبيع .

ثم أخذ في تلك السكك حتى انتهى إلى مسجد عبد القيس ، فوقف عنده ، وقال لأصحابه : ما ترون ؟^(٢) قالوا : أمرنا لأمرِكَ تبع^(٣) وكل من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة ؛ فقال لهم : والله إني لأحب أن يظهَرَ المختار ، والله إني لكاره أن يتهلك أشرافُ عشيرتي اليوم ، والله لأن أموت أحب إلى من أن يسحل بهم الهلاك على يدي ، ولكن قفوا قليلا فإني قد سمعتُ شيبامًا يزعمون أنهم سيأتونهم^(٤) من ورائهم ، فلعل شيبامًا تكون هي تفعل ذلك ، ونُعافتي نحن منه . قال له أصحابه : فرأيك . فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس ، وبعث المختارُ مالك بن عمرو النهدي في مائتي رجل — وكان من أشد الناس بأسًا — وبعث عبد الله بن شريك النهدي في مائتي فارس إلى أحمر بن شميظ ، وثبت مكانه ، فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكشروه ، فاقتتلوا عند ذلك كأشد القتال ، ومضى ابن الأشتر حتى لقي شبَّيث بن ربعي وأناسًا معه من مضر كثيرًا ، وفيهم حسَّان بن فائد العبسي ، فقال لهم إبراهيم : ويحككم ! انصرفوا ، فوالله ما أحب أن يصاب أحد من مضر على يدي ، فلا تهلكوا أنفسكم ، فأبوا ، فقاتلوه فهزموهم ، واحتُمل حسَّان بن فائد إلى أهله ، فمات حين أدخل إليهم ، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقة فقال : أما والله ما كنت أحب أن أعيش من بجراحتي هذه ، وما كنت أحب أن تكون منيَّتي إلا بطعنة رمح ، أو بضربة بالسيف ؛ فلم يتكلم بعدها كلمة^(٥) حتى مات . وجاءت البشرية إلى المختار من قبل إبراهيم بهزيمة مضر ، فبعث المختار البشرية من قبله^(٦) إلى أحمر بن شميظ وإلى ابن كامل ، فالنَّاس^(٧) على أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أغنت ما يليها . قال : فاجتمع شبَّام^(٨) وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ، وقد أجمعوا

(١) ف : « ناس » . (٢-٢) ف : « فقالوا : أمرنا أمرِكَ ونحن لك تبع » .

(٣) ف : « أن سيأتونهم » . (٤) ف : « بكلمة » .

(٥) ف : « من قبله البشرية » . (٦) ف : « والناس » .

(٧) ف : « فاجتمع » .

واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم ، فقال بعضهم لبعض : أما والله لو جعلتم جيدكم^(١) هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب ، فسيروا إلى مضر أو إلى ربيعة^(٢) فقاتلوهم — وشيخهم أبو القلوص ساكت لا يتكلم — فقالوا : يا أبا القلوص ، ما رأيك ؟ فقال : قال الله جل ثناؤه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾^(٣) قوموا ، فقاموا ؛ فمشى بهم قيس ربحين أو ثلاثة ثم قال لهم : اجلسوا فجلسوا ، ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، ثم قال لهم : قوموا ، ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، فقالوا له : يا أبا القلوص ، والله إنك عندنا لأشجع العرب ، فما يحملك على الذي تصنع ! قال : إن المجرب ليس كمن لم يجرب ، إني أردت أن ترجع إليكم أفدتكم ، وأن توطنوا على القتال أنفسكم ، وكرهت أن أفجيمكم على القتال وأنتم على حال دَهَش ؛ قالوا : أنت أبصر بما صنعت .

فلما خرجوا إلى جبانة السبيع استقبلهم على فم السكة الأعسر الشاكري ، ٦٥٩/٢ فحمل عليه الجندعي وأبو الزبير بن كريب فصرعاه ، ودخلا الجبانة ، ودخل الناس الجبانة في آثارهم ، وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! فأجابهم أصحاب ابن شميطة لثارات الحسين ! فسمعها يزيد بن عمير بن ذى مران من همدان فقال : يا لثارات عثمان ! فقال لهم رفاعة بن شداد : ما لنا ولعثمان ! لا أقاتل مع قوم يبعون دم عثمان ، فقال له أناس من قومه : جئت بنا وأطعناك ، حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت : انصرفوا ودعوه ! فعطف عليهم وهو يقول :

أنا ابن شداد على دين علي لست لعثمان بن أروى بولي
لأصلين اليوم فيمن يضطلي بحر نار الحرب غير مؤتل

فقاتل حتى قتل ، وقتل يزيد بن عمير بن ذى مران ، وقتل النعمان ابن صهيبان الجرمي ثم الراسي — وكان ناسكاً — ورفاعة بن شداد بن عوسجة

الفَتِيَانِيَّ عِنْدَ حَمَّامِ الْمَهْزَبِذَانِ النَّدَى بِالسَّبَّخَةِ - وَكَانَ نَاسِكًا - وَقَتَلَ الْفَرَاتِ
ابْنَ زَحْرَ بْنِ قَيْسِ الْجُعْفِيِّ ، وَارْتَضَى زَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، وَقَتَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
ابْنَ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ ، وَقَتَلَ عُمَرَ بْنَ مَخْنَفٍ ، وَقَاتَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ حَتَّى
أَرْتَضَى ، وَحَمَلَتْهُ الرِّجَالُ عَلَى أَيْدِيهَا وَمَا يَشْعُرُ ، وَقَاتَلَ حَوْلَهُ رِجَالٌ مِنْ
الْأَزْدِ ، فَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ مُسْلِمٍ :

لَأَضْرِبَنَّ عَنْ أَبِي حَكِيمٍ مَفَارِقَ الْأَعْبُدِ وَالصَّيْمِ

وَقَالَ سُرَّاقَةُ بْنُ مِرْدَاسٍ الْبَارِقِيُّ :

٦٦٠/٢

يَا نَفْسُ إِلَّا تَضْبِرِي تُلَيْمِي لَا تَتَوَلَّى عَنْ أَبِي حَكِيمٍ (١)
وَاسْتَخْرِجِ مِنْ دُورِ الْوَادِعِيِّينَ خَمْسَمِائَةَ أُسِيرٍ ، فَأَتَى بِهِمُ الْخِتَارَ مَكْتَتِينَ ،
فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَهْدٍ وَهُوَ مِنْ رُؤَسَاءِ أَصْحَابِ الْخِتَارِ يَقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ شَرِيكٍ ، لَا يَخْلُو بَعْرَبِيَّ إِلَّا خَلَّتْ سَبِيلُهُ ، فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْخِتَارِ دِرْهَمَ
مَوْلَى ابْنِ نَهْدٍ ، فَقَالَ لَهُ الْخِتَارُ : اعْرِضُوهُمْ عَلَيَّ ، وَانظُرُوا كُلٌّ مِنْ شَهِدٍ
مِنْهُمْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ فَأَعْلَمُونِي بِهِ ، فَأَخَذُوا لَا يُمَرِّئُهُ عَلَيْهِ (٢) بِرَجُلٍ قَدْ شَهِدَ قَتَلَ
الْحُسَيْنَ إِلَّا قِيلَ لَهُ : هَذَا مِمَّنْ شَهِدَ قَتْلَهُ ، فَيَقْدَمُهُ فَيَضْرِبُ عُنُقَهُ ، حَتَّى
قَتَلَ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مَائَتِينَ وَثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ قَتِيلًا ، وَأَخَذَ أَصْحَابَهُ كُلَّمَا
رَأَوْا رَجُلًا قَدْ كَانَ يُؤْذِيهِمْ أَوْ يَمَارِيهِمْ (٣) أَوْ يَضُرُّ بِهِمْ خَلَّوْا بِهِ فَيَقْتُلُوهُ حَتَّى قَتَلَ
نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَمَا يَشْعُرُ بِهِمُ الْخِتَارُ ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ الْخِتَارَ بَعْدُ ، فَدَعَا
بِمَنْ بَقِيَ (٤) مِنَ الْأَسَارِيِّ فَأَعْتَقَهُمْ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمَوَاقِيقَ إِلَّا يَجَامِعُوا
عَلَيْهِ عَدُوًّا ، وَلَا يَبْغُوهُ وَلَا أَصْحَابَهُ (٥) غَائِلَةً ، إِلَّا سُرَّاقَةُ بْنُ مِرْدَاسٍ الْبَارِقِيُّ ،
فَإِنَّهُ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُسَاقَ مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ . قَالَ : وَنَادَى سَادَى الْخِتَارِ : إِنَّهُ
مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، إِلَّا رَجُلًا شَرَّكَ فِي دَمِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ .

(٢) ف : « لَا يَمُرُّ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ » .

(١) دِيَوَانُهُ ١٠٥ .

(٣) ف : « وَيَمَارِيهِمْ » .

(٤) ف : « مِنْ بَقِيَّةِ » .

(٥) ف : « لِأَصْحَابِهِ » .

قال أبو مخنف: حدثني^(١) المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي . ، أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رويم وحجّار بن أبجر بعثا رسلا لهما ، فقالا لهم : كونوا من أهل اليمن قريباً ، فإن رأيتموهم قد ظهروا^(٢) فأيكم سبق إلينا فليقل صرّفان ، وإن كانوا هزّروا فليقل جُمُزَان ، فلما هزّم أهل اليمن أتتهم رسلهم ، فقال لهم أوّل من انتهى إليهم : جُمُزَان ، فقام الرجلان فقالا لقومهما : انصرفوا إلى بيوتكم ، فانصرفوا ، وخرج عمرو بن الحجاج الزبيديّ - وكان ممّن شهد قتل الحسين - فركب راحلته ، ثمّ ذهب عليها ، فأخذ طريق شَرَافٍ وواقصة ، فلم يَسِرْ حتّى الساعة ، ولا يُدرى أرضٌ بخسّته ، أم سماءٌ حصّيته ! وأمّا فُرَات بن زحر بن قيس فإنه لَمّا قُتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجُعْفِيّة - وكانت امرأة الحسين بن عليّ - إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن توارى بجسده ، ففعل ؛ فدفتته .

وبعث المختار غلاماً له يدعى زُرْبِيّاً في طلب شمير بن ذى الجَوْشَن . قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن مسلم بن عبد الله الضّبّائيّ ، قال : تبعنا زُرْبِيّ غلامُ المختار ، فليحقّقنا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضمّم ، فأقبل يتمطرّ به^(٣) فرسه ، فلَمّا دنا مِنّا قال لنا شمير : اركضوا وتباعدوا عنّي لعلّ العبد يطمع فيّ ؛ قال : فركضنا ، فأمعنا ، وطمع العبد في شمير ، وأخذ شمير ما يستطرد له ، حتّى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمير فدقّ ظهره ، وأتى المختار فأخبر بذلك ، فقال : يؤسّ لزُرْبِيّ ، أما لو يستشيرني ما أمرته أن يخرج لأبي السابعة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو محمّد الهَمْدَانِيّ ، عن مسلم بن عبد الله الضّبّائيّ ، قال : لَمّا خرج شمير بن ذى الجَوْشَن وأنا معه حين هزمنا المختار ، ٦٦٢/٢ وقتل أهل اليمن بجبّانة السَّبِيح ، ووجه غلامه زُرْبِيّاً في طلب شمير ، وكان ممّن قتل شمير إيساه ما كان ، مضى شمير حتّى ينزل سائيدَ مَما ، ثمّ مضى حتّى ينزل إلى جانب قرية يقال لها الكلتانيّة على شاطئ نهر ، إلى جانب تلّ ،

(١) ف : « فحدثني » . (٢) ف : « ظفروا » . (٣) يتمطر به : يسرع .

ثم أرسل إلى تلك القرية فأخذ منها عِلْجًا فضربه ، ثم قال : النجاء بكتابي هذا إلى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه : للأمير المصعب بن الزبير من شمر بن ذى الجوشن . قال : فمَضَى العِلْجَ حتَّى يدخل قريةً فيها بيوت ، وفيها أبو عَمْرٍة ، وقد كان المختار بعثه في تلك الأيام إلى تلك القرية لتكون مَسْلُحَةً فيما بينه وبين أهل البصرة ، فلقى ذلك العِلْجَ عِلْجًا من تلك القرية ، فأقبل يشكو إليه ما لقي من شمر ، فإنه لقاُمَ معه يكلِّسه إذ مر به رجل من أصحاب أبي عَمْرٍة ، فرأى الكتابَ مع العِلْجِ ، وعنوانه : لمصعب من شمر ، فسألوا العِلْجَ عن مكانه الَّذي هو به ، فأخبرهم ، فإذا ليس بينهم وبينه إلا ثلاثة فراسخ . قال : فأقبلوا يسرون إليه .

قال أبو مخنف : فحدثني مسلم بن عبد الله : قال : وأنا والله مع شَمِير تلك الليلة^(١) ، فقلنا : لو أنكَ ارتحلتَ بنا من هذا المكان فلانًا نتخوف به ! فقال : أو كلَّ هذا فَرَقًا من الكذاب ! والله لا أتحوَّل منه ثلاثة أيام ، ملأ الله قلوبكم رُعبًا ! قال : وكان بذلك المكان الَّذي كنَّا فيه دُبى كثير ، فوالله إني لَسَبِين اليَقْظان والنائم ، إذ سمعتُ وَقَعَ حوافر الخيل ، فقلت في نفسي : هذا صوت الدَّبى ، ثم إني سمعته أشدَّ من ذلك ، فانتبهتُ ومسحتُ^(٢) عيني ، وقلت : لا والله ، ما هذا بالدَّبى . قال : وذهبتُ لأقوم ، فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التَّلِّ ، فكبروا ، ثم أحاطوا بأبياتنا ، وخرجنا نشتدَّ على أرجلنا ، وتركنا خيلنا . قال : فأمر على شَمِير ، وإنه لمتَّزِر ببُرْد محقق^(٣) — وكان أبرص — فكأنني أنظر إلى بياض كشحيه من فوق البُرْد ، فإنه لسيطاعنهم بالرمح ، قد أعجلوه أن يلبس سلاحه وثيابه ، ففضينا وتركناه . قال : فما هو إلا أن أمعتُ ساعةً ، إذ سمعتُ : الله أكبر ، قتل الله الحبيث !

قال أبو مخنف : حدثني المشرقى ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود ، قال : أنا والله صاحب الكتاب الَّذي رأيته مع العِلْجِ ، وأتيتُ به أبا عَمْرٍة وأنا قتلت شَمِيرًا ، قال : قلت : هل سمعته يقول شيئًا ليلتدُّ ؟ قال : نعم ،

(١) ف : « ليلتدُّ » . (٢) ف : « فسحت » . (٣) برد محقق : محكم النسخ .

خرج علينا فطاعننا برمح ساعة ، ثم ألقى رمحه ، ثم دخل بيته فأخذ سيفه ، ثم خرج علينا وهو يقول :

نَبَّهْتُمْ لَيْثَ عَرَبِيٍّ بِإِسْلَا جَهْمًا مُحْيَاهُ يَدُقُّ الْكَاهِلَا
لَمْ يَرِ يَوْمًا عَنْ عَدُوٍّ نَاكِلا إِلَّا كَذَا مُقَاتِلًا أَوْ قَاتِلَا
* يُبْرِحُهُمْ ضَرْبًا وَيُرَوِّي الْعَامِلَا *

قال أبو مخنف ، عن يونس بن أبي إسحاق : ولمّا خرج المختار من جبّانة السَّبَّيع ٦٦٤/٢ ، وأقبل إلى القصر ، أخذ سُرَاقَةُ بن مِرْدَاس يناديه بأعلى صوته :

أَمِنُّ عَلَى الْيَوْمِ يَا خَيْرَ مَعَدَّةٍ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشَجَرٍ وَالْجَنْدِ (١)
* وَخَيْرَ مَنْ حَيًّا وَلَبَّى وَسَجَدَ (٢) *

فبعث به المختار إلى السجن ، فحبسه ليلة ، ثم أرسل إليه من الغد فأخرجّه ، فدعا سُرَاقَةَ ، فأقبل إلى المختار وهو يقول :

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَا نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا (٣)
خَرَجْنَا لَا نَرَى الضَّعَفَاءَ شَيْئًا وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْرًا وَحَيْنًا
نَرَاهُمْ فِي مَصَافِّهِمْ قَلِيلًا وَهُمْ مِثْلُ الدَّبِي حِينَ التَّقِينَا
بَرَزْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْقَوْمَ قَدْ بَرَزُوا إِلَيْنَا
لَقِينَا مِنْهُمْ ضَرْبًا طَلَحْفًا (٤) وَطَعْنَا صَائِبًا حَتَّى انْتَنِينَا
نَصِرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ كُلِّ يَوْمٍ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنًا (٥)
كَنْضِرَ مُحَمَّدٍ فِي يَوْمٍ يَدْرٍ وَيَوْمَ الشَّعْبِ إِذْ لَاقَى حُنَيْنًا
فَأَسْجَحْ إِذْ مَلَكَتْ فَلَوْ مَلَكَتْنَا لَجَرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَاعْتَدَيْنَا
تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّي فَإِنِّي سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ النِّقْدَ دِينَا

(١) ديوانه ٧٤ .

(٢) ف : « لَبَّى وحيا » .

(٣) ديوانه ٧٦ ، ٧٧ .

(٤) ضربًا طَلَحْفًا ، أى شديداً وجيماً .

(٥) ف : « تَبَنَى عَلَيْنَا » .

قال : فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمُخْتَارِ ، قَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! سُرَّاقَةُ
ابنِ مِرْدَاسٍ يَسْخَفُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ رَأَى الْمَلَائِكَةَ تُقَاتِلُ عَلَى
الْخِيُولِ الْبُلُقُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ : فَاصْعِدِ الْمِنْبَرَ فَأَعْلِمِ
ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَصَعِدَ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ ثُمَّ نَزَلَ ، فَخَلَا بِهِ الْمُخْتَارُ ، فَقَالَ :
إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَرِ الْمَلَائِكَةَ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتَ مَا قَدْ عَرَفْتُ إِلَّا أَقْتَلَكَ ، ٦٦٥/٢
فَاذْهَبْ عَنِّي حَيْثُ أَحْبَبْتَ ^(١) ، لَا تُفْسِدْ عَلَى أَصْحَابِي .

قال أبو مخنف : فَحَدَّثَنِي الْحُجَّاجُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَارِقِيُّ عَنْ سُرَّاقَةَ بْنِ
مِرْدَاسٍ ، قَالَ : مَا كُنْتُ فِي أَيْمَانٍ حَلَفْتُ بِهَا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا وَلَا مَبَالِغَةً فِي
الْكَذِبِ ^(٢) مَنَى فِي أَيْمَانِي هَذِهِ الَّتِي حَلَفْتُ لَهُمْ بِهَا أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ
مَعَهُمْ تُقَاتِلُ . فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ . فَهَرَبَ ، فَلَحِقَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُخْنَفٍ عِنْدَ
الْمَصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ بِالْبَصْرَةِ ، وَخَرَجَ أَشْرَافُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْوُجُوهِ . فَلَمَّحُوا
بِمَصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ بِالْبَصْرَةِ ، وَخَرَجَ سُرَّاقَةُ بْنُ مِرْدَاسٍ مِنَ الْكُوفَةِ وَهُوَ يَقُولُ :

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُهِمًا مُصْمَتَاتٍ ^(٣)
كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا عَلَى قِتَالِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ
أُرَى عَيْنِي مَا لَمْ تُبْصِرْهُ كَلَانَا عَالَمٌ بِالثَّرَاهَاتِ
إِذَا قَالُوا أَقُولُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ وَإِنْ خَرَجُوا لَيْسَتْ لَهُمْ أَدَاتِي

حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ سَلَمٌ بْنُ جُنَادَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَرَّادٍ ^(٤) ، مِنْ
وَلَدِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، عَنْ شَيْخٍ ، قَالَ : لَمَّا أُسِرَ سُرَّاقَةُ الْبَارِقِيُّ ، قَالَ :
وَأَنْتُمْ أَسْرَمُونِي ! مَا أُسْرَنِي إِلَّا قَوْمٌ عَلَى دَوَابِّ بُلُقٍ ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيْضٌ . قَالَ :
فَقَالَ الْمُخْتَارُ : أَوْلَيْكَ الْمَلَائِكَةُ ، فَأُطْلِقْهُ ، فَقَالَ :

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي رَأَيْتُ الْبُلُقَ دُهِمًا مُصْمَتَاتِ
أُرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ كَلَانَا عَالَمٌ بِالثَّرَاهَاتِ

(٢) ف : « مَنَى فِي الْكَذِبِ » .

(١) ف : « شئت » .

(٤) أ : « براه » .

(٣) ديوانه ٧٨ .

قال أبو مخنف : حدثني عمير بن زياد أن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس
٦٦٦/٢ الحمداني قال يوم جبانة السبيع : ويحكم ! من هؤلاء الذين أتونا من
ورائنا ؟ قيل له : شبام ، فقال : يا عجباً ! يقاتلني بقومى من لا قوم له .

قال أبو مخنف : حدثني أبو روق أن شريحيل بن ذى بقلان من
الباغيطيين قتل يومئذ ، وكان من بيوتات همدان ، فقال يومئذ قبل أن
يقتل : يا لها قتلة ، ما أضل مقتولها ! قتال مع غير إمام ، وقاتل على غير
نية ، وتعجيل فراق الأحبة ، ولو قتلناهم إذ لم نسلم منهم ، إننا لله
وإننا إليه راجعون ! أما والله ما خرجت إلا مواسياً لقوى بنفسى مخافة أن
يضطهدوا ، وإيم الله ما نجوت من ذلك ولا أنجوا ، ولا أغشيت عنهم ولا
أغنوا . قال : ويرمي رجل من الفاشيين من همدان يقال له أحمر بن
هذيلج بسهم فيقتله .

قال : واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الحمداني نفر ثلاثة : سيعر
ابن أبي سحر الحنفى ، وأبو الزبير الشيبانى : ورجل آخر ؛ فقال سيعر : طعنته
طعنة ، وقال أبو الزبير : لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر ، وقال لى
ابنه : يا أبا الزبير ، أقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك ! فقلت :
﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١) . فقال المختار :
كلكم محسن . وانجلست الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً من قومه .

قال أبو مخنف : حدثني النضر بن صالح أن القتل إذ ذاك كان استسحر
٦٦٧/٢ في أهل اليمن ، وأن مضر أصيب منهم بالكُناسة بضعة عشر رجلاً ، ثم
مضوا حتى مروا بربيعة ، فرجع حجار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث بن
رؤيم وشداد بن المنذر - أخو حضين - وعكرمة بن ربعى ، فانصرف جميع
هؤلاء إلى رحالهم ، وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالا شديداً ، ثم انصرف
عنهم وقد خرج ، فجاء حتى دخل منزله ، فقتل له : قد مرت خيل في

ناحية الحى ؛ فخرج فأراد أن يثب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتى حملته غلام له . وكانت وقعة جبيانة السبيع يوم الأربعاء لست ليال بقرين من ذى الحجة سنة ست وستين .

قال : وخرج أشرافُ الناس فلاحقوا بالبصرة ، وتجرّد المختارُ لقتلة الحسين فقال : ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين ؛ بنس ناصر آل محمد أنا إذا في الدنيا ! أنا إذا الكذاب كما سمّوني ، فإنى ^(١) بالله أستعين عليهم ، الحمد ^(٢) لله الذى جعلنى سيفاً ضربهم به ، ورحماً طعنهم به ، وطالب وترهم ، والقائم بحقهم ؛ إنّه ^(٣) كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذل من جهل حقهم ، فسمّوهم لى ثم اتبعوهم ^(٤) حتى تُفَنّوهم .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن عامر أن المختار قال لهم : اطلبوا لى قتلته الحسين ، فإنه لا يسوغ لى الطعام والشراب حتى أظهر الأرض منهم ، وأنى المصير منهم .

قال أبو مخنف : وحدثني مالك بن أعين الجهني أن عبد الله بن دبّاس ، وهو الذى قتل محمد بن عمار بن ياسر الذى قال الشاعر :

* قَتِيلَ ابْنِ دَبَّاسٍ أَصَابَ قَذَالُهُ * ^(٥)

٦٦٨/٢

هو الذى دلّ المختار على نفر ممن قتل الحسين ، منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهني من حرقة ، ومالك بن التيسر البدي ، وحمل بن مالك الحاربي ؛ فبعث إليهم المختار أبا نمران مالك بن عمرو النهدي - وكان من رؤساء أصحاب المختار - فأثامهم وهم بالقادسية ، فأخذهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء ، فقال لهم المختار : يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله ، أين الحسين بن علي ؟ أدوا إلى الحسين ، قتلتم من أميرتكم بالصلاة عليه فى الصلاة ، فقالوا ^(٦) : رحمك الله ! بُعِثْنَا وَنَحْنُ كَارِهُونَ ، فامنّ علينا واستبقنا ، قال المختار : فهلاً منتم على الحسين ابن بنت

(١) ف : « وإنى » . (٢) ف : « والحمد » . (٣) ف : « إن » .

(٤) ف : « تتبعوهم » . (٥) ف : « أصيب قذاله » . (٦) ف : « قالوا » .

نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه ! ثم قال المختار للبدئي : أنت صاحب بُرئسه ؟ فقال له عبد الله بن كامل : نعم ، هو هو ؛ فقال المختار ، اقطعوا يدي^(١) هذا ورجليهما ، ودعوه فليضطرب حتى يموت ، ففعل ذلك به وترك ، فلم يزل يتزوف الدم حتى مات ، وأمر بالآخرين فقتلوا ، فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهني ، وقتل سعر بن أبي سعر حميل بن مالك الحارثي .

قال أبو مخنف : وحدثنني أبو الصلت التيمي ، قال : حدثني أبو سعيد الصيقل أن المختار دُلَّ على رجال من قَتَلَة الحسين ، دَلَّه^(٢) عليهم سعر الخنفي ؛ قال : فبعث المختار عبد الله بن كامل ، فخرجنا معه حتى مرَّ ببني ضبيعة ، فأخذ منهم رجلا يقال له زياد بن مالك ؛ قال : ثم مضى إلى عنزة ٦٦٩/٢ فأخذ منهم رجلا يقال له عِمْران بن خالد . قال : ثم بعثنى في رجال معه يقال لهم الدَّبابَة إلى دار في الحمراء ، فيها عبد الرحمن بن أبي خُشْكارة البجلي وعبد الله بن قيس الخولاني ، فجعنا بهم حتى أدخلناهم عليه ، فقال لهم : يا قتلة الصالحين ، وقتلتم سيد شباب أهل الجنة ، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم ! لقد جاءكم الورس ، بيوم نسحس - وكانوا قد أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين - أخرجوهم إلى السوق فضربوا رقابهم . ففعل ذلك بهم ، فهؤلاء أربعة نفر .

قال أبو مخنف : وحدثنني سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار ، فخرجت نحو عبد القيس ، وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلح^(٣) في أثرى ، وشغلوا بالاحتباس عليهما عنتى ، فنجوت وأخذوهما ، ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بني عبد ، فأخذوه ، فانتهوا بهم إلى المختار ، فأمر بهم فقتلوا في السوق ، فهؤلاء ثلاثة . فقال حميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم :

أَلَمْ تَرَنِي عَلَى دَهْشٍ نَجَوْتُ وَلَمْ أَكُذْ أَنْجُو

(١) ف : « يديه » . (٢) ف : « دل » .

(٣) ابن الأثير : « صلح » .

رجاء الله أَنَقْلَدَنِي وَلَمْ أَكْ غَيْرُهُ أَرْجُو

قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر العدويّ من جُهينة - وقد عرف ذلك الحديث شهمُ بن عبد الرحمن الجُهنيّ - قال : بعث المختارُ عبدَ الله ابنَ كامل إلى عثمان بن خالد بن أسير الدُهْمانيّ من جُهينة ، وإلى أبي أسماء بشر بن سَوط القابضيّ - وكانا ممّن شهدا قتلَ الحسين ، وكانا اشتراكا في دم عبد الرحمن بن عَقِيل بن أبي طالب وفي سلبه - فأحاط عبدُ الله بنُ كامل عند العصر بمسجد بني دُهْمان ، ثم قال : علىّ مثل خطايا بني دُهْمان منذ يوم خلّقوا إلى يوم يُبعثون إن لم أوتَ بعثمان بن خالد بن أسير ، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم . فقلنا له : أمهلنا نطلبه ، فخرجوا مع الخيل في طلبه ، فوجدوهما جالسين في الجبّانة - وكانا يريدان أن يخرجوا إلى الجزيرة - فأتى بهما عبدُ الله بنُ كامل ، فقال : الحمد لله الَّذي كفى المؤمنين القتالَ ، لو لم يجدوا هذا مع هذا عنّا إلى منزله في طلبه ، فالحمد لله الَّذي حيّتك حتّى أمكن منك . فخرج بهما حتّى إذا كان في موضع بُرّ الجعد ضربَ أعناقهما ، ثم رجع فأخبر المختارَ خبرهما ، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقهما بالنار ، وقال : لا يلدنّا حتّى يُحرقا . فهذان رجلان ، فقال أعشى همدان ^(١) يرثي عثمان الجُهنيّ :

يَا عَيْنُ بَكَى فَتَى الْفَتِيَانِ عُثْمَانَا لَا يَبْعَدَنَّ الْفَتَى مِنْ آلِ دُهْمَانَا

وَإِذْ كَرَفْتَى مَاجِدًا حُلُومًا شَمَائِلُهُ مَا مِثْلُهُ فَارَسٌ فِي آلِ هَمْدَانَا

قال موسى بن عامر : وبعث معاذ بن هانيّ بن عديّ الكنديّ ، ابن أخى حمجر ، وبعث أبا عمرة صاحب حرسه ، فساروا حتّى أحاطوا بدار خضوليّ بن يزيد الأصبحيّ وهو صاحبُ رأس الحسين الَّذي جاء به ، فاخْتَبَأَ في مخرجه ، فأمر معاذُ أبا عمرة أن يطلبه في الدار ، فخرجت امرأته إليهم ، فقالوا لها : أين زوجك ؟ فقالت : لا أدري أين هو - وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قَوْصَرَةً ، فأخرجوه ، وكان ^(٢) المختار يسير

(١) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله ، وحمدان بالبدال الساكنة من قبائل كهلان باليمن ، وانظر

(٢) ف : « وقد كان » .

المؤلف والمختلف ١٢ .

بالكوفة . ثم إنه أقبل في أثر أصحابه وقد بعث أبو عمرة إليه رسولا ،
فاستقبل المختار الرسول عند دار بلال ، ومعه ابن كامل ، فأخبره الخبر ،
فأقبل ^(١) المختار نحوهم ، فاستقبل به ، فردده ^(٢) حتى قتله إلى جانب أهله ،
ثم دعا ^(٣) بنار فحرقه [بها] ^(٤) ، ثم لم يبرح حتى عاد رماداً ، ثم انصرف
عنه . وكانت امرأته من حضرموت يقال لها العيصوف بنت مالك بن نهار بن
عقرب ، وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين .

قال أبو مخنف : وحدثنى موسى بن عامر أبو الأشعر أن المختار قال ذات
يوم وهو يتحدث جلساءه : لأقتلن غداً رجلاً عظيماً القدرين ، غائر العينين ،
مشرف الحاجبين ، يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقربين . قال : وكان
الهيثم بن الأسود النخعي عند المختار حين سمع هذه المقالة ، فوقع في نفسه أن
الذي يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فلما رجع إلى منزله دعا ابنه
الغريبان فقال : الق ابن سعد الليلة فخبّره بكذا وكذا ، وقل له : خذ حذرَكَ ،
فإنه لا يريد غيرك . قال : فأتاه فاستخلاه ، ثم حدثه الحديث ، فقال له
عمر بن سعد : جزى الله أباك والإخاء خيراً ! كيف يريد هذا بي بعد الذي
أعطاني من العهود والمواثيق ! وكان المختار أول ما ظهر أحسن شيء سيرة
وتألقاً للناس ، وكان عبد الله بن جعندة بن هبيرة أكرم خلق الله على
المختار لقربته بعل ^(٥) ، فكلّم عمر بن سعد عبد الله بن جعندة وقال له : إني
لا آمن هذا الرجل — يعني المختار — فخذ لي منه أماناً ، ففعل ؛ قال : فأنا
رأيت أمانته وقرأته [وهو] ^(٦) :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد
ابن أبي وقاص ، إنك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك
وولدك ، لا تؤاخذك بحديث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت رحلتك
وأهلك ومصرتك ^(٧) ، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد

(١) ف : « فرجع وأقبل » . (٢) ف : « فردّه » .

(٣) ف : « ودعا » . (٤) من ف .

(٥) ف : « من على » . (٦) من ف . (٧) ف : « وقصرك » .

ومن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلا بخير . شهد السائب بن مالك وأحمر بن شميطة وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل . وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليعقبن عمر بن سعد بما أعطاه من الأمان ، إلا أن يحدث حدثاً ، وأشهد الله على نفسه ، وكفَى بالله شهيداً . ٦٧٣/٢

قال : فكان أبو جعفر محمد بن عليّ يقول : أمّا أمان المختار لعمر بن سعد : إلا أن يحدث حدثاً ، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث . قال : فلما جاءه العريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمّامه ، ثم قال في نفسه : أنزل دارى ، فرجع فعبّر الروحاء ، ثم أتى داره غلوة ، وقد أتى حمّامه ، فأخبر مولّى له بما كان من أمانه وبما أريد به ، فقال له مولاه : وأى حدث أعظم ممّا صنعت ! إنك تركت رحلك وأهلك^(١) وأقبلت إلى ها هنا ، ارجع إلى رحلك ، لا تجعل^(٢) للرجل عليك سبيلاً . فرجع إلى منزله ، وأتى المختار بانطلاقه ، فقال : كلاً إن في عنقه سلسلة سترده ، لو جهّده أن ينطلق ما استطاع . قال : وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمرة ، وأمره أن يأتيه به ، فجاءه حتى دخل عليه فقال : أجب الأمير ، فقام عمر : فعثر في جسيته له ،^(٣) ويضربه أبو عمرة بسيفه^(٤) ، فقتله ، وجاء برأسه في أسفل قبائه حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ، ولا خير في العيش بعده ، قال له المختار : صدقت ، فإنك لا تعيش بعده ، فأمر به فقتل ، وإذا رأسه مع رأس أبيه . ثم إن المختار قال : هذا بحسنيين وهذا بعليّ بن حسين^(٤) ، ولا سوء ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله ؛ فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبكي أباها :

لو كان غير أخى قسى غره أو غير ذى يمن وغير الأعجم
سحى بنفسى ذاك شيئاً فاعلموا عنه وما البطريق مثل الألام
أعطى ابن سعدى الصحيفة وابنه عهداً يلين له جناح الأرقم

(١) ف : « أهلك ورحلك » . (٢) ف : « لا تجعل » .

(٣-٣) ف : « وبصر به أبو عمرة فصر به » . (٤) ف : « الحسين » .

فلما قُتِلَ المختارُ عمرَ بنَ سعد وابنه بعث برأسَيْهِمَا مع مسافر بن سعيد ابن نمران الناعطي وظببيان بن عمارة التميمي، حتَّى قَدِمَا بهما على محمد ابن الحنفية، وكتب إلى ابن الحنفية في ذلك بكتاب.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن عامر، قال: إنَّما كان هبَّج المختار على قتل عمر بن سعد أنَّ يزيد بن شراحيل الأنصاري أتى محمد بن الحنفية، فسَلَّم عليه؛ فجري الحديثُ إلى أن تذاكروا المختارَ وخروجَه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهل البيت، فقال محمد بن الحنفية: على أهون رسله يزعم أنَّه لنا شيعة، وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسي يحدُّونه! قال: فوعاها الآخر منه، فلما قدم الكوفة أتاه فسَلَّم عليه، فسأله المختار: هل لقيت المهدي؟ فقال له: نعم، فقال: ما قال لك وماذا كترَكَ؟ قال: فخبَّره الخبر. قال: فما لبَّث المختارُ عمرَ بن سعد وابنه أن قتَلَهُمَا، ثم بعث برأسَيْهِمَا ^(١) إلى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سمَّينا، وكتب معهما إلى ابن الحنفية: ٦٧٥/٢

بسم الله الرحمن الرحيم. للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد. سلام عليك يا أيُّها المهدي، فإنِّي أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، أمَّا بعد: فإنَّ الله بعثني نعمةً على أعدائكم، فهم بين قتل وأسير، وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ^(٢)، ونصر مؤازريكم ^(٣). وقد بعثتُ إليك برأس عمر بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شرِّكَ في دم الحسين وأهل بيته—رحمةُ الله عليهم—كلَّ من قدَرنا عليه، ولن يُعجز الله من بقي، ولست بمُستعجم ^(٤) عنهم حتَّى لا يبلغني أن علي أديم الأرض منهم أرمياً ^(٥). فكتب إلى أيُّها المهدي برأيك أتبعه وأكون عليه، والسلام عليك أيُّها المهدي ورحمة الله وبركاته.

ثم إنَّ المختار بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن طُقَيْل الطائي السنبيسي—وقد كان أصاب صلب العباس بن علي—، ورَمَى

(١) كذا في ف و ط: «برؤسهما». (٢) ف: «قاتلكم». (٣) ف: «موازيكم». (٤) ف: «بمستعجم». (٥) إرمياً، أي أحداً، يقال: ما بالدار إرمياً، أي أحد.

حسيناً بسهمهم ، فكان يقول : تعلق سهمي بسيرباله وما ضره — فأتاه عبد الله ابن كامل ، فأخذه ثم أقبل به ، وذهب أهله فاستغاثوا^(١) بعدي بن حاتم ، فلحقهم في الطريق ، فكلّم عبد الله بن كامل فيه ، فقال : ما إلى^(٢) من أمره شيء ، إننا ذلك^(٣) إلى الأمير المختار . قال : فإني آتيه ؛ قال : فأتيه راشداً . فضى عديّ نحو المختار ، وكان المختار قد شفّعه في نفر من قومه أصابهم يوم جَبَّانَة السَّبَّيع ، لم يكونوا نطّقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته ، فقالت الشيعة لابن كامل : إننا نخاف أن يشفع الأمير عديّ بن حاتم ٢٧٦/٢ في هذا الخبيث ، وله من الذب ما قد علمت^(٤) ، فدعنا نقتله . قال : شأنكم به ، فلما انتهوا به إلى دار العنزيتين وهو مكتوف نصّبوه غرضاً ، ثم قالوا له : سلّبت ابن عليّ ثيابه ، والله لنسلبنّ ثيابك وأنت حيّ تنظر ! فنزعوا ثيابه ، ثم قالوا له : رميت حسيناً ، واتخذته غرضاً لنهلك ، وقلت : تعلق سهمي بسيرباله ولم يضره ، وإيم الله لرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاك . قال : فرمّوه رشقاً واحداً ، فوقع به منهم نبال كثيرة فخر ميتاً .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الجارود^(٥) ، عمّن رآه قتيلاً كأنه قُنْفُذٌ لِمَا فيه من كثرة النّبل : ودخل عديّ بن حاتم على المختار فأجلّسه معه على مجلسه ، فأخبره عديّ عمّا جاء له ، فقال له المختار : أتستحلّ يا أبا طريف أن تطلب في قتيلة الحسين ! قال : إنه مكذوب عليه أصلحك الله ! قال^(٦) : إذا ندّعه لك قال : فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار : ما فعل الرجل ؟ قال : قتلته الشيعة : قال : وما أعجلك إلى قتله قبل أن تأتيني به وهو لا يسره أنّه لم يقتله — وهذا عديّ قد جاء فيه ، وهو أهل أن يشفع ويؤتي ما سرّه^(٧) ! قال : غلبتني والله الشيعة ، قال له عديّ : كذبت يا عدوّ الله ، ولكن ظننت أن من هو خير منك سيسفّعني فيه ، فبادرتني

(١) ف : « فاستعانوا » . (٢) ف : « مالي » .

(٣) ف : « ذاك » . (٤) ف : « علمته » .

(٥) هو زياد بن زياد ، الذي تسمى باسمه فرقة الجارودية .

(٦) ف : « فقال » . (٧) ف : « يسره » .

فقتلته ، ولم يكن خطر يدفعك عما صنعت . قال : فاستحسفر^(١) إليه ابن
٦٧٧/٢ كامل بالشتيمة ، فوضع المختار إصبعه على فيه ، يأمر ابن كامل بالسكوت
والكف عن عدى ، فقام عدى راضياً عن المختار ساخطاً على ابن كامل ،
يشكوه عند من لقي من قومه . وبعث المختار إلى قاتل علي بن الحسين عبد الله
ابن كامل ، وهو رجل من عبد القيس يقال له مرة بن مُنْقِذ بن النعمان العبدى
وكان شجاعاً ، فأناه ابن كامل فأحاط بداره ، فخرج إليهم وبَيْدَه^(٢)
الرمح ، وهو على فرس جواد ، فطعن عبيد الله بن ناجية الشبامى ، فصرعه
ولم يضره . قال : ويضربه ابن كامل بالسيف فيثقبه بيده اليسرى ، فأسرع^(٣)
فيها السيف ، وتمطرت به الفرس^(٤) ، فأفلت ولحق بمصعب ، وشلت يده بعد
ذلك . قال : وبعث المختار أيضاً عبد الله الشاكرى إلى رجل من جنب
يقال له زيد بن رُقَاد ، كان يقول : لقد رميت فتى منهم بسهم وإنه لواضع
كفه على جبهته يتقى النبل فأثبت كفه في جبهته ، فما استطاع أن يزيل
كفه عن جبهته .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو عبد الأعلى الزبيدى أن ذلك الفتي عبد الله
ابن مسلم بن عتيل ، وأنه قال حيث أثبت كفه في جبهته : اللهم إنهم
استقلونا واستذلونا ، اللهم فاقتلهم كما قتلونا ، وأذلهم كما استذلونا . ثم
إنه رى الغلام بسهم آخر فقتله ، فكان يقول : جئته ميتاً فزعت
سهمي الذى قتلته به من جوفه ، فلم أزل أنفض السهم^(٥) من جبهته
حتى نزعته ، وبقى النصل في جبهته مثبتاً ما قدرت على نزعته .

٦٧٨/٢ قال : فلمّا أتى ابن كامل داره أحاط بها ، واقتحم الرجال عليه ، فخرج
مصلئاً بسيفه^(٦) - وكان شجاعاً - فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ،
ولا تطعنوه برمح ، ولكن ارموه بالنبل ، وارجموه^(٧) بالحجارة ، ففعلوا ذلك به ،
فسقط ، فقال ابن كامل : إن كان به رمق فأخرجه^(٨) ؛ فأخرجوه وبه

(١) فى اللسان : يقال : استحسفر الرجل فى خطبته ، إذا مضى واتسع فى كلامه .

(٢) ف : « بيده » . (٣) ف : « فيسرع » .

(٤) ف : « فرسه » . (٥) ف : « أنفض السهم » ؛ إذا حركه .

(٦) ف : « بالسيف » . (٧) ف : « وارجموه » . (٨) ف : « فأخرجوه بالنار » .

رَمَقَ ، فدعا بنار فحرّقه بها وهو حتى لم تخرج رُوحُه ، وطلب المختار سنان ابن أنس الذي كان يدعى قَتَل الحُسين ، فَوَجَدَه قد هَرَبَ إلى البَصْرَة ، فهَدَمَ داره . وطلب المختارُ عبدَ الله بن عُقْبَةَ الغَنَوِيّ فَوَجَدَه قد هَرَبَ ، ولحق بالجزيرة ، فهَدَمَ داره ، وكان ذلك الغَنَوِيّ قد قتل منهم غلاماً ، وقتل رجلٌ آخرٌ من بني أسد يقال له حَرْمَلَة بن كاهل رجلاً من آل الحسين ، ففيهما يقول ابن أبي عَقِب اللّيثي :

وَعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا وَفِي أَسَدٍ أُخْرَى تُعَدُّ وَتُدَكَّرُ

وطلب رجلاً من خَشَعَمَ يقال له عبد الله بن عروة الخنعمي - كان يقول : رميت فيهم بائني عشر سهماً ضيّعةً - فقاته ولحق بمصعب ، فهَدَمَ داره ، وطلب رجلاً من صُدَاء يقال له عَمْرُو بن صُبَيْح ، وكان يقول : لقد طعنتُ بعضهم وجرحتُ فيهم ^(١) وما قتلت منهم أحداً ، فأَتَيْ ليلاً وهو على سَطْحِه وهو لا يشعر بعد ما هدأت العيون ، وسيفُه تحت رأسه ، فأخذه وأخذوا سيفه ، فقال : قبحك الله سيفاً ، ما أقربك وأبعدك ! فجىء به إلى المختار ، فحبسه معه في القصر ، فلماً أن أصبح أذن لأصحابه ، وقيل : لِيَدْخُلُ من شاء أن يَدْخُل ، ودخل الناس ، وجىء به مقيّداً ، فقال : أما والله يا معشر الكُفَرَة الفسَجَرَة أن لو بيدي سيفي لَعَلَمْتُ أني بنصل السيف غير رَعِيش ولا رِعْدِيد ، ما يسرّني إذ ^(٢) كانت مني قَتْلًا أَنَّهُ قَتَلَنِي من الخلق أحد ^(٣) غيركم . لقد علمتُ أَنَّكم شرار خلق الله ، غير أني وددتُ أن بيدي سيفاً أضرب به فيكم ساعة ، ثمّ رفع يده فلطم عين ابن كامل وهو إلى جنبه ، فضحك ابن كامل ، ثمّ أخذ بيده وأمسكها ، ثمّ قال : إِنَّه يزعم أَنه قد جرح في آل محمد وطعن ، فَمَرُّنَا بِأَمْرِك فيه ، فقال المختار : على بالرماح ، فَأَتَى بها ، فقال : اطعنوه حتّى يموت ، فطعن بالرماح حتّى مات .

قال أبو مخنف : حدّثني هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام

(١) ف : « لقد طعنت فيهم وجرحت » .

(٢) ف : « إن » .

(٣) ف : « أحد من الناس » .

أن أصحاب المختار مروا بدار بني أبي زُرعة بن مسعود ، فرمَوْهم من فوقها ، فأقبلوا حتَّى دخلوا الدارَ ، فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبي زُرعة الثَّقَفِيَّ وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زُرعة الثَّقَفِيَّ ، وأفلستهم عبدُ المالك بن أبي زُرعة ضربة في رأسه ، فجاء يشتدَّ حتَّى دخل على المختار ، فأمر امرأته أمَّ ثابت ابنة سَمْسُرة بن جُندَب ، فداوت شجَّته ، ثمَّ دعاها ، فقال : لا ذنب لي ، إنَّكم رميتم^(١) القوم فأغضبتموهم^(٢) . وكان محمد بن الأشعث بن قيس في قرية الأشعث إلى جنب القادسية ، فبعث المختار إليه حَوْشَبًا سادِنَ الكرسيِّ في مائة ، فقال : انطلق إليه فإنَّك تجده لاهيئًا متصيدًا ، أو قائمًا متلبدًا ، أو خائفًا متلدَّدًا ، أو كامنًا متغمَّدًا ، فإن قدرت عليه فأُتني برأسه . فخرج حتَّى أتى قصره فأحاط به ، وخرج منه محمد بن الأشعث فلحق بمصعب ، وأقاموا على القصر وهم يَرون أنَّه فيه ، ثمَّ دخلوا فعلموا أنَّه قد فاتهم ، فانصرفوا إلى المختار ، فبعث إلى داره فهدمها ، وبني بليسينها وطينيها دارَ حُجُجْر بن عدَى الكِنْدِيَّ ، وكان زيادُ بن سُمَيْيَّة قد هدمها .

* * *

[ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة دعَا المثنَّى بن مخزبة العبدى إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ؛ فجدَّثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، عن عبد الله بن عطية اللَّيْثِيَّ وعامر بن الأسود ، أنَّ المثنَّى بن مخزبة العبدى كان مِمَّنْ شهد عينَ الوَرْدَةِ مع سليمان بن صُرَد ، ثمَّ رجع مع مَن رجع مِمَّنْ بقى من التَّوَّابِينَ إلى الكوفة ، والمختار محبوس ، فأقام حتَّى خرج المختار من السجن ، فبايعه المثنَّى سرًّا ، وقال له المختار : الحقُّ بِسَلكِكَ بالبصرة فارَّعْ الناسَ ، وأسِرْ أمرُكَ ؛ فقدم البصرة فدعا ، فأجابه رجالٌ من قومه وغيرهم فلمَّا أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة ومنَعَ عمرَ بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام من الكوفة خرج المثنَّى بن مخزبة فاتَّخَذَ مسجدًا ، واجتمع^(٣) إليه

(٢) ف : « وأغضبتموهم » .

(١) ف : « أُرهِمْتُمْ » .

(٣) ف : « فاجتمع » .

قومه ، ودعا إلى المختار ، ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها . وجمعوا الطعام في المدينة ، ونسحروا الجُزُر ، فوجهه إليهم القُبَاعُ عبَّاد بن حصين وهو على شُرطته ، وقيس بن الهيثم في الشرط والمقاتلة ، فأخذوا في سكة المولى حتى خرجوا إلى السبخة ، فوقفوا ، ولزم الناس دورهم . فلم يخرج أحد ، فجعل عبَّاد ينظر هل يرى أحدا يسأله ! فلم ير أحدا ، فقال : أما ها هنا رجل من بني تميم ؟ فقال خليفة الأعور مولى بني عدى ، عدى الرِّباب : هذه دار ورَّاد مولى بني عبد شمس ، قال : دُق الباب ، فدقّه ، فخرج إليه ورَّاد ، فشتمه عبَّاد وقال : ويحك ! أنا واقفٌ ها هنا ، لِمَ لَمْ تخرج إلى ! قال : لم أدر ما يوافقك ، قال : شدّ عليك سلاحك واركب ، ففعل ، ووقفوا ، وأقبل أصحابُ المثنى فوافقوهم ، فقال عبَّاد لورَّاد : قف مكانك مع قيس ، فوقف قيس بن الهيثم وورَّاد ، ورجع عبَّاد فأخذ في طريق الذَّبَّاحين ، والنَّاس وقوفٌ في السبخة ، حتى أتى الكلاء ، ولمدينة الرزق أربعة أبواب : باب مِمَّا يلي البصرة ، وباب إلى الخلائين ، وباب إلى المسجد ، وباب إلى مِهَب الشمال ؛ فأتى الباب الَّذِي يلي النهر مِمَّا يلي أصحاب السَّقَط ، وهو باب صغير ، فوقف ودعا بسَلَم فوضعه مع حائط المدينة ، فصعد ثلاثون رجلا ، وقال لهم : الزموا السطح ، فإذا سمعتم التكبير فكبروا على السطوح ، ورجع عبَّاد إلى قيس بن الهيثم وقال لورَّاد : حَرَّشِ القوم ، فطاردهم ورَّاد ، ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلا من أصحاب المثنى ، وقتل رجل من أصحاب عبَّاد ، وسمع اللذين على السطوح ^(١) في دار الرزق الضجّة والتكبير ، فكبَّروا ، فهرب من كان في المدينة ، وسمع المثنى وأصحابه التكبير من ورائهم ، فانهزموا ، وأمر عبَّاد وقيس بن الهيثم ^(٢) الناس بالكف عن اتباعهم ^(٣) وأخذوا مدينة الرزق وما كان فيها ، وأتى المثنى وأصحابه عبد القيس ورجع عبَّاد وقيس ومن معه إلى القُبَاع فوجههما إلى عبد القيس ، فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر . وأتاهم عبَّاد من طريق الميربد . فالتقوا فأقبل زياد بن عَمْرٍو العتكي إلى القُبَاع وهو في المسجد جالس على المنبر ،

٦٨٢/٢

(٢-٢) ف : « بالكف عن الناس وعن » .

(١) ف : « السطح » .

فدخل زياد المسجد على فرسه؛ فقال : أيُّها الرجل ، لردنّ خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنّها^(١). فأرسل القُبَاعُ الأحنفَ بنَ قيس وعمرَ بنَ عبد الرحمن المخزومي ليُصلحا أمرَ الناس ، فأتيتا عبد القيس ، فقال الأحنف لبكر والأزد وللعمّة : ألسم على بيعة ابن الزبير ! قالوا : بلى ، ولكنّا لا نُسلم إخواننا . قال : فمروهم فليخرجوا إلى أيّ بلاد أحبّوا ، ولا يفسدوا هذا المِصرَ على أهله ، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاءوا . فثنى مالكُ بنُ مِسمَع وزِيادُ بنُ عمرو ووجوهُ أصحابهم إلى المثنى ، فقالوا له ولأصحابه : إنّنا والله ما نحن على رأيكم ، ولكنّا كرهنا أن تُضاموا^(٢) ، فالحقوا بصاحبكم ، فإنّ من أجابكم إلى رأيكم قليل ، وأنتم آمنون . فقَبِلَ المثنى قولَهما وما أشارا به ، وانصرف . ورجع الأحنف وقال : ما غيّبت رأيي إلا يومئذٍ هذا ، إني أتيت هؤلاء القوم وخلّفت بكراً والأزد ورأى ، ورجع عبّاد وقيس إلى القُبَاع ، وشخص المثنى إلى المختار بالكوفة في نفرٍ يسير من أصحابه ، وأصيب في تلك الحرب سُويد بن رثاب الشنّي ، وعقبة بن عشيّة الشنّي ، قَتَلَهُ رجل من بني تميم وقُتِلَ التميمي فَوَلَّغَ أخو عقبة بن عشيّة في دَمِ التميمي ، وقال : ثأري . وأخبر المثنى المختار حين قدّم عليه بما كان من أمر مالك بن مِسمَع وزِياد بن عمرو ومسيرهما إليه ، وذبتهما عنه حتّى شخص عن البصرة ، فطَمَعَ المختار فيهما ، فكتب إليهما : أمّا بعد ، فاسمعا وأطيعا أو تيكما^(٣) من الدنيا ما شئتما ، وأضمن لكما الجنة . فقال . مالكُ لزياد : يا أبا المغيرة ، قد أكثر لنا أبو إسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة ! فقال زياد لمالك مازحاً : يا أبا غسان ، أمّا أنا فلا أقاتل نسيئةً ، من أعطانا الدّراهم قاتلنا معه . وكتب المختار إلى الأحنف بن قيس :

٦٨٣/٢

من المختار إلى الأحنف ومن قبّله ، فسَلِّمَ أنتم ، أمّا بعد ، فويلُ أمّ ربيعة من مضّر ، فإنّ الأحنف مُورد قومه سَقَر ، حيث لا يستطيع لهم الصّدْر ، وإني^(٤) لا أملك ما خُطّ في القَدَر ، وقد بلغني أنكم تسمّونني^(٥) كذاً ابناً ،

٦٨٤/٢

(١) ف : وابن الأثير « لنقاتلهم » . (٢) ف : « تصابوا » .

(٣) ف : « ولكما » . (٤) ف : « وأنا » .

(٥) ف : « تسموني » .

وقد كُذِّبَ الأنبياءُ مِنْ قَبْلِي ، ولستُ بخير من كثير منهم .
وكتب إلى الأحنف :

إذا اشتريتَ فرساً من مالِكا ثم أخذتَ الجَوْبَ في شِماليكا
* فاجعلْ مصاعاً حذماً مِنْ بالِكا *

حدثني أبو السائب سلم بن جبلة ، قال : حدثنا الحسن بن حماد ،
عن حبان^(١) بن علي ، عن المجالد ، عن الشعبي ، قال : دخلتُ البصرة
فقعدتُ إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال لي بعضُ القوم : مَنْ
أنتَ ؟ قلت : رجلٌ من أهل الكوفة ؛ قال : أنتم موال لنا ؛ قلت : وكيف ؟
قال : قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم مِنْ أصحاب المختار ، قلتُ : تدرى
ما قال شيخُ هَمْدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف بن قيس : وما قال ؟
قلت : قال :

أَفْخَرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبُدًا	وهزمتُ مرةً آلَ عَزَلٍ
وَإِذَا فَاخَرْتُمُونَا فَاذْكُرُوا	ما فعلنا بِكُمْ يومَ الجَمَلِ
بَيْنَ شَيْخٍ خَاضِبٍ عُنُونُهُ	وَفَتًى أَبْيَضَ وَضَاحَ رِفْلٍ
جَاءَنَا يَهْدِجُ فِي سَابِغَةٍ	فَذَبَحْنَاهُ ضَحَى ذَبْحِ الحَمَلِ
وَعَفَوْنَا فَتَسَيَّمْ عَفَوْنَا	وَكَفَرْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ الْأَجَلِ
وَقَتَلْتُمْ خَشَبِيَّينَ بِهِمْ	بَدَلًا مِنْ قَوْمِكُمْ شَرًّا بَدَلِ

فغضب الأحنف ، فقال^(٢) : يا غلام ، هات تلك الصحيفة ، فأتيت^(٣) ٦٨٥/٢
بصحيفة فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ،
أما بعد ، فويلُ أم ربيعة ومضر^(٣) ، فإنَّ الأحنف مُوردُ قومه سَقَر ،
حيثُ لا يقدرون على الصَّدَر ، وقد بلغني أنكم تُكذِّبونني ، وإن كُذِّبْتُ

(١) ط : « حيان » تصحيف . (٢) ف : « وقال » . (٣) ف : « من مضر » .

فقد كُذِّبَ رسلٌ مِن قَبْلِي ، ولستُ أنا خيراً^(١) منهم . فقال : هذا منّا
أو منكم !

وقال هشام بنُ محمد عن أبي مخنف ، قال : حدثني مسبيع بن العلاء
السعدي أن مسكين بن عامر بن أنسيف بن شريح بن عمرو بن عدس كان
فيمن قاتل المختار ، فلمّا هزم الناس لحق بأذربيجان بمحمد بن عمير بن
عطارد ، وقال :

عَجِبْتُ دَخْتُنُوسَ لَمَّا رَأَيْتَنِي قَدْ عَلَانِي مِنَ الْمَشِيبِ خِمَارُ
فَاهَلَّتْ بِصَوْتِهَا وَأَرَنْتُ لَا تَهَالِي قَدْ شَابَ مِنِّي الْعِدَارُ
إِنْ تَرَيْتَنِي قَدْ بَانَ غَرْبُ شَبَابِي وَأَتَى دُونَ مَوْلَدِي أَعْصَارُ
فَابْنُ عَامِيْنٍ وَابْنُ خَمْسِيْنٍ عَامَا أَيْ دَهْرٌ إِلَّا لَهُ أَدْهَارُ
لَيْتَ سَيْفِي لَهَا وَجُوبَتُهَا لِي يَوْمَ قَالَتْ أَلَا كَرِيْمٌ يَغَارُ
لَيْتَنَا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِتْنَا أَوْ فَعَلْنَا مَا تَفْعَلُ الْأَحْرَارُ
فَعَلَ قَوْمٌ تَقَاذِفَ الْخَيْرِ عَنْهُمْ لَمْ نُقَاتِلْ وَقَاتَلَ الْعَيْزَارُ
وَتَوَلَّيْتُ عَنْهُمْ وَأُصِيبُوا وَنَفَانِي عَنْهُمْ شَنَارُ وَعَارُ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شَهَابٍ قُرَيْشٍ يَوْمَ يُؤَوِّي بِرَأْسِهِ الْمُخْتَارُ
وقال المتوكلُ الليثي :

٦٨٦/٢

قَتَلُوا حُسَيْنًا ثُمَّ هُمْ يَنْعَوْنَهُ إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ أَطْوَارُ
لَا تَبْعَدُنَ بِالطَّفِّ قَتْلِي ضُيِّعَتْ وَسَقَى مَسَاكِينَ هَامِيهَا الْأَمْطَارُ
مَا شُرْطَةُ الدِّجَالِ تَحْتَ لَوَائِهِ بِأَضَلِّ مِمَّنْ غَرَّهُ الْمُخْتَارُ
أَبْنَى قَسَى أَوْثِقُوا دَجَالَكُمْ يَجْلَلُ الْغُبَارُ وَأَنْتُمْ أَحْرَارُ
لَوْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَ أَخِيكُمْ لَتَوَطَّأَتْ لَكُمْ بِهِ الْأَحْبَارُ
وَلَكَانَ أَمْرًا بَيِّنًا فِيمَا مَضَى تَأْتِي بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالْأَخْبَارُ

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكَذِّبَ وَخِيَكُمْ طَعَنُ يَشْقُ عَصَاكُمْ وَحِصَارُ
وَيَجِيئُكُمْ قَوْمٌ كَأَنَّ سُيُوفَهُمْ بَاءَ كَفَّهُمْ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ نَارُ
لَا يَنْشَنُونَ إِذَا هُمْ لَأَقْوَكُمْ إِلَّا وَهَامُ كُمَاتِكُمْ أَعْشَارُ

* * *

[ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزبير]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بعث المختار جيشاً إلى المدينة للمكر بابن الزبير ، وهو مطهر له أنه وجههم معونة له لحرب الجيش الذي كان عبد الملك بن مروان وجهه إليه لحروبه ، فنزلوا وادى القرى .

* ذكر الخبر عن السبب الداعي كان للمختار إلى توجيه ذلك الجيش وإلى ما صار أمرهم :

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر ، قال : لما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة لـحقّ بالبصرة . وكره أن يقدم ابن الزبير بمكة وهو مهزوم مفلول ، فكان بالبصرة مقيماً حتى قدم عليه عمر بن عبد الرحمن بن هشام ، فصارا جميعاً بالبصرة . وكان سبب قدوم عمر البصرة أن المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشيعة إنما يدعو إلى ابن الحنفية والطلب بدماء أهل البيت ، أخذ يخادع ابن الزبير ويكتب إليه ، فكتب إليه : أمّا بعد ، فقد عرفت مناصحتي إياك وجهدي على أهل عداوتك ، وما كنت أعطيتهني إذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلماً وفيت لك ، وقضيت الذي كان لك عليّ ، خست بي ، ولم تف بما عاهدتني عليه ، ورأيت مني ما قد رأيت ، فإن ترد مراجعتي أراجعك ، وإن ترد مناصحتي أنصح لك . وهو يريد بذلك كفه عنه ، حتى يستجمع له الأمر ^(١) ، وهو لا يطلع الشيعة على شيء من هذا الأمر ، وإذا بلغهم شيء منه أراهم أنه أبعد الناس عن ذلك . قال : فأراد ابن الزبير أن يعلم أسلّم هو أم حرب ! فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي

فقال له : تجهّزْ إلى الكوفة فقد وليّنا كتبها^(١) ، فقال : كيف وبها المختار ! قال :
إنّه يزعم أنّه سامع مطيع . قال : فتجهّزْ بما بين الثلاثين الألف درهم إلى الأربعين
ألفاً^(٢) ، ثمّ خرج مقبلاً إلى الكوفة . قال : ويحيى عين المختار من مكّة حتّى
أخبره^(٣) الخبر ، فقال له : بكم تجهّز ؟ قال : بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين
ألفاً . قال : فدعا المختارُ زائدةَ بنَ قدامةَ وقال^(٤) له : احمِلْ معك سبعين
ألفَ درهم ضِعْفَ ما أنفقَ هذا في مسيره إلينا وتلقّه في المِثْقَوزِ ، وأخرج معك
مسافر^(٥) بن سعيد بن نمران الناعطي في خمسمائة فارس دارع راميح ، عليهم
البَيْضُ ، ثمّ قل له : خذ هذه النّفقة فإنّها ضعف نفقتك ، فإنّه قد
بلغنا أنّك تجهّزتَ وتكلّفتَ قدرَ ذلك ، فكترّ هنا أن تغرم ، فخذها
وانصرف ، فإن فعل وإلاّ فأره الخيل وقل له : إن وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة .
قال : فأخذ زائدة المال ، وأخرج معه الخيل ، وتلقّاه بالمِثْقَوزِ ، وعرض
عليه المال ، وأمره بالانصراف ، فقال له : إن أمير المؤمنين قد ولّاني الكوفة
ولا بدّ من إنفاذ أمره . فدعا زائدة بالخيل وقد أكنها في جانب ، فلما رآها
قد أقبلت قال : هذا الآن أعذرُ لي وأجملُ بي ، هاتِ المالَ ، فقال له
زائدة : أمّا إنّّه لم يبعث به إليك إلّا لما بينك وبينه ، فدفعه إليه فأخذه ، ثمّ
مضى راجعاً نحوَ البصرة ، فاجتمع بها هو وابنُ مطيع في إمارة الحارث بن
عبدِ الله بن أبي ربيعة ، وذلك قبل وثوب المشنّى بن مخزبة العبدى بالبصرة .

٦٨٨/٢

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم أنّ المختار أخير أنّ أهل
الشّام قد أقبلوا نحو العراق ، فعرف أنّه به يسبّد ، فخشى أن يأتيه أهلُ
الشّام من قِبَلِ المغرب ، ويأتيه مصعب بن الزبير من قِبَلِ البصرة ، فودّع
ابنَ الزبير وداراه وكابده^(٦) ؛ وكان عبدُ الملك بن مروان قد بعث عبد الملك
ابن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص إلى وادي القرى ، والمختار لابن الزبير
مكاييد موادع ، فكتب المختار إلى ابن الزبير :

٦٨٩/٢

(١) ف : « وليتها » . (٢) ف : « ألف درهم » .

(٣) ف : « أخبرته » . (٤) ف : « فقال » .

(٥) ط : « بمسافر » . (٦) ف : « وكاتبه » .

أما بعد ، فقد بلغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً ، فإن أحببت أن أمدك بمدد أمددتك .

فكتب إليه عبد الله بن الزبير :

أما بعد ، فإن كنت على طاعتي فليست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادى وتبايع إلى الناس قبلك ، فإذا أتنى بيعتك صدقت مقاتلتك ، وكففت جنودى عن بلادك ، وعجلت على بتسريح الجيش الذى أنت باعته ، ومُرهم فليسيروا إلى من بوادى القرى من جُند ابن مروان فليقاتلوهم . والسلام .

فدعا المختار شُرْحِبِيلَ بن وَرْسٍ من همدان ، فسرحه في ثلاثة آلاف أكثرهم الموالى ، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل ، فقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فإذا دخلتها فاكتب إلى بذلك حتى يأتيتك أمرى ، وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً من قبله ، ويأمر ابن ورس أن يمضى إلى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة ، فخرج الآخر يسير قبل المدينة ، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيد به ، فبعث من مكة إلى المدينة عباس بن سهل بن سعد في ألفين ، وأمره أن يستنفر الأعراب ، وقال له ابن الزبير : إن رأيت القوم في طاعتي فاقبل منهم ، وإلا فكأيدهم حتى تهلكهم . ففعلوا ، وأقبل عباس بن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقيم ، وقد عبى ابن ورس أصحابه ، فجعل على يمينته سلمان ابن حَمِيرَ الثورى من همدان ، وعلى يسارته عيَّاش بن جَعْفَرَةَ الجُدلى ، وكانت خيلُه كلها في الميمنة والميسرة ، فدنا فسلم عليه ، ونزل هو يمشى في الرجالة ، وجاء عباس في أصحابه وهم منقطعون على غير تعبئة ، فيجد ابن ورس على الماء قد عبى أصحابه تعبئة القتال ، فدنا منهم فسلم عليهم ، ثم قال : اخلُ معى ها هنا ، فسَخَّلا به ، فقال له : رحمك الله ! ألسنت في طاعة ابن الزبير ! فقال له ابن ورس : بلى ، قال : فسربنا إلى عدوه هذا الذى بوادى القرى ، فإن ابن الزبير حدثني أنه إنما أشخصكم صاحبكم إليهم ، قال ابن ورس : ما أمرت بطاعتك ، إنما أمرت أن أسير حتى آتى المدينة ، فإذا نزلتها رأيت رأيي . قال له عباس بن سهل : فإن كنت في طاعة ابن الزبير فقد

أمرني أن أسير بك وبأصحابك إلى عدونا الذين^(١) بوادي القرى ، فقال له ابن ورس : ما أمرت بطاعتك ، وما أنا بمتبعك دون أن أدخل المدينة ، ثم أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره . فلما رأى عباس بن سهل لِمَ حاجته عرف خلافته ، فذكره^(٢) أن يعلمه أنه قد فطن له ، فقال : فأريك أفضل ، اعمل بما بدا لك ، فأما أنا فلاني سائر إلى وادي القرى . ثم جاء عباس بن سهل فنزل بالماء ، وبعث إلى ابن ورس بجزائر كانت معه ، فأهداها له ، وبعث إليه بدقيق وغنم مسلخة — وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً — فبعث عباس بن سهل إلى كل عشرة منهم شاة^(٣) ، فذبحوها ، واشتغلوا بها ، واختلطوا على الماء ، وترك القوم تعبيتهم ، وأمين بعضهم بعضاً ؛ فلما رأى عباس بن سهل ما هم فيه من الشغل جتمع من أصحابه نحواً من ألف رجل من ذوى البأس والنجدة ٦٩١/٢ ثم أقبل^(٤) نحو فسطاط شرحبيل بن ورس ، فلما رآهم ابن ورس متقبلين إليه نادى في أصحابه ، فلم يتواف إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس بن سهل وهو يقول : يا شرطة الله ، إلى إلى ! قاتلوا المشركين ، أولياء الشيطان الرجيم ، فإنكم على الحق والهدى ؛ قد غدروا وفجروا .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف أن عباساً انتهى إليهم ، وهو يقول :

أنا ابن سهل فارس غير وكل أزوع مقدام إذا الكبش نكل
وأعتلى رأس الطرماح البطل بالسيف يوم الروع حتى ينخل
قال : فوالله ما اقتتلنا إلا شيئاً ليس بشيء حتى قتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ، ورفع عباس بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس ، فأتوها إلا نحواً من ثلثائة رجل انصرفوا مع سلمان بن حمير الهمداني وعياش بن جعدة الجدي ، فلما وقعوا في يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا إلا نحواً من مائتي رجل ، كره ناس من الناس ممن دفعوا إليهم قتلهم ، فخللوا سبيلهم ، فرجعوا ، فمات أكثرهم في الطريق ، فلما

(١) ف : « الذي » . (٢) ف : « كره » .

(٣) ف : « بشاة » . (٤) ف : « وأقبل » .

بلغ المختار أمرهم ، ورجع من رجع منهم ، قام خطيباً فقال : ألا إن
الفسجّار الأشرار ، قتلوا الأبرار الأخيار . ألا إنه كان أمراً مائياً ، وقضاءً
مقضيّاً . وكتب المختار إلى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد ، فإنني كنت بعثت إليك جنداً ليُذِلَّوا
لك الأعداء ، وليحوزوا لك البلاد ، فساروا إليك حتّى إذا أظلموا على طيبة ،
٦٩٢/٢ لقيهم بجندُ المسلّح ، فخدعهم بالله ، وغرّوهم بعهد الله ، فلمّا
اطمأنّوا إليهم ، ووثقوا بذلك منهم ، وثبوا عليهم فقتلوهم ، فإن رأيت
أن أبعث إلى أهل المدينة من قبلي جيشاً كثيفاً ، وتبعث إليهم من قبلك
رسلاً حتّى يعلم أهل المدينة أني في طاعتك ، وأتابعك الجند إليهم عن
أمرك ، فافعل ، فإنك ستجد عظمهم بحقكم أعرف ، وبكم أهل البيت أراف
منهم بآل الزبير الظالمة الملاحدين ، والسلام عليك .

فكتب إليه ابن الحنفية : أمّا بعد ، فإن كتابك لمّا بلغني قرأته ،
وفهمت تعظيمك لحقّي ، وما تنوي به من سروري . وإن أحبّ الأمور
كلّها إلى ما أطيع الله فيه ، فأطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسررت ،
واعلم أني لو أردت لو جدتُ الناس إلى سراعاً ، والأعوان لي كثيراً ، ولكنني
اعتزّلتهم ، وأصبر حتّى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين .

فأقبل صالح بن مسعود إلى ابن الحنفية فودّعه وسلّم عليه ، وأعطاه
الكتاب وقال له : قل للمختار فليتّق الله ، وليكفّف عن الدماء ، قال :
فقلت له : أصلحك الله ! أو لم تكتب بهذا إليه ! قال له ابن الحنفية :
٦٩٣/٢ قد أمرته بطاعة الله ، وطاعة الله تجمع الخير كلّهُ ، وتنهّي عن الشرّ
كلّه . فلمّا قدّم كتابه على المختار أظهر للناس أني قد أمرتُ بأمر يجمع
البرّ واليسر ، ويصّرح الكفّر والغدر .

* * *

[ذكر الخبر عن قدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة ، ووافوا الحج وأميرهم
أبو عبد الله الجذلي .

* ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة :
وكان السبب في ذلك — فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف وعليّ بن محمد ،

عن مسّلمة ابن محارب — أن عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة بزَمَزَم ، وكرهوا البسعة لمن لم تجتمع عليه الأمة ، وهربوا إلى الحرم ، وتوعدّهم بالقتل والإحراق ، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعدّهم به ، وضرب لهم في ذلك أجلاً ، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسولا يعلمهم حالتهم وحال من معهم ، وما توعدّهم به ابن الزبير . فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم ، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يُعلمهم حاله وحال من معه ، وما توعدّهم به ابن الزبير من القتل والتحريق ^(١) بالنار ، ويسألهم ألا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته . فقدموا على المختار ، فدفعوا إليه الكتاب ^(٢) فنأدى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا كتاب ^(٣) مهدّيكم وصريح أهل بيت نبيكم ، وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار ، ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصرًا مؤزراً ، وإن لم أسرّب إليهم الخيل في أثر الخيل ، كالسبيل يتلوه السيل ، حتّى يحلّ بابن الكاهلية الويل .

٦٩٤/٢

ووجه أبا عبد الله الجذلي في سبعين راكباً من أهل القوة، ووجه ظبيان ابن عمارة ^(٤) أخا بني تميم ومعه أربعمائة، وأبا المعتمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وعُمَيْر بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين، وكتب إلى محمد بن عليّ مع الطّفَيْل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود إليه، فخرج الناس بعضهم في أثر بعض، وجاء أبو عبد الله حتّى نزل ذات عِرْق في سبعين راكباً، ثمّ لحقه عمير بن طارق في أربعين راكباً، ويونس ابن عمران في أربعين راكباً، فتمّوا خمسين ومائة، فسار بهم حتّى دخلوا المسجد الحرام، ومعهم الكافركوبات، وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! حتّى انتهوا إلى زمزم ، وقد أعدّ ابن الزبير الحطّاب ليحرقهم ، وكان قد

(١) ف : « الإحراق » . (٢) ف : « دفعوا الكتاب إليه » .

(٣) ف : « من مهدّيكم » . (٤) ط : « حثان » ، وهو خطأ ، وانظر الفهرس .

بقي من الأجل يومان ، فطردوا الحرّس ، وكسروا أعواد زمزم ، ودخلوا على ابن الحنفية ، فقالوا له : ختل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير ، فقال لهم : إني لا أستحل القتال في حرم الله فقال ابن الزبير : أتحسبون أني أُختل سبيلهم دون أن يبايع ويباعوا^(١) ! فقال أبو عبد الله الجدلي : إى ورب الركن والمقام ، ورب الحيل والحرام ، لتخلين سبيله أو لنجالدنك بأسيا فانا جلاذاً يرتاب منه المبطلون . فقال ابن الزبير : والله ما هؤلاء إلا أكلة رأس ، والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتى تُقطف رؤوسهم ؛ فقال له قيس بن مالك : أما والله إني لأرجو إن رمت ذلك أن يوصل إليك قبل أن ترى فينا ما تحب . فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ، ثم قدم أبو المعتمر في مائة ، وهاني بن قيس في مائة ، وظبيان بن عمار في مائتين ، ومعه المال حتى دخلوا المسجد ، فكبروا : يا لثارات الحسين ! فلما رآهم ابن الزبير خافهم ، فخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شيعب على وهم يسبون ابن الزبير ، ويستأذنون ابن الحنفية فيه ، فيأبى عليهم ، فاجتمع مع محمد ابن علي في الشعب أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال .

* * *

[ذكر الخبر عن حصار بني تميم بخراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمد أ .

قال علي بن محمد : حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني عن الطقيّل ابن مرداس العمي ، قال : لما تفرقت بنو تميم بخراسان أيام ابن خازم ، أتى قصر فترتنا عدة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين ؛ فولّوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المزي ، ومعه شعبة بن ظهير النهشلي ، وورد بن الفلق العنبري ، وزهير بن ذؤيب العدوي ، وجيهان بن مشجع الضبي ، والحجاج بن ناشب العدوي ، ورقبة بن الحر في فرسان بني تميم . قال : فأتاهم ابن خازم ، فحصرهم وخندق خندقاً حصيناً . قال : وكانوا يخرجون إليه

(١) س : « وتبايعوا » .

فيقاتلونهُ ، ثمَّ يرجعون إلى القصر . قال : فخرج ابن خازم يوماً على تعبئة من خندقه في ستة آلاف ، وخرج أهلُ القصر إليه ، فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز : انصرفوا اليومَ عن ابن خازم ، فلا أضنَّ لكم به طاقة ، فقال زهير بن ذؤيب العدوي : امرأته طالقٌ إن رجع حتَّى ينقض صفوفهم - وإلى جنبهم نهرٌ يدخله الماء في الشتاء ، ولم يكن يومئذ فيه ^(١) ماء ، فاستبطنه زهير ، فسار فيه ، فلم ^(٢) يشعر به أصحابُ ابن خازم حتَّى حمل عليهم ، فحطَّم أولهم على آخرهم ، واستداروا ^(٣) وكرَّ راجعاً ، واتَّبَعوه على جنبتي النهر يصيحون به : ^(٤) لا ينزل إليه أحدٌ ، حتَّى انتهى إلى الموضع الذي انحدر فيه ، فخرج فحمل عليهم ، فأفرجوا له حتَّى رجع ؛ قال : فقال ابنُ خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب فأعلقوها ^(٥) في أداته إن قدَّرم عليه ، فخرج إليهم يوماً وفي ^(٦) رماحهم كلاليب ^(٧) قد هيئوها له ، فطاعنوه ، فأعلقوا ^(٨) في درعه أربعة أرماع ، فالتفت إليهم ليحمل عليهم ، فاضطربت أيديهم ، فخلَّو رماحهم ، فجاء يجرُّ أربعة أرماع حتَّى دخل القصر ؛ قال : فأرسل ابن خازم غزوان بن جَزء العدوي إلى زهير فقال : قل له : أرايتك إن آمنتك وأعطيتك مائة ألف ، وجعلت لك باسار ^(٩) طعمة تناصحني ؛ فقال زهير لغزوان : ويحك ! كيف أناصح قومًا قتلوا الأشعث ابن ذؤيب ! فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله بن خازم .

٦٩٧/٢

قال : فلمَّا طال عليهم الحصار أرسلوا إلى ابن خازم أن خلسنا نخرج فنتفرق ، فقال : لا إلَّا أن تنزلوا على حُكْمِي ؛ قالوا : فإنَّا ننزل على حُكْمِكَ ، فقال لهم زهير : ثكلتكم أمهاتكم ! والله ليقتلنكم عن آخركم ، فإن طبعتم بالموت أنفساً ^(١٠) فموتوا كراماً ، اخرجوا بنا جميعاً فإمَّا أن تموتوا جميعاً وإمَّا أن ينجو بعضكم ويهلك بعضكم ، وإيم الله لئن شددتم عليهم

(١) ف : « فيه يومئذ ماء » . (٢) ف : « ولم » .

(٣) ف : « واستدار » . (٤-٤) ف : « ولا يجسر أحد منهم أن ينزل فيه » .

(٥) ف : « الكلاليب ثم أعلقوها » . (٦) - ف : « في » .

(٧-٧) ف : « فأعلقوها في أداته لما هيئوها له ، وطاعنوه ساعة وأعلقوا » .

(٨) ظ : « باسان » .

(٩) ف : وابن الأثير : « نفساً » .

شدة صادقة ليُفَرِّجُنَّ لَكُمْ عن مثل طريق الميريد، فإن شتمتكم أما منكم، ٦٩٨/٢
 وإن شتمتكم كنت خلفكم. قال: فأبرأوا عليه، فقال: أما إني سأريكم، ثم
 خرج هو ورقبة بن الحرّ ومع رقبة غلام له تركي وشعبة بن ظهير. قال:
 فسحسلكوا على القوم حملة منكرة، فأفرجوا لهم، فمضوا؛ فأما زهير فرجع
 إلى أصحابه حتى دخل القصر فقال لأصحابه: قد رأيتم فأطيعوني، ومضى
 رقبة وغلامه وشعبة، قالوا: إن فينا من يضعف^(١) عن هذا ويطمع^(٢) في الحياة،
 قال^(٣): أبعدهم الله! أتخلّون عن أصحابكم! والله لا أكون أجزعكم عند
 الموت. قال: ففتحوا القصر ونزلوا، فأرسل فقيدهم، ثم حملوا إليه رجلاً رجلاً،
 فأراد أن يمن عليهم، فأبى ابنه موسى، وقال: والله لن عفوت عنهم لأنك لن
 على سبقي حتى يخرج من ظهري؛ فقال له عبد الله: أما والله إني لأعلم أن
 الغي فيما تأمرني به، ثم قتلهم جميعاً إلا ثلاثة؛ قال: أحدهم الحجاج بن
 ناشب العدوي — وكان رمي ابن خازم وهو محاصره فكسر ضرسه، فحلف
 لن ظفر به ليقبلنه أو ليقطعن يده، وكان حداثاً، فكألمه فيه رجال من بني
 تميم كانوا معتزلين؛ من عمرو بن حنظلة، فقال رجل منهم: ابن عمي وهو غلام
 حدث جاهل؛ هب لي، قال: فوهبه له، وقال: النجاء! لا أرينك.
 قال: وجيهان بن مشجعة الضبّي الذي ألقى نفسه على ابنه محمد يوم قُتِلَ،
 فقال ابن خازم: خالوا عن هذا البغل الدارج، ورجل من بني سعد، وهو
 الذي قال يوم لسيحوا ابن خازم: انصرفوا عن فارس مضر. قال:
 وجاءوا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حملته وهو مقيّد، فأبى وأقبل يحجل ٦٩٩/٢
 حتى جلس بين يديه، فقام له ابن خازم: كيف شكرك إن أطلقتك
 وجعلت لك باسار^(٤) طعمة؟ قال: لو لم تصنع بي إلا حقن دمي لشكرتك،
 فقام ابنه موسى فقال: تقتل الضبع وتترك الذئب^(٥)! تقتل اللبؤة وتترك اللبث!
 قال: ويحك! تقتل مثل زهير! من لقتال عدو المسلمين! من لساء
 العرب! قال: والله لو شركت في دم أخى أنت لقتلتك؛ فقام رجل من بني

(١) ف: «وقالوا إنا نضعف». (٢) ف: «ونطمع».

(٣) ف: «فقال». (٤) ط: «باسان».

(٥) الذئب: الذكر من الضباع، ويطلق الضبع على الأنثى منها.

مُسْلِمٍ إِلَى ابْنِ خَازِمٍ ، فَقَالَ : أَذْكَرُكَ اللَّهَ فِي زَهِيرٍ ! فَقَالَ لَهُ مُوسَى : اتَّخَذَهُ فَحْلاً لِبَنَاتِكَ ، فَغَضِبَ ابْنُ خَازِمٍ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ لَهُ زَهِيرٌ : إِنْ لِي حَاجَةٌ ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَقْتُلْنِي عَلَى حِدَةٍ ، وَلَا تَخْلُطُ دَمِي بِدَمَاءِ هَؤُلَاءِ اللَّثَامِ ، فَقَدْ نَهَيْتُهُمْ عَمَّا صَنَعُوا وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَمُوتُوا كِرَامًا ، وَأَنْ يَخْرَجُوا عَلَيْكُمْ مُصْلِتِينَ ، وَابِمِ اللَّهِ أَنْ لَوْ فَعَلُوا لَدَعَرُوا بُنْيَكَ هَذَا ، وَشَغَلَوْهُ بِنَفْسِهِ عَنْ طَلَبِ الثَّأْرِ بِأَخِيهِ فَأَبَوْا ، وَلَوْ فَعَلُوا مَا قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى يَقْتُلَ رَجُلًا . فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِّي نَاحِيَةٌ فَقُتِلَ .

قَالَ مُسْلِمَةُ بْنُ مُحَارِبٍ : فَكَانَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ إِذَا ذَكَرَهُمْ قَالَ : قَبِّحَ اللَّهُ ابْنَ خَازِمٍ ! قَتَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بِابْنِهِ ، صَبِيٍّ وَعِنْدَ أَحْمَقٍ لَا يُسَاوِي عِلْقًا ، وَلَوْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا بِهِ لَكَانَ وَقِي .

قَالَ : وَزَعَمْتُ بَنُو عَدِيٍّ أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا حَمْلَ زَهِيرِ بْنِ ذُوَيْبٍ أَبِييَ وَاعْتَمَدَ عَلَى رُمُوحِهِ وَجَمَعَ رَجُلِيهِ فَوُتِّبَ الْخَنْدُقُ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْحَرِيشَ بْنَ هَلَالٍ قَتَلَهُمْ قَالَ :

٧٠٠/٢

أَعَاذَلْ إِنِّي لَمْ أَلِمْ فِي قِتَالِهِمْ	وَقَدْ عَضَّ سِنِي كَبِشَهُمْ ثُمَّ صَمَّمَا
أَعَاذَلْ مَا وَلَّيْتُ حَتَّى تَبَدَّدَتْ	رَجَالٌ وَحَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَقَدِّمًا
أَعَاذَلْ أَفْنَانِي السِّلَاحُ وَمَنْ يُطِلْ	مُقَارَعَةَ الْأَبْطَالِ يَرْجِعُ مَكْلَمًا
أَعَيْنِي إِنْ أَنْزَفْتُمَا الدَّمَ فَاسْكُبَا	دَمًا لَا زَمَالِي دُونَ أَنْ تَسْكُبَا الدَّمَ
أَبْعَدْ زَهِيرٍ وَابْنَ بَشِيرٍ تَتَابَعَا	وَوَرَدَ أَرْجَى فِي خُرَاسَانَ مَغْنَمًا
أَعَاذَلْ كَمْ مِنْ يَوْمٍ حَرِبَ شَهِدْتُهُ	أَكْرُهُ إِذَا مَا فَارَسُ السَّوءِ أَحْجَمَا

يَعْنِي بِقَوْلِهِ : « أَبْعَدْ زَهِيرٍ » ، زَهِيرَ بْنِ ذُوَيْبٍ ، وَابْنَ بَشِيرٍ ، عُمَانَ بْنَ بَشِيرٍ الْمُحْتَفِزَ الْمَازِنِيَّ ، وَوَرَدَ بْنِ الْفَلَقِ الْعَنْبَرِيَّ ، قَتَلُوا يَوْمَئِذٍ ، وَقَتَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُحْتَفِزِ أَخُو بَشِيرٍ .

* * *

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَجَّحَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَبْلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى الْبَصْرَةِ الْحَارِثُ

ابن عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى قضائها هشام بن هُبيرة ، وكانت الكوفة بها المختار غالباً عليها ، وبخُراسان عبد الله بن خازم .

* * *

[شخصو إِبْرَاهِيم بن الأَشْتر لِحَرْب عبيد الله بن زياد]

وفي هذه السنة شَخَصَ إِبْرَاهِيمُ بن الأَشْترَ متوجِّهًا إلى عبيد الله ابن زياد لِحَرْبِهِ ، وذلك لثَمَانٍ بَقِيْنَ من ذِي الْحِجَّةِ .

قال هشام بن محمد : حَدَّثَنِي أَبُو مَخْنَفٍ ، قال : حَدَّثَنِي النَّضْرُ بن صالح - وكان قد أدرك ذلك - قال : حَدَّثَنِي فُضَيْلُ بن خَمْدِيج - وكان قد شهد ذلك - وغيرهما ، قالوا : ما هو إلَّا أن فرغ المختار من أهل السَّبْعِ وأهل الكُنَاسَةِ ، فَا نَزَلَ إِبْرَاهِيمُ بن الأَشْترَ إلَّا يَوْمَيْنِ حَتَّى أَشْخَصَهُ إلى الْوَجْهِ الذي كان وَجْهَهُ لَهُ لِقِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، فخرج يوم السبت لثَمَانٍ بَقِيْنَ من ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ ، وأُخْرِجَ الْمُخْتَارُ معه من وجوه أصحابه وفُرْسَانِهِمْ وَذَوِي الْبَصَائِرِ مِنْهُمْ : مِمَّنْ قَدْ شَهِدَ الْحَرْبَ وَجَرَّبَهَا ، وخرج معه قَيْسُ بن طَهَشْفَةَ النَّهْدِيُّ على رُبْعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بن حِيَّةَ الْأَسَدِيَّ على رُبْعِ مَدَنٍ بَجْجٍ وَأَسَدٍ ، وَبَعَثَ الْأَسْوَدُ بن جَرَادٍ الْكِنْدِيَّ على رُبْعِ كِنْدَةَ وَرَبِيعَةَ ، وَبَعَثَ حَبِيبُ بن مَنقَذٍ الثَّوْرِيَّ من هَمْدَانَ على رُبْعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ ، وخرج معه الْمُخْتَارُ يَشِيعُهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ دِيرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن أُمِّ الْحَكَمِ ، إِذَا أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ قَدْ اسْتَقْبَلُوهُ ، قَدْ حَمَلُوا الْكُرْسِيَّ على بَغْلٍ أَشْهَبَ كَانُوا يَحْمِلُونَهُ عَلَيْهِ ، فَوَقَفُوا بِهِ على الْقَنْطَرَةِ ، وَصَاحِبُ أَمْرِ الْكُرْسِيِّ حَوْشَبُ الْبَرْسِيِّ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا رَبَّ عَمْرُنَا فِي طَاعَتِكَ ، وَانصَرْنَا على الْأَعْدَاءِ ، وَاذْكُرْنَا وَلَا تَنْسَئْنَا وَاسْتَرْنَا ، قال : وَأَصْحَابُهُ يَقُولُونَ : آمِينَ آمِينَ ؛ قال فُضَيْلُ : فَأَنَا سَمِعْتُ ابْنَ نَوْفٍ الْهَمْدَانِيَّ يَقُولُ : قال المختار :

أَمَّا وَرَبُّ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا لِنَقْتُلَنَّ بَعْدَ صَفٍّ صَفًّا

* وَبَعْدَ أَلْفٍ قَاسِطِينَ أَلْفًا *

قال : فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمُ الْمُخْتَارُ وَابْنُ الْأَشْترِ أَزْدَحَمُوا أَزْدَحَامًا شَدِيدًا

على القنطرة ، ومضى المختار مع إبراهيم إلى قناطر رأس الجالوت - وهي إلى جنب دَيْر عبد الرحمن - فإذا أصحاب الكرسي قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون ، فلما صار المختار بين قنطرة دَيْر عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف ، وذلك حين أراد أن ينصرف ، فقال لابن الأشر : خذ عنّي ثلاثاً : خُفِّ الله في سرِّ أمرِك وعلايتِه ، وعجِّل السير ، وإذا لقيتَ عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ، وإن لقيتهم ليلاً فاستطعت ألا تُصبح حتّى تناجزهم ، وإن لقيتهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتّى تحاكمهم إلى الله . ثم قال : هل حفِظتَ ما أوصيتك^(١) به ؟ قال : نعم ، قال : صحبتك الله ؛ ثم انصرف . وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمام أعين ، ومنه شخص بعسكره .

* * *

[ذكر أمر الكرسي الذي كان المختار يستنصر به !]

قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج قال : لما انصرف المختار مضى^(٢) إبراهيم ومعه أصحابه حتّى انتهى إلى أصحاب الكرسي وقد عكفوا حوله^(٣) وهم رافعون أيديهم^(٤) إلى السماء يستنصرون ، فقال إبراهيم : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء - سنة بني إسرائيل ، والذي نفسي بيده إذ عكفوا على عجلهم - فلما جاز القنطرة إبراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسي .

* ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو وأصحابه :

٧٠٣/٢ قال أبو جعفر : وكان بدءُ سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شَبَوَيْه ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، قال : حدثني معبد بن خالد ، قال : حدثني طُفَيْل بن جَعْدَة بن هُبَيْرَة ، قال : أعدمْتُ مرّةً من الورق ، فإني لكذلك إذ خرجتُ يوماً فإذا زِيَّات جارٌ لي ، له كرسي قد ركبه وسخَّ شديد ، فخطر على بالي أن لو قلتُ للمختار في هذا ! فرجعتُ فأرسلتُ إلى

(١) ف : « عنّي ما وصيتك » . (٢) ف : « ومضى » .

(٣) ف : « عليه » . (٤) ف : « وهم رافعون أيديهم » .

الزِّيَات : أرسلُ إلى بالكُرسَى ، فأرسل إلى به ، فأُتيت المختار ، فقلت : إني كنت أكتُمُكَ شيئاً لم^(١) أستحل ذلك ، فقد بدا لي أن أذكره لك ، قال : وما هو ؟ قلت : كُرسَى كان جعدة بن هُبيرة يجلس عليه كأنه يرى أن فيه أثره من عليم ، قال : سبحان الله ! فأخبرت هذا إلى اليوم ! ابعث إليه ، ابعث إليه ، قال : وقد غُسل وخرج عُدود نَضَار ، وقد تشرب الزيت ، فخرج يبصص ، فجيء به وقد غُشي ، فأمر لي باثني عشر ألفاً ، ثم دعا : الصلاة جامعة .

فحدثني معبد بن خالد الجُدَلِي قال : انطلقني وبإسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله وشبث بن ربعي والناس يحرون إلى المسجد ، فقال المختار : إنَّه لم يكن في الأمم الخالية أمرٌ إلَّا وهو كائن في هذه الأمة مثله ، وإنَّه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقيَّة ممَّا ترك آل موسى وآل هارون ، وإنَّ هذا فينا مثل التابوت ، اكشفوا عنه ، فكشفوا عنه أثوابه ، وقامت السبيَّة فرفعوا أيديهم ، وكبَّروا ثلاثاً ، فقام شبث بن ربعي وقال : يا معشر مُضَر ، ٧٠٤/٢ لا تكفُرُن ، فنحوه فذبَّوه وصدَّوه وأخرجوه ، قال إسحاق : فوالله إني لأرجو أنَّها لشبث ، ثم لم يلبث أن قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشام باجمعيِّرا ، فخرج بالكُرسَى على بغل وقد غُشي ، يمسِّكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فقتل أهل الشام مقتلة لم يقتلوا مثلها ، فزادهم ذلك فتنة ، فارتفعوا فيه حتَّى تعاطوا الكفر ، فقلت : إنَّنا لله ! وندمتُ على ما صنعت ، فتكلَّم الناس في ذلك ، فغيب ، فلم أره بعد .

حدثني عبد الله ، قال : حدثني أبي قال : قال أبو صالح : فقال في ذلك أعشى همدان كما حدثني غير عبد الله :

شهدتُ عليكم أنكم سبيَّة	وإني بكم يا شرَّطة الشُّرك عارف
وأقسم ما كُرسِيكم بسكينة	وإن كان قد لُفَّت عليه اللِّفائف
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت	شِبامٌ حوالَيْه ونَهْدٌ وخارف ^(٢) ٧٠٥/٢

(١) ف : « ولم » .

(٢) ف : « وخارف » .

وإني امرؤٌ أَحْبَبْتُ آلَ مُحَمَّدٍ
وتَابَعْتُ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا تَتَابَعْتُ^(١)
عليه قريشٌ : شَمَطَهَا وَالْغَطَارِفُ

وقال المتوكِّل اللَّيْثِيُّ :

أَبْلِغْ أَبَا إِسْحَاقَ إِنِّ جِئْتَهُ أَنَّى بِكَرْسِيِّكَمُ كَافِرُ
تَنْزُرُوا شِبَامَ حَوْلَ أَعْوَادِهِ وتحْمِلُ الْوَحْيَ لَهُ شَاكِرُ
مَحْمَرَّةٌ أَعْيُنُهُمْ حَوْلَهُ كَأَنَّهُنَّ الْحَمَّصُ الْحَادِرُ

فأَمَّا أَبُو مَخْنَفٍ : فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنْ بَعْضِ شَيْوْخِهِ قِصَّةَ هَذَا الْكَرْسِيِّ غَيْرِ
الَّذِي ذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بِالإِسْنَادِ الَّذِي حَدَّثَنَا بِهِ ، عَنْ طَفِيلِ بْنِ
جَعْدَةَ . وَالَّذِي ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْهُ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَابْنُهُ الْحَكَمُ بْنُ هِشَامٍ ، أَنَّ الْخِتَارَ قَالَ
لَأَلِ جَعْدَةَ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهْبٍ الْخَزَوِيِّ - وَكَانَتْ أُمُّ جَعْدَةَ أُمَّ هَانِئٍ
بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ أُخْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ : إِنِّي
بِكَرْسِيِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَقَالُوا : لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ عِنْدَنَا ، وَمَا نَدْرِي مِنْ
أَيْنَ نَجِئُ بِهِ ! قَالَ : لَا تَكُونُنَّ حَمَقِي ، اذْهَبُوا فَاتُونِي بِهِ ، قَالَ : فَظَنَّ
الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَأْتُونَ بِكَرْسِيِّ ، فَيَقُولُونَ : هُوَ هَذَا إِلَّا قَبِيلَهُ
مِنْهُمْ ، فَجَاءُوا بِكَرْسِيِّ فَقَالُوا : هُوَ هَذَا^(٢) ، فَقَبِيلَهُ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ
شِبَامَ وَشَاكَرَ وَرَعَوْسَ أَصْحَابِ الْخِتَارِ وَقَدْ عَصَبِيَّوهُ بِالْحَرِيرِ وَالْدِّيبَاجِ .

٧٠٦/٢

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عَامِرٍ أَبِي الْأَشْعَرِ الْجُهَنِيِّ : إِنَّ الْكَرْسِيَّ
لَمَّا بَلَغَ ابْنُ الزَّبِيرِ أُمُّرَهُ قَالَ : أَيْنَ بَعْضُ جَنَادِ بَنِي الْأَزْدِ عَنْهُ !

قَالَ أَبُو الْأَشْعَرِ : لَمَّا جِئْتُ بِالْكَرْسِيِّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَدَّ نَهْجَ مُوسَى بْنِ
أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، وَكَانَ يَأْتِي الْخِتَارَ أَوَّلَ مَا جَاءَ وَيَحْفَ بِهِ ، لِأَنَّ أُمَّهُ أُمُّ كَلْثُومِ
بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَثَبَ عَلَيْهِ فَاسْتَحْيَا

(٢) ف : وابن الأثير : « هذا هو » .

(١) ف : « وبايعت » .

منه ، فدفعه إلى حَوْشِب البُرْسُمَى ، فكان صاحبه حتَّى هلك المختار .
 قال : وكان أحد عمومة الأعشى رجلاً يُكنى أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه
 فيقول: قد وُضع لنا اليوم وحىٌ ما سمع الناسُ بمثله ، فيه نبأ ما يكونُ
 من شئٍ .

قال أبو مخنف : حدثنا موسى بن عامر أنه إنما كان يصنع ذلك لهم
 عبد الله بن نوف ، ويقول : المختار أمرنى به ، ويتبرأ المختار منه .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مقتل عبید لله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام .

• ذكر الخبر عن صفة مقتله .

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو الصلت ، عن أبي سعيد الصبيّقل ، قال : مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عبید الله بن زياد ومن معه من أهل الشام ، فخرجنا مُسرّعين لانتشني ، نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق . قال : فسبقناه إلى تخوم أرض العراق سبّقا بعيدا ، ووصلنا في أرض الموصل ، فتعجلنا إليه ، وأسرعنا السير ، فنلقاه بخازر إلى جنب قرية يقال لها باربيثا ، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ ، وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط ، من وهبيل من النخع (رجلا من قومه) ، وكان شجاعا بثيسا^(١) ، فلما أن دنا من ابن زياد ضم حميد بن حرِيث إليه ، وأخذ ابن الأشتر لا يسير إلا على تعبئة ، وضم أصحابه كلهم إليه بخيله ورجاله ، فأخذ يسير بهم جميعا لا يفرقهم ، إلا أنه يبعث الطفيل بن لقيط في الطلائع حتى نزل تلك القرية .

قال : وجاء عبید الله بن زياد حتى نزل قريبا منهم على شاطئ خازر . وأرسل عمير بن الحُبَاب السلمي إلى ابن الأشتر : إني معك ، وأنا أريد^(٢) الليلة لقاءك ، فأرسل إليه ابن الأشتر : أن القني إذا شئت ؛ وكانت قيس كلها بالجزيرة ، فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان ، ووجد مروان يومئذ كلب وصاحبهم ابن بسّحدل . فأتاه عُمَيْر ليلا فبايعه ، وأخبره أنه على ميسرة صاحبه ، وواعده أن ينهزم بالنّاس ، وقال ابن الأشتر : ما رأيك ؟ أخذني على وأتلوم يومين أو ثلاثة ؟ قال عمير بن الحُبَاب : لا تفعل ، إنّا

(١) الرجل البئيس : الشديد . (٢) س : « وأريد » .

لله ! هل يريد القومُ إلّا هذه ! إن طاولوك وماطلوك فهو خير لهم ، هم كثيرٌ أضعافكم ، وليس يطيق القليلُ الكثير في المطاولة ؛ ولكن ناجز القوم فلمّا نهم قد ملّثوا منكم رُعباً ، فأنهم فلمّا نهم إن شاموا أصحابك وقتلوهم يوماً بعد يوم ، ومرة بعد مرة أنسوا بهم ، واجترأوا عليهم ؛ قال إبراهيم : الآن علمتُ أنّك لى مناصح ، صدقت ، الرأى مارأيت ، أما إن صاحبي بهذا أوصانى ، وبهذا الرأى أمرنى . قال عمير : فلا تعدون رأيه ، فإن الشيخ قد ضرّسته الحروب ، وقاسى منها ما لم نُقاس ، أصبح فناهض الرجل .

ثمّ إن عميراً انصرف ، وأذكى ابن الأشتر حرّسه تلك الليلة الليل كله ، ولم يدخل عينه غمض ، حتّى إذا كان في السحر الأوّل عبّى أصحابه ، وكتب ٧٠٩/٢ كتابه ، وأمر أمراءه . فبعث سُفَيان بن يزيد بن المُعْتَمِل الأزدي على ميمنته ، وعلى بن مالك الجُشمي على ميسرته ، وهو أخو أبي الأحوص . وبعث عبد الرحمن بن عبد الله — وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأُمّه — على الخيل ، وكانت خيله قليلةً ، فضمّها إليه ، وكانت في الميمنة والقلب ، وجعل على رجاله الطُفَيْل بن لقيط ، وكانت رايتهُ مع مزاحم بن مالك . قال : فلمّا انفجر الفجر صلّى بهم الغداة بفسّس ، ثمّ خرج بهم فصفّهم ، ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم ، وألحق أمير الميمنة بالميمنة ، وأمير الميسرة بالميسرة ، وأمير الرّجال بالرجالة ، وضمّ الخيل إليه ، وعليها أخوه لأُمّه عبد الرحمن بن عبد الله ، فكانت وسَطاً من الناس ، ونزل إبراهيم يمشى ، وقال للناس : ارحقوا ، فترحّف الناس معه على رسلهم رويداً رويداً حتّى أشرف على تلّ عظيم مُشْرِف على القوم ، فجلس عليه ، وإذا أولئك لم يتحرك منهم أحد بعد ففسّرح عبد الله بن زهير السلولي وهو على فرس له يتأكّل تأكلاً^(١) ، فقال : قرّب على فرسك حتّى تأتيني بخبر هؤلاء ، فانطلق ، فلم يلبث إلّا يسيراً حتّى جاء ، فقال : قد خرج القوم على دَهَش وفَشَل ، لقيت رجل منهم فما كان له هِجِيرى إلّا يا شيعة أبي تُرّاب ، يا شيعة المختار الكذاب ! فقلت : ما بيننا وبينكم أجلٌ من الشّتم ، فقال لى : يا عدوّ الله ، لإمّ

(١) تأكل الفرس ، أى هاج وكاد يأكل بعضه بعضاً .

تدعوننا ! أنتم تقتاتلون مع غير إمام ، فقلت له : بل يا لشارت الحسين ، ابن رسول الله ! ادفعوا إلينا عبيد الله بن زياد ؛ فإنه قَتَلَ ابنَ رسول الله وسيّد شباب أهل الجنة حتّى نقتله ببعض موالينا الذين قَتَلَهُم مع الحسين ، فإنّا لا نراه لحسين نِدَاءً فَنَسْرَضِي أن يكون منه قَوَدًا ، وإذا دفعتموه إلينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله ، أو أىّ صالح من المسلمين شتم حَكَمًا ، فقال لى : قد جربناكم مرّة أخرى فى مثل هذا — يعنى الحَكَمَين — فَعَدَرْتُمْ ، فقلت له : وما هو ؟ فقال : قد جعلنا بيننا وبينكم حَكَمَين فلم تَرْضُوا بحُكْمِهما ؛ فقلت له : ما جئت بِحُجَّةٍ ، إنّما كان صلحنا على أنّهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ، ورضينا به وبايعناه ، فلم يجتمعا على واحد ، وتفرّقا ، فكلاهما لم يوفّقهُ الله لخير ولم يسدّده ، فقال : مَنْ أنت ؟ فأخبرته ؛ فقلت له : من أنت ؟ فقال : عَدَسٌ — لبغلتته يزجرها (١) — فقلت له : ما أنصفتنى ، هذا أولُ غَدْرِكَ !

قال : ودعا ابن الأشر بفرس له فركبه ، ثم مرّ بأصحاب الرايات كلّها ، فكلّمها مرّة على راية وقف عليها ، ثم قال : يا أنصار الدّين ، وشيعة الحق ، وشرطة الله ، هذا عبيد الله بن مرّجانة قاتل الحسين بن على ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه ، وهم ينظرون إليه ، ومَنَعَهُ أن يأتى ابن عمّه فيصالحه ، ومَنَعَهُ أن ينصرف إلى رحله وأهله ، ومنعه الذّهاب فى الأرض العريضة حتّى قتله وقَتَلَ أهل بيته ؛ فوالله ما عمّل فرعون بسُجْباء بنى إسرائيل ما عمّل ابن مرّجانة بأهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قد جاءكم الله به ، وجاءه بكم ، فوالله إنى (٢) لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم فى هذا الموطن وبينه إلّا ليشفى صدوركم بسفك دمه على أيديكم ، فقد علم الله أنّكم خرجتم غَضَبًا لأهل بيت نبيّكم . فسار فيما بين الميمنة والميسرة ، وسار فى الناس كلّهم فرغبتهم فى الجهاد ، وحرّضهم على القتال ، ثمّ رجع حتّى نزل تحت رايته ، وزحف القوم إليه ، وقد جعل ابن زياد على

(١) ا : « ليزجرها » . (٢) س : « والله إنى » .

ميمينته الحُصَيْن بن نَمِير السَّكُونِيّ، وعلى ميسرته عُمَيْر بن الحُبَاب السُّلَمِيّ،
 وشَرْحَبِيل بن ذِي الْكَلَّاع على الخيل وهو يمشي في الرجال ، فلمّا تدانَى
 الصَّفَان حمل الحُصَيْن بن نَمِير في ميمنة أهل الشَّام على ميسرة أهل الكوفة ،
 وعليها على بن مالك الجُشَمِيّ ؛ فثبت له هو بنفسه فقتل ، ثمّ أخذ رايته
 قُرّة بن على ، فقتل أيضاً في رجال من أهل الحفاظ قتلوا وانهزمت الميسرة ،
 فأخذ رايته على بن مالك الجُشَمِيّ عبدُ الله بن ورقاء بن جُنادة السُّلَمِيّ
 ابن أخى حُبَشَى بن جُنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فاستقبل
 أهل الميسرة حين انهزموا ، فقال : إلىّ يا شُرطة الله ؛ فأقبل إليه جلّسهم ،
 فقال : هذا أميركم يقاتل ، سيرُوا بنا إليه ، فأقبل حتّى أتاه وإذا هو كاشفٌ
 عن رأسه يُنادى : يا شُرطة الله ، إلىّ أنا ابن الأشر ! إن خيرَ فُرّارٍكم
 ٧١٢/٢ كُرّارُكم ، ليس مُسيئاً من اعتب . فثاب إليه أصحابه ، وأرسل إلى
 صاحب الميمنة : احمل على ميسرتهم — وهو يرجو حينئذ أن ينهزم لهم عُمَيْر
 ابن الحُبَاب كما زعم ، فحمل عليهم صاحبُ الميمنة ، وهو سُفْيَان بن يزيد
 ابن المغفل ، فثبت له عُمَيْر بن الحُبَاب وقاتلته قتالا شديداً ، فلمّا رأى
 إبراهيم ذلك قال لأصحابه : أمّوا هذا السواد الأعظم ، فوالله لو قد فضّضناه
 لانجفل من ترون منهم يمّةً ويسرّة انجفال طير ذعرتها فطارت .

قال أبو مخنف : فحدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن ورقاء
 ابن عازب ، قال : مشينا إليهم حتّى إذا دَنَوْنَا منهم اطّعنّا بالرماح قليلا ،
 ثم صرنا إلى السيوف والعمد ، فاضطربنا بها ملياً من النهار ، فوالله ما شبّهتُ
 ما سمعتُ بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد إلا مِيتَاجِينَ قَصَّارِي (١)
 دار الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط . قال : فكان ذلك كذلك ، ثمّ إن الله
 هزَمَهُمْ ، ومَسَحَنا أكتافَهُمْ .

قال أبو مخنف : وحدثني الحارث بن حَصِيْرَة ، عن أبي صادق أن
 إبراهيم بن الأشر كان يقول لصاحب رايته : انغمس بيرايتك فيهم ، فيقول
 له : إنّه — جُعِلَ فِدَاك — ليس لي مُتَقَدِّم ، فيقول : بلى ، فإن أصحابك

(١) المياجن : جمع ميجنة ، وهى مدقة القصار .

يقاتلون ؛ وإن هؤلاء لا يهربون إن شاء الله ؛ فإذا تقدم صاحبُ رايته برايته شدَّ إبراهيمُ بسيفه فلا يضرب به رجلاً إلا صرعه . وكرد^(١) إبراهيم الرجل من بين يديه كأنهم الحملان ، وإذا حمل برايته شدَّ أصحابه شدة رجل واحد .

قال أبو مخنف : حدثني المشرق أنه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدة لا تليق شيئاً مرت به ، وأنه لمّا هزم أصحابه حمل^(٢) عيسنة ابن أسماء أخته هند بنت أسماء - وكانت امرأة عبيد الله بن زياد - فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول :

إِنْ تَضْرِبِي جِبَالَنَا فَرُبَّمَا
أَرْدَيْتُ فِي الْهَيْجَا الْكَمِيَّ الْمُعْلِمَا

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج أن إبراهيم لمّا شدَّ على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلت كثيرة بين الفريقين ، وأن عمير بن الحُباب لمّا رأى أصحاب إبراهيم قد هزموا أصحاب عبيد الله بعث إليه : أجيئك الآن ؟ فقال : لا تأتيني حتى تسكن فورة شرطة الله ، فإني أخاف عليك عاديتهم .

وقال ابن الأثير : قتلت رجلاً وجدت منه رائحة المسك ، شرقت يدها وغربت رجلاه ، تحت راية منفردة ، على شاطئ نهر خازر . فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً ، ضربه ففدّه بنصفين ، فذهبت رجلاه في المشرق ، ويده في المغرب . وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكوني وهو يحسبه عبيد الله بن زياد ، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ، ونادى التغلبي : اقتلوني وابن الزانية ؛ فقتل ابن نمير .

وحدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، قال : حدثني الحسن بن كثير ، قال : كان شريك بن جدير التغلبي مع علي عليه السلام ، أصيب عينه معه ، فلمّا انقضت حرب علي لحق بيت المقدس ، فكان به ، فلمّا جاءه

قتلُ الحسين ، قال : أعاهدُ الله إن قدرت على كذا وكذا — يَطْلُبُ بدم الحسين — لأقتلنَّ ابنَ مرجانةٍ أو لأموتنَّ دونَه . فلمَّا بلغه أنَّ المختار خرج يَطْلُبُ بدم الحسين أقبل إليه . قال : فكان وجهه مع إبراهيم بن الأشتر ، وجُعِلَ على خيل ربيعة ، فقال لأصحابه : إنني عاهدتُ الله على كذا وكذا ، فبايعه ثلثمائة على الموت ، فلمَّا التقوا حَمَلَ فجعل يَهْتِكُهَا صَفًا صَفًا مع أصحابه حتَّى وصلوا إليه ، وثار الرَّهَجُ فلا يُسْمَعُ إلا وقع الحديد والسيوف ، فانفجرت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد ؛ التَّعَلَّيْ عبيدُ الله ابن زياد ؛ قال : وهو اللَّذِي يقول :

كُلُّ عَيْشٍ قَدْ أَرَاهُ قَذِرًا ^(١) غَيْرَ رَكْزِ الرَّمْحِ فِي ظِلِّ الْفَرَسِ ^(٢)

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، قال : قَتِلَ ^(٣) شرحبيل بن ذي الكلاع ، فادَّعى قتله ثلاثة : سُفْيَانُ بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وورقاء بن عازب الأسدي ، وعبيد الله بن زُهَيْرِ السُّلَمِيِّ . قال : ولمَّا هُزِمَ أصحاب عبيد الله تبعهم أصحابُ إبراهيم بن الأشتر ، فكان مَن غرق أكثر مِمَّن قتل ، وأصابوا عسكرهم فيه من كلِّ شيء ، وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه : يأتِيكم الفتح أحدَ اليومين إن شاء الله من قبيل إبراهيم ابن الأشتر وأصحابه ، قد هزموا أصحابَ عبيد الله بن مرجانة . قال : فخرج المختار من الكوفة ، واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعري ، وخرج بالناس ، ونزل ساباط .

قال أبو مخنف : حدثني المشرق ، عن الشعبي ، قال : كنت أنا وأبي مِمَّن خرج معه ، قال : فلمَّا جُزْنَا ساباطَ قال للنَّاس : أبشروا فإنَّ شُرْطَةَ الله قد حسُّوهم بالسيوف يومًا إلى اللَّيْلِ بنصبيين أو قريبًا من نصبيين ودُوَيْنَ منازلهم ، إلا أنَّ جلَّتهم محصور بنصبيين . قال : ودخلنا المدائن ، واجتمعنا إليه ، فصعد المنبر ، فوالله إنَّه ليخطبنا ويأمرنا بالجدِّ وحسن

(١) ف : « باطلا » . (٢) ف : « غير ركن الرمح » .

(٣) س : « قتل » .

الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة ، والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام ،
إذ جاءته البشرى تستررى يتتبع بعضها بعضاً يقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة
أصحابه ، وأخذ عسكره ، وقتل أشرف أهل الشام ، فقال المختار : يا شرطة
الله ، ألم أبشركم بهذا قبل أن يكون ! قالوا : بلى والله لقد قلت ذلك ؛ قال :
فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهَمْدَانِيِّين : أتؤمن الآن يا شعبي ؟
قال : قلت بأى شىء أومن ؟ أومن بأن المختار يعلم الغيب ! لا أومن بذلك
أبدًا . قال : أو لم يقل لنا : إنهم قد هُزِمُوا ! فقلتُ له : إننا زعم لنا
أنهم هُزِمُوا بنصيبين من أرض الجزيرة ، وإننا هو بخازر من أرض الموصل ،
فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتّى ترى العذاب الأليم ؛ فقلت له : من
هذا الهَمْدَانِيّ الذى يقول لك هذا ؟ فقال : رجل لعمري كان شجاعاً - قتل
مع المختار بعد ذلك يوم حروراء - يقال له : سَلَمَان بن حمير من الثوريين
من هَمْدَان ؛ قال : وانصرف المختار إلى الكوفة ، ومضى ابن الأشتر من
عسكره إلى الموصل ، وبعث عمّالَه عليها ، فبعث أخاه عبد الرحمن بن
عبد الله على نصيبين ، وغلب على سنجار ودارا ، وما والاها من أرض الجزيرة ،
وخرج أهل الكوفة الذين كان المختار قاتلهم فهزمهم ، فلاحقوا بِمُصْعَب بن
الزبير بالبصرة . وكان فيمن قدم على مصعب شبيب بن ربيع ، فقال سرّاقة
ابن مِرْدَاس البارقي يمدح إبراهيم بن الأشتر وأصحابه فى قتل عبيد الله
ابن زياد :

أَتَاكُمْ غُلَامٌ مِنْ عَرَانِينَ مَذْجٍ	جَرَى عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرُ نَكُولٍ ^(١)
فَيَا بْنَ زِيَادٍ بُوٌّ بِأَعْظَمِ مَالِكٍ	وَدُقَ حَدٌّ مَاضِي الشُّفَرَتَيْنِ صَقِيلٍ
ضَرَبْنَاكَ بِالْعُصْبِ الْحُسَامِ بِحِدَةٍ	إِذَا مَا أَبَانَا قَاتِلًا بِقَتِيلٍ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا شُرْطَةَ اللَّهِ إِنَّهُمْ	شَفَوْا مِنْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ غَلِيلٍ ^(٢)

* * *

(١) ديوانه ٨١ . (٢) بعده فى رواية الديوان :

وَأَجْدِرُ بِهِندَ أَنْ تُسَاقَ سَبِيئَةً لها من بنى إسحاق شرّ حليل

[ذكر الخبر عن عزل القبايع عن البصرة]

وفي هذه السنة عزل عبدُ الله بنُ الزبير القبايعَ عن البصرة ، وبعث ٧١٧/٢
عليها أخاه مصعبَ بنَ الزبير ؛ فحدثني عمرُ بنُ شُبَّةٍ ، قال : حدثني عليُّ
ابن محمد ، قال : حدثنا الشَّعْبِيُّ ، قال : حدثني وافر بن أبي ياسر ، قال :
كان عمرو بن سرح مولى الزبير يأتينا فيحدثنا ، قال : كنتُ والله في الرَّهْطِ
الَّذِينَ قَدِمُوا مع المصعب بن الزبير من مكَّة إلى البصرة ؛ قال : فقدم متلثماً
حتَّى أناخ على باب المسجد ، ثمَّ دخل فصعد المنبر ، فقال الناسُ :
أمير أمير . قال : وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة — وهو أدبرها
قبله — فسفر المصعب فعرّفوه ، وقالوا : مصعب بن الزبير ! فقال : للحارث :
اظهر اظهر ، فصعد حتَّى جلس تحته من المنبر درجة ؛ قال : ثمَّ قام
المصعب فحمد الله وأثنى عليه . قال : فوالله ما أكثر الكلام ، ثم قال :
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ
مِنْ نَبَأِ مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ — وأشار بيده نحو الشام —
﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ — وأشار بيده نحو الحجاز — ﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ ^(١) — وأشار بيده نحو الشام .
حدثني عمر بن شُبَّةٍ ، قال : حدثني عليُّ بن محمد ، عن عوانة ، قال :
لما قدم مصعب البصرة خطبَ بهم فقال : يا أهل البصرة ، بلغني أنكم
تلقبون أمراءكم ، وقد سميتُ نفسي الجزَّار .

* * *

[ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد]

وفي هذه السنة سار مصعبُ بنُ الزبير إلى المختار فقتله .

٧١٨/٢

* ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب إليه والخبر عن مقتل المختار :

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، حدثني حبيب بن بديل ، قال :
 لما قدم شبيب على مصعب بن الزبير البصرة وتحتته بغلة له قد قطع
 ذنبها ، وقطع طرف أذننها وشق قباها ، وهو ينادى : يا غوثاه يا غوثاه !
 فأتى مصعب ، فقيل له : إن بالباب رجلا ينادى : يا غوثاه يا غوثاه ! مشقوق
 القبا ، من صفته كذا وكذا ، فقال لهم : نعم ، هذا شبيب بن ربيعة
 لم يكن ليفعل هذا غيره ، فأدخلوه ، فأدخل عليه ، وجاءه أشراف الناس من
 أهل الكوفة فدخلوا عليه ، فأخبروه بما اجتمعوا له ، وبما أصيبوا به ووثوب
 عبيدهم ومواليهم عليهم ، وشكوا إليه ، وسألوه النصير لهم ، والمسير إلى
 المختار معهم . وقدّم عليهم محمد بن الأشعث بن قيس - ولم يكن شهيد
 وقعة الكوفة ، كان في قصر له ميمًا يلي القادسية بطييزًا بآذ - فلما بلغه
 هزيمة الناس تهيأ للشخص ، وسأل عنه المختار ، فأخبر بمكانه ، فسرّح إليه
 عبد الله بن قراد الخثعمي في مائة ، فلما ساروا إليه ، وبلغه أن قد دنوا منه ،
 خرج في البرية نحو المصعب حتى لحق به ، فلما قدم على المصعب استحشّه
 بالخروج ، وأدناه مصعب وأكرمه لشرفه . قال : وبعث المختار إلى دار
 محمد بن الأشعث فبهبها .

٧١٩/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف بن يزيد أن المصعب لما أراد
 المسير إلى الكوفة حين أكثر الناس عليه ، قال لمحمد بن الأشعث : إني لا أسير
 حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة . فكتب المصعب إلى المهلب - وهو عامله
 على فارس : أن أقبل إلينا لتشهد أمرنا ، فإننا نريد المسير إلى الكوفة . فأبطأ
 عليه المهلب وأصحابه ، واعتل بشيء من الخراج ، لكرهه الخروج ، فأمر
 مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما استحشّه أن يأتي المهلب فيقبل به ،
 وأعلمه أنه لا يشخص دون أن يأتي المهلب ؛ فذهب محمد بن الأشعث
 بكتاب المصعب إلى المهلب ، فلما قرأه قال له : مثلك يا محمد يأتي ^(١) بريدًا !
 أما وجد المصعب بريدًا غيرك ! قال محمد : إني والله ما أنا ببريد أحد ، غير
 أن نساءنا وأبناءنا وحرّمتنا غلبتنا عليهم عبداننا وموالينا . فخرج المهلب ،

وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة . ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس ، فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه ، فرفع المهلب يده فكسر أنفه ، فدخل إلى المصعب وأنفه يسيل دمًا ، فقال له : مالك ؟ فقال : ضربتني رجل ما أعرفه ، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال : هو ذا ، قال له المصعب : عدُّ إلى مكانك ، وأمر المصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر ، ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له : ائت الكوفة فأخرج إلى جميع من قدرت عليه أن تخرجه ، وادعهم إلى بيعتي سرًّا ، وخمدك أصحاب المختار ، فأنسل من عنده حتى تجلس في بيته مسترًا^(٢) لا يظهر ، وخرج المصعب فقدم أمامه عبيد الله بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته ، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمنته ، وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته ، وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل ، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس ، والأحنف بن قيس على خمس تميم وزباد بن عمرو الأزدي على خمس الأزد ، وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية ؛ وبلغ ذلك المختار ، فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة ، يا أهل الدين ، وأعوان الحق ، وأنصار الضعيف ، وشيعة الرسول ، وآل الرسول ، إن فراركم الدين بغوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغزوهم عليكم ليصحح^(٢) الحق ، ويتعش الباطل ، ويقتل أولياء الله ، والله لو تهلكون ما عبيد الله في الأرض إلا بالفرى على الله واللعن لأهل بيت نبيه . انتدبوا مع أحمر بن شُمَيْط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتل عاد وإرم .

فخرج أحمر بن شُمَيْط ، فمعسكر بحمام أعين ، ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر ، فبعثهم مع أحمر بن شُمَيْط ، كما كانوا مع ابن الأشتر ، فإنهم إنما فارقوا ابن الأشتر ؛ لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار ، فانصرفوا عنه ، وبعثهم المختار مع ابن شُمَيْط ، وبعث معه جيشًا كثيفًا ،

(١) ١ : « مسترًا » . (٢) ليصح الحق ، أى ليذهب .

فخرج ابن شميظ ، فبعث على مقدمته ابن كامل الشاكري ، وسار أحمر بن شميظ حتى ورد المدآر ، وجاء المصعب حتى عسكر منه قريباً .

ثم إن كل واحد منهما عبى جنده ، ثم تزاحموا ، فجعل أحمر بن شميظ على ميمنته عبد الله بن كامل الشاكري ، وعلى ميسرته عبد الله ابن وهب بن نضلة الجشمي ، وعلى الخيل رزين عبد السلوي ، وعلى الرجالة كثير بن إسماعيل الكندي - وكان يوم خازر مع ابن الأشتر - وجعل كيسان أبا عمرة - وكان موثق لعريضة - على الموالي ، فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمي إلى ابن شميظ وقد جعله على ميسرته ، فقال له : إن الموالي والعبيد آل خور عند المصدوقة ، وإن معهم رجالاً كثيراً على الخيل ، وأنت تمشي ، فمُرهم فلينزلو معك ، فإن لهم بك أسوة ، فإني أتخوف إن طوردوا ساعة ، وطوعنوا وضربوا أن يطيروا على متونها ويُسلموك ، وإنك إن أرحلتهم لم تجدوا من الصبر بدءاً ، وإنما كان هذا منه غشاً للموالي والعبيد ، لما كانوا لقوا منهم بالكوفة ، فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالاً لا ينجو منهم أحد ، ولم يتهمه ابن شميظ ، وظن أنه إنما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا ، فقال : يا معشر الموالي ، انزلوا معي فقاتلوا ، فنزلوا معه ، ثم مشوا بين يديه وبين يدي رأيته ، وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عباد ابن الحصين على الخيل ، فجاء عباد حتى دنا من ابن شميظ وأصحابه فقال : إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير ؛ وقال الآخرون : إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة الأمير المختار ، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول (٢) ، فمن زعم من الناس أن أحداً ينبغي له أن يتولى عليهم برئنا منه وجاهدناه . فانصرف عباد إلى المصعب فأخبره ، فقال له : ارجع فاحمل عليهم ، فرجع فحمل على ابن شميظ وأصحابه فلم يزل منهم أحد ، ثم انصرف إلى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل ، فجال أصحابه بعضهم في بعض ، فنزل ابن كامل ، ثم انصرف عنه المهلب ، فقام مكانه ، فوقفوا ساعة

٧٢٢/٢

(١) ف : « إنما » . (٢) ف : « رسول الله » .

ثم قال المهلب لأصحابه: كرؤا كيرةً صادقة، فإنّ القوم قد أطمعوكم، وذلك بجوّلتيهم التي جالوا، فحمل عليهم حَمْلَةً منكّرةً فولّوا، وصبر ابنُ كامل في رجال من همدان، فأخذ المهلب يستمع شعار القوم: أنا الغلامُ الشاكريّ، أنا الغلامُ الشبّامى، أنا الغلامُ الثورى، فما كان إلّا ساعه حتّى هزّموا، وحمل عمرُ بنُ عبيدِ الله بنِ معمر على عبدِ الله ابنِ أنس، فقاتل ساعةً ثمّ انصرف، وحمل الناسُ جميعاً على ابنِ شُمَيْط، فقاتل حتّى قُتِل، وتنادوا: يا معشرَ بَجِيلَةٍ وخَشَعَم، الصبرَ الصبر! فناداهم المهلب: الفرارَ الفرار! اليوم أنجى لكم، عَلامَ تَنَقُّتُونَ أنفسكم مع هذه العبدان، أضلّ الله سعيكم. ثمّ نظر إلى أصحابه فقال: والله ما أرى استِحْرارَ القَتْلِ اليوم إلّا في قومي. ومالَت الخيلُ على رَجالةِ ابنِ شُمَيْط، فافترقتُ فانهزمتُ وأخذتُ الصَّحراءَ، فبَعَثَ المصعبُ عبّادَ بنَ الحُصَيْنِ على الخيل، فقال: أيّما أسيرٍ أخذتَه فاضرب عُنُقَه. وسرّحَ محمدُ بنُ الأشعثُ في خيلٍ عظيمةٍ من خيلِ أهلِ الكوفةِ مِنّ كان المختار طَرَدَهُمْ، فقال: دُونَكُمْ ثَأْرُكُمْ! فكانوا حيثُ انهزموا أشدَّ عليهم من أهلِ البَصْرة، لا يُدْرِكُون منهزماً إلّا قَتَلُوهُ، ولا يأخذون أسيراً فيَغْفُون عنه. قال: فلم يَسْجُجْ من ذلك الجيش إلّا طائفةٌ من أصحاب الخيل؛ وأما رَجالاتُهُمْ فأبيدوا إلّا قليلاً.

قال أبو مخنف: حدثني ابنُ عِيَّاشِ المَسْتَوْف، عن معاوية بنِ قُرّة المِزَنِيّ، قال: انتهيتُ إلى رجلٍ منهم، فأدخلتُ سنانَ الرمح في عينه، فأخذتُ أَخْضَحِيضَ^(١) عَيْنَه بسنانِ رُمَحِي، فقلتُ له: وفعلتَ به هذا؟ قال: نعم، إنَّهُمْ كانوا أَحَلَّ عِنْدَنَا دِمَاءً من التُّرك والدَّيْلَم؛ وكان معاوية بنُ قُرّة قاضياً لأهلِ البَصْرة، ففي ذلك يقول الأعشى^(٢):

أَلْأَهْلَ أَتَاكَ وَالْأَنْبَاءُ تُنَمِّي	بِمَا لَاقَتْ بِجِيلَةٍ بِالْمَذَارِ
أُتِيحَ لَهُمْ بِهَا ضَرْبُ طَلْحَفٍ	وَطَعْنُ صَائِبٍ وَجَهَ النَّهَارِ
كَانَ سَحَابَةٌ صَعَقَتْ عَلَيْهِمْ	فَعَمَّتْهُمْ هُنَالِكَ بِالْذَمَارِ

(١) : «أحصى». (٢) هو أعشى همدان، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله.

فَبَشِّرْ شِيعَةَ الْمُخْتَارِ إِمَّا مَرَرْتُ عَلَى الْكُؤَيْفَةِ بِالصَّغَارِ
أَقْرَّ الْعَيْنَ صَرَعاَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ جَمٌّ يُقْتَلُ بِالصَّحَارِ
وَمَا إِنَّ سَرَّتِي إِهْلَاكُ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا وَجَدَكَ فِي خِيَارِ
وَلَكِنِّي سُرَرْتُ بِمَا يُلَاقِي أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ خِزْيٍ وَعَارِ ٧٢٤/٢

وأقبل المصعبُ حتَّى قطع من تلقاء واسطَ القَصَبِ ، ولم تكُ واسطُ
هذه بُنِيَتْ حينئذٍ بعد ، فأخذ في كَسْكَرٍ ، ثُمَّ حَمَلَ الرِّجَالَ وَأَثْقَالَهُمْ
وَضَعْفَاءَ النَّاسِ فِي السَّفَنِ ، فَأَخَذُوا فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ : نَهْرُ خُرْشَادٍ ، ثُمَّ
خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ قُوسَانٌ ؛ ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ
إِلَى الْفُرَاتِ .

قال أبو ميخنف : وحدثني فضيل بن خديج الكندي ، أن أهل
البصرة كانوا يسخرُجون فيسجرون سفنهم ويقولون :

عَوَدْنَا الْمَصْعَبُ جَرَّ الْقَلَسِ وَالزَّنْبَرِيَّاتِ الطُّوَالِ الْقُعْسِ

قال : فلمَّا بلغ من مع المختار من تلك الأعاجم ما لى إخوانهم مع ابن
شميط قالوا بالفارسيَّة : « اَيْنَ بَسَارُ دُرُوغِ كُفْتِ » ؛ يقولون : هذه المرة
كذب .

قال أبو ميخنف : وحدثني هشام بن عبد الرحمن الثقفي ، عن
عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي ، قال : والله إني لجالسٌ عند المختار
حين أتاه هزيمةُ القومِ وما لَقُوا ، قال : فأصغى إليّ ، فقال : قتلتُ والله
العبيدَ قتلَةً ما سمعتُ بِمِثْلِهَا قط . ثُمَّ قال : وقُتِلَ ابْنُ شُمَيْطَ وابْنُ
كاملٍ وفلانٌ وفلانٌ ، فسَمِىَ رجلاً من العربِ أصيبوا ، كان الرجلُ منهم في
الحربِ خيراً مِنْ فِئَامٍ ^(١) مِنَ النَّاسِ . قال : فقلتُ له : فهذه واللهِ مصيبةٌ ،
فقال لي : ما مِنْ الموتِ بُدٌّ ، وما مِنْ مِيتَةٍ أَموتها أحبُّ إلى مِنْ مثْلِ مِيتَةِ ابْنِ

(١) الفئام : الجماعة من الناس .

شُمَيْط ، حَبْنًا مَصَارِعُ الْكِرَامِ ! قَالَ : فَعَلِمْتُ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ حَدَّثَ ٧٢٥/٢
نَفْسَهُ إِنَّهُ لَمْ يُصِْبْ حَاجَتَهُ أَنْ يُقَاتِلَ حَتَّى يَمُوتَ .

وَمَا بَلَغَ الْخِتَارَ أَنَّهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا إِلَيْهِ فِي الْبَحْرِ ، وَعَلَى الظُّهْرِ ، سَارَ حَتَّى
نَزَلَ بِهِمُ السَّيْلَحِينَ ، وَنَظَرَ إِلَى مُجْتَمَعِ الْأَنْهَارِ نَهْرِ الْحَيْرَةِ وَنَهْرِ السَّيْلَحِينَ
وَنَهْرِ الْقَادِسِيَّةِ ، وَنَهْرِ يَوْسُفَ ^(١) ، فَسَكَّرَ ^(٢) الْفُرَاتَ عَلَى مُجْتَمَعِ الْأَنْهَارِ ،
فَذَهَبَ مَاءُ الْفُرَاتِ كُلُّهُ فِي هَذِهِ الْأَنْهَارِ ، وَبَقِيَتْ سَفْنُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي
الطَّيْنِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ خَرَجُوا مِنَ السَّفْنِ يَمْشُونَ ، وَأَقْبَلَتْ خِيْلُهُمْ تَرَكَضُ
حَتَّى أَتَوْا ذَلِكَ السَّكَّرَ ، فَكَسَّرُوهُ وَصَمَدُوا صَمَدَ الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا رَأَى
ذَلِكَ الْخِتَارُ أَقْبَلَ إِلَيْهِمْ حَتَّى نَزَلَ حَرُورَاءَ ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكُوفَةِ ،
وَقَدْ كَانَ حَصْنُ قَصْرِهِ وَالْمَسْجِدَ ، وَأَدْخَلَ فِي قَصْرِهِ عُدَّةَ الْحِصَارِ ، وَجَاءَ
الْمَصْعَبُ يَسِيرُ إِلَيْهِ وَهُوَ بِحَرُورَاءَ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ عَلَى الْكُوفَةِ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ شَدَّادَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ الْخِتَارُ وَقَدْ جَعَلَ عَلَى مَيْمَنَتِهِ سُلَيْمَ بْنَ يَزِيدَ
الْكِنْدِيَّ ، وَجَعَلَ عَلَى مَيْسَرَتِهِ سَعِيدَ بْنَ مُنْقِذِ الْهَمْدَانِيَّ ثُمَّ الثَّوْرِيَّ ،
وَكَانَ عَلَى شُرْطَتِهِ يَوْمُئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادِ الْخَشْعَمِيِّ ، وَبَعَثَ عَلَى الْخِيْلِ
عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ التَّهْدِيَّ ، وَعَلَى الرِّجَالِ مَالِكُ بْنُ عَمْرِو ^(٣) التَّهْدِيَّ ^(٤) ،
وَجَعَلَ مُصْعَبُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ عُمَرَ بْنَ
عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ ، وَعَلَى الْخِيْلِ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبَشِيُّ ،
وَعَلَى الرِّجَالِ مُقَاتِلُ بْنُ مِسْمَعِ الْبَكْرِيِّ ، وَنَزَلَ هُوَ يَمْشِي مُتَنَكِّبًا
قَوْسًا لَهُ .

قَالَ : وَجَعَلَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، فَجَاءَ مُحَمَّدٌ حَتَّى ٧٢٦/٢
نَزَلَ بَيْنَ الْمَصْعَبِ وَالْخِتَارِ مَغْرِبًا مُيَامِنًا . قَالَ : فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْخِتَارُ بَعَثَ
إِلَى كُلِّ خُمْسٍ مِنْ أَخْمَاسِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَبَعَثَ إِلَى بَكْرِ
ابْنِ وَائِلٍ سَعِيدَ بْنَ مُنْقِذِ صَاحِبِ مَيْسَرَتِهِ ، وَعَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ مِسْمَعِ
الْبَكْرِيِّ ، وَبَعَثَ إِلَى عَبْدِ الْقَيْسِ وَعَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ الْمُنْذَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

(٢) سَكَرَ النَّهْرُ ؛ أَيِ سَدَّاهُ .

(١) ط : « بَرْسَف » ، وَصَوَابُهُ مِنْ أ .

(٤) س : « الْبَرْزِيُّ » .

(٣) ف وَابْنُ الْأَثِيرِ : « مَالِكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » .

شُرَيْحُ الشَّبَامِيِّ ، وكان على بيتِ ماله ، وبعث إلى أهلِ العاليةِ وعليهم قيسُ ابنُ الهيثمِ السُّلَمِيُّ عبدُ الله بنَ جَعْدَةَ القرشيَّ ، ثم الخزوميَّ ، وبعث إلى الأزْدِ وعليهم زيادُ بنُ عمرو العَتَكِيُّ مسافرَ بنِ سَعِيدِ بنِ نَمِرَانَ النَّاعُطِيِّ ، وبعث إلى بني تميمٍ وعليهم الأحنَفُ بنُ قيسِ سُلَيْمِ بنِ يزيدِ الكِنْدِيِّ ، وكان صاحبُ مِمْنتِهِ ، وبعث إلى مُحَمَّدِ بنِ الأشعثِ السائبِ بنِ مالكِ الأشعريِّ ، ووقف في بقيَّةِ أصحابه ، وتزاحف الناسُ ودنا بعضهم من بعض ، ويَحْمِلُ سَعِيدُ بنُ مَنْقَذٍ وعبدُ الرَّحْمَنِ بنُ شُرَيْحٍ على بكرِ بنِ واثلٍ ، وعبدُ القيسِ ، وهم في الميسرةِ وعليهم عمرُ بنُ عُبيدِ الله بنِ مَعْمَرٍ ؛ فقاتلتهم ربيعةٌ قتالاً شديداً ، وصبروا لهم ، وأخذ سَعِيدُ بنُ مَنْقَذٍ وعبدُ الرَّحْمَنِ بنُ شُرَيْحٍ لا يُقْلَعَان ، إذا حمل واحدٌ فانصرف حمل الآخر ، وربما حملاً جميعاً ؛ قال : فَبَسَعَتِ الْمُصْعَبُ إِلَى الْمَهْلَبِ : ما تنتظر أن تحمِلَ على مَنْ يِلْزَاكَ ! ألا ترى ما يَلْقَى هَذَا الْخُمْسَانُ مِنْذَ الْيَوْمِ ! احمِلْ بأصحابك ، فقال : إني لعمري ما كنت لأَجْزُرُ الْأَزْدَ وَتَمِيمًا خَشِيَةً أَهْلَ الْكُوفَةِ حَتَّى أَرَى فُرْصَتِي . قال : وبعث المختارُ إلى عبدِ الله بنِ جَعْدَةَ أن احمِلْ على مَنْ يِلْزَاكَ ، فَحَمَلَ على أهلِ العاليةِ فَكَشَفَهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْمُصْعَبِ ، فَجَثَا الْمُصْعَبُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ - ولم يكن فراراً - فرمى بأسهمه . ونزل الناسُ عنده فقاتلوا ساعةً ، ثم تساحجروا . قال : وَبَعَثَ الْمُصْعَبُ إِلَى الْمَهْلَبِ وَهُوَ فِي خُمْسَيْنِ جَامِئِينَ كَثِيرِي الْعَدَدِ وَالْفُرْسَانِ : لَا أَبَا لَيْك ! مَا تَنْتَظِرُ أَنْ تَحْمِلَ عَلَى الْقَوْمِ ! فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ قَاتَلَ النَّاسُ مِنْذَ الْيَوْمِ وَأَنْتُمْ وَقُوفٌ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا ، وَقَدْ بَقِيَ مَا عَلَيْكُمْ ، احمِلُوا وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ، فَحَمَلَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ حَمَلَةٌ مُنْكَرَةٌ ، فَحَطَمُوا أَصْحَابَ الْمُخْتَارِ حَطْمَةً مُنْكَرَةً ، فَكَشَفُوهُمْ . وقال عبدُ الله ابنُ عَمْرٍو النَّهْدِيُّ - وكان من أصحابِ صِفْيَيْنَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ لَيْلَةَ الْخُمَيْسِ بِصِفْيَيْنَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ فِعْلِ هَؤُلَاءِ لِأَصْحَابِهِ حِينَ انْهَزَمُوا ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَ الْمُصْعَبِ - ثُمَّ جَالَسَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَتَى مَالِكُ بنُ عَمْرٍو أَبُو نَمِرَانَ النَّهْدِيُّ وَهُوَ

على الرجال بفرسه فركبه، وانقصف أصحاب المختار انقصافة شديدة كأنهم أجسمه فيها حريق^١، فقال مالك حين ركب : ما أصنع بالركوب ! والله لأن أقتل ها هنا أحب إلى من أن أقتل في بيتي ؛ أين أهل البصائر ؟ أين أهل الصبر ؟ فتاب إليه نحو من خمسين رجلاً، وذلك عند المساء، فكثر على أصحاب محمد بن الأشعث، فقتل محمد بن الأشعث إلى جانبه هو وعامة أصحابه، فبعض الناس يقول : هو قتل محمد بن الأشعث، ووُجد أبو زمران قتيلاً إلى جانبه - وكندة تزعم أن عبد الملك بن أشاء الكندي هو الذي قتلته - فلماً مر المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلاً قال : يا معشر الأنصار ، كُروا على الثعالب الرواغة ، فحملوا عليهم ، فقتل ، فخشعتم تزعم أن عبد الله بن قُرَاد هو الذي قتلته .

قال أبو مخنف : وسمعت عوف بن عمرو الجشمي يزعم أن مولى لهم قتلته ، فادعى قتلته أربعة نفر ، كلهم يزعم أنه قتله ، وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ ، فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فقتلوا ، وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلاً من قومه ، وغيرهم ضارب حتى قتل ، وقتل المختار على قسم سكة شبست ، ونزل وهو يريد ألا يبرح ، فقاتل عامة ليلته حتى انصرف عنه القوم ، وقتل^(١) معه ليلتئذ رجال من أصحابه من أهل الحفظ ، منهم عاصم بن عبد الله الأزدي ، وعياش بن خازم الهمداني ، ثم الثوري ، وأحمر بن هديج الهمداني ثم الفايشي .

قال أبو مخنف : حدثنا أبو الزبير أن همدان تنادوا ليلتئذ : يا معشر همدان ، سيفوهم فقاتلوهم أشد القتال ؛ فلماً أن تفرقوا عن المختار قال له أصحابه : أيها الأمير ، قد ذهب القوم فانصرف إلى منزلك إلى القصر ، فقال المختار : أما والله ما نزلت وأنا أريد أن آتي القصر ، فأما إذ انصرفوا فاركبوا بنا على اسم الله ؛ فجاء حتى دخل القصر فقال الأعشى^(٢) في قتل محمد بن الأشعث :

تَأَوَّبَ عَيْنَكَ عَوَّارُهَا وَعَادَ لِنَفْسِكَ تَذَكُّارُهَا

وإحدى لِيَا لِيكَ راجعتها
 وما ذاقَتِ العينُ طَعْمَ الرُّقَا
 وقَامَ نَعَاةُ أَبِي قَاسِمٍ
 فحقَّ العيونُ على آبنِ الأَشْجِ
 وألَّا تَزَالَ تُبْكِي له
 عليك مُحَمَّدٌ لَمَّا ثَوِي
 وما يَذْكُرُونَكَ إِلَّا بَكَوَا
 وعاريةً من لِيَا لِي الشَّيْثَا
 ولا يُنْبِجُ الكلبُ فيها العَقُو
 ولا يَنْفَعُ الثَّوبُ فيها الفَتَى
 فَأَنْتَ مُحَمَّدٌ فِي مِثْلِهَا
 تَظَلُّ حِفَانِكَ مَوْضُوعَةٌ
 وما فِي سَقَاتِكَ مُسْتَنْطَفٌ
 فَيَا وَاهِبَ الوُصْفَاءِ الصَّبَا
 وَيَا وَاهِبَ الجُرْدِ مِثْلَ القِدَا
 وَيَا وَاهِبَ البِكْرَاتِ الهِجَا
 وَكُنْتَ كَدِجْلَةٍ إِذْ تَرْتَمَى
 وَكُنْتَ جَلِيدًا وَذَا مِرَّةٍ
 وَكُنْتَ إِذَا بَلَدَةٌ أَصْفَقَتْ
 بَعَثْتَ عَلَيْهَا ذَوَاكِي العُيُ
 بِالْإِذْنِ مِنَ اللَّهِ وَالْخَيْلُ قَدْ
 وَقَدْ تُطْعَمُ الْخَيْلُ مِنْكَ الْوَجِي

أَرَقْتَ وَلَوْمْ سُمِّرُهَا
 دِ حَتَّى تَبْلُجَ إِسْفَارُهَا
 فَاسْبِلْ بِالْدمْعِ تَخْدَارُهَا
 أَلَّا يُفْتَرَّ تَقْطَارُهَا
 وَتَبْتَلُ بِالْدمْعِ أَشْفَارُهَا
 تَ تَبْكِي الْبِلَادُ وَأَشْجَارُهَا
 إِذَا ذِمَّةُ خَانِهَا جَارُهَا
 لا يَتَمَنَّحُ أَيْسَارُهَا
 رَ إِلَّا الْهَرِيرُ وَتَخْتَارُهَا
 وَلَا رَبَّةَ الْخِذْرِ تَخْدَارُهَا
 مُهِنُ الْجَزَائِرِ نَحَارُهَا
 تَسِيلُ مِنَ الشَّحْمِ أَصْبَارُهَا
 إِذَا الشَّوْلُ رَوْحَ أَغْبَارُهَا
 حَ إِنْ شُبِرَتْ تَمَّ إِشْبَارُهَا
 حَ قَدْ يُعْجِبُ الصَّفَّ شُورُهَا
 نَ عُوْدًا تَجَاوَبُ أَبْكَارُهَا
 فَيُقْدَفُ فِي الْبَحْرِ تِيَارُهَا
 إِذَا يُبْتَغَى مِنْكَ إِمْرَارُهَا
 وَأَذَنَ بِالْحَرْبِ جِبَارُهَا
 نَ حَتَّى تَوَاصِلَ أَخْبَارُهَا
 أُعِدَّ لَذَلِكَ مِضْمَارُهَا
 فَ حَتَّى تُنْبَذَ أَمْهَارُهَا

وقد تَعَلَّمُ البازلُ العَيْسَجُو رُ أَنْكَ بِالْحَبْتِ حَسَّارُهَا
 فِيا أَسْفَى يَوْمَ لَاقِيَتَهُمْ وَخَانَتْ رَجَالَكَ فُرَّارُهَا
 وَأَقْبَلَتْ الخَيْلُ مَهْزُومَةً عِشَارًا تُضْرَبُ أَدْبَارُهَا
 بِشَطِّ حُرُورَاءِ وَاسْتَجَمَعَتْ عَلَيْكَ المَوَالِي وَسَحَّارُهَا
 فَأَخْطَرْتَ نَفْسَكَ مِنْ دُونِهِمْ قَحَّازِ الرِّزِيَّةِ أَخْطَارُهَا
 فَلَا تَبْعَدَنَّ أَبَا قَاسِمٍ فَقَدْ يَبْلُغُ النَفْسَ مِقْدَارُهَا
 وَأَفْنَى الحَوَادِثُ سَادَاتِنَا وَمَرُّ اللَّيَالِي وَتَكَرَّارُهَا

٧٣١/٢

قال هشام : قال أبي : كان السائب أتى مع مُصْعِبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فقتله
 وَرَقَاءُ النَّخَعِيِّ مِنْ وَهْبِيلٍ ، فَقَالَ وَرَقَاءُ :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي عُبَيْدًا بِأَنِّي عُلُوتُ أَخَاهُ بِالْحُسَامِ الْمُهَنْدِ
 فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ عَنْهُ فَإِنَّهُ صَرِيحٌ لَدَى الدَّيْرَيْنِ غَيْرُ مُؤَسَّدِ
 وَعَمْدًا عُلُوتُ الرَّأْسِ مِنْهُ بِصَارِمٍ فَأَثْكَلْتُهُ سُفْيَانُ بَعْدَ مُحَمَّدِ

قال هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني حَصِيرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ،
 أَنَّ هِنْدًا بِنْتَ الْمُتَكَلِّفَةِ النَّاعِطِيَّةِ كَانَ يَجْتَمِعُ لَهَا كُلُّ غَالٍ مِنَ الشَّيْعَةِ
 فَيَتَحَدَّثُ فِي بَيْتِهَا فِي بَيْتِ لَيْلَى بِنْتِ قِسْمَةَ الْمُزْنِيَّةِ ، وَكَانَ أَخُوها رِفَاعَةُ
 ابْنِ قِسْمَةَ مِنَ شَيْعَةِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ مُقْتَصِدًا ، فَكَانَتْ لَا تُحِبُّهُ ، فَكَانَ
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجُدِّيُّ وَيَزِيدُ بْنُ شَرَّاحِيلَ قَدْ أَخْبَرَا ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ خَبَرَ هَاتَيْنِ
 الْمَرَاتَيْنِ وَغُلُوهُمَا وَخَبَرَ أَبِي الْأَحْرَاسِ الْمَرَادِيَّ وَالْبُطَيْنِ اللَّيْثِيَّ وَأَبِي الْحَارِثِ الْكِنْدِيَّ .

قال هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني يَحْيَى بْنُ أَبِي عَيْسَى ،
 قَالَ : فَكَانَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ قَدْ كَتَبَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ شَرَّاحِيلَ إِلَى الشَّيْعَةِ بِالْكُوفَةِ
 يُحَذِّرُهُمْ هَؤُلَاءِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ :

٧٣٢/٢

مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى مَنْ بِالْكُوفَةِ مِنْ شَيْعَتِنَا . أَمَّا بَعْدُ ، فَاخْرُجُوا
 إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْمَسَاجِدِ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِلَانِيَةً وَسِرًّا وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

بِطَانَةٍ ، فَإِنْ خَشِيتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوا عَلَى دِينِكُمُ الْكَذَّابِينَ ،
وَأَكْثَرُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالزَّكَاةَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ بِمِثْلِكِ
لِأَحَدٍ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ،
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَاللَّهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، فاعْمَلُوا
صَالِحًا ، وَقَدْ مَوَّاهُ لَأَنْفُسِكُمْ حَسَنًا ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

قال أبو ميخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله ، أن عبد الله بن
نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة حين خرج الناس إلى حروراء
وهو يقول : يوم الأربعاء ، ترفعت السماء ، ونزل القضاء ، بهزيمة الأعداء ،
فاخرجوا على اسم الله إلى حروراء . فخرج ، فلما التقى الناس للقتال ضرب
على وجهه ضربة ، ورجع الناس منهزمين ، ولقيته عبد الله بن شريك
الشهمدي ، وقد سمع مقالته ، فقال له : ألم تزعم لنا يا بن نوف أننا سنهزمهم !
قال : أو ما قرأت في كتاب الله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعْدَهُ أَمَّ
الْكِتَابِ ﴾ ! قال : فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من
أهل البصرة ومن خرج إليه من أهل الكوفة ، فأخذ بهم نحو السبخة ،
فر بالمهلب ، فقال له المهلب : يا لته فتحاً ما أهناه لو لم يكن محمد بن
الأشعث قتيلاً ! قال : صدقت ، فرحيم الله محمدًا . ثم سار غير بعيد ، ثم قال :
يا مهلب ، قال : لبئسك أيها الأمير ، قال : هل علمت أن عبيد الله بن
علي بن أبي طالب قد قُتِل ! قال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، قال :
المصعب : أمّا إنّه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ، ثم لا نجعل
أنفسنا أحق بشيء ممّا نحن فيه منه ، أتدري ^(١) من قتله ؟ قال : لا ، قال :
إنما قتله من يزعم أنّه لأبيه شيعة ، أما إنهم قد قتلوه وهم يعرفونه .
قال : ثم مضى حتّى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة ، وبعث
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فنزل الكناسة ، وبعث عبد الرحمن
ابن ميخنف بن سليم إلى جبانة السبيع ، وقد كان قال لعبد الرحمن بن ميخنف :
ما كنت صنعت فيها كنت وكّلتك به ؟ قال : أصلحك الله ! وجدت

٧٣٣/٢

الناسَ صِنْفَيْنِ ؛ أَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ فِيكَ هَوًى فَمُخْرَجٌ إِلَيْكَ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ يَرَى رَأْيَ الْمُخْتَارِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَدَّعِهِ ، وَلَا لِيُؤْثِرَ أَحَدًا عَلَيْهِ ، فَلَمْ أُبْرِجْ بِسَيِّئِي حَتَّى قَدِمْتَ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ؛ وَبَعَثَ عَبَادُ بْنُ الْحُصَيْنِ إِلَى جَبَبَانَةَ كِنْدَةَ ، فَكُلَّ هَؤُلَاءِ كَانَ يَتَقَطَّعُ عَنِ الْخِتَارِ وَأَصْحَابِهِ الْمَاءَ وَالْمَادَّةَ ، وَهُمْ فِي قَصْرِ الْمُخْتَارِ ، وَبَعَثَ زَحْرُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى جَبَبَانَةَ مُرَادَ ، وَبَعَثَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنُ الْحَرِّ إِلَى جَبَبَانَةَ الصَّائِدِيَّينَ .

٧٣٤/٢

قال أبو مخنف : وَحَدَّثَنِي فَضَيْلُ بْنُ خَدَّاجٍ ، قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ ابْنَ الْحَرِّ ؛ وَإِنَّهُ لَيُطَارِدُ أَصْحَابَ خَيْبَلِ الْمُخْتَارِ ، يُقَاتِلُهُمْ فِي جَبَبَانَةَ الصَّائِدِيَّينَ وَلَرَبَّمَا رَأَيْتُ خَيْلَهُمْ تَتَطَرَّدُ خَيْلَهُ ، وَإِنَّهُ لَوَرَاءَ خَيْلِهِ يَحْمِيهِمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى دَارِ عِكْرِمَةَ ، ثُمَّ يَسْكُرُ رَاجِعًا هُوَ وَخَيْلُهُ ، فَيَطْرُدُهُمْ حَتَّى يُلْحَقَهُمْ بِجَبَبَانَةَ الصَّائِدِيَّينَ ، وَلَرَبَّمَا رَأَيْتُ خَيْلَ عُبَيْدِ اللَّهِ قَدْ أَخَذَتْ السَّقَاءَ وَالسَّقَاءِينَ فَيُضْرَبُونَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَأْتُونَهُمْ بِالْمَاءِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُعْطُونَهُمْ بِالرَّأْوِيَةِ الدِّينَارَ وَالِدِّينَارَيْنِ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجَهْدِ . وَكَانَ الْمُخْتَارُ رَبَّمَا خَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَقَاتَلُوا قِتَالًا ضَعِيفًا ، وَلَا نَكَايَةَ لَهُمْ ، وَكَانَتْ لَا تَخْرُجُ لَهُ خَيْلٌ إِلَّا رُمِيَتْ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْمَاءُ الْقَدِيرُ . وَاجْتَرَأَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ ، فَكَانَتْ مَعَايِشُهُمْ أَفْضَلُهَا مِنْ نِسَائِهِمْ ، فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَخْرُجُ مِنْ مَنَازِلِهَا مَعَهَا الطَّعَامُ وَاللَّطْفُ وَالْمَاءُ ، قَدْ التَّحَفَتْ عَلَيْهِ ، فَتَخْرُجُ كَأَنَّمَا تَرِيدُ الْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ لِلصَّلَاةِ ، وَكَأَنَّمَا تَأْتِي أَهْلَهَا وَتَزُورُ ذَاتَ قَرَابَةٍ لَهَا ، فَإِذَا دَنَتْ مِنَ الْقَصْرِ فَتُتَحَّجُّ لَهَا ، فَدَخَلَتْ عَلَى زَوْجِهَا وَحَمِيمِهَا بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَلَطْفِهِ . وَإِنْ ذَلِكَ بَلَغَ الْمَصْعَبَ وَأَصْحَابَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ - وَكَانَ مَجْرَبًا : اجْعَلْ عَلَيْهِمْ دُرُوبًا حَتَّى تَمْنَعَ مِنْ يَأْتِيهِمْ مِنْ أَهْلِيهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ ، وَتَدَّعِهِمْ فِي حِصْنِهِمْ حَتَّى يَمُوتُوا فِيهِ . وَكَانَ الْقَوْمُ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ فِي قَصْرِهِمْ اسْتَقَرُّوا مِنْ مَاءِ الْبَيْرِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ بَعْثَ فُصْبٍ فِيهِ لِيُغَيِّرَ طَعْمَهُ فَيَشْرَبُوا مِنْهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَيْضًا مِمَّا يُرَوَّى أَكْثَرُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ مَصْعَبًا أَمَرَ أَصْحَابَهُ فَاقْبَرُوا مِنَ الْقَصْرِ ، فَجَاءَ عَبَادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبِطِيُّ حَتَّى نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ جُبْهَيْسَةَ ، وَكَانَ رَبَّمَا تَقَدَّمَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَسْجِدِ

بنى مخزوم ، وحتى يرمى أصحابه من أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر ، وكان لا يلتقي امرأة قريباً من القصر إلا قال لها : من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ وما تريد ؟ فأخذ في يوم ثلاث نساء للشبابيين وشاكر أثنين أزواجهن في القصر ، فبعث بهن إلى مصعب ، وإن الطعام لمعهن ، فردهن مصعب ولم يعرض لهن ، وبعث زحر بن قيس ، فزك عند الحدادين حيث تكرر الدواب ، وبعث عبيد الله بن الحر فكان موقفه عند دار بلال ، وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه ، وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند فم سكة بني جنديمة بن مالك من بني أسد بن خزيمة ، وجاء المهلب يسير حتى نزل جهار سوج خنيس ، وجاء عبد الرحمن بن مخنف من قبل دار السقاية ، وابتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة ، أغمار ليس لهم علم بالحرب ، فأخذوا يصيحون — وليس لهم أمير : يابن دومة ، يابن دومة ! فأشرف عليهم المختار فقال : أما والله لو أن الذي يعيرني بدومة كان من القرابتين عظيمًا ما عيرني بها . وبصر بهم وبتفرقهم وحيثهم وانتشارهم ، فطمع فيهم ، فقال لطائفة من أصحابه : اخرجوا معي ، فخرج معه منهم نحو من مائتي رجل ، ففكر عليهم ، فشدخ نحوًا من مائة ، وهزمهم ، فركب بعضهم بعضًا ، وأخذوا على دار فرات بن حيان العجلى . ثم إن رجلا من بني ضبة من أهل البصرة يقال له يحيى بن ضمضم ، كانت رجلاه تكادان تسخطان الأرض إذا ركب من طوله ، وكان أقتل شيء للرجال وأهيبته عندهم إذا رأوه ، فأخذ يحمل على أصحاب المختار فلا يثبت له رجل صمد صمده ، وبصر به المختار ، فحمل عليه فضربه ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه ، وخر ميتًا . ثم إن تلك الأمراء وتلك الرؤوس أقبلوا من كل جانب ، فلم تكن لأصحابه بهم طاقة ، فدخلوا القصر ، فكانوا فيه ، فاشتد عليهم الحصار فقال لهم المختار : ويحكم ! إن الحصار لا يزيديكم إلا ضعفًا ، انزلوا بنا فلنقاتل حتى نقتل كرامًا إن نحن قتلنا ، والله ما أنا بآيس إن صدقتموه

أَنْ يَنْصَرِّكُمُ اللَّهُ ، فَضَعَّفُوا وَعَجِزُوا ، فَقَالَ لَهُمُ الْمُخْتَارُ : أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أُعْطَى بِيَدَيْ وَلَا أَحْكَمُهُمْ فِي نَفْسِي . وَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَعْدَةَ بْنَ هُبَيْرَةَ ابْنَ أَبِي وَهَبٍ مَا يَرِيدُ الْمُخْتَارُ تَدَلَّى مِنَ الْقَصْرِ بِحَبْلٍ ، فَلَحِقَ بِأَنَاسٍ مِنْ إِخْوَانِهِ ، فَاخْتَبَأَ عِنْدَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ الْمُخْتَارَ أَرْمَعَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْقَوْمِ حِينَ رَأَى مِنْ أَصْحَابِهِ الضَّعْفَ ، وَرَأَى مَا بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْفُشْلِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ أُمِّ ثَابِتِ بِنْتِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبِ الْفَزَارِيِّ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِطِيبٍ كَثِيرٍ ، فَاعْتَسَلَ وَتَحَنَّنَ ، ثُمَّ وَضَعَ ذَلِكَ الطِّيبَ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا ؛ فِيهِمُ السَّائِبُ بْنُ مَالِكِ الْأَشْعَرِيُّ — وَكَانَ خَلِيفَتَهُ عَلَى الْكُوفَةِ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمَدَائِنِ — وَكَانَتْ تَحْتَهُ عَمْرَةُ بِنْتُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ غَلَامًا ، فَسَمَاهُ مُحَمَّدًا ، فَكَانَ مَعَ أَبِيهِ فِي الْقَصْرِ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَبُوهُ وَأُخِذَ مَنَ فِي الْقَصْرِ وَجِدَ صَبِيًّا فَتُرِكَ ، وَلَمَّا خَرَجَ الْمُخْتَارُ مِنَ الْقَصْرِ قَالَ لِلْسَّائِبِ : مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : الرَّأْيُ لَكَ ، فَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : أَنَا أَرَى أُمَّ اللَّهِ يَتَرَى ! قَالَ : اللَّهُ يُرَى ، قَالَ : وَيَحْكُكَ ! أَحْمَقُ أَنْتَ ! إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ رَأَيْتُ ابْنَ الزَّبِيرِ انْتَزَى عَلَى الْحِجَازِ ، وَرَأَيْتُ نَجْدَةَ انْتَزَى عَلَى الْيَمَامَةِ ، وَمُرَوَانَ عَلَى الشَّامِ ، فَلَمْ أَكُنْ دُونَ أَحَدٍ مِنَ رِجَالِ الْعَرَبِ ، فَأَخَذْتُ هَذِهِ الْبِلَادَ ، فَكُنْتُ كَأَحَدِهِمْ ؛ إِلَّا أَنِّي قَدْ طَلَبْتُ بَثْرَ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَامَتْ عَنْهُ الْعَرَبُ ، فَقَتَلْتُ مَنْ شَرَكْتُ فِي دِمَائِهِمْ ، وَبَالَغْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا ، فَقَاتِلْ عَلَى حَسْبِكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ نِيَّةٌ ؛ فَقَالَ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، وَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ أَنْ أَقَاتِلَ عَلَى حَسْبِي ! فَقَالَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مُعْتَبٍ الثَّقَفِيِّ : وَلَوْ يَرَانِي أَبُو غَيْلَانَ إِذْ حَسَرَتْ عَنِّي الْهَمُومُ بِأَمْرِ مَا لَهُ طَبَقُ لَقَالَ رُهْبًا وَرُغْبًا يُجْمَعَانِ مَعًا غُنْمُ الْحَيَاةِ وَهَوْلُ النَّفْسِ وَالشَّفَقُ إِمَّا تُسِفُ عَلَى مَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ أَوْ إِسْوَةٌ لَكَ فِيمَنْ تُهْلِكُ الْوَرَقُ فَخَرَجَ فِي سَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا فَقَالَ لَهُمْ : أَتُؤْمِنُونِي وَأَخْرُجُ إِلَيْكُمْ ؟ فَقَالُوا : لَا ، إِلَّا عَلَى الْحُكْمِ ، فَقَالَ : لَا أَحْكَمُكُمْ فِي نَفْسِي أَبَدًا ، فَضَارِبٌ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ ، وَقَدْ كَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ أَبَوْا أَنْ يُتَابِعُوهُ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ :

إذا أنا خرجتُ إليهم فقتلتُ لم تَزِدْادوا إلَّا ضَعْفًا وذُلًّا ، فإنْ نزلتم على حكمهم وثبَّ أعداؤكم الذين قد وتَرْتَمَوْهم ، فقال كلُّ رجلٍ منهم لبعضكم : هذا عنده ثأرى فيُقتل ، وبعضكم يَنْظُرُ إلى مَصَارِعِ بعض فيقولون : يا لَيْسَتْنَا أَطْعَمْنَا المختار وعَمَلْنَا برأيه ! ولو أنكم خرجتم معي كتمَّ إن أخطأتُم الظفرَ مَتَمَّ كرامًا ، وإن هرب منكم هاربٌ فدخل في عشيرته اشتملتُ عليه عشيرته ؛ أنتم غدًا هذه الساعة أذلَّ مَنْ على ظَهَرِ الأرض ، فكان كما قال .

قال : وزَعَمَ الناسُ أن المختارَ قُتِلَ عند موضع الزِيَّاتَيْنِ اليومَ ، قتله رجلان من بني حَنَيفَةَ أخوان يُدْعَى أحدهما طَرْفَةَ والآخر طَرَفًا ؛ ابنا عبد الله بن دَجَاجَةَ من بني حَنَيفَةَ . ولَمَّا كان من الغَدِ من قتل المختار قال بُجَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُسَلِّىُّ : يا قوم ، قد كان صاحبُكم أَمْسَ أشار عليكم بالرأى لو أَطْعَمْتُمُوهُ . يا قوم ، إنكم إن نزلتم على حُكْمِ القومِ ذُبِجْتُمْ كما تُذْبَحُ الغنمُ ، اخرجُوا بأسيا فكم فقاتلوا حتى نموتوا كرامًا . فعصَوْهُ وقالوا : لقد أَمَرْنَا بهذا مَنْ كان أطوعَ عندنا وأنصح لنا منك ، فعصَيْنَاهُ ، أَفَنَحْنُ (١) نُطِيعُكَ ! فأمكن القوم من أنفسهم ، ونزلوا على الحُكْمِ . فبعث إليهم مصعبُ (٢) عباد بن الحُصَيْنِ الحَبِطَى فكان هو يُخْرِجُهُمْ مَكْتَفِينَ ، وأوصى عبد الله بن شدَّاد الجُشَمَى إلى عباد بن الحُصَيْنِ ، وطلب عبد الله ابنَ قُرَادٍ عَصًا أو حديدَةً أو شيئًا يقاتل به فلم يَجِدْهُ ، وذلك أن النَّدَامَةَ أدركته بعد ما دخلوا عليه ، فأخذُوا سيفَه ، وأخرجوه مَكْتُوفًا ، فَرَّ به عبدُ الرحمن وهو يقول :

٧٣٩/٢

ما كنتُ أخشى أن أرى أَسِيرًا إِنَّ الذين خالفُوا الأَمِيرَا
قد رُغِمُوا وتَبَرُّوا تَتَبِيرًا *

فقال عبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ : علىّ هذا ، قد موه إلىّ أَضْرِبَ عنقه ، فقال له : أما إني على دين جدِّك الذى آمنَ ثمَّ كَفَرَ ؛ إن لم أكن ضربتُ أباك بِسَيْفِي حتى فاطَ . فنزل ثم قال : أدنوه منى ، فأدنوه منه ،

فقتله ، فغضب عبّاد ، فقال : قتلته ولم تؤمّر بقتله !

ومرّ بعبد الله بن شدّاد الجُشمي وكان شريفاً ، فطلب عبد الرحمن إلى عبّاد أن يسجسه حتى يكلم فيه الأمير ، فأتى مُصعباً ، فقال : إني أحبّ أن تدفع إلى عبد الله بن شدّاد فأقتله ، فإنه من الثّار ، فأمر له به ، فلما جاءه أخذه ف ضرب عنقه ، فكان عبّاد يقول : أما والله لو علمت أنك إنما تريد قتله لدفعته إلى غيرك فقتله ، ولكني حسبت أنك تكلمه فيه فتخلّى سبيله . وأتى بابن عبد الله بن شدّاد ، وإذا اسمه شدّاد ، وهو رجل محتلم ، وقد اطلّ بنويرة ، فقال : اكشفوا عنه هل أدرك ! فقالوا : لا ، إنما هو غلام ، فخلوا سبيله ، وكان الأسود بن سعيد قد طلب إلى مُصعب أن يعرض على أخيه الأمان ، فإن نزل تركه له ، فأثاه فعرض عليه الأمان ، فأبى أن ينزل ، وقال : أموت مع أصحابي أحبّ إلى من حياة معكم ، وكان يقال له قيس ، فأخرج فقتل فيمن قتل ؛ وقال بُجير بن عبد الله المُسليّ - ويقال : كان مولى لهم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناس كثير - فقال له المُسليّ : الحمد لله الذي ابتلانا بالإسار ، وابتلاك بأن تعفو عنا ، وهما منزِلتان إحداهما رضا الله ، والأخرى سخطه ، من عفا عفاً الله عنه ، وزاده عزاً ، ومن عاقب لم يأمن القصاص . يابن الزبير ، نحن أهل قبيلتكم ، وعلى ميلتكم ، ولسنا تُركاً ولا ديلمًا ، فإن خالفنا إخواننا من أهل مِصرنا فإما أن نكون أصبنا وأخطئوا ، وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقْتلتنا كما اقتتل أهل الشام بينهم ، فقد اختلفوا واقتتلوا (١) ثم اجتمعوا ، وكما اقتتل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصطَلَحوا واجتمعوا ، وقد ملكتم فأسجِحوا ، وقد قدّرتُم فاعفُوا . فما زال بهذا القول ونحوه حتى رَقّ لهم الناس ، ورقّ لهم مصعب ، وأراد أن يخلّى سبيلهم ، فقام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : تَخْلَى (٢) سبيلهم ! اخترنا يابن الزبير أو اخترهم . وثب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهَمْدانيّ

(١) ف : « فقد اقتتلوا واختلفوا » .

(٢) ف : « أتخل » .

فقال : قَتِلْ أَبِي وَخَمْسَمِائَةٍ مِنْ هَمْدَانَ وَأَشْرَافِ الْعَشِيرَةِ وَأَهْلِ الْمَصْرِ^(١) ثُمَّ
تَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، وَدَمَاؤُنَا تَرَقَّرَقَ فِي أَجْوَاهِهِمْ ! اخْتَرْنَا أَوْ اخْتَرَهُمْ . وَوَتَّبَعَ
كُلَّ قَوْمٍ وَأَهْلَ بَيْتٍ كَانَ أَصِيبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ فَقَالُوا نَحْوًا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ .
فَلَمَّا رَأَى مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ ذَلِكَ أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، فَنَادَوْهُ بِأَجْمَعِهِمْ : يَا بَنَ
الزَّيْبِرِ ، لَا تَقْتُلْنَا ، اجْعَلْنَا مَقْدَمَتَكَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ غَدًا ، فَوَاللَّهِ مَا بِكَ وَلَا
بَأَصْحَابِكَ عَنَّا غَدًا غِنَى ، إِذَا الْقَيْمُ عَدَوْكُمْ فَإِنْ قَتَلْنَا لَمْ نَقْتُلْ حَتَّى نَرْقَهُمْ لَكُمْ^(٢) ،
وَلِنْ ظَنَرْنَا بِهِمْ كَانَ ذَلِكَ لَكَ وَلِنْ مَعَكَ . فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَتَبَعَ رِضَا الْعَامَةِ ،
فَقَالَ بِحَيْرِ الْمُسْلِمِيِّ : إِنْ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَلَا أَقْتُلَ مَعَ هَؤُلَاءِ [الْقَوْمِ]^(٣) إِنْ أَمَرْتُهُمْ
أَنْ يَخْرُجُوا بِأَسْيَافِهِمْ فَيَقَاتِلُوا حَتَّى يَمُوتُوا كِرَامًا فَعَصَوْنِي ، فَقُدِّمَ فُقْتُلَ .

٧٤١/٢

قَالَ أَبُو مِخْزَنَفٍ : وَحَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو رَوْحٍ أَنَّ مَسَافِرَ بْنَ
سَعِيدِ بْنِ نَيْمَرَانَ قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ : يَا بَنَ الزَّيْبِرِ ، مَا تَقُولُ لِلَّهِ إِذَا قَدِمْتَ
عَلَيْهِ وَقَدْ قَتَلْتَ أُمَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ صَبْرًا ! حَكَكَوْكَ فِي دِمَائِهِمْ ، فَكَانَ الْحَقُّ
فِي دِمَائِهِمْ أَلَّا تَقْتُلَ نَفْسًا^(٤) مُسْلِمَةً بِغَيْرِ نَفْسِ مُسْلِمَةٍ ، فَإِنْ كُنَّا قَتَلْنَا
عِدَّةَ رِجَالٍ مِنْكُمْ فَاقْبَلُوا عِدَّةَ مَنْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ ، وَخَلَّوْا سَبِيلَ بَقِيَّتِنَا ، وَفِينَا^(٥) الْآنَ
رِجَالٌ كَثِيرٌ لَمْ يَشْهَدُوا مَوْطِنًا مِنْ حَرْبِنَا وَحَرْبِكُمْ يَوْمًا وَاحِدًا ، كَانُوا فِي الْجِبَالِ
وَالسَّوَادِ يَسْجُونَ الْخُرَاجَ ، وَيُؤْمِنُونَ السَّبِيلَ . فَلَمْ يَسْتَمِعْ لَهُ ، فَقَالَ : قَبَّحَ
اللَّهُ قَوْمًا أَمَرْتُهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا لَيْلًا عَلَى حَرَسِ سَكَّةٍ مِنْ هَذِهِ السَّكَّةِ فَنَطْرُدُهُمْ ،
ثُمَّ نَسْلُحُ بِعَشَائِرِنَا ، فَعَصَوْنِي حَتَّى حَسَمَلُونِي عَلَى أَنْ أُعْطِيتِ الَّتِي هِيَ أَنْقَصُ
وَأَدْنَى وَأَوْضَعُ ، وَأَبَوْا أَنْ يَمُوتُوا إِلَّا مِيتَةَ الْعَبِيدِ ، فَأَنَا أَسْأَلُكَ أَلَا تَسْخِطُ دُمَى
بِدِمَائِهِمْ . فَقُدِّمَ فُقْتُلَ نَاحِيَةً^(٦) .

٧٤٢/٢

ثُمَّ إِنْ الْمُصْعَبِ أَمَرَ بِكَتْفِ الْخُتَارِ فَقَطَّعَتْ ثُمَّ سُمِّرَتْ بِمِيسَمَارِ
حَدِيدٍ إِلَى جَنْبِ^(٧) الْمَسْجِدِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ الْحِجَّاجُ بْنُ
يُوسُفَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ قَالُوا : كَتَفَ الْخُتَارِ ،
فَأَمَرَ بِنَزْعِهَا . وَبَعَثَ مُصْعَبُ عُمَّالَهُ عَلَى الْجِبَالِ وَالسَّوَادِ ،

(١) ف : « والمصر » . (٢) ف : « لك » .

(٣) من ف . (٤) ف : « ألا تقتل نفس مسلمة » .

(٥) « ففينا » . (٦) ف : « ناحية فقتل » . (٧) ف : « جانب » .

ثم إنه ^(١) كتب إلى ابن الأشتر ^(٢) يدعوه إلى طاعته ، ويقول له : إن أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك الشام وأعينة الخيل ، وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام آل الزبير سلطان . وكتب ^(٣) عبد الملك بن مروان من الشام إليه يدعوه إلى طاعته ، ويقول : إن أنت أجبتني ودخلت في طاعتي فلك العراق . فدعا إبراهيم أصحابه فقال : ما ترون ؟ فقال بعضهم : تدخل في طاعة عبد الملك ، وقال بعضهم : تدخل مع ابن الزبير في طاعته ، فقال ابن الأشتر : ذلك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبع عبد الملك ؛ مع أني لا أحب أن أختار على أهل مصرى مصرًا ، ولا على عشيرتي عشيرة . فكتب إلى مصعب ، فكتب إليه مصعب أن أقبل ، فأقبل إليه بالطاعة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جستان الكلبي أن كتاب مصعب قدم على ابن الأشتر وفيه :

أما بعد ، فإن الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر ، وكادوا بالسحر ^(٤) ، وإننا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإلى بيعة أمير المؤمنين ، فإن أجبت إلى ذلك فأقبل إلى ، فإن لك أرض الجزيرة وأرض المغرب ^(٥) كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير ، لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد ؛ والسلام . وكتب إليه عبد الملك بن مروان :

أما بعد ، فإن آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى ، ونازعوا الأمر أهله ، وألحدوا في بيت الله الحرام ^(٦) والله مُمَكِّن منهم ، وجاعل دائرة السوء عليهم ، وإنني أدعوك إلى الله وإلى سنة نبيه ، فإن قبلت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت ، على بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه .

قال : فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب ، واستشارهم في الرأي ، فقائل

(١) ف : « وإنه » . (٢) ف : « إبراهيم بن الأشتر » .

(٣) ف : « وكتب إليه » . (٤) ف : « وكانوا علماء بالسحر » .

(٥) ١ ، س : « العرب » . (٦) ف : « واتخذوا الحرم حلا » .

(٧) ف : « فاني » .

يقول عبد الملك ؛ وقائل يقول : ابن الزبير ؛ فقال لهم : ورأى اتباع أهل الشام ، ولكن كيف لي بذلك ، وليس قبيلة تسكن الشام إلا وقد وترتوها ، ولست ببارك عشيرتي وأهل مصري^(١) ! فأقبل إلى مصعب ، فلما بلغ مصعباً إقباله^(٢) بعث المهلب إلى عمله ، وهي^(٣) السنة التي نزل فيها المهلب على الفرات .

قال أبو مخنف : حدثني أبو علقمة الخثعمي أن المصعب بعث إلى أمّ ثابت بنت سمرّة بن جندب امرأة المختار وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري - وهي امرأة المختار - فقال لهما : ما تقولان في المختار ؟ فقالت أمّ ثابت : ما عسينا أن نقول ! ما نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم ، فقالوا لها : اذهبي ، وأما عمرة فقالت : رحمة الله عليه ، إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فرفعها مصعب إلى السجن ، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير إنها تزعم أنه نبي ، فكاتب إليه أن أخرجها فاقتلها . فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة ، فضرَبَها مطرٌ ثلاث ضربات بالسيف - ومطرٌ تابع لآل قنقل من بني تميم الله بن ثعلبة ، كان يكون مع الشرط - فقالت : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه ! فسمع بها بعض الأنصار ، وهو أبان بن النعمان بن بشير ، فأتاه فلطمه وقال له : يا ابن الزانية ، قطعت نفسك قطع الله يمينك ! فلزِمه حتى رفعه إلى مصعب ، فقال : إن أمي مسلمة ، وادّعى شهادة بني قنقل ، فلم يشهد له أحد ؛ فقال مصعب : خلّوا سبيل الفتي فإنه رأى أمراً فظيعاً ، فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عمرة بنت النعمان بن بشير :

إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عُطُولِ^(٣)
قَتَلْتُ هَكَذَا عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إِنَّ اللَّهَ دَرَّهَا مِنْ قَتْلِ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحَصَّنَاتِ جُرُّ الدُّيُولِ

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن يوسف ، أن مصعباً لقي عبد الله بن

(١) ف : « ولا أهل مصري » . (٢) بعدها في ف : « إليه » . (٣) ملحق ديوانه ٤٩٨ .

عمر فسلم عليه ، وقال له : أنا ابنُ أخيك مصعب ، فقال له ابنُ عمر : نعم ، أنتَ القاتلُ سبعةَ آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ! عيش ما استطعت ! فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة سحرة ؛ فقال ابنُ عمر : والله لو قتلت عدتَّهم غنمًا من ثراث أبيك لكان ذلك سرَفًا ، فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك :

أنى راكبٌ بالأمردى النبأ العجبُ بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسبُ
بقتل فتاة ذات دلٍ ستيرةٍ مُهذَّبة الأخلاقِ والخيمِ والنسبِ
مطهرةٍ من نسل قوم أكارمٍ من المؤثرين الخير في سالفِ الحقبِ
خليلُ النبي المصطفى ونصيرهُ وصاحبه في الحرب والنكبِ والكربِ
أتانى بأنَّ الملحدين توافقوا على قتلها لاجنبوا القتلَ والسلبِ
فلا هنأت آلَ الزبير معيشةُ وذاقوا لباسَ الدلِّ والخوفِ والحربِ
كانهم إذ أبرزوها وقطعتُ بأسِافهم فازوا بِمملكة العربِ ٧٤٦/٢
ألم تعجبِ الأقوامُ من قتلِ حرَّةٍ من الْمُحْصَنَاتِ الدِّينِ محمودَةِ الأدبِ!
من الغافلاتِ المؤمناتِ ، بريئةٍ من البذمِ والبُهتانِ والشكِّ والكذبِ
علينا كتابُ القتلِ والبأسِ واجبٌ وهُنَّ العفافُ في الجبالِ وفي العُجُبِ
على دينِ أجدادٍ لها وأبوةٍ كرامٍ مَضَّتْ لَمْ تُخْزِ أَهْلًا وَلَمْ تُرْبِ
من الخفريات لا خروُجٌ بذيَّةٍ مُلائمة تَمِغِي على جَارِهَا الجُنْبِ
ولا الجارِ ذى القُرْبَى ولم تَدْرِ ما الخنا ولم تَزْدَلِ يوماً بسوءٍ ولم تَحِبْ
عَجِبْتُ لها إذ كُفِّنَتْ وَهِيَ حَيَّةٌ أَلَا إِنَّ هَذَا الْخَطْبُ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ

حدثت عن علي بن حرب الموصلى ، قال : حدثني إبراهيم بن سليمان الحنفى ، ابن أخى أبى الأحوص ، قال : حدثنا محمد بن أبان ، عن علقمة بن مرثد ، عن سويد بن غفلة ، قال : بَسِنا أنا أسيرُ بظَهْر النَجفِ إذ لَحَقْنِي رَجُلٌ فَطَعَنَنِي بِمِخْصَرَةٍ مِنْ خَلْقِي ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ :

ما قولك في الشيخ ؟ قلتُ : أيّ الشيوخ ؟ قال : عليّ بنُ أبي طالب ؛ قلتُ : إني أشهد أنّي أحبه بسَمْعِي وبَصَرِي وَقَلْبِي وَلِسَانِي ؛ قال : وأنا أشهدك أنّي أبغضه بسَمْعِي وبَصَرِي وَقَلْبِي وَلِسَانِي . فسرنا حتى دخلنا الكوفة ، فافترقنا ، فمكث بعد ذلك سنين - أو قال : زماناً - قال : ثمّ إني لني المسجد الأعظم إذ دخل رجلٌ معتمٌ يتصفّح وجوه الخلق ، فلم يزل ينظر فلم يرَ كُحَيّ أحق من لُحَيّ همدان ، فجلس إليهم ، فتحوّلْتُ فجلستُ معهم ، فقالوا : من أين أقبلت ؟ قال : من عند أهل بيت نبيكم ، قالوا : فإذا جئتنا به ؟ قال : ليس هذا موضع ذلك ، فوعدهم من الغد موعداً ، فغداً وغدوت ، فإذا قد أخرج كتاباً معه في أسفل طابع من رصاص ، فدفعه إلى غلام ، فقال له : يا غلام ، اقرأه - وكان أمياً لا يكتب - فقال الغلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ للمختار بن أبي عبيد كتبه له وصي آل محمد ؛ أمّا بعد فكذا وكذا .

فاستفرغ القوم البكاء ، فقال : يا غلام ، ارفع كتابك حتى يُفريق القوم ؛ قلتُ : معاشر همدان ، أنا أشهد بالله لقد أدركني هذا بظهر النجف ، فقَصَصْتُ عليهم قصّته ، فقالوا : أبست والله إلا تشيطا عن آل محمد ، وتزييناً لنعمتل شقاق المصاحف . قال : قلتُ : معاشر همدان ، لا أحدٌ تكلم إلا ما سمعته أذُنائي ، ووعاه قلبي من عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، سمعته يقول : لا تُسمّوا عثمان شقاق المصاحف ، فوالله ما شققها إلا عن ملائمتنا أصحاب محمد ، ولو وليتها لعَمِلْتُ فيها مثل الذي عمل ؛ قالوا : آله أنت^(١) سمعت هذا من عليّ ؟ قلتُ : والله لأنّا سمعته منه^(٢) ، قال : فتفرّقوا عنه ، فعند ذلك مال إلى العبيد ، واستعان بهم ، وصنع ما صنع .

٧٤٨/٢

قال أبو جعفر : واقتصر الواقدي من خبر المختار بن أبي عبيد بعض ما ذكرنا ، فخالف فيه مَنْ ذكرنا خبره ، فزعم أنّ المختار إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مُصْعَب البصرة ، وأنّ مُصْعَباً لما

(١) ف : « أنك » . (٢) ١ : « والله ما قلت إلا ما سمعته منه » .

سار إليه فبلغه مسيره إليه بعث إليه أحمر بن شُمَيْط البَجَلِيّ، وأمّره أن يواقعَه بالمَدَار، وقال: إن الفتح بالمَدَار؛ قال: وإنما قال ذلك المختار لأنه قيل: إن رجلاً من ثَقِيف يَفْتَحُ عليه بالمَدَار فتحٌ عظيمٌ، فظنّ أنه هو، وإنما كان ذلك للحجّاج بن يوسف في قتاله عبد الرحمن بن الأشعث. وأمر مصعبٌ صاحبَ مقدّمته عبيد الحَبَسَطَى أن يسيرَ إلى جَمْعِ المُخْتَار فتقدّم وتقدّم معه عبيدُ الله بنُ عليّ بن أبي طالب، ونزل مصعب، نهرَ البصريّين على شطّ الفرات، وحفّرَ هنالك نهرًا فسُمّيَ نهر البصريّين من أجل ذلك. قال: وخرج المختارُ في عشرين ألفًا حتى وقف بإزائهم وزحف مصعبٌ ومن معه، فوافَوْه مع الليل على تعبئة، فأرسل إلى أصحابه حين أمسى: لا يَبْرَحَنَّ أحدٌ منكم موقفه حتى يسمع منادياً ينادى: يا محمد، فإذا سمعتموه فاحمِلُوا. فقال رجل من القوم من أصحاب المختار: هذا والله كذاب على الله، وانحازَ ومنّ معه إلى المصعب، فأمهّل المُخْتَار حتى إذا طلع القمرُ أمرَ منادياً، فنادى: يا محمد؛ ثمّ حَمَلُوا على مُصْعَب وأصحابه فهُزِمُوا، فأدخلوه عسكره، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختارُ وليس عنده أحد، وإذا أصحابه قد وَغَلُوا في أصحاب مصعب، فانصرف المختارُ منهزماً حتى دخل قصر الكوفة، فجاء أصحابُ المُخْتَار حين أصبحوا، فوَقَعُوا مَكِيباً، فلم يروا المختار، فقالوا: قد قُتِلَ، فَهَرَبَ منهم مَنْ أطاق الهَرَبَ، واختَفَسُوا في دُور الكوفة، وتوجّهَ منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يَسْجِدُوا مَنْ يقاتل بهم، ووجدوا المختارَ في القَصْرِ، فدَخَلُوا معه، وكان أصحاب المختار، قتلوا^(١) في تلك الليلة من أصحاب مصعب^(٢) بشراً كثيراً، فيهم محمد بنُ الأشعث، وأقبلَ مُصْعَبٌ حين أصبح حتى أحاط بالقصر، فأقام مصعبٌ يُحَاصِرُه أربعةَ أشهرٍ يَخْرُجُ إليهم في كلِّ يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد، ولا يُقدِرُ عليه حتى قُتِلَ المختار، فلما قُتِلَ المختار بعثَ مَنْ في القصر يطلب الأمان، فأبى مصعب حتى نزلوا على حُكْمِهِ، فلما نزلوا على حُكْمِهِ قَتَلَ من العرب سبعمائة أو نحو ذلك، وسائرهم

٧٤٩/٢

من العَجَم ؛ قال : فلما خرجوا أراد مُصْعَبُ أَنْ يَقْتُلَ العجمَ ويتركَ العربَ ، فكلّمه من معه ، فقالوا : أى دينٍ هذا ؟ وكيف ترجو النصرَ وأنت تقتلُ العَجَمَ وتتركُ العربَ ودينَهُمَ واحد ! فقدّمهم فضرَبَ أعناقَهُم .

قال أبو جعفر : وحدّثنى عمرُ بنُ شُبّة ، قال : حدّثنا عليّ بن محمد ، قال : لما قُتِلَ المختارُ شاور مصعبُ أصحابه في المحصورين الذين نزلوا على حكمه ، فقال عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ الأشعث ومحمد بنُ عبد الرحمن ابنِ سعيد بنِ قيس وأشباهُهُم ممّن وترهم المُختار : اقتلْهم ، وضجّت ضجّةً ، وقالوا : دَمٌ مُنْذِرُ بنِ حسان ؛ فقال عبيد الله بن الحُرّ : أيّها الأمير ، ادفَعْ كُلَّ رجلٍ في يديكَ إلى عشيرته تمنّ عليهم بهم ، فإنهم إن كانوا قَتَلُونَا فقد قَتَلُونَاهُمْ ، ولا غنيّ بنا عنهم في ثغورنا ، وادفع عبيدنا الذين في يديكَ إلى موالِيهِم فإنهم لأيتامنا وأرامِلنا وضِعْفَانَا ، يردّونهم إلى أعمالهم ، واقتل هؤلاء الموالى ، فإنهم قد بدا كفرُهم ، وعظُمُ ^(١) كبرُهم ، وقلّ شُكْرُهم . فَصَحَّحَ مُصْعَبُ وقال للأحنف : ما تَرَى يا أبا بَـحْرٍ ؟ قال : قد أرادنى زيادٌ فعَصِيئته - يغرّض بهم - فأمرَ مصعبُ بالقوم جميعاً فقتلوا ، وكانوا ستة آلاف ، فقال عُقْبَةُ الأَسَدَى :

قَتَلْتُمْ سِتَّةَ آلَافٍ صَبْرًا مع العَهْدِ الموثِقِ مَكْتَفِينَا

جَعَلْتُمْ ذِمَّةَ الحَبِطِيِّ جَسْرًا ذُلُولًا ظَهَرُهُ لِلِوَاظِنِينَا

وما كانوا غَدَاةَ دُعَا فُغْرًا ^(٢) بعَهْدِهِمْ بِأَوَّلِ حَائِنِينَا

وكنْتُ أَمْرَتُهُمْ لو طَاوَعُونِي بضَرْبٍ فِي الأَزَقَةِ مُصْلِتِينَا

وقُتِلَ المختارُ - فيما قيل - وهو ابنُ سبع وستين سنة ، لأربع عشرة خَلَّتْ من شهر رمضان في سنة سبع وستين .

فلما فَرَّخَ مصعبُ ^(٣) من أمر المختار وأصحابه ، وصار إليه إبراهيم ابنُ الأشتر وجهُ المهلب بن أبي صفرة على المَوْصِلِ والجزيرة وآذَرَ بِيَجَانٍ وأرْمِينِيَّةَ وأقام بالكوفة .

(١) ف : « وظهر » . (٢) ف : « فغروا » . (٣) ف : « المصعب » .

[خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب]

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة ، وبعث بابنه حمزة بن عبد الله إليها ، فاختلِف في سبب عزله إياه عنها ، وكيف كان الأمر في ذلك .

٧٥١/٢

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به عمر ، قال : حدثني علي بن محمد قال : لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها إلى المختار ، واستخلف على البصرة عبيد الله بن معمر ، فقتل المختار ، ثم وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزله وجسه عنده ، واعتذر إليه من عزله ، وقال : والله إني لأعلم أنك أحرى وأكفى من حمزة ، ولكني رأيت فيه رأى عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الأشعري وولاه .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قدِم حمزة بالبصرة والياً ، وكان جواداً سخياً مخلطاً ، يوجد أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه ، ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله ، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف ، فيقال : إنه ركب يوماً إلى فيض البصرة ، فلما رآه قال : إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفيهم صيفهم ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقه جازراً ، فقال : قد رأيت هذا ذات يوم ، وظننت أن لن يكفيهم ، فقال له الأحنف : إن هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا . وشخص إلى الأهواز ، فلما رأى جبلتها قال : هذا قعيتقان - لموضع بمكة - فسمي الجبل قعيتقان ، وبعث إلى مرءان شاه فاستحثه بالخراج ، فأبطأ به ، فقام إليه بسيفه فضربه فقتله ، فقال الأحنف : ما أحد سيف الأمير !

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر ، وهَمَّ بعبد العزيز بن بشر أن يضربه ، كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك ، وسأله أن يعيد مصعباً . قال : وحمزة الذي عقد لعبد الله بن عمير الليثي على قتال التجدية بالبحرين .

٧٥٢/٢

حدثني عمر، قال : حدثنا علي بن محمد، قال : لما عزل ابن الزبير حمزة احتسمل مالا كثيرا من مال البصرة، فعرض له مالك بن مسنم، فقال : لا ندعك تخرج بأعطياتنا . فضمن له عبيد الله بن عبيد بن معمر العطاء ، فكف ، وشخص حمزة بالمال ، فترك أباه وأتى المدينة ، فأودع ذلك المال رجالا ، فذهبوا به إلا يهوديا كان أودعه فوفى له ، وعلم ابن الزبير بما صنع ، فقال : أبعد الله ! أردت أن أباهي به بني مروان فنكص .

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف في أمر مصعب وعزل أخيه إياه عن البصرة وردّه إياه إليها غير هذه القصة ، والذي ذكر من ذلك عنه في سياق خبر حدثت به عنه ^(١) ، عن أبي المخارق الراسبي ، أن مصعبا لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولا عن البصرة ، عزله عنها عبد الله ، وبعث ابنه حمزة ، فمكث بذلك سنة ؛ ثم إنه وقد على أخيه عبد الله بمكة ، فردّه على البصرة .

وقيل : إن مصعبا لما فرغ من أمر المختار انصرف إلى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . قال : وقال محمد بن عمر : لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير . وكان عامله على الكوفة مصعب ، وقد ذكرت اختلاف أهل السير في العامل على البصرة . وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، وبالشام عبد الملك بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمي .

٧٥٣/٢

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من ردّ عبد الله أخاه مُصعباً إلى العراق أميراً ، وقد ذكرنا السبب في ردّ عبد الله أخاه مُصعباً إلى العراق أميراً بعد عزله إياه ، ولما رده عليها أميراً بعث مصعبُ الحارث بن أبي ربيعة على الكوفة أميراً ، وذلك أنه بدأ بالبصرة مَرَجِعَهُ إلى العراق أميراً بعد العزل ، فصار إليها .

[ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق]

وفي هذه السنة كان مَرَجِعُ الأزارقة من فارس إلى العراق حتى صاروا إلى قرب الكوفة ، ودخلوا المدائن .

* ذكر الخبر عن أمرهم ومسيرهم ومَرَجِعِهِمْ إلى العراق :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو المخارق الراسبي ، أن مُصعباً وجه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميراً ، وكانت الأزارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحي أصبتهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالأهواز ، فلما شخض المهلبُ عن ذلك الوجه ووجه إلى الموصل ونواحيها عاملاً عليها ، وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس ، انحطت الأزارقة مع الزبير بن الماحوز على عُمَرَ بن عبيد الله بفارس ، فلقيتهم بسابور ، فقاتلهم قتالا شديداً ، ثم إنه ظفر بهم ظفراً بيتاً ، غير أنه لم يكن بينهم كثير ^(١) قتل ، وذهبوا ^(٢) كأنهم على حامية ، وقد تركوا على ذلك المعركة .

قال أبو مخنف : فحدثني شيخٌ للحى بالبصرة ، قال : إنّي لأسمعُ قراءة كتابِ عمر بن عبيد الله ^(٣) :

(١) ف : « كبير » . (٢) ف : « فركبوا » .

(٣) بعدها في ف : « ابن معمر » .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنني أخيرُ الأميرَ أصلحَ الله أني لقيتُ الأزارقة التي مرَّقت من الدين واتبعت أهواءها بغير هُدًى من الله ، فقاتلتهم بالمسلمين ساعةً من النهار أشدَّ القتال . ثمَّ إنَّ الله ضرب وجوههم وأدبارهم ، ومنحنا أكتافهم ، فقتل الله منهم من خاب وخسر ، وكلُّ إلى خسِران . فكتبْتُ إلى الأمير كتابي هذا وأنا على ظَهْر فَرَسِي في طلب القوم ، أرجو أن يسجدَّهم ^(١) الله إن شاء الله ؛ والسلام .

ثمَّ إنَّه تبعهم ومضوا من فورهم ذلك حتَّى نزلوا لصطخَر ، فسار إليهم حتَّى لقيهم على قنطرة طمسستان ^(٢) ، فقاتلهم قتالا شديداً ، وقتل ابنه . ثمَّ إنَّه ظفر بهم ، فقطَّعوا قنطرة طمسستان ، وارتفعوا إلى نحو من أصبهان وكربمان ، فأقاموا بها حتَّى اجتبروا وقوا ، واستعدوا وكشروا ، ثمَّ أقبلوا حتَّى مروا بفارسَ وبها عمرُ بنُ عبيد الله بنِ معمر ، فقطَّعوا أرضه من غير الوجه الذي كان فيه أخذوا على سابور ، ثمَّ خرجوا على أَرَجَان ، فلمَّا رأى عمرُ بنُ عبيد الله أن قد قطعت الخوارج أرضه متوجهة إلى البصرة خشى ألاَّ يحتملها له مصعب بنُ الزبير ، فشمَّر في آثارهم مُسرِّعاً حتَّى أتى أَرَجَان ، فوجدهم حين خرجوا منها متوجهين قِبَل الأهواز ، وبلغ مصعباً ^(٣) إقبالهم ، فخرج فعسكر بالناس بالجسر الأكبر ، وقال : والله ما أدري ما الذي أغنى عني أن وضعتُ عمرَ بنَ عبيد الله بفارسَ ، وجعلتُ معه جنوداً أجرى عليهم أرزاقهم في كلِّ شهر ، وأوفيتهم أعطياتهم في كلِّ سنة ، وأمرتهم من المتعاون في كلِّ سنة بمثل الأعطيات ، تنقطع أرضه الخوارج إلى ! وقد قطعتُ علته فأمددته بالرجال وقويتهم ، والله لو قاتلتهم ثمَّ فرَّ كان أعذر له عندي ، وإن كان الفار غير مقبول العذر ، ولا كريم الفعل .

وأقبلت الخوارج وعليهم الزبيرُ بن الماحوز حتَّى نزلوا الأهواز ، فأتتهم عيونهم أن عمر بن عبيد الله في أثرهم ، وأن مصعب بن الزبير قد خرج من البصرة إليهم ، فقام فيهم الزبيرُ فحمِد الله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمَّا بعد ، فإنَّ

(١) س : « ويخزيهم » . (٢) س : « طمسيان » ، ف : « طيسان » ، وفي من

غير نقط . (٣) ف : « وبلغ ذلك مصعباً » .

مِنْ سَوْءِ الرَّأْيِ وَالْحَيْرَةِ^(١) وَقُوْعُكُمْ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْنِ الشَّوْكَتَيْنِ ، انْتَهَضُوا
بَنَّا إِلَى عَدُوِّنَا نَلْقَاهُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى قَطَعَ بِهِمْ أَرْضَ
جُبُوخَتِي ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى النَّهْرِ وَأَنَات ، ثُمَّ لَزِمَ شَاطِئَ دِجْلَةَ حَتَّى نَخْرَجَ عَلَى
الْمَدَائِنِ وَبِهَا كَرْدَمُ بْنُ مُرْثَدَ بْنِ نَجْبَةَ الْفَزَارِيِّ ، فَشَنُّوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ
الْمَدَائِنِ ، يُقْتَلُونَ الْوِلْدَانَ وَالنِّسَاءَ وَالرِّجَالَ ، وَيَقْتَرُونَ الْحَبَالِي ، وَهَرَبَ
كَرْدَمُ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى سَابَاطَ فَوْضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِي النَّاسِ ، فَقَتَلُوا أُمَّ وَلَدَ لَرَبِيعَةَ
ابْنِ مَاجِدٍ^(٢) ، وَقَتَلُوا بُنَّانَةَ ابْنَةِ أَبِي يَزِيدَ بْنِ عَاصِمِ الْأَزْدِيِّ ، وَكَانَتْ قَدْ
قَرَأَتْ الْقُرْآنَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ ، فَلَمَّا غَشَوْهَا^(٣) بِالسَّيْفِ قَالَتْ :
وَيَسْحَكُكُمْ ! هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا يُقْتَلُونَ النِّسَاءَ ! وَيَسْحَكُكُمْ ! تَقْتُلُونَ مَنْ
لَا يَبْسُطُ إِلَيْكُمْ يَدًا ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ ضَرًّا ، وَلَا يَسْمَلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ! أَتَقْتُلُونَ
مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْتُلُوهَا ،
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : لَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمُوهَا ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَعَسَجَبَكَ جَمَالُهَا
يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! قَدْ كَفَرْتَ وَافْتَسَنْتَ ، فَانصَرَفَ الْآخَرُ عَنْهُمْ وَتَرَكَهُمْ ، فَظَنَّنَا
أَنَّهُ فَارَقَهُمْ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَقَتَلُوهَا ، فَقَالَتْ رِبْطَةُ بِنْتُ يَزِيدَ : سُبْحَانَ
اللَّهِ ! أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَرْضَى بِمَا تَصْنَعُونَ ! تَقْتُلُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَمَنْ لَمْ
يُذْنَبْ إِلَيْكُمْ ذَنْبًا ! ثُمَّ انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرُّوَاعُ بِنْتُ
إِيَّاسِ بْنِ شُرَيْحِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَهِيَ ابْنَةُ أَخِيهَا لِأُمِّهَا ، فَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَضَرَبُوهَا
عَلَى رَأْسِهَا بِالسَّيْفِ ، وَيَصِيبُ ذُبَابُ السَّيْفِ رَأْسَ الرُّوَاعِ فَسَقَطْنَا جَمِيعًا
إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَاتَلَهُمْ إِيَّاسُ بْنُ شُرَيْحٍ سَاعَةً ، ثُمَّ صُرِعَ فَتَوَقَّعَ بَيْنَ
الْقَتْلَى ، فَذَنَزَعُوا عَنْهُ وَهَمَّ يَسْرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوهُ ، وَصُرِعَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
ابْنِ وَائِلٍ يُقَالُ لَهُ : رَزِينُ بْنُ الْمُتَوَكَّلِ .

فَلَمَّا انصَرَفُوا عَنْهُمْ لَمْ يَمُتْ غَيْرُ بُنَّانَةَ بِنْتُ أَبِي يَزِيدَ ، وَأُمَّ وَلَدَ رَبِيعَةَ
ابْنِ نَاجِدٍ ، وَأَفَاقَ سَائِرُهُمْ ، فَسَقَتِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْمَاءِ ، وَعَصَبُوا جِرَاحَاتِهِمْ
ثُمَّ اسْتَأْجَرُوا دَوَابَّ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْكُوفَةِ .

قَالَ أَبُو مِخْنَمَفٍ : فَحَدَّثَنِي الرَّوَاعُ ابْنَةُ إِيَّاسَ ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ

(١) س : «والحين» . (٢) ف : «ناحد» ، س : «ناجز» . (٣) ف : «أن غشوها» .

رجلاً قطّ كان أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته ، فلمّا غَشِينَا ألقّاها إلينا وهرب عنها وعنّا^(١) ولا رأينا رجلاً قطّ كان أكرم من رجل كان معنا ، ما نعرفه ولا يعرّفنا ، لمّا غَشِينَا قاتل دوننا حتّى صُرِعَ بيننا ، وهو رُزِين بنُ المَوَكَّل البَكْرِي . وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا . ثمّ إنّه هلك في إمارة الحَمِجَّاج ، فكانت ورثته الأعرابُ ، وكان من العباد الصالحين .

قال هشام بنُ محمد - وذكره عن أبي مخنف - قال : حدّثني أبي ، عن عمّه أن مُصْعَب بنَ الزَّيْبِر كان بعث أبا بكر بن مخنف على إسْتان العال ، فلمّا قدّم الحارث بنُ أبي ربيعة أقصاه ، ثمّ أقرّه بعد ذلك على عمله السّنة الثانية ، فلمّا قدّمت الخوارجُ المدائِنَ سرّحوإليه عصابةً منهم ، عليها صالح بنُ مِخْرَاق ، فليقيمه^(٢) بالكرخ فقاتله ساعة ، ثمّ تنازَلوا فنزل أبو بكر ونزكت الخوارج ، فقتل أبو بكر ويسار مولاه وعبدُ الرحمن بنُ أبي جِعال ، ورجل من قومه ، وانهزم سائرُ أصحابه ، فقال سُرّاقَةُ بنُ مِرْدَاس البارق في بطنٍ من الأزد :

ألا يا لقومي للهوم الطّوارق وللحدّث الجائي بإحدى الصّفائق^(٣)
ومقتل غطريفٍ كريمٍ نجارُهُ
أتاني دُؤَيْن الخيف قتلُ أبْنِ مخنفٍ
فقلتُ : تَلَقَّاكَ الإلهُ برجمةٍ
وقد غَوَرَت أُولَى النُّجُوم الخوافِقِ
لحا الله قوماً عَرَدُوا عنكَ بكرةً
وصلّى عليك اللهُ ربُّ المَشَارِقِ
تولّوا فأجلّوا بالضّحى عن زعيمنا
ولم يصبروا لِلأَمْعَاتِ البوارِقِ
فأنت متى ما جئتنا في بيوتنا
وسيدنا في المَازِقِ المتضايِقِ
سمعتَ عويلاً من عَوَانٍ وعَاتِقِ

٧٥٨/٢

(١) ف : « عنا وعنّا » .

(٢) ف : « فليقيم » .

(٣) ديوانه ٥٣ - ٥٦ ، مع اختلاف في الرواية .

(٤) ١ : « المقتنين الباسلين » .

يُبَكِّينَ محمودَ الضَّرْبِيَّةَ ماجداً صَبوراً لَدَى الهَيْجَاءِ عِنْدَ الْحَقَائِقِ
لَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِي لِدَاكَ حَزِينَةً وَشَابَتْ لِمَا حَمَلْتُ مِنْهُ مَفَارِقِ
قال أبو مخنف : فحدثني حذرة بن عبد الله الأزدي ، والنضر
ابن صالح العَبْسِيُّ ، وفضيل بن خزيمة ، كلهم أخبرني^(١) أن الحارث بن
أبي ربيعة [الملقب بالقُبَاع]^(٢) أتاه أهل الكوفة ، فصاحوا إليه وقالوا له :
اخرج فإن هذا عدو لنا قد أظلم علينا^(٣) ليست له تقيّة ، فخرج
وهو يكّد كذا^(٤) حتّى نزل النخيلة ، فأقام بها أياماً ، فوثب إليه
إبراهيم بن الأشتر ، فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فإنّه
سار إلينا عدو ليست له تقيّة^(٥) ، يقتل الرجل والمرأة والمولود ، ويخيف
السبيل ، ويخرب البلاد ، فانهض بنا إليه ، فأمر بالرحيل . فخرج فتزل^(٦)
دير عبد الرحمن ، فأقام فيه حتّى دخل إليه شبّث بن ربعي ، فكلّمه
بنحو ممّا كلّمه به ابن الأشتر ، فارتحل ولم يكّد ، فلمّا رأى الناس بطؤه
سيّره رَجَزُوا به فقالوا :

سَارَ بِنَا الْقُبَاعُ سَيْرًا نُكْرًا يَسِيرُ يَوْمًا وَيُقِيمُ شَهْرًا

فأشخصوه من ذلك المكان ، فكلّمنا نزل بهم منزلاً أقام بهم حتّى
يضجّ الناسُ به من ذلك ، ويصيحوا به حول فسُطاطه ، فلم يبلُغ الصّراة إلا
في بضعة عشر يوماً ، فأتى الصّراة وقد انتهى إليها طلائع العدو وأوائل
الخيول ، فلما ألتفتهم العيونُ بأنّه قد أتاهم جماعةُ أهل المِصرِ قَطَعُوا
الجِسْرَ بينهم وبين النَّاسِ ، وأخذ الناسُ يترتّجون :

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سَيْرًا مَلَسًا بَيْنَ دَبِيرَي وَدَبَاهَا خَمَسًا

قال أبو مخنف : وحدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، أن
رجلاً من السَّبْيِ كان به لَمَسَمٌ ، وكان بقرية يقال لها جَوْبَر^(٧) عند الحرّارة ،

(١) ف : « وأخبروا جميعاً » .

(٢) من ف .

(٣) س : « أقبل إلينا » ، ف : « أظلمنا » .

(٤) ف : « بكذا وكذا » .

(٥) ط : « بقية » . (٦) ف : « حتى نزل » . (٧) س : « جوين » .

وكان يُدعى سِمَاكَ بنَ يزيد ، فأنت الخوارجُ قريتهُ فأخذوه وأخذوا ابنته ، فقدّموا ابنته فقتلوها ، وزعم لى أبو الربيع السلولى أن اسم ابنته أمّ يزيد ، وأنّها كانت تقول لهم : يا أهلَ الإسلام ، إنَّ أبى مُصاب فلا تقتلوه ، وأمّا أنا فإنّما أنا جارية ، والله ما أتيتُ فاحشةً قطّ ، ولا آذيتُ جارةً لى قطّ ، ولا تطلّعتُ ولا تشرّفتُ قطّ . فقدّموها ليقتلوها ، فأخذتُ تُنادى : ما ذنبى ما ذنبى ! ثمّ سقطتُ مغشىاً عليها أو مميّة ، ثمّ قطعوها ، بأسيا فهم . قال أبو الربيع : حدثتني بهذا الحديث ظيّر لها نصرانيّة من أهل الخورنق كانت معها حين قُتلت .

قال أبو مخنف : حدثني يونسُ بنُ أبى إسحاق ، عن أبيه ، أن الأزارقة جاءت بِسِمَاكِ بن يزيد معهم حتّى أشرّفوا على الصّرة . قال : فاستقبل عسكرنا ، فرأى جماعة الناس وكثرتهم ، فأخذ ينادينا ويرفع صوته : اعبروا إليهم فإنّهم قتلُ خبيث ، فضرّبوا عند ذلك عنقه وصلّبوه ونحن ننظر إليه . قال : فلمّا كان الليلُ عبرتُ إليه وأنا رجل من الحى . فأزكناه فدَفَنَاه .

قال أبو مخنف : حدثني أبى أن إبراهيم بن الأشتر قال للحارث بن أبى ربيعة : اندب معى الناس حتّى أعبّر إلى هؤلاء الأكلب ، فأجبتك بروسهم الساعة ؛ فقال شبّث بن ربعى وأسماءُ بنُ خارجة ويزيدُ ابن الحارث ومحمّد بن الحارث ومحمّد بن عُمير : أصلح الله الأمير ! دعهم فليذهبوا ، لا تبدهم ؛ قال : وكأنّهم حسّدوا إبراهيم ابن الأشتر .

٧٦١/٢

قال أبو مخنف : وحدثني حصيرةُ بن عبد الله وأبو زهير العبّسى أن الأزارقة لما انتهوا إلى جسر الصّرة فرأوا أن جماعة أهل المصّر قد خرجوا إليهم ، قطعوا الجسر ، واغتنم ذلك الحارث ، فتحبسّ . ثمّ إنّ جلس للناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ أوّل القتال الرميّ بالنبل ، ثمّ لإشراع الرماح ، ثمّ الطعن بها شزراً ؛ ثمّ السّلة آخر ذلك كله .

قال : فقام إليه رجل فقال ، قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة ، ولكن حَتَّامَ نَصْنَعُ هذا وهذا البحر بيننا وبين عدونا ! مَرُّ بهذا الجِسْرِ فليُعَدَّ (١) كما كان ، ثم اعْبُرْ بنا إليهم ، فإنَّ الله سيريك فيهم ما تُحِبُّه ، فأمر بالجرس فأعيد ، ثم عبر الناسُ إليهم فطاروا حتَّى انتهَوْا إلى المدائن ، وجاء المسلمون حتَّى انتهَوْا إلى المدائن ، وجاءت خيل لهم فطاردت خيلاً للمسلمين طَرْدًا ضَعِيفًا عند الجِسْرِ . ثمَّ إنَّهم خرجوا منها فأتبعهم (٢) الحارثُ بنُ أبي ربيعةَ عبدَ الرَّحْمَنِ بنِ مِخْنَفٍ في سِتَّةِ آلافٍ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ ، فإذا وَقَعُوا فِي أَرْضِ الْبَصْرَةِ خِلَاءَهُمْ (٣) فأتبعهم حتَّى إذا خَرَجُوا مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ وَوَقَعُوا إِلَى أَصْبَهَانَ انصرف (٤) عنهم ولم يقاتلهم ، ولم يكن بينه وبينهم قتال ، ومضوا حتَّى نزلوا بَعَثَابَ بنِ وَرْقَاءَ بِحِمْيَرَ ، فأقاموا عليه وحاصروه ، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يُطِيقَهُمْ ، وشَدَّوا على أصحابه حتَّى دخلوا المدينة ، وكانت أَصْبَهَانُ يَوْمَئِذٍ طُعْمَةً لِإِسْمَاعِيلَ بنِ طَلْحَةَ مِنْ (٥) مُصْعَبِ بنِ الزَّيْبِرِ ، فبعث عليها عَتَّابًا ، فَصَبَّرَ لَهُمُ عَتَّابٌ ، وَأَخَذَ يُخْرِجُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ (٦) فَيُقَاتِلُهُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، وَيَرْمُونَ مِنَ السُّورِ بِالنَّبْلِ وَالنَّشَابِ وَالْحِجَارَةِ ، وَكَانَ مَعَ عَتَّابٍ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بنُ شَرِيحٍ ، فَكَانَ يُخْرِجُ مَعَ عَتَّابٍ ، وَكَانَ شَجَاعًا ، فَكَانَ يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُ :

كَيْفَ تَرَوْنَ يَا كِلَابَ النَّارِ شَدَّ أَبِي هُرَيْرَةَ الْهَرَّارِ
يَهْرُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَابْنَ أَبِي الْمَاحُوزِ وَالْأَشْرَارِ

* كَيْفَ تُرَى جَيٌّ عَلَى الْمِضْمَارِ ! *

فلمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى الْخَوَارِجِ مِنْ قَوْلِهِ كَتَمَنَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَظُنُّونَ أَنَّهُ عَبِيدَةُ بَنِ هِلَالٍ ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ، وَيَقُولُ كَمَا كَانَ يَقُولُ ، إِذْ حَمَلَ عَلَيْهِ عَبِيدَةُ بَنِ هِلَالٍ فَضَرَبَهُ بِالسِّيفِ ضَرْبَةً عَلَى جَبَلٍ عَاتِقِهِ فَصَرَعَهُ ، وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ فَاحْتَمَلُوهُ فَأَدْخَلُوهُ

(١) ف : « فليعقد » . (٢) ف : « وأتبعهم » . (٣) ف : « جلاهم » .

(٤) ف : « فانصرف » . (٥) ط : « بن » ، وانظر الفهرس . (٦) ط : « أيام » .

وداؤوه، وأخذت الأزارقة بعد ذلك تُناديهم يقولون^(١) : يا أعداء الله، ما فعل أبو هريرة الهَرَار^(٢) ؟ فينادونهم: يا أعداء الله، والله ما عليه من بأس، ولم يلبث أبو هريرة أن برئ، ثم خرج عليهم بعد، فأخذوا يقولون : يا عدو الله، أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزرناك أمك، فقال لهم : يا فساق، ما ذكركم أمي ! فأخذوا يقولون : إنه ليغضب لأمه، وهو آتيا عاجلا. فقال له أصحابه : وَيَحْك ! إِنَّمَا يَعْنُونَ النَّارَ ، فَفَطِنَ فقال : يا أعداء الله ، ما أعقكم بأمكم حين تنتفون منها ! إِنَّمَا تَلِكْ أَمْكُم ، وإليها مصيركم . ثم إن الخوارج أقامت عليهم أشهرا حتى هلك كراعهم، ونفدت أطعمتهم، واشتد عليهم الحصار ، وأصابهم الجهد الشديد ، فدعاهم عتاب بن ورقاء فحسده الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد أيّها الناس ، فإنه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون ، فوالله إن بقي إلا أن يموت أحدكم على فراشه فيجىء أخوه فيدفنه إن استطاع ؛ وبالحرى أن يضعف عن ذلك، ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ، ولا يصلّي عليه ، فاتّقوا الله ، فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم ، وإن فيكم لفرسان أهل المصّر، وإنّكم لصلحاء . من أنتم منه ! اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم وبكم حياة وقوة قبل ألا يستطيع رجل منكم أن يمشى إلى عدوه من الجهد ، وقبل ألا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءته ، فقَاتَلَ رجل عن نفسه وصبر وصدق ، فوالله إني لأرجو إن صدقتموه أن يُظفركم الله بهم ، وأن يُظهركم عليهم . فناداه الناس من كل جانب : وُفِّتْ وَأَصِبتْ ، اخرج بنا إليهم ، فجمع إليه الناس من الليل ، فأمر لهم بعشاء كثير ، فعشّى الناس عنده ؛ ثم إنّه خرج بهم حين أصبح على راياتهم ، فصبّحهم في عسكرهم^(٣) وهم آمنون من أن يؤتوا في عسكرهم ، فشدا عليهم في جانبه ، فصار يوم فأخلوا عن وجه العسكر حتّى انتهوا إلى الزبير بن الماحوز ، فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قُتِل ، وانحازت الأزارقة إلى قِطْرَى ، فبايعوه ،

٧٦٤/٢

(١) ف : « ويقولون » . (٢) ف : « الفرار » .

(٣) ف : « ومع في عسكرهم » .

وجاء عَتَابَ حَتَّى دخل مدينته، وقد أصاب مِنْ عسكرهم ماشاء ، وجاء قَطَرِيَّ في أثره كأنه يريد أن يقاتله ، فجاء حتى نزل في عسكر الزبير بن الماحوز ، فتزعم الخوارجُ أن عَيْنًا لَقَطَرِيَّ جاءه فقال : سمعتُ عَتَابًا يقول : إن هؤلاء القومَ إن رَكِبُوا بَنَاتَ شَحَاج ، وقادُوا بَنَاتَ صِهَال ، ونزلوا اليومَ أرضًا وغداً أخرى ، فبالحرى أن يبقوا ؛ فلمَّا بلغ ذلك قَطَرِيًّا خرج فذهب وخلَّاهم .

قال أبو مخنف : قال أبو زهير العبسيّ وكان معهم : خرجنا إلى قَطَرِيٍّ من الغد مُشَاءً مُصَلِّتين بالسيف ؛ قال : فارتحوا والله فكان آخر العهد بهم . قال : ثم ذهب قَطَرِيٌّ حَتَّى أتى ناحية كَرْمَانَ فأقام بها حتى اجتمعت إليه جموعٌ كثيرة ، وأكل الأرض واجتبي المال وقوى ، ثم أقبل حَتَّى أخذ في أرض أصبهان . ثم إنّه خرج من شَعْب ناشط إلى أَيْدَج ، فأقام بأرض الأهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل المصعب بن الزبير على البصرة، فكتب إلى مصعب يُخبره أن الخوارج قد تحدّرت إلى الأهواز ، وأنه ليس لهم إلا المهلب ، فبعث إلى المهلب وهو على الموصل والجزيرة . فأمره بقتال الخوارج والمسير إليهم ، وبعث إلى عمّله إبراهيم بن الأشتر ، وجاء المهلب حَتَّى قدِم البصرة ، وانتخب الناس ، وسار بمن أحسب ، ثم توجه نحو الخوارج ، وأقبلوا إليه حَتَّى التقوا بسُؤْلَاف ، فاقتلوا بها ثمانية أشهر أشدّ قتال رآه الناس ، لا يُنقِع بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يصدّ بعضهم عن بعض .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان القسحط الشديدُ بالشَّام حَتَّى لم يُقدِّروا من شدّته على الغزو .

وفيها عسكر عبد الملك بن مروان بيّطنان حسيب من أرض قنسرين ، فمطّروا بها ، فكشّر الوحل فسمّوها بيّطنان الطين ، وسمّتا بها عبد الملك ، ثم انصرف منها إلى دمشق . وفيها قتل عبيد الله بن الحرّ .

[ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر]

* ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذي جرّ ذلك عليه :

رَوَى أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَرِّ كَانَ رَجُلًا مِنْ خِيَارِ قَوْمِهِ صَلَاحًا وَفَضْلًا ، وَصَلَاةً وَاجْتِهَادًا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَانُ وَهَاجَ الْهَيْجُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، قَالَ : أَمَا إِنْ اللَّهَ لَيَعْلَمُ أَنِّي أَحَبُّ عُمَانَ ، وَلَأَنْصُرَنَّهُ مَيِّتًا . فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَكَانَ مَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَخَرَجَ مَالِكُ بْنُ مُسَمِّعٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ الرَّأْيِ فِي الْعُمَانِيَّةِ ، فَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ ، وَشَهِدَ مَعَهُ صِغْفِيرَيْنِ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَلَى قَدَمِ الْكُوفَةِ فَأَتَى إِخْوَانَهُ وَمَنْ قَدْ خَسَفَ فِي الْفِتْنَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا هَؤُلَاءِ ، مَا أَرَى أَحَدًا يَنْفَعُهُ اعْتِزَالُهُ ، كُنَّا بِالشَّامِ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ مَعَاوِيَةَ كَسَيْتُ وَكَسَيْتُ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : وَكَانَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ كَسَيْتُ وَكَسَيْتُ ، فَقَالَ : يَا هَؤُلَاءِ ، إِنْ تُمْكِنَتِ الْأَشْيَاءُ فَاخْلَعُوا عُدْرَتَكُمْ ، وَامْلِكُوا ^(١) أَمْرَكُمْ ؛ قَالُوا : سَنَلْتَقِيَ ، فَكَانُوا يَلْتَقُونَ عَلَى ذَلِكَ .

٧٦٦/٢

فَلَمَّا مَاتَ مَعَاوِيَةَ هَاجَ ذَلِكَ الْهَيْجُ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : مَا أَرَى قَرِيشًا تَنْصِفُ ، أَيْنَ أَبْنَاءُ الْحَرَّائِرِ ! فَأَتَاهُ خَلِيجُ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، فَكَانَ مَعَهُ سَبْعُمِائَةِ فَارِسٍ ، فَقَالُوا : مُرْنَا بِأَمْرِكَ ، فَلَمَّا هَرَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ وَمَاتَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَرِّ لِفِتْيَانِهِ : قَدْ بَيَّنَّ الصَّبِيحُ لِدِي عَيْسَنَيْنِ ، فَإِذَا شِئْتُمْ ! فَخَرَجَ إِلَى الْمَدَائِنِ فَلَمْ يَدْعُ مَالًا قَدْ مَ مِنَ الْجَبِيلِ لِلْسُلْطَانِ إِلَّا أَخَذَهُ ، فَأَخَذَ مِنْهُ عَطَاءَهُ وَأَعْطَاهُ أَصْحَابِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ لَكُمْ شُرَكَاءَ بِالْكُوفَةِ فِي هَذَا الْمَالِ قَدْ اسْتَوْجِبْتُهُ ، وَلَكِنْ تَعَجَّلُوا عَطَاءَ قَابِلٍ سَلَفًا ، ثُمَّ كَتَبَ لِمُصَاحِبِ الْمَالِ بَرَاءَةً بِمَا قَبِضَ مِنَ الْمَالِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَقَصَّى الْكُوفَرِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ . قَالَ : قُلْتُ : فَهَلْ كَانَ يَتَنَاوَلُ أَمْوَالَ النَّاسِ وَالتَّجَارَ ؟ قَالَ لِي : إِنَّكَ لَغَيْرُ عَالِمٍ بِأَبْنِ الْأَشْرُسِ ^(٢) ، وَاللَّهِ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ

(٢) ف : « الأشوس » .

(١) ف : « فاملكوا » .

عَرَبِيٌّ أَغْيَرَ عَنْ حُرَّةٍ وَلَا أَكْفَ عَنْ قَبِيحٍ وَعَنْ شَرَابٍ مِنْهُ ، وَلَكِنْ
لِنَّمَا وَضَعَهُ عِنْدَ النَّاسِ شِعْرُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَشْعَرِ الْفَتَيَانِ ^(١) . فَلَمْ يَنْزَلْ عَلَى ذَلِكَ
مِنَ الْأَمْرِ حَتَّى ظَهَرَ الْمُخْتَارُ ، وَبَلَغَهُ ^(٢) مَا يَصْنَعُ بِالسَّوَادِ ، فَأَمَرَ ^(٣)
بِامْرَأَتِهِ أُمَّ سَلَمَةَ الْجُعْفِيَّةِ فَحُبِسَتْ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَتْلُنَهُ أَوْ لَا قَتْلَنَ
أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ أَقْبَلَ فِي فِتْيَانِهِ حَتَّى دَخَلَ
الْكُوفَةَ لَيْلًا ، فَكَتَسَرَ بَابَ السِّجْنِ ، وَأَخْرَجَ امْرَأَتَهُ وَكُلَّ امْرَأَةً وَرَجُلًا
كَانَ فِيهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارَ مَنْ يِقَاتِلُهُ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِصْرِ ،
فَقَالَ حِينَ أَخْرَجَ امْرَأَتَهُ مِنَ السِّجْنِ :

أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي حَقَائِقَ مَذْجٍ
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الذَّمَّارِ مُدْجِجٍ
جَبِينٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ غَيْرُ مُشْنَجِجٍ
إِلَيْنَا سَقَاها كُلِّ دَانٍ مُشَجَّجٍ
كَعَادَتِنَا مِنْ قَبْلِ حَرْبِي وَمُخْرَجِي
عَلَيْكَ السَّلَامُ مِنْ خَلِيطِ مُسَحَّجٍ
وَإِنِّي بِمَا تَلَقَّيْنِ مِنْ بَعْدِهِ شَجٍ
وَقَدْ وَلَجُوا فِي السِّجْنِ مِنْ كُلِّ مَوْلِجٍ !
أَشَدُّ إِذَا مَا غَمْرَةٌ لَمْ تَفْرَجِ
إِلَى الْأَمْنِ وَالْعَيْشِ الرَّفِيعِ الْمُخْرِجِ
كَكَرَّابِي شِبْلَيْنِ فِي الْخَيْسِ مُخْرَجِ
فَوَلَّى حَيْثُ رَكَضَهُ لَمْ يُعْرَجِ
خِيُولَ كِرَامِ الضَّرْبِ أَكْثَرُهَا الْوَجِي
أَمَا أَنْتَ يَا بَنَ الْحَرِّ بِالْمُتَحَرِّجِ !

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أُمُّ تَوْبَةَ أَنْنِي
وَأَنْنِي صَبَحْتُ السِّجْنَ فِي سُورَةِ الضُّحَى
فَمَا إِنْ بَرَحْنَا السِّجْنَ حَتَّى بَدَا لَنَا
وَحْدٌ أَسِيلٌ عَنْ فَتَاةٍ حَيِيَّةٍ
فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ أَزُورَكَ آمِنًا
وَمَا أَنْتِ إِلَّا هَمَّةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى
وَمَا زِلْتُ مَحْبُوسًا لِحَبْسِكَ وَاجِمًا
فَبِاللَّهِ هَلْ أَبْصَرْتُ مِثْلِي فَارِسًا
وَمِثْلِي يُحَامِي دُونَ مِثْلِكَ إِنْنِي
أَضَارِبُهُمْ بِالسَّيْفِ عَنْكَ لَتَرْجِعِي
إِذَا مَا أَحَاطُوا بِبِي كَرَرْتُ عَلَيْهِمْ
دَعَوْتُ إِلَى الشَّاكِرِيِّ ابْنِ كَامِلٍ
وَلِنْ هَتَفُوا بِاسْمِي عَطَفْتُ عَلَيْهِمْ
فَلَا غَرَوْ إِلَّا قَوْلَ سَلَمَى ظَعِينَتِي :

(١) ف : « القبيل » . (٢) ف : « فبلغ المختار » . (٣) س : « أمر » .

دَعِ الْقَوْمَ لَا تَقْتُلُهُمْ وَانْجُ سَالِمًا وَشَمَّرَ هَذَاكَ اللَّهُ بِالْخَيْلِ فَاخْرُجْ
وَإِنِّي لَأَرْجُو يَابَنَةَ الْخَيْرِ أَنْ أُرَى عَلَى خَيْرِ أَحْوَالِ الْمُؤَمِّلِ فَارْتَجِي
أَلَا حَبْدًا قَوْلِي لِأَحْمَرَ طَيِّئًا وَابْنَ خُبَيْبٍ قَدْ دَنَا الصَّبْحُ فَادْلُجْ
وَقَوْلِي لِهَذَا سِرٍّ وَقَوْلِي لَذَا ارْتَحِلْ وَقَوْلِي لَذَا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَسْرَجْ
وَجَعَلَ يَعْثُ بِعُمَّالِ الْخِتَارِ وَأَصْحَابِهِ ، وَوَثِبَتْ هَمْدَانُ مَعَ الْخِتَارِ
فَأَحْرَقُوا دَارَهُ ، وَانْتَهَبُوا ضَيْعَتَهُ بِالْجَبَّةِ وَالْبُدَاةِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ سَارَ إِلَى مَاهٍ إِلَى
ضِيَاعِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ ، فَأَنْتَهَبَهَا وَأَنْتَهَبَ مَا كَانَ لَهُمْدَانُ
بِهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى السَّوَادِ فَلَمْ يَدْعَ مَالًا لَهُمْدَانِي إِلَّا أَخَذَهُ ، فِي ذَلِكَ
يَقُولُ :

٧٦٩/٢

وَمَا تَرَكَ الْكَذَّابُ مِنْ جُلٍّ مَالِنَا وَلَا الزَّرَقُ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرَ شَرِيدِ
أَفَى الْحَقِّ أَنْ تَنْتَهَبَ ضِيَاعِي شَاكِرًا^(١) وَتَأْمَنَ عِنْدِي ضَيْعَةَ ابْنِ سَعِيدِ !
أَلَمْ تَعْلَمْ يَا أُمُّ تَوْبَةَ أَنْنِي عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ غَيْرُ بَلِيدِ
أَشَدُّ حَيَازِي لِكُلِّ كَرِيهَةٍ وَإِنِّي عَلَى مَا نَابَ جَدُّ جَلِيدِ
فَإِنْ لَمْ أَصْبَحْ شَاكِرًا بِكَتِيَّةٍ فَعَالَجْتُ بِالْكَفَّيْنِ غُلَّ حَلِيدِ
هُمْ هَدَمُوا دَارِي وَقَادُوا حَلِيلِي إِلَى سِجْنِهِمْ وَالْمُسْلِمُونَ شُهُودِي
وَهُمْ أَعْجَلُوهَا أَنْ تَشُدَّ خِمَارَهَا فَيَا عَجَبًا هَلِ الزَّمَانُ مَقِيدِي !
فَمَا أَنَا بِابْنِ الْحُرِّ إِنْ لَمْ أَرْعُهُمْ بِخَيْلٍ تَعَادَى بِالْكَمَافِ أُسُودِ
وَمَا جُبْنَتْ خَيْلِي وَلَكِنْ حَمَلَتْهَا عَلَى جَحْفَلٍ ذِي عُدَّةٍ وَعَدِيدِ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ . قَالَ : وَكَانَ يَأْتِي الْمَسَدَانِ فَيَمَرُّ بِعُمَّالٍ جَوْخِي فَيَأْخُذُ
مَعَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ ، ثُمَّ يَمِيلُ إِلَى الْجَبَلِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ
الْخِتَارُ ، فَلَمَّا قُتِلَ الْخِتَارُ قَالَ النَّاسُ لِمُصْعَبٍ فِي وَلايَتِهِ الثَّانِيَةِ : إِنَّ ابْنَ الْحُرِّ شَاقٌّ
ابْنُ زِيَادٍ وَالْخِتَارُ ، وَلَا نَأْمَنُهُ أَنْ يَثْبُجَ بِالسَّوَادِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، فَحَبَسَهُ مُصْعَبٌ
فَقَالَ ابْنُ الْحُرِّ :

٧٧٠/٢

(١) فِي الْأَخْبَارِ الطَّوَالِ ٢٩٧ : « أَفَى الْحَقِّ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي كُلَّهُ » .

من مُبْلَغِ الْفِتْيَانِ أَنَّ أَخَاهُمْ أَتَى دُونَهُ بَابٌ شَدِيدٌ وَحَاجِبَةٌ
 بِمَنْزِلَةٍ مَا كَانَ يَرْضَى بِمِثْلِهَا إِذَا قَامَ عَنْتَهُ كَبُولٌ تَجَاوِبَةٌ
 عَلَى السَّاقِ فَوْقَ الْكَعْبِ أَسْوَدُ صَامَتْ شَدِيدٌ يُدَانِي خَطْوُهُ وَيُقَارِبُهُ
 وَمَا كَانَ ذَا مَنْ عَظُمَ جُرْمُ جَنِيَّتِهِ وَلَكِنْ سَعَى السَّاعَى بِمَا هُوَ كَاذِبُهُ
 وَقَدْ كَانَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ مَسْلُكٌ وَأَيُّ أَمْرٍ ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ !
 وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ وَفِيَا مَضَى إِنْ نَابَ يَوْمًا نَوَائِبُهُ
 فَكَلَّمَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ قَوْمًا مِنْ مَسَدَحٍ أَنْ يَأْتُوا مُصْعَبًا فِي أَمْرِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى
 وَجُوهِهِمْ ، فَقَالَ : اتُّوا مُصْعَبًا فَكَلِّمُوهُ فِي أَمْرِي ذَاتِهِ ، فَإِنَّهُ حَبَسْتَنِي عَلَى
 غَيْرِ جُرْمٍ ، سَعَى بِي قَوْمٌ كَذَبَةٌ وَخَوْفُهُ مَا لَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلِهِ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ
 مِنْ شَأْنِي . وَأَرْسَلَ إِلَى فِتْيَانٍ مِنْ مَسَدَحٍ وَقَالَ : الْبَسُوا السِّلَاحَ ، وَخُذُوا
 عِدَّةَ الْقِتَالِ ، فَقَدْ أَرْسَلْتُ قَوْمًا إِلَى مُصْعَبٍ يَكْلِدُونَهُ فِي أَمْرِي ، فَأَقْبِمُوا بِالْبَابِ ،
 فَلَمَّا خَرَجَ الْقَوْمُ وَقَدْ شَفَعَهُمْ فَلَا تَعْرِضُوا لِأَحَدٍ ، وَلَيْسَ بَكُنْ سِلَاحُكُمْ مَكْفُورًا
 بِالثِيَابِ ، فَجَاءَ قَوْمٌ ^(١) مِنْ مَسَدَحٍ فَخَدَعُوا عَلَى مُصْعَبٍ فَكَلَّمُوهُ ، فَشَفَعَهُمْ ،
 فَأُطْلِقَهُ . وَكَانَ ابْنُ الْحُرِّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ خَرَجُوا وَلَمْ يَشْفَعْهُمْ فَكَابِرُوا
 السَّجْنَ فَإِنِّي أَعْيُنُكُمْ مِنْ دَاخِلٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْحُرِّ قَالَ لَهُمْ : أَظْهَرُوا
 السِّلَاحَ ، فَأَظْهَرُوهُ ، وَمَضَى لَمْ يَعْرِضْ لَهُ أَحَدٌ ، فَأَتَى مَنْزِلَهُ ، وَنَدِمَ مُصْعَبٌ
 عَلَى إِخْرَاجِهِ ، فَأَظْهَرَ ابْنُ الْحُرِّ الْخِلَافَ ، وَأَتَاهُ النَّاسُ يُهَنِّئُونَهُ ، فَقَالَ :
 هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِ خُلَفَائِكُمُ الْمَاضِينَ ، وَمَا نَرَى لَهُمْ فِينَا نَدًّا
 وَلَا شَبِيهًا فَتُلْقَى إِلَيْهِ أَرْمَتْنَا ، وَنَحْنُ نَصِيحَتُنَا ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا هُوَ مَنْ
 عَزَّ بَزَّ ، فَعَلَامَ : نَعْقِدُ لَهُمْ فِي أَعْنَاقِنَا بَسِيعَةً ، وَلَيْسُوا بِأَشْجَعٍ مِنَّا لِقَاءً ،
 وَلَا أَعْظَمَ مِنَّا غَنَاءً ^(٢) ! وَقَدْ عَاهَدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 أَلَّا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَمَا رَأَيْنَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْمَاضِينَ إِمَامًا
 صَالِحًا ، وَلَا وَزِيرًا تَقِيًّا ، كُلُّهُمْ عَاصٍ مُخَالِفٌ ، قَوَى الدُّنْيَا ، ضَعِيفٌ

(١) ف : « فجاءوا » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط « غنى » .

الآخرة ، فعلام تُستَحَلَّ حرمتنا ، ونحن أصحاب النُخيلة والقادسية وجعلوا
ونِهاوند! نَلَقَتِ الأَسِنَّةُ بِسُحُورِنَا وَالسُّيُوفُ بِجِبَاهِنَا ، ثم لا يعرف لنا حقنا
وفضلنا ؛ فقاتلوا عن حريمكم ، فأى الأمر ما كان فلتكنم فيه الفضل ، وإنى قد
قلبت ظهر المِجَنِّ ، وأظهرتُ لهم العداوة ، ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . وحاربهم فأغار
فأرسل إليه مصعبُ سيفَ بن هاني المرادى ، فقال له : إن مصعباً يُعْطِيكَ
خراج بادوريا على أن تُبَاعِ وتدخل في طاعته ؛ قال : أوليس لي خراجُ
بادوريا وغيرها ! لست قابلاً شيئاً ، ولا آمنهم على شيء ، ولكنى أراك
يا فقي - وسيفُ يومئذ حدثٌ - حدثاً ، فهل لك أن تتسبغنى وأموالك !
فأبى عليه ، فقال ابن الحرّ حين خرج من الحبس :

لَا كُوفَةُ أُحَى وَلَا بَصْرَةُ أَبِي وَلَا أَنَا يَثْنِينِي عَنِ الرَّحْلَةِ الْكَسَلِ
- قال أبو الحسن : يروى هذا البيتُ لِسُحَيْبِ بْنِ وَثِيلِ الرِّيَاحِيِّ -

فَلَا تَحْسَبْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ كَنَاعِيسَ إِذَا حَلَّ أَغْفَى أَوْ يُقَالُ لَهُ أَرْتَجِلُ
فَإِنْ لَمْ أُرْزَكِ الْخَيْلَ تَرْدِي عَوَاسِئاً بِفُرْسَانِهَا لَا أَدْعُ بِالْحَازِمِ الْبَطْلُ
وإن لم ترَ الغاراتِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ عَلَيْكَ فَتَنْدَمُ عَاجِلاً أَيُّهَا الرَّجُلُ
فَلَا وَضَعْتُ عِنْدِي حَصَانُ قَنَاعَهَا وَلَا عِشْتُ إِلَّا بِالْأَمَانِ وَالْعِلَلِ
وهى طويلة .

٧٧٣/٢

فبعث إليه مُصْعَبُ الأَبْرَدِ بن قرة الرياحي في نفر ، فقاتله فهزّمه
ابنُ الحرّ ، وضربه ضربةً على وجهه ، فبعث إليه مصعبُ حُرَيْثَ
ابن زَيْدٍ - أَوْ يَزِيدَ - فبَارَزَهُ ، فَقَتَلَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ الحرّ ، فبعث إليه
مصعبُ الْحِجَّاجِ بن جارية^(١) الخثعمي ومُسْلِمُ بن عَمْرٍو ، فلقياه بنهر
صرصر ، فقاتلهم فهزّمهم ، فأرسل إليه مصعبُ قومًا يدعونه إلى أن يؤمته
ويصله ، ويولّيه أى بلد شاء ، فلتَمَّ بِتَقْبِيلِ ، وَأَتَى نَرْسَى ففَرَّ دَهْقَانُهَا
ظِلْزَجَشْتَسَ بِمَالِ الْفَلَكُوجَةِ ، فَتَبِعَهُ ابْنُ الحرّ حتّى مرَّ بعَيْنِ التَّمْرِ وعليها
بِسْطَامُ بنُ مَصْقَلَةَ بن هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي ، فَتَعَوَّذَ بِهِمُ الدَّهْقَانُ ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ
فَقَاتَلُوهُ - وَكَانَتْ خَيْلُ بَسْطَامِ خَمْسِينَ وَمِائَةً فَارَسَ - فَقَالَ يُونُسُ بن

هاغان الهَمْدَانِيّ من خَصِيَّوَان، ودعاه ابنُ الحرِّ إلى المُبَارَزة : شَرُّ دهر
آخره، ما كنتُ أَحْسَبُنِي أعيش حتى يدعوني لإنسانٍ إلى المُبَارَزة ! فبَارَزَهُ
فَضْرَبَهُ ابنُ الحرِّ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ ، ثُمَّ اعْتَسَقَا فَمَخَرَّا جَمِيعًا عن فرسيهما ،
وأخذ ابنُ الحرِّ عِمَامَةَ يونسَ وَكَتَفَهُ بها ثُمَّ ركب ، ووافاهم الحَجَّاجُ بن حارثة
الْخَشْعَمِيّ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ الحَجَّاجُ فَأَسْرَهُ أَيْضًا عَبْدُ اللَّهِ^(١) ، وبارز
بِسْطَامُ بن مصقلة المَجَشَّرَ ، فاضطربا حتى كره كلُّ واحد منهما صاحبه ،
وعلاه بَسْطَامُ ، فلمَّا رأى ذلك ابنُ الحرِّ حَمَلَ عَلَى بَسْطَامِ واعتنقه بَسْطَامُ ،
فَسَقَطَا إلى الأرض ، وسَقَطَ ابنُ الحرِّ على صدرِ بَسْطَامِ فَأَسْرَهُ ، وأسر يومئذ
ناسًا كثيرًا ، فكان الرجل يقول : أنا صاحبك يوم كذا ، ويقول الآخر : أنا
نازلٌ فيكم ، وَيَسُمُّ كُلُّ واحد منهم بما يَرَى أَنَّهُ يَنْفَعُهُ ، فيخلتي سبيله ،
وبعثَ فوارسَ من أصحابه عليهم دَلَهَمُ المُرَادِيّ يَطْلُبُون الدِّهْقَانَ ،
فأصابوه ، فأخذوا المالَ قَبْلَ الْقِتَالِ ، فقال ابنُ الحرِّ :

لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ جَرِيرٍ أَرْبَعَةَ صَبَحْتُ بَيْنَ الْمَالِ حَتَّى أَجْمَعَهُ
وَلَمْ يَهْلِنِي مُضْعَبٌ وَمِنْ مَعَهُ نِعَمَ الْفَتَى ذَاكُمُ أَبْنِ مَشْجَعَهُ

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَتَى تَكَرُّيتَ ، فَهَرَبَ عَامِلُ الْمُهَلَّبِ عَنْ تَكَرُّيتَ ،
فَأَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَجِيءُ الْخَرَجَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُضْعَبُ الْأَبْرَدِ بن قُرَّة الرِّيَاحِيّ
وَالْجَوْنُ بن كَعْبِ الهَمْدَانِيّ فِي أَلْفٍ ، وَأَمَدَهُمَا الْمُهَلَّبُ بِبِزِيدِ بن
الْمَغْفَلِ فِي خَمْسِمِائَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُعُوعِيّ لِعَبِيدِ اللَّهِ : قَدْ أَتَاكَ عَدَدٌ كَثِيرٌ ،
فَلَا تُقَاتِلْهُمْ ، فَقَالَ :

يَخَوْفُنِي بِالْقَتْلِ قَوْمِي وَإِنَّمَا أَمُوتُ إِذَا جَاءَ الْكِتَابُ الْمُوجَلُّ
لَعَلَّ الْقَنَا تُدْنِي بِأَطْرَافِهَا الْغَنَى فَنَحْيَا كِرَامًا أَوْ نَكُرُّ فَنَقْتُلُ

فَقَالَ لِلْمَجَشَّرِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ رَايَتَهُ ، وَقَدَّمَ مَعَهُ دَلَهَمًا المُرَادِيّ ، فَقَاتَلَهُمْ
يَوْمَيْنِ وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَخَرَجَ جَرِيرُ بنُ كَرِيبَ ، وَقُتِلَ عَمْرُو بن
جُنْدَبِ الْأَزْدِيّ وَفُرْسَانُ كَثِيرٌ مِنْ فُرْسَانِهِ ، وَتَحَاجَزُوا عِنْدَ الْمَسَاءِ ،

وخرج عبيدُ الله من تَكْرِيتَ فقال لأصحابه: إني سائرٌ بكم إلى عبد الملك ابن مَرْوَانَ ، فتَهَيَّئُوا ، وقال : إني أَخَافُ (١) أَنْ أَفَارِقَ الْحَيَاةَ وَلَمْ أَذْعُرْ مُصْعَبًا وَأَصْحَابَهُ ، فَارْجِعُوا بِنَا إِلَى الْكُوفَةِ . قال : فسار إلى كَسْكِرَ فَنَفَسَى عَامِلَهَا ، وَأَخَذَ بَيْتَ مَا لِيَهَا ، ثُمَّ أَتَى الْكُوفَةَ فَنَزَلَ لِحَامَ بَجْرِيرَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُصْعَبُ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، فَقَامَتْ لَيْلَةٌ ، فَخَرَجَ إِلَى دَيْرِ الْأَعْوَرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُصْعَبُ حِجَّارَ بْنِ أَبِيجَرٍ ، فَانْهَزَمَ حِجَّارٌ ، فَشَتَّمَهُ مُصْعَبُ وَرَدَّهُ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الْجَوْنُ بْنُ كَعْبِ الْهَمْدَانِي وَعُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ ، فَقَاتَلُوهُ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَكَثُرَتِ الْجَرَاحَاتُ فِي أَصْحَابِ ابْنِ الْحُرِّ وَعُقِرَتْ خِيُولُهُمْ ، وَجُرْحُ الْمُجَشَّرِ ، وَكَانَ مَعَهُ لَوَاءُ ابْنِ الْحُرِّ ، فَدَفَعَهُ إِلَى أَحْمَسَ طَيْسِيٍّ ، فَانْهَزَمَ حِجَّارُ بْنُ أَبِيجَرٍ ثُمَّ كَرَّ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى أَمْسَوْا ، فَقَالَ ابْنُ الْحُرِّ :

لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ الْفَتَى الْمُجَشَّرِ ثَلَاثَةَ بَيَّتُهُمْ لَا أَمْتَرِي
سَاعَدَنِي لَيْلَةَ دَيْرِ الْأَعْوَرِ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَعِنْدَ الْمَعْبَرِ
* لَطَاحَ فِيهَا عُمَرُ بْنُ مَعْمَرِ *

وخرج ابنُ الْحُرِّ مِنَ الْكُوفَةِ ، فَكَتَبَ مُصْعَبُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ رُوَيْمِ الشَّيْبَانِي — وَهُوَ بِالْمَدَائِنِ — يَأْمُرُهُ بِقَتْلِ ابْنِ الْحُرِّ ، فَقَدَّمَ ابْنَهُ حَوْشِبًا فَلَقِيَهُ بِبَاجِيسُرِي ، فَهَزَمَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ وَقَتِلَ فِيهِمْ ، وَأَقْبَلَ ابْنُ الْحُرِّ فَدَخَلَ الْمَدَائِنَ ، فَتَحَصَّنُوا ، فَخَرَجَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْجَوْنُ بْنُ كَعْبِ الْهَمْدَانِي وَبِشْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِي ، فَنَزَلَ الْجَوْنُ حَوْلَ يَمَانَا ، وَقَدَّمَ بِشْرَ إِلَى تَمَامَرًا فَلَقِيَ ابْنَ الْحُرِّ ، فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحُرِّ ، وَهَزَمَ أَصْحَابَهُ ، ثُمَّ لَقِيَ الْجَوْنُ بْنُ كَعْبِ بِحَوْلَايَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ ابْنُ الْحُرِّ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ وَهَزَمَ أَصْحَابَهُ ، وَتَبِعَهُمْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِشِيرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بِشِيرِ الْعِجْلِي ، فَالْتَقَوْا بِسُورًا فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَانْحَازَ بِشِيرُ عَنْهُ ، فَارْجَعَ إِلَى عَمَلِهِ ، وَقَالَ : قَدْ هَزَمْتُ ابْنَ الْحُرِّ ،

٧٧٦/٢

فبلغ قوله مُصْعَبًا ، فقال : هذا من الذين يُحِبُّون أن يُحَمَّدُوا بما لم يَفْعَلُوا . وأقامَ عُبَيْدُ اللَّهِ في السَّوَادِ^(١) يُغَيِّرُ وَيُجَبِّجُ الخراج ، فقال ابنُ الحُرِّ في ذلك :

سَلُّوا أَبْنَ رُوَيْمٍ عَنْ جِلَادِي وَمَوْقِفِي بَايَوَانَ كَسْرَى لَا أُولِيَهُمْ ظَهْرِي
أَكْرُ عَلَيْهِمْ مُعْلِمًا وَتَرَاهُمْ كَمِغْزَى تَحْنَى خَشْيَةِ الذَّنْبِ بِالصَّخْرِ
وَبَيْتُهُمْ فِي حِصْنِ كَسْرَى بْنِ هُرْمُزٍ بِمَشْحُودَةٍ بِيضٍ وَخَطِيئَةٍ سُمْرٍ
فَأَجْزَيْتُهُمْ طَعْنًا وَضَرْبًا تَرَاهُمْ يَلْوِذُونَ مِنَّا مَوْهِنًا بِذُرَا الْقَصْرِ^(٢)
يَلْوِذُونَ مِنِّي رَهْبَةً وَمَخَافَةً لَوْأَدَا كَمَا لَا ذِ الحَمَائِمُ مِنْ صَفْرِ

٧٧٧/٢

ثم إنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ الحُرِّ - فيما ذكر - لحق بعبد المَسْلِكِ بنَ مَرْوَانَ ، فلمَّا صار إليه وجهه في عشرة نفر نحو الكُوفَةِ ، وأمره بالمسير نحوها حتَّى تلحقه الجنودُ ، فسار بهم ، فلمَّا بلغ الأنبار وجهه إلى الكوفة من يُخْبِر أصحابه بقدمه ، ويسألهم أن يخرجوا إليه ، فبلغ ذلك القيسية ، فأتوا الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة ، فسألوه أن يبعث معهم جيشًا ، فوجه معهم ، فلمَّا لقوا عُبَيْدَ اللَّهِ قَاتَلَتْهُمْ ساعة ، ثم غرقت فرسه ، وركب معبرًا فتوثب عليه رجلٌ من الأنباط فأخذ بعصده وضربه الباقون بالمرادى ، وصاحوا : إنَّ هذا طلبه أمير المؤمنين ، فاعتنقا فغرقا ، ثم استخرجه فجزوا رأسه ، فبتعشوا به إلى الكوفة ثم إلى البصرة .

قال أبو جعفر : وقد قيل في مقتله غير ذلك من القول ؛ قيل : كان سببُ مقتله عُبَيْدُ اللَّهِ بنَ الحُرِّ أنَّه كان يغشى بالكوفة مُصْعَبًا ، فراه يُقْدِمُ عليه أهلُ البصرة ، فكتب إلى عبد الله بن الزبير - فيما ذكر - قصيدة يعاتب بها مُصْعَبًا ويخوفه مسيره إلى عبد الملك بن مَرْوَانَ ، يقول فيها :

(١) ف : « بالسواد » .

(٢) ف : « يلوذون منا يومنا » .

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةَ
أَفَى الْحَقِّ أَنْ أَجْفَى وَيَجْعَلَ مُصْعَبُ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْلَيْتُكُمْ حَقَّ بَيْعِي
وَأَبْلَيْتُكُمْ مَالًا يُضَيِّعُ مِثْلَهُ
فَلَمَّا اسْتَنَارَ الْمَلِكُ وَأَنْقَادَتِ الْعِدَا
جَفَا مُصْعَبٌ عَنِّي وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ
لَقَدْ رَأَيْتَنِي مِنْ مُصْعَبٍ أَنَّ مُصْعَبًا
وَمَا أَنَا إِلَّا حَلَّاتُؤُنِي بِوَارِدٍ
وَمَا لِأَمْرِي إِلَّا الَّذِي اللَّهُ سَائِقٌ
إِذَا قُمْتُ عِنْدَ الْبَابِ أَذْخِلَ مُسْلِمٌ

فَلَسْتُ عَلَى رَأْيٍ قَبِيحٍ أَوَارِبُهُ
وَزَيْرِيهِ مَنْ قَدْ كُنْتُ فِيهِ أَحَارِبُهُ!
وَحَقِّي يُلَوِّى عِنْدَكُمْ وَأَطَالِبُهُ
وَأَسَيْتُكُمْ وَالْأَمْرُ صَعْبٌ مَرَاتِبُهُ
وَأَذْرِكُ مِنْ مَالِ الْعِرَاقِ رَغَائِبُهُ
لَأَصْبَحَ فِيمَا بَيْنَنَا لَا أَعَاتِبُهُ
أَرَى كُلَّ ذِي غِشٍّ لَنَا هُوَ صَاحِبُهُ
عَلَى كَدَرٍ قَدْ غُصَّ بِالصَّفْوِ شَارِبُهُ
إِلَيْهِ وَمَا قَدْ خَطَّ فِي الزُّبْرِ كَاتِبُهُ
وَيَمْنَعُنِي أَنْ أَدْخَلَ الْبَابَ حَاجِبُهُ

وهي طويلة .

وقال لمُصْعَبٍ وهو في حَبْسِهِ، وكان قد حُبِسَ مَعَهُ عَطِيَّةُ بْنُ عَمْرٍو
الْبَكْرِيُّ، فَخَرَجَ عَطِيَّةُ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

أَقُولُ لَهُ صَبْرًا عَطِيٌّ فَإِنَّمَا
أَرَى الدَّهْرَ لِي يَوْمِينَ يَوْمًا مَطْرَدًا
أَتَطْعَنُ فِي دِينِي غَدَاةَ أَتَيْتُكُمْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ شِينَ وَجْهَهُ

هُوَ السَّجَنُ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ مَخْرَجًا
شَرِيدًا وَيَوْمًا فِي الْمُلُوكِ مُتَوَجًّا
وَلِلَّذِينَ تُدْنِي الْبَاهِلَى وَحَشَرَجًا !
وَنَبْعُ بِلَادِ اللَّهِ قَدْ صَارَ عَوْسَجًا !

وهي طويلة .

وقال أَيْضًا يُعَاتِبُ مُصْعَبًا فِي ذَلِكَ ، وَيَذْكُرُ لَهُ تَقْرِيبَهُ سُؤِيدَ
ابنِ مَسْنُجُوفٍ ، وَكَانَ سُؤِيدٌ خَفِيفَ اللَّحْيَةِ :

بَأَى بِلَاءٍ أَمْ بِأَيَّةِ نِعْمَةٍ تَقْدُمُ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمُهْلَبُ

وَيُدْعَى ابْنُ مَنْجُوفٍ إِمَامِي كَأَنَّهُ
وَشَيْخُ تَمِيمٍ كَالثَّغَامَةِ رَأْسُهُ
جَعَلْتُ قُصُورَ الْأَزْدِ مَا بَيْنَ مَنِيجٍ
بِلَادُ نَفَى عَنْهَا الْعَدُوُّ سُيُوفُنَا
وَصُفْرَةٌ عَنْهَا نَازِحُ الدَّارِ أَجْنَبُ
وَقَالَ قَصِيدَةً يَهْجُو فِيهَا قَيْسَ عَيْلَانَ ، يَقُولُ فِيهَا :

أَنَا ابْنُ بَنِي قَيْسٍ فَإِنْ كُنْتَ سَائِلًا
أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ بَرَقَعَتْ
وَمَا زِلْتُ أَرْجُو الْأَزْدَ حَتَّى رَأَيْتُهَا
فَكَتَبَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ إِلَى مُصْعَبٍ :
وَابْنُ الْحَرِّ يَهْجُو قَيْسًا . ثُمَّ إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ أَخَذُوا ابْنَ الْحَرِّ
فَأَسْرَوْهُ ، فَقَالَ : إِنْ لَمْ أَقْلُ :

أَلَمْ تَرَ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْبَلْتُ
فَقَتْلُهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ عَيْشَاشُ فَقَالَ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ أَوْلَادَ عِلَّةٍ
تَكَلَّمَ عَنَّا مَشِينًا بِسُيُوفِنَا
فَلَوْ يَسْأَلُ ابْنُ الْحَرِّ أَخْبَرَ أَنَّهَا
وَأُخْبِرَ أَنَّا ذَاتُ عِلْمٍ سُيُوفُنَا
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ :

تَرَنَّمْتَ يَا بَنَ الْحَرِّ وَحَدَّكَ خَالِيًا
أَتَذْكُرُ قَوْمًا أَوْجَعَتْكَ رِمَاحُهُمْ
وَتَبَكَّى لِمَا لَاقَتْ رِبِيعَةٌ مِنْهُمْ
فَهَلَّا بِجُعْفَى طَلَبْتَ ذُحُولَهَا
بِقَوْلِ أَمْرِي نَشْوَانٌ أَوْ قَوْلِ سَاقِطٍ
وَذَبُّوا عَنِ الْأَحْسَابِ عِنْدَ الْمَاقِطِ
وَمَا أَنْتَ فِي أَحْسَابِ بَكْرِ بِوَاسِطٍ !
وَرَهْطُكَ دُنْيَا فِي السَّنِينِ الْقَوَارِطِ !
يَلُودُونَ مِنْ أَسْيَافِنَا بِالْعَرَاظِطِ

وخالطكم يوم النخيل بجمعه
وعمر فما استبشرتُم بالمخالط.
ويوم شراحيل جدعنا أنوفكم
وليس علينا يوم ذاك بقاسط.
ضربنا بعد السيف مفرق رأسه
وكان حديثاً عهدُهُ بالمواشط.
فإن رغمت من ذلك أنف مذحج
فرغماً وسخطاً للأنوف السواشط.

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وافست عرقات أربعة ألوية ، قال محمد بن عمر : حدثني شريحيل بن أبي عون ، عن أبيه ، قال : وقعت في سنة ثمان وستين بعرفات أربعة ألوية : ابن الحنفية في أصحابه في لواء قام عند جبل المشاة ، وابن الزبير في لواء ، فقام مقام الإمام اليوم ، ثم تقدم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير ، ونجدة الحروري خلفهما ، ولواء بني أمية عن يسارهما ، فكان أول لواء انفض لواء محمد بن الحنفية ، ثم تبعه نجدة ، ثم لواء بني أمية ، ثم لواء ابن الزبير ، واتبعه الناس .

٧٨٢/٢

قال محمد : حدثني ابن نافع ، عن أبيه ، قال : كان ابن عمر لم يدفع تلك العشيّة إلا بدفعة ابن الزبير ، فلمّا أبطأ ابن الزبير وقد مضى ابن الحنفية ونجدة وبني أمية — قال ابن عمر : ينتظر ابن الزبير أمر الجاهلية — ثم دفع ، فدفع ابن الزبير على أثره .

قال محمد : حدثني هشام بن عمار ، عن سعيد بن محمد بن جبّير ، عن أبيه ، قال : خضت الفتنة ، فشيت إليهم جميعاً ، فجئت محمد بن علي في الشعب ، فقلت : يا أبا القاسم ، اتق الله فإننا في مشعر حرام ، وبلد حرام ، والناس وفد الله إلى هذا البيت ، فلا تفسد عليهم حجهم ؛ فقال : والله ما أريد ذلك ، وما أحول بين أحد وبين هذا البيت ، ولا يؤتني أحد من الحاج من قبلي ، ولكني رجل أدفع عن نفسي من ابن الزبير ؛ وما يروم مني ، وما أطلب هذا الأمر إلا ألا يختلف علي فيه اثنان ! ولكن ائت ابن الزبير فكلّمه ، وعليك بنجدة ، قال

٧٨٣/٢

محمد: فجئتُ ابنَ الزبير فكلّمته بنحو ما كلّمتُ به ابنَ الحنفيةَ ، فقال :
 أنا رجل قد اجتمع على الناسُ وبأيّ عوني ، وهؤلاء أهلُ خلاف ، فقلت :
 أرى خيراً^(١) لك الكفّ ؛ قال^(٢) : أفعل ، ثمّ جئتُ نَجدةَ الحروريّ
 فأجدهُ في أصحابه ، وأجدُ عكرمةَ غلامَ ابنِ عباسٍ عنده ، فقلت له :
 استأذن لي على صاحبك ؛ قال : فدخل ، فلم ينشأ أن أذن لي ، فدخلتُ
 فعظمتُ عليه ، وكلّمته كما كلّمت الرجلين ، فقال : أمّا أن ابتديّ أحداً
 بقتال فلا ، ولكنّ من بدأ بقتال قاتلته ؛ قلتُ : فإنّي رأيتُ الرجلين
 لا يريدان قتالك ، ثمّ جئتُ شيعةَ بني أميّة فكلّمتهم بنحو ما كلّمت
 به القوم ، فقالوا : نحن على ألا نقاتل أحداً إلّا أن يقاتلنا ، فلم أرَ
 في تلك الألوية قوماً أسكن^(٣) ولا أسلّمَ دفعةً من ابن الحنفية .

قال أبو جعفر : وكان العاملُ لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابرُ
 ابنُ الأسود بن عوف الزّهريّ ، وعلى البصرة والكوفة أخوه مُصعب ، وعلى
 قضاء البصرة هشامُ بن هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة عبدُ الله بن عتبة بن
 مسعود ، وعلى خراسان عبدُ الله بن خازم السُلّميّ ، وبالشّام عبدُ الملك
 ابنُ مروان .

(٢) ١ : « أمكن » .

(١) ف : « الكف خير لك ، فقال » .

ثم دخلت سنة تسع وستين

[ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو]

ففيها كان خروج عبد الملك بن مروان - فيما زعم الواقدي - إلى عين وردة ، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها ، فبكتغ ذلك عبد الملك ، فرجع إلى دمشق ، فحاصره - قال : ويقال : خرج معه - فلماً كان ببطنان حبيب ، رجع إلى دمشق فتحصن فيها ، ورجع عبد الملك إلى دمشق .

وأما عوانة بن الحَكَم فإنه قال - فيما ذكر هشام بن محمد عنه : - إن عبد الملك بن مروان لماً رجع من بطنان حبيب إلى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ، ثم سار يريد قرقيسياء ، وفيها زفر بن الحارث الكلبي ومعه عمرو بن سعيد ، حتى إذا كان ببطنان حبيب فتلك عمرو بن سعيد ، فرجع لسيلا ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي ، حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحَكَم الثقفي قد استخلفه عبد الملك ، فلماً بلغه رجوع عمرو ابن سعيد هرب وترك علمه ، ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها .

* * *

وقال غيرهما : كانت هذه القصة في سنة سبعين . وقال : كان (١) مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير ، فقال له عمرو بن سعيد بن العاص : إنك تخرج إلى العراق ، وقد كان أبوك وعندي هذا الأمر من بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك ، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك ، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء ، فانصرف عنه عمرو راجعاً إلى دمشق ، فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق .

رجع الحديث إلى حديث هشام ، عن عوانة ، قال : ولمّا غلب عمرو على دِمَشْق طلب عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم فلم يُصِبْهِ ، فأمر بداره فهُدِمَت واجتمع الناسُ ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنّه لم يقم أحد من قريش قبلى على هذا المنبر إلّا زعم أنّ له جنةً وناراً ، يُدْخِلُ الجنةَ من أطاعه ، والنارَ من عصاه ، وإني أخبركم أنّ الجنة والنار بيد الله ، وأنّه ليس إلى من ذلك شيءٌ ، غير أنّ لكم على حسنِ المؤاساة والعطيّة . ونزل .

٧٨٥/٢

وأصبح عبد الملك ، ففقد عمرو وسعيد ، فسأل عنه ، فأخبر خبره ، فرجع عبدُ الملك إلى دِمَشْق ، فإذا عمرو قد جُلِّلَ دِمَشْقُ المُسَوِّحَ فقاتلته بها أياماً ، وكان عمرو بنُ سعيد إذا أخرج حميد بن حُرَيْث الكلبى على الخيّل أخرج إليه عبدُ الملك سُفْيَان بن الأبرد الكلبى ، وإذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبى أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبى .

قال هشام حدثني عوانة ، أنّ الخيلين توافقتا ذات يوم ، وكان مع عمرو بن سعيد رجلٌ من كَلْبٍ يقال له رَجَاء بن سَرَّاج ، فقال رجاء : يا عبد الرحمن بن سليم ، ابرُزْ - وكان عبدُ الرحمن مع عبدِ الملك - فقال عبدُ الرحمن : قد أنصف القسّارة من رامّاها ، وبرز له ، فاطعنا وانقطع ركابُ عبدِ الرحمن ، فسَجَمَا منه ابنُ سراج ، فقال عبدُ الرحمن : والله لولا انقطاع الرّكّاب لرميت بما في بطنك من تبنٍ ، وما اصطاح عمرو وعبدُ الملك أبداً ، فلمّا طال قتالُهم جاء نساءُ كَلْبٍ وصبيّانُهم فبكّسين وقُلْن لسُفْيَان بن الأبرد ولا بن بَحْدَل الكلبى : علام تقتلون أنفسكم لسلطان قُرَيْش ! فحلف كل واحد منهما ألا يرجع حتّى يرجع صاحبه ، فلمّا أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سُفْيَان أكبرَ من حُرَيْث ، فطلبوا إلى حُرَيْث ، فرجع . ثمّ إنّ عبدَ الملك وعمرًا اصطاحا ، وكتبّا بينهما كتاباً ، وآمنته عبدُ الملك وذلك عشية الخميس .

٧٨٦/٢

قال هشام : فحدثني عوانة أنّ عمرو بن سعيد خرج في الخيّل

مقتلداً قوساً سوداء ، فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سرادق عبد الملك ، فانقطعت الأطناب وسقط السرادق ، ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب ، فقال لعمرو : يا أبا أمية ، كأنك تشبهه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس ! قال : لا ، ولكني أتشبه بمن هو خير منهم ، العاص بن أمية . ثم قام مغضباً والخييل معه حتى دخل دمشق ، ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس ، فبعث إلى عمرو أن أعط الناس أرزاقهم ، فأرسل إليه عمرو : إن هذا لك ليس ببلد فاشخص عنه . فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث إلى عمرو أن اثني - وهو عند امرأته الكلبيّة ، وقد كان عبد الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصبح الحميري فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد ، فقال له : في هذا هلك حمير ، لا أرى لك^(١) ذلك ، لا ناقتي في ذا ولا جملي - فلما أتى رسول عبد الملك عمرأ يدعو صادم الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو ، فقال عبد الله لعمرو بن سعيد : يا أبا أمية ، والله لأنت أحب إلى من سمعي وبصري ، وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تأتيه ، وأنا أرى لك ألا تفعل ، فقال له عمرو : ولم ؟ قال : لأنّ تبيع ابن امرأة كعب الأخبار قال : إن عظيماً من عظماء ولد إسماعيل يزرع فيخلق أبواب دمشق ، ثم يخرج منها ، فلا يلبث أن يقتل ؛ فقال له عمرو : والله لو كنت نائماً ما تخوفت أن ينبهني ابن الزرقاء ، ولا كان لي جترئ على ذلك مني ، مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه - وكان عبد الله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد - فقال عمرو للرسول : أبلغه السلام ، وقل له : أنا رائح إليك العشيّة إن شاء الله . فلما كان العشي لبس عمرو درعاً حصينة بين قباء قوهي^(٢) وقميص قوهي ، وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبيّة ، وحُميد بن حريث بن بحدل الكلبي ، فلما نهض متوجهاً ، عثر بالبساط ، فقال له حميد : أما والله لئن^(٣) أعطيتني لم تأته ، وقالت له امرأته تلك المقالة ، فلم يلتفت إلى قولهم ، ومضى في مائة رجل من مواليه ، وقد بعث عبد الملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده ، فلما بلغ عبد الملك

٧٨٧/٢

(١) ف : « لا أرى لي في ذلك » .

(٢) قوهي : نسبة إلى قوهستان .

(٣) ف : « لو » .

أَنَّهُ بِالْبَابِ أَمْرٌ أَنْ يُحْبِسَ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، وَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ ، وَلَمْ تَزَلْ أَصْحَابُهُ
يُحْبِسُونَ عِنْدَ كُلِّ بَابٍ حَتَّى دَخَلَ عَمْرُو قَاعَةَ الدَّارِ ، وَمَا مَعَهُ إِلَّا وَصِيفٌ
لَهُ ، فَتَرَمَى عَمْرُو بِبَصَرِهِ نَحْوَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَإِذَا حَوْلَهُ بَنُو مَرْوَانَ ، وَفِيهِمْ حَسَّانُ
ابْنُ مَالِكٍ بْنُ بَحْدَلٍ الْكَلْبِيُّ وَقَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ الْخُزَاعِيُّ ، فَلَمَّا رَأَى جَمَاعَتَهُمْ
أَحْسَنَ بِالْشَّرِّ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى وَصِيفِهِ فَقَالَ : انْطَلِقْ وَيُحْبِسْكَ إِلَى يَسْحَى بْنِ
سَعِيدٍ ، فَقَالَ لَهُ يَأْتِينِي . فَقَالَ لَهُ الْوَصِيفُ وَلَمْ يَفْهَمْ مَا قَالَ لَهُ : لَبَّيْكَ ! فَقَالَ
لَهُ : اغْرُبْ عَنِّي فِي حَرْقِ اللَّهِ وَنَارِهِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِحَسَّانَ وَقَبِيصَةَ : إِذَا
شِئْتُمَا فَقُومَا فَالْتَقِيَا وَعَمْرًا فِي الدَّارِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لهُمَا كَالْمَازِحِ لِيُطْمِئِنَّ
عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ : أَيَكُمَا أَطُولُ ؟ فَقَالَ حَسَّانُ : قَبِيصَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَطُولُ مِنْي بِالْإِمْرَةِ ، وَكَانَ قَبِيصَةُ عَلَى الْخَاتَمِ . ثُمَّ التَفَتَ عَمْرُو إِلَى وَصِيفِهِ
فَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى يَحْيَى فَمُرْهُ أَنْ يَأْتِيَنِي ، فَقَالَ لَهُ : لَبَّيْكَ ، وَلَمْ يَفْهَمْ عَنْهُ ،
فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : اغْرُبْ عَنِّي ، فَلَمَّا خَرَجَ حَسَّانُ وَقَبِيصَةُ أَمَرَ بِالْأَبْرَابِ
فَعَلَّقَتْ ، وَدَخَلَ عَمْرُو فَرَحَّبَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَالَ : هَا هُنَا يَا أَبَا أُمَيَّةَ ،
يَرْحَمُكَ اللَّهُ ! فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، وَجَعَلَ يَحْدِثُهُ ^(١) طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ :
يَا غُلَامَ ، خُذِ السَّيْفَ عَنْهُ ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنَّا لِلَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : أَوْ تَطْمَعُ أَنْ تَجْلِسَ مَعِيَ مُتَعَلِّدًا سَيْفَكَ ! فَأَخَذَ السَّيْفَ
عَنْهُ ، ثُمَّ تَحَدَّثَا مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا أَبَا أُمَيَّةَ ؛
قَالَ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَقَالَ : إِنَّكَ حَيْثُ خَلَعْتَ آلِيَّتُ بِيَمِينِ
إِنْ أَنَا مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْكَ وَأَنَا مَالِكٌ لَكَ أَنْ أَجْمَعَكَ فِي جَامِعَةٍ ، فَقَالَ لَهُ بَنُو
مَرْوَانَ : ثُمَّ تَطْلِقْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَطْلِقْهُ ، وَمَا عَسَيْتُ أَنْ
أَصْنَعَ بِأَبِي أُمَيَّةَ ! فَقَالَ بَنُو مَرْوَانَ : أَبِرَّ قَسَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عَمْرُو :
قَدْ أَبَرَ اللَّهُ قَسَمَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَخْرَجَ مِنْ تَحْتِ فَرَاشِهِ جَامِعَةً فَطَرَحَهَا
إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا غُلَامَ ، قُمْ فَاجْمَعْهُ فِيهَا ؛ فَقَامَ الْغُلَامُ فَجَسَدَهُ فِيهَا ،
فَقَالَ عَمْرُو : أَذْكَرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تُخْرِجَنِي فِيهَا عَلَى رَعُوسِ النَّاسِ !
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَمْ كَرَّأَ أَبَا أُمَيَّةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ! لَا هَا اللَّهُ إِذَا ! مَا كُنَّا

لنُخْرِجَكَ فِي جَامِعَةٍ عَلَى رَعُوسِ النَّاسِ ، وَلَمَّا نَخَرَجَهَا مِنْكَ إِلَّا صُغْدًا .
ثُمَّ اجْتَبَاهُ اجْتِبَاذَةً أَصَابَ فَمَهُ السَّرِيرُ فَكَسَسَرُ ثَنِيَّتَهُ ^(١) ، فَقَالَ عَمْرُو :
أَذْكُرُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوكَ إِلَى كَسْرِ عَظْمٍ مَنَى أَنْ تَرْكَبَ ^(٢) مَا هُوَ
أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنَّكَ تُبْقَى عَلَى إِنْ
أَبْقَيْتَ عَلَيْكَ وَتَصْلَحَ قَرِيشٌ لِأُطْلَقْتُكَ ، وَلَكِنْ مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ قَطُّ فِي
بَلَدَةٍ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ . فَلَمَّا رَأَى عَمْرُو أَنَّ
ثَنِيَّتَهُ قَدْ اندَقَّتْ ^(٣) وَعَرَفَ الَّذِي يَرِيدُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، قَالَ : أَغْدَرًا يَا بَنَ الزَّرْقَاءِ !

٧٨٩/٢

* * *

وَقِيلَ : إِنْ عَبْدُ الْمَلِكِ لَمَّا جَذَبَ عَمْرًا فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ جَعَلَ عَمْرُو
يَمْسُهَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَهُ : أَرَى ثَنِيَّتَكَ قَدْ وَقَعَتْ ^(٤) مِنْكَ مَوْعِعًا
لَا تَطْيِبُ نَفْسُكَ بَعْدَهَا . فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ عُنُقُهُ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَوَانَةَ . وَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ الْعَصْرَ ، فَخَرَجَ
عَبْدُ الْمَلِكِ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، وَأَمَرَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَقَامَ
إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَذْكُرُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ تَلِيَ
أَنْتَ قَتَلْتَنِي ، وَلِيَتَوَلَّ ذَلِكَ مَنْ هُوَ أَبْعَدَ رَحِمًا مِنْكَ ! فَأَلْقَى عَبْدُ الْعَزِيزِ
السَّيْفَ وَجَلَسَ ، وَصَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ صَلَاةً خَفِيفَةً ، وَدَخَلَ ، وَغَلَقَتْ الْأَبْوَابُ وَرَأَى
النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكِ حَيْثُ خَرَجَ وَلَيْسَ عَمْرُو مَعَهُ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ
فَأَقْبَلَ فِي النَّاسِ حَتَّى حَلَّ بِبَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ أَلْفُ عَبْدٍ لِعَمْرُو ، وَأَنَاسَ
بَعْدُ مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ ، فَجَعَلَ مِنْ كَانَ مَعَهُ يَصِيحُونَ : أَسْمَعْنَا صَوْتَكَ
يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! وَأَقْبَلَ مَعَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ حُمَيْدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَزُهَيْرُ بْنُ الْأَبْرَدِ
فَكَسَرُوا بَابَ الْمَقْصُورَةِ ، وَضَرَبُوا النَّاسَ بِالسِّيُوفِ ، وَضَرَبَ عَبْدُ لَعَمْرُو بْنَ
سَعِيدٍ يَقَالُ لَهُ مَصْقَلَةُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ ، وَاحْتَمَلَهُ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ عَرَبِيٍّ صَاحِبُ الدِّيْوَانِ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَ الْقَرَاطِيسِ ، وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ حِينَ
صَلَّى فَوَجَدَ عَمْرًا حَيًّا ، فَقَالَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَمَقَّتْلَهُ ! قَالَ :

٧٩٠/٢

(١) ف : « ثَنِيَّتِهِ » .

(٢) بَعْدَهَا فِي : « مَنَى » .

(٣) ف : « أَنْ ثَنِيَّتِهِ اندَقَّتْ » .

(٤) ف : « أَرَى أَنْ ثَنِيَّتَكَ اندَقَّتْ » .

مَسَنَعْنِي أَنَّهُ نَاشِدُنِي اللَّهَ وَالرَّحِمَ فَرَقَقْتُ لَهُ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَخْزَى
اللَّهُ أَمْلَكَ الْبِسْوَالَةِ عَلَى عَقَبَيْيْهَا ، فَإِنَّكَ لَمْ تُشْبِهْ غَيْرَهَا — وَأُمَّ عَبْدَ الْمَلِكِ عَائِشَةُ
بِنْتُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُخَيْرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَتْ أُمَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ لَيْلَى ،
وَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرُّقَيْيَاتِ :

ذَاكَ ابْنُ لَيْلَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بَبَا بِلْيُون تَغْدُو جَفَانُهُ رُذْمًا^(١)
ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَالَ : يَا غَلَامَ ، ائْتِنِي بِالْحَرَبَةِ . فَأَتَاهُ بِالْحَرَبَةِ فَهَزَّهَا ،
ثُمَّ طَعَنَهُ بِهَا فَلَمْ تَسْجُرْ ، ثُمَّ ثَسَّنَى فَلَمْ تَسْجُرْ ، فَضْرَبَ بِيَدِهِ إِلَى عَصْدِ عَمْرُو ،
فَوَجَدَ مَسَّ الدَّرْعِ ، فَضَحَكَ ، ثُمَّ قَالَ : وَدَارِعُ أَيْضًا يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! إِنْ
كَنتَ لَمُعْدًا ! يَا غَلَامَ ، ائْتِنِي بِالصِّمَامَةِ ، فَأَتَاهُ بِسَيْفِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِعَمْرُو
فَصُرِعَ ، وَجَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ فَذَبَحَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا عَمْرُو إِنْ لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَيْثُ تُقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي^(٢)
وَانْتَفَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَعْدَةً — وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ زَعَمُوا يُصِيبُهُ إِذَا قُتِلَ
ذَا قَرَابَةٍ لَهُ — فَحُمِلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ صَدْرِهِ فَوُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَقَالَ :
مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا قَطُّ ، قَتَلْتَهُ صَاحِبُ دُنْيَا وَلَا طَالِبُ آخِرَةٍ . وَدَخَلَ يَحْيَى
ابْنُ سَعِيدٍ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى بَنِي مَرْوَانَ الدَّارَ فَجَرَّحُوهُمْ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ
مَوَالِيهِمْ ، فَقَاتَلُوا يَحْيَى وَأَصْحَابَهُ ، وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ الْحَكَمِ
الشَّقِيقُ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الرَّأْسَ ، فَأَلْقَاهُ إِلَى النَّاسِ ، وَقَامَ عَبْدُ الْعَزِيزُ بْنُ مَرْوَانَ
فَأَخَذَ الْمَالَ فِي الْبَدْوِ ، فَجَعَلَ يُلْقِيهَا إِلَى النَّاسِ ، فَلَمَّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى
الْأَمْوَالِ وَرَأَوْا الرَّأْسَ انْتَهَبُوا الْأَمْوَالَ وَتَفَرَّقُوا . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ
ابْنَ مَرْوَانَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ أَمَرَ غَلَامَهُ أَبَا الزُّعَيْرِ عَمَةً بِقَتْلِ عَمْرُو ،
فَقَتَلَهُ وَأَلْقَى رَأْسَهُ إِلَى النَّاسِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ .

قَالَ هِشَامُ : قَالَ عَوَانَةُ : فَحَدَّثْتُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَمَرَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ
الَّتِي طُرِحَتْ إِلَى النَّاسِ فَجُيِبَتْ حَتَّى عَادَتْ كُلُّهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ، وَرُمِيَ
يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ يَوْمَئِذٍ فِي رَأْسِهِ بِصَخْرَةٍ ، وَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِسَرِيرِهِ فَأُبْرِزَ إِلَى

(١) ديوانه ١٥٢ . رذما : ملاء . وباليون : اسم لموضع الفسطاط .

(٢) لدى الإصبع ، من المفضلية ٣١ .

المسجد ، وخرج فجلس عليه ، وفقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول :
وَيْحَكُمْ ! أين الوليد ؟ وأبيهم ! لئن كانوا قتلوه لقد أذركوا ثأرهم ، فأثاه
إبراهيم بن عريّ الكِنَانِي فقال : هذا الوليد عندي ، قد أصابته بجراحة ،
وليس عليه بأس ، فأَتَيْ عبدُ الملكَ ببيحي بن سعيد ، فأمر به أن يُقتَلَ ،
فقام إليه عبدُ العزيز ، فقال : جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَتُرَاكَ
قَاتِلًا بَنِي أُمَيَّةَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ! فأمر ببيحي فحُبِسَ ، ثم أتى بعنيسة بن
سعيد ، فأمر به أن يقتَلَ ، فقام إليه عبد العزيز فقال : أَذْكَرُكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فِي اسْتِثْصَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَهَلَاكِهَا ! فأمر بعنيسة فحُبِسَ ، ثم أتى بعنيسة بن سعيد
فأمر به أن يقتَلَ ، فقام إليه عبد العزيز بن مروان ، فقال : أَذْكَرُكَ اللهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي اسْتِثْصَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَهَلَاكِهَا ! فأمر بعنيسة فحُبِسَ ، ثم
أَتَيْ بِعَامِرِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْكَلْبِيِّ فَضْرَبَ رَأْسَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بِقَضِيبٍ خَشِيزٍ كَانَ
مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَقَاتِلُنِي مَعَ عَمْرٍو وَتَكُونُ مَعَهُ عَلِيٌّ ! قَالَ : نَعَمْ ، لِأَنَّ
عَمْرًا أَكْرَمَنِي وَأَهْنَتَنِي ، وَأَدْنَانِي وَأَقْصَيْتَنِي ، وَقَرَّبَنِي وَأَبْعَدَتَنِي ، وَأَحْسَنَ إِلَيَّ
وَأَسَاءَ إِلَيَّ ، فَكَنتُ مَعَهُ عَلَيْكَ . فَأَمَرَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يُقْتَلَ ، فقام
عبدُ العزيز فقال : أَذْكَرُكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي خَالِي ! فَوَهَبَهُ لَهُ . وَأَمَرَ
بِبَنِي سَعِيدٍ فَحُبِسُوا ، وَمَكَثَ يَحْيَى فِي الْحَبْسِ شَهْرًا أَوْ أَكْثَرَ . ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ
صَعِدَ الْمَنِيرَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَشَارَ النَّاسَ فِي قَتْلِهِ ، فقام
بَعْضُ خُطْبَاءِ النَّاسِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةَ إِلَّا حَيَّةً ! نَرَى
وَاللَّهِ أَنْ تَقْتُلَهُ فَإِنَّهُ مَنَافِقٌ عَدُوٌّ . ثُمَّ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودَةَ الْفَزَارِيُّ ،
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ يَحْيَى ابْنَ عَمَّكَ ، وَقَرَابَتُهُ مَا قَدْ عَلِمْتَ ،
وَقَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا ، وَصَنَعَتْ بِهِمْ مَا قَدْ صَنَعْتَ ، وَلَسْتُ لَهُمْ بِأَمِينٍ ،
وَلَا أَرَى لَكَ قَتْلَهُمْ ، وَلَكِنْ سَيِّرْهُمْ إِلَى عَدُوِّكَ ، فَإِنْ هُمْ قُتِلُوا كُنْتَ قَدْ
كُفِّيتَ أَمْرَهُمْ بِيَدٍ غَيْرِكَ ، وَإِنْ هُمْ سَلِمُوا وَرَجَعُوا رَأَيْتَ فِيهِمْ رَأْيَكَ .
فَأَخَذَ بِرَأْيِهِ ، وَأَخْرَجَ آلَ سَعِيدٍ فَأَلْحَقَهُمْ بِمُصْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ ، فَلَمَّا
قَدِمُوا عَلَيْهِ دَخَلَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الزَّيْرِ : انْقَلَبْتَ
وَانْحَصَ الدَّنَبُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ الدَّنَبُ لَسَبَّهْلُبِهِ . ثُمَّ إِنَّ
عَبْدَ الْمَلِكِ بَعَثَ إِلَى امْرَأَةِ عَمْرٍو الْكَلْبِيَّةِ : ابْعَثِي إِلَيَّ بِالصِّلَاحِ الَّذِي كُنْتُ كَتَبْتَهُ

لعمر و ، فقالت لرسوله : ارجع إليه فأعلمه أني قد لففت ذلك الصلح معه في أكفانه ليخاضمك به عند ربّه ، وكان عمرو بن سعيد وعبد الملك يلتقيان في النسب إلى أميّة ، وكانت أم عمرو أم البنين ابنة الحكم ابن أبي العاص عمّة عبد الملك .

قال هشام : فحدثنا عوانة أن الذي كان بين عبد الملك وعمرو كان شراً قديماً ، وكان ابننا سعيد أمهما أم البنين ، وكان عبد الملك ومعاوية ابني مروان ، فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أم مروان بن الحكم الكنانيّة يتحدّثون عندها ، فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود ، وكانت أم مروان إذا أتوها هيأت لهم طعاماً ، ثم تأتيهم به فتضع بين يدي كل رجل صحيفة على حدة ، وكانت لا تزال تؤرّش بين معاوية ابن مروان ومحمد بن سعيد ، وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد ، فيقتتلون ويتصارمون الحين ، لا يكلم بعضهم بعضاً ، وكانت تقول : إن لم يكن عند هذين عقل فعند هذين ، فكان ذلك دأبها كلّما أتوها حتّى أثبتت الشّحناء في صدورهم .

وذكر أن عبد الله بن يزيد القسريّ أبا خالد كان مع يحيى ابن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة ، فقاتل بني مروان ، فلمّا قتل عمرو وأخرج رأسه إلى النّاس ركب عبد الله وأخوه خالد فلحقوا بالعراق ، فأقام مع ولد سعيد وهم مع مُصعب حتّى اجتمعت الجماعة على عبد الملك ، وقد كانت عين عبد الله بن يزيد فُقيئت يوم المَرَج ، وكان مع ابن الزبير يُقاتل بني أميّة ، ولأنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة ، فقال : كيف أنتم آل يزيد ؟ فقال عبد الله : حرباء حرباء ، فقال عبد الملك : ذلك بما قد مت أيديكم ، وما الله بظلام للعبيد .

قال هشام عن عوانة : إن ولد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة : أميّة ، وسعيد ، وإسماعيل ، ومحمد ، فلمّا نظر إليهم عبد الملك قال لهم : إنكم أهل بيت لم تزالوا تروّون لكم على جميع قومكم فضلاً لم يجعله الله لكم ، وإن الذي كان بيني وبين أبيكم لم

يكن حديثاً ، بل كان قديماً في أنفُس أوليكم على أولينا في الجاهليّة .
فأقطع بأميّة بن عمرو - وكان أكبرهم - فلم يقدر أن يتكلّم ، وكان أنبلهم
وأعقلهم ، فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال : يا أمير المؤمنين ،
ما تسعى علينا أمراً كان في الجاهليّة ، وقد جاء الله بالإسلام فهتّم ذلك ،
فوعدنا جنة ، وحدّثنا ناراً ! وأمّا الذي كان بينك وبين عمرو فإنّ عمراً
ابن عمك ، وأنّ أعلم ما صنعت ، وقد وصل عمرو إلى الله ، وكفّني بالله
حسيباً ، ولعمري لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من
ظهرها . فرق لهم عبد الملك رقّة شديدة ، وقال : إنّ أباكم خيرني بين أن يقتلني
أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأمّا أنتم فما أرغبني فيكم ، وأوصلني
لقرابتكم ، وأرعاني لحقكم ! فأحسن جائزتهم ، ووصلهم وقربهم .

وذكر أنّ خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب
منك ومن عمرو بن سعيد ، كيف أصبت غرته فقتلته ! فقال عبد الملك :

دَانِيَتْهُ مِنِّي لَيْسَ كَنَ رُوعُهُ فَاصُولَ صَوْلَةِ حَازِمٍ مُسْتَمَكِنٍ
غَضَباً وَمَحِيَةً لِلدِّينِ إِنَّهُ لَيْسَ الْمُسِيءُ سَبِيلُهُ كَالْمُحْسِنِ

قال عوانة : لقي رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة ، فقال له : وربّ
هذه البسيّة ، ما كان في القوم مثل أبيك ، ولكنّه نازع القوم ما في أيديهم
فعطّب .

٧٩٦/٢

وكان الواقدي يقول : إنّما كان في سنة تسع وستين بين عبد الملك
ابن مروان وعمرو بن سعيد الحصار ، وذلك أنّ عمرو بن سعيد تحصّن
بدمشق فرجع عبد الملك إليه من بطنان حسيب ، فحاصره فيها ، وأمّا
قتله إيّاه فإنّه كان في سنة سبعين .

* * *

وفي هذه السنّة ^(١) حَكَّم محكّم من الخوارج بالخييف من منى فقتل
عند الجمرة ، ذكر محمد بن عمرو أن يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن

(١) قبلها في ١ : « قال أبو جعفر » .

أبيه، قال : رأيتُه عند الحمرة سَلَّ سيفه ، وكانوا جماعةً فأَمَسَكَ اللهُ بأيديهم ،
وَبَدَّرَ هو من بينهم ، فحَكَمَ ، فقال الناسُ عليه فَتَقَتْلُوهُ .
وأقام الحجَّ للناس في هذه السنة عبدُ اللهِ بنُ الزبير .

وكان عامله فيها على المصرين : الكوفة والبصرة^(١) أنخوه مصعب بن
الزبير^(٢) . وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح^(٢) وعلى قضاء البصرة هِشَامُ بنُ
هُبَيْرَةَ ، وعلى خُرَّاسانَ عبدُ اللهِ بنُ خازم .

(١) ب ، ف : « البصرة والكوفة » .

(٢ - ٢) ب ، : « وعلى الكوفة شريح يتولى قضاءها » .

ثم دخلت سنة سبعين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة ثارت الروم ، واستجاشوا على من بالشام من ذلك
من المسلمين ؛ فصالح عبد الملك ملك الروم ، على أن يؤدي إليه في كل
جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين .

وفيه شخص - فيما ذكر^(١) محمد بن عمر - مصعب بن الزبير إلى مكة
فقدمها بأموال عظيمة ، فقسمها في قومه وغيرهم ، وقدم بدواب كثيرة وظهور
وأثقال ، فأرسل إلى عبد الله بن صفوان وجبشير بن شيبه ، وعبد الله بن مطيع
مالاً كثيراً ، ونحر بدناً كثيرة .

٧٩٧/٢

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .
وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على
المعاون والقضاء .

(١) ب ، ف : « زعم » .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مسيرُ عبد الملك بن مَرْوَانَ فيها إلى العراق لحرب مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، وكان عبد الملك - فيما قيل - لا يزال يقرب من مُصْعَبِ ، حتَّى يبلغ بِطْنَانَ حَبِيبِ ، ويخرج مصعب إلى بَاجُصَيَّرَا ، ثم تهجمُ الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه ، ثم يعودان ؛ فقال عدى بن زيد بن عدى بن الرقاع العاملي :

لعمري لقد أصحرتُ خيلنا	بأَكْنافِ دِجْلَةَ لِلْمُصْعَبِ (١)
إذا ما مُنافقُ أهلِ العِرا	قِ عُوتِبَ ثُمَّتَ لَمْ يُعْتَبِ (٢)
دَلَفْنَا إِلَيْهِ بِذِي تُدْرَا	قَلِيلَ التَّفَقُّدِ لِلْغُيْبِ (٣)
يَهْزُونُ كُلَّ طَوِيلِ الْقَنَا	قِ مُلْتَثِمِ النَّصْلِ وَالشُّعْلَبِ (٤)
كَأَنَّ وَعَاهُمْ إِذَا مَاغَدُوا	ضَجِيجُ قَطَا بِلَدِ مُخْصَبِ
فَقَدَّمْنَا وَاضِحُ وَجْهُهُ	كَرِيمِ الضَّرَائِبِ وَالْمَنْصَبِ
أَعَيْنَ بِنَا وَنُصِرْنَا بِهِ	وَمَنْ يَنْصُرُ اللَّهَ لَمْ يُغْلَبِ (٥)

٧٩٨/٢

- (١) الأغاني ٩ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
 (٢) ذو تدرأ . مدافع ذو عز ومتمعة . وفي المسعودي : « لدى موقف » .
 (٣) ذو تدرأ . مدافع ذو عز ومتمعة . وفي المسعودي : « لدى موقف » .
 (٤) الثعلب هنا : رأس الرمح .
 (٥) الأبيات برواية الأغاني :

لعمري لقد أصحرتُ خيلنا	بأَكْنافِ دِجْلَةَ لِلْمُصْعَبِ
يَهْزُونُ كُلَّ طَوِيلِ الْقَنَا	قِ لَذْنٍ وَمُعْتَدِلِ الشُّعْلَبِ
فَدَاؤُكَ أُمِّي وَأَبْنَاؤُهَا	وإن شئتَ زدتَ عليها أباي
وما قُلتُها رَهْبَةً إِنَّمَا	يَحِلُّ الْعِقَابُ عَلَى الْمَذْنِبِ
إِذَا شِئْتُ نَازَلْتُ مُسْتَقْتَلَا	أَزَاحِمِ كَالْجَمَلِ الْأَجْرَبِ
فَمَنْ يَكُ مِنَّا يَبْتَ آمَنًا	وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبُ

فحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : أقبل عبد الملك من الشام يريد مُصعباً - وذلك قبل هذه السنة ، في سنة سبعين - ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال خالد لعبد الملك : إن وجهتي إلى البصرة وأتبعني خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها . فوجهه عبد الملك ، فقد مها مستخفياً في مواليه وخاصته ، حتى نزل على عمرو بن أسمع الباهلي .

قال عمر : قال أبو الحسن : قال مسلمة بن محارب : أجاز عمرو بن أسمع خالداً ، وأرسل إلى عبّاد بن الحُصين وهو على شرطة ابن معمر - وكان مُصعب إذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر - ورجا عمرو بن أسمع أن يبايعه عبّاد بن الحُصين - بأنني قد أجزتُ خالداً فأحييت أن تعلم ذلك لتكون لي ظهيراً . فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه ، فقال له عبّاد : قل له : والله لا أضع لبد فرسي حتى آتيك في الخيل . فقال عمرو لخالد : إني لا أغرك ، هذا عبّاد يأتيك الساعة ، ولا والله ما أقدر على منعه ، ولكن عليك بمالك بن مسمع .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : ويقال إنّه نزل على علي بن أسمع ، فبلغ ذلك عبّاداً^(١) فأرسل إليه عبّاد : إني سائر إليك .

٧٩٩/٢

حدثني عُمر [بن شبة]^(٢) ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن مسلمة وعوانة^(٣) أن خالداً خرج من عند ابن أسمع يركض ، عليه قميص قموه رقيق ، قد حسره عن فخذه ، وأخرج رجله من الركابين ؛ حتى أتى مالكاً ، فقال : إني قد اضطررت إليك ، فأجرتني ، قال : نعم ، وخرج هو وابنه ، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد ، فكانت أول راية أته راية بني يشكر . وأقبل عبّاد في الخيل ، فتواقفوا ، ولم يكن بينهم ، فلما كان من الغد غدوا إلى حُمْفرة نافع بن الحارث التي نسبت بعد إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوه ، منهم صمصمة بن معاوية ، وعبد العزيز بن

(٢) من ب ، ف .

(١) ب ، ف : « فقال » .

(٣) ب ، ف : « عن عوانة » .

بشر، ومرة بن مَحْكَمَان، في عدد منهم؛ وكان أصحاب خالد بجُفْرِية ينسبون إلى الجُفْرِة، وأصحاب ابن معمر زُبَيْرِيَّة؛ فكان من الجُفْرِة عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ وحُمُرَان والمغيرة بن المهلب، ومن الزبيرية قيس بن الهيثم السُلَيمي؛ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه، فتقاضاه رجل أجرة فقال: غداً أعطيكها، فقال غَطَفَان بن أنيف، أحد بني كعب بن عمرو:

لِبِئْسَ مَا حَكَمْتَ يَا جَلَّاجِلُ النَّقْدُ دَيْنٌ وَالطَّعَانُ عَاجِلُ
* وَأَنْتَ بِالْبَابِ سَمِيرُ آجِلُ *

وكان قيس يعلّق^(١) في عنق فرسه جلاجل، وكان على خيل بني حنظلة عمرو بن وبرة القحقي^(٢)؛ وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم، فيعطيهـم عشرة عشرة، فقيل له:

لِبِئْسَ مَا حَكَمْتَ يَا بَنَ وَبَرَةَ تُعْطَى ثَلَاثِينَ وَتُعْطَى عَشْرَةَ
ووجّه المصعب زحر بن قيس الجُعقي مدداً لابن مَعْمَر في ألف، ووجّه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظَبْيَان مدداً لخالد، فكره أن يدخل البصرة، وأرسل مطر بن التَّوَم فرجع إليه فأخبره بتفرق الناس، فلتحق بعبد الملك.

قال أبو زيد: قال أبو الحسن: فحدثني شيخ من بني عرين، عن السكن بن قتادة، قال: اقتتلوا أربعة عشرين يوماً، وأصيب عين مالك، فضجر من الحرب، ومشت السفراء، بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص، فصالحه، على أن يخرج خالدًا وهو آمن، فأخرج خالدًا من البصرة، وخاف ألا يجيز المصعب أمان عبيد الله، فلتحق مالك بثأج، فقال الفرزدق يذكّر مالكا ولحوق التميمية به وبخالد:

عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ تَمِيمُ أَبْوَهُمُ وَهُمْ فِي بَنِي سَعْدٍ عِظَامُ الْمَبَارِكِ^(٣)

(١) كذا في أ، س، وفي ط: «يعلم».

(٢) ب: «الجعقي»، س: «المجقي».

(٣) ديوانه ٦٠٠.

وكانوا أعزَّ الناس قبل مسيرهم إلى الأزْد مُصَفِّراً لحاها ومالك
فما ظنكم بابن الحَوَارِيَّ مُصْعَبٍ إذا افترَّ عن أنيابه غيرَ ضاحِكٍ
ونحنُ نفينا مالكا عن بلادِهِ ونحنُ فقنا عَيْنَهُ بالنِّيَازِكِ

٨٠١/٢

قال أبو زيد : (١) قال أبو الحسن : حدثني مسلمة (٢) أن المصعب لما
انصرف عبد الملك إلى دمشق لم يكن (٣) له همّة إلا البصرة ، وطسيع أن
يُدرِك بها خالداً ، فوجده قد خرج ، وأمن ابن مَعَمَرِ النَّاسِ ، فأقام
أكثرهم ، وخاف بعضهم مُصْعَباً فشخص ، فغضب مُصْعَبٌ على ابن
مَعَمَرٍ ، وحكف ألا يوليه ، وأرسل إلى الجُفَرِيَّة فسبهم وأنبهم .

قال أبو زيد : فزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة أنه أرسل إليهم
فأتى بهم ، فأقبل على عبيد الله بن أبي بكر ، فقال : يا بن مسروح ، إننا
أنت ابن كَلْبَةٍ تعاورها الكلاب ، فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كل
كلب بما يشبهه ، وإننا كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حصن الطائف ، ثم أقمت البيعة تدعون أن أبا سفيان
زنى بأمكم ، أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم . ثم دعا بجمهران
فقال : يا بن اليهودية ، إننا أنت علج علج نبطي سبيت من عين التمر .
ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود : يا بن الخبيث ، أتدري من أنت
ومن الجارود ! إننا كان الجارود علجاً بجزيرة ابن كاوان فارسيّاً ، فقطع إلى
ساحل البحر ، فانتفى إلى عبد القيس ، ولا والله ما أعرف حيناً أكثر اشتمالاً
على سوءة منهم . ثم أنكح أخته المكنعير الفارسي فلم يصب شرفاً قط
أعظم منه ، فهؤلاء ولدوها يا بن قباد . ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهراني
فقال : ألسنت من أهل هجر ، ثم من أهل سماهيج ! أما والله لأردنك
إلى نسبك . ثم أتى بعل بن أصمع ، فقال : أعبد لبني تميم مرة وعزى من
باهلة ! ثم أتى بعبد العزيز بن بشر بن حنّاط فقال : يا بن المشطور ، ألم
يسرق عملك عزّاً في عهد عمر ، فأمر به فسيّر ليقطعه ! أما والله ما أعنت إلا

٨٠٢/٢

(١ - ١) ب ، ف : « عمر بن شبة عن أبي الحسن المدائني عن مسلمة » .

(٢) ب ، ف : « لم تكن » .

من يَسْكُحْ أَخْتَكْ - وكانت أخته تحت مقاتل بن مِسْمَع - ثم أتى بأبي حاضر الأسدى فقال : يا بن الإصْطَخْرِيَّة ، ما أنت والأشراف ! وإنما أنت من أهل قطر دَعِيٌّ في بني أسد ، ليس لك فيهم قريب ولا نسيب . ثم أتى زياد بن عمرو فقال : يا بن الكَرَمَانِي ، إنما أنت علج من أهل كَرَمَان قطعت إلى فارس فصرت مَلَاَحًا ، مَا لَكَ وَلِلْحَرْبِ ! لَأَنْتَ بَجَرٌ الْقَلَسُ (١) أَحْدَقُ . ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال : أَعْلَى تُكْشِرُ وَأَنْتَ عَلْجٌ مِنْ أَهْلِ هَجْرٍ ، لِحَقِّ أَبُوكَ بِالطَّائِفِ وَهُمْ يَضْمُونَ مِنْ تَأَشَّبَ إِلَيْهِمْ يَتَعَزَّوْنَ بِهِ ! أَمَا وَاللَّهِ لَأُرْدَنَّكَ إِلَى أَصْلِكَ . ثم أتى بشَيْخِ بْنِ الشُّعْمَانِ فقال : يا بن الخبيث ، إنما أنت علج من أهل زَنْدَوَرْد ، هَرَبْتَ أَمَكْ وَقُتِلَ أَبُوكَ ، فَتَزَوَّجَ أَخْتَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ ، فَجَاءَتْ بِغُلَامَيْنِ ، فَأَلْحَقْنَاكَ بِنَسَبِهِمَا ، ثُمَّ ضَرَبَهُم مَائَةً مَائَةً ، وَحَلَّقَ رِءُوسَهُمْ وَلِحَاهُمْ ، وَهَدَمَ دُورَهُمْ ، وَصَهَّرَهُمْ فِي الشَّمْسِ ثَلَاثًا ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى طَلَاقِ نِسَائِهِمْ ، وَجَمَرَ أَوْلَادَهُمْ فِي الْبُعُوثِ ، وَطَافَ بِهِمْ فِي أَقْطَارِ الْبَصْرَةِ ، وَأَحْلَفَهُمْ أَلَّا يَسْكُحُوا الْحَرَائِرَ . وَبَعَثَ مُصْعَبُ خِدَاشِ بْنِ يَزِيدَ (٢) الْأَسَدِيَّ فِي طَلَبِ مِنْ هَرَبَ مِنْ أَصْحَابِ خَالِدٍ ، فَأَدْرَكَ مُرَّةَ بْنَ مَحْكُوكَانَ فَأَخَذَهُ ، فَقَالَ مُرَّةُ :

بني أسدٍ إن تقتلوني تُحَارِبُوا تَمِيًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ اشْمَعَلَتْ
بني أسد هل فيكم من هَوَادَةٍ فَتَعَفُّونَ إِنْ كَانَتْ بِي النَّعْلُ زَلَّتْ
فَلَا تَحْسِبِ الْأَعْدَاءُ إِذْ غَبْتُ عَنْهُمْ وَأُورِيتُ مَغْنًا أَنْ حَرْبِي كَلَّتْ
تَمْشِي خِدَاشُ فِي الْأَسِكَّةِ آمِنًا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْ الرِّمَاحِ وَعَلَّتْ

فقربه خداش فقتله - وكان خداش على شرطة مصعب يومئذ - وأمر مصعب سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد بدار مالك بن

(١) القلس : حبل غليظ من حبال السفن .

(٢) ب ، ف : « مرثد » .

مسمّع فهدمها ، وأخذ مُصعب ما كان في دار مالك ، فكان فيما أخذ جارية ولدت له عمر بن مُصعب . قال : وأقام مُصعب بالبصرة حتى ^(١) شخص إلى الكوفة ، ثم لم ^(٢) يزل بالكوفة حتى خرج ^(٣) لحرب عبد الملك ، ونزل عبد الملك مسكن ، وكتب عبد الملك إلى المروانية من أهل العراق ، فأجابته كلهم وشرطوا عليه ولاية أصبهان ، فأنعم بها لهم كلهم ، منهم حجاج ابن أبيجر ، والغضبان بن القيس عثري ، وعتاب بن ورقاء ، وقطس بن عبد الله الحارثي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وزحر بن قيس ، ومحمد ابن عُمير ، وعلى مقدّمته محمد بن مروان ، وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وعلى ميسرته خالد بن يزيد ، وسار إليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة . قال عروة بن المغيرة بن شعبة : فخرج يسير متسكنا على معرفة دابته ، ثم تصفّح ^(٤) الناس يمينا وشمالا ف وقعت عينه على ، فقال : يا عروة ، إلى ، فلدنوت منه ، فقال : أخبرني عن الحسين بن علي ، كيف صنع بإيائه النزول على حكم ابن زياد وعزّمه على الحرب ؟ فقال :

٨٠٤/٢

إِنَّ الْأُلَى بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا ^(٥)
قال : فعلمت أنه لا يرجم حتى يقتل ، وكان عبد الملك - فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي قرّة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي قرّة ، عن رجاء بن حيوة - قال : لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه ، فلما أجمع بالمسير إلى مصعب وقد صفت له الشام وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيؤ إلى مصعب ، فاختلف عليه رؤساء أهل الشام من غير خلاف لما يريد ، ولكنهم أحسبوا أن يقيم ويقدم الجيوش ، فإن ظفروا فذاك ، وإن لم يظفروا أمدّهم بالجيوش خشية على الناس إن أصيب في لقائه مصعبا لم يكن وراءه ملك ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو أقمّت مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ، ثم

٨٠٥/٢

(١) ب ، ف : « ثم » .

(٢) ب ، ف : « ولم » . (٣) ب ، ف : « شخص » .

(٤) ب ، ف : « يتصفّح » .

(٥) اللسان (أسي) من غير نسبة ، وروايته : « التأسي » .

سرّحتّه إلى مصعب ! فقال عبدُ الملك : إنّه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشيّ له رأى ، ولعلّي أبعث من له شجاعة ولا رأى له ، وإني أجد في نفسي أني بصيرٌ بالحرب ، شجاعٌ بالسيف إن أُلحِثْتُ إلى ذلك ، ومصعب في بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش ، وهو شجاع ولا علم له بالحرب ، يُحبّ الخفض ، ومعه من يُخالفه ، ومعى من ينصح لى . فسار عبد الملك حتّى نزل مَسْكِنَ ، وسار مصعب إلى باجُسمَيرَ ، وكتب عبدُ الملك إلى شيعته من أهل العراق ، فأقبل إبراهيمُ بنُ الأَشتر بكتاب عبد الملك محتوماً لم يقرأه ، فدفعه إلى مصعب ، فقال : ما فيه ؟ فقال : ما قرأته ، فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق ، فقال لمصعب : إنّه والله ما كان من أحد آيس^(١) منه منى ، ولقد كتب إلى أصحابك كلّهم بمثل اللّذى كتب إلىّ ، فأطعنى فيهم فاضرب أعناقهم . قال : إذا لا تُناصحنّا عشائِرهم . قال : فأوقرهم حديدًا وابعث بهم إلى أبيض كسرى فاحبسهم^(٢) هنالك ، ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعنقهم ، وإن غلبت مسنت بهم على عشائِرهم . فقال : يا أبا النعمان ، إني لئن شغل عن ذلك ، يرحم الله أبا بَحر ، إن كان ليحدّثني غدر أهل العراق ، كأنّه كان يَستظر إلى ما نحن فيه !

حدثني عمر ، قال : حدّثنا محمد بنُ سَلام ، عن عبد القاهر بن السرى ، قال : هم أهلُ العراق بالغَدَر بمُصعب ، فقال قيسُ بنُ الهيثم : ويحكمهم ! لا تُدخلوا أهلَ الشام عليكم ، فوالله لئن تطعموا بعيشكم لَيُصْغِفِينَ عليكم منازلكم ، والله لقد رأيتُ سيّدَ أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسلته في حاجة ، ولقد رأيتُنا في الصّوائف وأحدنا على ألف بعير ، وإن الرجلَ من وجوههم لَيَغْزُو على فرسه وزاده خَلْفَه .

قال : ولمّا تداننى العسكران بديّر الجاثليق من مَسْكِنَ ، تقدّم إبراهيمُ بنُ الأَشتر فحسّل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه ، فوجّه عبدُ الملك بن مروان عبدَ الله بن يزيد بن معاوية ، فقرب من محمد بن

(١) ب ، ف : « آنس » . (٢) ب ، ف : « واحبسهم » .

مروان . والتقى القومُ ففُتِلَ مُسلمُ بنُ عَمرو الباهليّ ، وقتلَ يَحْيَى ابنُ مَبَشَّرٍ ، أحدُ بني ثعلبة بنِ يَرْبُوع ، وقتلَ إبراهيمُ بنُ الأَشترِ ، فهربَ عَتَّابُ ابنُ وَرَقَاءَ - وكانَ على الخيلِ مع مصعب - فقال مصعبُ لقطنَ بن عبد الله الحارثي : أبا عثمان ، قدّم خيلك ، قال : ما أرى ذلك ، قال : ولم ؟ قال : أكره أن تُقتَلَ مذحجٌ في غير شيء ، فقال لحجّار بن أبجر : أبا أسيد ، قدّم رايتهك ؛ قال : إلى هذه العُدّة ! قال : ما تتأخّر إليه والله أنتن وألأم ؛ فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك ، فقال : ما أرى أحداً فَعَمَلَ ذلك فأفعله ، فقال مصعب : يا إبراهيم ولا إبراهيمَ لي اليوم !

٨٠٧/٢

حدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد بن سلام ، قال : أخبرني خازم بمسير مصعب إلى عبد الملك ، فقال : أمّعه عمر بن عبيد الله بن معمر ؟ قيل : لا ، استعمله على فارس ، قال : أمّعه المهلب بن أبي صفرة ؟ قيل : لا ، استعمله على الموصل ، قال : أمّعه عبّاد بن الحصين ؟ قيل : لا ، استخلفه على البصرة ، فقال : وأنا بخراسان !

خُذِينِي فَجُرِّينِي جَعَارٍ وَأَبْشِرِي بِلَحْمِ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدِ الْيَوْمَ نَاصِرَةٌ فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب : يا بُنَيَّ ، اركب أنتَ ومن معك إلى عمّك بمكة فأخبره ما صنع أهلُ العراق ، ودعني فأني مَقْتُول . فقال ابنه : والله لا أخبر قريشاً عنك أبداً ، ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة ، أو الحق بأمر المؤمنين . قال مصعب : والله لا تتحدث قريش أني فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها حتى أدخل الحرمَ مُنْهَزِماً ، ولكن^(١) أقاتل ، فإن^(٢) قُتِلْتُ فلعمرى ما السيفُ بعار ، وما الفرارُ لي بعادة ولا خُلُتُ ، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل . فرجع فقاتل حتى قتل .

٨٠٨/٢

قال علي بن محمد عن يحيى بن سعيد بن أبي المهاجر ، عن أبيه

(١) ب ، ف : « ولكن » . (٢) ب ، ف : « فلن » .

إن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان : إن ابن عمك يعطيك الأمان ، فقال مصعب : إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً .

وقال الهيثم بن عدي : حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن عبيد الله ، عن أبيه ، قال : إننا لو قُوفُ مع عبد الملك بن مروان وهو يُحارب مصعباً إذ دنا زياد بن عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إسماعيل بن طلحة كان لي جاراً صدق ، قلماً أرادني مُصعب بسوء إلا دفعه عني ، فإن رأيت أن تؤمنه على جرمه ! قال : هو آمن ، فضي زياد - وكان ضحماً على ضخم - حتى صار بين الصَّفَيْنِ ، فصاح : أين أبو البختري إسماعيل بن طلحة ؟ فخرج إليه ، فقال : إني أريد أن أذكر لك شيئاً ، فدنا حتى اختلفت أعناق دوابهما - وكان الناس ينتطقون بالحواشي المحشوة - فوضع زياد يده في منطقة إسماعيل ، ثم اقتلعه عن سرجه - وكان نحيفاً - فقال : أنشدك الله يا أبا المغيرة ، إن هذا ليس بالوفاء لمصعب ، فقال : هذا أحب إلي من أن أراك غداً مقتولاً .

ولمّا أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له : يا بن أخي ، لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد آمنك عمك فامض إليه ، قال : لا تتحدث نساءً قريش أني أسلمت للقتل ؛ قال : فتقدم بين يدي أحسبك ، فقاتل بين يديه حتى قتل ، وأثخن مصعب بالرّمَى ، ونظر إليه زائدة بن قدامة فشده عليه فطعنه ، وقال : يا لثارات المختار ! فصرعه ، ونزل إليه عبید الله ابن زياد بن ظبيان ، فاحتز رأسه ، وقال : إنّه قتّل أخى النابی بن زياد . فأتّى به عبد الملك بن مروان فأثابته ألف دينار ، فأبى أن يأخذها ، وقال : إني لم أقتله على طاعتك ، إنما قتلته على وتر صنته بي ، ولا آخذ في حمل رأس مالا . فتركه عند عبد الملك .

وكان الوتر الذي ذكره عبید الله بن زياد بن ظبيان أنه قتل عليه مصعباً أن مصعباً كان ولي في بعض ولايته شرطه مطرف بن سيدان الباهلي ثم أحدبني جأوة .

فحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني أبو الحسن المَدائني ومَخْلَد بن يحيى بن حاضر ، أن مطرفاً أتى بالنابى بن زياد بن ظَبْيَان ورجل من بني نُمَيْر قد قطعاً الطريق ، فقتل النابى ، وضرب النُمَيْر بالسياط فتركه ، فجمع له عبيدُ الله بن زياد بن ظَبْيَان جَسَعاً بعد أن عزله مُصْعَب عن البصرة وولاه الأهواز ، فخرج يريده ، فالتَقِيَا فتواقفاً وبينهما نهر ، فعبر مطرف إليه النهر ، وعاجله ابنُ ظَبْيَان فطعنه فقتله ، فبعث مُصْعَبُ مكرم بن مطرف في طلب ابن ظَبْيَان ، فسار حتى بلغ عسكرَ مُكرم ، فنسب إليه ، ولم يلق ابنَ ظَبْيَان . ولحق ابن ظَبْيَان بعبد الملك لما قُتِل أخوه ، فقال البعِثُ اليَسْكُرَى بعد قتل مُصْعَب يذكُر ذلك :

٨١٠/٢

ولما رأينا الأمرَ نكساً صُدُورُهُ وهمَّ الهوادي أن تَكُنَّ نوالِيا^(١)
صَبَرْنَا لأمر الله حتى يُقِيمَهُ ولم نَرْضَ إِلَّا مِنْ أُمِيَّةَ واليا
ونحنُ قَتَلْنَا مُصْعَباً وابنَ مُصْعَبٍ أَخَا أَسَدٍ والنَّخَعِيَّ اليَانِيَا
ومرَّتْ عُقَابُ الموتِ مِنَّا بِمِسْلَمٍ فَأَهْوَتْ لَهُ نَاباً فَأَصْبَحَ ثَاوِيَا
سَقَيْنَا ابنَ سِيدَانٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ كَفَتْنَا ، وخيرُ الأمرِ ما كان كافيا
حدثني أبو زيد ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مرَّ ابنُ ظَبْيَان بَابَةَ مطرف بالبصرة ، فقتلها : هذا قاتلُ أبيك ، فقالت : في سبيل الله أبي ، فقال ابنُ ظَبْيَان :

فلا في سبيلِ اللهِ لاقى حِمَامَهُ أَبُوكَ وَلَكِنْ فِي سَبِيلِ الدَّرَاهِمِ
فلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ دَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ بنُ مُرْوَانَ أَهْلَ الْعِرَاقِ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَبَايَعُوهُ ، وَكَانَ مُصْعَبُ قُتِلَ عَلَى نَهْرِ يُقَالُ لَهُ الدُّجَيْلُ عِنْدَ دَيْرِ الْجَاهَلِيْنِ
فلَمَّا قُتِلَ أَمَرَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ وَبَابَنهُ عَيْسَى فَدُفِنَا .

٨١١/٢

ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد ، عن أبي بكر بن عُمَرَ ، عن عروة

قال : قال عبدُ الملك حين قُتِل مُصْعَب : واروهُ فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمةً ، ولكن هذا المثلك عقيم .

قال أبو زيد : وحدثنى أبو نعيم ، قال : حدثني عبدُ الله بنُ الزبير أبو أبي أحمد ، عن عبد الله بن شريك العامري ، قال : إني لواقفٌ إلى جنب مصعب بن الزبير فأخرجتُ له كتاباً من قَبَائِي ، فقلتُ له : هذا كتابُ عبد الملك ، فقال : ما شئتَ ، قال : ثم جاء رجلٌ من أهل الشام فدخل عسكره ، فأخرجَ جارية فصاحت : واذلّاه ! فنظر إليها مُصْعَب ، ثم أعرَضَ عنها .

قال : وأتى عبدُ الملك برأس مُصْعَب ، فنظر إليه فقال : متى تَغْدُو قريشٌ مثلك ! وكانا يتحدّثان إلى حُبَيّ ، وهما بالمدينة ، فقيل لها : قُتِل مصعب ، فقالت : تَعِسَ قَاتِلُهُ ! قيل : قتله عبدُ الملك بنُ مروان ، قالت : بأبي القاتلُ والمقتول !

قال : وحجَّ عبدُ الملك بعد ذلك ، فدخلتُ عليه حُبَيّ ، فقالت : أَقْتَلْتَ أَخَاكَ مُصْعَباً ؟ فقال :

من يَذِقِ الحربَ يَجِدَ طَعْمَهَا مُراً وَتَتَرَكُهُ بِجَعَجَاعٍ^(١)
وقال ابن قيس الرقيّات :

لقد أَوْرَثَ المِصْرَيْنِ خِزياً وَذِلَّةً قَتِيلٌ بِدَيْرِ الجاثليقي مُقِيمٌ^(٢)
فما نصحتُ لله بكرُ بنُ وائلٍ ولا صَبَرْتُ عِنْدَ اللِّقَاءِ تَمِيمٌ
ولو كان بكرُياً تَعَطَّفَ حَوْلُهُ كَتَائِبُ بَغْلَى حَمِيْهَا وَيَدُومُ
ولكنّه ضاعَ الذمامُ وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مُضَرِيٌّ يَوْمَ ذَاكَ كَرِيمٌ
جَزَى اللهُ كُوفِيّاً هُنَاكَ مَلَامَةً وَبَصْرِيَّهْمُ إِنَّ المَلِيْمَ المَلِيْمُ
وإنَّ بَنِي العَلَاتِ أَخْلَوْا ظُهُورَنَا وَنَحْنُ صَرِيحٌ بَيْنَهُمْ وَصَمِيمٌ

(١) لأبي قيس بن الأسلت ، من المفضلية ٧٥ . والجمعاج : الحيس في المكان الخشن أو الضيق .
(٢) ديوانه ١٩٦ ، وبعده في رواية الديوان :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مُنْقَذٌ وَحَمِيمٌ

فَإِنْ نَفْسٌ لَا يَبْقَا وَلَا يَكُ بَعْدَنَا لِيَذِي حُرْمَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ حَرِيمٌ^(١)

قال أبو جعفر : وقد قيل : إن ما ذكرت من مقتل مصعب والحرب التي جرت بينه وبين عبد الملك كانت في سنة اثنتين وستين ، وأن أمر خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره إلى البصرة من قبل عبد الملك كان في سنة إحدى وسبعين ، وقتل مصعب في جمادى الآخرة .

[ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة]

وفي هذه السنة دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصريين الكوفة والبصرة على عماله في قول الواقدي ؛ وأما أبو الحسن فإنه ذكر أن ذلك في سنة اثنتين وسبعين .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة اثنتين وسبعين . ولما أتى عبد الملك الكوفة — فيما ذكر — نزل الشخيلة ، ثم دعا الناس إلى البيعة ، فجاءت قضاة ، فرأى قلة ، فقال : يا معشر قضاة ، كيف سلمتم من مضر مع قتلتمكم ! فقال : عبد الله بن يعلى النهدي : نحن أعز منهم وأمنع ؛ قال : بمن ؟ قال : بمن معك منّا يا أمير المؤمنين . ثم جاءت مئة جح وهندان فقال : ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً . ثم جاءت جعفي ، فلما نظر إليهم عبد الملك قال : يا معشر جعفي ، اشتعلتم على ابن أختكم ، وواريتموه ؟ يعني يحيى بن سعيد بن العاص — قالوا : نعم ، قال : فهاتوه ؛ قالوا : وهو آمن ؟ قال : وتشرطون أيضاً ! فقال رجل منهم : إنا والله ما نشترط بجهلاً بحقك ، ولكننا نتسحب عليه تسحب الولد على والده ، فقال : أما والله لنسعم الحى أنتم ؛ إن كنتم ليقرباننا في الجاهلية والإسلام ، هو آمن ، فجاءوا به وكان يكنى أبا أيوب ، فلما نظر إليه عبد الملك قال أيا قبيح ، بأى وجه تنظر إلى ربك وقد

٨١٤/٢

خلعتني ! قال : بالوجه الذي خلقه ، فبايع ثم ولى فنظر عبدُ الملك في قَتَافه فقال : لله دَرَه ! أى ابن زَوْمَلَة هو ! يعنى غَرَبِيَّة .

وقال عليّ بنُ مُحَمَّد : حدثني القاسم بنُ مَعْن وغيره أن مَعْبَدَ بنَ خالد الجَمْدَلِيَّ قال : ثمّ تقدّمنا إليه معشرَ عَدُوّان ، قال : فقدّمنا رجلا وسيا جَمِيلًا ، وتأخّرتُ — وكان مَعْبَدُ دَمِيًّا — فقال عبدُ الملك : من ؟ فقال الكاتب : عَدُوّان ، فقال عبدُ الملك :

عذيرَ الحيّ من عَدُوّان نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ
بغى بعضهم بعضاً فلم يَرْعَوْا على بعضِ
ومنهم كانت السّادا تُ والمُؤفُون بالقرضِ
ثمّ أقبل على الجميل فقال : إيه ! فقال : لا أدري ، فقلتُ من خلفه :
ومنهم حَكَمٌ يقضى فلا يُنْقَضُ ما يقضى
ومنهم من يجيزُ الحجَّ بالسُّنة والقرنِ (١)
وهم مُذ ولِدوا شَبَّوا بيسر النسب المحض

قال : فتركني عبدُ الملك ، ثمّ أقبل على الجميل فقال : من هو ؟ قال : لا أدري ؛ فقلتُ من خلفه : ذو الإصبع ؛ قال : فأقبل على الجميل فقال : ولِم سَمِي ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدري ؛ فقلتُ من خلفه : لأنَّ حَيَّةَ عَضَّتْ إصبعه فقطعتْها ؛ فأقبل على الجميل فقال : ما كان اسمه ؟ فقال : لا أدري ؛ فقلتُ من خلفه : حُرْثان بنُ الحارث ؛ فأقبل على الجميل ، فقال : من أيُّكم كان ؟ قال : لا أدري ، فقلتُ من خلفه : من بنى ناج ، فقال :

أبعَدَ بنى ناجٍ وسَعِيكَ بينهم (٢) فلا تُتبعن عَيْنِكَ ما كان هالِكًا

(١) قال أبو الفرج : « قوله : « ومنهم من يجيز الناس » فإن إجازة الحج كانت لخزاعة ، فأخذتها عدوان ، فصارت لرجل فيهم يقال له سيارة » . الأغاني ٣ : ٨٩ (٢) رواية الأغاني :

« وَأَمَّا بَسُّو ناجٍ فَلَا تُلْكَ كَرْتَهُمْ »

٨١٦/٢

إِذَا قُلْتُ مَعْرُوفًا لِأُصْلَحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهَيْبٌ : لَا أَصَالِحَ ذَلِكَ
فَأُضْحِي كَظَهَرِ الْعَيْرِ جُبَّ سَنَامُهُ تُطِيفُ بِهِ الْوِلْدَانُ أَحَدُ بَ بَارَكَ
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ ، فَقَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : سَبْعِمِائَةٍ ، فَقَالَ لِي :
فِي كَسَمٍ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَاتِبَيْنِ ، فَقَالَ : حُطًّا
مِنْ عَطَاءِ هَذَا أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَزَيْدَاهَا فِي عَطَاءِ هَذَا ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا فِي سَبْعِمِائَةٍ ،
وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ . ثُمَّ جَاءَتْ كِنْدَةُ فَنَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ ،
فَأَوْصَى بِهِ بِإِشْرَافِ أَخَاهُ ، وَقَالَ : اجْعَلْهُ فِي صَحَابَتِكَ . وَأَقْبَلَ دَاوُدُ بْنُ
قَحْطَنٍ فِي مَائَتَيْنِ مِنْ بَكْرٍ بَنِ وَائِلٍ ، عَلَيْهِمُ الْأَقْسَبِيَّةُ الدَّادَوِيَّةُ ، وَبِهِ
سُمِّيَتْ ، فَجَلَسَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ
نَهَضَ وَنَهَضُوا مَعَهُ ، فَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بِصُرِهِ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقُ ، وَاللَّهِ
لَوْلَا أَنَّ صَاحِبَهُمْ جَاءَنِي مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ مِنْهُمْ طَاعَةً ^(١) .

ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى - فِيمَا قِيلَ - قَطَنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيَّ الْكُوفَةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَلَّى بِإِشْرَافِ بَنِي مَرْوَانَ وَصَّعِدَ مَنِيرَ الْكُوفَةِ فَخَطَبَ فَقَالَ :

إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لَوْ كَانَ خَلِيفَةً كَمَا يَزْعُمُ لَخَرَجَ قَاسِيٌ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ
يَغْرُزْ ذَنْبَهُ فِي الْحَرَمِ . ثُمَّ قَالَ : إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ بِإِشْرَافِ بَنِي مَرْوَانَ ،
وَأَمَرْتُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ ، وَالشَّدَّةِ عَلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ
وَأَطِيعُوا .

٨١٧/٢

وَاسْتَعْمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى هَسَدَانَ ، وَبِزَيْدِ بْنِ رُوَيْمٍ عَلَى
الرَّيِّ ، وَفَرَّقَ الْعُمَّالَ ، وَلَمْ يَفِ لأَحَدٍ شَرْطًا ^(٢) عَلَيْهِ وَلَا يَةَ أَصْبِهَانَ ، ثُمَّ
قَالَ : عَلَى هَؤُلَاءِ الْفُسَّاقِ الَّذِينَ أَنْسَخَلُوا الشَّامَ ، وَأَفْسَدُوا الْعِرَاقَ ، فَقِيلَ :
قَدْ أَجَارَهُمْ رُؤَسَاءُ عَشَائِرِهِمْ ، فَقَالَ : وَهَلْ يَجِيرُ عَلَى أَحَدٍ ! وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
يَزِيدَ بْنِ أَسَدٍ لَجَأَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ أَيْضًا
يُحْيَى بْنُ مَعِيُوفٍ الْهَمْدَانِيُّ ، وَلَجَأَ الْهَذِيلُ بْنُ زُفَرٍ بْنُ الْحَارِثِ وَعَمْرُو بْنُ زَيْدٍ ^(٣)
الْحَكَمِيُّ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَمَّنَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَظَهَرُوا .

(١) انظر الأغاني ، ٣ : ٩١ ، ٩٢ . (٢) ب ، ف : « يشرط » .

(٣) س ، ابن الأثير : « يزيد » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تنازع الرئاسة بالبصرة عبيدُ الله بن أبي بكرة وحُمران بن أبان ، فحدثني عمرُ بنُ شُبَّة قال : حدثني عليُّ بنُ محمدٍ قال : لما قُتِلَ المُصعبُ وثب حُمرانُ بن أبان وعبيدُ الله بنُ أبي بكرٍ فتنازعا في ولاية البصرة ، فقال ابنُ أبي بكرٍ : أنا أعظمُ غناءً منك ، أنا كنتَ أنفقَ على أصحابِ خالد يومَ الجُفَّة . فقيل لحُمران : إنَّك لا تقوى على ابنِ أبي بكرٍ ، فاستعِنَ بعبدِ الله بنِ الأَهم ، فإنه إن أعانَكَ لم يقوَ عليك ابنُ أبي بكرٍ ، ففعل ، وغلب حُمران على البصرة وابنِ الأَهم على شُرطها .

وكان لحُمران منزلةٌ عند بني أمية ؛ حدثني أبو زيد قال : حدثني أبو عاصم النبيل قال : أخبرني رجلٌ قال : قدِمَ شيخٌ أعرابيٌّ فرأى حُمرانَ فقال : من هذا ؟ فقالوا : حُمران ؛ فقال : لقد رأيتُ هذا وقد مال رِداؤه عن عاتقه فآبَته مروان وسعيدُ بنُ العاصِ أيتهما يسويه . قال أبو زيد : قال أبو عاصم : فحدثتُ بذلك رجلاً من وَلَدِ عبدِ الله بنِ عامر ، فقال : حدثني أبي أن حُمرانَ مَدَّ رجلَه فابتدر معاوية وعبدُ الله بنُ عامر أيتهما يَغِمِزها .

* * *

[ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة]

وفي هذه السنة بعث عبدُ الملك خالد بن عبد الله على البصرة والياً ، حدثني عمر ، قال : حدثني عليُّ بنُ محمدٍ ، قال : مكث حمران على البصرة يسيراً ، وخرج ابنُ أبي بكرٍ حتى قدِمَ على عبدِ الملك الكوفة بعد مقتل مُصعب ، فولَّى عبدُ الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها ، فوجه خالدُ عبيدَ الله بن أبي بكرٍ خليفته على البصرة ، فلما قدِمَ على حُمران ، قال : أقنِدْ جثت لا جثت ! فكان ابنُ أبي بكرٍ على البصرة حتى قدِم خالد .

* * *

وفي هذه السنة رجع عبدُ الملك — فيما زعم الواقدي — إلى الشام .

قال : وفيها نَزَعَ ابنُ الزبير جابرَ بنَ الأسود بنِ عوف عن المدينة ، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف . قال : وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة ، حتَّى قدم عليها طارقُ بنُ عَسْرٍ ومولى عثمان ، فَهَرَبَ طلحة ، وأقام طارقٌ بالمدينة حتَّى كتب إليه عبد الملك . وَحَسَّجَ بالناس في هذه السَّنة عبدُ الله بنُ الزبير في قول الواقدي .

[خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب]

وذكر أبو زيد عن أبي غَسَّانَ مُحَمَّد بن يحيى ، قال : حدثني مصعب ابنُ عثمان ، قال : لما انتهَى إلى عبد الله بن الزبير قتلُ مُصْعَب قام في الناس فقال :

الحمد لله الَّذي له الخلق والأمر ، يؤتي الملك من يشاء ، وَيَنْزِعُ الملك ممن يشاء ، وَيُعْزِزُ من يشاء ، وَيُذِلُّ من يشاء . ألا وإنَّه لم يُذِلَّ اللهُ من كان الحقَّ معه وإن كان فردًّا ، ولم يُعْزِزْ من كان وليُّه الشَّيْطَان وَحِزْبُهُ وإن كان^(١) معه الأنام طُرًّا . ألا وإنَّه قد أتانا من العراق خبرٌ حزننا وأفرَحنا ، أتانا قتلُ مصعب رحمةُ الله عليه ، فأما الَّذي أفرَحنا فعلمنا أن قتلَه له شهادة ، وأما الَّذي حزننا فإن لفراقَ الحميم لوعةً يَسْجِدُها حميمُه عند المصيبة ، ثم يَرْعَوِي مِنْ بَعْدِهَا ذُو الرأى إلى جميلِ الصبرِ وكريمِ العزاء ، ولئن أُصِيبَتْ بِمُصْعَبٍ لَقَدْ أُصِيبَتْ بِالزَّبِيرِ قَبْلَهُ ، وما أنا من عثمانَ بخلو مصيبة ، وما مصعب إلا عبدٌ من عبيدِ الله وعِوَنٌ من أعوانِي . ألا إنَّ أهلَ العراق أهلُ الغَدْرِ والنِّفاق ، أسْلَمُوهُ وباعُوهُ بأقلِّ الثمن ، فإن يُقْتَلْ فَإِنَّا وَالله ما نموت على مَضْاجِعِنَا كما نموت بنو أبي العاص ، والله ما قُتِلَ منهم رجلٌ في زَحْفٍ في الجاهليَّة ولا الإسلام ، وما نموت إلا قَعَصًا^(٢) بالرَّماح ، وموتنا تحت ظلالِ السيوف . ألا إنَّما الدنيا عاريَّة من الملك الأعلى الَّذي لا يزول سلطانه ، ولا يَسْبِدُ مُلْكُهُ ، فإن تُقْبِلْ لا آخِذَها أَخْذَ الْأَشْرِ البَطَر ، وإن تُدْبِرْ لا أَبْلِكَ عليها بكاءَ الحَرِّقِ المَهْهين ؛ أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم .

* * *

٨٢٠/٢

وذكر أن عبد الملك لمّا قتل مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع ، وأمر به إلى الخوّزات ، وأذن إذناً عاماً ، فدخل الناس فأخذوا مجالسهم ، فدخل عمرو بن حرّيث الخزومي فقال : إلى وعلى سريري ، فأجلسه معه ، ثم قال : أى الطعام أكلت أحب إليك وأشهى عندك ؟ قال : عناق^(١) حمرأ قد أجيد تمليحها ، وأحكيم نضجها ، قال : ما صنعت شيئاً ، فأين أنت من عمّروس^(٢) راضع قد أجيد ستمطه ، وأحكيم نضجها ، اختلجت إليك رجلاً ، فأتبعته يده ، غدي بشريّين من لبن وسمن . ثم جاءت الموائد فأكلوا ، فقال عبد الملك بن مروان : ما ألدّ عيشنا لو أن شيئاً يدوم ! ولكنا كما قال الأوّل :

وكلّ جديد يا أميم إلى بلى وكلّ امرئ يوماً يصير إلى كان
فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمرو بن
حرّيث : ليمن هذا البيت ؟ ومن يننى هذا البيت ؟ وعمرو يخبره ،
فقال عبد الملك :

وكلّ جديد يا أميم إلى بلى وكلّ امرئ يوماً يصير إلى كان
ثم أتى مجلسه فاستلقى ، وقال :

٨٢١/٢

اعمل على مهل فإنك ميت واكده لنفسك أيها الإنسان
فكان ما قد كان لم يك إذ مضى وكان ما هو كائن قد كان

* * *

وفي هذه السنة افتتح عبد الملك - في قول الواقدي - قيسارية .

(١) العناق : الأنثى من أولاد المعزى .

(٢) في اللسان : « وفي حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عمروس راضع ! العمروس

بالضم : الحروف أو الجدى إذا بلغا العدو » .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

قال أبو جعفر : فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف أن حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه أن الأزارقة والمهلب بعدما اقتتلوا بسؤلاف ثمانية أشهر أشد القتال ، أتاهم أن مصعب بن الزبير قد قُتِل ، فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه ، فناداهم الخوارج : ألا تُخبرونا ما قولكم في مصعب ؟ قالوا : إمام هُدًى ، قالوا : فهو وليكم في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم ، قالوا : وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتاً ؟ قالوا : ونحن أولياؤه أحياء وأمواتاً ؛ قالوا : فما قولكم في عبد الملك بن مروان ؟ قالوا : ذلك ابن اللعين ، نحن إلى الله منه بُراء ، هو عندنا أحلُّ دماً منكم ، قالوا : فأنتم منه بُراء في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم كبرائتنا منكم ؛ قالوا : وأنتم له أعداء أحياء وأمواتاً ؟ قالوا : نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم ، قالوا : فإن إمامكم مصعباً قد قتله عبد الملك بن مروان ، ونراكم ستجعلون غداً عبد الملك إمامكم ، وأنتم الآن تتبرعون منه ، وتلعنونه أباه ! قالوا : كذبتم يا أعداء الله . فلما كان

٨٢٢/٢

من الغد تبين لهم قتل مصعب ، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا : ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : يا أعداء الله ؛ لا نخبركم ما قولنا فيه ، وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم ، قالوا : فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة ، وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتاً ، فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك ؟ قالوا : ذاك إمامنا وخليفتنا — ولم يجدوا إذ بايعوه بُدّاً من أن يقولوا هذا القول — قالت لهم الأزارقة : يا أعداء الله ، أنتم أمس تبرعون منه في الدنيا والآخرة ، وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتاً ، وهو اليوم إمامكم وخليفتكم ، وقد قتل إمامكم الذي كنتم

تولّونه ! فأيهما الحقّ ، وأيهما المهتديّ ، وأيهما الضالّ ! قالوا لهم : يا أعداء الله ، رضيينا بذلك إذ كان وليّ^(١) أمورنا ، ونرضى بهذا كما رضيينا بذلك ، قالوا : لا والله ولكنكم إخوان الشياطين ، وأولياء الظالمين ، وعبيد الدنيا . وبعث عبدُ الملك بن مروان بشرَ بن مروان على الكوفة ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة . فلما قدّم خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز ومعوّثتها ، وبعث عامر بن مسمع على سبأ وبور ، ومقاتيل بن مسمع على أردشير خُرّة ، ومسمع بن مالك بن مسمع على فستّا ودرابجيرد ، والمغيرة بن المهلب على إصطخر .

ثمّ إنه بعث إلى مقاتيل فبعثه على جيش ، وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة ، فانحطوا عليه من قبل كثر ما ن حتى أتوا درابجيرد ، فسار نحوهم . وبعث قَطْرِيّ مع صالح بن مخزاق تسعمائة فارس ، فأقبل ٨٢٣/٢ يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا ، يجرون على غير تعب ، فهزم الناس ، ونزل مقاتيل بن مسمع فقاتل حتى قُتل ، وانهمز عبدُ العزيز بن عبد الله ، وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود ، فأقيمت فيمن يزيد ، فبلغت مائة ألف — وكانت جميلة — فغار رجلٌ من قومها كان من رعوس الخوارج يقال له : أبو الحديد الشنّي ، فقال : تنحوا هكذا ، ما أرى هذه المُشركة إلّا قد فتنتكم ، فضرب عنقها . ثمّ زعموا أنه لحق بالبصرة ، فراه آلٌ منذر فقالوا : والله ما ندري أنحمّدك أم نُدملك ! فكان يقول : ما فعلته إلّا غيرَ وحميّة . وجاء عبدُ العزيز حتى انتهى إلى رامهرمز ، وأتى المهلب فأخبر به ، فبعث إليه شيخاً من أشياخ قومه كان أحدَ فرسانه ، فقال : ائتني فإن كان منهزماً فعزّه وأخبره أنه لم يفعل شيئاً لم يفعلك الناسُ قبله ، وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلاً ، ثمّ يعزّه الله وينصره . فأثاه ذلك الرجل ، فوجدوه نازلاً في نحو من ثلاثين رجلاً كثيراً حزيناً ، فسلم عليه الأزديّ ، وأخبره أنه رسول المهلب ، وبلغه ما أمره به ، وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة . ثمّ انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر ، فقال له المهلب : الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر ، ٨٢٤/٢

فقال: أنا آتيه أخبره أن أخاه هُزِمَ ! والله لا آتيه ، فقال المهلب^(١) : لا والله لا يأتيه غيرك ، أنت الذي عاينته ورأيت ، وأنت كنتَ رسولِي إليه ، قال : هو إذاً يهديك^(٢) يا مهلب أن ذهبَ إليه العام ، ثم خرج . قال المهلب : أمّا أنت والله فإنك لي آمن ، أمّا والله لو أنك مع غيري ، ثم أرسلك على رجلِك خرجت تشد ! قال له وأقبل عليه : كأنك إنما تمنّ علينا بحلمك ! فمحن والله تكافتك بل نريد ، أما تعلم أنا نعرّض أنفسنا للقتل دونك ، ونحميك من عدوك ! ولو كنا والله مع من يتجهل علينا ، ويسبعتنا في حاجاته على أرجلنا ، ثم احتاج إلى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا ، ووقينا به أنفسنا . قال له المهلب : صدقت صدقت . ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرّحه إلى خالد يخبره خبر أخيه ، فأتاه الفتى الأزدى وحوله الناس ، وعليه جبّة خضراء ومطرف أخضر ، فسلم عليه ، فردّ عليه ، فقال : ما جاء بك^(٣) ؟ قال : أصلحك الله ! أرسلني إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته ، قال : وما عاينت ؟ قال : رأيت عبد العزيز يرامه رمز مهزوماً ، قال : كذبت ، قال : لا ، والله ما كذبت ، وما قلت لك إلا الحق ، فإن كنت كاذباً فاضرب عني ، وإن كنت صادقاً فأعطني أصلحك الله جبّتك ومطرفك . قال : ويحك ! ما أيسر ما سألت ، ولقد رضيت مع^(٤) ٨٢٥/٢ الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصغير إن كنت صادقاً . فحبّسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبينت له هزيمة القوم ، فكتب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمهم الله أني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج ، وأنهم لقوه بفارس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس ، وقتل مقاتل بن مسمح ، وقدم الفلّ إلى الأهواز . أحببت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتي رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله .

(١) أ ، ب ، ف : « قال : فقال له المهلب » . (٢) كذا في أ ، في ط « يهديك » .

(٣) أ ، ب ، ف : « من » .

(٤) ب ، ف : « ما حاجتك » .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أما بعد ، فقد قَدِمَ رَسُولُكَ فِي كِتَابِكَ ، تُعَلِّمُنِي فِيهِ بِعَثَّتِكَ أَخَاكَ عَلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ ، وَبِهَزِيمَةِ مَنْ هُزِمَ ، وَقَتْلَ مَنْ قُتِلَ ، وَسَأَلْتُ رَسُولَكَ عَنْ مَكَانِ الْمُهَلَّبِ ، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ عَامِلٌ لَكَ عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَقَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ حِينَ تَبَعْتَ أَخَاكَ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَتَدَعِ الْمُهَلَّبَ إِلَى جَنْبِكَ يَسْجِي الْخَرَاجَ ، وَهُوَ الْمَيِّمُونَ النَّقِيبَةُ ، الْحَسَنُ السِّيَاسَةُ ، «البصير بالحرب ، المُقَاسِي لَهَا» ، ابْنُهَا وَابْنُ أَبْنَائِهَا ! انْظُرْ أَنْ تَنْهَضَ بِالنَّاسِ حَتَّى تَسْتَقْبِلَهُمْ بِالْأَهْوَازِ وَمِنْ وَرَاءِ الْأَهْوَازِ . وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَى بِشْرٍ أَنْ يُمَدِّكَ بِجَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَإِذَا أَنْتَ لَقِيتَ عَدُوَّكَ فَلَا تَعْمَلْ فِيهِمْ بِرَأْيٍ حَتَّى تُحْضِرَهُ الْمُهَلَّبَ ، وَتَسْتَشِيرَهُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

فَشَقَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ فَيَّلَ رَأْيَهُ فِي بَعَثَةِ أَخِيهِ (٢) وَتَرَكَ الْمُهَلَّبَ ، وَفِي أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ رَأْيَهُ خَالِصًا حَتَّى قَالَ : أَحْضَرَهُ الْمُهَلَّبَ وَاسْتَشَرَهُ فِيهِ . ٨٢٦/٢

وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :

أما بعد ، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ بِالنَّهْوضِ إِلَى الْخَوَارِجِ ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِ خَمْسَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ قِبَلِكَ تَرْضَاهُ ، فَإِذَا قَضَوْا غَزَاتِهِمْ تِلْكَ صَرْفَتَهُمْ إِلَى الرَّيِّ فَقَاتِلُوا عَدُوَّهُمْ ، وَكَانُوا فِي مَسَالِحِهِمْ ، وَجَسَبُوا فِيهِمْ حَتَّى تَأْتِيَ أَيَّامَ عَقَبَتِهِمْ فَتُعَقِّبِهِمْ (٣) وَتَبْعَ آخَرِينَ مَكَانَهُمْ .

فَقَطَعَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَقَالَ : إِذَا قَضَيْتَ غَزَاتَكَ هَذِهِ فَانْصَرِفْ إِلَى الرَّيِّ . وَكُتِبَ لَهُ عَلَيْهَا عَهْدًا . وَخَرَجَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَدِمَ الْأَهْوَازَ ، وَجَاءَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِبَعْثِ أَهْلِ الْكُوفَةِ حَتَّى وَافَاهُمْ بِالْأَهْوَازِ ،

(١-١) ب ، ف : «المقاسي للحرب» . (٢) ب ، ف : «بعثه بأخيه» .

(٣) س : «فتعقبهم» .

وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم ، وقال المهلب لخالد بن عبد الله : إني أرى هاهنا سُفُنًا كثيرة ، فضممتها إليك ، فوالله ما أظن القوم إلا مُحْرِقِيهَا . فما لبث إلا ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم إليها فحرقفتها . وبعث خالد بن عبد الله على ميسمته المهلب ، وعلى ميسرته داود بن قحذم من بني قيس بن ثعلبة ، ومرت المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يُخندق ، فقال : يابن أخى ، ما يَمْنَعُكَ من الخندق ! فقال : والله لهم أهونُ على من ضُرْطَةُ الجَمَل^(١) ، قال : فلا يَهْوُونُوا عليك يابن أخى ، فإنهم سباعُ العَرَب ، لا أبرح أو^(٢) تَضْرِب عليك خندقاً ؛ ففعل .

وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد لهم : «أهونُ على من ضُرْطَةُ الجمل» ، فقال شاعرهم :

يا طالِبَ الحقِّ لا تُسْتَهْوَ بِالْأَمَلِ فَإِنَّ مِنْ دُونِ مَا تَهْوَى مَدَى الْأَجَلِ
وَأَعْمَلُ لِرَبِّكَ وَأَسْأَلُهُ مَثُوبَتَهُ فَإِنَّ تَقْوَاهُ فَأَعْلَمُ أَفْضَلُ الْعَمَلِ
وَاغْزُ الْمَخَانِثَ فِي الْمَاضِي مُعْلِمَةً^(٣) كَمَا تُصَبِّحُ غَدَاً ضُرْطَةُ الْجَمَلِ

فأقاموا نحواً من عشرين ليلة . ثم إن خالداً زحف إليهم بالناس ، فأروا أمراً هالهم من عدد الناس وعديتهم ، فأخذوا يَسْتَحَازُونَ ، واجترأ عليهم الناس ، فكثرت عليهم الخيل ، وزحف إليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس ، وأتبعهم خالد بن عبد الله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة ، وانصرف خالد إلى البصرة ، وانصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الرى وأقام المهلب بالأهواز ، فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإنني أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أني خرجت إلى الأزارقة الذين مرقوا من الدين ، وخرجوا من ولاية المسلمين ، فالتقينا بمدينة الأهواز

(١) الميداني ٢ : ٤٠٩ (٢) ب ، ف : « حتى » .

(٣) ١ : « معلة » .

فتناهنأنا فاقتلنا كأشد قتال كان فى الناس . ثم إن الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين ، وضرب الله وجوه أعدائه ، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم ، ولا يسمعون ولا يمتنعون ، وأفاء الله ما فى عسكرهم على المسلمين ، ثم ٨٢٨/٢ أتبعهم داود بن قحندم ، والله إن شاء مهلكهم ومستأصلهم ؛ والسلام عليك .

فلما قدم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك إلى بشر بن مروان :

أما بعد ، فابعث من قبلك رجلاً شجاعاً بصيراً بالحرب فى أربعة آلاف فارس ، فليسيروا إلى فارس فى طلب المارقة ، فإن خالداً كتب إلى يخبرنى أنه قد بعث فى طلبهم داود بن قحندم ، فرأى صاحبك الذى تبعته ألا يخالف داود بن قحندم إذا ما التقيا ، فإن اختلاف القوم بينهم عون لعدوهم عليهم . والسلام عليك .

فبعث بشر بن مروان عتاب بن ورقاء فى أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة ، فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحندم بأرض فارس ، ثم اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عامتهم ، وأصابهم الجهد والجوع ، ورجع عامة ذينك الجيشين مشاة إلى الأهواز ، فقال ابن قيس الرقيات — من بنى مخزوم — فى هزيمة عبد العزيز وفيراره عن امرأته :

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم	وتركتهم صرعى بكل سبيل ^(١)
من بين ذى عطش وجود بنفسه	وملحّب بين الرجال قتيل ^(٢)
هلاً صبرت مع الشهيد مقاتلاً	إذ رحت منتكث القوى بأصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم	فأرجع بعار فى الحياة طويل ٨٢٩/٢
ونسيت عرسك إذ تقاد سبيّة	تبكى العيون برنة وعويل

* * *

[خروج أبي فُدَيْك الخارِجِيّ وغلبته على البحرين]

وفي هذه السنة كان خروج أبي فُدَيْك الخارِجِيّ ، وهو من بني قَيْسِ ابنِ ثعلبة ، فغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحَسَنِيّ ، فاجتمع على خالد بن عبد الله نَزُول قَطَرِيّ الأهواز وأمرُ أبي فُدَيْك ، فبعث أخاه أُمَيَّة بن عبد الله على جُنْد كثيف إلى أبي فُدَيْك ، فهزمه أبو فُدَيْك ، وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه ، وسار أُمَيَّة على فرس له حتّى دخل البَصْرَة في ثلاثة أيّام ، فكتب خالد إلى عبد الملك بحالِه وحال الأزارقة .

* * *

[خبر توجيه عبد الملك الحَجَّاج لقتال ابن الزبير]

وفي هذه السنة وجّه عبدُ الملك الحَجَّاج بن يوسف إلى مكة لقتال عبد الله ابنِ الزبير ، وكان السبب في توجيهِه الحَجَّاج إليه دون غيره — فيما ذُكر — أن عبدَ الملك لمّا أراد الرّجوع إلى الشّام ، قام إليه الحَجَّاج بنُ يوسف فقال : يا أمير المؤمنين ، إني رأيتُ في منامِي أني أخذتُ عبدَ الله بنَ الزبير فسلبتُ خَشَتَه ، فابْعَثْنِي إليه ، وولّني قتالَه . فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام ، فسار حتّى قدِمَ مكّة ، وقد كتب إليهم عبدُ الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته . فحدثني الحارثُ قال : حدثني محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : بعث عبدُ الملك بنُ مروان حين قُتِل مُصعب ابن الزبير الحَجَّاج بنُ يوسف إلى ابنِ الزبير بمكّة ، فخرج في ألفين من جُنْد أهل الشّام في جُمُادى من سنة اثنتين وسبعين ، فلم يَعرِض للمدينة ، وسلك طريقَ العراق ، فنزل بالطائف ، فكان يَبْعَثُ البُعُوثَ إلى عَرَفة في الخيل^(١) ، ويبعث ابنُ الزبير بَعَثًا فيقتلون هنالك ، فكلّ ذلك تُهزَم خيل ابنِ الزبير وتَرجع خيلُ الحَجَّاج بالظَّفَر . ثمّ كتب الحَجَّاج إلى عبد الملك يستأذنه في حصار ابنِ الزبير ودخولِ الحَرَمِ عليه ، ويُسْخِرُه أن

(١) كذا في أ ، ب ، ف وفي ط : «الخل» .

شوكسته قد كُتِلَتْ ، وتفرَّق عنه عامَّة أصحابه ، ويسأله أن يمدّه برجال ، فجاءه كتابُ عبدِ الملك ، وكتب عبدُ الملك إلى طارق بنِ عَمْرٍو يأمره أن يَلْحَقَ بمن معه من الجُندِ بالحِجَّاجِ ، فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتَّى لحق بالحِجَّاجِ . وكان قد وُجِدَ الحِجَّاجُ الطائفَ في شعبان سنة اثنتين وسبعين . فلمَّا دخل ذو القعدة رحَّل الحِجَّاجُ من الطائف حتَّى نزل بئرِ مَيْمُونٍ وحصرَ ابنُ الزَّيْبِرِ .

حجَّ الحِجَّاجُ بالناس في هذه السنة ، وابنُ الزَّيْبِرِ محصور ، وكان قد وُجِدَ طارقُ مَكَّةَ لَهْلَالِ ذِي الْحِجَّةِ ، ولم يَطُفْ بِالْبَيْتِ ، ولم يصل إليه وهو مُحْرِمٌ ، وكان يَلْبَسُ السَّلاحَ ، ولا يَتَقَرَّبُ النِّساءُ ولا الطَّيِّبُ إلى أن قُتِلَ عبدُ الله بنُ الزَّيْبِرِ . ونسحرَ ابنُ الزَّيْبِرِ بُدْنًا بِمَكَّةَ يومَ النحر ، ولم يحجَّ ذلك العامَ ولا أصحابه لأنَّهم لم يَتَقَفُوا بعَرَقة .

قال محمد بنُ عمر : حدَّثني سعيد بنُ مسلم بنِ بابك ، عن أبيه ، قال : حجَّجتُ في سنة اثنتين وسبعين ففقدَ مِنَّا مَكَّةَ ، فدخلناها من أعلاها ، فنجدُ أصحابَ الحِجَّاجِ وطارقَ فيما بين الحِجَّاجِ إلى بئرِ مَيْمُونٍ ، فطفنَّا بِالْبَيْتِ وبالصَّفا والمَرْوَةِ ، ثُمَّ حَجَّجَ بالناس الحِجَّاجُ ، فرأيتُه واقفًا بِالْهَضْبَاتِ من عَرَقة على فرس ، وعليه الدَّرْعُ والمِغْفَرُ ، ثُمَّ صَدَرَ فرأيتُه عَدَلَ إلى بئرِ مَيْمُونٍ ، ولم يَطُفْ بِالْبَيْتِ وأصحابه متسلِّحون ، ورأيتُ الطَّعامَ عندهم كثيرًا ، ورأيتُ العيرَ تأتي من الشَّامِ تحمِلُ الطَّعامَ ؛ الكَعْكُ والسَّوِيقُ والدَّقِيقُ ؛ فرأيتُ أصحابه مَخاصِبَ ، ولقد ابْتَعْنَا من بعضهم كَعْكًا بدرهم ، فكفانا إلى أن بَلَغْنَا الجُحْفَةَ وَإِنَّا لثَلَاثَةُ نَفَرٍ .

قال محمد بنُ عمر : حدَّثني مصعب بنُ ثابت ، عن نافع مَوْلَى بَنِي ٨٣١/٢ أَسَدٍ ، قال — وكان عالمًا بفتنة ابنِ الزَّيْبِرِ — قال : حُصِرَ ابنُ الزَّيْبِرِ لَيْلَةً هَلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ سنة اثنتين وسبعين .

[أمر عبد الله بن خازم السلمى مع عبد الملك]

وفى هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمى يدعوه إلى بسيعته ويطعمه خراسان سبع سنين ، فذكر على بن محمد أن الفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هنيئد حدثوه - قال : وفى خبر بعضهم زيادة على خبر بعض - أن مضعب بن الزبير قتل سنة اثنتين وسبعين وعبد الله بن خازم بأبرش شهر يقاتل بحير بن ورقاء الصرمي صريم بن الحارث ؛ فكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن خازم مع سورة بن أشيم النهمري : إن لك خراسان سبع سنين على أن تباع لي . فقال ابن خازم لسورة : لولا أن أضرب بين بني سليم وبني عامر لقتلتك ولكن كل هذه الصحيفة ، فأكلها .

قال : وقال أبو بكر بن محمد بن واسع : بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سودة بن عبيد الله النهمري .

وقال بعضهم : بعث عبد الملك إلى ابن خازم سينان بن مكمل الغنوي ، وكتب إليه : إن خراسان طعمة لك ، فقال له ابن خازم : إنما بعثك أبو الذببان^(١) لأنك من غنوي ، وقد علم أني لا أقتل رجلا من قيس ، ولكن كل كتابته .

قال : وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد - وكان خليفة ابن خازم على مرو - بعهد على خراسان ووعده ومنأه ، فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير ، ودعا إلى عبد الملك بن مروان ، فأجابه أهل مرو ، وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو ، فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرش شهر ، فترك بحيرا ، وأقبل إلى مرو يريد أن يأتي ابنه بالترمد ، فأتبعه بحير ، فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية : «شاهمغد» ، بينها وبين مرو ثمانية فراسخ .

قال : فقاتله ابن خازم ، فقال مولى لبني ليث : كنت قريبا من معرك

(١) ب : «الذبان» .

القوم في منزل ، فلما طلعت الشمس تهايج العسكران ، فجعلت أسمع وقع السيوف ، فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات ، فقلت : هذا لارتفاع النهار ، ٨٣٣/٢
فلما صليت الظهر - أو قبل الظهر - خرجت ، فلتقتاني رجل من بني تميم ، فقلت : ما الخبر ؟ قال : قتل عدو الله ابن خازم وها هو ذا ، وإذا هو محمول^(١) على بغل ، وقد شدوا في مздаكيره حبلاً وحجراً وعدلوه به على البغل .

قال : وكان الذي قتله وكيع بن عُمَيْرَة القُرَيْبِي وهو ابن الدَّورْقِيَّة ، اعتور عليه بحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجُشَمِي وكيع ، فطعنوه فصرعوه ، فقع وكيع على صدره فقتله ، فقال بعض الولاة لو كيع كيف قتل ابن خازم ؟ قال : غلبته بفضل القنا ، فلما صرع قعدت على صدره ، فحاول القيام فلم يقدر عليه ، وقلت : يا لشارت دويلة ! ودويلة أخ لو كيع لأمة ، قتل قبل ذلك في غير تلك الأيام .

قال وكيع : فتختم في وجهي وقال : لعنك الله ! تقتل كبش مضر ، بأخيك ، عئج لا يساوي كفاً من نوى - أو قال : من تراب - فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت .

قال : فذكر ابن هُبيرة يوماً هذا الحديث فقال : هذه والله البسالة . قال : وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم رجلاً من بني غُدانة إلى عبد الملك ابن مروان يُخبره بقتل ابن خازم ، ولم يبعث بالرأس ، وأقبل بُكَيْر بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأراد أخذ رأس ابن خازم ، فمنعه بحير ، فضربه بكير بعمود ، وأخذ الرأس وقبضه بحبس ، وبعث بكير ٨٣٤/٢ بالرأس إلى عبد الملك ، وكتب إليه يُخبره أنه هو الذي قتله ، فلما قدم بالرأس على عبد الملك دعا الغُداني رسول بحير وقال : ما هذا ؟ قال : لا أدري ، وما فارقت القوم حتى قُتل ، فقال رجل من بني سليم :

أَلَيْتَنَا بَنِي سَابُورَ رُدِّي عَلَى الصَّبْحِ وَيَحْكُ أَوْ أُنِيرِي
كُوا كُبْهَا زَوَاحِفُ لَاغِبَاتُ كَأَنَّ سَمَاءَهَا بِيَدِي مُدِيرِ

تَلَوُّمٌ عَلَى الْحَوَادِثِ أُمُّ زَيْدٍ وَهَلْ لَكَ فِي الْحَوَادِثِ مِنْ نَكِيرٍ!
 جَهْلَانُ كَرَامَتِي وَصَدَدَنْ عَنِّي إِلَى أَجَلٍ مِنَ الدُّنْيَا قَصِيرٍ
 فَلَوْ شَهِدَ الْفَوَارِسُ مِنْ سُلَيْمٍ غَدَاةَ يُطَافُ بِالْأَسَدِ الْعَقِيرِ
 لَنَازَلَ حَوْلَهُ قَوْمٌ كِرَامٌ فَعَزَّ الْوُتْرُ فِي طَلَبِ الْوُتُورِ
 فَقَدْ بَقِيَتْ كِلَابٌ نَابِحَاتٌ وَمَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَكَ مِنْ زَيْرٍ
 فَوَيْلُ الْحَيِّجِّ بَالْتِمَاسٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ .

وكان العامل على المدينة طارقٌ مولى عثمان من قبيل عبد الملك، وعلى الكوفة
 بيشر بن مروان، وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود .
 وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضائها هشام
 ابن هبيرة . وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السلمي،
 وفي قول بعض : بكير بن وشاح . وزعم من قال : كان على خراسان
 في سنة اثنتين وسبعين عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم إنما قتل
 بعد ما قتل عبد الله بن الزبير، وأن عبد الملك إنما كتب إلى عبد الله بن خازم
 يدعوهُ إلى الدخول في طاعته على أن يُطعمه خراسان عشرين سنين بعد ما قتل
 عبد الله بن الزبير، وبعث برأسه إليه، وأن عبد الله بن خازم حلفَ لِمَا
 ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير ألا يُعطيه طاعةً أبدًا، وأنه دعا
 بطست فغسل رأس ابن الزبير، وحسنه وكفنه، وصلى عليه، وبعث به
 إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة، وأطعم الرسول الكتاب، وقال : لولا أنك
 رسولٌ لضربت عنقك . وقال بعضهم : قطع يديه ورجليه وضرب عنقه .

فصل نذكر فيه الكتاب من بدء أمر الإسلام^(١)

روى هشام وغيره أن أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن
 عبد شمس بالعريية، وأن أول من كتب بالفارسية بيوراسب، وكان في
 زمان إدريس . وكان أول من صنف طبقات الكتاب وبين منازلهم لهراسب
 ابن كاوغان بن كيئوس .

(١) هذا الفصل ساقط من ١ .

وحكى أن أبرويز قال لكاتبه : إنما الكلام أربعة أقسام :
سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرُك بالشيء ، وخبرك عن ٨٣٦/٢
الشيء ؛ فهذه دعائمُ المقالات إن الشمس لها خامس لم يوجد ، وإن نقص
منها رابع لم تنسم ، فإذا طلبت فأسجج ، وإذا سألت فأوضح ، وإذا أمرت
فأحتم ، وإذا أخبرت فحقق .
وقال أبو موسى الأشعري : أول من قال : أما بعدُ داود ، وهي فصلُ
الخطاب الذي ذكره الله عنه .
وقال الهيثم بن عدي : أول من قال : أما بعدُ قس بن ساعدة
الإيادي .

أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم
على بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحي ؛
فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت .
وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين
يديه في حوائجه .
وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والبلاء بن عتبة يكتبان بين
القوم في حوائجهم ، وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب إلى الملوك عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

* * *

[أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة]

وكتب لأبي بكر عثمان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم
وعبد الله بن خنيس الخزاعي ، وحسنظلة بن الربيع .
وكتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم ،
وعبد الله بن خنيس الخزاعي أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة ،
وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبييرة بن الضحاك الأنصاري .
وقال عمر بن الخطاب لكتابه وعُمّاله : إن القوة على العمل ألا

تَوَخَّرُوا عَمَلَ الْيَوْمِ لِفَدِّ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَذَاءَبْتُمْ^(١) عَلَيْكُمْ الْأَعْمَالُ ،
 ٨٣٧/٢ فَلَا تَدْرُونَ بِأَيِّهَا تَبْدَعُونَ ، وَأَيُّهَا تَأْخُذُونَ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ
 فِي الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِعُمَانَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَكْتُبُ لَهُ
 عَلَى دِيْوَانِ الْمَدِينَةِ ، وَأَبُو جَبِيْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَلَى دِيْوَانِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ أَبُو غَطَفَانَ
 ابْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ دِينَارٍ مِنْ بَنِي دُهْمَانَ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ يَكْتُبُ لَهُ ،
 وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ أَهْيَبُ مَوْلَاهُ ، وَحِرَانُ^(٢) مَوْلَاهُ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لَعَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَعِيدُ بْنُ عِمْرَانَ الْهَمْدَانِيَّ ، ثُمَّ وَلِيَ
 قَضَاءَ الْكُوفَةِ لَابْنُ الزَّيْبِرِ . وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَرُؤْيُ أَنْ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَبِيْرٍ كَتَبَ لَهُ . وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ يَكْتُبُ لَهُ . وَخْتَلَفَ
 فِي اسْمِ أَبِي رَافِعٍ ، فَقِيلَ : اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَقِيلَ : أَسْلَمُ ، وَقِيلَ : سَنَانُ ، وَقِيلَ :
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِمَعَاوِيَةَ عَلَى الرَّسَائِلِ عُبَيْدُ^(٣) بْنُ أَوْسٍ الْغَسَّانِيَّ .
 وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ عَلَى دِيْوَانِ الْخُرَاجِ سَرْجُونُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّومِيَّ . وَكَتَبَ لَهُ
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ دَرَّاجٍ ، وَهُوَ مَوْلَى مَعَاوِيَةَ ، وَكَتَبَ عَلَى بَعْضِ دَوَاوِينِهِ
 عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ نَصْرِ بْنِ الْحِجَااجِ بْنِ عَمَلَاءِ السُّلَمِيِّ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِمَعَاوِيَةَ بْنُ يَزِيدَ الرِّيَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَيَكْتُبُ لَهُ عَلَى
 الدِّيْوَانِ سَرْجُونُ . وَيُرْوَى أَنَّهُ كَتَبَ لَهُ أَبُو الزَّعِيْرَةِ .

وَكَتَبَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ قَبِيْصَةُ بْنُ ذُوَيْبِ بْنِ حَلَجَلَةَ الْخُرَاعِيَّ ،
 وَيُكْنَى أَبَا إِسْحَاقٍ . وَكَتَبَ عَلَى دِيْوَانِ الرَّسَائِلِ أَبُو الزَّعِيْرَةِ^(٤)
 مَوْلَاهُ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِلْوَلِيدِ الْقَعْقَاعُ بْنُ خَالِدٍ - أَوْ خُلَيْدٍ الْعَبْسِيُّ ، وَكَتَبَ لَهُ عَلَى
 دِيْوَانِ الْخُرَاجِ سَلِيْمَانُ بْنُ سَعْدِ الْخُشَنِيِّ ، وَعَلَى دِيْوَانِ الْخَاتَمِ شُعَيْبُ

(١) تَذَاءَبْتَ الْأَعْمَالُ : اجْتَمَعَتْ وَتَرَاكَتْ .

(٢) ط : « عمران » ، وَاَنْظُرِ الْفَهْرَسَ .

(٣) ط : « عبيد الله » وَاَنْظُرِ الْفَهْرَسَ .

(٤) ب : « الزعيرة » .

العُمَمانِيّ مولاة ، وعلى ديوان الرسائل جناح مولاة ، وعلى المستغلات نَفِيع ٨٣٨/٢
ابن ذُوَيْب مولاة .

وكان يَكْتُبُ لسليمان سليمان بن نعيم الحِميرِيّ .

وكان يَكْتُبُ لمسلمة سميع مولاة ، وعلى ديوان الرسائل اللَّيْثُ بن أبي رُقَيْيَةَ
مولَى أمّ الحَكَمِ بنت أبي سُفْيَانَ ، وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد
الخُشَنَسِيّ ، وعلى ديوان الخاتَمِ نَعِيمُ بن سلامة مَوْلَى لأهل اليمن من
فِلَسْطِين ؛ وقيل : بل رجاء بن حَيَّوَةَ كان يتقلّد الخاتَمَ .

وكان يَكْتُبُ ليزيد بن المهلب المغيّرة بن أبي فَرَوَةَ .

وكان يكتب لعمر بن عبدالعزيز اللَّيْثُ بن أبي رُقَيْيَةَ ^(١) مولَى أمّ الحَكَمِ
بنت أبي سُفْيَانَ ، ورجاء بن حَيَّوَةَ . وكتب له إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير ،
وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخُشَنَسِيّ ، وقلّد مكانه صالح بن
جُبَيْر الغَسَّانِي - وقيل : الغُدَّانِي - وعَدَى بن الصَّبَّاح بن المثني ، ذكرّ
الهيثم بن عَدَى أنه كان من جِلَّةِ كُتَّابِهِ .

وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجلٌ يقال له يزيد بن عبد الله ،
ثم استكتب أسامة بن زيد السُّلَيْمِيّ .

وكتب هشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبيلة الكلبي الأبرش ،
ويُكنى أبا مخاشع ، وكان نصر بن سَيَّار يتقلّد ديوان خراج خراسان
لهشام . وكان من كتّابه بالرُّصافة شعيب بن دينار .

وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن الشدّاخ ، وعلى ديوان الرسائل سالم
مولَى سعيد بن عبد الملك ، ومن كتّابه عبد الله بن أبي عمرو ، ويقال :
عبد الأعلى بن أبي عمرو ، وكتب له على الحضرة عَمْرُو بن عُثْبَةَ .

٨٣٩/٢

وكتب ليزيد بن الوليد الناقص عبد الله بن نَعِيم ، وكان عَمْرُو
ابن الحارث مولى بني جُمَحٍ يتولّى له ديوان الخاتَمِ ، وكان يتقلّد له ديوان

الرسائل ثابتُ بنُ سليمانُ بنُ سعد الخُشَنِيّ - ويقال الربيع بن عرعة الخُشَنِيّ - وكان يتقلد له الخراج والديوان الذي للخاتم الصغير النضر بن عَمْرٍو من أهل اليمّين .

وكتب لإبراهيم بن الوليد ابن أبي جمعة ، وكان يتقلد له الديوان بفلسطين ، وبابع الناس إبراهيم - أعني ابن الوليد - سوى أهل حمص ، فإنهم بايعوا مروان بن محمد الجعدي .

وكتب لمروان عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري ، ومُصعب بن الربيع الخثعمي ، وزِيَادُ بن أبي الوَرْد . وعلى ديوان الرسائل عثمان بن قيس مولى خالد القسري . وكان من كتّابه مخلد بن محمد بن الحارث - ويكنى أبا هاشم - ومن كتّابه مُصعب بن الربيع الخثعمي ، ويكنى أبا موسى . وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة في مكان مكي ، وما اختير له من الشعر :

تَرَحَّلَ ما ليس بالقافلِ وأَعْقَبَ ما ليس بالزائلِ
فلَهَى على الخلفِ النازلِ ولهفى على السلفِ الراحلِ
أُبَكِّي على ذا وأبكي لذا بكاءً مُولَّهَةً ثاكلِ
تُبَكِّي من أبني لها قاطعٍ وتبكي على أبني لها واصلِ
فليست تفتّر عن عبّرة لها في الضمير ومن هامِلِ
تقضت غوايات سُكْرِ الصبي وردّ الثقي عن الباطلِ

٨٤٠/٢

وكتب لأبي العباس خالد بن برمك ، ودفع أبو العباس ابنته ربيعة إلى خالد بن برمك حتى أَرْضَعَتْهَا زوجته أم خالد بنت يزيد بليان بنت لخالد تدعى أم يحيى ، وأَرْضَعَتْ أم سلمة زوجة أبي العباس أم يحيى بنت خالد بليان ابنتها ربيعة . وقلد ديوان الرسائل صالح بن الهيثم مولى ربيعة بنت أبي العباس .

وَكَتَبَ لِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حُمَيْدٍ مَوْلَى حَاتِمِ بْنِ
النَّعْمَانِ الْبَاهِلِيِّ مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ ، وَكَتَبَ لَهُ هَاشِمُ بْنُ سَعِيدِ الْجُعْفِيِّ
وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ أَبِي طَلْحَةَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بِوَاسِطَةٍ . وَرَوَى أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ
مُحَمَّدٍ كَانَ يَكْتُبُ لِأَبِي جَعْفَرٍ ، وَمِمَّا كَانَ يَسْتَمَثِّلُ بِهِ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ :

وَمَا إِنْ شَفَى نَفْسًا كَأَمْرِ صَرِيمَةٍ إِذَا حَاجَةً فِي النَّفْسِ طَالَ اعْتِرَاضُهَا
وَكَتَبَ لَهُ الرَّبِيعُ . وَكَانَ عُمَارَةُ بْنُ حَمَزَةَ مِنْ نُبَلَاءِ الرِّجَالِ ، وَلَهُ :

لَا تَشْكُونَ دَهْرًا صَحَحْتَ بِهِ إِنَّ الْغِنَى فِي صِحَّةِ الْجِسْمِ
هَبَكَ الْإِمَامُ أَكُنْتَ مُنْتَفِعًا بِغَضَارَةِ الدُّنْيَا مَعَ السُّقَمِ !

وَكَانَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ عَبْدِ بَنِي الْحَسَنِحَاسِ :

أَمِنْ أُمِّيَّةٍ دَمْعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفُ لَوْ أَنَّ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ (١)
لَا تُبْكِي عَيْنُكَ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ فِيهِ تَفَرَّقَ ذُو الْإِلْفِ وَمَأْلُوفُ

وَكَتَبَ لِلْمُهْدِيِّ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ وَأَبَانُ بْنُ صَدَقَةَ عَلَى دِيوَانِ رِسَائِلِهِ ،

وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الْكَاتِبُ عَلَى دِيوَانِ جُنْدِهِ وَيَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ ، وَكَانَ ٨٤١/٢
اتَّخَذَهُ عَلَى وَزَارَتِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلَهُ :

عَجِبًا لِتَصْرِيفِ الْأُمُورِ مَحَبَّةً وَكَرَاهِيَةً

وَالدَّهْرُ يَلْعَبُ بِالرَّجَالِ لَهُ دَوَائِرُ جَارِيَةٍ

وَلَابَنَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَعْقُوبَ — وَكَانَ لَهُ مُحَمَّدٌ وَيَعْقُوبُ ، كِلَاهُمَا

شَاعِرٌ مُجِيدٌ :

وَزَعِ الْمَشِيبُ شِرَاسَتِي وَغَرَامِي وَمَرَى الْعَجْفُونَ بِمُسْبَلِ سَجَامِ

(١) دِيوَانُهُ ٦٢ ، ٦٣ ؛ وَهِيَ أَيْبَاتُ ثَلَاثَةِ رَوَايَتِهَا هُنَا :

أَمِنْ سُمِّيَّةٍ دَمْعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفُ لَوْ أَنَّ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ

الْمَالُ مَا لَكُمْ وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَصْرُوفُ !

كَأَنَّهَا يَوْمَ صَدَّتْ مَا تَكَلَّمْنَا ظِيٌّ بَعْسَفَانِ سَاجِي الطَّرْفِ مَطْرُوفُ

ولقد حَرَصْتُ بآن أُوَارِي شخصه
عن مقلتي فَرُمْتُ غَيْرَ مرام
وصبغتُ ما صَبَغَ الزمانُ فلم يدم
صِبْغِي ودامت صبغةُ الأيام
لا تَبْعِدَنَّ شَبِيهَةَ ذِيَالَهُ
فَارَقْتُهَا فِي سَالِفِ الْأَعْوَام
ما كان ما أَسْتَصْحَبْتُ من أَيَّامها
إِلَّا كَبَعْضِ طَوَارِقِ الْأَحْلَام
وَلَا بِيَه :

طَلَّقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا
وَاتَّخَذَ زَوْجًا سِوَاهَا
إِنَّهَا زَوْجَةٌ سَوَاءٌ
لَا تُبَالِي مَنْ أَتَاهَا

واستوزر بعده الفَيْضُ بنَ أَبِي صَالِحٍ ، وكان جَوَادًا .

وكتب للهادي موسى عُبَيْدُ الله بن زياد بن أبي ليلى ومحمد بن حُمَيْد .
وسأل المهديَّ يومًا أبا عُبَيْدِ الله عن أشعار العرب ، فصنَّفها له ، فقال :
٨٤٢/٢ أَحْكَمُهَا قَوْلُ طَرْفَةِ بنِ العَبِيدِ :

أَرَى قَبْرَ نَجَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ
كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ^(١)
تَرَى جُنُوتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا
صَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مَصْمَدٍ^(٢)
أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي
عَقِيلَةَ مَالٍ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(٣)
أَرَى الْعَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ
وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ يَنْفَدُ
لِعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى
لِكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَثْنِيَاهُ بِالْيَدِ^(٤)
وقوله :

وقد أَرَانَا كِلَانًا هَمَّ صَاحِبِهِ
لَوْ أَنَّ شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَنَا رَجَعَا
وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَفَرَّقَهُ
دَهْرٌ يَكْرَهُ عَلَى تَفْرِيقٍ مَا جَمَعَا

(١) ديوانه ٥٢ - ٥٤ . (٢) الجشوتان ، مثنى جنوة ؛ وهي كومة التراب .

(٣) يغتام : يختار ؛ وكذلك يصطفى . وعقيلة كل شيء : خياره .

(٤) الطول : الحبل الذي يطول للدابة فترعى به .

وقول لبید :

أَلَا تَسْأَلَانِ المرءَ ماذا يُحَاوِلُ
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خلا اللهَ باطلُ
أَرَى النَّاسَ لا يدرون ما قدرَ أمرُهُمُ
وَقُولِ النَّابِغَةُ الجَعْدَى :

وقد طالَ عهدي بالشَّبَابِ وأهله
فلم أَجِدِ الإِخْوَانَ إِلَّا صحَابَةً
أَلَمْ تَعْلَمْ أَن قد رُزِيتُ مُحَارِباً
وَقُولِ هُدُبَةَ بنِ خَشْرَم :

ولستُ بِمُفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَنِي
ولا أَبْتَغِي الشَّرَّ والشَّرُّ تَارِكِي
وما يَعْرِفُ الأَقْوَامُ للدَّهْرِ حَقَّهُ
وللدَّهْرِ في أَهْلِ الفَتَى وتِلَادِهِ
ولا جازِعٍ من صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ (٣)
ولكن مَتَى أُحْمَلُ على الشَّرِّ أَرْكَبِ (٤) ٨٤٣/٢
وما الدَّهْرُ مِمَّا يَكْرَهُونَ بِمُعْتَبِرٍ
نَصِيبَ كَحَزِّ الجَازِرِ المُتَشَعِّبِ

وَقُولِ زِيَادَةُ بنِ زَيْد ؛ وَتَمَثَّلْ بِهِ عَبْدُ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ :

تَذَكَّرَ عن شَحْطِ أُمَيْمَةَ فَارْعَوَى
وإنَّ أَمراً قد جَرَّبَ الدَّهْرُ لَمْ يَخَفْ
هل الدَّهْرُ والأَيَّامُ إِلَّا كما تَرَى
وكلُّ الذی یأتی فأنْتَ نَسِیهُ
لَهَا بعد إِكْثَارٍ وطُولٍ نَحِيبِ
تَقَلُّبَ عَصْرِيهِ لَغَيْرٍ لَبِيبِ
رَزِيئَةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ
ولستَ لشيءٍ ذَاهِبٍ بِنَسِيبِ

(١) ديوانه ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٢) أبيات منها في الحماسة - بشرح المَرْزُوقِ بَرْقِي ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، وأبيات منها أيضاً في خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الكامل ٤ : ٨٦ ، مع اختلاف في الرواية . (٤) بعده في الكامل :

وَحَرَّبَنِي مَوْلَايَ حَتَّى غَشِيَتْهُ
مَتَى ما يَجْرُبُكَ ابْنُ عَمِّكَ تَحَرَّبِ

وليس بعيداً ما يجيء كمقبِلٍ ولا ما مضى من مُفْرَحٍ بقريبٍ

وكقول ابن مقبِل^(١) :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ وَالشَّيْبَ أَرَذَلُ هَذِهِ الْأَبْدَالِ
وَالنَّاسَ هَمَّهُمُ الْحَيَاةُ وَلَا أَرَى طَوْلَ الْحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ خَبَالِ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

ووزر له يحيى بن خالد . ووَزَرَ للرَّشِيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد ،
فمن مَسْلِيحٍ كَلَامِهِ : الْخَطَّ سَمَمَةُ الْحِكْمَةِ ، بِهِ تَفْصَلُ شُدُورُهَا ، وَيُنْظَمُ
مَنْشُورُهَا . قَالَ ثُمَامَةُ : قُلْتُ لَجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى : مَا الْبَيَانُ ؟ فَقَالَ : أَنْ يَكُونَ
الْأَسْمُ مُحِيطًا بِمَعْنَاكَ ، مُخْبِرًا عَنْ مَعْنَاكَ ، مُخْرِجًا مِنَ الشَّرْكَ ، غَيْرِ
مُسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِالْفِكْرَةِ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ يَقُولُ :
الدُّنْيَا دَوَّلٌ ، وَالْمَالُ عَارِيَّةٌ ، وَلَنَا بِمَنْ قَبْلَنَا أَسْوَةٌ ، وَفِينَا لِمَنْ بَعْدَنَا عِبْرَةٌ .
وَنَأْتِي بِتَسْمِيَةِ بَاقِي كِتَابِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ ؛ وَالْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْأَخْطَلِ فِي دِيْوَانِهِ ١٥٩ - ١٦٣ ، وَمَطْلَعُهَا :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِجَابِلٍ فَوْعَالٍ دَرَسَتْ وَغَيْرَهَا سِنُونُ خَوَالٍ
وَنَسَبُ الْمَرْبَدِ فِي الْكَامِلِ ٣ : ١٤ الْبَيْتُ الثَّالِثُ إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ .

ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

[خبر مقتل عبد الله بن الزبير]

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير .

* ذكر الخبر عن صفة ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر . قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن عبيد الله بن القبطيَّة ، قال : كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستَّة أشهر وسبعَ عشرةَ ليلة . قال محمد بن عمر : وحدثني مصعب بن ثابت ، عن نافع مولى بني أسد — وكان عالماً بفتنة ابن الزبير — قال : حُصِر ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة اثنين وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكان حصرُ الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبعَ عشرة ليلة .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر : قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن يوسف بن ماهك ، قال : رأيتُ المنجنيقَ يُرمى به ، فرعدت السماء وبرقت ، وعلا صوتُ الرعد والبرق على الحجارة ، فاشتعل عليها ، فأعظم ذلك أهلُ الشام ، فأمسكوا بأيديهم ، ٨٤٥/٢ فرفع الحجاجُ بركةَ قبائه فغرزها في مِنطقتَه ، ورفع حجرَ المنجنيق فوضعه فيه ، ثم قال : ارمؤا ، ورمى معهم . قال : ثم أصبحوا ، فجاءت صاعقة تتبعها أخرى ، فقتلتُ من أصحابه اثنتي عشرة رجلاً ، فانكسر أهلُ الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، لا تُنكروا هذا فإن ابنَ تِهامة ، هذه صواعقُ تِهامة ، هذا الفتح قد حضر فأبشروا ، إن القوم يُصيبُهم مثل ما أصابكم ، فصعقت من الغد . فأصيب من أصحاب ابن الزبير عِدَّة ؛ فقال الحجاج : ألا تَرَوْنَ أَنَّهُمْ يصابون وأنتم على الطَّاعة ، وهم على خلاف

الطاعة ! فلم تزل الحربُ بينَ ابنِ الزبير والحججاجَ حتَّى كان قُبيلَ مَقْتله وقد تفرَّقَ عنه أصحابه ، وخرجَ عامَّةُ أهلِ مَكَّةَ إلى الحججاجَ في الأمان .

حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ عمر ، قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ عبد الله^(١) ، عن المنذر بنِ جَهْمِ الأسدي ، قال : رأيتُ ابنَ الزبير يومَ قُتِلَ وقد تفرَّقَ عنه أصحابُه ونخله من معه خذلانًا شديدًا ، وجعلوا يخرجون إلى الحججاجَ حتَّى خرجَ إليه نحوُ من عشرةِ آلاف .

وذكر أنه كان ممَّن فارقه وخرج إلى الحججاج ابناه حمزة وخبيب ، فأخذاهما لأنفسهما أمانًا ، فدخل على أمه أسماء — كما ذكر محمد بنُ عمر عن أبي الزناد ، عن مسخرمة بن سليمان الوالي ، قال : دخل ابنُ الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال : يا أمه ؛ خذ لى الناسُ حتَّى ولدى وأهلى ، فلم يَبْقَ معي إلَّا اليسير ممَّن^(٢) ليس عنده من الدِّفع أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطونى ما أردت من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت : أنت والله يا بُنى أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامضِ له ، فقد قُتِلَ عليه أصحابك ، ولا تُمكن من رقبته يتلعَّب بها غلمانُ أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبدُ أنت ! أهلكَت نفسك ، وأهلكَت من قُتِلَ معك . وإن قلت : كنتُ على حق فلمَّا وهنَ أصحابى ضعُفتُ ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين ، وكم خلودُك في الدنيا ! القتلُ أحسن . فدنا ابنُ الزبير فقَبَّلَ رأسها وقال : هذا والله رأيى ، والذي قمتُ به داعيًا إلى يومى هذا ما ركنتُ إلى الدنيا ، ولا أحببتُ الحياةَ فيها ، وما دعانى إلى الخروجِ إلَّا الغضبُ لله أن تُستَحَلَّ حرمة ، ولكننى أحببتُ أن أعلم رأيك ، فزدننى^(٣) ، بصيرةً مع بصيرتى . فانظرى يا أمه فإني مقتول من يومى هذا ، فلا يشتدَّ حزنُك ، وسكمتى الأمرُ لله ، فإنَّ ابنك لم يتعمد إتيان^(٤) منكسر ، ولا عَمَلًا بفاحشة ، ولم يَجْرُ في

(١) ط : « عبيد » ، وصوابه من أ . (٢) ب : « ومن » ، أ ، ف : « من » .

(٣) ب ، ف : « فقد زدتنى » . (٤) ب ، ف : « إشار » .

حكم الله ، ولم يغدر في أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عُمّالِي فرضيتُ به بل أنكرتُه ، ولم يكن شيءٌ آثرَ عندي ^(١) من ٨٤٧/٢ رَضًا ربي . اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي ، أنت أعلمُ بي ، ولكن أقوله تعزية لأمتي لتسلو عني . فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنًا إن تقدمتني ، وإن تقدمتك في نفسي ، اخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك . قال : جزاك الله يا أمه خيرًا ، فلا تدعني الدعاء لي قبلُ وبعدُ . فقالت : لا أدعه أبدًا ، فن قُتِلَ على باطل فقد قُتِلت على حق . ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك السَّحِب والظَّمَا في هَوَاجِرِ المدينة ومَكَّةَ وبرّه بأبيه وبِي . اللهم قد سلمته لأمرِك فيه ، ورضيتُ بما قضيت ، فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين ^(٢) .

قال مصعب بن ثابت : فما مكثتُ بعده إِلَّا عَشْرًا ، ويقال : خمسة أيام .

قال محمد بنُ عمر : حدثني موسى بنُ يعقوب بن عبد الله ، عن عمه قال : دخل ابنُ الزبير على أمه وعليه الدرع والمِغْفَر ، فوقف فسَلَّمَ ، ثم دنا فتناول يدها فقبلها ^(٣) . فقالت : هذا وداع فلا تَبْعِد ، قال ابن الزبير : جئت مردِّعًا ، إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمرُّ بي ، وأعلمي ^(٤) يا أمه أني إن قُتِلت فإنما أنا لحم لا يضرتني ما صنَّع بي ، قالت : صدقت يا بُنَيَّ ، أتمم على بصيرتك ، ولا تُمكِّن ابنَ أبي عَقِيل منك ، وادنُ مني أودِّعك ، فدنا منها فقبلها وعانقها ، وقالت حيث مَسَّت الدرع : ما هذا ٨٤٨/٢ صنيعٌ من يريد ما تريد ! قال : ما لبستُ هذا الدرع إِلَّا لأشدَّ منك ، قالت العجوز : فإنه لا يشدُّ مني ، فنزعتها ثم أدراج كميته ، وشدَّ أسفل قميصه ، وجبَّة خَزَّ تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة ، وأمّه تقول : البس ثيابك مشمِّرة . ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول :

(١) ب ، ف : « عندي آثر » . (٢) ب ، ف : « الشاكرين الصابرين » .

(٣) ف : « يدها فقبلها » . (٤) ب : « وأعلمي » .

إِنِّي إِذَا أَغْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ
فسمعت العجوزَ قولَه ، فقالت : تَصْبِرُ واللهِ إِن شاء الله ، أبوك أبو بكر
والزبير ، وأمالك صفيّة بنتُ عبدِ المطلب .

حدثني الحارث ، قال : حدثني ابنُ سعد ، قال : أخبرني محمد بنُ
عمر ، قال : أخبرنا ثور بنُ يزيد ، عن شيخ من أهلِ حمصَ شهد
وقعة ابن الزبير مع أهل الشام ، قال : رأيته يوم الثلاثاء وإنّا لنطلع عليه أهل
حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا ندخله ، لا يدخله غيرنا ، فيخرج
إلينا وحده في أثرنا ، ونحن منهزمون منه ، فما أنسى أرجوزة له :

إِنِّي إِذَا أَغْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحُرُّ
* إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ *

فأقول : أنت والله الحرّ الشريف ، فلقد رأيته يقف في الأبطح ما يدنو
منه أحدٌ حتّى ظننّا أنّه لا يقتل .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بنُ
عمر ، قال : حدثنا مصعب بن ثابت ، عن نافع مولى بني أسد ، قال :
رأيت الأبواب قد سُحِنَت من أهل الشام يوم الثلاثاء ، وأسلم أصحابُ ابن
الزبير المحارس ، وكثرهم القومُ فأقاموا على كلِّ باب رجالاً وقائدًا وأهل بلد ،
فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ، ولأهل دِمَشق باب بني
شيبّة ، ولأهل الأردنّ باب الصفا ، ولأهل فلسطين باب بني جُمَح ،
ولأهل قِنَسَرين باب بني سَهْم ، وكان الحجّاج وطارق بن عمرو جميعاً
في ناحية الأبطح إلى المروة ، فرّة يَحْمِل ابنُ الزبير في هذه الناحية ، ومرة
في هذه الناحية ، فلما كان أسد في أجمة ما يُقدِّم عليه الرجال ، فيعدوني أثر
القوم وهم على الباب حتّى يُخْرِجَهُمْ وهو يرتجز :

إِنِّي إِذَا أَغْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحُرُّ
ثم يصيح : يا أبا صفوان^(٤) ، ويل أمّه فَتَسْحًا لو كان له رجال !

(١) ا : « أباصفوان » وهو عبد الله بن صفوان وانظر ص ١٩٢ .

* لَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ ^(١) *

قال ابن صفوان : إى والله وألف .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بنُ عمر ، قال : فحدثني ابنُ أبي الزناد وأبو بكر بنُ عبد الله بنِ مصعب ، عن أبي المنذر ^(٢) . وحدثنا نافع مؤلفُ بني أسد ، قال : لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجاجُ على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابنُ الزبير يصلّي عامّة الليل ، ثم احتبى بحماثل ٨٥٠/٢ سيفه فأغنى ، ثم انتبه بالفجر فقال : أذن يا سعد ، فأذن عند المقام ، وتوضأ ابنُ الزبير ، وركع ركعتي الفجر ، ثم تقدّم ، وأقام المؤذن فصلّي بأصحابه ، فقرأ ﴿ ن وَالْقَلَم ﴾ حرّفاً حرفاً ، ثم سلّم ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

اكشفوا وجوهكم حتّى أنظر ، وعليهم المغافر والعمائم ، فكشّفوا وجوههم فقال : يا آل الزبير ، لو طيتم لى أنفسكم عن أنفسكم كنّا أهل بيت من العرب اصطلمنا فى الله لم تصبنا زبّاءُ بنة . أمّا بعد يا آل الزبير ، فلا يرعكم وقعُ السيوف ، فإنى لم أحضر موطناً قطّ إلّا ارتشّشت فيه من القتل ، وما أجْدُ من أدواء جراحها أشدّ ممّا أجْدُ من ألم وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ، لا أعلم امرأ كسّر سيفه ، واستبقى نفسه ، فإنّ الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل ، غَضُوا أَبْصَارَكُمْ عَنِ الْبَارِقَةِ ، وَلِيَسْخَلْ كُلُّ امْرِئٍ قِرْنَهُ ، وَلَا يُلْهِيَنَّكُمْ السُّؤَالُ عَنِّي ، وَلَا تَقُولُنَّ : أَيْنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ؟ أَلَا مِنْ كَانَ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ .

أَبِي لَا بِنَ سَلَمَى أَنَّهُ غَيْرُ خَالِدٍ مُلَاقِي الْمَنَايَا أَيْ صَرَفِ تَيْمَمًا ^(٣)
فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَبَةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلَمًا ^(٤)

(١) لدويد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ٢٨ .

(٢) ط : « ابن » وصوابه من ا ، وهو أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي .

(٣) للحصين بن الحمام المرى ، من المفضلية ١٢ . (٤) المفضليات : « ولا مبتغ » .

احملوا على بركة الله .

٨٥١/٢ ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحَجُّون ، فرمى بأجرة فأصابته في وجهه فأرغش لها ، ودعى وجهه ، فلمّا وجده سخونة الدّم يسيل على وجهه ولحيته قال :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْنَا وَلَكِنْ عَلَى أَفْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا (١)
وتغاؤوا عليه .

قالا : وصاحت مولاة لنا مجنونة : وأمير المؤمنيناه ! قالوا : وقد رأيته حيث هوى ، فأشارت لهم إليه ، فقتل وإنّ عليه ثياب خَزَر . وجاء الخبر إلى الحِجَّاج ، فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو ، فقال طارق : ما ولدت النساءُ أذكرَ من هذا ؛ فقال الحِجَّاج : تَمْدَحُ مَنْ يُخَالِفُ طَاعَةَ أمير المؤمنين ! قال : نعم ، هو أعذر لنا ، ولولا هذا ما كان لنا عُذر ، إنّنا مُحاصرونه وهو في غير خِندَق ولا حصن ولا مَسْنَعَة منذ سبعة أشهر ينتصف منّا ، بل يفضل علينا في كلّ ما التقينا نحن وهو ؛ فبلغ كلاهما عبد الملك ، فصوّب طارقاً .

حدثنا عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن رجاله ، قال : كَأَنِّي أَنْظِر إلى الزبير وقد قتل غلاماً أسود ، ضربه فغرقبه ، وهو يمرّ في حملته عليه ويقول : صَبْرًا يَا بَنِي حَام ، فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاطِنِ تَصْبِرُ الْكِرَام !

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عُمَرَ ، قال : حدثني عبد الجبار بن عُمارة ، عن عبد الله بن أبي بكر ٨٥٢/٢ ابنِ مُحَمَّد بنِ عمرو بنِ حَزْم ، قال : بعث الحِجَّاجُ بِرَأْسِ ابْنِ الزَّبِيرِ وَرَأْسِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ صَفْوَانَ وَرَأْسِ عُمَارَةَ بنِ عمرو بنِ حَزْم إلى المدينة فنصب بها ، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان ، ثم دخل الحِجَّاج

(١) للحسين بن الحمام المري ، ديوان الحماسة - بشرح المرزوقي ١ : ١٩٢ ، وفي ط : « لسا » وأثبت ما في ب ، ف ، وهو يوافق ما في الحماسة .

مكة ، فبايع^(١) من بها من قريش لعبد الملك بن مروان .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك طارقاً مولى عثمانَ المدينة فولّيها خمسة أشهر .

وفي هذه السنة تُوفّيَ بِبِشْرُ بنُ مروانَ في قول الواقدي ، وأمّا غيرُ د فإنه قال : كانت وفاته في سنة أربع وسبعين .

وفيهما أيضاً وجّه — فيما ذُكر — عبد الملك بن مروان عمرَ بن عبيد الله بن معمرَ لقتال أبي فُدَيْك ، وأمره أن يندب معه من أحبّ من أهل البصريين ، فقدم الكوفة فندب أهلها ، فانتدب معه عشرة آلاف ، ثم قدّم البصرة فندب أهلها ، فانتدب معه عشرة آلاف ، فأخرج لهم أرزاقهم وأعطيتهم ، فأعطوها . ثم سار بهم عمرُ بن عبيد الله ، فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة ، وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله ، وجعل خيلته في القلب ، حتّى انتهوا إلى البحرَيْن ، فصفّ عمرُ بن عبيد الله أصحابه ، وقدّم الرّجال في أيديهم الرّماح قد ألزموها الأرض ، واستتروا بالبراذع . فحمّل أبو فُدَيْك وأصحابه حملة رجل واحد ، فمكشّفوا ميسرة عمرَ بن عبيد الله حتّى ٨٥٣/٢ ذهبوا في الأرض إلا المغيرةَ بن المهلب ومعهن بن المغيرة ومُجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فإتّهم مالوا إلى صفّ أهل الكوفة وهم ثابتون ، وارْتُ عمرُ بن موسى بن عبيد الله . فهو في القتلى قد أثخن بجراحة . فلما رأى أهلُ البصرة أهلَ الكوفة لم ينهزموا تدمّموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتّى مرّوا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحاً فحملوه حتّى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تبّين كثير فأحرقوه . ومالت عليهم الرّيح . وحمل أهلُ الكوفة وأهلُ البصرة حتّى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فُدَيْك . وحصرهم في المشقّقر ، فنزلوا على الحكم ، فقتل عمرُ بن عبيد الله منهم — فيما ذُكر — نحواً من ستّة آلاف ، وأسّر ثمانمائة ، وأصابوا بجارية أميّة بن عبد الله حبّلى من أبي فُدَيْك وانصرفتوا إلى البصرة .

(١) ب : «فبايعه» ، ا ، س : «فبايع بها» .

وفي هذه السنة عزّل عبدُ الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولّاها أخاه بيشر بن مروان ، فصارت ولايتها ولاية الكوفة إليه ، فشخص بيشر لمّا ولّى مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث . وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة : فهزم الروم .

وقيل : إنّه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم في ناحية أرمينية وهو في أربعة آلاف والروم في ستين ألفاً ، فهزّمهم وأكثر القتلَ فيهم .

٨٥٤/٢

وأقام الحجّ في هذه السنة للناس الحجّاج بن يوسف وهو على مكّة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة - في قول الواقدي - بيشر بن مروان ، وفي قول غيره على الكوفة بيشر بن مروان . وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام ابن هبيرة ، وعلى خراسان بكّير بن وشاح .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

[قال أبو جعفر :] فما كان فيها من ذلك عزّل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة ، واستعماله عليها الحجّاج بن يوسف ، فقدّمها — فيما ذكر — فأقام بها شهراً ثمّ خرج معتمراً .

وفيهما كان — فيما ذكر — نَقَضُ الحجّاج بن يوسف بنيان الكعبة الّذى كان ابن الزبير بناه ، وكان إذ بناه أدخل في الكعبة الحجر ، وجعل لها بابيّين ، فأعادها الحجّاج على بنائها الأوّل في هذه السنة . ثمّ انصرف إلى المدينة في صفر ، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبّث بأهل المدينة ويتعنّتهم ، وبنى بها مسجداً في بنى سلّمة ، فهو يُنسب إليه .

واستخفّ فيها بأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فختّم في أعناقهم ؛ فنذّر محمد بن عمران بن أبي ذئب . حدّثه عثمان رأى جابر بن عبد الله مختوماً في يده .

وعن ابن أبي ذئب ، عن إسحاق بن يزيد ، أنه رأى أنس بن مالك مختوماً ٨٥٥/٢ في عنقه ، يريد أن يذلّه بذلك .

قال ابن عمر : حدّثني شُرَحْبِيل بن أبي عون ، عن أبيه ، قال : رأيتُ الحجّاج أرسل إلى سهل بن سعد فدعاه ، فقال : ما منعك أن تنصُر أمير المؤمنين عثمان بن عفّان ! قال : قد فعلتُ . قال : كذبت ، ثمّ أمر به فختّم في عنقه برصاص .

وفيهما استنقَضَ عبد الملك أبا إدريس الخولانيّ — فيما ذكر الواقديّ . وفي هذه السنة شخّص في قول بعضهم بِشْر بن مروان من الكوفة إلى البَصْرة واليّا عليها .

* * *

[ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة]

وفي هذه السنة وُلّيَ المهلبُ حَرْبَ الأزارقة مِن قِبَل عبد الملك .

* ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها :

ولمّا صار بِيشُر بالبصرة كتب عبدُ الملك إليه — فيما ذَكَر هشامُ عن أبي مِخْنَفٍ ، عن يونسَ بن أبي إسحاق ، عن أبيه :

أمّا بعد ، فابعث المهلب في أهل مصره^(١) إلى الأزارقة ، ولينتخب من أهل مِصره وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم^(٢) ، فإنّه أعرف بهم ، وخلفه رأيه في الحرب ، فإنّي أوثقُ شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين . وابعث من أهل الكوفة بعثاً كثيفاً ، وابعث عليهم رجلاً معروفاً شريفاً ، حسيباً صليباً ، يُعرف بالبأس والنّجدة والتّجربة للحرب ، ثمّ أنهض إليهم أهل المِصرين فليُتبعوهم أيّ وجهٍ ما توجهوا حتّى يُبيدَهم الله^(٣) . ٨٥٦/٢ ويستأصلهم . والسلام عليك^(٤) .

فدعا بِيشُرُ المهلبَ فأقرأه الكتاب ، وأمره أن ينتخب مَنْ شاء ، فبعث بجديع بن سَعِيد بن قَسْبِصَة بن سَرّاق الأزدي — وهو خالُ يزيدِ ابنه — فأمره أن يأتي الديوان فينتخب الناس ، وشقّ على بشر أن إمرة المهلب جاءت من قِبَل عبد الملك ، فلا يستطيع أن يبعث غيره ، فأوغرت صدره عليه حتّى كأنّه كان له إليه ذنب . ودعا بِيشُر بن مروانَ عبدَ الرحمن بن مِخْنَفٍ فبعثه على أهل الكوفة ، وأمره أن ينتخب فرسانَ الناس وجوهمهم وأولى الفضل منهم والنّجدة .

قال أبو مِخْنَفٍ : فحدّثني أشياخُ الحنّ ، عن عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ قال : دعاني بِيشُر بن مروانَ فقال لي : إنَّكَ قد عرفتَ منزلتكَ منّي ، وأثّرتكَ عندي ، وقد رأيتُ أن أوليّكَ هذا الجيش للسّدى عرفتُ من جِزْلِكَ وغنائِكَ وشرفِكَ وبأسِكَ ، فكن عند أحسن ظني بك . انظرْ هذا الكذا كذا — يقع في المهلب — فاستبدّ عليه بالأمر ، ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأياً ، وتسنّضه وقصّره .

قال : فترك أن يُوصيني بالجنّند ، وقتالِ العدوّ ، والنّظر لأهل

(١-١) ب ، ف : « وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم إلى الأزارقة ولينتخب من أحب » . (٢) ب ، س : « يبيد » . (٣) بعدها في ف : « ورحمة الله وبركاته » .

الإسلام ، وأقبل يُغريني بابتن عمى كأتى من السفهاء أو ممن يستصبي ويستجهل ، ما رأيت شيخاً مثلى فى مثل هيئى ومنزلتى طمّيع منه فى مثل ما طمّيع فيه هذا الغلام منى ، شَبَّ عَسرو عن الطّوق .

قال : ولمّا رأى أنى لست بالنشيط^(١) إلى جوابه قال لى : ما لك ؟ قلت : ٨٥٧/٢

أصلحك الله ! وهل يسعنى إلا إنفاذ أمرى فى كل ما أحببت وكرهت ! قال : امض راشداً . قال : فودّعته وخرجت من عنده ، وخرج المهلب بأهل البصرة حتّى نزل رام متهرّمز فلقتى بها الخوارج ، فخذق عليه ، وأقبل عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة على ربيع أهل المدينة معه^(٢) بيشر بن جرير ، وعلى ربيع تميم وهمدان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وعلى ربيع كندة وربيعه إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وعلى ربيع مَذحج وأسد زحر بن قيس . فأقبل عبد الرحمن حتّى نزل من المهلب على ميل أو ميل ونصف . حيث تراءى العسكران برام متهرّمز ، فلم يلبث الناس إلا عشرًا حتّى أتاهم نعى بيشر بن مروان ، وتوقى بالبصرة ، فافرض ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة ، واستخلف بشر خالد بن عبد الله ابن أسيد ، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حرّيث ، وكان اللذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس وإسحاق بن محمد بن الأشعث ومحمد بن ابن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، فبعث عبد الرحمن بن مخنف ابنه جعفرًا فى آثارهم ، فردّ إسحاق ومحمدًا ، وفاته زحر بن قيس ، فحبسهما يومين ، ثم أخذ عليهما ألا يفارقاه ، فلم يلبثا إلا يومًا^(٣) حتّى انصرفا ، فأخذ^(٤) غير الطريق ، وطلبنا فلم يلحقنا ، وأقبلنا حتّى لحقا زحر بن قيس بالأهواز ، فاجتمع بها ناس كثير ممن يريد البصرة ، فبلغ ذلك خالد بن عبد الله ، ٧٥٨/٢ فكتب إلى الناس كتابًا^(٥) وبعث رسولاً يضرب وجوه الناس ويردهم^(٦) ، فقدم بكتابه مولى له ، فقرأ الكتاب على الناس ؛ وقد جمّعوا له :

(١) ب ، ف : « بنشيط » . (٢) ب ، ف : « ومعه » .

(٣) ب ، ف : « يومين » . (٤) س : « انصرفوا فأخذوا » .

(٥ - ٥) ب ، ف : « وبعث رسلا تضرب وجوه الناس وتردهم » .

بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن عبد الله ، إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين . سلامٌ عليكم ، فإنني أحمدُ الله الذي لا إله إلا هو . أمّا بعد ، فإنّ الله كتب على عباده الجهاد ، وفرض طاعةً ولاةَ الأمر ، فمن جاهد فإنّما يُجاهد لنفسه ، ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى ، ومن عصَى ولاةَ الأمر والقوّام بالحق أسخط الله عليه ، وكان قد استحقَّ العقوبة في بشره ، وعرض نفسه لاستفاءة ماله وإلقاء عطائه ، والتسيير إلى أبعد الأرض وشرّ البلدان . أيّها المسلمون ، اعلموا^(١) على من اجترأتم ومن عصيتم ! إنّ عبدُ الملك بن مروان أميرُ المؤمنين ، الذي ليست فيه غَمِيْزة ، ولا لأهلِ المعصية عنده رُحْصَة ، سوطه على مَنْ عَصَى ، وعلى مَنْ خَالَفَ سيفه ، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً ، فإنني لم آلتكم نصيحةً . عبادَ الله ، ارجعوا إلى مَكْتَبِكُمْ^(٢) وطاعة خليفَتِكُمْ ، ولا ترجعوا عاصين مخالِفين فيأتيتكم ما تكرهون . أقسم بالله لا أثقف عاصياً بعد كتابي هذا إلا قتلته إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة الله .

وأخذَ كلما قرأ عليهم سطرًا أو سطرين قال له زحر : أوْجَز ؛ فيقول له مولى خالد : والله إني لأسمع كلامَ رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع . أشهد لا يعيـج^(٣) ، بشيء مما في هذا الكتاب . فقال له : اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمِرت به ، ثم ارجع إلى أهلِكَ ، فإنك لا تدري ما في أنفسنا . ٨٥٩/٢

فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناسُ إلى ما في كتابه ، وأقبلَ زحر^(٤) وإسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قريةً لآل الأشعث إلى جانب الكوفة ، وكتبوا إلى عمرو بن حرّيث :

أما بعد ، فإنّ الناسَ لما بلغتهم وفاةُ الأمير رحمةُ الله عليه تفرّقوا فلم يَسِقَ معنا أحدٌ ؛ فأقبلنا إلى الأمير وإلى مصرنا ، وأحببنا ألاّ ندخل الكوفة إلاّ بإذن الأمير وعلمه .

(١) ب ، ف : « أتعلون » . (٢) ب ، ف : « أمكتكم » .

(٣) لا يعيـج : لا يكثرث . وفي ب ، ف : « لا تهب فتنة إلا كنت رأسها » .

(٤) بعدها في ب ، ف : « وأصحابه » .

فكتب إليهم :

أما بعد ، فإنكم تركتم مكتسبكم^(١) وأقبلتم عاصين مخالفين ، فليس لكم عندنا إذن ولا أمان .

فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى رجالهم ، فلم يزلوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف .

* * *

[عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها]
وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاهها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

* ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية :
وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان إلى حين قدم^(٢) أمية عليها والياً سنتين في قول أبي الحسن ، وذلك أن ابن خازم قتل سنة ثلاث وسبعين وقدم أمية سنة أربع وسبعين .

وكان سبب عزل بكير عن خراسان أن بحيراً — فيما ذكره علي عن المفضل — حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت في رأس ابن خازم ٨٦٠/٢ حين قتله ، فلم يزل محبوساً عنده حتى استعمل عبد الملك أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد ، فلما بلغ ذلك بكير أرسل إلى بحير ليصالحه ، فأبى عليه وقال : ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة ! فشت السفراء بينهم ، فأبى بحير ، فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي ، فقال : ألا أراك مائماً ! يرسل إليك ابن عمك يستدرك إليك وأنت أسير ، والمشرقي في يده — ولو قتلك ما حبتقت فيك عزر — ولا تقبل منه ! ما أنت بموفق^(٣) . فقبل الصلح ، وأخرج وأنت على أمر . فقبل مشورته ، وصالح بكيرا ، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفاً ، وأخذ على بحير ألا يقاومه . وكانت تميم قد اختلفت بخراسان ، فصارت مقاعس والبطون يتعصبون له ، فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ، ويقهرهم عدوهم من المشركين ، فكتبوا إلى

(١) ب ، ف : « أمكتكم » . (٢) ب ، ف : « قدم » .

(٣) ب ، ف : « بموفق » .

عبد الملك بن مروان : إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه ، فقال عبد الملك : خراسان تُعْغَر المشرق ، وقد كان به من الشر ما كان ، وعليه هذا التسمي ، وقد تعصب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه ، فيهلك الثغر ومن فيه ، وقد سألو أن أولي أمرهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا ، فقال أمية بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ، تداركهم برجل منك ، قال : لولا انحيازك عن أبي فديك كنت ذلك الرجل . قال : يا أمير المؤمنين ، والله ما انحزت حتى لم أجد مقاتلاً ، وخذلني الناس ، فرأيت أن انحيازي إلى فئة أفضل من تعريضي عصبة بقيت من المسلمين للهلكة ، وقد علم ذلك مزار بن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، وكتب إليك خالد بن عبد الله بما بلغه من عذري - قال : وكان خالد كتب إليه بعذره ، ويخبره أن الناس قد خذلوه - فقال مزار : صدق أمية يا أمير المؤمنين ، لقد صبر حتى لم يجد مقاتلاً ، وخذلته الناس . فولاه خراسان ، وكان عبد الملك يحب أمية ، ويقول : نتيحتي ، أي لِدَتِي ، فقال الناس : ما رأينا أحداً عوّض من هزيمة ما عوّض أمية ، فر من أبي فديك فاستعمل على خراسان ؛ فقال رجل من بكر بن وائل في مجلس بكير بن وشاح :

أَتَتَكَ الْعَيْسُ تَنْفِخُ فِي بُرَاهَا تُكْشِفُ عَنْ مَنَاكِبِهَا الْقُطُوعُ^(١)
كَأَنَّ مَوَاقِعَ الْأَكْوَارِ مِنْهَا^(٢) حَمَامُ كَنَائِسٍ بُقْعُ وَقُوعُ
بِأَبْيَضٍ مِنْ أُمِيَّةٍ مُضْرَحِيٌّ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَنِيعٌ^(٣)

وبحير يومئذ بالسَّجَّج يسأل عن مسير أمية ؛ فلما بلغه أنه قد قارب أبرش شهر قال لرجل من عجم أهل مرو يقال له رزّين - أو زرير : دلّني

(١) الأغاني ١٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ونسب الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص ؛ وذكر البيت الأول ، ثم الثالث . العيس : النوق البيض يخالط بياضها شقرة . والبري ؛ جمع برة ، وهي حلقة من فضة أو صفر أو شعر تجعل في أفن البعير . والقطوع ، بضم القاف : جمع قطع ؛ وهو الطنفسة تحت الرجل على كنف البعير . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « الأكرار »

(٣) المضرحي : السيد الكريم . والصنيع : السيف الأبيض المجلو .

على طريق قريب لالقصي الأمير قبل قدومه ، ولك كذا وكذا ، وأجزل لك العطية ؛ وكان عالماً بالطريق ، فخرج به فصار من السنج إلى أرض سَرَخَس في ليلة ، ثم مضى به إلى نيسابور فوافى أمية حين قدم أبرشهر ، فلقية فأخبره عن خراسان وما يصلح أهلها وتحسن به طاعتهم ، ويخف على الوالي مئونتهم ، ورفع عن^(١) بكير أموالاً أصابها ، وحدّره غدره .

قال : وسار معه حتى قدم مرو ، وكان أمية سيّداً كريماً ، فلم يعرض لبكير ولا لعماله ، وعرض عليه أن يوليّه شرطته ، فأبى بكير ، فولّاهما بحير بن ورقاء ، فلام بكيراً رجالاً من قومه ، فقالوا : أبيت أن تلي ، فولّيت بحيراً وقد عرفت ما بينكما ! قال : كنت أمس والي خراسان تحمّل الحراب بين يدي ، فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربه !

وقال أمية لبكير : اختر ما شئت من عمل خراسان ، قال : طخارستان ، قال : هي لك . قال : فتجهز بكير وأنفق مالا كثيراً ، فقال بحير لأمية : إن أتى بكير طخارستان خلّعك ، فلم يزل يحدّره حتى حذر ، فأمره بالمقام عنده .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف . وكان ولي قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة قبل شخوصه إلى المدينة كذلك ، ذكر ذلك عن محمد بن عمر .

وكان على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف ، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان ، وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، ٨٦٣/٢ وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة ، ولا نعلم صحته ذلك .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ذكرُ الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبيل
مَرَّعَش .

وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة .

وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك الحجاج بن يوسف العراقَ دون خُرَّاسان
وسجستان .

* * *

[ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها]

وفيهما قدّم الحجاج الكوفة . فحدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد
ابنُ يحيى أبو غَسَّان ، عن عبد الله بن أبي عُبَيْدَةَ بن محمد بن عَمَّار
ابن ياسر ، قال ^(١) : خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب
عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مَرَّوان في اثني عشر
راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءه ^(٢) ، وقد
كان بشراً بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ بالمسجد فدخله ، ثم صعد
المنبر وهو مثلثم بعمامة خزّ حمراء ، فقال : علىّ بالناس ، فحسبوه وأصحابه
٨٦٤/٢ خارجة ^(٣) ، فهتموا به ، حتى إذا اجتمع إليه الناس قام فكشف عن
وجهه وقال :

أنا ابنُ جَلّاءٍ وطلّاءُ الثّنايا متى أضعر العِمامةَ تعرّفوني ^(٤)

(١) الخبر وما تضمنته من خطبة الحجاج أورده الجاحظ في البيان والتبيين ٢ : ٣٠٧ - ٣١٠
هذا السند أيضاً ، والخطبة أيضاً في الكامل ١ : ٣٨٠ - ٣٨٢ ، والعقد ٤ : ١١٩ ، وعيون الأخبار
٢ : ٢٤٣ .

(٢) البيان : « فجأة » . (٣) البيان : « خوارج » .

(٤) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحي ، رواها الأصبغى في الأصبغيات ٧٣ (ليبسك) .

أما والله إني^(١) لأحمل^(١) الشرَّ محمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ،
وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطعها ، وإني لأنظر إلى الدماء بين
العمائم واللحى .

* قد شمَّرت عن ساقها تشميراً^(٢) *

هذا أوان الشَّد فاشتدَّ زيمٌ قد لفَّها الليلُ يسواقٍ حُطَم^(٣)
ليس براعى إبِلٍ ولا غنمٍ ولا بجزارٍ على ظهرٍ وضم^(٤)
قد لفَّها الليلُ بعصدي^(٥) أروغ خراجٍ من الدَّوى
* مهاجرٍ ليس بأعرابيَّ *

ليس أوان يكره الخلطُ جاءت به والقلص الأعلاطُ
* تهوى هوىً سابق الغطاءِ *

وإني والله يا أهل العراق ما أغمز كغماز التين^(٦) ، ولا يقعقع على بالشنان
ولقد فررت عن ذكاء^(٧) ، وجريت إلى الغاية القصوى^(٨) . إن أمير المؤمنين ،
عبد الملك نشر كنانته ثم عجم عيادتها فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها ٨٦٥/٢
مكسراً ، فوجهني إليكم ؛ فإنكم طالما أوضعتم^(٩) في الفتنة ، وسنتم سنن
الغى . أما والله لألحونكم لحون العود ، ولأعصبنكم عصب السلمة ،

(١-١) البيان : « لأحمل الشر بمحمله » .

(٢) البيان : « فشمراً » ، العقد : « فشمري » .

(٣) الرجز لرويشد بن رميض العبدي ؛ كما في حواشي الكامل واللسان (حطم) ؛ والأغاني
١٥ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، قال : « الشعر لرشيد بن رميض العبدي يقول في الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة .
وكان شريح قد غزا البين ، فغنم وبسى ، ثم أخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك
منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عنيقاً حتى نجوا ووردوا الماء ، فقال فيه
رشيد الرجز مادحاً ، فلقب الحطم بذلك الرجز » . (٤) الوض : كل ما قطع عليه اللحم .

(٥) الرجز في اللسان (عصلب) . والعصلي : الشديد القادر على المشي والعمل .

(٦) البيان : « تغماز التين » .

(٧) فر الدابة : كشف عن أسنانه ليعرف بذلك عمره . والذكاء ؛ نهاية الشباب وتمام السن .

(٨) الغاية : قصبة تنصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفي العقد :

« وأجريت إلى الغاية القصوى » . (٩) الإيضاع : ضرب من السير .

ولأُضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَابٍ^(١) الْإِبِلِ . إني والله لا أُعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ ، ولا أُخْلَقُ إِلَّا فَرَيْتُ . فإيتاي وهذه الجماعات وقيلًا وقالوا ، وما يقول^(٢) ، [و^(٣)] فِيمَ أَنْتُمْ وَذَلِكَ ؟ والله لَتُسْتَقِيمَنَّ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَوْ لَأَدْعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ . مَنْ وَجَدْتُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ مِنْ بَعَثِ الْمُهْلَبِ سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَأَنْهَيْتُ مَالَهُ .

ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك .

قال : ويقال : إنه لما طال سكوته تناول محمد بن عُمَيْرٍ حَصَى فَأَرَادَ أَنْ يَحْصِيَهُ بِهَا ، وقال : قاتله الله ! ما أَعْيَاهُ وَأَدَمَّهُ ! والله إنني لأَحْسَبُ خَبْرَهُ كَرُوءَاتِهِ . فلما تكلم الحجاج جعل الحصى يَنْتَثِرُ مِنْ يَدِهِ ولا يعقل به ، وأن الحجاج قال في خُطْبَتِهِ :

شاهت الوجوه ! إِنْ اللَّهَ ضَرَبَ ﴿ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾^(٤) ، وَأَنْتُمْ أَوْلَتْكُمْ وَأَشْبَاهَ أَوْلَتْكُمْ ، فَاسْتَوْثَقُوا وَاسْتَقِيمُوا . فوالله لأَذِيقَنَّكُمْ الْهَوَانَ حَتَّى تَسْأَلُوا^(٥) ، ولأَعْصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّلَامَةِ حَتَّى تَنْقَادُوا ، أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَقْبِلُنَّ عَلَى الْإِنْصَافِ ، وَلَتَسَدَّ عَنْ الْإِرْجَافِ ، وَكَانَ وَكَانَ ، وَأَخْبِرْنِي فَلَانَ عَنْ فَلَانٍ ، وَالْمُهْبَرُ وَالْمُهْبَرُ ! أَوْ لَأَهْبِرَنَّكُمْ^(٦) بِالسَّيْفِ هَبْرًا يَدْعُ النِّسَاءَ أَيَّامِي ، وَالْوِلْدَانَ يَتَايَ ، وَحَتَّى تَمْشُوا السُّمَمِيَّ ، وَتَقْلَعُوا عَنْ هَسَاوَهَا . إيتاي وهذه الزرافات ، لا يَرْكَبَنَّ الرَّجُلُ مِنْكُمْ إِلَّا وَحْدَهُ . أَلَا إِنَّهُ لَوْ سَاغَ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَتُهُمْ مَا جَبِي فِيَّ^(٧) وَلَا قُوتِلَ عَدُوٌّ ، وَلَعُطِّلَتِ الثُّغُورُ ، وَلَوْلَا أَنْتُمْ يُغْزَوْنَ كَرَاهًا مَا غَزَا طَوْعًا ، وَقَدْ بَلَغَتْ رَفَضُكُمْ الْمُهْلَبِ ، وَإِقْبَالُكُمْ عَلَى مَصْرِكُمْ عُصَاةَ مُخَالِفِينَ ، وَإِنِّي أَقْسِمُ لَكُمْ بِاللَّهِ لَا أَجِدُ أَحَدًا بَعْدَ ثَلَاثَةِ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ .

٨٦٦/٢

(١) الإبل إذا وردت الماء ودخل فيها غريبة من غيرها ضربت وطردت .

(٢) البيان « ما يقولون » . (٣) من البيان .

(٤) سورة النحل: ١١٢ . (٥) ب ، ف : « تذكروا العصيان » .

(٦) س ، ف : « ولا هبرنكم » .

ثمّ دعا العُرفاءَ فقال : ألحقُوا الناسَ بالمَهْلَسِ ، وأتُوني بالبراءاتِ بمُوافاتهم ولا تُغلِقنْ أبوابَ الجسرِ ليلاً ولا نهاراً حتّى تنقضيَ هذه المدة .

تفسير الخطبة : قوله : « أنا ابنُ جَلالٍ » ، فابنُ جَلالٍ الصُّبحُ لأنّه يجلو الظلمة . والثنايا : ما صَعُرَ من الجبالِ ونَسَأَ . وأينعَ الشَّمرُ : بلغَ إدراكه . وقوله : « فاشتدَّ زَيْمٌ » ، فهي اسمٌ للحَرْبِ . والحِطَمُ : الذي يَحْطِمُ كلَّ شَيْءٍ يَمُرُّ به . والوَضَمُ : ما وُثِيَ به اللَّحْمُ من الأرض . والعَصَلَبِيّ : الشديد . والدَّوَيَّةُ : الأرضُ الفضاءُ الَّتِي يُسْمَعُ فيها دَوَى أَخفافِ الإبل . والأعلاط : الإبلُ الَّتِي لا أُرسانَ عليها . أنشدَ أبو زيد الأصمعيّ :

واعرَوْرَتِ العُلُطُ العُرْضِيُّ تَرْكُضُهُ أمُّ الفوارسِ بالديداءِ والرَّبعَةِ

والشَّنان ، جمعَ شَنَنَةٍ : القِرْبَةُ الباليةُ اليابسة ، قال الشاعر :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أَقْيَشٍ يُقَعِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنٍّ

وقوله : « فَعَجَمَ عِيدانُها » ، أى عَصَّها ، والعَجَمَ بفتح الجيم : حَسَبَ ٨٦٧/٢ الزبيب ، قال الأعشى :

• ومَلْفُوطُها كَلَقِيطُ العَجَمِ •

وقوله : « أَمَرَّها عُدُوداً » ، أى أصْلَبَها ، يقال : حَبْلٌ مُمَرَّرٌ ، إذا كان شديدَ القُتْل . وقوله : « لأَعَصِبَنَّكُمْ عَصَبَ السَّامَةِ » ، فالعَصَبُ القَطْعُ ، والسَّامَةُ ؛ شجرةٌ من العِصاه . وقوله : « لا أخلُقُ إلّا فَرَيْتَ » ، فالخلُقُ : التَّقدير ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ ﴾ ^(١) ، أى مقدرةٌ وغير مقدرة ، يعنى ما يَتَمَّ وما يكون سِقْطاً ، قال الكُمَيْت يصف قرربة :

لَمْ تَجْشِمِ الخالقاتُ فَرَيْتَها ولم يَفِرْضْ مِنْ نِطاقِها السَّرْبُ

(١) سورة الحج: هـ ، وفى الأصول : « من نطفة » ، وهو خطأ .

وإنّما وصف حواصل الطّير ، يقول : ليست كهذه . وصخرة خلّقاء ،
أى مكسّاء ، قال الشاعر :

وَيَهْوُ هَوَاءٌ فَوْقَ مَوْرِكَانِهِ من الصّخرة الخلّقاء زُخْلُوقُ مَلْعَبٍ

ويقال : فرّيت الأديم إذا أصلحته ، وفرّيت ، بالالف إذا أنت
أفدكته . والسّمّهي : الباطل ، قال أبو عمرو الشّيباني : وأصله ما تسمّيه
النعاسُ مَخَاطُ الشّيطان ، وهو لُعَابُ الشّمس عند الظّهيرة ، قال أبو النّجم
العجلى :

وَذَابَ لِلشّمسِ لُعَابٌ فَنَزَلَ وَقَامَ مِيزَانُ الزّمانِ فاعتَدَلَ

والزّرافات : الجماعات . تمّ التفسير .

قال أبو جعفر : قال عمر : فحدّثني محمّد بن يحيى ، عن عبد الله بن
أبي عبيدة ، قال : : فلمّا كان اليومُ الثالثُ سمع تكبيراً في السّوق ، فخرج
حتّى جلس على المنبر ، فقال :

يا أهلَ العراق ، وأهلَ الشّقاق والنفاق ، ومساوئِ الأخلاق ، إني سمعتُ
تكبيراً ليس بالتكبير الذي يرادُ اللهُ به في التّرجيب ، ولكنّه التكبيرُ الذي
يُرَادُ به التّرهيب ، وقد عرفتُ أنّها عِجَاجَةٌ تحتها قَصْفٌ . يا بني اللّكيعَة
وعبيد العصا ، وأبناء الأيَّامِسى ، ألا يربّعُ رجلٌ منكم على ظلّعه ،
ويُحَسِّنَ حقنَ دمه ، ويبصرَ موضعَ قدمه ! فأقسم بالله لأوشكُ أن أوقعَ
بكم وقعةً تكون نكالا لما قبّلها ، وأدباً لما بعدّها .

قوله : «تحتها قَصْفٌ» ، فهو شدّة الرّيح . واللّكعاء : الورّاء ، وهي
الحمّقاء من الإماء . والظّلُع : الضّعف والوهن من شدّة السير . وقوله :
«تَهْوَى هَوَى سَابِقِ الغُطَاطِ» ، فالغُطَاط بضم الغين : ضربٌ من الطير .
قال الأصمعيّ : الغُطَاط بفتح الغين : ضربٌ من الطّير ، وأنشد لحسان
ابن ثابت (١) :

يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْغَطَاطِ الْمُقْبِلِ^(١)

بفتح الغين. قال : والغطاط بضم الغين : اختلاط الضوء بالظلمة من آخر ٨٦٩/٢ الليل ، قال الراجز :

قَامَ إِلَى أَدَمَاءَ فِي الْغَطَاطِ يَمْشِي بِجِثْلٍ قَائِمِ الْفُسْطَاطِ
تمّ التفسير .

قال : فقام إليه عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائِ التَّمِيمِيّ ثُمَّ الْحَنْظَلِيُّ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَنَا فِي هَذَا الْبُعْثِ ، وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ ، وَهَذَا ابْنِي ، وَهُوَ أَشَبُّ مِنِّي ؟ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائِ التَّمِيمِيّ ، قَالَ : أَسَمِعْتَ كَلَامَنَا بِالْأَمْسِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَلَسْتَ الَّذِي غَزَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَانَ حَبَسَ أَبِي ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، قَالَ : أَوَلَيْسَ يَقُولُ :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ
إِنِّي لِأَحْسَبُ فِي قَتْلِكَ صِلَاحَ الْمِصْرَيْنِ ، قُمْ إِلَيْهِ يَا حَرَسَى فَاضْرِبْ عُنُقَهُ ؛ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَنْهَبَ^(٢) مَالَهُ .

ويقال : إِنَّ عَنبَسَةَ بْنَ سَعِيدٍ قَالَ لِلْحَجَّاجِ : أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : هَذَا أَحَدُ قَتَلَةٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ؛ فَقَالَ الْحَجَّاجُ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَفَلَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثْتَ بَدِيلًا ! ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، وَأَمَرَ مُنَادِيًا ٨٧٠/٢ فَنَادَى : أَلَا إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ ضَبَائِ أَتَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ سَمِعَ الزَّدَاءَ ، فَأَمَرْنَا بِقَتْلِهِ . أَلَا فَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ بِرِيَّةٌ مِمَّنْ بَاتَ اللَّيْلَةَ مِنْ جُنْدِ الْمُهَلَّبِ . فَخَرَجَ النَّاسُ فَازْدَحَمُوا عَلَى الْجِسْرِ ، وَخَرَجَتِ الْعُرَفَاءُ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَهُوَ بِرَأْسِ مَهْرُمُزٍ فَأَخَذُوا كَتَبَهُ بِالْمُؤَافَاةِ ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : قَدِمَ الْعِرَاقَ الْيَوْمَ رَجُلٌ ذَكَرَ : الْيَوْمَ قُوتِلَ الْعَدُوُّ .

قال ابن أبي عبيدة في حديثه : فَعَبَّرَ الْجِسْرَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ مَدَحَجٍ ؛ فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : قَدِمَ الْعِرَاقَ رَجُلٌ ذَكَرَ .

(١) الديوان : « السواد المقبل » . (٢) أنهب ماله : جعله نهبا لغيره .

قال عمر عن أبي الحسن ، قال : لَمَّا قرأ عليهم كتابَ عبد الملك قال القارئ : أَمَّا بعد ، سلامٌ عليكم فإني أحمدُ إليكم الله . فقال له : اقطع ، يا عبید العضا ، أيسلم عليكم أميرُ المؤمنين فلا يردُّ رادُّ منكم السَّلام ! هذا أدبُ ابنِ نِهية^(١) ، أما والله لأؤدبَنَّكم غير هذا الأدب ، ابدأ بالكتاب ، فلمَّا بلغ إلى قوله : « أما بعد ، سلامٌ عليكم » ، لم يبقَ منهم أحدٌ إلَّا قال : وعلى أمير المؤمنين السَّلام ورحمة الله .

قال عمر : حدَّثني عبدُ الملك بنُ شيَّان بن عبد الملك بن مِسَمَع ، قال : حدَّثني عمرو بن سعيد ، قال : لَمَّا قدم الحجاجُ الكوفةَ خطبهم فقال : إنَّكم قد أخذلتم بعسكر المهلب ، فلا يُصْبِحَنَّ بعد ثلاثة من جُنُده أحدٌ ، فأمَّا كان بعد ثلاثة أتى رجلٌ يَسْتَدْمِي ، فقال : مَنْ بك ؟ قال : عمير بنُ ضابئ البرُجمي ، أمرته بالخروج إلى مُعسكره فضربني — وكذَّب عليه .^{٨٧١/٢} فأرسل الحجاج إلى عمير بن ضابئ ، فأَتى به شيخًا كبيرًا ، فقال^(٢) له : ما خلَّفَكَ عن مُعسكرِكَ ؟ قال : أنا شيخٌ كبيرٌ لا حراكَ بي ، فأرسلتُ ابني بد يلا فهو أجلد منِّي جلدًا ، وأحدَث مني سنًّا ، فسلِّ عما أقول لك ، فإن كنتُ صادقًا وإلَّا فعاقبني . قال : فقال عَنَسْبَةُ بنُ سعيد : هذا الَّذي أتى عثمان قتيلا ؛ فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه ، فأمر به الحجاجُ فضربتُ عنقه . قال عمرو بنُ سعيد : فوالله إني لأسير بين الكوفة والحيرة إذ سمعتُ رَجَزًا مُضَرِيًّا ، فعدلتُ إليهم فقلت : ما الخبر ؟ فقالوا : قدَّم علينا رجلٌ مِن شرِّ أحياء العَرَب من هذا الحَيِّ من ثمود ، أسَقَف الساقين^(٣) ، مَمْسُوح الجاعرتين^(٤) ، أخفَشَ العينين^(٥) ، فقدَّم سيده الحَيَّ عمير بن ضابئ فضرَبَ عنقه .

(١) في زيادات الكامل ١ : ٣٨٢ : « زعم أبو العباس أن ابن نِهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج » . (٢) ب ، ف : « قال » .

(٣) في اللسان : « السقف : أن تميل الرجل على وحشيها » ووحشى الرجل : جانبها .

(٤) الجاعرتان : حرفا الوركين المشرفان على الفخذين ، وفي اللسان : « وفي كتاب عبد الملك إلى الحجاج : قاتلك الله ، أسود الجاعرتين ! قيل : هما اللذان يبتدئان الذنب .

(٥) الخفش : ضعف في البصر مع ضيق في العين .

ولما قَتَلَ الحجاج عمير بنَ ضابئٍ لقي إبراهيمُ بنُ عامرٍ أحدَ بني غاضرةَ من بني أسدَ عبدَ الله بن الزَّبير في السوق فسأله عن الخبر ، فقال ابن الزَّبير :

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيْتُهُ أَرَى الْأَمْرَ أَمْسَى مُنْصِباً مُتَشَعِّباً^(١)
تَجَهَّزْ وَأَسْرِعْ وَالْحَقَّ الْجَيْشُ لَا أَرَى سِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْهَباً
تَخَيَّرْ فَإِنَّمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَابِئٍ عُمَيْرًا وَإِنَّمَا أَنْ تَزُورَ الْمَهْلَبَا
هُمَا خُطَّتَا كَرِهَ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا^(٢) رُكُوبُكَ حَوْلِيَا مِنَ الثَّلَجِ أَشْهَبَا^(٣) ٨٧٢/٢
فَحَالَ وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا
فَكَائِنَ تَرَى مِنْ مُكْرِهِ الْعَدُوِّ مُسْمِنٍ^(٤) تَحَمَّمَ حِنُوَ السَّرَجِ حَتَّى تَحْنَبَا^(٥)

وكان قدومُ الحجاج الكوفة — فيما قيل — في شهر رمضانَ من هذه السنة ، فوجهَ الحَكَم بن أيوبَ الثَّقَفِيَّ على البَصْرَةِ أميرًا ، وأمره أن يشتدَّ على خالد بن عبد الله ، فلما بلغ خالدًا الخبرُ خرج من البَصْرَةِ قبل أن يدخلَهَا الحَكَم ، فنزل الجَلَنجَاءَ وشيَّعَهُ أَهْلُ البَصْرَةِ ، فلم يَبْرَحْ مُصَلًّا هَ حَتَّى قَسَمَ فِيهِمْ أَلْفَ أَلْفَ .

* * *

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ ٨٧٣/٢
ابنُ ثَابِتٍ عَنْ حَدَّثِهِ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ . وَوَقَدْ
يَحْيَى بْنُ الْحَكَمِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى
عَمَلِهِ بِالْمَدِينَةِ أَبَانُ بْنُ عُمَانَ ، وَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَحْيَى بْنَ الْحَكَمِ أَنْ يَقْرَعَ عَلَى عَمَلِهِ عَلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ . وَعَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ . وَعَلَى خُرَاسَانَ

(١) الكامل ١ : ٣٨٣ مع اختلاف في الرواية .

(٢) الكامل : « هما خطتا خسف » .

(٣) الحول : المهر أتى عليه الحول . وقوله : « من الثلج أشهباً » ، يريد أن لونه أشدَّ شَبَهِةً مِنَ

(٥) أ : « يحجم » .

(٤) أ : « وكائن » .

الثلج .

أُمَيَّةُ بن عبد الله . وعلى قضاء الكوفة شُرَيْح ، وعلى قضاء البصرة زُرَّارة ابن أوفى .

وفي هذه السنة خرج الحجاجُ من الكوفة إلى البصرة ، واستخلفَ على الكوفة أبا يَعْفُورَ عُرْوَةَ بن المغيرة بن شُعْبَةَ ، فلم يزل عليها حتى رَجَعَ إليها بعد وقعة رُسْتَقْبَاز .

[ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة]

وفي هذه السنة ثار الناسُ بالحجاج بالبصرة .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العَبْسِيِّ ، قال : خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها ، وقتل ابن ضائب من فوره ذلك حتى قدم البصرة ، فقام فيها بخطبة مثل التي قام بها في أهل الكوفة ، وتوعدهم مثل وعيده لإيائهم ، فأتى رجل من بني يَشْكِرَ فقيل : هذا عاصي ، فقال : إن بني فتقاً ، وقد رآه يشرفعدرتي ، وهذا عطائي ٨٧٤/٣ مَرْدُود في بيت المال ، فلم يقبل منه وقتله ، ففرغ لذلك أهل البصرة ، فخرجوا حتى تذاكروا^(١) على العارض بقسنطرة رامهرمز ، فقال المهلب : جاء الناس رجلٌ ذكّر .

وخرج الحجاج حتى نزل رُسْتَقْبَاز في أوّل شعبان سنة خمس وسبعين فثار الناسُ بالحجاج ، عليهم عبد الله بن الجارود ، فقتل عبد الله بن الجارود ، وبعث بثمانية عشر رأساً^(٢) فنُصِبَ بِرامهرمز للناس ، فاشتدت ظهور المسلمين ، وساء ذلك الخوارج ، وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف ، فانصرف الحجاج إلى البصرة .

وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أن الحجاج لما ندب الناس إلى

(١) س : « تذاكروا » ، والمداكاة : التزاحم على المكان ، وفي ١ : « تذاكروا » ، وفي ط « تذاكروا » تصحيف . (٢) ب ، ف : « وبعث الحجاج ثمانية » .

الصحاق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار^(١) الحجاج حتى نزل رستقباد قريباً من دَسْتَوَى في آخر شعبانَ ومعه وجوهُ أهل البصرة ، وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشرَ فَرَسَسخاً ، فقام في الناس ، فقال : إنَّ الزيادة التي زادكم ابنُ الزبير في أعطياتكم زيادة فاسقٍ منافق ، ولستُ أُجيزُها . فقام إليه عبدُ الله بن الجارود العبدِيُّ فقال : إنها ليست بزيادة فاسقٍ منافق ، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتتها لنا . فكذبَ به وتوعده ، فخرج ابنُ الجارود على الحجاج وتابعه وجوهُ الناس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه . وبعث برأسه ورعوس عشرة من أصحابه إلى المهلب ، وانصرفَ إلى البصرة ، وكتبَ إلى المهلب وإلى عبد الرحمن ٨٧٥/٢ ابن مخنف : أما بعد ، إذا أتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج ؛ والسلام .

* * *

[نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز]

وفي هذه السنة نفي المهلب وابنُ مخنف الأزارقة عن رامهرمز .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العيسى ، قال : ناهض المهلب وابنُ مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة خمس وسبعين ، فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ، ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم ، وخرج القوم كأنهم على حامية ، حتى نزلوا سابورَ بأرض منها يقال لها كازرون ، وسار المهلب وعبدُ الرحمن بنُ مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان ، فخندقَ المهلب عليه ، فذكر أهلُ البصرة أنَّ المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف : إنَّ رأيتَ أن تُخندقَ عليك فافعلْ ؛ وإنَّ أصحاب عبد الرحمن أبَوْا عليه وقالوا : إنما خندقنا سيوفنا . وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلاً ليبيئته ، فوجدوه قد أخذ حذرَه ، فمالوا نحوَ عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخندق ،

(١) ب ، ف : « شخصوا سار » .

فقاتلوه ، فانهزم عنه أصحابه ، فنزل فقاتل في أناس من أصحابه فقتل ، وقتلوا حوله ^(١) ، فقال شاعرهم :

لن العسكرُ المكلَّلُ بالصَّرِّ عى فهُم بين ميّت وقَتِيل
فترَاهُم تَسْفِي الرِّيحُ عليهم حاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الدُّيُولِ

٨٧٦/٢

وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أن كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف ؛ أن ناهضاً الخوارج حين يأتيكما كتابي . فناهضاهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة خمس وسبعين واقتتلوا قتالاً شديداً لم يكن بينهم فيما مضى قتالٌ كان أشدَّ منه ، وذلك بعد الظهر ، فالت الخوارجُ بحدّها على المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى عسكره ، فسرح إلى عبد الرحمن رجلاً من صلحاء الناس ، فأتوه ، فقالوا : إن المهلب يقول لك : إنما عدونا واحد ، وقد ترى ما قد لقي المسلمون ، فأمدّ إخوانك يرحمك الله . فأخذ يمدّه بالخيّل بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فلما كان بعد العصر ورأت الخوارجُ ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال إلى عسكر المهلب ظنوا أنه قد خفّ أصحابه ، فجعلوا خمس كتابت أو ستّاً تُجَاهَ عسكر المهلب ، وانصرفوا بحدّهم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن مخنف ، فلما رأهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القراء ، عليهم أبو الأحوص صاحب عبد الله بن مسعود ، وخزّيمة بن نصر أبو نصر ابن خزيمة العبسيّ الذي قُتل مع زيد بن عليّ وصلب معه بالكوفة ، ونزل معه من خاصّة قومه أحدٌ وسبعون رجلاً ، وحملت عليهم الخوارجُ فقاتلتهم قتالاً شديداً . ثمّ إن الناس انكشفوا عنه ، فبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه ، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب ، فتنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه ، فلم يتبعه إلا ناس ^(٢) قليل ، فجاء حتى إذا دنا من أبيه حالت الخوارجُ بينه وبين أبيه ، فقاتل حتى ارتثته الخوارجُ ، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تلٍّ مُشرف حتى ذهب نحوٌ من ثلثي الليل ، ثمّ قُتل في تلك العصابة ، فلما أصبحوا جاء المهلب حتى

٨٧٧/٢

(١) بعدما في ب ، ف : « كلهم » . (٢) ب ، ف : « أناس » .

أتاه ، فدَفَنَتْهُ وصَلَّتْ عليه ، وكتب بمُصابه إلى الحجاج ، فكتب بذلك الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، فنعى عبد الرحمن بيمينى ، وذمَّ أهل الكوفة ، وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتّاب بن ورقاء ، وأمره إذا ضمتّهما الحرب أن يسمّع للمهلب ويطيح ، فساءه ذلك ، فلم يجد بُدّاً من طاعة الحجاج ولم يتقدّر على مراجعته ، فجاء حتى أقام في ذلك العسكر ، وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب ، وهو في ذلك يتقضى أموره ، ولا يكاد يستشير المهلب في شيء . فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالا من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مَصْقَلَة بن هُبيرة ، فأغراهم بعتّاب .

قال أبو مخنف عن يوسف بن يزيد : إن عتّابا أتى المهلب بسأله أن يرزق أصحابه ، فأجلسه المهلب معه على مجلسه ، قال : فسأله أن يرزق أصحابه سؤالا فيه غلظة وتجهّم ، قال : فقال له المهلب : وإنك لها هنا ٨٧٨/٢ بابن اللّخناء! فبنو تميم يترعمون أنّه ردّ عليه ، وأمّا يوسف بن يزيد وغيره فيترعمون أنّه قال : والله إنّها لمعنةٌ مَحْزُولَةٌ ، ولوددتُ أن الله فرق بيني وبينك . قال : فجرى بينهما الكلام حتّى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه ، فوثب عليه ابنه المغيرة ، فقَبَضَ على القضيب وقال : أصلح الله الأمير! شيخٌ من أشياخ العرب ، وشريفٌ من أشرافهم ، إن سمعت منه بعض ما تسكره فاحتمله له ، فإنّه لذلك منك أهل ، ففعل . وقام عتّاب فرجع من عنده ، واستقبله بسطام بن مَصْقَلَة يشتمه ، ويقع فيه .

فلما رأى ذلك كتّبت إلى الحجاج يشكو إليه المهلب ويخبره أنّه قد أغرى به سفهاء أهل المصر ، ويسأله أن يضمّه إليه ، فوافق^(١) ذلك من الحجاج حاجةً إليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب ، فبعث إليه أن اقدم وأترك أمر ذلك الجيش إلى المهلب ، فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب . وقال حميد بن مسلم يرى عبد الرحمن بن مخنف :

إن يقتلوك أبا حكيم غدوةً فلقد تشدّ وتقتل الأبطالا

أَوْ يُثَكِّلُونَا سَيِّدًا لِمُسَوِّدٍ
فَلَمِثْلَ قَتْلِكَ هَذَا قَوْمَكَ كُلَّهُمْ
مَنْ كَانَ يَكْشِفُ غُرْمَهُمْ وَقَتْلَهُمْ
أَقْسَمْتُ مَا نِيلْتُ مَقَاتِلُ نَفْسِهِ
٨٧٩/٢ وَتَنَاجَزَ الْأَبْطَالُ تَحْتَ لَوَائِهِ
يَوْمًا طَوِيلًا ثُمَّ آخَرَ لِيْلِهِمْ
وَتَكْشَفَتْ عَنْهُ الصُّفُوفُ وَخَيْلُهُ
وَقَالَ سُرَاقَةُ بْنُ مُرْدَاسٍ الْبَارِقِيُّ :

أَعَيْنَنِي جُودًا بِالْذُمُوعِ السَّوَائِبِ
عَلَى الْأَزْدِ لَمَّا أَنْ أَصِيبَ سَرَاتُهُمْ
نُرْجَى الْخُلُودَ بَعْدَهُمْ وَتَعُوقُنَا
وَكُنَّا بِخَيْرٍ قَبْلَ قَتْلِ آبِنٍ مِخْنَفٍ
أَمَارَ ذُمُوعَ الشَّيْبِ مِنْ أَهْلِ مِصْرِهِ
وَقَاتَلَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
وَضَارَبَ عَنْهُ الْمَارِقِينَ عَصَابَةً
فَلَا وَلَدَتْ أَنْثَى وَلَا آبَ غَائِبٍ
٨٨٠/٢ فَيَا عَيْنُ بَكِّي مِخْنَفًا وَآبِنَ مِخْنَفٍ
وَقَالَ سُرَاقَةُ أَيْضًا يَرْتَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ :

ثَوَى سَيِّدُ الْأَزْدِينَ أَزْدَ شَنْوَةٍ
وَضَارَبَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ
وَصُرَّعَ حَوْلَ التَّلِّ تَحْتَ لَوَائِهِ
وَأَزْدَ عُمَانَ رَهْنَ رَمْسٍ بِكَازِرٍ (٣)
بِأَبْيَضَ صَافٍ كَالْعَقِيقَةِ بَاتِرٍ
كَرَامُ الْمَسَاعِي مِنْ كِرَامِ الْمَعَاشِرِ

قَضَى نَحْبَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ ابْنُ مِخْنَفٍ وَأَدْبَرَ عَنْهُ كُلُّ الْوَثِّ دَائِرَ
 أَمَدٍ فَلَمْ يُحْدِثْ فَرَاخَ مُشْتَرَاً إِلَى اللَّهِ لَمْ يَذْهَبْ بِأَثْوَابِ غَادِرٍ
 وَأَقَامَ الْمَهْلَبُ بِسَابُورٍ يِقَاتِلُهُمْ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ .
 وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ تَحَرَّكَ صَالِحُ بْنُ مُسَرَّحٍ أَحَدُ بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ ،
 وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الصُّفَرِيَّةِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الصُّفَرِيَّةِ .

ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ تَحَرُّكِ صَالِحٍ لِلْخُرُوجِ
 وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ

ذَكَرَ أَنَّ صَالِحَ بْنَ مُسَرَّحٍ أَحَدَ بَنِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ حَجَّ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ
 وَمَعَهُ شَيْبُ بْنُ يُزَيْدَ وَسُوَيْدُ الْبَطْنِيِّ وَأَشْبَاهُهُمْ .

٨٨١/٢

وَحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، فَهَمَّ شَيْبٌ بِالْفَتْكِ بِهِ ،
 وَبَلَغَهُ ذَرَّةٌ مِنْ خَبَرِهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بَعْدَ انْصِرَافِهِ بِأَمْرِهِ بِطَلَبِهِمْ ،
 وَكَانَ صَالِحٌ يَأْتِي الْكُوفَةَ فَيَقِيمُ بِهَا الشَّهْرَ وَنَحْوَهُ فَيَلْقَى أَصْحَابَهُ لِيَعِدَّاهُمْ ،
 فَنَبَتْ بِصَالِحِ الْكُوفَةِ لَمَّا طَلَبَهُ الْحَجَّاجُ ، فَتَنَكَّبَهَا .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر الكائن من الأحداث فيها

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح .

ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح

وعن سبب خروجه

وكان سببُ خروجه - فيما ذكرَ هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الله ابن علقمة ، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي - أن صالح بن مسرح التميمي كان رجلاً ناسكاً مُخْبِتاً مصفراً الوجه ، صاحب عبادة ، وأنه كان بداراً وأرض المتوصل والجزيرة له أصحاب يُقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم ، فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا (١) أن قصص صالح بن مسرح عنده ، وكان ممن يرى رأيهم ، فسأله أن يبعث بالكتاب إليهم ، ففعل . ٨٨٢/١

وكان قصصه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (٢) . اللهم إنا لا نعدل بك ، ولا نخفد إلا إليك ، ولا نعبُد إلا إياك ، لك الخلق والأمر ، ومنك النفع والضرة ، وإليك المصير . ونشهد أن محمداً عبدك الذي اصطفتيته ، ورسولك الذي اخترته وارضيته لتبليغ رسالاتك ، ونصيحة عبادك ، ونشهد أنه قد بلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، ودعا إلى الحق ، وقام بالقسط ، ونصر الدين ، وجاهد المشركين ، حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم . أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة وكثرة ذكر الموت ، وفراق الفاسقين ، وحب المؤمنين (٣) ، فإن الزهادة في الدنيا تُرغّب العبد فيما

(١) ب ، ف : « يحدث أصحابه » . (٢) سورة الأنعام : ١٠١ .

(٣) ب ، ف : « حب المؤمنين وفراق الفاسقين » .

عند الله ، وتُفَرِّغَ بِذَنبِهِ لَطَاعَةَ اللَّهِ ، وَإِنْ كَثُرَ ذِكْرُ الْمَوْتِ يُخَفِّفُ الْعَبْدَ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَسْجَرَ إِلَيْهِ ، وَيَسْتَكِينُ لَهُ ، وَإِنْ فَرَّقَ الْفَاسِقِينَ حَقًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١) .

وإِنْ حُبُّ الْمُؤْمِنِينَ لِلْسَّبَبِ (٢) الَّذِي تُنَالُ بِهِ كَرَامَةُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَجَنَّتُهُ ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ الصَّابِرِينَ . أَلَا إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ (٣) اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَعَلَّمَهُم الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزَكَّاهُمْ وَطَهَّرَهُمْ ٨٨٣/٢ وَوَفَّقَهُمْ فِي دِينِهِمْ ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفًا رَحِيمًا ، حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ وَلَّى الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ التَّقِيُّ الصَّدِيقُ عَلَى الرِّضَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَاقْتَدَى بِبَهْدِيهِ ، وَاسْتَنْ بِسُنَّتِهِ ، حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — وَاسْتَخْلَفَ عُمَرَ ، فَوَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَ هَذِهِ الرِّعْيَةِ ، فَعَمِلَ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَحْيَا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُحْقِيقْ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّتِهِ (٤) ، وَلَمْ يَخْفُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا تُؤْمَرُ ، حَتَّى لَحِقَ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَوَلَّى الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ عُثْمَانُ ، فَاسْتَأْثَرَ بِالْفَتَى ، وَعَطَّلَ الْحُدُودَ ، وَجَارَ فِي الْحُكْمِ ، وَاسْتَدَلَّ الْمُؤْمِنَ ، وَعَزَزَ الْمَجْرِمَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فَقَتَلُوهُ ، فَبَرَأَ اللَّهُ مِنْهُ وَرَسُولُهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ (٥) ، وَوَلَّى أَمْرَ النَّاسِ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ حَكَّمَهُ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجَالِ ، وَشَكَّ فِي أَهْلِ الضَّلَالِ ، وَرَكَنَ وَأَدْنَى ، فَنَحَنَ مِنْ عَلِيٍّ وَأَشْيَاعِهِ بُرَاءً ، فَتَيَسَّرَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ لِهَذَا الْأَحْزَابِ الْمُتَحَزِّبَةِ ، وَأُتِمَّتِ الضَّلَالُ الظُّلْمَةُ وَلِخُرُوجِ مَنْ دَارِ الْفَنَاءِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، وَاللَّحَاقِ بِإِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤَقِنِينَ الَّذِينَ بَاعُوا الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ، وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ التَّامَّ رِضْوَانِ اللَّهِ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَلَا تَجْزَعُوا مِنَ الْقَتْلِ فِي اللَّهِ ، فَإِنَّ الْقَتْلَ أَيْسَرُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ بِكُمْ غَيْرَ مَا تَرْجُمُ الظُّنُونُ ، فَمُفَرَّقٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ آبَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ ، وَحَلَالِكُمْ ٨٨٤/٢ وَدُنْيَاكُمْ ، وَإِنْ اشْتَدَّ لَذَلِكَ كُرْهُكُمْ وَجَزَعُكُمْ . أَلَا فَبِيعُوا اللَّهَ أَنْفُسَكُمْ

(١) سورة التوبة: ٨ . (٢) ب ، ف : « السبب » .

(٣) ب ، ف : « نعم » . (٤) س : « جربه » ، ب ، ف : « حزبه » .

(٥) ف : « وصالحو المؤمنين » .

طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين ، وتعانقوا الحور العين ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين ، الذين يَهْدُونَ بالحق وبه يعدُّون .

قال أبو مخنف: فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة ، قال : بينا أصحابُ صالح يختلفون إليه إذ قال لهم ذات يوم : ما أدري ما تنتظرون ! حتى متى أنتم مقيمون ! هذا الجور قد فشا ، وهذا العدل قد غفا ، ولا تزداد هذه الولاة على الناس إلا غُلُوءًا وعُشُوءًا ، وتباعدًا عن الحق ، وجورًا على الرب ؛ فاستعبدوا وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل والدعاء إلى الحق مثل الذي تريدون ، فيأتوكم فنلتني وننظر فيما نحن صانعون ، وفي أي وقت إن خرجنا نحن خارجون .

قال : فتراسل أصحابُ صالح ، وتلاقوا في ذلك ، فبَيَّنَّاهم في ذلك إذ قدَّم عليهم المحلل بن وائل اليشكري بكتاب من شبيب إلى صالح بن مسرح :

أما بعد ، فقد علمتُ أنك كنت أردتَ الشخوص^(١) ، وقد كنت دعوتني إلى ذلك فاستجبتُ لك ، فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخُ المسلمين ، ولن نعدل بك منّا أحدًا ، وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتني ؛ فإن الآجال غادية ورائحة ، ولا آمن أن تخترمتنى المنية ولما أجاهد الظالمين . ٨٨٥/٢
فيا لله غيبتنا ، وبالله فضلًا متركنا ! جعَلَنَا الله وإياك ممن يريد بعَمَلِهِ الله^(٢) ورضوانه ، والنظر إلى وجهه ، ومرافقة الصالحين في دار السلام . والسلام عليك .

قال : فلما قدَّم على صالح المحلل بن وائل بذلك الكتاب من شبيب كتب إليه صالح :

أما بعد ، فقد كان كتابك وخبرك أبطأ عني حتى أهمني ذلك ، ثم إن امرأ من المسلمين نبأني بنبي مُخرجك ومقدّمك ، فنهضتُ الله على قضاء ربنا . وقد قدَّم على رسولك بكتابك ، فكل ما فيه قد فهمته ، ونحن

(١) ب ، ف : « الخروج والشخوص » .

(٢) ١ : « بفعله الله » ، وي بعدها في ب ، ف : « والدار الآخرة » .

في جهاز واستعداد للخروج ، ولم يمنعني من الخروج إلا انتظارك ، فأقبل إلينا ، ثم أخرج بنا متى ما أحببت ، فإنك ممن لا يستغنى عن رأيه ، ولا تقضى دونه الأمور . والسلام عليك .

فلما قدم على شبيب كتابه بعث إلى نفر من أصحابه فجمعهم إليه ، منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم ، والحلل بن وائل اليشكري ، والصقر ابن حاتم من بني تميم بن شيبان ، وإبراهيم بن حجر أبو الصقير من بني مُحَكَّم ، والفضل بن عامر من بني ذُهَل بن شيبان ، ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح بداراً ، فلما لقيه قال : أخرج بنا رحمك الله ! فوالله ما تزداد السنة إلا دُروساً ، ولا يزداد المجرمون إلا طُغياناً . فبث صالح رسله في أصحابه ، وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وسبعين . فاجتمع بعضهم إلى بعض ، وتهيئوا ، وتيسروا للخروج في تلك الليلة ، واجتمعوا جميعاً عنده في تلك الليلة لِمِيعاده .

٨٨٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فرّوة بن لقيط الأزدي ، قال : والله إني لسمعت شبيب بالمدائن إذ حدثنا عن مخرجهم ، قال : لما هممنا بالخروج اجتمعنا إلى صالح بن مسرح ليلة خرج ، فكان رأيي استعراض الناس لِمَا رأيت من المنكر والعدوان والفساد في الأرض ، فقمْتُ إليه فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تترى في السيرة في هؤلاء الظلمة ؟ أنقتلهم قبل الدّعاء ، أم ندعوهم قبل القتال ؟ وسأخبرك برأيي فيهم قبل أن تُخبرني فيهم برأيك ، أما أنا فأرى أن نقتل كل من لا يرى رأينا قريباً كان أو بعيداً ، فإننا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله ، واستحوذ عليهم الشيطان . فقال : لا بل ندعوهم ، فلعمري لا يُجيبك إلا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزري عليك ، والدعاء أقطع لحجّتهم ، وأبلغ في الحجّة عليهم . قال : فقلت له : فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ؟ ما تقول في دِمائهم وأموالهم ؟ فقال : إن قتلنا وغنمنا فلنا ، وإن تجاوزنا وعفونا فوسع علينا ولنا . قال : فأحسن القول وأصاب ، رحمة الله عليه وعلينا .

قال أبو مخنف : فحدثني رجل من بني محمّل أن صالح بن مسرح

قال لأصحابه ليلة خرج : اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ ، ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلَّا أن يكونوا قومًا يريدونكم ، وينصيرون لكم ، فإنكم إنمَّا خرجتم غَضَبًا لله حيث انتهكت محارمه ، وعُصِي في الأرض ، فسُفِكَت الدماء بغير حِلِّهَا ، ٨٨٧/٢ وأخذت الأموال بغير حقِّها ، فلا تَعْيِبُوا على قوم أعمالًا ثمَّ تعملوا بها ، فإن كلَّ ما أنتم عاملون أنتم عنه مسئولون ، وإنَّ عَظَمَكم رجالة ، وهذه دوابُّ لمحمد بن مروان في هذا الرُّسْتاق ، فابدعوا بها ، فشُدَّوا عليها ، فاحملوا أراجيلكم^(١) ، وتقووا بها على عدوكم .

فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدوابَّ فحَمَلُوا رَجَالَهم عليها ، وصارت رجالاتُها فُرسانيًا ، وأقاموا بأرض دارا ثلاثَ عَشْرَةَ ليلة ، وتَحَصَّنَ منهم أهل دارا وأهلُ نَصِيبَيْن وأهلُ سِنَجَارٍ، وخرج صالحٌ ليلةَ خراج في مائة وعشرين — وقيل في مائة وعشرة — قال : وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أميرُ الجزيرة ، فاستخفَّ بأمرهم ، وبعث إليهم عدى بن عدى بن عُميرة من بنى الحارث بن معاوية بن ثور في خمسمائة ، فقال له : أصْلَحَ اللهُ الأميرُ ! أتبعني إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة ! قد خرج معه رجالٌ من ربيعة قد سُمُّوا لى ، كانوا يعازوننا ، الرجلُ منهم خيرٌ من مائة فارس في خمسمائة رجل . قال له : فإنِّي أزيدك خمسمائة أخرى ، فسر إليهم في ألف ، فسار من حرَّان في ألف رجل ، فكان أوَّل جيش سار إلى صالح وسار إليه عدى ، وكأنَّما يساق إلى الموت ، وكان عدى رجلاً يتنسك ، فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالنَّسَّاس وسرَّح إلى صالح بن مسرَّح رجلاً دَسَّه إليه ٨٨٨/٢ من بنى خالد من بنى الوُرثة ؛ يقال له : زياد بن عبد الله ، فقال : إنَّ عديًّا بعَشَنِي إليك يسألك أن تخرج من هذا البلد وتأتي بلدًا آخر فتقاتلَ أهله ؛ فإنَّ عديًّا للقاتل كاره ، فقال له صالح : ارجع إليه ، فقل له : إن كنت ترى رأيًا^(٢) فأرنا من ذلك ما نعرف^(٣) ، ثمَّ نحن مُدْبلجون عنك من هذا البلد إلى غيره ، وإن كنت على رأى الجبابرة وأئمة السوء^(٤) رأيًا رأيًا ، فإن شئنا

(١) ط : « أراجلكم » ، وانظر ابن الأثير . (٢) بعدها في ب ، ف : « فانت آمن » .

(٣) ب ، ف : « ما نعرفه » . (٤) ب ، ف : « العدوان » .

بدأنا بك ، وإن شئنا رحلنا إلى غيرك . فانصرف إليه الرسول فأبلغه ما أرسل به ، فقال له : ارجع إليه فقل له : إني والله ما أنا على رأيك ، ولكني أكره قتالك وقتال غيرك ، فقاتل غيري ، فقال صالح لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ، ثم تركه ومضى بأصحابه حتى أتى عدى بن عدى بن عميرة في سوق دوغان وهو قائم يصلي الضحى ، فلم يشعُر إلا بالخيل طالعة عليهم ، فلما بصروا بها تنادوا ، وجعل صالح شبيهاً في كتيبة في ميمنة أصحابه ، وبعث سويد بن سليم الهندي من بني شيبان في كتيبة في ميسرة أصحابه ، ووقف هو في كتيبة في القلب ، فلما دنا منهم رآهم على غير تعبئة ، وبعضهم يحول في بعض ، فأمر شبيهاً فحمل عليهم ، ثم حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يُقاتلوا ، وأتى عدى بن عدى بدابته وهو يصلي فركبها ومضى على وجهه ، وجاء صالح ابن مسرح حتى نزل عسكره وحوى ما فيه ، وذهب فل عدى وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان ، فغضب ، ثم دعا خالد بن جرزء السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعا الحارث بن جعونة من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعاها ، فقال : أخرجا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة ، وعجلاً الخروج ، وأعد السير ، فأيتكما سبق فهو الأمير على صاحبه ، فخرجنا من عنده فأعد السير ، وجعل يسألان عن صالح بن مسرح فيقال لهما : إنّه توجه نحو أمدة ، فأتبعاه حتى انتهيا إليه ، وقد نزل على أهل أمدة فنزلا ليلاً ، فخذقا وانتهيا إليه وهما متساندان كل واحد منهما في أصحابه على حدته ، فوجه صالح شبيهاً إلى الحارث بن جعونة العامري في شطر أصحابه ، وتوجه هو نحو خالد بن جرزء السلمي .

قال أبو مخنف : فحدثني المُحمليّ ، قال : انتهوا إلينا في أوّل وقت العصر ، فصلّى بنا صالح العصر ، ثم عبأنا لهم فاقتتلنا كأشد قتال اقتله قوم قط ، وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منّا على العشرة منهم فيهنزهم ، وعلى العشرين فكذلك ، وجعلت خيلهم لا تثبت لحيلنا .

فلما رأى أميراهم ذلك ترجلاً وأمرأ بجُلٍّ من معهما فترجل ، فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذي نريد ، إذا حَمَلْنَا عليهم استقبلتنا رَجَالَتُهُم بِالرَّمَا ح ، ونضحنا رَمَاتُهُم بالنَّسَبِ ، وخيلُهُم تُطَارِدُنَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، فقاتلناهم إلى المساء ^(١) حتى حالَّ الليلُ بيننا وبينهم ، وقد أَفْشَوْا فِينَا الْجِرَاحَةَ ، وَأَفْشَيْنَاهَا فِيهِمْ ، وَقَدْ قَتَلُوا مِنَّا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَقَتَلْنَا مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ ، وَوَاللَّهِ مَا أَمْسَيْنَا حَتَّى كَرِهْنَاهُمْ وَكَرِهُونَا ، فَوَقَفْنَا مُقَابِلَهُمْ مَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْنَا وَمَا تَقْدُمُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَمْسَوْا رَجَعُوا إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَرَجَعْنَا إِلَى عَسْكَرِنَا فَصَلَّيْنَا وَتَرَوَّحْنَا وَأَكَلْنَا مِنَ الْكَيْسَرِ .

ثمَّ إِنَّ صَالِحًا دَعَا شَبِيحًا وَرُوَسَّ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : يَا أَخْلَاقِي ، مَاذَا تَرُونَ ؟ فَقَالَ شَبِيحٌ : أَرَى أَنَّا قَدْ لَقِينَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَقَاتَلْنَاهُمْ ، وَقَدْ اعْتَصَمُوا بِخَنْدَقِهِمْ ، فَلَا أَرَى أَنْ نَقِيمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ صَالِحٌ : وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهِمْ سَاثِرِينَ ، فَضَمُّوا حَتَّى قَطَعُوا أَرْضَ الْخَزِيرَةِ ، ثُمَّ دَخَلُوا أَرْضَ الْمَوْصِلِ فَسَارُوا فِيهَا حَتَّى قَطَعُوهَا وَمَضُوا حَتَّى قَطَعُوا الدَّسْكَرَةَ .

فلما بلغ ذلك الْحَجَّاجَ سَرَحَ إِلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ بْنِ ذِي الْمَشَارِعِ الْهَمْدَانِيَّ فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، أَلْفٌ مِنَ الْمَقَاتِلَةِ الْأُولَى ، وَالْفَتَيْنِ مِنَ الْفَرَسِ الَّذِي فَرَضَ لَهُمُ الْحَجَّاجُ . فَسَارَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الدَّسْكَرَةِ خَرَجَ صَالِحُ بْنُ مَسْرَحٍ نَحْوَ جَنَاحِ الْوُجُوحِ ، وَاتَّبَعَهُ الْحَارِثُ ابْنُ عَمِيرَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا الْمَدْبَجُ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ عَلَى تَخُومِ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْضِ جَوْخَى ، وَصَالِحٌ يَوْمئِذٍ فِي تِسْعِينَ رَجُلًا ، فَغَبَّى الْحَارِثُ ابْنَ عَمِيرَةَ يَوْمئِذٍ أَصْحَابَهُ ، وَجَعَلَ عَلَى مِجْمَعِهِ أَبَا الرَّوَاحِ ^(٢) الشَّاكِرِيَّ ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ الزَّبِيرَ بْنَ الْأَرْوَاحِ التَّمِيمِيَّ ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمْ — وَذَلِكَ بَعْدَ الْعَصْرِ — وَقَدْ جَعَلَ أَصْحَابَهُ ثَلَاثَةَ كَرَادِيسَ ؛ فَهُوَ فِي كَرْدُوسٍ ، وَشَبِيحٌ فِي كَرْدُوسٍ فِي مِجْمَعَتِهِ ، وَسُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ فِي كَرْدُوسٍ فِي الْمَيْسَرَةِ ، فِي كُلِّ كَرْدُوسٍ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا .

٨٩١/٢ مِجْمَعَتِهِ ، وَسُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ فِي كَرْدُوسٍ فِي الْمَيْسَرَةِ ، فِي كُلِّ كَرْدُوسٍ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا . فَلَمَّا شَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ فِي جَمَاعَةِ أَصْحَابِهِ انْكَشَفَ سُوَيْدٌ

ابن سليم ، وثبت صالح بن مسرح فقتل ، وضارب شبيب حتى صرع ، فوقع في رجالة ، فشد عليهم فانكشفوا ، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح ابن مسرح فأصابه قتيلا ، فنادى : إلى يا معشر المسلمين ؛ فلاذوا به ، فقال لأصحابه : ليعجل كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه ، وليطاعن عدوه إذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن ، ونرى رأينا ؛ ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب ، وأحاط بهم الحارث بن عميرة مُمسِيًا ، وقال لأصحابه : احرقوا الباب ، فإذا صار جسرًا فدعوه فإنهم لا يتقدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبتهم فنقتلهم . ففعلوا ذلك بالباب ، ثم انصرفوا إلى عسكرهم ، فأشرف شبيب عليهم وطائفة من أصحابه ، فقال بعض أولئك الفرّض : يا بني الزواني ، ألم يُخزركم الله ! فقالوا : يا فسّاق ، نعم تقاتلوننا لقتالنا إياكم إذ أعماكم الله عن الحق الذي نحن عليه ، فما عدركم عند الله في الفرّض على أمّهاتنا ! فقال لهم حلّمائهم ^(١) : إننا هذا من قول شباب فينا سفهاء ، والله ما يُعجبنا قوتهم ولا نستحلّه . وقال شبيب لأصحابه : يا هؤلاء ، ما تنتظرون ! فوالله لئن صبّحكم هؤلاء غدوةً لئنّه لسهلاككم ، فقالوا له : مرنا بأمرك ، فقال لهم : إن السيل أحنق للويل ، بابعوني و من شتم ^(٢) منكم ، ثم اخرجوا ^(٢) بنا حتى نشد عليهم في عسكرهم ، فإنّهم لذلك منكم آمنون ، وأنا أرجو أن ينصرّكم الله ٨٩٢/٢ عليهم . قالوا : فابسط يدك فلتبائعك ، فبايعوه ، ثم جاءوا ليخرجوا ، وقد صار بابهم جمرًا ، فأثوا باللّبود قبلوها بالماء ، ثم ألقتوها على الجمر ، ثم قطعوا عليها ، فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر إلا وشبيب وأصحابه يضرّبونهم ^(٣) بالسيوف في جوف عسكرهم ^(٤) ، فضارب الحارث حتى صرع ، واحتملته أصحابه وانهزموا ، وخذلوا لهم العسكر وما فيه ، ومضوا حتى نزلوا المدائن ، فكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شبيب ، وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى من سنته .

(١) ب ، ف : « علمائهم » . (٢-٢) ب ، ف : « من أصحابكم واخرجوا » .

(٣) ب ، ف : « يضاربونهم » . (٤) ب ، ف : « العسكر » .

[خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجاج]

وفي هذه السنة دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة .

* ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج بها والسبب الذي دعا شبيباً إلى ذلك :

وكان السبب في ذلك — فيما ذكر هشام^١، عن أبي مخنف، عن عبد الله ابن علقمة، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي — أن شبيباً لما قُتِل صالح بن مسرح بالمديج وبايعه أصحاب صالح ، ارتفع إلى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيار بن المضاء التيمي شيبان ، فدعاه إلى الخروج معه ، وكان يعرفه قبل ذلك إذ كانا^(١) في الديوان والمغازي ، فاشترط عليه سلامة أن يستخيب ثلاثين فارساً ، ثم لا يغيب عنه إلا ثلاث ليال عدداً . ففعل ، فانتخب ثلاثين فارساً ، فانطلق بهم نحو عسرة ، وإنما أرادهم ليشفي نفسه منهم لقتلهم أخاه فضالة ، وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك في ثمانية عشر نفساً حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجبال ، عليه أثلة عظيمة ، وعليه عسرة ، فلما رآته عسرة قال بعضهم لبعض : نقتلهم ثم نغادرهم إلى الأمير فنعطى ونحجى ، فأجمعوا على ذلك ، فقال بنو نصر أخواله : لعمر الله لا نساعدكم على قتل ولدنا . فنهضت عسرة إليهم فقاتلوهم فقتلوهم ، وأتوا برءوسهم عبد الملك بن مروان ، فلذلك أنزلهم بانيقيا ، وفرض لهم ، ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك إلا قليلة ، فقال سلامة بن سيار ، أخو فضالة يذكر قتل أخيه وخذلان أخواله إيّاه :

وما خلت أخوال الفتى يسلمونه ليوقع السلاح قبل ما فعلت نصر قال : وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح وشبيب .

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « كان » .

فلما بايع سلامةً شبيباً اشترط عليه هذا الشرط ، فخرج في ثلاثين فارساً حتى انتهى إلى عترة ، فجعل يقتل المحلّة منهم بعد المحلّة حتى انتهى ٨٩٤/٢ إلى فريق منهم فيهم خالته ، وقد أكبّت على ابن لها وهو غلام حين احتلم ، فقالت وأخرجت ثدييها إليه : أنشدك برّحم هذا يا سلامة ! فقال : لا والله ، ما رأيت فضالة مذ أناخ بعُمر الشجرة - يعني أخاه - لتقومين عنه ، أو لأجْمَعَنَّ حافَّتكَ بالرّمح ، فقامت عن ابنها عند ذلك فقَتَلته .

قال أبو مخنف : فحدثني المفضل بن بكر من بني تميم بن شيبان أن شبيباً أقبل في أصحابه نحو راذان ، فلما سمعت به طائفة من بني تميم ابن شيبان خرجوا هرباً منه ، ومعهم ناس من غيرهم قليل ، فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد إلى جنب حوّلأيا ، وهم نحو من ثلاثة آلاف ، وشبيب في نحو من سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً ، فنزل بهم ؛ فهابوه وتحصنوا منه . ثم إن شبيباً سرى في اثني عشر فارساً من أصحابه إلى أمه ، وكانت في سفح سائيد ما نازلة في مظلة من مِطال الأعراب : فقال : لآنين بأمي فلا جعلنّها في عسكري فلا تفارقي أبداً حتى أموت أو تموت . وخرج رجلان من بني تميم بن شيبان تخوّفاً على أنفسهما فنزلا من الدّير ، فلحقا بجماعة من قومهما وهم نزول بالجلال منهم على مسيرة ساعة من النهار ، وخرج شبيب ، في أولئك الرّهط في أولهم وهم اثنا عشر ، يريد أمّه بالسفح ، فإذا ٨٩٥/٢ هو بجماعة من بني تميم بن شيبان غارين في أموالهم مقيمين ، لا يرون أن شبيباً يمرّ بهم لمكانهم الذي هم به ، ولا يشعر بهم ، فحمل عليهم في فرسانه تلك ، فقتل منهم ثلاثين شيخاً ؛ فيهم حوثر بن أسد ووبرة بن عاصم اللذان كانا نزلاً من الدّير ، فلحقا بالجلال ، ومضى شبيب إلى أمه فحملتها من السفح ، فأقبل بها ، وأشرف رجل من أصحاب الدّير من بكر بن وائل على أصحاب شبيب ، وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ، ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان ، فقال لهم : يا قوم ، القرآن بيننا وبينكم ، ألم تسمعوا قول الله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ .

قالوا : بلى ، قال لهم : فكفّوا عنا حتّى نُصبح ، ثمّ نخرج إليكم على أمان لنا منكم ، لكيلا تعرّضوا لنا بشيء نكرهه حتّى تعرّضوا علينا أمركم هذا ، فإن نحن قبلناه حرّمنا عليكم أموالنا ودمائنا ، وكنّا لكم إخواناً ، وإن نحن لم نقبله ردّدتمونا إلى مأمّتنا ، ثمّ رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم ؛ قالوا لهم : فهذا لكم . فلما أصبحوا خرجوا إليهم ، فعرّض عليهم أصحاب شبيب قولهم ، ووصفوا لهم أمرهم ، فقيلوا ذلك كلّهُ ، وخالطوهم ، ونزلوا إليهم ، ^{٨٩٦/٢} فدخل بعضهم إلى بعض ، وجاء شبيب وقد اصطلحوا ، فأخبره أصحابه خبرهم ، فقال : أصبتم ووفّقم وأحسنتم .

ثمّ إن شبيباً ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفةً جانحة ، وخرج يومئذ معه إبراهيم بن حجر الحلمي أبو الصقير كان مع بني تميم بن شبيان نازلاً فيهم ، ومضى شبيب في أداني أرض الموصل وتخوم أرض جوجي ، ثمّ ارتفع نحو أذربيجان ، وأقبل سفيان بن أبي العالية الخشعمي في خيل قد كان أمر أن يدخل بها طبرستان ، فأمر بالقفول ، فأقبل راجعاً في نحو من ألف فارس ، فصالح صاحب طبرستان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الله بن علقمة عن سفيان بن أبي العالية الخثعمي أن كتاب الحجّاج أتاه : أما بعد ، فسرّ حتّى تنزل الدسكرة فيمن معك ، ثمّ أقيم حتّى يأتيك جيش الحارث بن عميرة الهمداني بن ذي المشعار ، وهو الذي قتل صالح بن مسرح وخيل المناظر ، ثمّ سير إلى شبيب حتّى تسأله . فلمّا أتاه الكتاب أقبل حتّى نزل الدسكرة ، ونودي في جيش الحارث بن عميرة بالكوفة والمدائن : أن برئت الذمّة من رجل من جيش الحارث بن عميرة لم يواف سفيان بن أبي العالية بالدسكرة .

قال : فخرجوا حتّى أتوه ، وأتته خيل المناظر ، وكانوا خمسمائة ، عليهم سورة بن أبجر التميمي من بني أبتان بن دارم ، فوافوه إلا نحواً من خمسين رجلاً تخلّفوا عنه ، وبعث إلى سفيان بن أبي العالية ألاّ تبرح العسكر حتّى آتيك . فعجل سفيان فارتحل في طلب شبيب ، فلحقه بخانقين في سفتح جبل على ميمته خازم بن سفيان الخثعمي من بني ^{٨٩٧/٢}

عمرو بن شَهْرَان، وعلى ميسرته عدى بن عميرة الشَّيبَانِي، وأَصَحَرَ لهم شبيب، ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه، وقد أكن له أخاه مصاداً معه خمسون في هَزَم^(١) من الأرض.

فلما رأوه جَمَعَ أصحابه ثم مضى في سَمَحِ الجبل مُشْرِقاً فقالوا: هرب عدو الله فاتَّبِعُوهُ، فقال لهم عدى بن عميرة الشَّيبَانِي: أيها الناس، لا تعجلوا عليهم حتى نَضْرِبَ في الأرض ونسير بها، فإن يكونوا قد أكنوا لنا كميناً كنّا قد حَمَدَ رُناهُ، وإلاّ فإنّ طلبهم لن يفوتنا. فلم يسمع منه الناس، وأسرعوا في آثارهم. فلما رأى شبيب أنّهم قد جازوا الكَمِينَ عَطَفَ عليهم.

ولما رأى الكَمِينَ أن قد جاوزوهم خرَّجوا إليهم، فحمل عليهم شبيب من أمامهم، وصاح بهم الكمين من ورائهم، فلم يقاتلهم أحد، وكانت الهزيمة، فثبت ابنُ أبي العالية في نحو من مائتي رجل، فقاتلهم قتالاً شديداً حسناً؛ حتى ظنَّ أنّه انتصف من شبيب وأصحابه. فقال سُويد بن سليم لأصحابه: أمينكم أحد يعرف أمير القوم ابنُ أبي العالية؟ فوالله لئن عرَفْتُهُ لأجهدنَّ نفسي في قتله، فقال شبيب: أنا من أعرف الناس به، أما ترى صاحب الفرس الأغَرَ الَّذِي دُونَهُ المُرَامِيَةُ! فإنَّه ذلك، فإن كنت تريدُه ٨٩٨/٢ فأمهله قليلاً. ثم قال: يا قعنب، اخرج في عشرين فأتهم من ورائهم، فخرج قعنب في عشرين فارتفع عليهم.

فلما رأوه يريدُ أن يأتِيَهُم من ورائهم جعلوا يتنقِضون ويتسلَّلون، وحمل سُويد بنُ سليم على سُفْيَان بن أبي العالية فطاعنه، فلم تصنع رُمُحاهما شيئاً، ثم اضطربا بِسَيْفَيْهِمَا ثم اعتنق كل منهما صاحبه، فوقعا إلى الأرض يعتركان؛ ثم تحاجزا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا، وأتى سُفْيَان غلامٌ له يقال له غَزْرَوَان، فنزل عن بَرْدُونِهِ، وقال: اركب يا مولاي، فتركب سُفْيَان، وأحاط به أصحاب شبيب، فقاتل دونه غَزْرَوَان فقتل، وكانت معه رايته. وأقبل سُفْيَان بن أبي العالية حتى انتهى إلى بابل مهزوداً،

فنزّل بها ، وكتب إلى الحجّاج :

أمّا بعد ، فإنّي أخير الأمير أصلحه الله أني اتّبع هذه المارقة حتّى لحقّتهم بخانيقين فقاتلتهم ، فضرّب الله وجوههم ، ونصرنا عليهم ، فبيننا نحن كذلك إذ أنّاهم قوم كانوا غيبًا عنهم ، فحَمَلُوا على الناس فهزموهم ، فنزلت في رجال من أهل الدّين والصّبر فقاتلتهم ، حتّى خررت بين القتلى ، فَحُمِلت مرثيًا ، فأُتي بي بابل مهروذ ، فهأنذا بها والجند اللّذين وجههم إلى الأمير وافقوا إلا سورة بن أبجر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي حتّى إذا ما نزلت بابل مهروذ أتاني يقول ما لا أعرف^(١) ، ويعتذر بغير العذر . والسلام .

٨٩٩/٢ فلمّا قرأ الحجّاج الكتاب قال : منّ صنع كما صنع هذا ، وأبلى كما أبلى فقد أحسن . ثم كتب إليه :

أمّا بعد ، فقد أحسنّت البلاء ، وقضيت اللّذى عليك ، فإذا خفّ عنك الوجع فأقبل مأجورًا إلى أهليك . والسلام .

وكتب إلى سورة بن أبجر :

أمّا بعد فيابن أمّ سورة ، ما كنت خليقًا أن تجتري على ترك عهدي ونخلان بجندی ، فإذا أتاك كتابي فابعث رجلاً من معك صليبا إلى الخيل الّتي بالمدائن ، فلينتخب منهم خمسمائة رجل ، ثمّ ليقدّم بهم عليك ، ثمّ سير بهم حتّى تلقى هذه المارقة . واحزم في أمرك ، وكدّ عدوك ، فإنّ أفضل أمر الحرب حسن المكيدة . والسلام .

فلمّا أتى سورة كتاب الحجّاج بعث عدي بن عميرة إلى المدائن ، وكان بها ألف فارس ، فانتخب منهم خمسمائة ، ثمّ دخل على عبد الله بن أبي عصيصير - وهو أمير المدائن في إمارته الأولى - فسلم عليه ، فأجازه بألف درهم ، وحمله على فرس ، وكساه أثوابًا . ثمّ لأنّه خرج من عنده ، فأقبل بأصحابه حتّى قدم بهم على سورة بن أبجر ببابل مهروذ ، فخرج في طلب شبيب ، وشبيب^(٢)

(٢) ١ : « وخرج شبيب » .

(١) ب ، ف : « أعرفه » .

يَسْجُؤُلُ فِي جُؤُوحَى وَسُورَةَ فِي طَلَبِهِ ، فَجَاءَ شَبِيبٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَدَائِنِ ،
فَتَحَصَّنَ مِنْهُ أَهْلُ الْمَدَائِنِ وَتَحَرَّزُوا ، وَوَهَى أُبْنِيَّةُ الْمَدَائِنِ الْأُولَى ، فَدَخَلَ
الْمَدَائِنِ ، فَأَصَابَ بِهَادَوَابٍ جَنْدٍ كَثِيرَةٍ ^(١) ، فَقَتَلَ مِنْ ظَهْرِهِ وَلَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ ،
فَأَتَى فُقَيْلٌ لَهُ : هَذَا سُرُورَةُ بْنُ أُبْجَرٍ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكَ . فَخَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ ٩٠٠/٢
حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّهْرَوَانِ ، فَزَلُّوا بِهِ وَتَوَضَّعُوا وَصَلُّوا ، ثُمَّ أَتَوْا مِصْرَاعَ إِخْوَانِهِمْ
الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَاسْتَغْفَرُوا لِإِخْوَانِهِمْ ،
وَتَبَرَّعُوا مِنْ عَلَى وَأَصْحَابِهِ ، وَبَكَوْا فَأَطَالُوا الْبُكَاءَ ، ثُمَّ خَرَجُوا فَقَطَّعُوا جِسْرَ
النَّهْرَوَانِ ، فَزَلُّوا مِنْ جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ ، وَجَاءَ سُرُورَةُ حَتَّى نَزَلَ بِقَطْرَانًا ، وَجَاءَتْهُ
عُيُونُهُ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَنْزِلِ شَبِيبٍ بِالنَّهْرَوَانِ ، فِدْعَا رَعُوسَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : إِنَّهُمْ
قَلَمَّا يُلْقُونَ مُصْحِرِينَ أَوْ عَلَى ظَهْرِهِمْ إِلَّا انْتَصَفُوا مِنْكُمْ ، وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ ،
وَقَدْ حُدَّتْ أَنْتَهُمْ لَا يَزِيدُونَ عَلَى مِائَةِ رَجُلٍ إِلَّا قَلِيلًا ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُنْتَخِبَكُمْ
فَأَسِيرَ فِي ثَلَاثَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ أَقْوِيَاكُمْ وَشُجْعَانِكُمْ فَأَتَيْهِمْ الْآنَ إِذْ هُمْ
آمِنُونَ لِبَيَاتِكُمْ ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَصْرَعَهُمُ اللَّهُ مِصْرَاعَ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ
صُرِعُوا مِنْهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ مِنْ قَبْلُ . فَقَالُوا : اصْنَعْ مَا أَحْبَبْتَ . فَاسْتَعْمَلَ عَلَى
عَسْكَرِهِ حَازِمَ بْنَ قُدَّامَةَ الْخُثْعَمِيِّ ، وَانْتَخَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ ثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ مِنْ
أَهْلِ الْقُوَّةِ وَالْجَلَدِ وَالشَّجَاعَةِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ نَحْوَ النَّهْرَوَانِ ، وَبَاتَ شَبِيبٌ
وَقَدْ أَذْكَى الْحَرَّسَ ، فَلَمَّا دَنَا أَصْحَابُ سُرُورَةَ مِنْهُمْ نَسَدُوا بِهِمْ ، فَاسْتَمَوْا
عَلَى خِيُومِهِمْ وَتَعَبُوا تَعَبِيَّتَهُمْ .

٩٠١/٢ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ سُرُورَةُ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوهُمْ قَدْ حَذَرُوا وَاسْتَعَدُّوا ،
فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةُ وَأَصْحَابُهُ فَتَبَتُوا لَهُمْ ، وَضَارَبُوهُمْ حَتَّى صَدَّ عَنْهُمْ سُرُورَةُ
وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ صَاحَ شَبِيبٌ بِأَصْحَابِهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَرَكَوا لَهُ الْعُرْصَةَ ،
وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ مَعَهُ ، وَجَعَلَ شَبِيبٌ يَضْرِبُ وَيَقُولُ :

مَنْ يَزِيكَ الْعَيْرَ يَنِيكَ نِيَّاكَا جَنْدَلَتَانِ اصْطَكَّتَا اصْطَكَاكَا
فَرَجَعَ سُرُورَةُ إِلَى عَسْكَرِهِ وَقَدْ هَزَمَ الْفُرْسَانُ وَأَهْلُ الْقُوَّةِ ، فَتَحَمَّلَ بِهِمْ
حَتَّى أَقْبَلَ بِهِمْ نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ تَحَمَّلَ وَتَعَدَّى الطَّرِيقَ الَّذِي

(١) : « فَأَصَابَ دَوَابٌ مِنْ دَوَابِ الْخَنْدِ » .

فيه شبيب ، واتبعه شبيب وهو يرجو أن يُلحقه فيصيب عسكره ، ويصيب بهزيمة أهل العسكر ، فأغذَّ السير في طلبهم ، فانتَهوا إلى المدائن فدَخَلوها ، وجاء شبيب حتَّى انتهى إلى بيوت المدائن ، فدفع إليهم وقد دخل الناس ، وخرج ابنُ أبي عَصِيْفٍ في أهل المدائن فرماهم الناس بالنَّسَبِ ، ورُمُوا من فوق البيوت بالحجارة ، فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن ، فرَّ على كِلْوَآءٍ فأصاب بها دوابَّ كثيرةً للحجَّاج فأخذَها ، ثمَّ خرج يسيرُ في أرضِ جَوْخَى ، ثمَّ مضى نحو تَكْرِيْت ، فبينما ذلك الجُنْدُ في المدائن إذ أُرْجِفَ الناسُ بينهم ، فقالوا : هذا شبيب قد دَنَا ، وهو يريد أن يبيِّت أهل المدائن اللَّيْلَةَ ، فارتَحَلَ عامَّةُ الجُنْدِ . فَلاحِقُوا بالكوفة .

قال أبو مخنف : وحدَّثني عبدُ الله بنُ عَليِّمة الخَشْعَمِيّ ، قال : والله ٩٠٢/٢ لقد هربوا من المدائن وقالوا : نُبيِّتُ اللَّيْلَةَ ، وإنَّ شبيباً لَيَسْتَكْبِرُ ، قال : ولمَّا قَدِمَ الفُكْلُ على الحَجَّاجِ سَرَّحَ الجَزَلَ بنُ سعيد بن شَرْحَبِيل بن عمرو الكندي .

قال أبو مخنف : حدَّثنا النَّضر بنُ صالح العَبَّاسِيّ وَفُضَيْلُ بنُ خَدِيج الكندي أنَّ الحَجَّاجَ لَمَّا أَتَاهُ الفُكْلُ قال : قَبِحَ اللهُ سَوْرَةَ ضَيْعِ العسكر والجُنْدِ ، وخرج يبيِّت الخَوَارِجَ ، أمَّا والله لَأَسُوءُنَّهُ ، وكان بعدُ قد (١) حَيَّسَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ .

قال أبو مخنف : وحدَّثني فضيل بن خديج أنَّ الحَجَّاجَ دعا الجَزَلَ — وهو عثمان بن سعيد — فقال له : تيسر للخروج إلى هذه المارقة ، فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلةَ الخَرِقِ ، ولا تُحْجِمِ إحجامَ الواني الفَرَقِ ، هل فهمت ؟ لله أنت يا أخا بني عمرو بن معاوية ! فقال : نعم أصالح الله الأمير قد فهمت ؛ قال له : فاخرج فمسكر بديسر عبد الرحمن حتَّى يخرج إليك الناس ، فقال : أصالح الله الأمير ! لا تبعنَّ معي أحداً من أهل هذا الجُنْدِ المفلول المهزوم ، فإنَّ الرعب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيتُ ألاَّ ينفعك والمسلمين منهم أحد ؛ قال له : فإنَّ ذلك لك ، ولا أراك إلاَّ قد أحسنتَ الرأى ووقفت . ثمَّ دعا أصحاب الدَّوَابِّ فقال : اضربوا على

الناس البعث ، فأخرجوا أربعة آلاف من الناس ، من كل رُبْع ألف رجل ، وعجلوا ذلك ، فجُمِعت العُرُفاء ، وجلس أصحابُ الدَّواوين ، وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف ، فأمرهم بالعسكر فعمسكروا ، ثم نودي ٩٠٣/٢ فيهم بالرحيل ، ثم ارتحلوا ونادى منادى الحجاج : أن برئت الذمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفاً ، قال : فمضى الجزل بن سعيد ، وقد قدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكِنْدِيّ على مُقَدَّمته ، فخرج حتى أتى المدائن ، فأقام بها ثلاثاً ، وبعث إليه ابنُ أبي عُصَيْفِيرٍ بفرس وبردّون وبغلين وألْفٍ درهم ، ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا ، فأصاب الناس ما شاءوا من تلك الجزر والعلف الذي وضع لهم ابنُ أبي عُصَيْفِيرٍ . ثم إنَّ الجزل بن سعيد خرج بالناس في أثر شبيب ، فطَلَّبه في أرض جَوْخِي ، فجعل شبيب يُريه الهبة ، فيخرج من رُستاق إلى رُستاق ، ومن طَسْتُوج إلى طَسْتُوج ، ولا يقيم له إرادة أن يفرق الجزل أصحابه ، ويتعجّل إليه فيلقاه في يسير من الناس على غير تعب ، فجعل الجزل لا يسير إلّا على تعب ، ولا ينزل إلّا خندق على نفسه خندقاً ، فلمّا طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسرّوا .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لَقَيْط أن شبيباً دعانا ونحن بدير بيرما ستون ومائة رجل ، فجعل على كلِّ أربعين من أصحابه رجلاً ، وهو في أربعين ، وجعل أخاه مصاداً في أربعين ، وبعث سُويْد بن سُليم في أربعين ، وبعث المحلّل بن وائل في أربعين ، وقد أثنى عيوته فأخبرته أن الجزل بن ٩٠٤/٢ سعيد قد نزل دير يزدجرد ، قال : فدعانا عند ذلك فبعبانا هذه التعبئة ، وأمرنا فعلقنا على دوابنا ، وقال لنا : تيسروا فإذا قضيت دوابكم فاركبوا ، وليسر كلُّ امرئ منكم مع أميره الذي أمرناه عليه ، ولينظر كلُّ امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبّعه . ودعا أمراءنا فقال لهم : إني أريد أن أبيت هذا العسكر الليلة ، ثم قال لأخيه مصاد : ليتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم من قبيل حُلُوان ، وسأتيهم أنا من أمامي من قبيل الكوفة ، وأنهم أنت يا سُويْد من قبيل المشرق ، وأنهم أنت يا محلّل من قبيل المغرب ، وليسلج

كلّ امرئ منكم على الجانب الذي يحمله عليه ، ولا تقلعوا عنهم ،
تحمّلون وتكرّون عليهم ، وتصيحون بهم حتّى يأتيتكم أمرى . فلم نزل على
تلك التعبية ، وكنت أنا في الأربعين الذين كانوا معه ، حتّى إذا قضيت
دوابنا - وذلك أوّل الليل أوّل ما هدأت العيون - خرجنا حتّى انتهينا إلى دَيْر
الحرّارة ، فإذا للقوم مسلّحة ، عليهم عياض بن أبي لينة ، فما هو إلا
أن انتهينا إليهم ، فحتمل عليهم مصاد أخو شبيب في أربعين رجلا ،
وكان أمام شبيب ، وقد كان أراد أن يسبق شبيباً حتّى يرتفع عليهم ويأتيهم
من ورائهم كما أمره ، فلمّا لقي هؤلاء قاتلهم فصبّروا ساعة ، وقاتلوهم . ثمّ
إنّا دفعنا إليهم جميعاً ، فحتملنا عليهم فهزمنّاهم ، وأخذوا الطريق
الأعظم ، وليس بينهم وبين عسكرهم بدَيْر يزدد جرد إلا قريب من ميل . ٩٠٥/٢
فقال لنا شبيب : اركبوا معاصر المسلمين أكتافهم حتّى تدخلوا معهم عسكرهم
إن استطعتم ؛ فاتبعناهم والله ملطّين^(١) بهم ، ملحقين عليهم ، ما نرقه عنهم
وهم منهزمون ، ما لهم همة إلا عسكرهم ، فانتهاوا إلى عسكرهم ، ومنعهم أصحابهم
أن يدخلوا عليهم ، ورشقوا بالنّبل ، وكانت عيون لهم قد أمتهم فأخبرتهم
بمكاننا ، وكان الجزل قد خندق عليه ، وتحرز ووضع هذه الأسلحة الذين
لقيناهم بدَيْر الحرّارة ، ووضع مسلحة أخرى ممّا يلي حلوان على الطريق ،
فلمّا أن دفعنا إلى هذه الأسلحة التي كانت بدَيْر الحرّارة فألحقناهم بعسكر
جماعتهم ورجعت المسالح الأخر حتّى اجتمعت ، منعها أهل العسكر دخول
العسكر وقالوا لهم : قاتلوا ، واضمحوا عنكم بالنّبل .

قال أبو مخنف : وحدهني بجرير بن الحسين الكندي ، قال : كان على
المسلّحتين الأخريين عاصم بن حجر على التي تلي حلوان ، وواصل
ابن الحارث السكوني على الأخرى . فلمّا أن اجتمعت المسالح جعل شبيب
يحمل عليها حتّى اضطرها إلى الخندق ، ورشقهم أهل العسكر بالنّبل
حتّى ردّوهم عنهم . فلمّا رأى شبيب أنّه لا يصل إليهم قال لأصحابه :
سيروا ودّعوهم ، فضى على الطريق نحو حلوان حتّى إذا كان قريباً

(١) ملطّين ، بمعنى ملحقين .

من موضع قِباب حسين بن زُفَر من بني بَدْر بن فزارة - وإنَّما كانت قِبابُ حسين بن زُفَر بعد ذلك - قال : لأصحابه : انزلوا فاقضوا وأصلحوا ٩٠٦/٢ نَسَلَكُمْ وتروحووا وَصَدَّوْا ركعتين ، ثمَّ اركبوا ، فنزلوا ففعلوا ذلك . ثمَّ إِنَّهُ أَقْبَلَ بِهِمْ راجِعاً إلى عسكر أهل الكوفة أيضاً ، وقال : سيروا على تعبيتكم الَّتِي عَبَّأْتُكُمْ عَلَيْهَا بدير بيرما أول الليل ، ثمَّ أَطِيفُوا بعسكرهم كما أَمَرْتُكُمْ ، فأقبلوا . قال : فأقبلنا معه وقد أدخل أهل العسكر مَسَالِحَهُمْ إِلَيْهِمْ ، وقد أَمْتُونَا فما شعروا حتى سمعوا وَقَعَ حَوَافِرُ خِيُولِنَا قَرِيباً مِنْهُمْ ، فانتبهنا إِلَيْهِمْ قُبَيْلَ الصَّبْحِ فَأَحْطَطْنَا بعسكرهم ، ثمَّ صَبَّحْنَا^(١) بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فإذا هم يُقَاتِلُونَنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، ويرموننا بالنَّبِيلِ . ثمَّ إِنَّ شَبِيباً بَعَثَ إِلَى أَخِيهِ مَصَادَ وَهُوَ يَقَاتِلُهُمْ مِنْ نَحْوِ الْكُوفَةِ أَنْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا وَخَلَّ لَهُمْ سَبِيلَ الطَّرِيقِ إِلَى الْكُوفَةِ ، فأقبل إليه ، وترك ذلك الوجه ، وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة ؛ حَتَّى أَصْبَحْنَا ، فأصبحنا ولم نَسْتَفِضْ مِنْهُمْ شَيْئاً ، فسرنا وتركناهم ، فجعلوا يصيحون بنا : أين يا كلاب النار ! أينَ أَيْتَهَا الْعَصَابَةُ المَارِقَةُ ! أَصْبَحُوا نَخْرُجْ إِلَيْكُمْ ، فارتفعنا عنهم نَحْواً مِنْ مِيلٍ وَنَصْفٍ ، ثمَّ نَزَلْنَا فَصَلَّيْنَا الْغَدَاةَ ، ثمَّ أَخَذْنَا الطَّرِيقَ عَلَى بَرَازِ الرُّوْذِ ، ثمَّ مَضَيْنَا إِلَى جَبَرَجَرَايَا وما يليها ، فأقبلوا في طلبنا .

قال أبو مخنف : فحدثني مولى لنا يُدْعَى غَاضِرَةً أَوْ قَيْصَرَ ، قال : كنت مع الناس تاجراً وهم في طلب الحَرَوْرِيَّةِ ، وعلينا الجَزَلُ بنُ سَعِيدٍ ، فجعل ٩٠٧/٢ يتبعهم فلا يسير إِلَّا على تعبئة ، وَلَا يَنْزِلُ إِلَّا على خندق ، وكان شَبِيبٌ يَدْعُوهُ وَيَضْرِبُ فِي أَرْضِ جَوْوَحَى وَغَيْرِهَا يَكْسِرُ الْخَرَاجَ ، وطال ذلك على الْحَجَّاجِ ، فكتب إليه كتاباً ، فقرأ على الناس :

أما بعد ، فإنِّي بعثتُكَ في فرسان أهل المِصْرِ ووجوه الناس ، وأمرتُكَ بِاتِّبَاعِ هَذِهِ المَارِقَةِ الضَّالَّةِ الْمُضْلِلَةِ حَتَّى تَلْقَاهَا ، فلا تُقْلِعْ عنها حَتَّى تَقْتُلَهَا وَتُقْنِيَهَا ؛ فوجدتَ التَّعْرِيسَ فِي الْقُرَى وَالتَّشْخِيمَ فِي الْخَسَادِ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنَ الْمُضْيِ لما أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ مَنَاهَ ضَعْفِهِمْ وَمَنَاجِزَتِهِمْ . وَالسَّلَامُ .

فقرأ الكتابُ علينا ونحن بقطراثا وديسر أبي مَرْيَمَ ، فشَقَّ ذلك على

الجزل ، وأمر الناس بالسَّير ، فخرجوا في طلب الخوارج جادين ، وأرجفنا بأمرنا وقلنا : يُعزَل .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيلُ بنُ نعيم الهَمْداني ثمَّ البرُسمي أنَّ الحِجَّاجَ بعثَ سعيدَ بنَ الجالد على ذلك الجيش ، وعهِدَ إليه إنْ لقيتَ المارقةَ فازحفْ إليهم ولا تُناظرهم ولا تُطاوَلهم وواقِفهم واستعِنَ بالله عليهم ، ٩٠٨/٢ ولا تصنع صنيعَ الجزل ، واطلبهم طلبَ السَّبع ، وحِدْ عنهم حَيْدَان الضَّيْع . وأقبلَ الجزل في طلب شبيب حتَّى انتهوا إلى النَّهْرَوَان فأدركوه فلزم عسكره ، وخذق عليه . وجاء إليه سعيدُ بنُ الجالد حتَّى دخل عسكرَ أهل الكوفة أميراً ، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال :

يا أهلَ الكوفة ، إنَّكم قد عجزتم ووهَّتمْ وأغضبتُم عليكم أميركم . أنتم في طلب هذه الأعراب العُجف منذ شهرين ، وهم قد خربوا بلادكم ، وكسروا خراجكم ، وأنتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزايلونها إلا أن يبلُغكم أنَّهُم قد ارتحلوا عنكم ، ونزلوا بلدًا سوى بلدكم ، فاخرجوا على اسم الله إليهم .

فخرج وأخرج الناس معه ، وجمع إليه خيول أهل العسكر ، فقال له الجزل : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقدم على شبيب في هذه الخيل ، فقال له الجزل : أقم أنت في جماعة الجيش ، فارسيهم وراجلهم ، وأصحرْ له ؛ فوالله ليقدمنَّ عليك ، فلا تُفرِّق أصحابك ؛ فإنَّ ذلك شرٌّ لهم وخيرٌ لك . فقال له : قف أنت في الصَّف ، فقال : يا سعيد بن جالد ، ليس لي فيما صنعتَ رأى ، أنا برىءٌ من رأيك هذا ، سَمِعَ اللهُ ومن حضر من المسلمين . فقال : هو رأيي إنْ أصبتُ ؛ فالله وفَّقني له ، وإنْ يكن غيرَ صواب فأنتم منه برءاء ، قال : فوقف الجزل في صفِّ أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق ، وجعل على ميمنتهم^(٢) عياض بن أبي لينة الكِنْدِي ، وعلى مبسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حُميد الرَّوَاسِي ، ووقف الجزل في جماعتهم

(١) ب ، ف : « كصنيع » . (٢) ١ : « ميمنته » .

واستقدم سعيد بن مجالد ، فخرج وأخرج الناس معه ، وقد أخذ شبيب^(١) إلى ٩٠٩/٢
بَرَازِ الرُّوزِ ، فنزل قَطُفُتًا^(٢) ، وأمر دهْقَانَهَا أَنْ يَشْتَرِيَ لَهَا ما يُصْلِحُهُمْ ،
ويَتَّخِذَ لَهُمْ غَدَاءً ، ففعل ، ودخل مدينة قَطُفُتًا^(٣) . وأمر بالباب فأغلق ، فلم
يُفْرَغْ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر ، فصعد
الدَّهْقَانُ السور فنظر إلى الجُندِ مقبلين قد دنّوا من حصنه ، فنزل وقد تغيّر
لونه ، فقال له شبيب : ما لي أراك متغيّر اللون ! فقال له الدَّهْقَانُ : قد
جاءتلك الجنود من كل ناحية ، قال : لا بأس ، هل أدرك غداؤنا ؟ قال :
نعم ، قال : فقربته ، وقد أغلق الباب ، وأتى بالغداء ، فتغدى وتوضأ وصلى
ركعتين ، ثم دعا ببغل له فركبه .

ثم إنهم اجتمعوا على باب المدينة ، فأمر بالباب ففتّح ، ثم خرج على
بغله فحمل عليهم . وقال : لا حكم إلا للحكم الحكيم ، أنا أبو مدله ،
اثبتوا إن شئتم . وجعل سعيد يجمع قومه وخيلته ، ويُرْلِفُهَا^(٤) في أثره ، ويقول :
ما هؤلاء ! إنما هم أكلة رأس ، فلما رأهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا
لفّ خيله كلّها ، ثم جمعها ، ثم قال^(٥) : استعرضوهم استعراضاً ، وانظروا ٩١٠/٢
إلى أميرهم ، فوالله لأقتلته أو يقتلني . وحمل عليهم مستعرضاً لهم ، فهزّمهم
وثبت سعيد بن المجالد ، ثم نادى أصحابه : إلى إلى ، أنا ابن ذى مُرّان !
وأخذ قَلَسَتْسُوتَهُ فوضعها على قَرَبَوسِ سَرْنَجِه ، وحمل عليه شبيب فعمّسه
بالسيف ، فخالط دماغه ، فخر ميتاً ، وانهزم ذلك الجيش ، وقتلوا كل
قتلة ، حتى انتهوا إلى الجَزَل ، ونزل الجزل ونادى : أيها الناس ، إلى .
وناداهم عياض بن أبي لينة : أيها الناس ، إن كان أميركم القادم قد
هلك فأمر بكم الميمون النقيبة المبارك^(٦) حتى^(٧) لم يمت ، فقاتل الجزل قتالا
شديداً حتى حمّل من بين القتلى ، فحمّل إلى المدائن مرثناً ، وقدم
فل أهل ذلك العسكر الكوفة ، وكان من أشد الناس بلاء يومئذ خالد بن

(١) كذا في ابن أبي الحديد ٤ : ٢٤١ ، وهو الصواب ، وانظر مراد الاصلاح .

(٢) ١ : « يدلّفها » . (٣) ب ، ف : « فقال » .

(٤) ب ، ف : « حتى وهو الأمير المبارك » .

نَهَيْكَ مِنْ بَنِي ذُهْلَ بْنِ معاوية وعياض بن أبي لينة ، حتى استنقذه وهو مرتثٌ . هذا حديثٌ طائفة من الناس ، والحديث الآخرُ قتالهم فيما بين دَيْرِ أبي مريم إلى بَرَّازِ الرُّوزِ . ثُمَّ إِنَّ الْجَزَلَ كَتَبَ إِلَى الْحِجَّاجِ .

قال : وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ ، وبعث إلى سوق بغداد فأمنهم ، وذلك اليوم يوم سوقهم ، وكان بلغه أنهم يخافونه ، فأحب أن يؤمنهم ، وكان أصحابه يريدون أن يشتروا من السوق دوابً وثياباً وأشياء ليس لهم منها بُدٌّ ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِمْ نحو الكوفة ، وساروا أول الليل حتى نزلوا عَقْرَ الْمَلِكِ الَّذِي يَلِي قَصْرَ ابْنِ هُبَيْرَةَ . ثُمَّ أَغْدَتِ السَّيْرَ مِنَ الْغَدِ ، ٩١١/٢ فَبَاتَ بَيْنَ حَمَّامِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ وَبَيْنَ قُبَيْبِ بْنِ . فَلَمَّا بَلَغَ الْحِجَّاجُ مَكَانَهُ بَعَثَ إِلَى سُؤَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ ، فَبَعَثَهُ فِي أَلْفِي فَارِسٍ نَقَاوَةً ، وَقَالَ لَهُ : اخْرُجْ إِلَى شَبِيبٍ فَالِقَهُ ، وَاجْعَلْ مِيعَةً وَمِيسِرَةً ، ثُمَّ أَنْزَلَ إِلَيْهِ فِي الرِّجَالِ فَإِنْ اسْتَطَرَدَ ذَلِكَ فَدَعِهِ وَلَا تَتَّبِعْهُ . فَخَرَجَ فَعَسَكَرَ بِالسَّبْخَةِ ، فَلَبِغَهُ أَنْ شَبِيبًا قَدْ أَقْبَلَ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ وَكَانَ يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ، وَأَمَرَ الْحِجَّاجُ عُثْمَانَ ابْنَ قَطَنَ فَعَسَكَرَ بِالنَّاسِ بِالسَّبْخَةِ (١) ، وَنَادَى : أَلَا بَرِثْتُ الذِّمَّةَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ هَذَا الْجَنْدِ بَاتَ اللَّيْلَةَ بِالْكُوفَةِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ قَطَنَ بِالسَّبْخَةِ ! وَأَمَرَ سُؤَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ يَسِيرَ فِي الْأَلْفِينَ الَّذِينَ مَعَهُ حَتَّى يَلْقَى شَبِيبًا فَعَبَّرَ بِأَصْحَابِهِ إِلَى زُرَّارَةَ وَهُوَ يَعْشِيهِمْ وَيَحْرُضُهُمْ إِذْ قِيلَ لَهُ : قَدْ غَشِيَكَ شَبِيبٌ ، فَتَزَلَّ وَتَزَلَّ مَعَهُ بِجُلِّ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ رَأَيْتَهُ وَمَضَى إِلَى أَقْصَى زُرَّارَةَ ، فَأُخْبِرَ أَنَّ شَبِيبًا قَدْ أُخْبِرَ بِمَكَانِكَ فَتَرَكَكَ ، وَوَجَدَ مَخَاضَةً فَعَبَرَ الْفُرَاتَ وَهُوَ يَرِيدُ الْكُوفَةَ مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ . ثُمَّ قِيلَ لَهُ : أَمَا تَرَاهُمْ ! فَنَادَى : فِي أَصْحَابِهِ ، فَرَكِبُوا فِي آثَارِهِمْ .

وإنَّ شَبِيبًا أَتَى دَارَ الرَّزْقِ (٢) ، فَتَزَلَّهَا ، فَقِيلَ : إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ بِأَجْمَعِهِمْ مَعَسَكِرُونَ بِالسَّبْخَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَكَانُ شَبِيبٍ صَاحَ (٣) بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ

(١) ب ، ف : « فِي السَّبْخَةِ » :

(٢) ف : « الزُّوق » .

(٣) أ : « مَاج » .

وجالوا ، وهمّوا أن يدخلوا الكوفة حتّى قيل لهم : إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل .

قال هشام : وأخبرني عمر بن بشير ، قال : لما نزل شبيب الدّير أمر ٩١٢/٢
بغتم تهيّأ له ، فصعد الدّ هقان ، ثمّ نزل وقد تغيّر لونه ، فقال : مالك !
قال : قد والله جاعك جمع كثير ، قال : أبلغ الشّواء بعد ؟ قال : لا ، قال : دعّه .
قال : ثمّ أشرف لإشارة أخرى ، فقال : قد والله أحاطوا بالجوّسق ، قال :
هات شواءك ، فجعل يأكل غير مكترث لهم ، فلما فرغ توضأ وصلّى
بأصحابه الأولى ، ثمّ تقلّد سيفين بعدما لبس درعه ، وأخذ عمود حديد
ثمّ قال : أسرجوا لي البغلة ، فقال أخوه مصاد : أفى هذا اليوم تسرج
بغلة ! قال : نعم أسرجوها ، فركبها ، ثمّ قال : يا فلان ، أنت على الميمنة
وأنت يا فلان على الميسرة ، وقال لمصاد : أنت في القلب ، وأمر الدّ هقان
ففتح الباب في وجوههم . قال : فخرج إليهم وهو يحكمهم ، فجعل سعيد
وأصحابه يرجعون القهقري حتّى صار بينهم وبين الدّير نحو من ميل .
قال : وجعل سعيد يقول : يا معشر همدان ، أنا ابن ذى مرّان ، إلى إلى .
ووجهه سرباً مع ابنه وقد أحسّ أنّها تكون عليه ، فنظر شبيب إلى مصاد
فقال : أنككتنيك الله إن لم أأكله ولأده . قال : ثمّ علاه بالعمود ،
فستقّط ميتاً ، وانهزم أصحابه وما قُتل بينهم يومئذ إلا قتيلاً واحداً . قال :
وانكشف أصحاب سعيد بن مجالد حتّى أتوا الجزل ، فناداهم الجزل : أيها
الناس ، إلى إلى . وناداهم عياض بن أبي لينة : أيها الناس ، إن يكن
أميركم هذا القادم قد هلك فهذا أميركم الميمون النقيبة ، أقبلوا إليه ، ٩١٣/٢
وقاتلوا معه ؛ فنهزم من أقبل إليه ، ومنهم من ركب رأسه منهزماً ، وقاتل
الجزل قتالا شديداً حتّى صرع ، وقاتل عنه خالد بن نهيك وعياض
ابن أبي لينة حتّى استنقذاه وهو مرّتث ، وأقبل الناس منهزمين
حتّى دخلوا الكوفة ، فأتي بالجزل حتّى أدخل المدائن ، وكتب إلى
الحجاج بن يوسف .

قال أبو مخنف : حدثني بذلك ثابت مولى زهير :

أماً بعد ، فلما أخبر الأمير أصلحه الله أنى خرجت فيمن قبلى من
الجند الذى وجهنى إلى عدوه ، وقد كنت حفظت عهد الأمير إلى فيهم
ورأيت ، فكنت أخرج إليهم إذا رأيت الفرصة ، وأحبس الناس عنهم إذا
خشيت الورطة ، فلم أزل^(١) كذلك ، ولقد أراذنى العدو بكل ريدة^(٢) فلم
يُصيب منى غيرة ، حتى قدم على سعيد بن مجالد رحمة الله عليه ، ولقد أمرته
بالتؤدة ، ونهيته عن العجلة ، وأمرته ألا يقاتلهم إلا في جماعة الناس
عامّة فعصانى ، وتعجل إليهم في الخيل ، فأشهدت عليه أهل المصيرين
أنى برى من رأيه الذى رأى ، وأنى لا أهوى ما صنع . فضى فأصيب تجاوز
الله عنه ، ودفع الناس إلى ، فنزلت ودعوتهم إلى ، ورفعت لهم رايتى ،
وقالت حتى صرعت ، فحملنى أصحابى من بين القتلى ، فافقت إلا وأنا
على أيديهم على رأس ميل من المعركة ، فأنا اليوم بالمداخن في جراحة قد يموت
الرجل من دونها ويعافى من مثلها . فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتى
له ولجنده ، وعن مكايدي عدوه ، وعن موقفى يوم البأس ، فإنه يستبين له
عند ذلك أنى قد صدقته ونصحت له . والسلام .

فكتب إليه الحجاج :

أماً بعد ، فقد أتانى كتابك وقرأته ، وفهمت كل ما ذكرت فيه ، وقد
صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك ، وحيثنك
على أهل مصرك ، وشدتك على عدوك ، وقد فهمت ما ذكرت^(٣) من أمر
سعيد وعجلته إلى عدوه ، فقد رضيت عجلته وتؤدتك ، فأماً عجلته
فإنها أفضت به إلى الجنة ، وأماً تؤدتك فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت ،
وترك الفرصة إذا لم تمكن حزم ، وقد أصبت وأحسن البلاء ، وأجرت^(٤) ،
وأنت عندى من أهل السمع والطاعة والنصيحة ، وقد أشخصت إليك حيّان

(١) ب ، ف : « فلذا لم » .

(٢) أى بكل نوع من أنواع الإرادة . وفى ط : « إرادة » وأثبت ما فى ا .

(٣) ب ، ف : « ذكرته » .

(٤) أجرت ، أى لقيت الأجر .

ابن أبجر ليدأويك ويعالج جراحتك ، وبعثُ إليك بألفي درهم فأنفقها في حاجتك ^(١) وما ينوبك . والسلام .

فقدم عليه حسيان بن أبجر الكنانى من بنى فراس - وهم يعالجون الكس - وغيره - فكان يداويه ، وبعث إليه عبد الله بن أبي عصفير بألف درهم ، وكان يعودُه ويتعاهدُه باللطف والهدية . قال : وأقبل شبيب نحو المدائن ، فعلم أنه لا سبيل له إلى أهلها مع المدينة ، فأقبل حتى انتهى إلى الكرخ ، فعبر دجلة إليه ، وبعث إلى أهل سوق بغداد وهو بالكرخ أن اثبتوا في سوقكم فلا بأس عليكم - وكان ذلك يوم سوقهم - وقد كان بلغه أنهم يخافونه . ٩١٥/٢
قال : ويسخرُج سُويد حتى جعل بيوت مزينه وبنى سليم في ظهره وظهور أصحابه ، وحمل عليهم شبيب حملة منكرة ، وذلك عند المساء ، فلم يقدر منهم على شيء ، فأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة ، وأتبعه سُويد لا يفارقه حتى قطع بيوت الكوفة كلها إلى الحيرة ، وأتبعه سُويد حتى انتهى إلى الحيرة ، فيسجده قد قطع قنطرة الحيرة ذاهباً ، فتركه وأقام حتى أصبح . وبعث إليه الحجاج أن أتبعه فأتبعه ، ومضى شبيب حتى أغار في أسفل القنطرة على من وجد من قومه ، وارتفع في البر من وراء خفان في أرض يقال لها الغلظة ^(٢) ، فصيب رجلاً من بنى الورثة ، فحسمل عليهم ، فاضطروهم إلى جند من الأرض ، فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم ، فلمّا نفدت وصل إليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ، منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحمزان بن مالك ، كلهم من بنى الورثة .

قال أبو مخنف : حدثني بذلك عطاء بن عرفجة بن زياد بن عبد الله الورثي . ومضى شبيب حتى يأتي بنى أبيه على اللصف (ماء لمرهطه) وعلى ذلك الماء الفيزر بن الأسود ، وهو أحد بنى الصلت ، وهو الذي كان ينهى شبيباً عن رأيه ، وأن يفسد بني عمه وقومه ، فكان شبيب يقول : والله لئن ملكت سبعة أعنة لأغزوَنَ الفيزر . فلمّا غشيهم شبيب ٩١٦/٢

(١) ب ، ف : « جراحتك » .

(٢) ب ، ف : « الغلظة » .

في الخيل سأل عن الفِزْر فأتقاه الفِزْر ، فخرج على فرس لا تُجَارَى من وراء البيوت ، فذهب عليها في الأرض ، وهرب منه الرجال ، ورجع وقد أخاف أهل البادية حتّى أخذ على القُطْقُطانة ؛ ثمّ على قصر مُقاتِل ، ثمّ أخذ على شاطئ الفُرات حتّى أخذ على الحَصَاصة ، ثمّ على الأنبار ، ثمّ مضى حتّى دخل دُقُوءاء ، ثمّ ارتفع إلى أداني آذربيجان . فتركه الحجّاج وخرج إلى البَصْرَة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، فاشعر الناس بشيء حتّى جاء كتابٌ من ماذرواسب دَهقان بابل مَهْرُود وعظيمهما إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجرًا من تجّار الأنبار من أهل بلادى أثنى فذكر أن شبيبًا يريد أن يدخل الكوفة في أوّل هذا الشهر المستقبل ، أحببتُ إعلامك ذلك لتسرى رأيك ، ثمّ لم ألبث إلا ساعة حتّى جاءني جابيّان من جبّاني فحدّثاني أنّه قد نزل خانيجبار . فأخذ عروة كتابه فأدرجّه وسرّح به إلى الحجّاج بالبصرة ، فلمّا قرأه الحجّاج أقبل بجواداً إلى الكوفة ، وأقبل شبيب يسير حتّى انتهى إلى قرية يقال لها حرّبى على شاطئ دجلة فعبّر منها ، فقال : ما اسمُ هذه القرية ؟ فقالوا : حرّبى ، فقال : حرب يصلى بها عدوكم ، وحرب تدخلونه بيوتهم ، إنّما يتطيّر من يتقوف ويعتيف ، ثمّ ضرب رايته وقال لأصحابه : سيروا ؛ فأقبل^(١) حتّى نزل عسقرقوصاً ، فقال له سويد بن سليم : يا أمير المؤمنين ، لو تحوّلت بنا من هذه القرية المشنومة الاسم ! قال : وقد تطيّرت أيضاً ! والله لا أتحوّل عنها حتّى أسير إلى عدوى منها ، إنّما شؤمها إن شاء الله على عدوكم تحمّلون عليهم فيها ، فالعسقر لهم .

ثمّ قال لأصحابه : يا هؤلاء ، إنّ الحجّاج ليس بالكوفة ، وليس دون الكوفة إن شاء الله شيء ، فسيروا بنا . فخرج يبادر الحجّاج إلى الكوفة ، وكتب عروة إلى الحجّاج أن شبيباً قد أقبل مسرعاً يريد الكوفة ، فالعجل العجل . فطوى الحجّاج المنازل ، واستبقا إلى الكوفة ، ونزلها الحجّاج صلاة الظهر ، ونزل شبيب السبّخة صلاة المغرب ، فصلّى المغرب والعشاء ، ثمّ أصاب هو وأصحابه من الطّعام شيئاً يسيراً ، ثمّ ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة ، فجاء شبيب حتّى انتهى إلى السوق ، ثمّ شدّ حتى ضرب باب القصر بعموده .

قال أبو المنذر: رأيت ضربَةَ شبيب بباب القصر قد أثرت أثراً عظيماً،
ثم أقبل حتى وقف عند^(١) المصْطبة ، ثم قال :

وَكَاَنَّ حَافِرَهَا بِكُلِّ خَمِيلَةٍ كَيْلٌ يَكِيلُ بِهِ شَحِيحٌ مُعْدِمٌ
عَبْدٌ دَعَى مِنْ ثَمُودٍ أَصْلُهُ لَا بَلْ يُقَالُ أَبُو أَبِيهِمْ يَقْدُمُ

ثم اقتسَحَمُوا المسجد الأعظم وكان كبيراً لا يفارقه قومٌ يصلُّون فيه ،
فقتل عقيل بن مصعب الوادعي وعدى بن عمرو الثَّقَفِيّ وأبا لَيْثِث بن أبي
سُلَيْم مولى عَنَسْبَةَ بن أبي سَفْيَانَ ، وقتلوا أَزْهَرَ بن عبد الله العامريّ ، ومَسْرُوّاً
بدار حَوْشِب وهو على الشَّرْط فوقفوا على بابه وقالوا : إن الأمير يدعو حَوْشِباً ،
فأخرج ميمون غلامه بِرْذَوْنَ حَوْشِب ليركبه حَوْشِب ، فكأنه أنكرهم
فظنُّوا أنه قد اتَّهَمَهُمْ ، فأراد أن يدخل ، فقالوا له : كما أنت ، حتى يَخْرُجُ
صاحبك . فسمع حَوْشِب الكلام ، فأنكر القوم ، فخرج إليهم ، فلمَّا رأى
جماعتهم أنكرهم ، وذهب لينصرف ، فعجبوا نحوه ، ودخل وأغلق
الباب ، وقتلوا غلامه ميموناً ، وأخذوا بِرْذَوْنَ ومَضَوْا حتى مرّوا بالبحاف
ابن نبيط الشَّيبَانِي من رهط حَوْشِب ، فقال له سويد : انزل إلينا ، فقال
له : ما تصنع بنزولي ! قال له سويد : أقضيك ثمن البَكْرَةِ الَّتِي كُنْتَ ابْتَعْتَ
منك بالبادية ، فقال له البحاف : بش ساعة القَضَاء هذه الساعة ، وبش
قَضَاءُ الدَّيْن هذا المكان ! أما ذكرت أمانتَكَ إِلَّا وَاللَّيْلِ مَظْلَم ، وأنت على
ظهر فرسِكَ ! قبَّحَ الله يا سويد ديناً لا يَصْلُح ولا يَمُ إلا بقتل ذوى
القَرَابَةِ وسفك دماء هذه الأُمَّة .

قال : ثم مضوا فمروا بمسجد بنى ذُهْل فلقوا ذُهْل بن الحارث ، وكان
يصلِّي في مسجد قومه فيُطِيلُ الصلاة ، فصادفوه منصرفاً إلى منزله ، فشدوا
عليه ليقتلوه ، فقال : اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظلمتهم وجناتهم .
اللَّهُمَّ إني عنهم ضعيف ، فانتصر لي منهم ! فضر به حتى قتلوه ، ثم مضوا ٩١٩/٢
حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة .

(١) ب ، ف : « على متن » .

قال هشام : قال أبو بكر بن عبيّاش : واستقبله النضر بن قعقاع ابن شور الذّهليّ ، وأمّه ناجية بنت هانيّ بن قبيصة بن هانيّ الشيبانيّ فأبطره حين نظر إليه — قال : يعنى بقوله : «أبطره» أفزعه^(١) — فقال : السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله ؛ قال له^(٢) سويد مبادراً : أمير المؤمنين ، ويّلك ! فقال : أمير المؤمنين . حتّى خرجوا من الكوفة متوجّهين نحو المردمة ، وأمر الحجاج المنادى فنادى : يا خيل الله اركبي وأبشري ، وهو فوق باب القصر ، وثمّ مصباح مع غلام له قائم ، فكان أوّل من جاء إليه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى الغصّة ، ومعه مواليه ، وناس من أهله ، فقال : أنا عثمان بن قطن ، أعلموا الأمير مكاني ، فليأمر^(٣) بأمره ، فقال له ذلك الغلام : قف مكانك حتّى يأتيك أمر الأمير ، وجاء الناس من كلّ جانب ، وبات عثمان فيمن اجتمع إليه من الناس حتّى أصبح .

ثمّ إن الحجاج بعث بسّر بن غالب الأسديّ من بني والبة في ألف رجل ، وزائدة بن قدامة الثقفيّ في ألفي رجل ، وأبا الضريس مولى بني تميم في ألف من الموالى ، وأعيّين — صاحب حمّام أعيّين مولى بيشر بن مروان — في ألف رجل ، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان ، وكتب له عليها عهده ، وكتب إلى الحجاج : أمّا بعد ، فإذا قدم عليك محمد بن موسى فجهّز معه ألفي رجل إلى سجستان ، وعجّل سراحه . وأمر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجاج ، فلمّا قدم محمد ابن موسى جعل يتحبّس في الجهاز ، فقال له نصحاءه : تعجّل أيّها الأمير^(٤) إلى عمّك ، فإنّك لا تدري ما يكون من أمر الحجاج ! وما يبدو له . فأقام على حاله ، وحدث من أمر شبيب ما حدث ، فقال الحجاج لمحمد ابن موسى بن طلحة بن عبيد الله : تلقى شبيباً وهذه الخارجة فتجاهد هم ثمّ تَمْضِي إلى عمّك ، وبعث الحجاج مع هؤلاء الأمراء أيضاً عبد الأعلى بن

(١) ب ، ف : «أهله» . (٢) ب ، ف : «فقال» .

(٣) ب ، ف : «بمكاني فليأمرني» . (٤) ب ، ف : «الرجل» .

عبد الله بن عامر بن كُرَيْز القُرَشِيّ وزياد بن عمرو العَتَكِيّ ، وخرج شبيبٌ حيث خرج من الكوفة ، فأتى المردمة وبها رجل من حضر موت على العُشُور يقال له ناجية بن مرثد الحضرمي ، فدخل الحمام ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه ، واستقبل شبيب النضر بن القَعْقَعَا بن شَوْر - وكان مع الحجّاج حين أُقبل من البصرة ، فلما طوى الحجّاج المنازل خلفه وراءه - فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه ، فقال له شبيب : يا نضر بن القَعْقَعَا ، لا حُكْم إلّا لله - وإنّما أراد شبيب^(١) بمقاتلته له تسلّيقينه ، فلم يفهم النضر - فقال : ﴿ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، فقال أصحاب شبيب : يا أمير المؤمنين ؛ كأنّك إنّما تريد بمقاتلتك أن تلقّنه . فشدّوا ٩٢١/٢ على نضر فقتلوه .

قال : واجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات ، فترك شبيب الوجه الذي فيه جماعة أولئك القواد ، وأخذ نحو القادسيّة ، ووجّه الحجّاج زحر بن قيس في جريدة خيل نقاة ألف وثمانمائة فارس ، وقال له : أتبع شبيباً حتى تواقعه حيثما أدركته ، إلّا أن يكون منطلقاً ذاهباً فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك ، فلا تبرح إن هو أقام حتّى تواقعه ، فخرج زحر حتى انتهى إلى السّيلحين ، وبلغ شبيباً مسيره إليه ، فأقبل نحوه فالتقيّا ، فجعل زحر على يمينته عبد الله بن كَسَنَاز النّهديّ ، وكان شجاعاً ، وعلى يسارته عديّ بن عديّ بن عميرة الكنديّ الشيبانيّ ، وجمع شبيب خيله كلّها كسبكيّة واحدة ، ثمّ اعترض بها الصفّ ، فوجف وجيفاً ، واضطرب حتّى انتهى إلى زحر بن قيس ، فنزل زحر بن قيس ، فقاتل زحر حتّى صرع ، وانهزم أصحابه ، وظنّ القوم أنّهم قد قتلوه ، فلما كان في السّحر وأصابه البرد قام يتمشّي حتّى دخل قرية فبات بها ، وحُمِل منها إلى الكوفة وبوجّهه ورأسه بضع عشرة جراحة ما بين ضربة وطعنة ، فكث أياماً ، ثمّ أتى الحجّاج وعلى وجهه وجراحه القطن ، فأجلسه الحجّاج معه على السرير ، وقال لمن حوله : من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة يمشي بين الناس وهو ٩٢٢/٢

(١) ب ، ف : « تلقينه بمقاتلتك هذه » .

شبههم فليَنظُرْ إلى هذا . وقال أصحابُ شبيب لشبيب وهم يظنون أنهم قد قتلوا زحراً : قد هزمتنا لهم جُنداً ، وقتلنا لهم أميراً من أمرائهم عظيمًا ، انصرف بنا الآن وافرين ، فقال لهم : إن قتلنا هذا الرجل ، وهزمتنا هذا الجند ، قد أرعبت هذه الأمراء والجنود التي بُعثت في طلبكم ، فاقصدوا بنا قصدَهم ؛ فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحجَّاج من شيء وأخذ الكوفة إن شاء الله . فقالوا : نحن لرأبك سمع تسبع ، ونحن طوع يدريك .

قال : فانقض بهم جوادًا حتى يأتي نَجْران — وهي نَجْران الكوفة ناحية عَمِينَ التَّمر — . ثم سأل عن جماعة القوم فخبَّرَ باجتماعهم بروذبار في أسفل الفُرات في بهتَقباذ الأسفل ، على رأس أربعة وعشرين فرسخًا من الكوفة . فبلغ الحجَّاج مسيره إليهم ، فبعث إليهم عبد الرحمن بن الغررق مولى ابن أبي عَقِيل — وكان على الحجَّاج كرميًا — فقال له : الحق بجماعتهم — يعني جماعة الأمراء — فأعلمهم بمسير المارقة إليهم ، وقل لهم : إن جمعكم قتالٌ فأمرُ الناس زائدة بن قدامة ، فأتاهم ابن الغررق فأعلمهم ذلك ، وانصرف عنهم .

٩٢٣/٢ قال أبو مِخْنَف : فحدثني عبد الرحمن بن جُندب قال : انتهى إلينا شبيب وفيما سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة ، وقد^(١) عبى كل أمير أصحابه على حدة ، ففي ميمنتنا زياد بن عمرو العنكي ، وفي ميسرتنا بشر بن غالب الأسدي ، وكل أمير واقف في أصحابه . فأقبل شبيب حتى وقف على تل ، فأشرف على الناس وهو على فرس له كُميت أغر ، فنظر إلى تعبيتهم ، ثم رجع^(٢) إلى أصحابه ، فأقبل في ثلاث كتائب يوجفون ، حتى إذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سُوَيْد بن سُلَيْم ، فتقف في ميمنتنا ، ومضت كتيبة فيها مَصَاد أخو شبيب ، فوقفت على ميسرتنا ، وجاء شبيب في كتيبة حتى وقف مُقابل القلب . قال : وخرج زائدة ابن قدامة يسير في الناس فيما بين ميمنتهم إلى ميسرتهم يحرّض الناس ويقول :

(١) ب ، ف : « فعي » . (٢) ب ، ف : « ورجع » .

يا عبادَ الله ، أنتم الكثيرون الطيبون ، وقد نزل بكم القليلون الحبيثون ، فاصبروا - جعلت لكم الفداء - لكرّتين أو ثلاث تَكْرُونَ عليهم ، ثم هو النَّصْر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء . ألا ترون إليهم والله ما يكونون مائتي رجل ، إنمّا هم أكلة رأس ، إنمّا هم السَّرَاق المُرَّاق ، إنمّا جاءوكم ليُهْزِيقُوا دماءكم ، ويأخذوا فَيْشَكُمْ ، فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على مَنْعِهِ ، وهم قليل وأنتم كثير ، وهم أهلُ فُرْقَةٍ وأنتم أهلُ جَمَاعَةٍ ، غَضُّوا الأبصار ، واستقبلوهم بالأسِنَّة ، ولا تَحْمِلُوا عليهم حتى آمركم ، ٩٢٤/٢ ثم انصرف إلى مَوْقفِهِ .

قال : ويَحْمِلُ سُويْدُ بنُ سليم على زياد بن عمرو ، فأنكشف صَقُّهُمْ ، وثَبَّتَ زياد في نحو من نصف أصحابه ، ثم ارتفع عنهم سُويْدُ قليلا ، ثم كرّ عليهم ثانية ، ثم اطَّعنوا ساعة .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : أنا والله فيهم يومئذ ، قال : اطَّعْنَا ساعةً وصبروا لنا حتّى ظننتُ أنَّهُم لن يزلوا ، وقاتل زياد بنُ عمرو قتالا شديداً ، وجعل ^(١) ينادى : يا خيلي ، ويشدّ بالسيف فيقاتل قتالا شديداً ، فلقد رأيتُ سويدَ بنَ سليم يومئذ وإنَّهُ لأشجع العرب وأشدّه قتالاً ، وما يُعرض له . قال : ثمّ إنا ارتفعنّا عنهم آخرّاً فإذا هم يتقوّضون ، فقال له أصحابه : ألا تراهم يتقوّضون ! احْمِلْ عليهم ، فقال لهم شبيب : خلّوهم حتّى يَسْخِفُوا ، فركّوهم قليلا ، ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا . فنظرت إلى زياد ابن عمرو وإنَّهُ ليُضْرَبُ بالسيف ^(٢) وما من سيف يُضْرَبُ به إلّا نبا عنه وهو مجفّف ، ولقد رأيته اعتوره أكثرُ من عشرين سيفاً فما ضَرَّهُ من ذلك شيء . ثمّ إنه انهزم وقد جرح بجراحةٍ يسيرة ، وذلك عند المساء . قال : ثمّ شدّنا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه ، وما قاتلنا كثيراً كثير قتال ، وقد ضارب ساعةً ، وقد بلغني أنه كان جرح ثمّ لحق بزياد بن عمرو ، فضينا منزهين حتى انتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب ، فقاتلنا قتالاً شديداً وصبر لنا .

ذكر هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ، أن أخا شبيب مصاداً حمل على بيشر بن غالب وهو في الميسرة ، فأبلى وكرم والله وصبر ، فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين ، فصاروا بأسيا فمهم حتى قتلوا عن آخرهم ، وكان فيهم عروة بن زهير بن ناجذ الأزدي ، وأمه زارة امرأة ولدت في الأزدي ، فيقال لهم بنو زارة ، فلما قتلوه وانهمزم أصحابه مالوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني تميم ، وهو يلي بيشر بن غالب ، فهزموه حتى انتهى إلى موقف أعين ، ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعاً فهزموها حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة ، فلما انتهوا إليه نزل ونادي : يا أهل الإسلام ، الأرض الأرض ، إلى إلى ! لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم ؛ فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر . ثم إن شبيباً شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربضة حوله من أهل الحفظ .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال : سمعت زائدة ابن قدامة ليلثذ رافعاً صوته يقول : يا أيها الناس ، اصبروا وصابروا ، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** . ٩٢٦/٢ ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر حتى قتل .

قال أبو مخنف : وحدثني فروة بن لقيط أن أبا الصقير الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة ، وقد حاجه في ذلك آخر يقال له الفضل ابن عامر . قال : ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقاً عظيماً ، وقال شبيب لأصحابه : ارفعوا السيف عن الناس وادعوهم إلى البيعة ، فدعاهم إلى البيعة عند الفجر .

قال عبد الرحمن بن جندب : فكنْتُ فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيله واقفة دونه ، فكل من جاء لبايعه نزع سيفه عن عاتقه ، وأخذ سلاحه منه ، ثم بُدِئني من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ، ثم يخلني سبيله . قال : وإننا لكذلك إذ انفجر الفجر ومحمد بن

موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر ، معه عصابة من أصحابه قد صبروا ، فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن ، فلما سمع شبيب الأذان قال : ما هذا ؟ فقال : هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يسرح ؛ فقال : قد ظننت أن حُقمه وخيلاءه سيحمله على هذا ؛ نَحْثُوا هؤلاء عَسَنًا وانزلوا بنا فلنُصَلِّ . قال : فزِلْ فأذن هو ، ثم استقدم فصلّى بأصحابه ، فقرا : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١) ، و ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ (٢) ، ثم سلّم ، ثم ركبوا فحَمَلْ عَلَيْهِمْ فانكشفت طائفة من أصحابه ، وثبتت طائفة . قال فروة : فما أنسى قوله وقد غَشِيَنَاهُ وهو يقاتل بسيفه وهو يقول : ﴿أَلَمْ أَحَسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣) . ٩٢٧/٢

قال : وضارب حتى قتل . قال : فسمعت أصحابي يقولون : إن شبيباً هو الذي قتله . ثم إننا نزلنا فأخذنا ما كان في العسكر من شيء ، وهرب الذين كانوا يبيعوا شبيباً ، فلم يبق منهم أحد .

* * *

وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي مخنف أمراً غير الذي ذكرته عنه ، والذي ذكر من ذلك أن عبد الملك بن مروان كان ولّي محمد بن موسى بن طلحة سجستان ، فكتب إليه الحجّاج : إنك عامل كل بلد مررت به ، وهذا شبيب في طريقك . فعدل إليه محمد ، فأرسل إليه شبيب : إنك امرؤ مخدوع ، قد اتقى بك الحجّاج ، وأنت جارّك حق ، فانطلق لما أمرت به ولك الله لا آذيتك ، فأبى إلا محاربتة ، فواقفه شبيب ، وأعاد إليه الرسول ، فأبى إلا قتاله ، فدعا إلى البراز ، فبرز إليه البطين ثم قعنب ثم سويد ، فأبى إلا شبيباً ، فقالوا لشبيب : قد رغب عنا إليك ، قال : فما ظنكم هذه (٤) الأشراف ! فبرز إليه شبيب ، وقال (٥) : إني أنشدك الله في دمك ، فإن لك جيواراً . فأبى إلا قتاله ، فحَمَلْ عَلَيْهِ شبيب فضربه بعصا حديد

(٢) سورة الماعون: ١ .

(١) سورة الهمزة: ١ .

(٤) ١ ، ب ، ف : « هاهم » .

(٣) سورة النكبات: ١ - ٣ .

(٥) ب ، ف : « فقال » .

ففيها اثنا عشر رطلا بالشأى ، فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ، ثم كفّته ودفنه ، وابتاع ما غنموا من عسكره ، فبعث به إلى أهله ، واعتذر إلى أصحابه ٩٢٨/٢ وقال : هو جارى بالكوفة ، ولى أن أهب ما غنمت لأهل الرّدة .

قال عمر بن شُبّة : قال أبو عبيدة : كان محمد بن موسى مع عمر ابن عبيد الله بن معمر بفارس ، وشهد معه قتال أبي فُدَيْك وكان على ميمنته ، وشُهِر بالنّجدة^(١) وشدة البأس^(٢) وزوجه عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان - فولاه سجستان ، فمرّ بالكوفة وبها^(٣) الحجّاج بن يوسف ، فقبل للحجّاج : إن صار هذا إلى سجستان مع نجدته وصهره لعبد الملك فلجأ إليه أحد من تطلب ، منعتك منه ؟ قال : فما الحيلة ؟ قيل : تأتبه وتسلم عليه ، وتذكر نجدته وبأسه وأنّ شبيباً في طريقه ، وأنّه قد أعياك ، وأنك ترجو أن يريح الله منه على يده ، فيكون له ذكر ذلك وشهرته . ففعل ، فعدل إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فواقعه شبيب ، فقال له شبيب : إني قد علمتُ خيّد أعّ الحجّاج ، وإنما اغترّك ووقى بك نفسه ، وكأني بأصحابك لو قد التفت حلقاً البطان قد أسلموك ، فصرعت مصرع أصحابك ؛ فأطعني وانطلق لشأنك ، فإني أنفستُ بك عن الموت ؛ فأبى محمد بن موسى ، فبارزه شبيب فقتله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال عبد الرحمن : لقد كان فيمن بايعه تلك الليلة أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، فلمّا بايعه قال له شبيب : ألسنت أباردة ! قال : بلى ؛ قال شبيب لأصحابه : يا أخلائي ، أبو هذا أحد الحكمين ، فقالوا : ألا نقتل هذا ؟ فقال : إن هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه ؛ قالوا : أجل قال : وأصبح شبيب : فأتى مُقبلاً نحو القصر الذي فيه أبو الضريس وأعين

(٢) ب ، ف : « والياس » .

(١) ب : « وكان مشهوراً » .

(٣) ب ، ف : « وفيها » .

فرَمَوْه بالنَّسَبِ ، وتحصَّنَا منه ، فأقام ذلك اليوم عليهم ، ثمَّ شخص عنهم ، فقال له أصحابه : ما دون الكوفة أحد يمنعنا ؛ فنظر فإذا أصحابه قد جرحوا^(١) ؛ فقال لهم : ما عليكم أكثر ممَّا قد فعلتم ، فخرج بهم على نِفَرٍ ، ثمَّ على الصَّرة ، ثمَّ على بَغداد ، ثمَّ خرج إلى خانيجَتَار فأقام بها .

قال : ولمَّا بلغ الحَجَّاجَ أن شبيبًا قد أخذ نحو نِفَرٍ ظنَّ أنه يريد المدائن — وهى باب الكوفة ، ومنَّ أخذ المدائن كان ما فى يده من أرض الكوفة أكثر — فهال ذلك الحَجَّاجَ ، وبعث إلى عثمان بنِ قَظَنٍ ، ودعاه وسرَّحه إلى المدائن ، وولَّاه منبرها ونصَّره ومَعونة جُـوْحَى كُلِّهَا وخِرَاجَ الأَسْتَانَ . فخرج مسرعًا حتَّى نزل المدائن ، وعزل الحَجَّاجُ عبدَ الله بن أبى عَصِيفير ؛ وكان بها الجَزَلُ مقيمًا أشهرًا يُداوَى جراحَتِهِ ، وكان ابن أبى عَصِيفير يعودُه ويكرمه ، فلمَّا قدم عثمانُ بن قطن المدائن لم يَعهُدْهُ ، ولم يَسْكُن يَسْعَاهده ولا يُلَطِّفه بشيء ، فقال الجَزَلُ : اللّهُمَّ زِد ابنَ عَصِيفير جودًا وكرمًا وفضلاً ، ٩٣٠/٢ وزد عثمان بن قطن ضيقًا وبُخلًا . قال : ثمَّ إن الحَجَّاجَ دعا عبدَ الرِّحْمَنِ بنَ محمد بن الأشعث فقال : انتخبِ الناس ، واخرجْ فى طلب هذا العدوِّ ، فأمره بِتُخْبَةِ سِتَّةِ آلاف ، فانتخب فرُسَانِ الناس ووجوهِهم ، وأخرج من قومه سِتْمائة من كِنْدَةَ وحَضْرَمَوْت ، واستحثَّ الحَجَّاجُ بالعسكر ، فعسكر بدير عبد الرحمن ، فلمَّا أراد الحَجَّاجُ لِشَخَاصَتِهِمْ كتب إليهم :

أما بعد ، فقد اعتدْتُم عادةَ الأذلاء ، وَلَقِيتُم الدُّبُرَ يومَ الزَّحْفِ ، وذلك دأب الكافِرِينَ ، وإنى قد صفحتُ عنكم مرَّةً بعد مرَّةً ، ومرَّةً بعد مرَّةً . وإنى أقسمُ لكم بالله قَسَمًا صادقًا لئن عدتم لذلك لأوقِعنَ بكم إيقاعًا أكون أشدَّ عليكم من هذا العدوِّ الذى تَهْرُبُونَ منه فى بطون الأودية والشَّعَابِ ، وتَسْتَتِرُونَ منه بِأَنْهَارِ الأَنْهَارِ وألْوَادِ^(٢) الجِبَالِ ، فَخَافَ من له مَعْقُولٌ على نفسه ، ولم يَسْجَلْ عليها سبيلًا ، وقد أعذَرَ من أنذَرَ

وقد أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ولكنْ لا حياةَ لمن تُنَادِي^(٣)

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « خرجوا » . (٢) لؤذ الجبل : جانبه .

(٣) لعمر بن معد يكرب ، سرح العيون ٤٦٦ .

والسلام عليكم .

قال : ثم سرح ابن الأصم مؤذنه ، فأتى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث عند طلوع الشمس ، فقال له : ارتحل الساعة ونادى في الناس : أن برئت الذمة من رجل من هذا البعث وجدناه متخلفاً . فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مرّ بالمداين فنزل يوماً وليلة ، وتشترى أصحابه حوائجهم ، ثم نادى في الناس بالرحيل ، فارتحلوا ، ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ، ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته ، وسأله ساعة وحده . ثم إن الجزل قال له : يا بن عم : إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب ، وأحلاس الخيل ، والله لكأننا خلقوا من ضلوعها ، ثم بنوا على ظهورها ، ثم هم أسد الأجسم ، الفارس منهم أشد من مائة ، إن لم تبدأ به بدأ ، وإن هُججهج أقدم ، فإني قد قاتلتهم وبلوتهم ، فإذا أصحرت لهم انتصفوا مني ، وكان لهم الفضل على ، وإذا خندقت على وقاتلتهم في مضيق نلت منهم بعض ما أحب ، وكان لي عليهم الظفر ، فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا في تعبئة أو في خندق . ثم إنه ودعه ، فقال له الجزل : هذه فرسى الفسيفساء ، خذها فإنها لا تجارى . فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب ، فلما دنا منه ارتفع عنه شبيب إلى دقوقاء وشهرزور ، فخرج عبد الرحمن في طلبه ، حتى إذا كان على التخوم أقام ، وقال : إنما هو في أرض الموصل ، فليقاتلوا عن بلادهم أو ليدعوه ، فكتب إليه الحجاج بن يوسف :

أما بعد ، فاطلب شبيباً واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه ، فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والحمد جنده . والسلام .

فخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجاج في طلب شبيب ، فكان شبيب يدعه حتى إذا دنا منه بيته ، فيجده قد خندق على نفسه وحذر ، فيمضي ويدعه ، فيتبعه عبد الرحمن ، فإذا بلغه أنه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل ، فإذا انتهى إليه وجده قد صف الخيل والرجال وأدى

المرامية ، فلا يصيبُ له غيرةٌ ولا له عِلَّةٌ ، فيمضي ويدعه .

قال : ولمّا رأى شبيبُ أنّه لا يصيبُ لعبد الرحمن غيرةٌ ولا يصلُ إليه ، جعل يتخرّج إذا دنا منه عبد الرحمن في خيله ، فينزل على مسيرةِ عشرين فرسخًا ، ثمّ يقيم في أرض غليظة حَزْنَةً^(١) ، فيجىء عبد الرحمن ، فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فسار خمسةَ عشرَ أو عشرين فرسخًا ، فنزل منزلاً غليظًا خَشَنًا ، ثمّ يقيم حتّى يدنو عبد الرحمن .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب أن شبيبًا كان قد عذّب ذلك العسكرَ وشقّ عليهم ، وأحى دوابّهم ، ولتقوا منه كلَّ بلاء ، فلم يزل عبد الرحمن يتبعه حتّى مرّ به على خانيقين ثمّ على جلولا ، ثمّ على تامرًا ، ثمّ أقبل حتّى نزل البتّ - قرية من قرى الموصل على تخوم الموصل ، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلّا نهر يسمى حولايا - قال : وجاء عبدُ الرحمن بنُ محمد بن الأشعث حتّى نزل في نهر حولايا وفي راذان^(٢) الأعلى من أرض جُوحى ، ونزل عواقيل من النهر ، ونزلها عبدُ الرحمن حيث نزلها وهي تُعجبه ، يرى أنّها مثل الخندق والحصن . قال : ٩٣٣/٢ وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن : إنّ هذه الأيام أيامُ عيدٍ لنا ولكم ، فإن رأيتم أن تُوادِعونا حتّى تمضي هذه الأيام فافعلوا . فقال له عبدُ الرحمن : نعم ، ولم يكن شيء أحبّ إلى عبدِ الرحمن من المطاولة والمواذعة . قال : وكتب عثمان بن قَطن إلى الحجّاج :

أمّا بعد ، فإنّي أخير الأميرَ أصلحَهِ الله أن عبد الرحمن بن محمد قد حفر جُوحى كلّها خندقًا واحدًا ، وخلّى شبيبًا وكسر خراجها وهو يأكل أهلها . والسلام .

فكتب إليه الحجّاج :

أمّا بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ لى عن عبد الرحمن ، وقد لعمري فعل

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « جدبة » . (٢) ب ، ف : « وهو في راذان » .

ما ذكرت ، فسير إلى الناس فأنت أميرهم ، وعاجل المارقة حتى تلقاهم ،
فإن الله إن شاء الله ناصرٌك عليهم . والسلام .

قال : وبعث الحجاج إلى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة ، وخرج
عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم
مُعسكرون على نهر حَوَلايا قريباً من البت ، عشية الثلاثاء ، وذلك يوم
التروية ، فنادى الناس وهو على بغلة : أيها الناس ، اخرجوا إلى عدوكم .
فوثب إليه الناس ، فقالوا : نُنشدك الله ، هذا المساء قد غشينا ، والناس
لم يوطئوا أنفسهم على القتال ، فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبئة .
فجعل يقول : لأناجزنهم ، ولتكوننَّ الفرصة لي أو لهم . فأتاهم عبد الرحمن
٩٣٤/٢ فأخذ بعنان دابته ، وناشده الله لما نزل ، وقال ^(١) له عتيل بن شداد السلولي :
إن الذي تريد من مُناجزتهم الساعة أنت فاعله ^(٢) غداً ، وهو غداً أخيراً
لك وللناس . إن هذه ساعة ريح وغبرة ، وقد أُمِيت فانزل ، ثم أبكر بنا إليهم
غدوةً . فنزل ، فسفت عليه الريح ، وشقَّ عليه الغبار ، ودعا صاحب
الخراج العلَّوج فبَسَنوا له قُبَّةً فبَات فيها ، ثم أصبح يوم الأربعاء ، فجاء
أهل البت إلى شبيب - وكان قد نزل ببيعتهم - فقالوا : أصلحك الله ! أنت
ترحم الضعفاء وأهل الجزية ، ويكلِّمك مَنْ تلى عليه ، ويشكون إليك ما نزل
بهم فتتظر لهم ، وتكف عنهم ، وإن هؤلاء القوم جبابرة لا يُكلِّمون ولا
يُستقبلون العذر ، والله لئن بلغهم أنك مقيم في بيعتنا لَيقتلننا إن قضيناك
أن تترحل عنا ، فإن رأيت فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالاً ،
قال : فإني أفعل ذلك بكم ، ثم خرج فنزل جانب القرية . قال : فبَات
عثمان ليلته كلها يحرّضهم ، فلما أصبح - وذلك يوم الأربعاء - خرج بالناس
فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة ، فصاح الناس إليه ، فقالوا ^(٣) : نُنشدك الله
أن تخرج بنا في هذا اليوم ، فإن الريح علينا ! فأقام بهم ذلك اليوم ، وأراد
شبيب قتالهم ، وخرج أصحابه ، فلما رآهم لم يسخرجوا إليه أقام ، فلما كان

(١) س : « فقال » .

(٢) ب ، ف : « قادر عليه » .

(٣) ب ، ف : « وقالوا له » .

ليلة الخميس خرج عثمانُ فعبى الناسَ على أرباعِهِمْ ، فجعل كلُّ رُبْعٍ في جانبِ العسكرِ ، وقال لهم : اخرجوا على هذه التعبية ، وسألهم : من كان على ميمنتكم ؟ قالوا : خالدُ بنُ نُهَيْك بنِ قيسِ الكِنْدِي ، وكان على ٩٣٥/٢ ميسرتنا عَقِيل بنُ شَدَّادِ السَّلُولِي ، فدعاها فقال لهما : قفا مواقفكما التي كنتمَا بها ، فقد وليتكما المجنبتين ، فاثبتا ولا تنفرا ، فوالله لا أزول حتى يزول نَحْضُ راذانٍ عن أصوله . فقالا : ونحن والله الذي لا إله إلا هو لا ننفِرُ^(١) حتى نظفر أو نُقتل^(٢) ، فقال لهما : جزا كما اللهُ خيراً . ثم أقام حتى صلّى بالناس الغداة ، ثم خرج فجعل رُبْعَ أهل المدينة تميمَ وهَمْدَانِ نحوَ نهرِ حَوَلايا في الميسرة ، وجعل ربعَ كِنْدَةَ وربيعةَ ومَدْحَجَ وأَسَدَ في الميمنة ، ونزل يمشي في الرِّجَالِ ، وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلاً ، فقطع إليهم النهر ، فكان هو في ميمنة أصحابه ، وجعل على ميسرته سُؤَيْد بنُ سُلَيْم ، وجعل في القلب مصاد بنُ يزيدَ أخاه ، وزحفوا وسما^(٣) بعضهم لبعض .

قال أبو مخنف : فحدثني النَّضْر بنُ صَالِحِ العَبْسِيّ أن عثمانَ كان يقول فيكثر : ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٤) . أين المحافظون على دينهم ، الحامون عن فيثهم ! فقال عَقِيل بنُ شَدَّادِ بنِ حُبُشَى السَّلُولِي : لعلني أن أكون أحدَهم ، قُتِلَ أولئك يومَ رُوذُبار . ثم قال شبيب لأصحابه : إني حاملٌ على ميسرتهم ممّا يلي النهر ، فإذا هزمتُها فليحمل صاحبُ ميسرتي على ميمنتهم ، ولا يبرح صاحب القلب ٩٣٦/٢ حتى يأتية أمرى . وحمل في ميمنة أصحابه ممّا يلي النهر على ميسرة عثمان بنِ قَطَنٍ فانهمزوا ، ونزل عَقِيل بنُ شَدَّادِ فقاتلَ حتى قُتِلَ ، وقتل يومئذ مالكُ بنُ عبد الله الهمداني ثم المرهبي^(٥) ، عمُ عِيَّاش بن عبد الله بن عِيَّاشِ المَسْتَوْف ، وجعل يومئذ عَقِيل بنُ شَدَّادِ يقول وهو يُجَالِدُهُمْ :
لَأَضْرِبَنَّ بِالْحُسَامِ الْبَاتِرِ ضَرْبَ غُلَامٍ مِنْ سُلُولِ صَابِرِ

(١-١) ب ، ف : « لا نفر نشهد الله الذي لا إله إلا هو علينا بذلك » .

(٢) ب ، ف : « وتسمى » . (٣) سورة الأحزاب : ١٦ .

(٤) ب ، ف : « الموهبي » .

ودخل شبيب عسكرهم ، وحمل سُويد بن سليم في ميسرة شبيب على
 ميمنة عثمان بن قَظَن فهِزَمَهَا ، وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي ،
 فنزل خالد فقاتل (١) قتالاً شديداً ، وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على
 رُبع كِنْدَة وربيعة يومئذ ، وهو صاحب الميمنة ، فلم ينثن شبيب حتى علاه (٢)
 بالسيف فقتله ، ومضى عثمان بن قَظَن وقد نزلت معه العُرفاء وأشرافُ الناس
 والفرسان نحو القلب ، وفيه أخو شبيب في نحو من ستين راجلاً ، فلماً دنا
 منهم عثمان بن قَظَن شدَّ عليهم في الأشراف وأهل الصبر فصار بهم حتى
 فرقوا بينهم ، وحمل شبيب بالخيال من ورائهم ، فما شعروا إلا والرماح في
 أكتافهم تكسبتهم لوجوههم ، وعطف عليهم سُويد بن سليم أيضاً في
 خيَله ، ورجع مصاد وأصحابه ، وقد كان شبيب رجلاً ، فاضطربوا
 ساعة ، وقاتل عثمان بن قَظَن فأحسن القتال . ثم إنهم شدوا عليهم فأحاطوا
 به ، وحمل عليه مصاد أخو شبيب فضربه ضربة بالسيف استدار لها ،
 ثم قال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعَهُ ﴾ (٣) . ثم إن الناس قتلوه ، وقتل يومئذ الأبرد بن
 ربيعة الكندي ، وكان على تل ، فألقى سلاحه إلى غلامه وأعطاه فرسه ،
 وقاتل حتى قُتِل . ووقع عبدُ الرحمن فرأه ابنُ أبي سبرة الجعفي وهو على
 بغلة فعرفه ، فنزل إليه فناوله الرمح وقال له : اركب ، فقال عبدُ الرحمن
 ابنُ محمد : أينما الرديف ؟ قال ابنُ أبي سبرة : سبحان الله ! أنت الأمير
 تكون المقدم ، فركب وقال لابن أبي سبرة : ناد في الناس : الحقوا بدير
 أبي مرثم ، فنادى ، ثم انطلقا ذاهبين ، ورأى واصل بن الحارث السكوني
 فرس عبدُ الرحمن الذي حملة عليه الجزل يسجل في العسكر ، فأخذها
 بعض أصحاب شبيب ، فظن أنه قد هلك ، فطلبه في القتلى فلم يجده ،
 وسأل عنه فقيل له : قد رأينا رجلاً قد نزل عن دابته فحملته عليها ، فأخلفه
 أن يكون إتياءه ، وقد أخذ هاهنا آنفاً . فأتبعه واصل بن الحارث على
 برذونه ومع واصل غلامه على بغل ، فلماً دنوا منهما قال محمد بن
 أبي سبرة لعبدُ الرحمن : قد والله لحق بنا فارسان ، فقال عبدُ الرحمن : فهل

(١) ب ، ف : « وقاتل » .

(٢) ب ، ف : « عطف » .

(٣) الأحزاب : ٣٧ .

غيرُ اثنين ؟ فقال : لا ، فقال عبد الرحمن : فلا يعجز اثنان عن اثنين .
قال : وجعل يحدث ابن أبي سبيرة كأنه لا يكثر بهما ، حتى لحقهما
الرجلان ، فقال له ابنُ أبي سبيرة : رحمك الله ! قد لحقننا الرجلان ،
فقال له : فانزل بنا ، فنزلا فانضيا سيفيهما ، ثم مضيا إليهما ، فلما رأهما ٩٣٨/٢
واصبل عرفهما ، فقال ^(١) لهما : إنكما قد تركتما النزول في موضعه ، فلا تنزلا
الآن ، ثم حسر العمامة عن وجهه ، فعرفاه فرحبا به ، وقال لابن الأشعث :
إني لمّا رأيتُ فرسك يحولُ في العسكر ظننتُك راجلا ، فأنتيتك ببرذوني هذا
لتركيبته ، فترك لابن أبي سبيرة بغلته ، وركب البرذون ، وانطلق
عبدُ الرحمنُ بنُ الأشعث حتى نزل دَيْرَ اليعار ، وأمر شبيبُ أصحابه
فرفعوا عن الناس السيف ، ودعاهم إلى البسيعة ، فأتاه من بقي من الرجال
فبايعوه ، وقال له أبو الصقير ^(٢) الخلمي : قتل من الكوفيين سبعة في جوف
النهر كان آخرهم رجلا تعلق بثوبي وصاح ، ورهبنى حتى رهبته ، ثم
إني أقدمت عليه فقتلته . وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من
سائر الناس أو ستمائة ، وقتل عظم العرفاء يومئذ .

قال أبو مخنف : حدثني قدامة بن حازم بن سُفيان الخشعمي
أنه قتل منهم يومئذ جماعة ، وبات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بدير
اليعار ، فأتاه فارسان فصعدا إليه فوق البيت ، وقام آخرُ قريبا منهما فخلا
أحدهما بعبد الرحمن طويلا يناجيه ، ثم نزل هو وأصحابه ، وقد كان الناس
يتحدثون أن ذلك كان شبيباً ، وأنه قد كان كاتبه ، ثم خرج عبد الرحمن
آخر الليل فسار حتى أتى دَيْرَ أبي مريم ، فإذا هو بأصحاب الخيل قد وضع ٩٣٩/٢
لهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبيرة صُبرَ الشعير والقَتَ بعضه على بعض
كأنه القصور ، ونحر لهم من الجزر ^(٣) ما شاءوا ، فأكلوا يومئذ ، وعكفوا دوابهم ،
 واجتمع الناس إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له : إن سمع
شبيبُ بمكانك أتاك وكنيت له غنيمة ، قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم
فالحق أيها الرجل بالكوفة . فخرج إلى الكوفة ورجع الناس أيضاً ، وجاء

(١) ب ، ف : « وقال » . (٢) ط : « الصفر » . (٣) ا : « الجزور » .

فاختبأ من الحجّاج حتّى أخذ الأمان بعد ذلك .

* * *

[نقش الدنانير والدراهم بأمر عبد الملك بن مروان]

وفي هذه السنّة أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم .
ذكر الواقدي : أن سعد بن راشد حدّثه عن صالح بن كيسان بذلك .
قال : وحدّثني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، أن عبد الملك ضرب
الدراهم والدنانير عامئذ ، وهو أوّل من أحدث ضربها .
قال : وحدّثني خالد بن أبي ربيعة ، عن أبي هلال ، عن أبيه ،
قال : كانت مثاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين
قيراطاً إلاّ حبةً ، وكان العشرة وزن سبعة .

قال : وحدّثني عبد الرحمن بن جرير اللّيثي عن هلال بن أسامة قال :
سألت سعيد بن المسيّب في كتم تجيب الزكاة من الدنانير ؟ قال : في كل
عشرين مثقالاً بالشأى نصف مثقال ، قلت : ما بال الشأى من المصري ؟
قال : هو الذي تضرب عليه الدنانير . وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب
الدنانير ، كانت (٢) اثنين وعشرين قيراطاً إلاّ حبةً ، قال سعيد . قد عرفته ،
قد أرسلت بدنانير إلى دمشق فضربت على ذلك .

* * *

وفي هذه السنّة : وفد يحيى بن الحَكَم على عبد الملك بن مروان
ووليّ أبان بن عثمان المدينة في رجب .
وفيهما استقضى أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خدّاش من
بنى عامر بن لؤي .

وفيهما وليد مروان بن محمد بن مروان .
وأقام الحجّ للناس في هذه السنّة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة ،
حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ،
عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

وكان على الكوفة والبصرة الحجّاج بن يوسف ، وعلى خراسان أميّة بن
عبدالله بن خالد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

[معاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلها]

ففي هذه السنة قتل شبيب عتّاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية
* ذكر الخبر عن سبب مقتلهما :

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام^(١) عن أبي مخنف ، عن عبد الرحمن
ابن جندب وفتروة بن لقيط ، أن شبيباً لما هزم الجيش الذي كان
الحجاج وجهه^(٢) مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إليه ، وقتل عثمان
ابن قطن ، وذلك في صيف وحر شديد ، اشتد الحر عليه وعلى أصحابه ،
فأتى ما به من إزدان فتصيف بها ثلاثة أشهر ، وأتاه ناس كثير ممن يطلب
الدنيا فليحققوا به ، وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تباعات ؛
كان منهم رجل من الحمي يقال له الحر بن عبد الله بن عوف ، وكان
دهقانان من أهل نهر درقيط قد أساءا إليه وضيقتا عليه ، فشدد عليهما
فقتلهما ، ثم لحق بشبيب فكان معه بماء ، وشهيد معه مواظنه حتى
قتل ، فلما آمن الحجاج كل من كان خراج إلى شبيب من أصحاب
المال والتباعات — وذلك بعد يوم السبت — خرج إليه الحر فيمن خرج ،
فجاء أهل الدهقانين يستعدون عليه الحجاج ، فأتى به فدخل ، وقد
أوصى ويثس من نفسه ، فقال له الحجاج : يا عدو الله ، قتلت رجولين
من أهل الخراج ! فقال له : قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا ، فقال :
وما هو ؟ قال : خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ، ثم آمنت كل من
خرج إليك ، فهذا أمانى وكتابك لى . فقال له الحجاج : أولى لك ! قد
لعمري فعلت ، وخلصت سبيلك .

قال : ولما انفسخ الحر عن شبيب خرج من ماء في نحو من ثمانمائة
رجل ، فأقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبة ، فجاء

(١) ب ، ف بعدها : « بن محمد » . (٢) ب ، ف : « وجهه الحجاج » .

حتَّى نزل قناطر حُدَيْفَةَ بن اليمَان ، فكتب ماذرواسب عظيم بابل مهروذ إلى الحجَّاج :

أَمَّا بعد : فلمَّا أُخْبِرَ الأميرُ أَصْلَحَهُ اللهُ أَنْ شَيْبِيًّا قد أَقْبَلَ حتَّى نزل قناطر حُدَيْفَةَ ، ولا أدري أين يُريد !

فلمَّا قرأ الحجَّاج كتابه قام في الناس فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثمَّ قال : أيُّها الناس ، والله لتقاتِلُنَّ عن بلادكم وعن فَيَسْئَلُكم أَوْ لأبعثنَّ إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبرُ على اللأواء والغِيظ منكم ، فيقاتلون عدوَّكم ، ويأكلون فيئلكم .

فقام إليه الناس من كلِّ جانب ، فقالوا : نحن نُقاتِلُهم ونُعَيِّبُ الأميرَ ، فليندبنا الأميرُ إليهم فإنَّنا حيث سرَّه . وقام إليه زُهْرَةُ بن حَوَيْة وهو شيخ كبيرٌ لا يستمَّ قائمًا حتَّى يؤخِّدَ بيده . فقال له : أَصْلَحَ اللهُ الأميرُ ! إنَّكَ إنَّما تبعْتَ إليهم الناسَ متقطَّعين ، فاستنْفِرِ الناسَ إليهم كافَّةً فليستفروا إليهم كافَّةً ^(١) ، وابعثْ عليهم رجالًا نُسَبِّتُ أشْجَاعًا مجرَّبًا للحرب ممَّن يرى القرارَ هَضْمًا وعارًا والصبرَ مجدًّا وكرمًا . فقال الحجَّاج : فأنت ذاك فاخرج ، فقال : أَصْلَحَ اللهُ الأميرُ ! إنَّما يصلح للناس في ^(٢) هذا رجل يَحْمِلُ الرَّمحَ والدَّيْعَ ، ويهزُّ السيفَ ، ويثبت على متن الفرس ، وأنا لا أطيق من هذا شيئًا ، وقد ضعف بصري وضعفتُ ، ولكن أخرجني في الناس مع الأمير ، فلمَّا أثبت على الراحلة ^(٣) فأكون مع الأمير في عسكره وأشيرَ عليه برأيي . فقال له الحجَّاج : جزاك الله عن الإسلام وأهله في أوَّل الإسلام خيرًا ، وجزاك الله عن الإسلام في آخِرِ الإسلام خيرًا ، فقد نصحت وصدقت ، أنا مُخْرِجُ الناسَ كافَّةً . ألا فسيروا أيُّها الناس . فانصرف الناسُ فجعلوا يسيرون وليس يَدْرُونَ مَنْ أميرُهم !

٩٤٣/٢

وكتب الحجَّاج إلى عبد الملك بن مروان :

أَمَّا بعد ، فلمَّا أُخْبِرَ أميرُ المؤمنين أَكْرَمَهُ اللهُ أَنْ شَيْبِيًّا قد شارف المدائن وإنَّما يريد الكوفة ، وقد عجز أهلُ الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة ، في

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فليستفروا إليهم » (٢) ١ ، س : « الناس في هذا » .

(٣) س : « الرجالة » .

كلها يَسْقُطُ أمراءهم ، وَيَسْقُطُ جنودهم ؛ فَإِنْ رَأَى أميرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فَيُقَاتِلُوا ^(١) عَدُوَّهُمْ وَيَأْكُلُوا بِلَادَهُمْ فَلْيَسْجُلْ ، وَالسَّلَامُ .

فَلَمَّا أَتَى عَبْدَ الْمَلِكِ كِتَابُهُ بَعَثَ إِلَيْهِ سُفْيَانُ بْنُ الْأَبْرَدِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَكَمِيِّ ^(٢) مِنْ مَدَنُ حِجْزٍ فِي الْفَيْنِ ، فَسَرَّحَهُمْ ٩٤٤/٢
حِينَ أَتَاهُ الْكِتَابُ إِلَى الْحِجَّاجِ ، وَجَعَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ يَتَجَهَّزُونَ إِلَى شَيْبِ
وَلَا يَدْرُونَ مَنْ أَمِيرُهُمْ ! وَهُمْ يَقُولُونَ : يَبْعَثُ فَلَانًا أَوْ فَلَانًا ، وَقَدْ بَعَثَ
الْحِجَّاجُ إِلَى عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ لِيَأْتِيَهُ وَهُوَ عَلَى خَيْمِلِ الْكُوفَةِ مَعَ الْمُهَلَّبِ ،
وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْجَيْشُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ هُمُ الَّذِينَ كَانَ بِشِيرُ بْنُ مُرْوَانَ بَعَثَ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ عَلَيْهِمْ إِلَى قَطْرَى ، فَلَمْ يَلْبَثْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
مَخْنَفٍ إِلَّا نَحْوًا مِنْ شَهْرَيْنِ حَتَّى قَدِمَ الْحِجَّاجُ عَلَى الْعِرَاقِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ
عَلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ بَعْدَ قُدُومِ الْحِجَّاجِ إِلَّا رَجَبَ وَشَعْبَانَ ،
وَقَتَلَ قَطْرَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ فِي آخِرِ رَمَضَانَ ، فَبَعَثَ الْحِجَّاجُ عَتَّابَ بْنَ
وَرْقَاءَ عَلَى ذَلِكَ الْجَيْشِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ الَّذِينَ أُصِيبَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ مَخْنَفٍ ، وَأَمَرَ الْحِجَّاجُ عَتَّابًا بِطَاعَةِ الْمُهَلَّبِ ، فَكَانَ ذَلِكَ قَدْ كَبُرَ عَلَى
عَتَّابٍ ، وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُهَلَّبِ شَرٌّ ، حَتَّى كَتَبَ عَتَّابٌ إِلَى الْحِجَّاجِ
يَسْتَغْفِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ وَيُضَمُّهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَهُ كِتَابُ الْحِجَّاجِ
بِلَايَانِهِ سَرَّ بِذَلِكَ .

قَالَ : وَدَعَا الْحِجَّاجُ أَشْرَافَ أَهْلِ الْكُوفَةِ ؛ فِيهِمْ زُهْرَةُ بْنُ حَوَيْيَةَ
السَّعْدِيُّ مِنْ بَنِي الْأَعْرَجِ ، وَقَبِيصَةُ بْنُ وَالْقِ تَغْلِبِي ، فَقَالَ لَهُمْ : مَنْ
تَرَوْنَ أَنْ أُبْعَثَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ ؟ فَقَالُوا : رَأَيْتُكَ أَيْتَهَا الْأَمِيرَ أَفْضَلَ ؛ قَالَ :
فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَى عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ ؛ وَهُوَ قَادِمٌ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَةَ أَوِ الْقَابِلَةَ ، ٩٤٥/٢
فَيَكُونُ هُوَ الَّذِي يَسِيرُ فِي النَّاسِ ^(٣) ؛ قَالَ زُهْرَةُ بْنُ حَوَيْيَةَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ !
رَمَيْتَنَّهُمْ بِحَجَرِهِمْ ، لَا وَاللَّهِ لَا يَرْجِعُ إِلَيْكَ حَتَّى يَظْفَرُ أَوْ يُقْتَلَ .
وَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ بْنُ وَالْقِ : إِنِّي مُشِيرٌ عَلَيْكَ بِرَأْيِي ، فَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَبَعْدَ

(١) ب ، ف : « فليقاتلوا » . (٢) بعدها في ب ، ف : « من حكم سعد العشرة » .

(٣) ب ، ف : « بالناس » .

اجتهادى فى النصيحة لأُمير المؤمنين وللأُمير ولعامة المسلمين ، وإن يك صواباً فاللهُ سَدَدنى له ؛ إِنَّا قد تحدَّثنا وتحدَّث الناسُ أنَّ جيشاً قد فصل إليك من قبيل الشام ، وأن أهل الكوفة قد هزُموا وفلُّوا واستخفُّوا بالصبر ، وهان عليهم عارُ الفِراق ، فقلوبهم كأنَّها ليست فيهم ، كأنَّما هى فى قوم آخرين ، فإن رأيت أن تبعث إلى جيشك الذى أُمَدَدت به من أهل الشام . فإِخذوا حذرهم ، ولا يبيتوا إلَّا وهم يرون أنَّهم مُبيِّتون فعلت ، فإنك تُحارب حوَّلاً قَلْباً ، طَعَناناً رَحْلاً ، وقد جهَّزت إليه أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كلِّ الثقة ، وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الذين بُعثوا إليك من الشام . إنَّ شبيباً بينا هو فى أرضٍ إذ هو فى أخرى ، ولا آمن أن يأتيتهم وهم غارون فلم يَهْلِكوا نَهْلَكَ ويَهْلِكَ العراق . فقال : لله أنت ! ما أحسن ما رأيت ! وما أحسن ما أشرت به على !

قال : فبعث عبد الرحمن بن الغرق مولى عَقِيل إلى مَنْ أَقبل من أهل الشام ، فأَتاهم وقد نزلوا هَيْتَ بكتاب من الحِجَّاج :

أَمَّا بعد ، فإذا حاذَيْتُمْ هَيْتَ ^(١) فدَعَوْا طريقَ الفُرات والأنبار ، وخذوا على عين التمر حتَّى تقدُموا الكوفة إن شاء الله ، وخذوا حذرکم ، وعجِّلوا السَّير . والسلام .

٩٤٦/٢

فأقبل القومُ سِراعاً . قال : وقدم عتاب بنُ وَرْقَاء فى اللَّيْلَةِ الَّتِى قال الحِجَّاج إِنَّه قادم عليكم فيها ، فأمره الحِجَّاج فخرج بالناس فَعَسَكَرَ بهم بِحَمَّامِ أَعْيَنَ ، وأقبل شبيب حتَّى انتهى إلى كَلْبُواذَا ففقطع منها دِجْلَةً ، ثُمَّ أَقبل حتَّى نَزَلَ مدينةَ بَهْرَسِير الدُّنْيَا . فصار بينه وبين مطرَف بن المغيرة ابن شُعْبَةَ جِسْر دِجْلَةٍ .

فلَمَّا نزل شبيب مدينةَ بَهْرَسِير قَطَعَ مطرَفُ الجِسْرِ ، وبعث إلى شبيب : أن ابعث إلى رجالا من وجوه أصحابك أدارِسهم القرآن ، وأنظر فيما تدعو إليه . فبعث إليه شبيب رجالاً من وجوه أصحابه ؛ فيهم قَعْنَب وسُوَيْد والمحلَّل ، فلَمَّا أرادوا أن ينزلوا فى السفينة بعث إليهم شبيب أَلَّا

تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسول من عند مطرف ، فرجع الرسول .
 وبعث إلى مطرف أن ابعث إلى من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا
 رهناً في يدي حتى تردّ علي أصحابي . فقال مطرف لرسوله : القته وقل
 له : كيف آمنك أنا على أصحابي إذا أنا بعثتهم الآن إليك ، وأنت
 لا تأمنني على أصحابك ! فرجع الرسول إلى شبيب فأبلغه ، فأرسل إليه
 شبيب : إنك قد علمت أننا لا نستحل الغدر في ديننا ، وأنتم تفعلونه
 وتستحلونه ، فبعث إليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدي وسليمان بن
 حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولاه وصاحب حرّسه ،
 فلما صاروا في يدي^(١) شبيب سرح إليه أصحابه ، فأثروا مطرفاً فكنوا أربعة
 أيام يتراسلون ، ثم لم يتفقوا على شيء ، فلما تبين لشبيب أن مطرفاً غير
 تابعه ولا داخل معه تهيأ للمسير إلى عتّاب بن ورقاء وإلى أهل الشام .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعا رؤوس
 أصحابه فقال لهم : إنّه لم يشطني على رأي قد كنت رأيته إلا هذا الشقني
 منذ أربعة أيام ، قد كنت حدثت نفسي أن أخرج في جريدة خيل حتى
 ألقى هذا الجيش المقبل من الشام رجاء أن أصادف غيرتهم أو يحذروا
 فلا أبالي كنت ألقاهم منقطعين من المضر ، ليس عليهم أمير كالحجاج
 يستندون إليه ولا مضر كالكوفة يعتصمون به ؛ وقد جاءني عيونني اليوم
 فحبروني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر ، فهم الآن قد شارفوا الكوفة ،
 وجاءني عيونني من نحو عتّاب بن ورقاء فحدثوني أنه قد نزل بجماعة أهل
 الكوفة الصّراة ، فأقرب ما بيننا وبينهم ! فتيسروا بنا للمسير إلى عتّاب بن ورقاء .

قال : وخاف مطرف أن يبلغ خبره وما كان من إرساله إلى شبيب
 الحجاج ، فخرج نحو الجبال ، وقد كان أراد أن يقيم حتى ينظر ما يكون
 بين شبيب وعتّاب ، فأرسل إليه شبيب : أمّا إذ لم تبايعني فقد نبذت إليك
 على سواء ، فقال مطرف لأصحابه : اخرجوا بنا وافرّين فإن الحجاج
 سيقاتلنا ، فيقاتلنا وبنا قوة أمّسل . فخرج ونزل المدائن ، فعقد شبيب الجسر ،

وبعث إلى ^(١) المدائن أخاه مصادًا ، وأقبل إليه عتّاب حتى نزل بسوق حكمة ، وقد أخرج الحجّاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم ، ومن نشط إلى الخروج ^(٢) من شبائهم ^(٣) ، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفاً سوى الشّباب ، ووافى مع عتّاب يومئذ أربعون ألفاً من المقاتلة وعشرة آلاف من الشّباب بسوق حكمة ، فكانوا خمسين ألفاً ، ولم يدع الحجّاج قرشيّاً ولا رجلاً من بيوتات العرب إلّا أخرجه .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب ، قال : سمعتُ الحجّاج وهو على المنبر حين وجه عتّاباً إلى شيب في الناس وهو يقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا مع عتّاب بن ورقاء بأجمعكم ، لا أرخص لأحد من الناس في الإقامة إلّا رجلاً قد وليناه من أعمالنا . إلّا إن للصّابر المجاهد الكرامة والأثرة ، إلّا وإنّ للناكل الهارب ^(٤) الهوان والجفوة . والذّي لا إله غيره لن فعلتم في هذا الوطن كفعلكم في المواطن التي كانت لأوليتكم كنفاً خشناً ، ولأعزّ كنكم بيكلكل ثقیل . ثم نزل ، وتوافى الناس مع عتّاب بسوق حكمة .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : عرضنا شيباً بالمدائن فكنتا ألف رجل ، فقام فينا فحميد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر المسلمين ، إنّ الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلاً ، وأنقص منه قليلاً ، فأنتم اليوم مئون ومئون ، إلّا إني مصلّ الظهر ثم سائر بكم . فصلّى الظهر ثم نودى في الناس : يا خيل الله اركبي وأبشيري ، فخرج في أصحابه ، فأخذوا يتخلفون ويتأخرون ، فلمّا جاوزنا ساباط ونزلنا معه قصص علينا وذكرنا بأيام الله ، وزهدنا في الدنيا ، ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة ، ثم أمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدّم فصلّى بنا العصر ، ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتّاب بن ورقاء وأصحابه ، فلما أن رأهم من ساعتِهِ نزل وأمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدّم فصلّى بنا المغرب ،

٩٤٩/٢

(١) ١ : «على المدائن» . (٢) ب ، ف : «للخروج» . (٣) ب ، ف : «من شبائهم» .

(٤) ب ، ف : «للكاكل وللهارب» : ١ «للكاكب الهارب» .

وكان مؤذنه سلام بن سَيَّار الشَّيبَانِي ، وكانت عيونُ عَتَّاب بن وَرْقَاء قد جاءوه فأخبروه أَنَّهُ قد أَقبل إليه ، فَخَرَجَ بالناس كلَّهم فعبَّأهم ، وكان قد خندق أول يوم نزل ، وكان يُظهر كلَّ يوم أَنَّهُ يريد أن يسير^(١) إلى شبيب بالمدائن^(٢) ، فبلغ ذلك شبيباً ، فقال : أسيرُ إليه أَحَبَّ إلىَّ من أن يسير إلىَّ ، فَأَتَاهُ ، فلمَّا صَفَّ عَتَّابُ الناسَ بعثَ على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وقال : يا بن أخي ، إِنَّكَ شريف فاصبر وصابر ، فقال : أمَّا أنا فوالله لأقاتلنَّ ما نُسبتَ معي لإنسان. وقال لقبيصة بن النقي — وكان يومئذ على ثلثِ بني تغلب : اكفني الميسرة ، فقال : أنا شيخٌ كبير ، كثيرٌ مني أن أثبت^(٣) تحت رأيتي ، قد انبت مني^(٤) القيام ، ما أستطيع القيام إلَّا أن أقام ؛ ولكنَّ هذا عبيد الله بن الحليس ونُعيم بن عُلَيم التغلبيَّان — وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب — فقال : ابعث أيتهما أحببت ، فأيتهما بعثت فلتبعنَّ ذا حزم وعزم^(٥) وغناء . فبعث نُعيم بن عُلَيم على ميسرته ، وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي — وهو ابن عم عَتَّاب شيخ أهل بيته — على الرِّجَالَة ، وصفَّهم ثلاثة صفوف : صفٌّ فيهم الرجال معهم السيوف ، وصفَّ وهم^(٥) أصحاب الرِّمَاح ، وصفَّ فيه المُرَاميَّة ، ثُمَّ سار فيما بين الميمنة إلى الميسرة يمرُّ بأهل راية راية ؛ فيحثُّهم على تقوى الله ، ويأمرهم بالصبر ويتقصَّ عليهم .

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله أن تميم بن الحارث الأزدي قال : وقَّف علينا فقَصَّ علينا قصصاً كثيراً ، كان ممَّا حفظتُ منه ثلاث كلمات ؛ قال : يا أهل الإسلام ، إنَّ أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقه بأحمدَ منه للصَّابرين ، ألا ترون أَنَّهُ يقول : ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٦) ! فن حَمِدَ اللهُ فعله فَا أعظم

(١ - ١) ب ، ف : « يلقى شبيباً بالمدائن وأن يسير إليه » .

(٢) ١ : « أبيت » . (٣) ب ، ف : « فقد انبت » .

(٤) ١ : « وحد » . (٥) ب ، ف : « قبلهم » . (٦) سورة الأنفال: ٤٦ .

درجته ، وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغى ؛ ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ، لا يرون إلا أن ذلك لهم قرينة عند الله ! فهم شرار أهل الأرض وكيلا ب أهل النار ، أين القصاص ؟ قال ذلك فلم يجبه والله أحد منّا ؛ فلمّا رأى ذلك ، قال : أين من يروى شعر عنترة ؟ قال : فلا والله مارّد عليه إنسان كلمة . فقال : إنّنا لله ! كأني بكم قد فررتم عن عتّاب بن ورقاء وتركتموه تسبّي في امته الريح .

ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهنم العدوي . وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد تخلّف عنه من الناس أربعمائة ، فقال : لقد تخلّف عنّا من لا أحب أن يرى فينا . فبعث سويد بن سليم في مائتين إلى الميسرة ، وبعث المحلل بن وائل في مائتين إلى القلب ، ومضى هو في مائتين إلى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر ، فناداهم : لِمَن هذه الرايات ؟ قالوا : رايات ربيعة . فقال : شبيب : رايات طالما نصرت الحق ، وطالما نصرت الباطل ، لها في كل نصيب ، والله لأجاهدنكم محتسباً للخير في جهادكم ، أنتم ربيعة وأنا شبيب ، أنا أبو المدلّة ، لا حكم إلا للحكم ، اثبتوا إن شئتم . ثم حمّل عليهم وهو على (١) مسنة أمام الخندق ففضّهم ، فثبت أصحاب رايات قبضة بن والقي وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم ، فقتلوا ، وانهزمت الميسرة كلّها وتنادى أناس من بني تغلب : قتل قبضة بن والقي . فقال شبيب : قتلتم قبضة بن والقي التغلبيّ يا معشر المسلمين ! قال الله :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٢) ، هذا مثل ابن عمكم قبضة بن والقي ، أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأسلم ، ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين ! ثم وقف عليه فقال : ويحك ! لو ثبت على إسلامك الأول سعدت ، ثم حمل من الميسرة على عتّاب بن ورقاء ، وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن ،

٩٥٢/٢

(١) : « في مسنة » .

(٢) سورة الأعراف : ١٧٥ .

فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم وهمّدان ، فأحسنوا القتال ، فما زالوا كذلك حتى أتموا فتيلاً لهم : قَتَلَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ، فَاَنْصَفُوا ، وَلَمْ يَزَلْ عَتَّابُ جَالِسًا عَلَى طَنْفِ نَفْسِهِ فِي الْقَلْبِ وَزُهْرَةُ بْنُ حَوَيْيَةَ مَعَهُ ، إِذْ غَشِيَهُمْ شَيْبٌ ، فَقَالَ لَهُ عَتَّابُ : يَا زُهْرَةُ بْنُ حَوَيْيَةَ ، هَذَا يَوْمٌ كَثُرَ فِيهِ الْعَدَدُ ، وَقَتْلٌ فِيهِ الْغَنَاءُ ، وَالْهَفَى عَلَى خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ نَحْوِ رِجَالِ تَمِيمٍ مَعِيَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ ! أَلَا صَابِرٌ لِعَدُوِّهِ ! أَلَا مُؤَاسٍ بِنَفْسِهِ ! فَاَنْصَفُوا عَنْهُ وَتَرَكَوْهُ ، فَقَالَ لَهُ زُهْرَةُ : أَحَسَنْتَ يَا عَتَّابُ ، فَعَلْتَ فَعْلَ مِثْلِكَ ، وَاللَّهِ وَاللَّهُ لَوْ مَنْحَتَهُمْ كَتَفَكَ مَا كَانَ بِقَاوِكَ إِلَّا قَلِيلًا ، أَبَشِّرْ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَهْدَى إِلَيْنَا الشَّهَادَةَ عِنْدَ فَنَاءِ أَعْمَارِنَا ؛ فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا جَزَى أَمْرًا (١) بِمَعْرُوفٍ وَحَاشَا عَلَى تَقْوَى .

فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ شَيْبٌ وَثَبَ فِي عَصَابَةٍ صَبَرَتْ مَعَهُ قَلِيلَةٌ ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَقَالَ لَهُ عَمَّارُ بْنُ يُزَيْدٍ الْكَلْبِيُّ مِنْ بَنِي الْمَدِينَةِ : أَصْلَحَ حَسَبُكَ اللَّهُ ! إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَدْ هَرَبَ عَنْكَ فَاَنْصَفْ (٢) مَعَهُ أَنَاسٌ كَثِيرٌ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ فَرَ قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَمَا رَأَيْتُ ذَلِكَ الْفَتَى يُبَالِي مَا صَنَعَ ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ سَاعَةً وَهُوَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطَ مَوْطِنًا لَمْ أَبْتَلْ بِمِثْلِهِ قَطَ أَقْلٍ مَقَاتِلًا وَلَا أَكْثَرَ هَارِبًا خَاذِلًا ؛ فَرَأَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبٍ مِنْ أَصْحَابِ شَيْبٍ مِنْ بَنِي زَيْدٍ بَنِ عَمْرِو يَقَالُ لَهُ عَامِرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ عَمْرِو ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَ دَمًا فِي قَوْمِهِ ، فَلَحِقَ بِشَيْبٍ ، وَكَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ ، فَقَالَ لِشَيْبٍ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأُظَنُّ هَذَا الْمُتَكَلِّمُ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ ! فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَطَعَنَتْهُ ، فَوَقَعَ فَكَانَ هُوَ وَبَلَ قَتَلَهُ . وَوُطِئَتْ الْخَيْلُ زُهْرَةُ بْنُ حَوَيْيَةَ ، فَأَخَذَ يَسْدُبُ بِسَيْفِهِ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ ، فَجَاءَ الْفَضْلُ بْنُ عَامِرِ الشَّيْبَانِيِّ فَتَقَتَلَهُ ، فَانْتَهَى إِلَيْهِ شَيْبٌ فَوَجَدَهُ صَرِيحًا فَعَرَفَهُ ، فَقَالَ : مَنْ قَتَلَ هَذَا ؟ فَقَالَ الْفَضْلُ : أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَالَ شَيْبٌ : هَذَا زُهْرَةُ حَوَيْيَةَ ، أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْ كُنْتُ قَتَلْتُ عَلَى ضَلَالَةٍ لَرَبِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ حَسَّنَ فِيهِ بِلَاؤُكَ ، وَعَظُمَ فِيهِ غَسَاؤُكَ ! وَلَرَبَّ خَيْلٍ لِلْمُشْرِكِينَ قَدْ هَزَمَتْهَا ، وَسَرِيَّةٌ لَهُمْ قَدْ

٩٥٤/٢

(١) كَذَا فِي أ ، وَفِي ط : « أَمْرُ الْمَعْرُوفِ » . (٢) ب ، ف : « وَأَنْصَفَ عَنْكَ » .

ذعرتها^(١) وقرية من قراهم جَمَّ^(٢) أهلها قد افتتحتها ، ثم كان في عِلِم الله أن تُقتل ناصراً للظالمين !

قال أبو مخنف : فحدثني فَرْوَة بنُ لَقَيْط قال : رأينا والله توجَّع له ، فقال رجل من شُبَّان بكر بن وائل : والله إن أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجَّع لرجل من الكافرين ! قال : إنك لست بأعرف بضلالتهم مني ، ولكنني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ؛ ما لو ثبتوا عليه كانوا إخواناً . وقُتِل في المعركة عَمَّار بن يزيد الكلبى ، وقُتِل أبو خَيْشمة بن عبد الله يومئذ ، واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس ، فقال : ارفعوا عنهم السيف ، ودعا إلى البيعة ، فبايعه الناس من ساعتهم ، وهربوا من تحت ليلتهم ، وأخذ شبيب يُبايعهم ، ويقول : إلى ساعة يَهْرُبُونَ . وحوى شبيب على ما في العسكر ، وبعث إلى أخيه ، فأتاه من المدائن ، فلماً وافاه بالعسكر أقبل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قرّة يومين ، ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة ، وقد دخل سُفْيَان بنُ الأبرد الكلبى وحبيب بن عبد الرحمن الحكيم من مَدْحِج فيمن معهما من أهل الشام الكوفة ، فشَدَّوا للهِجَاج ظهراً ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة ، فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد يا أهل الكوفة ، فلا أعزّ الله من أراد بكم العِزَّ ، ولا نصّر من أراد بكم النَّصْر ، اخرجوا عنّا ، ولا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملاً ، ومن لم يكن شهيد قتال عَتَّاب بنِ رِقاء .

٩٥٥/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : والله لخرَجنا نَسْتَبِيع آثارَ الناس ، فانتَهَيْنا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وهما يمشيان كأنى أنظر إلى رأس عبد الرحمن قد امتلاً طيناً ، فصددت عنهما ، وكرهت أن أذعرهما ، ولو أنى أودن بهما أصحاب شبيب لقتلنا مكانهما ، وقلت في نفسي : لئن سقت إلى مثليكما من قوى القتل ما أنا برشيد الرأي ؛ وأقبل شبيب حتى نزل الصّراة .

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « أغرتها » ، وفي ب ، ف : « فلها » . (٢) ١ : « حم أهلها » .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن سوار أن شبيباً خرج يريد الكوفة ، فانتهى إلى سورا ، فندب الناس ، فقال : أيُّكم يأتيني برأس عامل سورا ؟ فانتدب له بطينٌ وقعنّسٌ وسويد ورجلان من أصحابه ، فساروا مُعزّدين حتّى انتهوا إلى دار الخراج والعُمّال في سمرّجة^(١) فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا : أجيئوا الأمير ، فقالوا : أىّ الأمراء ؟ قالوا : أميرٌ خرج من قِبَل الحجاج يريد هذا الفاسق شبيباً ، فاغترّ بذلك العامل منهم . ثمّ إنهم شهّروا السيوف وحكّموا حين وصلوا إليه فضربوا عنقه ، وقبضوا على ما كان من مال ، ولحقوا بشبيب ، فلمّا انتهوا إليه قال : ما الذى أتيتُمونا به ؟ قالوا : جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال^(٢) ، والمال على دابة في بدوره ، فقال شبيب : أتيتُمونا بفتنة للمسلمين ، هلُمّ الحرّبة يا غلام ، فخرّق بها البدور ، وأمر فنُخس بالدابة والمال يُتناثر من بدوره حتّى وردت الصّراة ، فقال : إن كان بقى شىء فاقدفه فى الماء . ثمّ خرج إليه سُفّيان بن الأبرد مع الحجاج ، وكان أناه قبلَ خروجه معه ، فقال : ابعثنى أستقبله قبل أن يأتيلك ، فقال : ما أحبّ أن نفرّق حتّى ألقاه فى جماعتكم والكوفة فى ظهورنا والحصن فى أيدينا .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية]

وفى^(٣) هذه السنة دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجاج :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن موسى بن سوار ، قال : قدّم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدّسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشام الكوفة ، وكان مطرف بن المغيرة كتّسب إلى الحجاج : إن شبيباً قد أطلّ علىّ ، فابعث إلى المدائن بعثاً . فبعث إليه سبرة بن عبد الرحمن ابن مخنف فى مائتى فارس ، فلمّا خرج مطرف يريد الجبل خرج بأصحابه

(١) فى اللسان : « السمرج يوم جباية الخراج » . (٢) ب ، ف : « أمواله » .

(٣) قبلها فى ا : « قال محمد بن جرير » .

معه وقد أعلمهم ما يريد ، وكنتم ذلك سبيرة ، فلمّا انتهى إلى دسكرة الملك
 دعا سبيرة فأعلمه ما يريد ، ودعاه إلى أمره ، فقال له : نعم أنا معك ، فلمّا
 خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم ، وأقبل بهم فصادف^(١) عتّاب
 ابن رزقاء قد قُتِل وشبيباً قد مضى إلى الكوفة ، فأقبل حتى انتهى
 إلى قرية يقال لها بيطري ، وقد نزل شبيب حمّام عمر ، فخرج سبيرة
 حتّى يعبر الفرات في معبر قرية شاهی ، ثم أخذ الظّهر حتّى قدّم على الحجّاج ،
 فوجد أهل الكوفة مسنخوطاً عليهم ، فدخل على سُفيان بن الأبرّد ، فقصّ
 قصته عليه^(٢) وأخبره بطاعته وفراقه مطرّفًا ، وأنه لم يشهد عتّابًا ولم يشهد
 هزيمةً في موطن من مواطن أهل الكوفة ، ولم أزل للأمير عاملاً ، ومعى مائتا
 رجل لم يشهدوا معى هزيمة قطّ ، وهم على طاعتهم^(٣) ولم يدخلوا في فتنة .
 فدخل سُفيان إلى الحجّاج فخبّره بخبر^(٤) ما قصّ عليه سبيرة بن
 عبد الرحمن ، فقال : صدق وبرّ ! قلّ له : فليشهد معنا لقاء عدونا ،
 فخرج إليه فأعلمه ذلك . وأقبل شبيب حتّى نزل موضع حمّام أعين ،
 ودعا الحجّاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثّقفي فوجهه في
 ناس من الشرّط لم يكونوا شهدوا يوم عتّاب ، ورجالا كانوا عمّالا في نحو من
 مائتي رجل^(٥) من أهل الشام ، فخرج في نحو من ألف ، فنزل زُرارة ،
 وبلغ ذلك شبيباً ، فتعجّل إليه في أصحابه ، فلمّا انتهى إليه حمل عليه
 فقتلته ، وهزّم أصحابه ، وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة . وجاء شبيب
 حتّى قطع الجسر ، وعسكر دونه إلى الكوفة ، وأقام شبيب في عسكره ثلاثة
 أيّام ، فلم يكن في أول يوم إلّا قتل الحارث بن معاوية ، فلمّا كان في
 اليوم الثاني أخرج الحجّاج مواليسه وغلّمانه عليهم السلاح ، فأخذوا^(٦) بأفواه
 السكّك ممّا يلي الكوفة ، وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سكّكهم ،
 وخشوا إن لم يخرجوا مؤجلة الحجّاج وعبد الملك بن مروان . وجاء شبيب

٩٥٧/٢

٩٥٨/٢

(١) كذا في أ ، وفي ط : « فيصادف » . (٢) ب ، ف : « قصص عليه قصته » .

(٣) ف : « طاعته » . (٤) ب ، ف : « فأخبره بخبر هؤلاء وبخبر ما قص عليه » .

(٥) ب ، ف : « فارس » . (٦) ب ، ف : « وأخذوا » .

حتى أتيتي مسجداً في أقصى السَّبَّخَةِ مما يلي موقف أصحاب القَتِّ عند الإيوان ، وهو قائمٌ حتَّى الساعة ، فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجَّاج أبا الورْدَ مولًى له عليه تَجَنُّفٌ ، وأخرج بجفَّة كثيرة وغلماً نالاً له ، وقالوا : هذا الحجَّاج ، فَحَسَمَ عليه شبيبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحجَّاج فقد أَرَحْتُكُمْ منه .

ثم إن الحجَّاج أخرج له غلامه طُهمانَ في مثل تلك العُدَّة على مثل تلك الهَيْئَةِ ، فَحَسَمَ عليه شبيبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحجَّاج فقد أَرَحْتُكُمْ منه .

ثم إن الحجَّاج خرج ارتفاعَ النهار من القَصْرِ فقال : اثْنُونِي بِيَغْلٍ أركبُه ما بَيْنِي وبين السَّبَّخَةِ ، فأَتَى بِيَغْلٍ مَحْجَلٍ ، فقيل له : إنَّ الأعاجِمَ أصلحك الله تَطْيِئُ^(١) أن تَرْكَبَ في مثل هذا اليوم مثلَ هذا البِغْلِ ، فقال : أدنوه مِنِّي ، فإنَّ اليومَ يومٌ أغرَّ مَحْجَلٍ ؛ فركبه ثم خرج في أهل الشَّامِ حتَّى أخذ في سكة البريد ، ثم خرج في أعلى السَّبَّخَةِ ، فلما نظر الحجَّاج إلى شبيب^(٢) وأصحابه نزل ، وكان شبيب في سِتِّمِائَةِ فارس ، فلما رأى الحجَّاج قد خرج إليه أقبل بأصحابه ، وجاء سِبْرَةُ بنُ عبد الرحمن إلى الحجَّاج فقال : أين يأمرني الأمير أن أقف ؟ فقال : قفْ على أفواه السككِ ، فإن جاءوكم فكان فيكم قتالٌ فقاتلوا ، فانطلق حتَّى وقف في جماعة الناس ، ودعا الحجَّاج بكرسى له فقعَّعد عليه ، ثم نادى : يا أهل الشَّامِ ، أنتم أهلُ السَّمْعِ والطاعة والصَّبْرِ واليقين ، لا يغلبن باطلُ هؤلاء الأرجاس حَقِّكم ، غضُّوا الأبصار ، واجشُّوا على الرِّكَبِ ، واستقبلوا القوم بأطراف الأسنَّة ، فاجشُّوا على الركب ، وأشرعوا الرِّمَاحَ ، وكأنَّهم حِرة سوداء ، وأقبل إليهم شبيب حتَّى إذا دنا منهم عبى أصحابه ثلاثة كَراديسٍ ، كتيبة معه ، وكتيبة مع سُويد بن سُلَيم ، وكتيبة مع الحِمْلَلِ بن وائل ، فقال لسويد : احمل عليهم في خيلِكَ ، فَحَسَمَ عليهم ، فثبَّتوا له ، حتَّى إذا غَشِيَ أطراف الأسنَّة وثبَّوا في وجهه ووجوه أصحابه ، فطعنوهم^(٣) قَدْماً حتَّى انصرف ،

(١) : «تطير» . (٢) ب ، ف : « فلما رأى الحجَّاج شبيباً » . (٣) ب ، ف : « فطعنوه » .

وصاحَ الحَجَّاجُ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، هَكَذَا فافْعَلُوا . قَدَمَ كُرْسَى يا غلام ، وأمرَ شبيبَ المَحَلَّلِ فَحَمَلَ عَلَيْهِم ، ففَعَلُوا بِهِ مِثْلَ ما فَعَلُوا بِسُوَيْدٍ ، فَنَادَاهُمُ الحَجَّاجُ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ؛ هَكَذَا فافْعَلُوا ، قَدَمَ كُرْسَى يا غلام ^(١) .

ثُمَّ إِنَّ شَبِيبًا حَمَلَ عَلَيْهِم فِي كَتِيبَتِهِ فَشَبَّوْا لَهُ ، حَتَّى إِذَا غَشَى أَطْرَافَ الرِّمَاحِ وَثَبَّوْا فِي وَجْهِهِ ، فَقَاتَلَهُمْ طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ طَعَنُوهُ قَدَمًا حَتَّى أَلْحَقُوهُ بِأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا رَأَى صَبْرَهُمْ نَادَى : يا سُوَيْدُ ، احْمِلْ فِي خَسِيفِكَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ السَّكَةِ - يَعْنِي سِكَّةَ لِحْطَامِ جَرِيرٍ - لَعَلَّكَ تَزِيلُ أَهْلَهَا عَنْهَا ، فَنَأَى الحَجَّاجُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَنَحَلَ نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ أَمَامِهِ . فَاَنْفَرَدَ سُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ السَّكَةِ ؛ فَرَمَى مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ وَأَفْوَاهِ السَّكَكِ ، فَاَنْصَرَفَ ، وَقَدْ كَانَ الحَجَّاجُ جَعَلَ عُرْوَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فِي نَحْوِ مِنْ ثَلَاثَةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ رَدَاءً لَهُ وَلَأَصْحَابِهِ لثَلَاثًا يُؤْتَوْنَ مِنْ وَرَائِهِ ^(٢) .

٩٦٠/٢

قال أبو مخنف : فَحَدَّثَنِي فَرْوَةُ بْنُ لَقِيطٍ : إِنَّ شَبِيبًا قَالَ لَنَا يَوْمَئِذٍ : يا أَهْلَ الْإِسْلَامِ إِنَّمَا شَرِينَا اللَّهَ ، وَمَنْ شَرَى اللَّهَ لَمْ يَكْبِرْ ^(٣) عَلَيْهِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى وَالْأَلَمِ فِي جَنَّةِ اللَّهِ . الصَّبْرَ الصَّبْرَ ؛ شِدَّةَ كَشِدَّةِ اتِّكَمَ فِي مَوَاطِنِكُمُ الْكَرِيمَةِ . ثُمَّ جَمَعَ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا ظَنَّ الحَجَّاجُ أَنَّهُ حَامِلٌ عَلَيْهِمْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، اصْبِرُوا لِهَذِهِ الشَّدَّةِ الْوَاحِدَةِ ، ثُمَّ وَرَبَّ السَّمَاءِ مَا شَيْءٌ دُونَ الْفَتْحِ . فَجَنَّبُوا عَلَى الرُّكْبِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمُ شَبِيبٌ بِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ نَادَى الحَجَّاجُ بِجَمَاعَةِ النَّاسِ ، فَوَثَبُوا فِي وَجْهِهِ ، فَمَا زَالُوا يَطْعُنُونَ وَيَضْرِبُونَ قُدَمًا وَيَدْفَعُونَ شَبِيبًا وَأَصْحَابَهُ وَهُوَ يَقَاتِلُهُمْ حَتَّى بَلَّغُوا مَوْضِعَ بُسْتَانَ زَائِدَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ نَادَى شَبِيبُ أَصْحَابَهُ : يا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ، الْأَرْضَ الْأَرْضَ ، ثُمَّ نَزَلَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَنَزَلَ نِصْفُهُمْ وَتَرَكَ نِصْفَهُمْ مَعَ سُوَيْدِ بْنِ سَلِيمٍ ، وَجَاءَ الحَجَّاجُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ شَبْتٍ ، ثُمَّ قَالَ : يا أَهْلَ الشَّامِ ، يا أَهْلَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ، هَذَا

(١) ساقطة من م . (٢) ب ، ف : «ورائهم» . (٣) ا : «لم يكثر» .

أَوَّلَ الْفَتْحِ وَالَّذِي نَفْسُ الْحَجَّاجِ بِيَدِهِ ! وَصَعِدَ الْمَسْجِدَ مَعَهُ نَحْوُ مِنْ عَشْرِينَ رَجُلًا مَعَهُمُ النَّسَبُ ، فَقَالَ : إِنْ دَنَوْا مِنَّا فَارْشُقُوهُمْ ، فَاقْتَتَلُوا عَامَّةَ النَّهَارِ مِنْ أَشَدِّ قِتَالٍ فِي الْأَرْضِ ، حَتَّى أَقْرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لِمَا جَبَهُ . ثُمَّ إِنَّ خَالِدَ بْنَ عَسْتَابٍ قَالَ لِلْحَجَّاجِ : ائْذَنْ لِي فِي قِتَالِهِمْ فَلِئِنْ مَوْتُورٌ ، وَأَنَا مَمَّنْ لَا يَسْتَهُمْ فِي نَصِيحَةٍ^(١) ، قَالَ : فَلِئِنْ قَدْ أَذْنْتُ لَكَ ، قَالَ : فَلِئِنْ آتَيْتَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ حَتَّى أُغِيرَ عَلَى عَسْكَرِهِمْ ؛ فَقَالَ لَهُ : افْعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ ، قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ بِعَصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ حَتَّى دَخَلَ عَسْكَرَهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَقَتَلَ مَصَادًا أَخَا شَبِيبٍ ، وَقَتَلَ غَزَالَةَ امْرَأَتِهِ ، قَتَلَهَا فَرَوْهُ بْنُ الدَّقَانِ الْكَلْبِيِّ ، وَحَرَّقَ فِي عَسْكَرِهِ ، وَأَتَى ذَلِكَ الْخَبِيرُ الْحَجَّاجَ وَشَبِيبًا ، فَأَمَّا الْحَجَّاجُ وَأَصْحَابُهُ فَكَبَّرُوا تَكْبِيرًا وَاحِدَةً ، وَأَمَّا شَبِيبٌ فَوُثِبَ هُوَ وَكُلُّ رَاجِلٍ مَعَهُ عَلَى خِيُولِهِمْ ، وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِأَهْلِ الشَّامِ : شُدُّوا عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ مَا أَرْعَبَ قُلُوبَهُمْ . فَشُدُّوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ ، وَتَخَلَّفَ شَبِيبٌ فِي حَامِيَةِ النَّاسِ .

قال هشام : فحدثني أصغر الخارجي ، قال : حدثني من كان مع شبيب قال : لما انهزم الناسُ فخرج من الجسر تبعية^(٢) خيل الحجَّاج ، قال : فجعل يخفق برأسه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، التفت فانظر من خلفك ؛ قال : فالتفت غير مكترث ، ثم أكب يخفق برأسه ؛ قال : ودنوا منّا ؛ فقلنا : يا أمير المؤمنين ، قد دنوا منك ، قال : فالتفت والله غير مكترث ، ثم جعل يخفق برأسه . قال : فبعث الحجَّاج إلى خيله أن يدعو في حرق الله وناره ، فتركوه ورجعوا .

قال هشام : قال أبو ميخنف : حدثني أبو عمرو العذري^(٣) ، قال : قال قطيع شبيب الجسر حين عتبر . قال : وقال لي فروة : كنتُ معه حين انهزمنا فما حرك الجسر ، ولا اتبعونا حتى قطعنا الجسر . ودخل الحجَّاج الكوفة ، ثم صعد المنبر فحمد الله ، ثم قال : والله ما قوتل شبيب

(١) ب ، ف : « نصيحته » . (٢) ف ، ف : « الجيش تبعته » .

(٣) ب : « العدوى » .

قَبْلُهَا ، وَلَيَّ وَاللَّهِ هَارِبًا ، وَتَرَكْ أَمْرَاتِهِ يُكْسِرُ فِي أَسْتِهَا الْقَصَبَ .

وقد قيل في قتال الحَجَّاجِ شَيْبًا بالكُوفَةِ ما ذَكَرَهُ عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ
 قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغيرةِ بنِ عَطِيَّةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا
 مَزاحِمُ بْنُ زُفَرٍ بنِ جَسَّاسِ التَّيْمِيِّ ، قَالَ : لَمَّا فَضَّ شَيْبٌ كُتَّابَ الحَجَّاجِ
 أَدْن لَنَا فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي بَيْت فِيهِ وَهُوَ عَلَى سَرِيرٍ عَلَيْهِ لِحَافٌ ،
 فَقَالَ : إِنِّي دَعَوْتُكُمْ لِأَمْرٍ فِيهِ أَمَانٌ وَنَظَرٌ ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ ؛ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ
 تَبَحَّجَ بِحُبِّ وَحْتِكُمْ ، وَدَخَلَ حَرَمِكُمْ ، وَقَتْلَ مُقَاتِلَتِكُمْ ، فَأَشِيرُوا
 عَلَيَّ ؛ فَأَطَرَقُوا . وَفَصَلَ رَجُلٌ مِنَ الصَّفِّ بِكَرْسِيَّةٍ فَقَالَ : إِنَّ أَدْن لِي
 الْأَمِيرُ تَكَلَّمْتَ ، فَقَالَ : تَكَلَّمْ ، فَقَالَ : إِنَّ الْأَمِيرَ وَاللَّهُ مَا رَاقَبَ اللَّهَ ، وَلَا
 حَفِظَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا نَصَحَ لِلرَّعِيَّةِ ، ثُمَّ جَلَسَ بِكَرْسِيهِ فِي الصَّفِّ .
 قَالَ : وَإِذَا هُوَ قُتِيْبَةٌ ، قَالَ : فَغَضِبَ الحَجَّاجُ وَأَلْقَى اللِّحَافَ ، وَدَلَّى
 قَدَمَيْهِ مِنَ السَّرِيرِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمَا ؛ فَقَالَ : مَنْ الْمُتَكَلِّمُ ؟ قَالَ : فَخَرَجَ
 قُتِيْبَةٌ بِكَرْسِيَّةٍ مِنَ الصَّفِّ فَأَعَادَ الْكَلَامَ ، قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : أَنْ
 تَخْرُجَ إِلَيْهِ فَتُحَاكِمَهُ ؛ قَالَ : فَارْتَدَّ لِي مُعْسَكِرًا ثُمَّ أَغْدُ إِلَى ، قَالَ :
 فَخَرَجْنَا نَلْعَنُ عَنَنْبَسَةَ بنَ سَعِيدٍ ، وَكَانَ كَلَّمَ الحَجَّاجَ فِي قُتِيْبَةٍ ، فَجَعَلَهُ
 مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا وَقَدْ أَوْصَيْنَا بِجَمِيعًا ، غَدَوْنَا فِي السَّلَاحِ ،
 فَصَلَّيَ الحَجَّاجُ الصُّبْحَ ثُمَّ دَخَلَ ، فَجَعَلَ رِسُولَهُ يَخْرُجُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَيَقُولُ :
 أَجَاءَ بَعْدُ ؟ أَجَاءَ بَعْدُ ؟ وَلَا نَدْرِي مَنْ يَرِيدُ ! وَقَدْ أَفْعَمْتَ الْمُقْصُورَةَ بِالنَّاسِ ،
 فَخَرَجَ الرَّسُولُ فَقَالَ : أَجَاءَ بَعْدُ ؟ وَإِذَا قُتِيْبَةٌ يَمْشِي فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِ قَبَاءٌ
 هَرَوِيٌّ أَصْفَرٌ ، وَعِمَامَةٌ خَزٌّ أَحْمَرٌ ، مُتَقَلِّدًا سَيْفًا عَرِيشًا قَصِيرَ الْحَمَائِلِ
 كَأَنَّهُ فِي إِبْطِهِ ، قَدْ أَدْخَلَ بَرَكَةَ قَبَائِهِ فِي مِئْطَقَتِهِ ، وَالذَّرْعَ يَصْفُقُ سَاقِيَيْهِ
 فَتَفْتَحُ لَهُ الْبَابَ فَدَخَلَ وَلَمْ يُحْجَبْ ، فَلَسَبَّ طَوِيلًا ثُمَّ خَرَجَ ، وَأَخْرَجَ
 مَعَهُ لِيَوَاءَ مَنْشُورًا ، فَصَلَّى الحَجَّاجُ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَامَ فَتَكَلَّمَ ، وَأَخْرَجَ الْيَوَاءَ
 مِنْ بَابِ الْفِيلِ ، وَخَرَجَ الحَجَّاجُ يَتْبَعُهُ ، فَإِذَا بِالْبَابِ بَغْلَةً شَقْرَاءَ غَرَاءُ
 مَحْمِلَةٌ فَرَكِبَهَا ، وَعَارَضَهُ الْوُصَفَاءُ بِالْذَوَابِّ ، فَأَبْتَى غَيْرَهَا ، وَرَكِبَ النَّاسُ .

وركب قُتَيْبَةَ فَرَسًا أَعْرَ حَجَلًا كُفَيْتًا كَأَنَّهُ فِي سَرَجِهِ رُمَانَةٌ مِنْ عَظْمِ السَّرَجِ ، فَأَخَذَ فِي طَرِيقِ دَارِ السَّقَايَةِ حَتَّى خَرَجَ إِلَى السَّبْخَةِ وَبِهَا عَسْكَرُ شَيْبٍ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، فَتَوَاقَفُوا ، ثُمَّ غَدَوْا يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلْقِتَالِ ، ثُمَّ غَادَوْهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ انْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ .

* * *

قال أبو يزيد: حدثني خلاد بن يزيد ، قال : حدثنا الحجاج بن قتيبة ، قال : جاء شبيبٌ وقد بعث إليه الحجاجُ أميراً فقتله ، ثم آخر^(١) فقتله ، أحدهما أعينٌ صاحبُ حَمَامٍ أعين ، قال : فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزاة ، وقد كانت نذرتُ أن تُصلِّيَ في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران . قال : ففعلت . قال : واتخذ شبيب في عسكره أخصاصاً ، فقام الحجاج فقال : لا أراكم تتناصحون^(٢) في قتال هؤلاء القوم يا أهلَ العراق ! وأنا كاتبٌ إلى أمير المؤمنين ليُبيدني بأهل الشام . قال : فقام قُتَيْبَةُ فقال : إِنَّكَ لَمْ تَنْصَحِ لِلَّهِ وَلَا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِهِمْ .

قال عمر بن شَيْبَةَ : قال خلاد : فحدثني محمد بن حفص بن موسى ابن عُبَيْدِ اللَّهِ بن مَعْمَرِ بْنِ عُمَانَ التَّمِيمِيِّ أَنَّ الْحَجَّاجَ خَسَفَ قُتَيْبَةَ بِعِمَامَتِهِ خَسَفًا شَدِيدًا .

* * *

ثم رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ الْحَجَّاجِ وَقُتَيْبَةَ . قال : فقال : وكيف ذاك ؟ قال : تَبِعْتُ الرَّجُلَ الشَّرِيفَ وَتَبِعْتُ مَعَهُ رَعَاعًا مِنَ النَّاسِ فَيَنْهَزُمُونَ عَنْهُ ، وَيَسْتَحْيِي فَيُقَاتِلُ حَتَّى يَمُوتَ ؛ قال : فما الرأي ؟ قال : أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَيَخْرُجَ مَعَكَ نَظْرَاؤُكَ فَيُؤَا سُونَكَ بِأَنْفُسِهِمْ . قال : فَلَعَنَهُ مَنْ نَسِمَ . وقال الحجاج : وَاللَّهِ لِأَبْرُزَنْ لَهُ غَدًا ؛ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ حَضَرَ النَّاسُ : فَقَالَ قُتَيْبَةُ : اذْكُرْ يَمِينَنَكَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! فَلَعَنُوهُ أَيْضًا ، وَقَالَ الْحَجَّاجُ : أَخْرَجَ فَارْتَدُّ لِي مُعْسَكِرًا ، فَلْذَهَبْ وَتَهَيَّأْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَخَرَجُوا ، فَأَتَى عَلَى مَوْضِعٍ فِيهِ بَعْضُ الْقَدَرِ ؛ مَوْضِعُ كُنَاسَةِ ،

(٢) ف : « تتناصحون » .

(١) ب ، ف : « أميراً » .

فقال : ألقُوا لِي هَاهُنَا . فَقِيلَ : إِنَّ الْمَوْضِعَ قَدَرٌ ، فَقَالَ : مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ أَقْدَرُ ، الْأَرْضُ تَحْتَهُ طَيْبَةٌ ، وَالسَّمَاءُ فَوْقَهُ طَيْبَةٌ . قَالَ : فَنَزَلَ وَصَفَّ النَّاسَ وَخَالِدَ بْنَ عَتَّابَ بْنَ وَرْقَاءَ مَسْخُوطَ عَلَيْهِ فَلَيْسَ فِي الْقَوْمِ ، وَجَاءَ شَبِيبٌ وَأَصْحَابُهُ فَقَرَّبُوا دَوَابَّهُمْ ، وَخَرَجُوا يَمْشُونَ ، فَقَالَ لَهُمْ شَبِيبٌ : الْهُوَا عَنْ رَمْيِكُمْ ، وَدَبُّوا تَحْتَ تِرَاسِكُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ أَسْنَتُهُمْ ^(١) فَوْقَهَا ، فَأَزْلِقُوهَا صُعْدًا ، ثُمَّ ادْخُلُوا ^(٢) تَحْتَهَا لَتَسْقَطُوا أَقْدَامَهُمْ ، وَهِيَ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ . فَأَقْبَلُوا يَدَبُونَ إِلَيْهِمْ . وَجَاءَ خَالِدُ بْنُ عَتَّابٍ فِي شَاكِرِيَّتِهِ ، فَدَارَ مِنْ وَرَاءَ عَسْكَرِهِمْ ، فَأَضْرَمَ أَخْصَاصَهُمْ بِالنَّارِ ، فَلَمَّا رَأَوْا ضَوْءَ النَّارِ وَسَمِعُوا مَعْمَعَمَتَهَا التَّفَتُّوا فَرَأَوْهَا فِي ^(٣) بِيوتِهِمْ ، فَوَلَّوْا ^(٤) إِلَى خَيْلِهِمْ وَتَبِعَهُمُ النَّاسُ ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ . وَرَضِيَ الْحَجَّاجُ عَنْ خَالِدٍ ، وَعَقَّدَ لَهُ عَلَى قَتْلِهِمْ . قَالَ : وَلَمَّا قَتَلَ شَبِيبٌ عَتَّابًا أَرَادَ دُخُولَ الْكُوفَةِ ثَانِيَةً ، فَأَقْبَلَ حَتَّى شَارَفَهَا فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ سَيْفَ بَنِ هَانٍ وَرَجُلًا مَعَهُ لِيَأْتِيَاهُ بِخَبَرِ شَبِيبٍ ، فَأَتِيَا عَسْكَرَهُ ، فَفُطِنَ بِهِمَا ، فَقَتَلَ الرَّجُلَ ، وَأَفْلَتَ سَيْفٌ ، وَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَأَوْثَبَ سَيْفٌ فَرَسَهُ سَاقِيَةً ، ثُمَّ سَأَلَ الرَّجُلَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يُصَدِّقَهُ ، فَأَمَنَهُ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْحَجَّاجَ بَعَثَهُ وَصَاحِبَهُ لِيَأْتِيَاهُ بِخَبَرِ شَبِيبٍ .

٩٦٥/٢

٩٦٦/٢

قَالَ : فَأَخْبَرَهُ أَنَا نَأْتِيهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ . فَأَتَى سَيْفَ الْحَجَّاجِ فَأَخْبَرَهُ ؛ فَقَالَ : كَذَبَ وَمَا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ تَوَجَّهُوا يَرِيدُونَ الْكُوفَةَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْحَجَّاجُ الْحَارِثَ بْنَ مَعَاوِيَةَ الثَّقَفِيَّ ، فَلَقِيَهُ شَبِيبٌ بِزُرَّارَةٍ فَقَتَلَهُ ، وَهَزَمَ أَصْحَابَهُ وَدَنَا مِنَ الْكُوفَةِ فَبَعَثَ الْبَطِينِ فِي عَشْرَةِ فَوَارِسَ يَرْتَادُ لَهُ مَسْنِيلاً عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ فِي دَارِ الرَّزْقِ ، فَأَقْبَلَ الْبَطِينُ وَقَدَّ وَجَّهَ الْحَجَّاجَ حَوْشَبَ بْنَ يَزِيدَ فِي جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَأَخَذُوا بِأَفْوَاهِ السَّكَّكِ ، فَقَتَلَتْهُمْ الْبَطِينُ فَلَمْ يَقَوْ عَلَيْهِمْ ، فَبَعَثَ إِلَى شَبِيبٍ فَأَمَدَهُ بِفَوَارِسَ ، فَعَقَّرُوا فَرَسَ حَوْشَبَ وَهَزَمُوهُ وَنَجَا ، وَمَضَى الْبَطِينُ إِلَى دَارِ الرَّزْقِ ، وَعَسْكَرَ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ ، وَأَقْبَلَ شَبِيبٌ فَنَزَلَ دُونَ الْجِسْرِ ، فَلَمْ يُوَجَّهْ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ أَحَدًا ، فَضَى فَنَزَلَ

(٢) ب ، س : « ادخلوها » .

(١) ب ، ف : « أسنتكم » .

(٤) ب ، ف : « ولوا » .

(٣) ب ، ف : « فراؤا ما في بيوتهم » .

السَّبْخَةِ بين الكُوفَةِ والفُرَاتِ ، فَأَقَامَ ثَلَاثًا لَا يُوَجِّهُ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ أَحَدًا ، فَأَشِيرَ عَلَى الْحَجَّاجِ أَنْ يَخْرُجَ بِنَفْسِهِ ، فَوَجَّهَ قَتِيْبَةَ بْنَ مَسْلَمٍ ، فَهَيَّأَ لَهُ عَسْكَرًا ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ : وَجَدْتُ الْمَأْتَى سَهْلًا ، فَسِرُّ عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ ؛ فَنَادَى فِي أَهْلِ الْكُوفَةِ فَخَرَجُوا ، وَخَرَجَ مَعَهُ الْوُجُوهُ حَتَّى نَزَلُوا فِي ذَلِكَ الْعَسْكَرِ (١) وَتَوَاقَفُوا ، وَعَلَى مَيْمَنَةِ شَيْبِ بْنِ الْبُطَيْنِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ قَعْنَبُ مَوْلَى بَنِي أَبِي رُبَيْعَةَ بْنِ ذَهْلٍ ، وَهُوَ فِي زُهَاءِ مَائَتَيْنِ ، وَجَعَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى مَيْمَنَتِهِ مَطَرَ بْنَ نَاجِيَةَ الرَّيَّاحِيِّ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ خَالِدُ بْنُ عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءِ الرَّيَّاحِيِّ فِي زُهَاءِ أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وَقِيلَ لَهُ : لَا تُعْرِفْهُ مَوْضِعَكَ ، فَتَنْكَرُ وَأُخْفِي مَكَانَهُ ، وَشَبَّهَ لَهُ أَبَا الْوَرْدِ مَوْلَاهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ شَيْبٌ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ ، فَضْرِبَهُ بِعُمُودٍ وَزَنَّهُ خَمْسَةَ عَشَرَ رِطْلًا فَقَتَلَهُ ، وَشَبَّهَ لَهُ أَعْيَنَ صَاحِبَ حِمَّامٍ أَعْيَنَ بِالْكُوفَةِ ، ٩٦٧/٢ وَهُوَ مَوْلَى لَبِكر (٢) بْنِ وَائِلٍ فَقَتَلَهُ ، فَركبَ الْحَجَّاجُ بَغْلَةً غَرَاءَ مَحْجَلَةً ، وَقَالَ : إِنْ الدَّيْنُ أَغْرُ مَحْجَلٌ ، وَقَالَ لِأَبِي كَعْبٍ : قَدِّمْ لَوَاءَكَ ، أَنَا ابْنُ أَبِي عَمْقِيلٍ . وَحَمَلَ شَيْبٌ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَتَّابٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَبَلَغَ بِهِمُ الرَّحْبَةَ ، وَحَمَلُوا عَلَى مَطَرَ بْنِ نَاجِيَةَ فَكَشَفُوهُ ، فَنَزَلَ عِنْدَ ذَلِكَ الْحَجَّاجُ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَنَزَلُوا ، فَجَلَسَ عَلَى عِبَادَةٍ وَمَعَهُ عُنْبُسَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، فَإِنَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَنَاولَ مَصْقَلَةَ بْنِ مُهَلْسَلٍ الضَّبِّيِّ بِالْحَامِ شَيْبٌ ؛ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي صَالِحِ بْنِ مُسَرَّحٍ ؟ وَبِمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : أَعْلَى هَذِهِ الْحَالِ ، وَفِي هَذِهِ الْحَزَّةِ (٣) ! وَالْحَجَّاجُ يَنْظُرُ ، قَالَ : فَبَرَأَ مِنْ صَالِحٍ ، فَقَالَ مَصْقَلَةُ : بَرَأَ اللَّهُ مِنْكَ ، وَفَارَقُوهُ إِلَّا أَرْبَعِينَ فَارِسًا هُمْ أَشَدُّ أَصْحَابِهِ ، وَانْحَازَ الْآخَرُونَ إِلَى دَارِ الرِّزْقِ ؛ وَقَالَ الْحَجَّاجُ : قَدْ اخْتَلَفُوا ، وَأَرْسَلَ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَتَّابٍ فَأَتَاهُمْ فَقَاتَلَهُمْ ، فَقَتَلَتْ غَرَالَهُ ، وَمَرَّ بِرَأْسِهَا إِلَى الْحَجَّاجِ فَارَسُ فَعَرَفَهُ شَيْبٌ ، فَأَمَرَ عُلُوَانَ فَشَدَّ عَلَى الْفَارَسِ فَقَتَلَهُ وَجَاءَ بِالرَّأْسِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَعُغِّلَ وَدَفِنَهُ وَقَالَ : هِيَ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ رُحْمًا - يَعْنِي غَرَالَةً .

ومضى القومُ على حَامِيَتِهِمْ ، وَرَجَعَ خَالِدٌ إِلَى الْحَجَّاجِ فَأَخْبَرَهُ بِانْصِرَافِ

(١) ب ، ف : « المسكر » . (٢) ف : « البكير » .

(٣) الحزّة : الشدة .

القوم ، فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم ، وأتبعه ثمانية ، منهم قعنب والبطين وعُدوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسنان ، حتى بلغوا به الرحبة ، وأتى شبيب في موقفه بخوطة بن عُمَيْر السدوسي ، فقال له شبيب : يا خوطة ، لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ . فقال : لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، فقال شبيب : خوطة من أصحابكم ، ولكنه كان يخاف ، فأطلقه . وأتى بعُمَيْر بن القعقاع ، فقال له : لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يا عُمَيْر ، فجعل لا يفقه عنه ، ويقول : في سبيل الله شباني ، فردد عليه شبيب : لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، ليتخلصه ^(١) ، فلم يفقه ، فأمر بقتله ، وقتل مصاد أخو شبيب ، وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالدًا فأبطأوا ، ونعس شبيب فأيقظته حبيب بن خدره ، وجعل أصحاب الحجاج لا يُقدِمون عليه هبةً له ، وسار إلى دار الرزق ، فجمع رثة ^(٢) من قتل من أصحابه ، وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوه ، فظنوا أنهم قتلوه ، ورجع مطرٌ وخالدٌ إلى الحجاج فأمرهما فأتبعاه الرهط الثمانية ، وأتبع الرهط شبيبًا ، ففضوا جميعًا حتى قطعوا جسر المدائن ، فدخلوا ديرًا هنالك وخالد يقفُهم ، فحصرهم في الدَّير ، فخرجوا عليه فهزموه نحوًا من فرسخين حتى ألْقُوا أنفسهم في دجلة بخيلهم ، وألقى خالد نفسه بفرسه فمرَّ به ولواؤه في يده ، فقال شبيب : قاتله الله فارسًا وفرسه ! هذا أشدَّ الناس ، وفرسه أقوى فرس في الأرض ؛ ف قيل له : هذا خالد بن عتَّاب ، فقال : مُعَرِّقٌ له في الشجاعة ؛ والله لو علمتُ لأفحمتُ خلقه ولو دخل النار .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . عن أبي عمرو العُدري ، أن الحجاج دخل الكوفة حين انهزم شبيب ، ثم صعد المنبر ، فقال : والله ما قُوتِلَ شبيب قط قبلها مثلها ، وكفى والله هاربًا ، وترك امرأته يُكسّر في آستها القصب . ثم دعا حبيب بن

(٢) الرثة : المتاع .

(١) ف : « ليخلصه » .

عبد الرحمن الحكمي فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام ، فقال له الحجّاج : احذر بيّاتته ، وحيثما لقيته فنازله ، فإن الله قد فذلّ حدّه ، وقصم نابته . فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شبيب حتّى نزل الأنبار ، وبعث الحجّاج إلى العمّال أن دُسّوا إلى أصحاب شبيب أن من جاءنا منهم فهو أمين ؛ فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممّن قد هدّه القتال يحيى فيؤمن ، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجّاج يوم هزّموا : إن من جاءنا منكم فهو أمين ، فتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه ، وبلغ شبيباً مسنّزاً حبيب بن عبد الرحمن الأنبار ، فأقبل بأصحابه حتّى إذا دنا من عسكريهم نزل فصلّى بهم المغرب .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أنا والله في أهل الشام ليلة جاءنا شبيب فيبيّتنا . قال : فلمّا أمسينا جمّعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعّلسنا أرباعاً ، وقال لكل رُبّع منا : ليُجزي كل رُبّع منكم جانبه ، فإن قاتل هذا الرّبّع فلا يُغثهم ^(١) هذا الرّبّع الآخر ، فإنّه قد بلغني أن هذه الخوارج منّا قريب ، فوطّئوا أنفسهم على أنكم مبسّتون ومقاتلون ؛ فازلنا على تعبيّتنا حتّى جاءنا شبيب فيبيّتنا ، فشدّ على رُبّع منّا ، عليهم عثمان بن سعيد العذريّ فضاربهم طويلاً ، فما زالت قدم إنسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الرّبّع الآخر . وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامريّ فقاتلهم ، فما زالت قدم إنسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الرّبّع ^(٢) الآخر وعليهم النعمان بن ساعد الحميريّ فما قدر منهم على شيء ، ثمّ أقبل على الرّبّع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمي فقاتلهم طويلاً ، فلم يظفر بشيء ، ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ، وألّز بنا حتى قلنا ، لا يفارقنا ، ثم نازلنا راجلاً طويلاً ، فسقط والله بيننا وبينهم الأيدي ، وفُتقت الأعين ، وكثرت القتلى ، قتلنا منهم نحواً من ثلاثين ، وقتلوا منّا نحواً من مائة ، والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا ، وإيم الله على ذلك ما فارقونا حتّى مكّلناهم وملّونا ، وكريهونا وكريهناهم ،

(١) س : « يغثهم » ، ف : « يعينهم » . (٢) ف : « الرابع » .

ولقد رأيت الرجل منّا يضرب بسيفه الرجل منهم فما بضرة شيء من الإعياء والضعف ، ولقد رأيت الرجل منّا يقاتل جالساً يستنح بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء^(١) ، فلمّا يشسوا منّا ركب شبيب ثمّ قال لمن كان نزل من أصحابه : اركبوا ، فلمّا استووا على متون خيولهم وجهه^(٢) منصرفاً عنّا .

٩٧١/٢

قال أبو مخنف : حدثني فروة بن لقيط ، عن شبيب ، قال : لمّا انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة ، وجراحة ظاهرة ، قال لنا : ما أشدّ هذا الذي بنا لو كنّا إنّما نطلب الدنيا ! وما أيسرّ هذا في ثواب الله ! فقال أصحابه : صدقت يا أمير المؤمنين ، قال : فما أنسى منه إقباله على سويد بن سليم ولا مقالته له : قتلتم منهم أمس رجلين : أحدهما أشجع الناس ، والآخر أجبن الناس ، خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم ، فاشترى أحدهم حاجته ، ثمّ خرج قبل أصحابه وخرجت معه ، فقال : كأنّك لم تشتري علفاً ، فقلت : إنّ لي رفقاء قد كفّوني ذلك ، فقلت له : أين ترى عدونا هذا نزل ؟ قال : بلغني أنّه قد نزل منّا قريباً ، وإيم الله لوددت أنّي قد لقيت شبيبهم هذا ، قلت : فتحبّ ذلك ؟ قال : نعم ، قلت : فخذ حذرَكَ ، فأنا والله شبيب ، وانتصيت سيئتي ، فحزرت والله ميمتاً ، فقلت له : ارتفع ويحك^(٣) ! وذهبت أنظر فإذا هو قد مات ، فانصرفت راجعاً ، فأستقبل الآخر خارجاً من القرية ، فقال : أين تذهب هذه الساعة ؟ وإنّما يرجع الناس إلى عسكرهم ! فلم أكلّمه ، ومضيت يقرب بي فرسي ، وأتبعني حتّى لحقني ، فقطعت عليه فقلت له : ما لك ؟ فقال : أنت والله من عدونا ؟ فقلت : أجل والله ، فقال : والله لا تبرح حتّى تقتلني أو أقتلك ، فحملت عليه وحمل عليّ ، فاضطربنا بسيفينا ساعة ، فوالله ما فضلت في شدة نفّس ولا إقدام إلا أن سيفي كان أقطع من سيفه ، فقتلته ، قال : فضينا حتّى قطعنا دجلة ، ثمّ أخذنا في أرض جيوخى حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من

٩٧٢/٢

(٢) ب : « وجد » .

(١) ب ، ف : « من الإعياء والضعف » .

(٣) ب ، ف : « ارفع ويحك رأسك » .

عند واسط ، ثم أخذنا إلى الأهواز ثم إلى فارس ، ثم ارتفعنا إلى كرمان .

* * *

[ذكر الخبر عن مهلك شبيب]

وفي هذه السنة هلك شبيب في قول هشام بن محمد . وفي قول غيره كان هلاكه سنة ثمان وسبعين .

* ذكر سبب هلاكه :

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أفلكتنا الحججاء إليه - يعني إلى شبيب - فقسّم فينا مالا عظيما ، وأعطى كل جريح منا وكل ذى بلاء ، ثم أمر سفيان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب ، فتجهّز سفيان ، فشقّ ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمي ، وقال : تبعث سفيان إلى رجل قد فلتته وقتلت فرسان أصحابه ! فأمضى سفيان بعد شهرين ، وأقام شبيب بكرمان ، حتّى إذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعا ، فيستقبله سفيان بجسر دجيل الأهواز ، وقد كان الحججاء كتب إلى الحكمم بن أيوب بن الحكمم بن أبي عقيل ، وهو زوج ابنة الحججاء وعامله على البصرة .

٩٧٣/٢

أما بعد ، فابعث رجلا شجاعا شريفا من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب ، ومُرّه فليتحق بسفيان بن الأبرد ، وليسمع له وليطع .

فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف ، فلم ينته إلى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب ، ولما أن التقيا بجسر دجيل عبر شبيب إلى سفيان فوجد سفيان قد نزل في الرجال ، وبعث مهاصر^(١) بن صفي العذري على الخيل ، وبعث على ميمته بشر بن حسان الفهري ، وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزاري ، فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه ، هو في كتيبة وسويد في كتيبة ، وقعنّب المحتلم في كتيبة ، وخلّف الحثل بن وائل في عسكره . قال : فلما حمل سويد وهو في ميمته

(١) ف : « مضاهر » .

على ميسرة سُفَيَّانَ ، وقَعَبٌ وهو في ميسرته على ميسرته حَمَلٌ هو على سُفَيَّانَ ،
 فاضْطَرَبْنَا طويلاً من النهار ، حتَّى انحازوا فرجعوا إلى المكان الَّذي كانوا
 فيه ، ففكرَ علينا هو وأصحابه أَكْثَرَ من ثلاثين كَرَّةً ، كلَّ ذلك لا نزول
 من صَفَتَنَا . وقال لنا سُفَيَّانُ بنُ الأبرد : لا تتفرَّقوا ، ولكن لِيَتَحَرَّفَ الرجالُ
 إليهم زحفاً ، فوالله ما زلنا نطاعِنُهُم ونضاربُهُم حتَّى اضْطَرَرناهم إلى
 الجِسْرِ ، فلمَّا انتهى شبيب إلى الجِسْرِ نزل ونزل معه نحوٌ من مائة رجل ،
 فقَاتَلْنَاهُم حتَّى المساء أَشدَّ قتال قاتله قومٌ قطَّ ، فما هو إلا أن نزلوا
 فأوقعوا لنا من الطَّعْن والضَّرب شيئاً ما رأينا مثله من قوم قطَّ . فلمَّا رأى
 سُفَيَّانُ أَنَّهُ لا يَتَقَدَّرُ عليهم ، ولا يأمن مع ذلك ظفرهم ، دعا الرِّمَّةَ فقال :
 ارشَقوهم بالنَّبْلِ ، وذلك عند المساء ، وكان التقاؤهم نصفَ النهار ، فرماهم
 أصحابُ النَّبْلِ بالنَّبْلِ عند المساء ، وقد صَفَّتْهُم سُفَيَّانُ بنُ الأبرد على حِدَةٍ ،
 وبعث على المُرَامِيَةِ رجلاً ، فلمَّا رشَقوهم بالنَّبْلِ ساعةً شدوا عليهم ،
 فلمَّا شدوا على رُمَاتِنَا شَدَدْنَا عليهم ، فشَغَلْنَاهُم عنهم ، فلما رموا بالنَّبْلِ
 ساعةً ركب شبيب وأصحابه ثم كَثُرُوا على أصحابِ النَّبْلِ كَرَّةً صُرِعَ منهم
 أَكْثَرُ من ثلاثين رجلاً ، ثم عطف بخياله علينا ، فبشى عامداً نحونا ، فطاعَنَاهُ
 حتَّى اختلط الظلام ، ثمَّ انصَرَفَ عَنَّا ، فقال سُفَيَّانُ لأصحابه :
 أَيُّهَا النَّاسُ ، دَعُوهُمْ لا تَتَّبِعُوهُمْ حتَّى نُصَبِّحَهُم غُدُوَّةً . قال : فكفَّ قَتْلُنَا
 عنهم وليس شيء أحبَّ إلينا من أن ينصرفوا عَنَّا .

٩٧٤/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فَرْوَةُ بنُ لَقِيْطٍ ، قال : فما هو إلا أن
 انتهينا إلى الجِسْرِ ، فقال : اعبروا معاشرَ المسلمين ، فإذا أَصْبَحْنَا
 باكرناهم إن شاء الله ، فَعَبَرْنَا أَمَامَهُ ، وتَخَلَّفَ في آخرنا ، فأقبل على
 فرسه ، وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيَّانة ، فنزا فرسه عليها وهو على الجِسْرِ
 فاضْطَرَبَتِ الماذيَّانة ، ونزل حافرُ رجل فرس شبيب على حرف السَّفِينَةِ ،
 فسَقَطَ في الماء ، فلمَّا سَقَطَ قال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ .

فارتَمَسَ^(١) في الماء ، ثمَّ ارتَفَعَ فقال : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

٩٧٥/٢

(١) ارتَمَسَ في الماء . إذا انغمس فيه حتَّى يَغِيْبَ رأسه وجميع جسده فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي بهذا الحديث — وكان ممن يقاتله من أهل الشام ، وحدثني فروة بن لقيط ، وكان ممن شهد موطنه — فأما رجل من رهطه من بني مرة بن همام فإنه حدثني أنه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته ، ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة ، وكان قد قتل من عشائهم رجالا كثيرا ، فكان ذلك قد أوجع قلوبهم ، وأوغر صدورهم ؛ وكان رجل يقال له مقاتل من بني تيم بن شيبان من أصحاب شبيب ، فلما قتل شبيب رجالا من بني تيم بن شيبان أغار هو على بني مرة بن همام فأصاب منهم رجلا ، فقال له شبيب : ما حسمك على قتلهم بغير أمرى ! فقال له : أصلحك الله ! قتلت كفار قومي ، وقتلت كفار قومك ، قال : وأنت الوالي على حتى تقطع الأمور دوني ! فقال : أصلحك الله ! أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا ، منّا كان أو من غيرنا ! قال : بلى ، قال : فإنما فعلت ما كان ينبغي ، ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عشر ما أصبت من رهطى ، وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تسجد من قتل الكافرين ؛ قال : إني لا أجِد من ذلك . وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائهم ، فزعموا أنه لما تخلّف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض : هل لكم أن نقطع به الجسر فنذكر ثأرنا الساعة ! فقطعوا الجسر ، قالت السفن ، ففزع الفرس ونفر ، ووقع في الماء فغرق .

٩٧٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ذلك المرّي بهذا الحديث ، وناس من رهط شبيب يذكرون هذا أيضا ؛ وأما حديث العامة فالحديث الأول .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : إنا والله لنتهيّا للانصراف إذ جاء صاحب الجسر فقال : أين أميركم ؟ قلنا : هو هذا ، فجاءه فقال : أصلحك الله ! إن رجلا منهم وقع في الماء ، فنادوا بينهم : غرق أمير المؤمنين ! ثم لأنهم انصرفوا راجعين ، وتركوا عسكريهم ليس فيه أحد ، فكبر سفيان وكبرنا ، ثم أقبل حتى انتهى إلى الجسر ، وبعث مهاضر بن صيفي فعبّر إلى عسكريهم ، فإذا ليس فيه منهم صافير

ولا آثر^(١)، فنزل فيه، فإذا أكثرُ عسكر خلقِ الله خيراً، وأصبحنا فطلبنا شيباً حتى استخرجناه وعليه الدرع، فسمعتُ النَّاسَ يزعمون أنه شقّ بطنه فأخرج قلبه، فكان مجتمعاً صلباً كأنه صخرة، وإنه كان يضرب به الأرض فتثب قامته إنسان؛ فقال سفيان: احمدوا الله الذي أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا.

قال أبو زيد عمر بن شبة: حدثني خلاّد بن يزيد الأرقط، قال: كان شبيب يُنعمي لأمه فيقال: قتل فلا تقبل قال: فقبل لها: إنه غرق، فتقبلت، وقالت: إني رأيتُ حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار، فعلمتُ أنه لا يُطفئه إلا الماء.

٩٧٧/٢

قال هشام عن أبي مخنف: حدثني فرّوة بن لقسيط الأزدي ثم الغامري أن يزيد بن نعيم أبا شبيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه^(٢) الوليد بن عقبة عن أمرِ عمانَ إياه بذلك مدّداً لأهل الشام أرض الروم، فلماً قتل المسلمون أقيم السبى للبيع، فرأى يزيد ابن نعيم أبا شبيب جارية حمراء، لا شهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين، فابتاعها ثم أقبل بها، وذلك سنة خمس وعشرين أول السنة، فلماً أدخلها الكوفة قال: أسلمي، فأبت عليه، فضربها فلم تزد إلا عصياناً، فلماً رأى ذلك أمر بها فأصلحت، ثم دعا بها فأدخلت عليه، فلما تغشّاها تلقت منه بحمل فولدت شيباً، وذلك سنة خمس وعشرين في ذي الحجة في يوم النحر يوم السبت. وأحبّت مولاه حباً شديداً - وكانت حادثة^(٣) - وقالت: إن شئت أجبتك إلى ما سألتني من الإسلام، فقال لها: شئت، فأسلمت، وولدت شيباً وهي مسلمة، وقالت: إني رأيت فيما يرى النائم أنه خرج من قبلي شهاب فتقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها، فبينما هو كذلك إذ وقع في ماء كثير جارٍ فخبأ، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهريقون فيه الدماء، وإني

(١) يقال: ما في الدار من صافر، أي أحد يصفر، وهو مثل.

(٢) ١: «معد الوليد بن عقبة». (٣) كذا في ١، وفي ط: «تحدثه».

قد أولت رؤيائى هذه أنى أرى وليدى هذا غلاماً ، أراه سيكون صاحب دماء يَهْتَرِيقُهَا ، وإنى أرى أمره سيعلو ويَعْظُمُ سريعاً . قال : فكان أبوه يَسْتَخْتَلِفُ ٩٧٨/٢ به وبأُمِّه إلى البادية إلى أرضِ قومه على ماء يُدْعَى اللَّصَف .

قال أبو مِخْنَف : وحدتني موسى بنُ أنى سُوَيْد بن رادى أن جُنْدَ أهل الشام اللذين جاءوا حملوا معهم الحَجَر فقالوا : لا نفر من شيب حتى يفر هذا الحجر ؛ فبلغ شيباً أمرهم ، فأراد أن يكيدهم ، فدعا بأفراس أربعة ، فربط في أذناها ترسة في ذنَب كل فرس ترسيتين ، ثم ندب معه ثمانية نفر من أصحابه ، ومعه غلام له يقال له حيّان ، وأمره أن يحمل معه إداوة من ماء ، ثم سار حتى يأتى ناحية من العسكر ، فأمر أصحابه أن يكونوا في نواحي العسكر ، وأن يجعلوا مع كل رجلين فرساً ، ثم يُمسِئوها الحديده حتى تجد حرّه ويخلوها في العسكر ، وواعدهم تلة قريبة من العسكر ، فقال : من نجا منكم فإن موعده هذه التلة ؛ وكره أصحابه الإقدام على ما أمرهم به ، فنزل حيث رأى ذلك منهم حتى صنع بالخيل مثل الذى أمرهم ، ثم وغلّت في العسكر ، ودخل يتلوها مُحْكَمًا فضرب الناس بعضهم بعضاً ، فقام صاحبهم الذى كان عليهم ، وهو حبيب بن عبد الرحمن الحَكَمي ، فنادى : أيها الناس ، إن هذه مكيدة ، فالزموا الأرض حتى يتبين لكم الأمر ، ففعلوا وبقى شيب في عسكرهم ، فلزم الأرض حيث رآهم قد سكنوا ، وقد أصابته ضربة عمود أوهنته ، فلما أن هدا الناس ورجعوا إلى أبينتهم خرج في غمارهم حتى أتى التلة ، ٩٧٩/٢ فإذا هو بحيّان ، فقال : أفرغ يا حيّان على رأسى من الماء ؛ فلماً مدّ رأسه ليصب عليه من الماء همّ حيّان أن يضرب عنقه ، فقال لنفسه : لا أجد لى مكرمة ولا ذكراً أرفع من قلبي هذا ، وهو أمانى عند الحجّاج ، فاستقبلته الرعدة حيث همّ بما همّ به ، فلماً أبطأ بحلّ الإداوة قال : ما يُبْطَلِك بحلّها ! فتناول السكين من مَوْزَجِه (١) فخرقها به ، ثم ناولها إياه ، فأفرغ عليه من الماء . فقال حيّان : منعتني والله الجُبْن وما أخذتني من

(١) الموزج : الخف ، فارسى مغرب . الجوالق ٣١١ .

الرَّعدة أن أضرب عنقه بعد ما هممتُ به . ثمَّ لَحِقَ شبيب بأصحابه في
عسكره .

[خروج مطرّف بن المغيرة على الحجّاج وعبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خرج مُطَرّف بن المغيرة بن شُعْبَة
على الحجّاج ، وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجلال فقتل .

* ذكر السبب الذي كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان :

قال هشامٌ عن أبي مخنف ، قال : حدثني يوسف بن يزيد بن بكر
الأزدى أن بني المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء نُبلاء ، أشرافاً بأبدانهم سوى
شرف أبيهم ومنزلتهم^(١) في قومهم . قال : فلما قدم الحجّاج فلقوه وشافهم
عليهم أنهم رجال قومه وبنو أبيه ، فاستعمل عروة بن المغيرة على
٩٨٠/٢ الكوفة ، ومطرّف بن المغيرة على المدائن ، وحمزة بن المغيرة على همدان .

قال أبو مخنف : فحدثني الحُصَيْن بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نُفَيْلٍ
الأزدى ، قال : قدِم علينا مطرّف بن المغيرة بن شُعْبَة المدائن فصعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال : أيّها الناس ، إن الأمير الحجّاج
أصلحه الله قد ولّاني عليكم ، وأمّرني بالحُكْم بالحق ، والعدل في السيرة ، فإن
عملتُ بما أمّرني به فأنا أسعدُ الناس ، وإن لم أفعلْ فنفسي أوبقتُ ، وحظّ
نفسي ضيّعت ، ألا^(٢) إني جالس لكم العَصْرَيْن ، فارفَعُوا إلى حوائجكم^(٣) ،
وأشيروا عليّ بما يصلحكم ويصلح بلادكم ، فلإني لن ألوكم خيراً
ما استطعتُ . ثمَّ نزل .

وكان بالمدائن إذ ذاك رجالٌ من أشراف أهل المصروبيوتات الناس ، وبها
مقاتلة لا تسعُها عدّة ، إن كان كسوفٌ بأرض جُوحى أو بأرض الأنبار . فأقبل
مطرّف حين نزل حتّى جلس للناس في الإيوان ، وجاء حكيمٌ بن الحارث
الأزدى يمشى نحوه ، وكان من وجوه الأزد وأشرافهم ، وكان الحجّاج قد

(١) : « وميراثهم » .

(٢-٣) : ب ، ف : « ارفعوا إلى حوائجكم فإن جالس لكم العصرين » .

استعمله بعد ذلك على بيت المال — فقال له : أصلحك الله ! إني كنتُ منك نائياً حين تكلمتَ ، وإني أقبلتُ نحوكَ لأجيبكَ ، فوافق ذلك نزولك ، إنّا قد فهمنا ما ذكرتَ لنا ، أنّه عهد إليك ، فأرشد اللهُ العاهدَ والمعهودَ إليه ، وقد منّيتَ من نفسك العدلَ ، وسألتَ المعونة على الحقّ ، فأعانك الله على ٩٨١/٢ ما نويتَ ، إنَّكَ تُشبهُ أباك في سيرته برضا الله والناس ، فقال له مطرف : ها هنا إلى ؟ فأوسع له فجلس إلى جنبه .

قال أبو مخنف : فحدثني الحصين بن يزيد أنّه كان من خير عامل قدم عليهم قطّ ، أقمعه لمُريب ، وأشدّه إنكاراً للظلم ، فتقدّم عليه بشر بن الأجدع الهمداني ، ثم الثوري ، وكان شاعراً فقال :

إني كلّفتُ بخود غيرِ فاحشةٍ غراءَ وهنّانةٍ حُسّانةٍ الجيدِ
كأنّها الشمس يومَ الدّجنِ إذ برّرتُ تمشي مع الأنّيس الهيفِ الأماليدِ
سلّ الهوى بعلنداةٍ مذكرةٍ عنها إلى المُجتدَى ذى العُرفِ والجودِ
إلى الفتى الماجدِ الفياضِ نعرفه في الناس ساعةٍ يُحلى كلُّ مردودِ
من الأكارم أنساباً إذا نُسبوا والحامل الثقل يومَ المغرمِ الصّيدِ
إني أعيدُكَ بالرحمنِ من نفرٍ حمر السّبال كأشدِّ الغابةِ السّودِ
فُرسانُ شيبان لم نسمعْ بِمثلهمْ أبناءُ كلِّ كريم النّجلِ صِنديدِ ٩٨٢/٢
شدّوا على ابنِ حصينٍ في كتيبتِه فغادروهُ صريعاً ليلةَ العيدِ
وابنُ المجالدِ أردتُه رماحهمْ كأنما زلّ عن خوصاءِ صيخودِ
وكلُّ جمعٍ بروذابارَ كان لهمْ قد فُضّ بالطّعنِ بين النّخلِ والبيدِ
فقال له : ويحك ! ما جئتُ إلّا لرغبنا . وقد كان شبيب أقبل من سأتيدما ، فكتب مطرف إلى الحجّاج :

أمّا بعد ، فإني أخبر الأميرَ أكرمه الله أن شبيباً قد أقبل نحونا ، فإن رأى الأميرُ أن يُمدّني برجال أضبط بهم الممدّائن فععل ، فإن المدائن بابُ الكوفة وحصنُها .

فبعث إليه الحجاجُ بنُ يوسفَ سَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ في مائتين وعبد الله بن كَنَازٍ في مائتين ، وجاء شبيب فأقبل حتى نزل قناطرَ حُدَيْفَةَ ، ثم جاء حتى انتهى إلى كَلْدَوَاذَا ، فعَبِرَ منها دِجْلَةَ ، ثم أقبل حتى نزل مدينة بَهْرَسِيرَ ومطرف بن المغيرة في المدينة العتيقة الَّتِي فيها منزل كَسْرَى ٩٨٣/٢ والقَصْرَ الأبيض ، فلَمَّا نزل شبيب بَهْرَسِيرَ قطع مطرفَ الجسر فيما بينه وبين شبيب ، وبعث إلى شبيب أن ابعث إلى رجالا من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن ، وأنظر ما تَدْعُونَ إليه ، فبعث إليه رجالا ؛ منهم سويد بن سليم وقَعْنَبُ والحلث بن وائل ، فلما أدْنَيْ مِنْهُم المِعْبَرُ وأرادوا أن يَنْزِلُوا فيه أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ شبيب أَلَّا تَدْخُلُوا السَّفِينَةَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى رَسُولِي مِنْ عِنْدِ مَطْرَفٍ ، وبعث إلى مطرف : أن ابعث إلى بَعْدَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ حَتَّى تَرُدَّ عَلَى أَصْحَابِي ، فقال لرسوله : القَهْ فَقُلْ لَهُ : فكيف آمْنُكَ عَلَى أَصْحَابِي إِذَا بَعَثْتُهُمُ الْآنَ إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ لَا تَأْمَنِي عَلَى أَصْحَابِكَ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ شبيب : إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لَا نَسْتَحِلُّ فِي دِينِنَا الْغَدْرَ ، وَأَنْتُمْ تَفْعَلُونَهُ وَتَهْوَنُونَهُ . فَسَرَّحَ إِلَيْهِ مَطْرَفَ الرِّبِيعِ بْنِ يَزِيدَ الْأَسَدِيَّ ، وسليمان بن حُدَيْفَةَ بْنِ هَلَالِ بْنِ مَالِكِ الْمَزَنِيِّ ، ويزيدَ بْنَ أَبِي زِيَادِ مَوْلَى الْمَغِيرَةِ — وَكَانَ عَلَى حَرَسِ مَطْرَفٍ — فَلَمَّا وَقَعُوا فِي يَدَيْهِ بَعَثَ أَصْحَابَتَهُ إِلَيْهِ .

قال أبو مِخْنَفٍ :

حدثني النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ ، قال : كنت عند مطرف بن المغيرة ابن شُعْبَةَ فَمَا أَدْرَى أَقَالَ : إِنْ كُنْتُ فِي الْجَنْدِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ، أَوْ قَالَ : كنت بإزائه حيث دخلت عليه رُسُلُ شبيب ! وكان لي ولأخِي ٩٨٤/٢ وَدَّامَكُومًا ، ولم يكن ليستر مِنَّا شَيْئًا ، فدخلوا عليه وما عنده أحدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي وَغَيْرِ أَخِي حَلَامِ بْنِ صَالِحٍ ، وَهُمْ سِتَّةٌ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ ، وَهُمْ شَاكُونَ فِي السَّلَاحِ ، وَنَحْنُ لَيْسَ عَلَيْنَا إِلَّا سَيُوفُنَا ، فَلَمَّا دَنَوْا قَالَ سَوِيدٌ : السَّلَامُ عَلَى مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَعَرَفَ الْهُدَى وَأَهْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ مَطْرَفٌ : أَجَلٌ ، فَسَلَّمَ اللَّهُ عَلَى أَوْلَئِكَ ، ثُمَّ جَلَسَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ لَهُمْ

مطرف : قُصِّوا على أمركم ، وخبروني ما الذي تطلبون ؟ وإلام تَدْعُون ؟
 فحميد الله سُويد بن سليم وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فإنّ الذي
 ندعو إليه كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنّ الذي نقمنا على
 قومنا الاستئثار بالفتيّة وتعطيل الحدود والتسلط بالبحريّة . فقال لهم
 مطرف : ما دعوتكم إلا إلى حقّ ، ولا نقمتكم إلا جوراً ظاهراً ، أنا لكم
 على هذا مُتابع ، فتابعوني إلى ما أدعوكم إليه ليجتمع أمرى وأمرُكم ،
 وتكون يدي وأيديكم واحدة ، فقالوا : هات ، اذكر ما تريد أن تَدْكُر ،
 فإن يكن ما تدعوننا إليه حقّاً نُجيبك ؛ قال : فإنّي أدعوكم إلى أن نقاتل
 هؤلاء الظالميّة العاصين على إحداثهم الذي أحدثوا^(١) ، وأن ندعوهم إلى
 كتاب الله وسنة نبيّه ، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين ، يؤمّرون
 عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التي تركهم عليها عمرُ بن الخطّاب ؛
 فإنّ العرب إذا علمت أن ما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا ،
 وكثر تبعكم منهم وأعوانكم على عدوكم ، وتمّ لكم هذا الأمر الذي
 تريدون .

قال : فتوثّبوا من عنده ، وقالوا : هذا ما لا نجيبك إليه أبداً ، فلمّا ٩٨٥/٢
 مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفّة البيت التفت إليه سُويد بن سليم ، فقال :
 يا بن المغيرة ، لو كان القوم عُدّة غُدراً كنت قد أمكنتهم من نفسك ،
 ففزع لها مطرف ، وقال : صدقت وإله موسى وعيسى .

قال : ورجعوا إلى شبيب فأخبروه بمقالته ، فطمع فيه ، وقال لهم :
 إنّ أصبحتم فليأتني أحدكم ؛ فلمّا أصبحوا بعث إليه سُويداً وأمره بأمره ،
 فجاء سُويد حتّى انتهى إلى باب مطرف ، فكنّ أنا المستأذن له ، فلمّا دخل
 وجلس أردت أن أنصرف ، فقال لي مطرف : اجلس فليس دونك ستر ؛
 فجلست وأنا يومئذ شابّ أغيد ، فقال له سُويد : من هذا الذي ليس لك
 دونك ستر ؟ فقال له : هذا الشّريف الحسيب ، هذا ابن مالك بن
 زهير بن جدّيمة ، فقال له : بئح أكرمت فارتيط ، إن كان دينه على

(١) ١ ، س : « على أحداثهم التي أحدثوا » .

قدّر حسبه فهو الكامل ، ثم أقبل عليه فقال : إِنَّا لَقَيْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّدَى ذَكَرْتَ لَنَا ، فَقَالَ لَنَا : الْقَوَّةُ فَقُولُوا لَهُ : أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اخْتِيَارَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ خَيْرٌ لَهُمْ فِيمَا يَرُونَ رَأْيَ رَشِيدٍ ! فَقَدْ مَضَتْ بِهِ السَّنَةُ بَعْدَ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا قَالَ لَكُمْ : نَعَمْ ، فَقُولُوا لَهُ : فَإِنَّا قَدْ اخْتَرْنَا لِنَفْسِنَا أَرْضَانَا فِينَا ، وَأَشَدَّنَا اضْطِلَاعًا لِمَا حُمِّلَ ، فَلَا يَغْيُرُ وَلَا يُبَدِّلُ فَهُوَ وَلِيُّ أَمْرِنَا . وَقَالَ لَنَا : قُولُوا لَهُ فِيمَا ذَكَرْتَ لَنَا مِنَ الشُّورَى حِينَ قُلْتَ : إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا عَلِمَتْ أَنَّكُمْ إِنَّمَا تَرِيدُونَ بِهَذَا الْأَمْرَ قَرِيشًا^(١) كَانَ أَكْثَرُ لَتَبِعِكُمْ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ لَا يَنْقُصُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَقْلُوا ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ خَيْرًا أَنْ يَكْثُرُوا ، وَإِنْ تَرَكْنَا حَقَّنَا الَّذِي خَرَجْنَا لَهُ ، وَدَخَلْنَا فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ مِنَ الشُّورَى خَطِيئَةً وَعَجْزَ وَرُخْصَةً إِلَى نَصْرِ الظَّالِمِينَ وَوَهْنٍ ، لَأَنَّا لَا نَرَى أَنَّ قَرِيشًا أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْعَرَبِ . وَقَالَ^(٢) : فَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْعَرَبِ فَقُولُوا لَهُ : وَلَمْ ذَاكَ ؟ فَإِنْ قَالَ : لِقَرَابَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ فَقُولُوا^(٣) لَهُ : فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يَسْتَبْغِي إِذَا لَأَسْلَفْنَا الصَّالِحِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَنْ يَتَوَلَّوْا عَلَى أَسْرَةِ مُحَمَّدٍ ، وَلَا عَلَى وَلَدِ أَبِي لَهَبٍ لَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرُهُمْ ؛ وَلَوْلَا أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَاهُمْ ، وَأَنَّ أَوْلَاهُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ أَنْتَاهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ فِيهِمْ ، وَأَشَدَّهُمْ اضْطِلَاعًا بِحَمْلِ أُمُورِهِمْ مَا تَوَلَّوْا أُمُورَ النَّاسِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ أَنْكَرَ الظُّلْمَ وَغَيَّرَ الْجَوْرَ وَقَاتَلَ الْأَحْزَابَ ، فَإِنْ اتَّبَعْنَا فَلَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِلَّا يَفْعَلُ فَهُوَ كَبَعْضٍ مِنْ نَعَادِي وَنُقَاتِلِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

فَقَالَ لَهُ مَطْرَفٌ : قَدْ فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ ، إِرْجِعْ يَوْمَكَ هَذَا حَتَّى تَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا .

فَرَجَعَ ، وَدَعَا مَطْرَفٌ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ ثِقَاتِهِ وَأَهْلِ نَصَائِحِهِ مِنْهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ حَذِيفَةَ الْمُرْتَنِيِّ ، وَالرَّبِيعُ بْنُ يُزَيْدَ الْأَسَدِيِّ . قَالَ النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ : وَكَنتُ أَنَا وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَائِمَيْنِ عَلَى

(١) ب : « قَرِيشًا » . (٢) ط : « فَقَالَ لَهُ » . (٣) ط : « فَقُلْ » .

رأسه بالسيف ، وكان على حرسه ، فقال لهم مطرف : يا هؤلاء ، إنكم نصحاء وأهل مودتي ومن أثق بصلاحه وحسن رأيه ، والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلّمة كارهاً ، أنكرها بقلبي ، وأغيرها ما استطعتُ بفعلٍ وأمرى ، فلمّا عظمتُ خطيئتهم ، ومرّ بي هؤلاء القومُ يجاهدونهم ، لم أر أنّهم يسعني إلا مناهضتهم وخلافهم إنّ وجدتُ أعواناً عليهم ، وإني دعوتُ هؤلاء القومَ فقلت لهم كَيْتَ وكَيْتَ ، وقالوا لي كَيْتَ وكَيْتَ ، فليستُ أرى القتالَ معهم ، ولو تابَعوني على رأيي وعلى ما وصفتُ لهم لخلعتُ عبدَ الملك والحجّاج ، ولسِرتُ إليهم أجهِدْهم . فقال له المزني : إنّهم لن يُتابِعوك ، وإنّك لن تُتابِعَهم فأخفِ هذا الكلامَ ولا تُظهِره لأحد ، وقال له الأسدّي مثل ذلك ، فجسّأ مولاة ابن أبي زياد على ركبتيه ثم قال : والله لا يسخفني ممّا كان بينك وبينهم على الحجّاج كلمة واحدة ، وليزادَنَّ على كلّ كلمة عشرة أمثالها ، والله أن لو كنتُ في السحاب هارباً من الحجّاج ليلتمسن أن يصل إليك حتّى يهلكك^(١) أنت ومن معك ؛ فالنّجاء النّجاء من مكانك هذا ، فإنّ أهل المَدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب ، وأهل عسكر شبيب يتحدّثون بما كان بينك وبين شبيب ، ولا تمس من يومك هذا حتّى يبلّغ الخبرُ الحجّاج ؛ فاطلبُ داراً غيرَ المَدائن . فقال له صاحبه : ما نرى الرأي إلا ٩٨٨/٢ كما ذكرلك^(٢) ، قال لهما مطرف : فما عندكما ؟ قالا : الإجابة إلى ما دعوتنا إليه والمؤاساة لك بأنفسنا على الحجّاج وغيره . قال : ثمّ نظر إلى ، فقال : ما عندك ؟ فقلت : قتال عدوّك ، والصّبر معك ما صبرت ، فقال لي : ذاك الظنّ بك .

قال : ومكث حتّى إذا كان في اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له : إنّ تابعتنا فأنت منّا ، وإن أبيت فقد نابذناك ، فقال : لا تعجلوا اليوم فإنّا ننظر .

قال : وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا اللّيلة من عند آخركم حتّى توفوا الدّسكرة معي لحدّث حدث هنالك .

(١) ب ، ف : « تهلك » .

(٢) ب ، ف ، « ما قال » .

ثم أدلجَ وخرج أصحابه معه حتى مرَّ بدَيْرِ يَزْدَجِرْدَ فَنَزَلَهُ ، فَلَقِيَهُ قَبِيصَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَحَافِيَّ مِنْ خَشْعَمَ ، فَدَعَاهُ إِلَى صُحْبَتِهِ ، فَصَحَّبَهُ فَكَسَاهُ وَحَمَلَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِنَشَقَةِ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ الدَّسْكَرَةَ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْتَحِلَ مِنْهَا لَمْ يَجِدْ بَدَأَ مِنْ أَنْ يُعْلِمَ أَصْحَابَهُ مَا يَرِيدُ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ رُءُوسَ أَصْحَابِهِ ، فَذَكَرَ اللَّهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْجِهَادَ عَلَى خَلْقِهِ ، وَأَمَرَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَقَالَ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَنَّى قَدْ خَلَعْتُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَالْحَجَّاجَ بْنَ يَوْسُفَ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ صُحْبَتِي وَكَانَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي فَلْيَتَابَعْنِي ، فَإِنَّ لَهُ الْأُسُوءَةَ وَحُسْنَ الصَّحْبَةِ ، وَمَنْ أَبَى فَلْيَذْهَبْ حَيْثُ شَاءَ ، فَإِنِّي لَسْتُ أَحَبَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي مَنْ لَيْسَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي جِهَادِ أَهْلِ الْجَوَرِ ، أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ إِلَى قِتَالِ الظُّلْمَةِ ، فَإِذَا جَمَعَ اللَّهُ لَنَا أَمْرًا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ شُوزَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَضُونَ لَأَنْفُسِهِمْ مَنْ أَحَبُّوا .

قال : فَيُوثَبُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَيَابِعُوهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ رَحْلَهُ وَبَعَثَ إِلَى سَبْرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَنْزٍ النَّهْدِيِّ فَاسْتَخْلَاهُمَا ، وَدَعَاهُمَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيْهِ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْطَاهُمَا الرِّضَا ، فَلَمَّا ارْتَحَلَا انْصَرَفَا بِمَنْ مَعَهُمَا مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى أَتَيَا الْحَجَّاجَ فَوَجَدَاهُ قَدْ نَازَلَ شَيْبًا ، فَشَهِدَا مَعَهُ وَقَعَةَ شَيْبٍ . قَالَ : وَخَرَجَ مَطْرَفٌ بِأَصْحَابِهِ مِنَ الدَّسْكَرَةِ مُوجَّهًا نَحْوَ حُلْوَانَ ، وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجَ بَعَثَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ سُوَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيَّ عَلَى حُلْوَانَ وَمَاسِبَذَانَ ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ مَطْرَفَ بْنَ الْغُبَرَةِ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَ أَرْضِهِ عَرَفَ أَنََّّهُ إِنْ رَفَقَ فِي أَمْرِهِ أَوْ دَاهَنَ لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ الْحَجَّاجُ ، فَجَمَعَ لَهُ سُوَيْدُ أَهْلَ الْبَلَدِ وَالْأَكْرَادِ ، فَأَمَّا الْأَكْرَادُ فَأَخَذُوا عَلَيْهِ ثَنِيَّةَ حُلْوَانَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ سُوَيْدٌ وَهُوَ يَحِبُّ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ قِتَالِهِ ، وَأَنْ يُعَافَى مِنَ الْحَجَّاجِ ، فَكَانَ خُرُوجُهُ كَالْتَعْذِيرِ .

قال أبو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ الْخَشْعَمِيُّ أَنَّ

الحجاج بن جارية الخزعمي حين سمع بخروج مطرف من المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلا من قومه وغيرهم . قال : وكنت فيهم فليحقناه بحدوان ، فكنّا ممن شهد معه قتال سُويد بن عبد الرحمن . ٩٩٠/٢

قال أبو مخنف : وحدثني بذلك أيضا النضر .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الله بن علقمة . قال : ما هو إلا أن قدّمنا على مطرف بن المغيرة ، فُسّرَ بمقدّمنا عليه ، وأجلس الحجاج ابن جارية معه على مجلسه .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح ، وعبد الله بن علقمة ، أن سُويداً لمّا خرج إليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت ، وقدّم ابنه القعقاع في الخيل ، وما خيله يومئذ بكثير .

قال أبو مخنف : قال النضر بن صالح : أراهم كانوا مائتين ، وقال ابن علقمة : أراهم كانوا ينقصون عن (١) الثلاثمائة . قال : فدعا مطرف الحجاج بن جارية فسرحه إليهم في نحو من عديتهم (٢) ، فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادّون في قتاله ، وهم فرسان متعاليمون ، فلمّا رآهم سُويد قد تيسروا (٣) نحو ابنه أرسل إليهم غلاماً له يقال له رُسْتَم - قُتل معه بعد ذلك بتدبير الجماجم - وفي يده راية بني سعد ، فانطلق غلامه حتّى انتهى إلى الحجاج بن جارية ، فأسرّ إليه : إن كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنّا ، فإنّا لا نريد قتالكم ، وإن كنتم إيانا تريدون فلا بدّ من منّع ما في أيدينا . فلمّا جاءه بذلك قال له الحجاج بن جارية : ائت أميرنا فاذكّر له ما ذكرت لي ، فخرج حتّى أتى مطرفاً فذكّر له مثل الذي ذكر للحجاج بن جارية ، فقال له مطرف : ما أريدكم ولا بلادكم ، فقال له : فالزم هذا الطريق حتّى تخرج من بلادنا ، فإنّا لا نجد بداً من أن يصرّى الناس وتسمع بذلك أنّا قد خرجنا إليك . قال : فبعث مطرف إلى الحجاج فأناه ، ولزموا الطريق حتّى مروا بالثنية فإذا الأكراد بها ، فنزل مطرف ونزل معه عامة أصحابه

(١) كذا في ١ ، وفي ط : «من» . (٢) ١ : «عدهم» . (٣) ١ ، س : «سبيلوا» .

وصعد إليهم في الجانب الأيمن الحجاجُ بنُ جارية، وفي الجانب^(١) الأيسر سليمانُ بنُ حذيفة، فهزماه^(٢) وقتلاهم، وسلم مطرف وأصحابه فضوا حتى دنوا من همدان، فتركها وأخذ ذات اليسار إلى ماه دينار، وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همدان، فكبره أن يدخلها فيقتلهم أخوه عند الحجاج، فلما دخل مطرف أرض ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة :

أما بعد، فإن الثقة قد كثرت والمؤنة قد اشتدت، فأمدد أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح.

وبعث إليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة، فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب مطرف ليلاً، فلما رآه قال له : ثكلتك أمك ! أنت قتلت مطرفاً ؟ فقال له : ما أنا قتلته جعلتُ فداك ! ولكن مطرفاً قتل نفسه وقتلني، وليته لا يقتلك، فقال له : ويحك ! من سؤل له هذا الأمر ! فقال : نفسه سؤل هذا^(٣) له. ثم جلس إليه فقص عليه القصص، وأخبره بالخبر، ودفع كتاب مطرف إليه، فقرأه ثم قال : نعم، وأنا باعث إليه بمال وسلاح، ولكن أخبرني ترى ذلك يخفى لي ؟ قال : ما أظن أن يخفى، فقال له حمزة : فوالله لئن أنا خذلته في أنفع النصرين له نصر العلانية، لا أخذه في أيسر النصرين نصر السريرة. قال : فسرّح إليه مع يزيد بن أبي زياد بمال وسلاح، فأقبل به حتى أتى مطرفاً ونحن نزول في رستاق من رساتيق ماه دينار، يقال له : سامان متأخيم أرض أصبهان، وهو رستان كانت الحمراء تستزله.

قال أبو مخنف : فحدثني النصير بن صالح، قال : والله ما هو إلا أن مضى يزيد بن أبي زياد، فسمعت أهل العسكر يتحدثون أن الأمير بعث إلى أخيه يسأله الثقة والسلاح، فأتي مطرفاً فحدثته بذلك، فضرب بيده على جبهته ثم قال : سبحان الله ! قال الأول : ما يخفى إلا مالا يكون^(٤)،

(١) ب، ف : « في الجانب » . (٢) س : « فهزموهم » .

(٣) ب، س : « له هذا » . (٤) كذا في أ، وهو الصواب، وفي ط : « قال » .

قال : وما هو إلا أن قدم يزيدُ بن أبي زياد علينا ، فسار مطرّف بأصحابه حتى نزل قُمّ وقاشان وأصبهان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة أن مطرّفًا حين نزل قُمّ وقاشان وأطمأنّ ، دعا الحجاج بن جارية فقال له : حدثني عن هزيمة شبيب يوم السَّبَخَةِ أكانت وأنت شاهدُها ، أم كنت خرجت قبل الواقعة ؟ قال : لا ، بل شهدتها^(١) ، قال : فحدثني حديثهم كيف كان ؟ فحدثته ، فقال : إني كنتُ أحبّ أن يَظْفَر شبيب وإن كان ضالًّا فيقتل ضالًّا . قال : فظننت أنه تمى ذلك لأنه كان يرجو أن يتمّ له الذي يطلب لو هلك الحجاج . قال : ثمّ إن مطرّفًا بعث عمّاله .

قال أبو مخنف : فحدثني النضرُ بنُ صالح أن مطرّفًا عمل عملاً ٩٩٣/٢ حازمًا لولا أن الأقدار غالبه . قال : كتب^(٢) مع الربيع بن يزيد إلى سويد ابن سرحان الثقفي ، وإلى بكير بن هارون البجليّ :

أما بعد ، فإننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه ، وإلى جهادٍ من عند الحقّ ، واستأثر بالفتى ، وترك حُكْم الكتاب ، فإذا ظهر الحقّ ودُمِغ الباطل ، وكانت كلمةُ الله هي العليا ، جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم الرضا ، فمن قبيل هذا منّا كان أحنانا في ديننا ، ووليّنا في محيانا ومماتنا ، ومن ردّ ذلك علينا بجاهدناه واستنصرنا الله عليه فكفّنا بنا عليه حجة ، وكفى بتركه الجهاد في سبيل الله غيبنا ، وبمداهنة الظالمين في أمر الله وهنّا ! إن الله كتب القتال على المسلمين وسماه كُفْرُهُمْ ، ولن يُنَالَ رضوانُ الله إلا بالصبر على أمر الله ، وجهاد أعداء الله ، فأجيبوا رحمكم الله إلى الحقّ ، وادعوا إليه من ترجون إجابته ، وعرفوه ما لا يعرفه ، وليقبّل إلى كلّ من رأى رأينا ، وأجاب دعوتنا ، ورأى عدوّه عدونا . أرشدنا الله وإياكم ، وتاب علينا وعليكم ، إنه هو التّواب الرحيم . والسلام .

(١) ب ، ف : « شاهدتها » . (٢) ب ، ف : « وكتب » .

فلما قَدِمَ الكتابُ على ذَيْنِكَ الرجلين دَبَّاً في رجال من أهل الرّى ودَعَوْا من تابعَهُما ، ثمَّ خرجا في نحو من مائة من أهل الرّى سرّاً لا يُفْطَنُ (١) ٩٩٤/٢ بهم ، فجاءوا حتى وافوا مطرَفاً . وكتب البراءُ بنُ قبيصة ، وهو عامل الحجاج على أصبَهانَ :

أما بعد ، فإن كان للأمير أصلحه الله حاجةٌ في أصبَهانَ فليبعث إلى مطرَف جيشاً كيئفاً يستأصله ومن معه ، فإنه لا تزال عصابة قد انتفحت له من بلدة من البلدان حتى تُوافيه (٢) بمكانه الذي هو به ، فإنه قد استكثف وكثُر تبَعه ، والسلام .

فكتب إليه الحجاج :

أما بعد ، إذا أتاك رسولُ (٣) فعَسْكَرْ بمن معك ، فإذا مرَّ بك عَدِيّ ابن وتاد فاخرج معه في أصحابك ، واسمع له وأطيع . والسلام .
فلما قرأ كتابه خرج فعسكّر ، وجعل الحجاج بن يوسف يسرّح إلى البراء بن قبيصة الرجال على دواب البرد (٤) عشرين عشرين ، وخمسة عشر خمسة عشر ، وعشرة عشرة ، حتى سرح إليه نحواً من خمسمائة ، وكان في ألفين . وكان الأسود بن سعد الهمداني (٥) أتى الرّى في فتح الله على الحجاج يوم لقي شبيباً بالسبخة ، فرّ بهمذان والحبال ، ودخل على حمزة فاعتذر إليه ، فقال الأسود : فأبلغت الحجاج عن حمزة ، فقال : قد بلغني ذاك ، وأراد عزله ، فخشى أن يسمك به ، وأن يمتنع منه ، فبعث إلى قيس بن سعد العجليّ - وهو يومئذ على شرط (٦) حمزة بن المغيرة ولبنى عجل وربيعة عدد بهمذان - فبعث إلى قيس بن سعد بعهده على همذان ، وكتب إليه أن أوثق حمزة ابن المغيرة في الحديد (٧) ، وأحبسه قبلك حتى يأتيك أمرى . ٩٩٥/٢

فلما أتاه عهده وأمره أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير ، فلما دخل المسجد وافق الإقامة للصلاة العصر ، فصلّى حمزة (٨) ، فلما انصرف حمزة انصرف معه

(١) ب ، ف : « فطن » .

(٢) ب : « يواقيه » .

(٣) ب : ف : « كتابي ورسولي » .

(٤) ب : « البرد » .

(٥) كذا في ١ ، وفي ط : « الهمداني » .

(٦) ب ، ف : « شرط » .

(٧) ب ، ف : « بالحديد » .

(٨) ١ : « وصل مع حمزة » .

قيس بن سعد العجليّ صاحب شُرطه ، فأقرأه كتابَ الحِجّاجِ إليه ، وأراه عهدَه ، فقال حمزة . سمعاً وطاعة ؛ فأوثقه وحبّسه في السجن ، وتولى أمرَ هَمْدان ، وبعث عمّاله عليها ، وجعل عماله كلهم من قومه ؛ وكتب إلى الحِجّاج :

أما بعد ، فإني أخبر الأميرَ أصلحه الله ، أني قد شدّدتُ حمزةَ بنَ المغيرة في الحديد ، وحبّسته في السجن ، وبعثتُ عمّالي على الخِراج ، ووضعتُ يدي في الجبّاية ، فإن رأى الأميرُ أبقاه الله أن يأذن لي في المسير إلى مطرف أذن لي حتى أجاهده في قومي ، ومن أطاعني من أهل بلادى ؛ فإني أرجو أن يكون الجهادُ أعظمَ أجراً من جبّاية الخِراج . والسلام .

فلما قرأ الحِجّاج كتابَه ضحك ثم قال : هذا جانب آخر ما قد أمتناه . وقد كان حمزة بهمدان أثقل ما خلق الله على الحِجّاج مخافة أن يمدّ أخاه بالسلاح والمال ، ولا يدرى لعله يبدو له فيعقّ ، فلم يزل يكيدُه حتى عزله ؛ فاطمان وقصد قصد مطرف .

قال أبو ميخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة أن الحِجّاج لما قرأ كتابَ قيس بن سعد العجليّ وسمع قولَه : إن أحبّ الأميرُ سرت إليه حتى أجاهده في قومي ، قال : ما أبغض إلى أن تنكث العربُ في أرض الخِراج . قال : فقال لي ابن الغرق : ما هو إلا أن سمعتها من الحِجّاج فعلمتُ أنه لو ٩٩٦/٢ قد فرّخ له قد عزّله .

قال : وحدثني النضر بن صالح أن الحِجّاج كتب إلى عدى بن وتاد الإيادي وهو على الرّي يأمره بالمسير إلى مطرف بن المغيرة وبالممرّ على البراء ابن قبيصة ، فإذا اجتمعوا فهو أميرُ الناس .

قال أبو ميخنف : وحدثني أبي عن عبد الله بن زهير ، عن عبد الله بن سليم الأزديّ ، قال : إني لجالس مع عدى بن وتاد على مجلسه بالرّي إذ أتاه كتابَ الحِجّاج ، فقرأه ثم دفعه إليّ ، فقرأته فإذا فيه :

أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فانهض بثلاثة أرباع من معك من أهل الرّي ، ثم أقبل حتى تمرّ بالبراء بن قبيصة بجيّ ، ثم سيراً جميعاً ، فإذا

لقيتهما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفاً ، فإذا كَفَى الله المؤمنين مؤنته فانصرف إلى عملك في كَسَف من الله وكَلَاةِهِ وَسِرِهِ . فلما قرأته قال لي : قم وتجهز .

قال : وخرج فَعَسَكَرَ ، ودعا الكتاب فصرَبوا البعث على ثلاثة أرباع الناس ، فما مضت جُمُعة حتى سرنا فانتهينا إلى جَنَى ، ويُؤافينا بها قَبِيصة القُحافي في تِسعمائة من أهل الشام ، فيهم عُمر بن هُبيرة ، قال : ولم نلبث بجَنَى إلا يومين حتى نهض عدى بن وتاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مُقاتِل من أهل الرى وألف مُقاتِل مع البراء بن قبيصة بعثهم إليه ٩٩٧/٢ الحجاج من الكوفة ، وسبعمائة من أهل الشام ، ونحو ألف رجل من أهل أصبَهان والأكراد ، فكان في قريب من ستة آلاف مُقاتِل ، ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة .

قال أبو ميخنف : فحدثني النضر بن صالح ، عن عبد الله بن علقمة ، أن مطرفاً لما بلغه مسيرهم إليه خَسَدَق على أصحابه خَسَدَقاً ، فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه .

قال أبو ميخنف : وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير ، قال : كنت مع مولاى إذ ذاك ؛ قال : خرج عدى بن وتاد فعبى الناس ، فجعل على ميمنته عبد الله بن زهير ، ثم قال للبراء بن قبيصة : قم في الميسرة ، فغضب البراء ، وقال : تأمرنى بالوقوف في الميسرة وأنا أمير مثلك ! تلك خبيلى في الميسرة ، وقد بعثت عليها فارس مَضَر الطُفَيْل بن عامر بن وائلة ؛ قال : فأنهيت ذلك إلى عدى بن وتاد ، فقال لابن أقيصر الخثعمي : انطلق فأنت على الخيل ، وانطلق إلى البراء بن قبيصة فقل له : إنك قد أمرت بطاعتي ، ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرِجالة في شيء ، إنما عليك أن تؤمر فتطيع ، ولا تعرض لى في شيء أكرهه فأنتكرك لك — وقد كان له مكروماً .

ثم إن عدياً بعث على الميسرة عمر بن هبيرة ، وبعثه في مائة من أهل الشام ، فجاء حتى وقف برايته ، فقال رجل من أصحابه للطُفَيْل بن عامر :

خَلَّ رَايَتَكَ وَتَنَحَّ عَنَّا ، فَإِنَّمَا نَحْنُ أَصْحَابُ هَذَا الْمَوْقِفِ ؛ فَقَالَ الطُّفَيْلُ :
 إِنِّي لَا أَخَاصِمُكُمْ ، إِنَّمَا عَقَدْتُ هَذِهِ الرَّايَةَ الْبَرَاءَ بْنَ قَبِيصَةَ ، وَهُوَ أَمِيرُنَا ،
 وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ عَلَى جَمَاعَةِ النَّاسِ ، فَإِنْ كَانَ قَدْ عَقَدَ لَصَاحِبِكُمْ ٩٩٨/٢
 هَذَا فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ ، مَا أَسْمَعْنَا وَأَطَوَعْنَا ! فَقَالَ لَهُمُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ : مَهَلًا ، كُفُّوا
 عَنْ أَخِيكُمْ وَابْنِ عَمِّكُمْ ، رَايَتُنَا رَايَتَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ آثَرْنَاكَ بِهَا . قَالَ : فَمَا
 رَأَيْنَا رَجُلَيْنِ كَانَا أَحْلَمَ مِنْهُمَا فِي مَوْقِفِهِمَا ذَلِكَ . قَالَ : وَنَزَلَ عَدِيَّ بْنُ وَثَّادٍ ثُمَّ
 زَحَفَ نَحْوَ مَطْرَفٍ .

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي النَّضَرُ بْنُ صَالِحٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُلْقَمَةَ أَنَّ
 مَطْرَفًا بَعَثَ عَلَى مِيمَنَتِهِ الْحُجَّاجَ بْنَ جَارِيَةَ ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ الرَّبِيعَ بْنَ يَزِيدَ
 الْأَسَدِيَّ ، وَعَلَى الْحَامِيَةِ سُلَيْمَانَ بْنَ صَخْرٍ الْمُزَنِيَّ^(١) ، وَنَزَلَ هُوَ يَمْشِي فِي الرِّجَالِ ،
 وَرَأَيْتُهُ مَعَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى أَبِيهِ الْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ . قَالَ : فَلَمَّا زَحَفَ
 الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَتَدَانَسُوا قَالَ لَبَكِيرُ بْنُ هَارُونَ الْبَسْجَلِيُّ : اخْرُجْ
 إِلَيْهِمْ فَادْعُهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَبَسَّكْتُهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ . فَخَرَجَ
 إِلَيْهِمْ بَكِيرُ بْنُ هَارُونَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَدْهَمَ أَقْرَحَ ذَنُوبٍ عَلَيْهِ الدَّرْعُ وَالْمِغْفَرُ
 وَالسَّاعِدَانِ ، فِي يَدِهِ الرَّمْحُ ، وَقَدْ شَدَّ دَرْعَهُ بِعَصَابَةِ حَمْرَاءَ مِنْ حَوَاشِي الْبُرُودِ ،
 فَتَدَا بِصَوْتٍ لَهُ عَالٍ رَفِيعٍ : يَا أَهْلَ قَبِيلَتِنَا ، وَأَهْلَ مِيلَتِنَا ، وَأَهْلَ دَعْوَتِنَا ،
 إِنَّا نَسْأَلُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ بِمَا تُسْرُونَ مِثْلَ عِلْمِهِ بِمَا تُعْلَنُونَ
 لَمَّا أَنْصَفْتُمُونَا وَصَدَقْتُمُونَا ، وَكَانَتْ نَصِيحَتُكُمْ لِلَّهِ لَا نَخْلُقُهُ ، وَكُنْتُمْ شُهَدَاءَ
 اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ . خَبَّرُونِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ،
 وَعَنِ الْحُجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، أَلَسْتُ تَعْلَمُونَهُمَا جَبَارَيْنِ مُسْتَأَثَرَيْنِ يَتَّبِعَانِ الْهَوَى ، ٩٩٩/٢
 فَيَأْخُذَانِ بِالظُّنَّةِ ، وَيَقْتُلَانِ عَلَى الْغَضَبِ . قَالَ : فَتَنَادَوْا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ :
 يَاعَدُوْا اللَّهَ كَذِبْتَ ، لَيْسَا كَذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ : وَيْلَكُمْ ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 فَيَسْجُتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾^(٢) وَيْلَكُمْ ، أَوْ تَعْلَمُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ ،
 إِنِّي قَدْ اسْتَشْهَدْتُكُمْ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي الشَّهَادَةِ : ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(٣) .

(١) ١ : « المرئى » . (٢) سورة طه : ٦١ . (٣) سورة البقرة : ٢٨٣ .

فخرج إليه صارمٌ مولى عدى بن وتاذ وصاحب رايته ، فحمل على يسكير ابن هارون البجلي ، فاضطربا بسيفيهما ، فلم تعمل ضربة مولى عدى شيئا ، وضربه بكبير بالسيف فقتله ، ثم استقدم ، فقال : فارس لفارس ، فلم يخرج إليه أحد ، فجعل يقول :

صَارِمُ قَدْ لَا قَيْتَ سَيْفًا صَارِمًا وَأَسَدًا ذَا لِبْدَةٍ ضُبَارِمًا^(١)

قال : ثم إن الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في الميسرة ، وفيها الطفيل بن عامر بن وائلة ، فالتقى هو والطفيل - وكانا صديقين متواخييين - فتعارفا ، وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه ، فكفأ أيديهما ، واقتتلا طويلا . ثم إن ميسرة عدى بن وتاذ زالت غير بعيد ، وانصرف الحجاج بن جارية إلى موقفه . ثم إن الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير ، فاقتتلا طويلا ، ثم إن جماعة الناس حملت على الأسدى فقتلته ، وانكشفت ميسرة مطرف ابن المغيرة حتى انتهت إليه . ثم إن عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتلوه قتالا طويلا ، ثم إنه حذره حتى انتهى إلى مطرف ، وحمل ابن أقيصر الخثعمي في الخثيل على سليمان بن صخر المزني فقتله ، وانكشفت خيلهم ، حتى انتهى إلى مطرف ، فذم اقتتل الفرسان أشد قتال رآه الناس قط ، ثم إنه وصل إلى مطرف .

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ^(٢) .

قال : ولم يزل يقاتل حتى قتل ، واحتز رأسه عمر بن هبيرة ، وذكر أنه قتله ، وقد كان أسرع إليه غير واحد ، غير أن ابن هبيرة احتز رأسه وأوفده

(١) الضبارم : الشديد الخلق من الأسد . (٢) سورة آل عمران : ٦٤ .

إلى عدى بن وتاد وحظى به ، وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاءً حسناً .

قال أبو مخنف : وقد حدثني حكيم بن أبي سفیان الأزدي أنه قتل يزيد بن زياد مولى المغيرة بن شعبة ، وكان صاحب راية مطرف . قال : ودخلوا عسكر مطرف ، وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقتل ، وكان صالحاً ناسكاً عفيفاً .

أبو مخنف : حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمي ، فإما ملكت نفسي أن قلت له : أما والله لقد قتلت من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيراً . قال : فأقبل نحوي وقال : من أنت ؟ فقال له مولاى : هذا غلامى ١٠٠١/٢ ما له ؟ قال : فأخبره بمقاتلي ، فقال : إنه ضعيف العقل ، قال : ثم انصرفنا إلى الرى مع عدى بن وتاد . قال : وبعث رجلاً من أهل البلاء إلى الحجاج ، فأكرمهم وأحسن إليهم . قال : ولما رجع إلى الرى جاءت بجيلة إلى عدى بن وتاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فآمنه ، وطلبت ثقيف لسويد بن سرحان الثقيف الأمان فآمنه ، وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته ، فآمنهم وأحسن في ذلك ، وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم في عسكر مطرف ، فنادوا : يا برأء ، خذنا الأمان ، يا برأء ، اشفع لنا . فشفع لهم ، ففتركوا ، وأسرى عدى ناساً كثيراً فخلت عنهم .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بجلوان ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الله بن علقمة أن الحجاج بن جارية الخثعمي أتى الرى وكان مكتسباً بها ، فطلب إلى عدى فيه ، فقال : هذا رجل مشهور قد شهير مع صاحبه ، وهذا كتاب الحجاج إلى فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبي عن عبد الله بن زهير ، قال : كنت فيمن كلمه في الحجاج بن جارية ، فأخرج إلينا كتاب الحجاج بن يوسف :

أما بعد: فإن كان الله قتل الحجاج بن جارية فبُعْدًا له . فذاك ما أهوى وأحب ؛ وإن كان حيًّا فاطلبه قبلك حتى تؤثِّقَه ، ثمَّ سَرِّحْ به إلى إن شاء الله . والسلام .

١٠٠٢/٢

قال : فقال لنا : قد كُتِبَ إلىّ فيه ، ولا بدّ من السمع والطاعة ، ولو لم يُكْتَسَبَ إلىّ فيه أَمَنَتُهُ لَكُمْ ، وكففتُ عنه فلم أطلبه . وقمنا من عنده . قال : فلم يزل الحجاج بن جارية خائفًا حتى عَزَلَ عدى بن وثّاد ، وقدم خالد ابن عتاب بن ورقاء ، فمَشِيتُ إليه فيه ، فكلَّمْتَه فأَمَنَه . وقال حبيب بن خديرة مولى لبني هلال بن عامر :

هل أتى فائد عن أيسارنا	إذ خَشِينَا مِنْ عَدُوِّ خَرْقَا
إذ أتانا الخوفُ من مَأْمِنِنَا ^(١)	فَطَوِينَا فِي سَوَادٍ أَفْقَا
وسلّي هَدِيَّةَ يَوْمًا هل رَأَتْ	بَشْرًا أَكْرَمَ مِنَّا خُلُقَا !
وسليها أَعْلَى الْعَهْدِ لَنَا	أَوْ يُصِرُّونَ عَلَيْنَا حَقَقَا !
ولكُم من خُلَّةٍ من قَبْلِهَا	قَدْ صَرَمْنَا حَبْلَهَا فَانْطَلَقَا
قَدْ أَصَبْنَا الْعَيْشَ عَيْشَانَا عَمَّا	وَأَصَبْنَا الْعَيْشَ عَيْشًا رَنَقَا
وَأَصَبْتُ الدَّهْرَ دَهْرًا أَشْتَهَى	طَبَقًا مِنْهُ وَأَلَوَى طَبَقَا
وشَهِدْتُ الْخَيْلَ فِي مَلْمُومَةٍ	مَا تَرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقَا
يَتَسَاقَوْنَ بِأَطْرَافِ الْقَنَا	مِنْ نَجِيعِ الْمَوْتِ كَأَسَا دَهَقَا
فَطِرَادُ الْخَيْلِ قَدْ يُؤْنِقُنِي	وِيرِدُ اللَّهْوُ عَنِي الْأَنْقَا
بِمُشِيعِ الْبَيْضِ حَتَّى يَتْرَكُوا	لِسُيُوفِ الْهِنْدِ فِيهَا طُرُقَا
فَكَانَنِي مِنْ غَدٍ وَافَقْتَهَا	مِثْلَ مَا وَافَقَ شَنْ طَبَقَا

١٠٠٣/٢

[ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب

(١) ١ : « هل أتانا الخوف » ، وسقط البيت الأول .

قَطَرِيَّ بنِ الفُجَيْمَاءَةِ ، فحَسَّالْفَه بَعْضُهُمْ وَاعْتَزَلَنَّهُ ، وَبَايَعَ عَبْدَ رَبِّهِ ^(١) الْكَبِيرَ ، وَأَقَامَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَيْعَةِ قَطَرِيٍّ .

* ذكر الخبر عن ذلك ، وعن السبب الذي من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك :

ذكر هشامٌ عن أبي مخنفٍ ، عن يوسف بن يزيد ، أن المهلب أقام بسابورَ فقاتَلَ قَطَرِيًّا وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْأَزَاقَةِ بَعْدَ مَا صَرَفَ الْحِجَّاجَ عَتَابَ بنِ وَرْقَاءَ عَنْ عَسْكَرِهِ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ . ثُمَّ إِنَّهُ زَاخَفَهُمْ يَوْمَ الْبُسْتَانِ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَكَانَتْ كَرْمَانُ فِي أَيْدِي الْخَوَارِجِ ، وَفَارِسُ فِي يَدِ الْمُهَلَّبِ ، فَكَانَ قَدْ ضَاقَ عَلَيْهِمْ مَكَانُهُمْ الَّذِي هُمْ بِهِ ، لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ فَارِسٍ مَادَّةٌ ، وَبَعُدَتْ ^(١) دِيَارُهُمْ عَنْهُمْ ، فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْا كَرْمَانَ وَتَبِعَهُمُ الْمُهَلَّبُ حَتَّى نَزَلَ بِحِيرَ قَتَ - وَجِيفَتْ مَدِينَةُ كَرْمَانَ - فَقَاتَلَهُمْ بِهَا أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَحَازَهُمْ عَنْ فَارِسٍ كُلِّهَا ، فَلَمَّا صَارَتْ فَارِسُ كُلُّهَا فِي يَدِ الْمُهَلَّبِ بَعَثَ الْحِجَّاجَ عَلَيْهَا عَمَّالَهُ وَأَخَذَهَا مِنَ الْمُهَلَّبِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَكَتَبَ إِلَى الْحِجَّاجِ :

أما بعد ، فدعُ بَيْتُ الْمُهَلَّبِ خَرَّاجَ جِبَالِ فَارِسَ ، فَإِنَّهُ لَا بَدَ لِلْجَيْشِ ١٠٠٤/٢ مِنْ قُوَّةٍ ، وَلِصَاحِبِ الْجَيْشِ مِنْ مَعُونَةٍ ، وَدَعُ لَهُ كُورَةَ فَسَّاسًا وَدَرَّابَجَرْدًا ، وَكُورَةَ إِصْطَخْرَ .

فَرَكَمَهَا لِلْمُهَلَّبِ ، فَبِعِثَ الْمُهَلَّبُ عَلَيْهَا عَمَّالَهُ ، فَكَانَتْ لَهُ قُوَّةٌ عَلَى عَدُوِّهِ وَمَا يَصْلُحُهُ ، فَقِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرُ الْأَزْدِ وَهُوَ يَعَاتِبُ الْمُهَلَّبَ :

نَقَاتِلْ عَنْ قُصُورِ دَرَّابَجَرْدٍ وَنَجْبِيٍّ لِلْمَغِيرَةِ وَالرُّقَادِ

وَكَانَ الرُّقَادُ بْنُ زِيَادِ بْنِ هَمَّامٍ - رَجُلٌ مِنَ الْعَتِيكِ - كَرِيمًا عَلَى الْمُهَلَّبِ ، وَبَعَثَ الْحِجَّاجُ إِلَى الْمُهَلَّبِ الْبَرَاءَ بْنَ قَبِيصَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُهَلَّبِ :
أما بعد ، فإنك والله لو شئتَ فيما أرى لقد اصطلمتَ هذه الخارجة المارقة ، وَلَكِنَّكَ تَحِبُّ طَوْلَ بَقَائِهِمْ لِتَأْكُلَ الْأَرْضَ حَوْلَكَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ الْبَرَاءَ بْنَ

(١) كَذَا فِي أ ، وَفِي ط : «عبد رب» . (٢) أ ، ط ، «بعد» ، وَأَثَبْتُ مَا فِي ب ، ف .

قبيصة لينهضك إليهم ، فانهض إليهم إذا قدم عليك بجميع المسلمين ، ثم جاهدكم أشد الجهاد ، وإيتاك والعيل والأباطيل ، والأمور التي ليست لك عندي بسائغة ولا جائزة ، والسلام .

فأخرج المهلب بنه ؛ كل ابن له في كتيبة ، وأخرج الناس على راياتهم ومصافئهم وأخماسهم ، وجاء البراء بن قبيصة فوقف على تل قريب منهم ١٠٠٥/٢ حيث يراهم . فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب ، والرجال على الرجال ، فيقتلون أشد^(١) قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلى انتصاف النهار ، ثم انصرفوا . فجاء البراء بن قبيصة إلى المهلب فقال له : لا والله ما رأيت كبتيك فرساناً قط ، ولا كفرسانك من العرب فرساناً قط ، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط أصبر ولا أبأس ، أنت والله المدبور . فربح بالناس المهلب ، حتى إذا كان عند العصر خرج إليهم بالناس وبنه في كتائبهم ، فقاتلوه فقتلهم في أول مرة .

قال أبو مخنف : وجدني أبو المغلس الكنانى ، عن عمه أبي طلحة ، قال : خرجت كتيبة من كتائبهم لكتيبة من كتائبنا ، فاشتد بينهما القتال ، فأخذت كل واحدة منهما لا تصد عن الأخرى ، فاقتلتا حتى حجز الليل بينهما ، فقالت إحداهما للأخرى : ممن أنتم ؟ فقال هؤلاء : نحن من بنى تميم ؛ وقال هؤلاء : نحن من بنى تميم ؛ فانصرفوا عند المساء ، قال المهلب للبراء : كيف رأيت ؟ قال : رأيت قوماً والله ما يعينك عليهم إلا الله . فأحسن إلى البراء بن قبيصة وأجازه ، وحملته وكساه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم انصرف إلى الحجاج فأثاه بعذر المهلب ، وأخبره بما رأى ، وكتب المهلب إلى الحجاج :

أما بعد ، فقد أتاني كتاب الأمير أصلحه الله ، واتهامه إيتاى في هذه الخارجة المارقة ، وأمرنى الأمير بالنهوض إليهم ، وإشهاد رسوله ذلك ، وقد فعلت ، فليسألني عما رأى ، فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم وإزالتهم عن مكانهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين ، وما وفيت ١٠٠٦/٢

(١) بعدها في ب ، ف : « وأعظم » .

لأُمير المؤمنين ، ولا نصحتُ للأُمير ^(١) — أصلحه الله — فعاذ الله أن يكون هذا من رأي ، ولا مما أدين الله به ، والسلام .

ثم إن المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستقل منهم شيئاً ، ولا يرى في موطن ينشعرون له ولن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يردّ عيونهم به ويكفونهم عنهم .

ثم إن رجلاً منهم كان عاملاً لقطريّ على ناحية من كيرمان خرج في سرية لهم يدعى المُقْعَطَر من بني ضبّة ، فقتل رجلاً كان ذا بأس من الخوارج ، ودخل منهم في ولاية ، فقتله المُقْعَطَر ، فوثبت الخوارج إلى قطريّ ، فذكروا له ذلك ، وقالوا : أمكنّا من الضبيّ نقتله بصاحبنا ، فقال لهم : ما أرى أن أفعل ؛ رجلٌ تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه ، وهو من ذوى الفضل منكم ، والسابقة فيكم ، قالوا : بلى ؛ قال لهم : لا ، فوقع الاختلاف بينهم ، فولّوا عبد ربّة الكبير ، وخلعوا قطريّاً ، وباع قطريّاً منهم عصابةٌ نحواً من ربعهم أو خمسهم ، فقاتلهم نحواً من شهر غُدوةً وعشية . فكتب بذلك المهلب إلى الحجاج :

أما بعد ، فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم ، فخلع عظمهم قطريّاً وبايعوا عبد ربّ ، وبقيت عصابة منهم مع قطريّ ، فهم يقاتل بعضهم بعضاً غُدوً وعشيّاً ، وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله ؛ والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها ، فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم واقتراقهم قبل أن يجتمعوا ، فتكون مشؤنتهم عليك أشدّ ، والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد ، فقد بلغني كتاب الأُمير ، وكل ما فيه قد فهمت ، ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضاً ، وينقص بعضهم عند بعض ، فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم ، وإن اجتمعوا لم

يَجْتَمِعُوا إِلَّا وَقَدْ رَقَّتْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَأَنَاهِضُهُمْ عَلَى تَفِيئَةٍ (١) ذَلِكَ ، وَهُمْ أَهْوَنَ مَا كَانُوا وَأَضَعَفُهُ شَوْكَةً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَام .

فَكَفَّ عَنْهُ الْحِجَاجَ ، وَتَرَكَهُمْ الْمَهْلَبَ يَقْتَتِلُونَ شَهْرًا لَا يَحْرُكُهُمْ .

ثُمَّ إِنْ قَطَرِيًّا خَرَجَ بِنِ اتْبَعَهُ نَحْوَ طَبْرِسْتَانَ ، وَبَايَعَ عَامَتَهُمْ عَبْدَ رَبِّهِ الْكَبِيرَ ، فَنَهَضَ إِلَيْهِمُ الْمَهْلَبَ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا . ثُمَّ إِنْ اللَّهُ قَتَلَهُمْ فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَأَخَذَ عَسْكَرَهُمْ وَمَا فِيهِ وَسَبَّوْهُ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْبُونُ الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ كَعْبُ الْأَشْقَرِيِّ - وَالْأَشْقَرُ بَطْنٌ مِنَ الْأَزْدِ - يَذْكُرُ يَوْمَ رَامِثُ مَرْمُزَ ، وَأَيَّامَ سَابُورَ ، وَأَيَّامَ جَيْرَفَتَ (٢) :

يَا حَفْصَ إِنِّي عَدَانِي عَنْكُمْ السَّفَرُ وَقَدْ أَرَقْتُ فَأَذَى عَيْنِي السَّهَرُ (٣)
عَلَّقْتَ يَا كَعْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ غَانِيَةً وَالشَّيْبُ فِيهِ عَنِ الْأَهْوَاءِ مَزْدَجُرُ
أَمْسَكَ أَنْتَ عَنْهَا بِالَّذِي عَهَدْتَ أَمْ حَبَلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مُنْبَتِرُ
عَلَّقْتَ خَوْدًا بِأَعْلَى الطَّفِّ مَنَزِلُهَا فِي غُرْفَةٍ دُونَهَا الْأَبْوَابُ وَالْحَجَرُ (٤)
دُرْمًا مَنَاقِبُهَا رِيًّا مَا كَمُهَا نَكَادَ إِذْ نَهَضْتَ لِلْمَشْيِ تَنْبَتِرُ
وَقَدْ تَرَكْتُ بِشَطِّ الزَّابِئِينَ لَهَا دَارًا بِهَا يَسْعَدُ الْبَادُونَ وَالْحَصَرُ
وَاخْتَرْتُ دَارًا بِهَا حَيٌّ أَسْرُ بِهِمْ مَا زَالَ فِيهِمْ لِمَنْ نَخْتَارُهُمْ خَيْرُ
لَمَّا نَبَتَ بِي بِلَادِي سِرْتُ مُنْتَجِعًا وَطَالِبُ الْخَيْرِ مُرْتَادُ وَمُنْتَظَرُ
أَبَا سَعِيدٍ فَإِنِّي جِئْتُ مُنْتَجِعًا أَرْجُو نَوَالِكَ لَمَّا مَسْنَى الضَّرَرُ
لَوْلَا الْمَهْلَبُ مَا زُرْنَا بِلَادَهُمْ مَا دَامَتْ الْأَرْضُ فِيهَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ
فَمَا مِنَ النَّاسِ مِنْ حَيٍّ عَلِمْتُهُمْ إِلَّا يُرَى فِيهِمْ مِنْ سَيِّئِكُمْ أَثَرُ
أَحْيَيْتُهُمْ بِسَجَالٍ مِنْ نَدَاكَ كَمَا تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

١٠٠٨/٢

١٠٠٩/٢

(١) أى بعد ذلك . (٢) بعدها في ب ، ف : « قصيدة » .

(٣) مطلع القصيدة في الكامل ٣ : ٤٠٣ ، وأبيات منها في الأغاني ١٤ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

وفي الكامل : « وقد سهرت فأودى عيني السهر » . وعداني : صرفني وشغلي .

(٤) في الأغاني : « ذكرت خودًا » .

إِنِّي لَأَرْجُو إِذَا مَا فَاقَهُ نَزَلَتْ
فَاجْبِرْ أَخَاكَ أَوْ هَيَّ الْفَقْرَ قُوَّتَهُ
جَفَا ذَوُو نَسَبِي عَنِّي وَأَخْلَفَنِي
يَا وَاهِبَ الْقَيْنَةِ الْحَسَنَاءِ سُنَّتُهَا
وَمَا تَزَالُ بُدُورٌ مِنْكَ رَائِحَةٌ
نَمَّاكَ لِلْمَجْدِ أَمْلَاكُ وَرِثَتُهُمْ
ثَارُوا بِقَتْلِي وَأَوْتَارُ تُعَدُّدُهَا
وَاسْتَسْلِمَ النَّاسُ إِذْ حَلَّ الْعَدُوُّ بِهِمْ
وَمَا تَجَاوَزَ بَابَ الْجِسْرِ مِنْ أَحَدٍ
وَأُدْخِلَ الْخَوْفَ أَجْوَافَ الْبُيُوتِ عَلَى
وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ وَالْبَلَاؤُ وَحَلَّ بِنَا
نَظْلٌ مِنْ دُونِ خَفْضِ مُعْصِمِينَ بِهِمْ
كُنَّا نَهْوُنُ قَبْلَ الْيَوْمِ شَأْنَهُمْ
لَمَّا وَهَذَا وَقَدْ حَلُّوا بِسَاحَتِنَا
نَادَى امْرُؤٌ لَا خَلَافَ فِي عَشِيرَتِهِ
أَفْشَى هُنَالِكَ مِمَّا كَانَ مَذْ عَصَرُوا
تَلَبَّسُوا لِقِرَاعِ الْحَرْبِ بَزَّتْهَا
سَارُوا بِأَلْوِيَةِ لِلْمَجْدِ قَدْ رَفَعَتْ
حَتَّى إِذَا خَلَفُوا الْأَهْوَازَ وَاجْتَمَعُوا
نَعَى بِشِيرٍ فَجَالَ الْقَوْمُ وَانْصَدَعُوا
ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِنَا رَاضٍ بِبَيْعَتِهِ

فَضْلًا مِنْ اللَّهِ فِي كَفَيْكَ يَبْتَلِرُ
لَعَلَّهُ بَعْدَ وَهَى الْعِظَمِ يَنْجِبُرُ
ظَنِي فَلِلَّهِ دَرِي كَيْفَ آتَمُرُ
كَالْشَّمْسِ هِرْ كَوْلَةً فِي طَرْفِهَا فَنُتَرُ (١)
وَأَخْرُونَ لَهُمْ مِنْ سَيِّبِكَ الْغُرَرُ
شُمُّ الْعَرَانِينَ فِي أَخْلَاقِهِمْ يَسْرُ
فِي حِينٍ لَا حَدَثٌ فِي الْحَرْبِ يَتَثَرُ ١٠١٠/٢
فَمَا لِأَمْرِهِمْ وَرَدٌ وَلَا صَدْرُ
وَعَضَّتِ الْحَرْبُ أَهْلَ الْمَصْرِ فَانْجَحَرُوا
مِثْلَ النِّسَاءِ رِجَالٌ مَا بِهِمْ غَيْرُ
أَمْرٌ تُشْمَرُ فِي أَمْثَالِهِ الْأَزْرُ
فَشَمَّرَ الشَّيْخُ لَمَّا أَعْظَمَ الْخَطَرُ
حَتَّى تَفَاقَمَ أَمْرٌ كَانَ يُحْتَقرُ
وَاسْتَنْفَرَ النَّاسُ تَارَاتٍ فَمَا نَفَرُوا
عَنْهُ وَلَيْسَ بِهِ فِي مِثْلِهِ قِصَرُ
فِيهِمْ صِنَائِعٌ مِمَّا كَانَ يُدْخَرُ ١٠١١/٢
فَأَصْبَحُوا مِنْ وَرَاءِ الْجِسْرِ قَدْ عَبَرُوا
وَتَحْتَهُنَّ لُيُوثٌ فِي الْوَعَى وَقُرُ
بِرَامَهُرْمَزَ وَافَاهُمْ بِهِمَا الْخَبِيرُ
إِلَّا بَقَايَا إِذَا مَا ذُكِّرُوا ذَكِّرُوا
يَنْتَوِي الْوَفَاءَ وَلَمْ نَعْدِرْ كَمَا غَدَرُوا

(١) المركولة : الحسنة الجسم والخلق والمشية .

حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِسَابُورِ الْجُنُودِ وَقَدْ
نَلَقَى مَسَاعِيرَ أَبْطَالًا كَانَهُمْ
نُتْقَى وَنُسْقِيهِمْ سَمًا عَلَى حَنْقٍ
قَتَلَى هُنَالِكَ لَا عَقْلَ وَلَا قَوْدَ
حَتَّى تَنْحَوُوا لَنَا عَنْهَا تَسْوَفُهُمْ
لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ غَدَاةَ التَّلِّ كَيْدُهُمْ
بَاتَتْ كَتَائِبُنَا تَرْدَى مَسْوَمَةً
هَنَّاكَ وَلَوْ حِزَانًا بَعْدَ مَا فَرَحُوا
عَبَّوْا جُنُودَهُمْ بِالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا
وَقَدْ لَقُوا مَضْلَقًا مَنَا بِمَنْزِلَةٍ
بَدَشْتِ بَارِينَ يَوْمَ الشُّعْبِ إِذْ لَحَقَتْ
لَا قَوْا كَتَائِبَ لَا يُخْلُونَ ثَغْرَهُمْ
الْمُقَدِّمِينَ إِذْ مَا خِيلَهُمْ وَرَدَتْ
وَفِي جُبَيْرِينَ إِذْ صَفُّوا بَرْحَهُمْ
وَاللَّهُ مَا نَزَلُوا يَوْمًا بِسَاحَتِنَا
نَنْفِيهِمْ بِالْقَنَا عَنْ كُلِّ مَنْزِلَةٍ
وَلَوْ حَذَارًا وَقَدْ هَزُّوا أَسْنَتَنَا
صَلَّتْ الْجَبِينَ طَوِيلُ الْبَاعِ ذَوْفُوحٍ
مُجَرَّبُ الْحَرْبِ مِيمُونُ نَقِيبَتُهُ
وَفِي ثَلَاثِ سَنِينَ يَسْتَدِيمُ بَنَا

١٠١٢/٢

١٠١٣/٢

١٠١٤/٢

شُبِّتَ لَنَا وَلَهُمْ نَارٌ لَهَا شَرُّ
جِنُّ نَقَارِعُهُمْ مَا مِثْلُهُمْ بِشَرِّ
مُسْتَأْنِفَى اللَّيْلِ حَتَّى أَسْفَرَ السَّحَرُ
مَنَا وَمِنْهُمْ دِمَاءٌ سَفَكَهَا هَدَرُ
مَنَا لَبِثَ إِذَا مَا أَقْدَمُوا جَسَرُوا
عِنْدَ الطَّعَانِ وَلَا الْمَكْرُ الَّذِي مَكَّرُوا
حَوْلَ الْمَهْلَبِ حَتَّى نَوَّرَ الْقَمَرُ
وَحَالَ دُونَهُمُ الْأَنْهَارُ وَالْجُدُرُ
بِكَازُرُونَ فَمَا عَزُّوا وَلَا ظَفَرُوا^(١)
ظَنُّوا بَأَنَّ يُنْصَرُّوا فِيهَا فَمَا نُصِرُوا
أَسَدَ بِسَفْكِ دِمَاءِ النَّاسِ قَدْ زَيَّرُوا
فِيهِمْ عَلَى مَنْ يِقَاسِي حَرْبَهُمْ صَعُرُ
وَالْعَاطِفِينَ إِذَا مَا ضَبَعَ الدَّبَرُ
وَلَوْ خَرَائِيَا وَقَدْ فُلُّوا وَقَدْ قُهِرُوا
إِلَّا أَصَابَهُمْ مِنْ حَرْبِنَا ظَفَرُ
تَرُوحُ مَنَا مَسَاعِيرُ وَتَبْتَكُرُ
نَحْوَ الْحُرُوبِ فَمَا نَجَّاهُمْ الْحَذَرُ
ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ لَا وَإِنْ وَلَا غَمْرُ^(٢)
لَا يُسْتَخَفُّ وَلَا مِنْ رَأْيِهِ الْبَطَرُ
يُقَارِعُ الْحَرْبَ أَطْوَارًا وَيَأْتُرُ

(١) الْأَغَانِي : « وَمَا نَصَرُوا » .

(٢) الدَّسِيعَةُ : مَجْتَمِعُ الْكَتِفَيْنِ ، يُقَالُ ذَلِكَ لِلرَّجُلِ الْجَوَادِ .

يَقُولُ إِنَّ غَدًا مُبْدٍ لَنَاظِرِهِ
 دَعُوا التَّتَابُعَ وَالْإِسْرَاعَ وَارْتَقِبُوا
 حَتَّى أَتَتْهُ أُمُورٌ عِنْدَهَا فَرَجٌ
 لَمَّا زَوَّاهُمْ إِلَى كَرَمَانَ وَانْصَدَعُوا
 سَرْنَا إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ الْمَوْجِ وَازْدَلَفُوا
 وَزَادَنَا حَنْقًا قَتَلَى نَذَكَّرُهَا
 إِذَا ذَكَّرْنَا جُرُوزًا وَالَّذِينَ بِهَا
 تَأْتَى عَلَيْنَا حَزَازَاتُ النُّفُوسِ فَمَا
 وَلَا يُقِيلُونَنَا فِي الْحَرْبِ عَشْرَتَنَا
 لَا عُدْرَ يُقْبَلُ مِنَّا دُونَ أَنْفُسِنَا
 صَفَّانٍ بِالْقَاعِ كَالطُّودَيْنِ بَيْنَهُمَا
 عَلَى بَصَائِرَ كُلِّ غَيْرٍ تَارِكُهَا
 يَمْشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ إِذْ وَرَدُوا
 وَشِخْنًا حَوْلَهُ مَنَّا مُلْمَلَمَةً
 فِي مَوْطِنٍ يَقْطَعُ الْأَبْطَالُ مَنَظَرُهُ
 مَا زَالِ مَنَّا رِجَالٌ ثُمَّ نَضْرِبُهُمْ
 وَبَادِ كُلُّ سِلَاحٍ يُسْتَعَانُ بِهِ
 نَدُوسُهُمْ بَعْنَاجِيحٍ مُجَجَّفَةٍ
 يَغْشَيْنَ قَتْلَى وَعَقَرَى مَا بِهَا رَمَقٌ
 قَتْلَى بِقَتْلَى قِصَاصٌ يُسْتَقَادُ بِهَا

وَفِي اللَّيَالِي فِي الْأَيَّامِ مُعْتَبِرٌ
 إِنَّ الْمُحَارِبَ يَدْتَأْنِي وَيَنْتَظِرُ
 وَقَدْ تَبَيَّنَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
 وَقَدْ تَقَارَبَتِ الْأَجَالُ وَالْقَدَرُ
 وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَتْ بَيْنَنَا مِثْرٌ^(١)
 لَا تَسْتَفِيقُ عَيُونٌ كُلَّمَا ذُكِرُوا
 قَتْلَى مَضَى لَهُمْ حَوْلَانِ مَا قُبِرُوا
 نُبْقَى عَلَيْهِمْ وَمَا يَبْقُونَ إِنْ قَدَرُوا ١٠١٥/٢
 وَلَا نَقِيلُهُمْ يَوْمًا إِذَا عَشَرُوا
 وَلَا لَهُمْ عِنْدَنَا عُدْرٌ لَوْ اعْتَذَرُوا
 كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ حَتَّى يَشْخَصَ الْبَصَرُ
 كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ تُتْلَى فِيهِمُ السُّورُ
 مَشَى الزَّوَامِلُ تَهْدِي صَفْهَهُمْ زُمْرٌ^(٢)
 حَىٍّ مِنْ الْأَزْدِ فِيمَا نَابَهُمْ صَبْرٌ
 تُشَاطُ فِيهِ نَفُوسٌ حِينَ تَبْتَكِرُ
 بِالْمَشْرِقِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُ
 فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ إِلَّا الصَّارِمَ الذَّكْرُ ١٠١٦/٢
 وَبَيْنَنَا ثُمَّ مِنْ صُغْمٍ الْقَنَا كِسْرُ
 كَأَنَّمَا فَوْقَهَا الْجَادَى يُعْتَصِرُ
 تَشْفِي صُدُورَ رِجَالٍ طَالَمَا وَتَرُوا

(١) المِثْرُ : جمع مِثْرَةٍ ؛ وهى الذحل والعداوة .

(٢) الزوامِلُ : جمع زاملة ؛ وهو البعير يحمل الطعام والمتاع .

مُجاورينَ بها خَيْلاً مُعَقَّرَةً لِلطَّيْرِ فِيهَا وَفِي أَجْسَادِهِمْ جَزْرٌ
 فِي مَعْرَكَةٍ تَحْسَبُ الْقَتْلَى بِسَاحَتِهِ أَعْجَازَ نَخْلِ زَفْتُهُ الرِّيحُ يَنْعَقِرُ
 وَفِي مُوَاطِنَ قَبْلَ الْيَوْمِ قَدْ سَلَفَتْ قَدْ كَانَ لِلْأَزْدِ فِيهَا الْحَمْدُ وَالظَّفَرُ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ تُلَاقِي الْأَزْدُ مُفْظِعَةً يَشِيبُ فِي سَاعَةٍ مِنْ هَوْلِهَا الشَّعْرُ
 وَالْأَزْدُ قَوْمِي خِيَارُ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا إِذَا قُرُومُهُمْ يَوْمَ الْوَعْيِ خَطَرُوا
 فِيهِمْ مَعَاقِلُ مِنْ عِزِّ يِلَادُ بِهَا يَوْمًا إِذَا شَمَرَتْ حَرْبٌ لَهَا دِرَرُ
 حَيٌّ بِأَسْيَافِهِمْ يَبْغُونَ مَجْدَهُمْ إِنَّ الْمَكَارِمَ فِي الْمَكْرُوهِ تُبْتَدَرُ
 لَوْلَا الْمَهْلَبُ لِلْجَيْشِ الَّذِي وَرَدُوا أَنْهَارَ كَرْمَانَ بَعْدَ اللَّهِ مَا صَدَرُوا
 إِنَّا اعْتَصَمْنَا بِحَبْلِ اللَّهِ إِذْ جَحَدُوا بِالْمُحْكَمَاتِ وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرُوا
 جَارُوا عَنِ الْقَصْدِ وَالْإِسْلَامِ وَاتَّبَعُوا دِينًا يُخَالِفُ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّذُرُ
 وَقَالَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَامِرٍ وَاثِلَةٌ وَهُوَ يَذْكُرُ قَتْلَ عَبْدِ رَبِّهِ ^(١) الْكَبِيرِ وَأَصْحَابِهِ،
 وَذَهَابَ قَطَرِي فِي الْأَرْضِ وَاتَّبَاعَهُمْ لِيَأْهَ وَمَرَاوَعَتُهُ لِيَأْهَ :

١٠١٧/٢

لَقَدْ مَسَّ مِنْهُ عَبْدَ رَبِّ وَجَنَدُهُ عِقَابٌ فَأَمْسَى سَبِيَّهُمْ فِي الْمَقَاسِمِ
 سَمَا لَهُمْ بِالْجَيْشِ حَتَّى أَزَاحَهُمْ بِكَرْمَانَ عَنْ مَثْوَى مِنَ الْأَرْضِ نَاعِمِ
 وَمَا قَطَرِي الْكُفْرُ إِلَّا نَعَامَةٌ طَرِيدٌ يَدْوَى لَيْلَهُ غَيْرِ نَائِمِ
 إِذَا فَرَّ مِنْهَا هَارِبًا كَانَ وَجْهُهُ طَرِيقًا سَوَى قَصْدِ الْهُدَى وَالْمَعَالِمِ
 فَلَيْسَ بِمَنْجِيهِ الْفِرَارُ وَإِنْ جَرَتْ بِهِ الْفُلُكُ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ دَائِمِ

* * *

[ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ هَلَكَ قَطَرِي وَأَصْحَابِهِ]

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ هَلَكَةُ قَطَرِي وَعَمِيدَةُ بْنُ هَلَالٍ
 وَعَبْدُ رَبِّ الْكَبِيرِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَزْرَاقَةِ .

١٠١٨/٢

(١) كَذَا فِي م ، وَفِي ط : «عبد رب» .

* ذكر سبب مهلكتهم^(١) :

وكان سبب ذلك أن أمر^(٢) الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربّه الكبير وبعضهم مع قطرى وهى أمر قطرى ، توجه يريد طبرستان ، وبلغ أمره الحجاج ، فوجه - فيما ذكر هشام^(٣) عن أبى مخنف ، عن يونس بن يزيد - سفيان بن الأبرد ، وجهه معه جيشاً من أهل الشام عظيم^(٤) فى طلب قطرى ، فأقبل سفيان حتى أتى الرى ثم أتبعهم . وكتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد ابن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان ، أن اسمع وأطيع لسفيان . فأقبل إلى سفيان فسار معه فى طلب قطرى حتى لحقوه فى شعب من شعاب طبرستان ، فقاتلوه ، ففترق عنه أصحابه ، ووقع عن دابته فى أسفل الشعب فتدّهدى^(٥) حتى خر إلى أسفله ، فقال معاوية بن محصن الكندى : رأيتُه حيث هوى ولم أعرفه ، ونظرت إلى خمس عشرة امرأة عربية هن فى الجمال والبزاة وحسن الهيئة كما شاء ربك ، ما عدا عجوزاً فيهن ، فحملتُ عليهن فصرفتهن إلى سفيان بن الأبرد .

فلما دنوتُ بهنّ منه انتحى لى بسيفها^(٥) العجوز فتضرب به عنق ، ١٠١٩/٢ فقطعت المغفر ، وقطعت جلدة من حذتى ، وأختلج السيف فأضرب به وجهها ، فأصاب حشف رأسها ، فوقعت ميتة ، وأقبلت بالفتيات حتى دفعتهن إلى سفيان وإنه ليضحك من العجوز ، وقال : ما أردت^(٦) إلى قتل هذه أخزاهما الله - فقلت : أو ما رأيت أصلحك الله ضربتها إيتى ! والله إن كادت لتقتلنى ؛ قال : قد رأيت . فوالله ما ألومك على فعلك ، أبعدها الله . ويأتى قطرياً حيث تدّهدى من الشعب عليج من أهل البلد ، فقال له قطرى : اسقى من الماء - وقد كان اشتدّ عطشه - فقال : أعطني شيئاً حتى أسقيك ، فقال : وبسحك ، والله ما معى إلا ما ترى من سلاحى ، فأنا مؤتيك إياه إذا

(١) : « هلكهم » ، ب ، ف : « هلاكهم » .

(٢) : « الأمراء » .

(٣) : ب ، ف : « عظيم من أهل الشام » .

(٤) : ب ، ف : « قهده » ، ا ، س : « قتهده » .

(٥) : س : « سيفها » . (٦) : ب : « أردت » .

أتيتني بماء ، قال : لا ، بل أعطنيه الآن ، قال : لا ، ولكن اتنني بماء قبل ، فانطلق العليج حتى أشرف على قطري ، ثم حذر عليه حَجَرًا عظيمًا من فوقه دَهِدَاه عليه ، فأصاب إحدى وركبيه فأوثقته ، وصاح بالناس ، فأقبلوا نحوه . والعلج حينئذ لا يعرف قطريًا ، غير أنه يظن أنه من أشرافهم لحسن هيئته ، وكمال سلاحه ، فدفع إليه نفرًا من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه ، منهم سَورَة بن أبيجر التميمي ، وجعفر بن عبد الرحمن بن ميخنف ، والصباح بن محمد بن الأشعث ، وباذام مولى بنى الأشعث ، وعمر بن أبي الصلت بن كنانا مولى بنى نصر بن معاوية ، وهو من الدهاقين ، فكل هؤلاء ادّعوا قتله . فدفع إليهم أبو الجهم بن كنانة الكلبي - وكلهم يزعم أنه قاتله - فقال لهم : ادفعوه إلى حتى تصطلحوا ، فدفعوه إليه .

١٠٢٠/٢

فأقبل به إلى إسحاق بن محمد - وهو على أهل الكوفة - ولم يأت به جعفر لشيء كان بينه وبينه قبل ذلك - وكان لا يكلمه ، وكان جعفر مع سُفْيَان بن الأبرد ، ولم يكن معه إسحاق ، وكان جعفر على ربيع أهل المدينة بالري ، فلما مر سُفْيَان بأهل الري انتخب فرسانهم بأمر الحجاج ، فسار بهم معه ، فلما أتى القوم بالراس فاخصموا فيه إليه وهو في يدي^(١) أبي الجهم^(٢) بن كنانة الكلبي ، قال له : امض به أنت ، ودع هؤلاء المختلفين ، فخرج برأس قطري حتى قدم به على الحجاج ، ثم أتى به عبد الملك بن مروان ، فألحق في ألفين ، وأعطى فطما^(٣) - يعنى أنه يفرض للصغار في الديوان - وجاء جعفر إلى سُفْيَان فقال له : أصلحك الله ! إن قطريًا كان أصاب والذى فلم يكن لي هم غيره ، فاجمع بيني وبين هؤلاء الذين ادّعوا قتله ، فسلّمهم ، ألم أسكن أمامهم حتى يدركهم فضربتهم ضربة فصرعته ، ثم جاءوني بعد ، فأقبلوا يضربونه بأسيا فهم ! فإن أقرؤا لي بهذا فقد صدّقوا ، وإن أبوا فأنا أحلف بالله أتى صاحبه ، وإلا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه ، وأنهم لا يعرفون ما أقول ، ولاحق لي فيه . قال : جئت الآن وقد سرّحنا بالراس . فانصرف عنه فقال له أصحابه : أما والله إنك لأخلق القوم أن تكون صاحبه .

(١) ب ، ف : « يد » .

(٢) س : « جهم » .

ثم إن سفيان بن الأبرد أقبل منصرفاً إلى عسكر عبيدة بن هلال ،
وقد تحصن في قصر بقوميس ، فحاصره فقاتله أياماً . ثم إن سفيان بن
الأبرد سار بنا إليهم حتى أحاطنا بهم ، ثم أمر مناديه فنادى فيهم : أيما
رجل قتل صاحبه ثم خرج إلينا فهو آمن ؛ فقال عبيدة بن هلال :

لعمري لقد قام الأصم بخطبة لذي الشك منها في الصدور غليل
لعمري لئن أعطيت سفيان بئعني وفارقت ديني إنني لجهول
إلى الله أشكو ما ترى بجيادنا تساوك هزلي مخهن قليل^(١)
تعاورها القذاف من كل جانب بقوميس حتى صعبهن ذلول
فلئن يك أفناها الحصار فربما تشحط فيما بينهن قتيل
وقد كن مما إن يُقدن على الوجي لهن بآبواب القباب صهيل
فحاصرهم حتى جهدوا ، وأكلوا دوابهم . ثم إنهم خرجوا إليه فقاتلوه ،
فقتلهم وبعث برؤوسهم إلى الحجاج ، ثم دخل إلى دُنباوُند وطبرستان ،
فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبل الحماجم .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قُتِلَ بكير بن وشاح السعدي أمية بن
عبد الله بن خالد بن أسيد :

* ذكر سبب قتله إياه .

وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد - أن
أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان ، ولّى بكيراً
غزو ما وراء النهر ، وقد كان ولاه قبل ذلك طُخارستان ، فتجهز للخروج
إليها ، وأنفق نفقة كثيرة ، فوشى به إليه بحير بن ورقاء الصرمي على ما بينت
قبل ، فأمره أمية بالمقام .

(١) التساوك : السير الضعيف ، والبيت في اللسان (سوك) بنسبه إلى عبد الله بن الحر

فلما ولّاه غزو ما وراء النهر تجهّز وتكلف الخيل والسلاح ، وادّان من رجال السُّغْد وتجارهم ، فقال بحير لأُمَيَّة : إن صار بينك وبينه النهر ولقي الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه ، فأرسل إليه أُمَيَّة : أقم لعل أغزو فتكون معي ، فغضب بكير وقال : كأنه يُضارّني . وكان عتّاب اللقوة الغُدّانيّ استدان ليخرج مع بكير ، فلما أقام أخذه غمّاه ، فحبس فأدّى عنه بكير وخرج ، ثمّ أجمع أُمَيَّة على الغزو . قال : فأمر بالجهاز ليغزو بخارى ، ثمّ يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالتّرمذ ، فاستعدّ الناس وتجهّزوا ، واستخلف على خراسان ابنه زياداً ، وسار معه بكير فعسكر بكشّمهاتن ، فأقام أياماً ، ثمّ أمر بالرحيل ، فقال له بحير : إني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكّير : فلتكن في الساقة ولتحشر الناس . قال : فأمره أُمَيَّة فكان على الساقة حتى أتى النهر ، فقال له أُمَيَّة : اقطع يا بكير ، فقال عتّاب اللقوة الغُدّانيّ : أصلّح الله الأمير ! اعبّر ثمّ يعبّر الناس بعدك . فعبّر ثمّ عبّر الناس ، فقال أُمَيَّة لبكّير : قد خفت ألا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث ، فارجع إلى مرو فاكفنيها فقد وليتكمّها ، فزيّن ابني وقم بأمره . فانتخب بكير فرساناً من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبّر ، ومضى أُمَيَّة إلى بخارى وعلى مقدّمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة . فقال عتّاب اللقوة لبكّير لما عبّر وقد مضى أُمَيَّة : إنا قتلنا أنفسنا وعشائرتنا حتى ضبطنّا خراسان ، ثمّ طلبنا أميراً من قریش يجمع أمرنا ، فجاءنا أميرٌ يلعّب بنا يحولنا من سجن إلى سجن ، قال : فما ترى ؟ قال : أحرّق^(١) هذه السفن ، وامض إلى مرو فاخلع أُمَيَّة ، وتقيم بمرو تأكلها إلى يوم ما ، قال : فقال الأحنف بن عبد الله العنبريّ : الرأي ما رأى عتّاب ، فقال بكير : إني أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي ، فقال : أتخاف عدم الرجال ! أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك من هؤلاء الذين معك ، قال : يهلك المسلمون ، قال : إنما يكفيلك أن ينادى منادٍ : من أسلم رفعنا عنه الخراج فبأتيك خمسون ألفاً من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع ، قال : فيهلك أُمَيَّة ومن معه ، قال : ولیم يهلكون ولهم عدّة وعدّة ونجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة ، ليقاتلوا عن

١٠٢٣/٢

١٠٢٤/٢

أنفسهم حتى يبلغوا الصين ! فأحرق بكير السفن ، ورجع إلى مرو ، فأخذ ابن أمية فحبسه ، ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه ، وبلغ أمية ، فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ، ورجع فأمر باتخاذ السفن ، فاتخذت له وجسمت ، وقال لمن معه من وجوه تميم : ألا تعجبون من بكير ! إني قدمت خراسان فحاذرت ، ورفع عليه وشكى منه ، وذكروا أموالا أصابها ، فأعرضت عن ذلك كله ، ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحداً من عماله ، ثم عرضت عليه شرطتي فأبى ، فأعفيته ، ثم وليته فحاذرت ، فأمرته بالمقام وما كان ذلك إلا نظراً له ، ثم رددته إلى مرو ، ووليته الأمر ، فكفر ذلك كله ، وكافأني بما ترون . فقال له قوم : أيها الأمير ، لم يكن هذا من شأنه ، إنما أشار عليه بإحراق السفن عتاب اللقوة ، فقال : وما عتاب ! وهل ^(١) عتاب إلا دجاجة ١٠٢٥/٢ حاضنة ، فبلغ قوله ^(٢) عتاباً ، فقال عتاب في ذلك :

إِنَّ الْحَوَاضِنَ تَلَقَّاهَا مَجْفَفَةً غُلِبَ الرِّقَابَ عَلَى الْمُنْسُوبَةِ النَّجْبِ
تَرَكْتَ أَمْرَكَ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَوَرٍ وَجِئْتَنَا حُمُقاً يَا أَلَمَّ الْعَرَبِ
لَمَّا رَأَيْتَ جِبَالَ السُّغْدِ مُعْرِضَةً وَلَيْتَ مُوسَى وَنُوحاً عُكُوءَ الذَّنْبِ
وَجِئْتَ ذِيخاً مُغْدَاً مَا تُكَلِّمُنَا وَطَرْتَ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرَيْنِ كَالْخَرْبِ
أَوْعِدْ وَعِيدَكَ إِنِّي سَوْفَ تَعْرِفُنِي تَحْتَ الْخَوَافِقِ دُونَ الْعَارِضِ اللَّجْبِ
يَخْبُ بِي مَشْرُوفٌ عَارِ نَوَاهِقِهِ يَغْشَى الْكِتَابَةَ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْخَبِّ

قال : فلما تهيأت السفن ، عسّر أمية وأقبل إلى مرو ، وترك موسى بن عبد الله ، وقال : اللهم إني أحسنت إلى بكير ، فكفر إحساني ، وصنع ما صنع ، اللهم اكفنيه .

فقال شماس بن دثار - وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن خازم ، ١٠٢٦/٢ فغزا مع أمية : أيها الأمير ، أنا أكفيكه إن شاء الله . فقدّمه أمية في ثمانمائة ، فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر ، وسار إليه بكير ومعه مدرك بن أنيف وأبوه

مع شماس ، فقال : أما كان في تميم أحدٌ يحاربني غيرك ! ولأمة . فأرسل إليه شماس : أنت ألوم وأسوأ صنيعاً مني ، لم تَتَفِ لأمية ولم تشكر له صنيعه بك ؛ فقدم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك .

قال : فبيته بكير ففرق جمعه وقال : لا تقتلوا منهم أحداً ، وخذوا سلاحهم ، فكانوا إذا أخذوا رجلاً سلبوه وخذلوا عنه ، ففترقوا ، ونزل شماس في قرية لطبيية يقال لها : بؤينة ، وقدم أمية فنزل كسثمان ، ورجع إليه شماس بن دثار فقدم أمية ثابت بن قطبة مولى خزاعة ، فلقية بكير فأسر ثابتاً وفرق جمعه ، ونحل بكير سبيل ثابت ليبيد كانت له عنده . قال : فرجع إلى أمية ، فأقبل أمية في الناس ، فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رستم الخليل بن أوس العَبَشَسَمِيّ ، فأبلى يومئذ ، فنادوه : يا صاحب شرطة عارمة - وعارمة تجارية بكير - فأحجم ، فقال له بكير : لا أبالك ، لا يهدك نداء هؤلاء القوم ، فإن للعارمة فتحلاً يمنعها ، فقدم لواءك ، فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط ، فنزل ^(١) السوق العتيقة ، ونزل أمية بآستان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد ، فأنكشفوا يوماً ، فحماهم بكير ، ثم التقوا يوماً آخر في الميدان ، فضرب رجل من بني تميم على رجله فجعل يسحبها ، وهريم يحميه ، فقال الرجل : اللهم أئدنا فأمدنا بالملائكة ، فقال له هريم : أيها الرجل ، قاتل عن نفسك ، فإن الملائكة في شغل عنك ، فتهامل ثم أعاد قوله : اللهم أئدنا بالملائكة ، فقال هريم : لتكنفني عني أو لأدعنك والملائكة ، وحماه حتى ألحقته بالناس . قال : ونادى رجل من بني تميم : يا أمية ، يا فاضح قريش ؛ فألى أمية إن ظفير به أن يذبحه ، فظفير به فذبحه بين شُرُفَتَيْنِ من المدينة ، ثم التقوا يوماً آخر ، فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتمى : أنا ابن وشاح ؛ فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير ، فانحاز بكير ، وانكشف أصحابه ، وأتبع حريث بكيراً حتى بلغ القنطرة ، فناداه : أين يا بكير ؟ فكرر عليه ، فضربته حريث على رأسه ، فقطع المغفر ، وعص

١٠٢٧/٢

السيفُ برأسه ، فصُرع ، فاحتَمَلَهُ أصحابُهُ ، فأدْخَلُوهُ المَدِينَةَ .
قال : فكأنوا على ذلك يقاتلونهم ، وكان أصحابُ بَكِيرٍ يَتَخَذُونَ مُتَفَضِّلِينَ
في ثياب مصبَّغَةٍ ، وملاحفَ وأزُرَ صُفْرَ وَحُمْرَ ، فيجلسون على نواحي
المدينة يتحدَّثُونَ ، وينادى مناد : مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ رَمَيْنَا إِلَيْهِ بِرَأْسِ رَجُلٍ مِنْ
وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ ، فلا يرميهم أحد .

قال : فأشفق بَكِيرٌ ، وخاف إن طال الحصار أن يخذله الناس ، فطلب
الصِّلَحَ ، وأحبَّ ذلك أيضاً أصحابُ أُمِيَّةٍ لِمَا كَانَ عِيَالَانَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، فقالوا
لأُمِيَّةٍ : صالِحُهُ — وكان أُمِيَّةٌ بحبِّ العافية — فصالحه على أن يقضى عنه
أربعمائة ألف ، ويَصِلَ أصحابُهُ ويولِّيَهُ أيضاً أَى كَوْرٍ خُرَّاسَانَ شاء ،
ولا يسمع قولَ بَحِيرٍ فيه ، وإن رابته منه رَيْبٌ فهو آمِنٌ أربعين يوماً حتى
يخرج عن مرو ، فأخذ الأمان لبَكِيرٍ من عبد الملك ، وكتب له كتاباً على
باب سِنْجَان^(١) ، ودخل أُمِيَّةُ المَدِينَةَ .

قال : وقوم يقولون : لم يخرج بَكِيرٌ مع أُمِيَّةٍ غَازِيًا ، ولكن أُمِيَّةٌ لما غزا
استخلفه على مرو فخلعه ، فرجع أُمِيَّةٌ فقاتله ، ثم صالحه ودخل مرو
ووفى أُمِيَّةٌ لبَكِيرٍ ، وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحُسن الإذن ، وأرسل
إلى عَتَّابِ اللُّقْوَةِ ، فقال : أنت صاحبُ المَشْهُورَةِ ؟ فقال : نعم أصلح الله
الأمير ! قال : ولِمَ ؟ قال : خفَّ ما كان في يدي ، وكثُرَ ديني ،
وأعديت على غرماي ، قال : وَيَحْكُ! فضربت بين المسلمين ، وأحرقت السفن
والمسلمون في بلاد العدو ، وما خفت الله ! قال : قد كان ذلك ، فأستغفر
الله ، قال : كم دينُكَ ؟ قال : عشرون ألفاً ، قال : تكفَّ عن غِيْشِ
المسلمين وأقضى دينَكَ ؟ قال : نعم ، جعلني الله فداك ! قال : فضحك
أُمِيَّةٌ وقال : إن ظني بك غير ما تقول ، وسأقضى عنك . فأدَّى عنه عشرين
ألفاً ، وكان أُمِيَّةٌ سهلاً ليناً سخياً ، لم يعط أحدٌ من عُمالِ خُرَّاسَانَ بها مثل
عطاياه ، قال : وكان مع ذلك ثقيلاً عليهم ، كان فيه زهو شديد ، وكان
يقول : ما أكتفى بخُرَّاسَانَ^(٢) وسجستان لمطبخي . وعزل أُمِيَّةٌ بِحِيرًا

(١) ا ، ب ، ف : « سنجار » . (٢) بعد ما في ب ، ف : « كلها » .

١٠٢٩/٢ عن شرطته ، وولّاها عطاء بن أبي السائب ، وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه ، فضرب عبد الملك بعثاً إلى أمية بخراسان ، فتتجاعل الناس ، فأعطى شقيق بن سكيل الأسدي جعالة رجلان من جرهم ، وأخذ أمية الناس بالخراج ، واشتدّ عليهم فيه ، فجلس بكير يوماً في المسجد وعنده ناس من بني تميم ، فذكروا شدة أمية على الناس ، فدمتوه ، وقالوا : سلط علينا الدهاقين في الجباية وبسحير وضرب بن حصين وعبد العزيز بن جارية ابن قدامة في المسجد ، فنقل بسحير ذلك إلى أمية فكذبه فادّعى شهادة هؤلاء ، وادّعى شهادة مزاحم بن أبي المسحجر السلمي ، فدعا أمية مزاحماً فسأله فقال : إنما كان يمزح ، فأعرض عنه أمية ، ثم أتاه بجير فقال : أصلح الله الأمير ! إن بكيراً والله قد دعاني إلى خلعك ، وقال : لولا مكانك لقتلت هذا القرشي وأكلت خراسان ، فقال أمية : ما أصدق بهذا وقد فعل ما فعل ، فأمنته ووصلته .

١٠٣٠/٢ قال : فأتاه بضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية فشهدا أن بكيراً قال لهما : لو أطعتماني لقتلت هذا القرشي الخنث ، وقد دعانا إلى الفتك بك . فقال أمية : أنتم أعلم وما شهدتم ، وما أظنّ هذا به وإن تركه ، وقد شهدتم بما شهدتم عجزاً ، وقال لحاجبه عبيدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبي السائب : إذا دخل بكير ، وبدل وشمر دل ابنا أخيه ، فهضت فخذوهم . وجلس أمية للناس ، وجاء بكير وابنا أخيه ، فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل ، وخرج الناس وخرج بكير ، فحبسوه وابنى أخيه ، فدعا أمية ببكير فقال : أنت القائل كذا وكذا ؟ قال : تشبّيت أصلحك الله ولا تسمعن قول ابن المخلوق ! فحبسه ، وأخذ جاريته العارمة فحبسها ، وحبس الأحنف ابن عبد الله العنبري ، وقال : أنت ممن أشار على بكير بالخلع .

فلما كان من الغد أخرج بكيراً فشهد عليه بجير وضرار وعبد العزيز بن جارية أنه دعاهم إلى خلعك والفتك به ، فقال : أصلحك الله ! تشبّيت فإن هؤلاء أعدائي ، فقال أمية لزياد بن عتبة - وهو رأس أهل العالية - ولابن والان العدوي - وهو يومئذ من رؤساء بني تميم - ليعقوب بن خالد الذهلي :

أَتَقْتُلُونَهُ ؟ فلم يجيبوه ؛ فقال لبَحِير : أَتَقْتُلُهُ ؟ قال : نعم ، فدفعه إليه ،
 فنهض يعقوبُ بن القَعْقَاع الأعْلَم الأزْدِيّ من مجلسه - وكان صديقاً لبُكَيْر -
 فاحتَضَنَ أُمَيَّة ، وقال : أذكرك اللهَ أيها الأميرُ في بكير ، فقد أعطيتَه ما
 أعطيتَه من نفسك ، قال : يا يعقوب ما يقتله إلا قومه ، شهدوا عليه ، فقال
 عطاءُ بن أبي السائب الليثي وهو على حَرَس أُمَيَّة : نخلٌ عن الأمير ؛ قال :
 لا ، فضرَبه عطاءُ بقائم السيف ، فأصاب أنفَه فأدماه ، فخرج ، ثم قال
 لبَحِير : يا بحير ، إنَّ الناس أعطوا بكيراً ذمتهم في صلحه ، وأنت منهم ،
 فلا تخفر ذمتك ؛ قال : يا يعقوب ، ما أعطيتَه ذمَّة . ثم أخذ بحير سيفَ
 بكير الموصول الذي كان أخذه من أسوار الترجمان ترَجَّمان ابن خازم ،
 فقال له بكير : يا بحير ، إنك تُفَرِّق أمرَ بني سعد إن قتلتنى ، فدع هذا
 القرشيَّ يلي مني ما يريد ؛ فقال بحير : لا واللهِ يا ابن الإصهبانية لا تصلح ١٠٣١/٢
 بنو سعد ما دُمنا حيَّين ، قال : فشأنك يا ابن المحلوقة ، فقتلته ، وذلك يوم
 جمعة .

وقتل أُمَيَّة ابني أخى بكير ، ووهب جارية بكير العارمة لبَحِير ، وكَلَّمَ
 أُمَيَّة في الأحنف بن عبد الله العنبري ، فدعاه من السجن ، فقال : وأنت
 ممن أشار على بُكَيْر ، وشتمته ، وقال : قد وهبتك هؤلاء . قال : ثم وجه أُمَيَّة
 رجلاً من خِزاعة إلى موسى بن عبد الله بن خازم ، فقتلته عمرو بن خالد بن
 حُصَيْن^(١) الكلابي غيلةً ، ففترَّق جيشُه ؛ فاستأمن طائفةٌ منهم موسى ،
 فصاروا معه ، ورجع بعضهم إلى أُمَيَّة .

وفي هذه السنة عبر النهرَ ، نهرَ بَلَخ أُمَيَّة للغزو ، فحُوصِر حتى جُهِدَ
 هو وأصحابه ، ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك ؛ فانصرف والذين معه من
 الجُند إلى مرو . وقال عبد الرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة
 يهجو أُمَيَّة :

أَلَا أبلغُ أُمَيَّةَ أَنَّ سِيُجَزَى ثَوَابَ الشَّرِّ إِنَّ لَهُ ثَوَابَا
 وَمَنْ يَنْظُرُ عِتَابَكَ أَوْ يُرِدُّه فَلَسْتُ بِنَازِرٍ مِنْكَ الْعِتَابَا

(١) ط : « حصن » ، وانظر الفهرس .

محا المعروف منك خلالُ سوءٍ مُنحتَ صَنِيعَهَا باباً فباباً
ومن سَمَّاكَ إذ قَسَمَ الأَسَامِي أُمِّيَّةَ إذ وُلِدْتَ فقد أصابا

قال أبو جعفر : وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وهو أميرٌ على
المدينة ، وكان على الكوفة والبصرة الحجَّاج بن يوسف ، وعلى خراسان أُميَّة ١٠٣٢/٢
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد .

وحدَّثني أحمدُ بنُ ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
أبي معشر ، قال : حجَّ أبانُ بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجَّتَيْن سنة
ست وسبعين وسنة سبع وسبعين .

وقد قيل : إنَّ هلاكَ شبيب كان في سنة ثمان وسبعين ، وكذلك قيل في
هلاك قَطَرِيَّ وعبيدة بن هلال وعبد ربه (١) الكبير .

* * *

وغزَا في هذه السنة الصائفةَ الوليدُ .

(١) كذا في أ ، وفي ط : « عبد ربه » .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة
فمن ذلك عزّلُ عبد الملك بن مروان أميّة بن عبد الله عن خراسان
وضمّه خراسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف . فلما ضمّ ذلك إليه فرق
فيه عمّاله (١) .

* * *

ذكر الخبر عن العمال الذين ولّاهم الحجاج خراسان وسجستان

وذكر السبب في توليته من ولّاه ذلك وشيئاً منه

ذكر أن الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخّص من الكوفة إلى
البصرة ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل - وقد
قيل : إنه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، ثم عزّله ،
وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله - فقدم عليه المهلب بها ، وقد فرغ من
[أمر] (٢) الأزارقة .

فقال هشام : حدثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبي ، أن
المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة قدّم على الحجاج - وذلك سنة
ثمان وسبعين - فأجلسه معه ، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلب ،
فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلاً من أصحابه ببلاء حسن إلا
صدقة الحجاج بذلك ، فحمدتهم الحجاج وأحسن عطاياهم ، وزاد في
أعطياتهم ، ثم قال : هؤلاء أصحاب الفِعال ، وأحقّ بالأموال ، هؤلاء
حماة الثغور ، وغيظ الأعداء .

قال هشام عن أبي مخنف : قال يونس بن أبي إسحاق : وقد كان
الحجاج ولي المهلب سجستان مع خراسان ، فقال له المهلب : ألا أدلك على
رجل هو أعلم بسجستان مني ، وقد كان ولي كابُل وزابل ، وجبّاهم

(١) « عماله فيها » . (٢) من أ -

وقَاتَلَهُمْ وَصَالَحَهُمْ ؟ قال له : بلى ، فمن هو ؟ قال عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ .
ثم إنه بعث المهلب على خُرَّاسان وعبيد الله بن أبي بَكْرَةَ على سِجِسْتان ،
وكان العامل هنالك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ،
وكان عاملاً لعبد الملك بن مَرْوَّان ، لم يكن للحجاج شيء من أمره حين بُعث
على العراق حتى كانت تلك السنة ، فعزله عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج ،
ففضى المهلب إلى خُرَّاسان ، وعبيد الله بن أبي بَكْرَةَ إلى سِجِسْتان ، فكث
عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ بقية سنته .

فهذه رواية أبي مخنف عن أبي الخارق ، وأما علي بن محمد فإنه ذكر
عن المفضل بن محمد أن خُرَّاسان وسِجِسْتان جُمِعَتَا للحجاج مع العراق في ١٠٣٤/٢
أول سنة ثمان وسبعين بعد ما قتل الخوارج ، فاستعمل عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ
على خراسان ، والمهلب بن أبي صفرة على سِجِسْتان ، فكره المهلب سِجِسْتان ،
فلقى عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي - وكان على شُرطة الحجاج -
فقال : إن الأمير ولاني سِجِسْتان ، وولي ابن أبي بَكْرَةَ خُرَّاسان ، وأنا
أعرف بخراسان منه ، قد عرفتها أيام الحكم بن عمرو الغفاري ، وابن
أبي بَكْرَةَ أقوى على سِجِسْتان مني ، فكلم الأمير يحولني إلى خُرَّاسان ، وابن
أبي بَكْرَةَ إلى سِجِسْتان ؛ قال : نعم ، وكلم زاذان فَرُوخَ يُعِينُنِي ؛ فكلمه ،
فقال : نعم ، فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج : وليت المهلب سِجِسْتان
وابن أبي بَكْرَةَ أقوى عليها منه ، فقال زاذان فَرُوخَ : صدق ، قال : إننا
قد كتبنا عهداً ؛ قال زاذان فروخ : ما أهون تحويل عهدٍ ! فحول ابن
أبي بَكْرَةَ إلى سِجِسْتان ، والمهلب إلى خُرَّاسان ، وأخذ المهلب بألف ألف
من خراج الأهواز ، وكان ولاها إياه خالد بن عبد الله ، فقال المهلب لابنه
الغيرة : إن خالداً ولاني الأهواز ، وولاك إصطخر ، وقد أخذني الحجاج
بألف ألف ، فنصف علي ونصف عليك ، ولم يكن عند المهلب مال ، كان
إذا عزل استقرض ؛ قال : فكلم أبا ماوية مولى عبد الله بن عامر - وكان
أبو ماوية على بيت مال عبد الله بن عامر - فأسلف المهلب ثلثمائة ألف ^(١) ،

(١) ب ، ف : « ألف ألف » .

فَقَالَتْ خَيْرَةٌ الْقُسَيْرِيَّةُ امْرَأَةً الْمَهْلَبِ : هَذَا لَا يَنْبَغُ (١) بِمَا عَلَيْكَ ؛ فَبَاعَتْ حُلِيَّهَا لَهَا وَمَتَاعًا ، فَأَكْمَلَتْ خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ ، وَحَمَلَتْ الْمَغِيرَةَ إِلَى أَبِيهِ خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ (٢) فَحَمَلَهَا إِلَى الْحِجَّاجِ ، وَوَجَّهَ الْمَهْلَبُ ابْنَهُ حَبِيبًا عَلَى مَقْدَمَتِهِ ، فَأَتَى الْحِجَّاجُ فَوَدَّعَهُ ، فَأَمَرَ الْحِجَّاجُ لَهُ بَعْشَرَ آلَافٍ وَبَغْلَةً خَضْرَاءَ ، قَالَ : فَسَارَ حَبِيبٌ عَلَى تِلْكَ الْبَغْلَةِ حَتَّى قَدِمَ خُرَّاسَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَسَارَ عَشْرِينَ يَوْمًا ، فَتَلَقَاهُمْ حِينَ دَخَلُوا حِمْلُ حَطَبٍ ، فَتَنَفَّرَتِ الْبَغْلَةُ فَتَعَجَّبُوا مِنْهَا وَمِنْ نِفَارِهَا بَعْدَ ذَلِكَ التَّعَبِ وَشِدَّةِ السَّيْرِ . فَلَمْ يَعْرِضْ لِأُمِيَّةٍ وَلَا لِعَمَّالِهِ ، وَأَقَامَ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ الْمَهْلَبُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ .

* * *

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ ابْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذِكْرِهِ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ . وَكَانَ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، وَأَمِيرَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَخُرَّاسَانَ وَسَجِسْتَانَ وَكِرْمَانَ الْحِجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ ، وَخَلِيفَتَهُ بِخُرَّاسَانَ الْمَهْلَبُ ، وَسَجِسْتَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ ، وَعَلَى قِضَاءِ الْكُوفَةِ شُرَيْحٌ ، وَعَلَى قِضَاءِ الْبَصْرَةِ - فِيمَا قِيلَ - مُوسَى بْنُ أَنْسَ .

* * *

وَأَغْزَى عَبْدُ الْمَلِكِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ يَحْيَى بْنَ الْحَكَمِ .

(١) ب ، ف : « لَا يَنْبَغُ هَذَا » . (٢) ب ، ف : « أَلْفُ أَلْفٍ » .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا
يفنّون من شدّته ، فلم يغرّ في تلك السنة أحدٌ - فيما قيل - للطاعون الذي
كان بها ، وكثرة الموت .

١٠٣٦/٢

وفيها - فيما قيل - : أصابت الرومُ أهلَ أنطاكية .

* * *

[ذكر الخبر عن غزو عبيد الله بن أبي بكره رُتبيل]

وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكره رُتبيل .

ذكر الخبر عن غزوته إياه :

قال هشام : حدثني أبو ميخنف ، عن أبي المخارق الراسبي ، قال :
لما ولّى الحجاج المهلب خراسان ، وعبيد الله بن أبي بكره سجستان ، مضى
المهلب إلى خراسان وعبيد الله بن أبي بكره إلى سجستان ، وذلك في سنة
ثمان وسبعين ، فمكث عبيد الله بن أبي بكره بقيّة سنته . ثمّ إنه غزا رُتبيل
وقد كان مصالحتاً ، وقد^(١) كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجاً ، وربما
امتنع فلم يفعل ، فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكره أن ناجزه بمن
معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيح أرضه ، وتهدم قلاعته ، وتقتل
مقاتلته ، وتسبي ذريته . فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل
البصرة ، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثي ثمّ الضبابي ، وكان
من أصحاب عليّ ، وكان عبيد الله على أهل البصرة ، وهو أمير الجماعة ،
ففضى حتى وغل في بلاد رُتبيل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء
وهدم قلاعاً وحصوناً ، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة ، وأصحاب^(٢)
رُتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض ، حتى أمعنوا في بلادهم

١٠٣٧/٢

(١) ساقطة من أ . (٢) ب ، ف : « وأصاب » .

وَدَنُوا مِنْ مَدِينَتِهِمْ ، وَكَانُوا مِنْهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فَرَسَخًا ، فَأَخَذُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْعِقَابَ وَالشُّعَابَ ، وَخَلَّوْهُمْ وَالرَّسَاتِيقَ ، فَسُقُطَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، وَظَنُوا أَنَّ قَدْ هَلَكُوا ، فَبَعَثَ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ إِلَى شُرَيْحَ بْنِ هَانٍ : إِنِّي مُصَالِحُ الْقَوْمِ عَلَى أَنْ أُعْطِيَهُمْ مَا لَا ، وَيَخْلَوْا بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُرُوجِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَصَالَحَهُمْ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَلَقِيَهُ شُرَيْحُ فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تَصَالِحُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا حَسْبِهِ السُّلْطَانُ عَلَيْكُمْ فِي أُعْطِيَاتِكُمْ ، قَالَ : لَوْ مُنِعْنَا الْعَطَاءَ مَا حَتَيْنَا كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا مِنْ هَلَاكِنَا ؛ قَالَ شُرَيْحُ : وَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغْتُ سِنًا ، وَقَدْ هَلَكْتُ لِدَايَ ، مَا تَأْتِي عَلَى سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَأُظْنَتُهَا تَمُضِي حَتَّى أَمُوتَ ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَطْلُبُ الشَّهَادَةَ مِنْذُ زَمَانٍ ، وَلَئِنْ فَاتَنِي الْيَوْمَ مَا إِخَالَني مُدْرِكُهَا حَتَّى أَمُوتَ ، وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، تَعَاوَنُوا عَلَى عَدُوِّكُمْ ؛ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي بَكْرَةَ : إِنَّكَ شَيْخٌ قَدْ خَرَفْتَ ، فَقَالَ شُرَيْحُ : إِنَّمَا حَسِبْتُ أَنْ يَقَالَ : بُسْتَانُ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ وَحَمَامُ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ الشَّهَادَةَ فَلْيَ . فَاتَّبَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ غَيْرِ كَثِيرٍ ، وَفَرَّسَانِ النَّاسِ وَأَهْلِ الْحِفَازِ ، فَقَاتَلُوا حَتَّى أَصِيبُوا إِلَّا قَلِيلًا ، فَجَعَلَ شُرَيْحُ يَرْتَجِزُ يَوْمًا وَيَقُولُ :

أَصْبَحْتُ ذَا بَثٍّ أَقَاسَى الْكِبَرَا قَدْ عِشْتُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ أَعْصُرَا ١٠٣٨/٢
ثُمَّتَ أَدْرَكْتُ النَّبِيَّ الْمُنْذِرَا وَبَعْدَهُ صَدِيقَهُ وَعُمَرَا
وَيَوْمَ مِهْرَانَ وَيَوْمَ تُسْتَرَا وَالْجَمْعَ فِي صَفِينِهِمُ وَالنَّهْرَا
وَبِاجْمِيرَاتٍ مَعَ الْمُشَقَّرَا هِيَهَاتَ مَا أَطْوَلَ هَذَا عُمُرَا
فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَنَجَا مِنْ نَجَا ، فَخَرَجُوا مِنْ بِلَادِ رُثَيْبِلَ حَتَّى خَرَجُوا مِنْهَا ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ مَنْ خَرَجُوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَطْعَمَةِ ، فَإِذَا أَكَلَ أَحَدُهُمْ وَشَبِعَ مَاتَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّاسُ حَذَرُوا يَطْعَمُونَهُمْ ، ثُمَّ جَعَلُوا يَطْعَمُونَهُمُ السَّمْنَ قَلِيلًا قَلِيلًا ، حَتَّى اسْتَمْرَوْا . وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحِجَاجَ ، فَأَخَذَهُ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ مِنْهُ كُلِّ مَبْلَغٍ . وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ جُنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بِسِجِسْتَانَ أَصْرُوا فَلَمْ

يَسْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَقَدْ اجْتَرَأَ الْعَدُوّ بِالذِي أَصَابَهُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ
فَدَخَلُوا بِلَادَهُمْ ، زَغَلَبُوا عَلَى حَصُونِهِمْ وَقُصُورِهِمْ ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُوَجِّهَ إِلَيْهِمْ
جُنْدًا كَثِيفًا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرَيْنِ ، فَأُحْبِيتُ أَنْ أَسْتَطْلِعَ رَأْيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي
ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَى لِي بَعْثَةً ذَلِكَ الْجُنْدِ أَمْضِيَّتُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ فَإِنْ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِجُنْدِهِ ، مَعَ أَنِّي أَتَخَوَّفُ إِنْ لَمْ يَأْتِ رُتْبِيلٌ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ
الْمَشْرِكِينَ جُنْدٌ كَثِيفٌ عَاجِلًا أَنْ يَسْتَوَلُوا عَلَى ذَلِكَ الْفَرَجِ كُلَّهُ .

١٠٣٩/٢

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ الْمُهَلَّبُ خُرَّاسَانَ أَمِيرًا ، وَانْصَرَفَ عَنْهَا أُمِيَّةُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ ، وَقِيلَ اسْتَعْفَى شُرَيْحَ الْقَاضِي مِنَ الْقَضَاءِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَشَارَ
بِأَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، فَأَعْفَاهُ الْحِجَّاجَ وَوَلَّى أَبَا بُرْدَةَ .

* * *

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - فِيمَا حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ ذِكْرِهِ ، عَنْ
إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ - أَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ
وغيرُهُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ .

وَكَانَ أَبَانَ هَذِهِ السَّنَةِ أَمِيرًا عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
وَعَلَى الْعِرَاقِ وَالْمَشْرِقِ كُلَّهُ الْحِجَّاجَ بْنَ يُونُسَ .

وَكَانَ عَلَى خُرَّاسَانَ الْمُهَلَّبُ مِنْ قِبَلِ الْحِجَّاجِ .

وَقِيلَ : إِنَّ الْمُهَلَّبَ كَانَ عَلَى حَرْبِهَا ، وَابْنَهُ الْغُبَرَةَ عَلَى خَرَّاجِهَا ، وَعَلَى
قَضَاءِ الْكُوفَةِ أَبُو بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى ، وَعَلَى قَضَاءِ الْبَصْرَةِ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ (١) .

(١) بعدها في ١ : « وهو آخر الجزء السادس والأربعون » .

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الأحداث الجلييلة التي كانت في هذه السنة

(١) وفي هذه السنة جاء (١) — فيما حدثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدي — سيل بمكة ذهب بالحججاج ، فغمرت بيوت مكة فسمى ذلك العام عام الجحاف ، لأن ذلك السيل جحف كل شيء مر به . ١٠٤٠/٢

قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن رفاعه بن ثعلبة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : جاء السيل حتى ذهب بالحججاج بيطن مكة ، فسمى لذلك عام الجحاف ، ولقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تتمرّ بهم مالأحد فيهم حيلة ، وإني لأنظر إلى الماء قد بلغ الركن وجاوزّه .

وفي هذه السنة كان بالبصرة طاعون الجحاف ، فيما زعم الواقدي .

[ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر]

وفي هذه السنة قطع المهلب نهر بلخ فتزل على كيس ، فذكر على بن محمد ، عن المفضل بن محمد وغيره أنه كان على مقدمة المهلب حين نزل على كيس أبو الأدهم زياد بن عمرو الزماني في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف إلا أن أبا الأدهم كان يغني غنائ ألفين في البأس والتدبير والنصيحة . قال : فأقى المهلب وهو نازل على كيس ابن عم ملك الختل ، فدعاه إلى غزو الختل ، فوجّه معه ابنه يزيد ، فتزل في عسكره ، ونزل ابن عم الملك — وكان ١٠٤١/٢ الملك يومئذ اسمه السبيل (٢) — في عسكره على ناحية ، فبيت السبيل ابن عمه ، فكبر في عسكره ، فظن ابن عم السبيل أن العرب قد غدروا به ، وأنهم خافوه . على الغدر حين اعتزل عسكرهم ، فأسر السبيل ، فأقى به قلعته فقتله . قال : فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبيل ، فصالحوه على فدية حَمَلوها إليه ، ورجع (٣) إلى المهلب فأرسلت أم الذي قتله السبيل إلى أم السبيل : كيف ترجين

(١-١) ب ، ف : « ففيا » . وقبلها في ١ : « قال أبو جعفر » .

(٢) ط : « كس » ، صوابه من ١ . (٣) ابن الأثير : « رجع » .

بقاء السبيل بعد قتل ابن عمه ، وله سبعة إخوة قد وترهم ! وأنت أم واحد فأرسلت إليها : إن الأسد تنقل أولادها ، والخنازير كثير أولادها .

ووجه المهلب ابنه حبيباً إلى ربنجن^(١) فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً ، فدعا رجل من المشركين إلى المبارزة ، فبرز له جيبك غلام حبيب ، فقتل المشرك ، وحمل على جمعهم ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ثم رجع ورجع العسكر ، ورجع العدو إلى بلادهم ، ونزلت جماعة من العدو قرية ، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف ، فقاتلهم فظفر بهم ، فأحرقها ، ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة . ويقال إن الذي أحرقها جيبك غلام حبيب .

قال : فكث المهلب سنتين مقيماً بكس^١ ، فقبل له : لو تقدمت إلى السغد وما وراء ذلك ! قال : ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الخند ، حتى يرجعوا إلى مرو سالمين .

قال : وخرج رجل من العدو يوماً ، فسأله البراز ، فبرز إليه هريم بن عدى ، أبو خالد بن هريم وعليه عمامة قد شدها فوق البيضة ، فأنتهى إلى جندول ، فجاوكه المشرك ساعة فقتله هريم وأخذ سلبه ، فلامه المهلب ، وقال : لو أصبت ثم أمددت بألف فارس ما عدك لك عندى ، واتهم المهلب وهو بكس قوماً من مضر فحبسهم بها ، فلما قتل وصار صلح خلاهم ، فكتب إليه الحجاج : إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم ؛ وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم . فقال المهلب : خفتهم فحبستهم ، فلما أمنت تخليتهم .

وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري . ثم صالح المهلب أهل كس على فدية ، فأقام ليقبضها ، وأتاه كتاب ابن الأشعث بخلع الحجاج ويدعوه إلى مساعدته على خلعه ، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحجاج .

[تسير الجنود مع ابن الأشعث لحرب رتبيل]

وفي هذه السنة وجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سيستان لحرب رتبيل صاحب الترك ؛ وقد اختلف أهل السير في سبب

توجيهه إياه إليها ، وأين كان عبد الرحمن يوم ولّاه الحجاج سجستان وحرب
رُتبيل ؛ فأما يونس بن أبي إسحاق - فيما حدث هشام ، عن أبي مخنف
عنه - فإنه ذكر أن عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجاج بن يوسف بخبر الجيش
الذي كان مع عبيد الله بن أبي بكر في بلاد رُتبيل وما لَقُوا بها كتب إليه :

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر فيه مُصاب المسلمين بسجستان ،
وأولئك قومٌ كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى متصاعجهم ، وعلى الله ثوابهم .
وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأي من توجيه الجنود وإمضائها إلى ^(١) ذلك الفرج
الذي أصيب فيه المسلمون أو كفّها ، فإن رأي في ذلك أن تُمضي رأيك
راشداً موفّقاً .

وكان الحجاج وليس بالعراق رجلٌ أبغض إليه من عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث ، وكان يقول : ما رأيته قط إلا أردت قتله .

قال أبو مخنف : فحدثني نعيم بن وعلّة الهَمْداني ، ثمّ اليناعي ،
عن الشعبي ، قال : كنتُ عند الحجاج جالساً حين دخل عليه عبد الرحمن بن
محمد بن الأشعث ، فلما رآه الحجاج قال : انظر إلى مشيئته ، والله لَهَممتُ
أن أضرب عنقه . قال : فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقته وانظرتُه على
باب سعيد بن قيس السبيعي ، فلما انتهى إلى قلت : ادخل بنا الباب ،
إني أريد أن أحدثك حديثاً هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج .
فقال : نعم ، فأخبرته بمقالة الحجاج له ؛ فقال : وأنا كما زعم الحجاج إن لم
أحاول أن أزيله عن سلطانه ، فأجهّد الجهد إذ طال بي وبه بقاء .

ثمّ إن الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ،
وعشرين ألف رجل من أهل البصرة ، وجدّ في ذلك وشمر ، وأعطى الناس
أعطياتهم كملاً ^(٢) ، وأخذهم بالخيول الرّوائح ، والسلاح الكامل ، وأخذ في
عرض الناس ، ولا يرى رجلاً تذكر منه شجاعة إلا أحسن معونته ، فر
عبيد الله بن أبي محجن الثقفي على عبّاد بن الحصين الحبّطي ، وهو مع
الحجاج يريد عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفي ، وهو يعرض الناس ، فقال

(١) : « في ذلك الفرج » . (٢) يقال : أعطاه المال كلا ، أي كاملاً .

عباد: ما رأيتُ فرساً أروعَ ولا أحسنَ من هذا^(١) ، وإنَّ الفرسَ قوَّةَ سلاح وإنَّ هذه البغلةَ عكَّنداءُ ، فزاده الحجاجُ خمسينَ وخمسائةَ درهم ، ومَرَّ به عطية العنبريُّ ، فقال له الحجاجُ ؛ يا عبدَ الرحمن ، أحسنُ إلى هذا . فلما استتَبَّ له أمرُ ذَيْنِكَ الجندَيْنِ ، بعثَ الحجاجُ عطارداً بنَ عمَرَ التميميِّ فعسكرَ بالأهوازَ ، ثمَّ بعثَ عُبيدَ اللهَ بنَ حجرَ بنَ ذِي الجوشنِ العامريَّ من بني كلاب . ثمَّ بدا له ، فبعثَ عليهم عبدَ الرحمنَ بنَ محمدَ بنَ الأشعثِ وعزلَ عُبيدَ اللهَ بنَ حجرَ ، فأَتَى الحجاجَ عمُّه إِسماعيلُ بنُ الأشعثِ ، فقال له : لا تبعه فإني أخافُ خلافَه ، واللهِ ما جازَ جِسرَ الفراتِ قطَّ فرأى لوالٍ من الوُلاةِ عليه طاعةٌ وسلطاناً . فقال الحجاجُ : ليس هناك ، هُوَلى أهيبُ وفيَّ أرغَبُ من أن يخالِفَ أمرى ، أو يخرجَ من طاعتي ؛ فأَمْضاهُ على ذلكَ الجيشِ ، فخرجَ بهم حتى قدِمَ سِجِسْتانَ سنة ثمانينَ ؛ فجمعَ أهلها حينَ قدِمَ مَها .

قال أبو مِخْنَفٍ : فحدَّثني أبو الزَّبير الأرحبيُّ — رجلٌ من هَمْدانٍ كان معه — أنه صعدَ منبرها فحمدَ اللهَ وأثنىَ عليه ثمَّ قال : أيُّها الناسَ ، إنَّ الأميرَ الحجاجَ ولَّاني ثغرَكم ، وأمَرَني بِجهادِ عدوِّكم الذي استباحَ بلادكم وأبادَ خيارَكم ، فإياكم أن يتخلَّفَ منكم رجلٌ فيُحِلَّ بنفسِه العقوبةَ ، اخرجوا إلى معسكركم فمعسكروا به مع الناسِ . فمعسكرَ الناسُ كُلُّهم في معسكرهم ووُضِعَت لهم الأسواقُ ، وأخذَ الناسُ بالجهازِ والهيئةِ بآلةِ الحربِ ، فبلغَ ذلكَ رُئييلَ ، فكتبَ إلى عبدِ الرحمنَ بنِ محمدٍ يعتذرُ إليه من مُصِابِ المسلمينَ ويخبره أنه كانَ لذلكَ كارهاً ، وأنهم أُلجئوا إلى قتالهم ، ويسأله الصلحَ ويعرضُ عليه أن يَقْبَلَ منه الخراجَ ، فلم يُجِبْهِ ، ولم يَقْبَلَ منه . ولم يَنْشَبْ عبدُ الرحمنُ أن سارَ في الجنودِ إليه حتى دخلَ أوَّلَ بلاده ، وأخذَ رُئييلَ يضمُّ إليه جندَه ، ويدعُ له الأرضَ رُسْتاقاً رُسْتاقاً ، وحصناً حصناً ، وطفقَ ابنُ الأشعثِ كلما حوىَ بلدًا بعثَ إليه عاملاً ، وبعثَ معه أعواناً ، ووضعَ

١٠٤٥/٢

(١) : ١ « من ذا » .

(٢) الملتداه : الغليظة .

البرُدَ فيما بين كلِّ بلد وبلد، وجعل الأرصَادَ على العقاب والشعاب، ووضع المسالِحَ بكلِّ مكانٍ مخوفٍ، حتَّى إذا جاز من أرضه أرضاً عظيمةً، وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة، حبس الناسَ عن الوُغُولِ في أرض رُتْبِيلَ وقال: نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتَّى نجبيها ونعرفها، وتجترئ المسلمون على طُرُقها، ثمّ تتعاطى في العام المقبل ما وراءها، ثمّ لم نزل ننتقصهم في كلِّ عام طائفةً من أرضهم حتَّى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذرائعهم، وفي أقصى بلادهم، ويمتنع حصونهم، ثمّ لا نزال بلادهم حتَّى يهلكهم الله. ثمّ كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو، وبما صنع الله للمسلمين، وبهذا الرأي الذي رآه لهم.

١٠٤٦/٢

وأما غيرُ يونسَ بن أبي إسحاق وغيرُ من ذكرت الرواية عنه في أمر ابن الأشعث فإنه قال في سبب ولايته سجستانَ ومسيره إلى بلاد رُتْبِيلَ غير الذي رويت عن أبي مخنف، وزعم أن السبب في ذلك كان أن الحجاج وجه هيمان بن عدى السدوسيَّ إلى كرمان، مسلّحة لها ليمد عاملَ سجستانَ والسند إن احتاجا إلى مدد، فعصى هيمانُ ومن معه، فوجه الحجاج ابن الأشعث في محاربته، فهزمه، وأقام بموضعه.

ومات عبيد الله بن أبي بكرٍ، وكان عاملاً على سجستان، فكتب الحجاج عهداً لابن الأشعث عليها، وجهز إليها جيشاً أنفق عليهم ألفى ألف سوى أعطياتهم، كان يُدعى جيش الطواويس، وأمره بالإقدام على رُتْبِيلَ.

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان، كذلك حدّثني أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي.

١٠٤٧/٢

وقال بعضهم: الذي حجَّ بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك. وكان على المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان، وعلى العراق والمشرق كلّه

الحجاجُ بن يوسف ، وعلى خراسانَ المهلب بن أبي صفرة من قبيل الحجاج ،
وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس

* * *

وأغزى عبدُ الملك في هذه السنة ابنه الوليد .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة كان فتح قبالية قلا، حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أغزى عبد الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عبيد الله بن عبد الملك، ففتح قبالية قلا.

[ذكر الخبر عن مقتل بحير بن ورقاء بخراسان]

وفي هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصرمي بخراسان.

ذكر الخبر عن مقتله :

وكان سبب قتله أن بحيراً كان هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله إياه بذلك، فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بني عوف بن سعد من الأبناء يحض رجالاً من الأبناء من آل بكير بالوتر: لعمرى لقد أغضيت عيناً على القذى وبنت بطينا من رحيق مروق وخليت ثاراً طلاً واخترت نومة ومن شرب الصهباء بالوتر يسبق^(١) فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة تركت بحيراً في دم مترق ١٠٤٨/٢ فقل لبجير نم ولا تخش ثائراً بعوف فعوف أهل شاة حبلى^(٢) دع الضأن يوماً قد سبقتم بوتركم وصرتم حديثاً بين غرب وشرق وهبوا فلو أمسى بكير كعهده صحيحاً لغاداهم بجأواء فيلق^(٣) وقال أيضاً :

فلو كان بكر بارزاً في أداتيه وذى العرش لم يقدم عليه بحير

(١) ابن الأثير : « ومن يشرب » . (٢) الحليق : صغار الغنم .

(٣) في اللسان : « كتيبة جأواء : بينة الجأى ، وهي التي يملوها لون السواد لكثرة الدروع » .

ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطلب وفي الله طلاب بذالك جدير
وبلغ بحيراً أن الأبناء يتوعدونه ، فقال :

توعدني الأبناء جهلاً كأنما يرون فنائي مُقْفِيراً من بني كعب
رفعت له كفى بحدّ مُهنّد^(١) حُسام كلون الملح ذى رونقٍ عَضْب^(٢)

فذكر علي بن محمد ، عن الفضل بن محمد ، أن سبعة عشر رجلاً من
بني عوف بن كعب بن سعد تعاقدوا على الطلب بدم بُكَيْر ، فخرج فتى
منهم يقال له الشمر دَل من البادية حتى قدّم خُرَّاسان ، فنظر إلى بحير
واقفاً ، فشدّ عليه فطعنه فصرّعه ، فظن أنه قد قتله ، وقال الناس : خارجي ،
فراكتهم ، فعشّر فرسه فنسدر عنه فقتل .

١٠٤٩/٢

ثم خرج صَعَصعة بن حُرْب العَوَفِيّ ، ثمّ أحد بني جُنْدُب ، من البادية
وقد باع غَنِيَمَات له ، واشترى حماراً ، ومضى إلى سِجِسْتان فجاور
قَرَابَةَ لَبْحِير هناك ولاطقتهم ، وقال : أنا رجل من بني حنيفة من أهل
اليمامة ، فلم يزل يأتهم ويجالسهم حتى أنسوا به ، فقال لهم : إن لي بخُرَّاسان
ميراثاً قد غلبت عليه ، وبلغني أن بَحِيرًا عَظِيمُ الْقَدْرِ بخُرَّاسان ، فاكتبوا
لي إليه كتاباً يُعِينُنِي على طلب حتى ، فكتبوا إليه ، فخرج فقَدِمَ مَرَوَ
والمهلب غاز . قال : فلقى قوماً من بني عوف ، فأخبرهم أمره ، فقام^(٣) إليه
مولي لبكير صَيْفَقِل^(٤) ، فقبل رأسه ، فقال له صَعَصعة : اتخذ لي خِنْجِراً ، فعمل له
خنجرًا وأحماء وغمسه في لبنِ أتانٍ مراراً ، ثمّ شخّص من مَرَوَ فقطع النهر
حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ ، فلقى بَحِيرًا بالكتاب ، وقال :
إني رجل من بني حنيفة ، كنت من أصحاب ابن أبي بكر ، وقد ذهب
مالي بسِجِسْتان ، ولي ميراثٌ بمَرَوَ ، فقد مت لأبيعه ، وأرجع إلى اليمامة .
قال : فأمر له بنقّة وأنزله معه ، وقال له : استعن بي على ما أحببت ،
قال : أقيمُ عندك حتى يقفل الناسُ ، فأقام شهراً أو نحواً من شهرٍ يحضرُ

١٠٥٠/٢

(١) ب ، ف : « عَضْب » . (٢) ابن الأثير : « كلون الثلج » .
(٣) ب ، ف : « فأقبل » . (٤) الصقلي : شحاذ السيوف وجلالها .

معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به . قال : وكان بحير يخاف الفتك به ، ولا يأمن أحداً ، فلما قدِم صمصعة بكتاب أصحابه قال : هو رجل من بكر بن وائل ، فأمنه ، فجاء يوماً وبحير جالس في مجلس المهلب ، عليه قميص ورداء ونعلان ، فقعده خلفه ، ثم دنا منه ، فأكب عليه كأنه يكلمه ، فوجأه بخنجره في خاصرته ، فغيّبه في جوفه ، فقال الناس : خارجي ! ، فنادى : يا لثارات بكير ، أنا ثائر بكير ! فأخذه أبو العجفاء بن أبي الحرّقاء ، وهو يومئذ على شرط المهلب ، فأتى به المهلب فقال له : بؤساً لك ! ما أدركت بئارك ، وقتلت نفسك ، وما على بحير بأس ، فقال : لقد طعنته طعنة لو قُسمت بين الناس لماتوا ، ولقد وجدت ريح بطني في يدي ، فحبسته فدخل عليه السجن قوم من الأبناء فقبلوا رأسه . قال : ومات بحير من غدا عند ارتفاع النهار ، فليل لصمصعة : مات بحير ، فقال : اصنعوا بي الآن ما شئتم ، وما بدا لكم ، أليس قد حلت نذور نساء بني عوف ، وأدركت بئاري ! لا أبالي ما لقيت ، أما والله لقد أمكنني ما صنعت خالياً غير مرة ، فكرهت أن أقتله سرّاً ؛ فقال المهلب : ما رأيت رجلاً أسخى نفساً بالموت صبراً من هذا ؛ وأمر بقتله أبا سؤيفة ابن عم لبّحير ، فقال له أنس بن طلق : ١٠٥١/٢ ويحك ! قتل بحير فلا تقتلوا هذا ، فأبى وقتلته ، فشتّمه أنس .

وقال آخرون : بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت ، فقال له أنس ابن طلق العبشمي : يا بحير ، إنك قتلت بكيراً ، فاستحي هذا ، فقال بحير : أدنوه مني ، لا والله لا أموت وأنت حي ، فأذنوه منه ، فوضع رأسه بين رجله وقال : اصبير عفاك ، إنه شرّ باق ، فقال ابن طلحة لبّحير : لعنك الله ! أكلمك فيه وتقتله بين يدي ! فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير ، فقال المهلب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غزوة أصيب فيها بحير ؛ فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا : علام قتل صاحبنا ، وإنما طلب بئاره ! فنازعتهم مقاعس والبُطون حتى خاف الناس أن يعظم البأس ، فقال أهل الحجاز : احملوا دم صمصعة ، واجعلوا دم بحير بواءً ببكير

فَوَدَّوْا صَعَصَعَةً ، فقال رجل من الأبناء يمدح صَعَصَعَةً :
 لِلَّهِ دَرٌّ فَتَى تَجَاوَزَ هَمَّهُ دُونَ الْعِرَاقِ مَقَاوِزًا وَبُحُورًا
 مَا زَالَ يَذَّابُ نَفْسَهُ وَيَكُدُّهَا حَتَّى تَنَاقَلَ فِي خَرُونِ بَحِيرًا
 قال : وخرج عبدُ ربِّه الكبير أبو وَكَيْع ، وهو من رَهْطِ صَعَصَعَةٍ إِلَى
 الْبَادِيَةِ ، فقال لِرَهْطِ بُكَيْرٍ : قُتِلَ صَعَصَعَةٌ بِطَلَبِهِ بِدَمِ صَاحِبِكُمْ ،
 فَوَدَّوْهُ ، فَأَخَذَ لَصَعَصَعَةٍ دَيْتَيْنِ .

[ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجّاج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
 الحجّاجَ ومَن معه مِن جُنْدِ الْعِرَاقِ ، وأقبلوا إِلَيْهِ لِحَرْبِهِ فِي قَوْلِ أَبِي مَخْنَفٍ ،
 وَرَوَايَتِهِ لِلذَّكَاءِ عَنْ أَبِي الْمُخَارِقِ الرَّاسِبِيِّ ، وَأَمَّا الْوَاقِدِيُّ فَلَمَّا زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ
 فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ .

* ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد إلى ما فعل

من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجّاج في هذه السنة :
 قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رُتَبِيلٍ ،
 وَكُتَابِهِ إِلَى الْحَجّاجِ بِمَا كَانَ مِنْهُ ^(١) هُنَاكَ ، وَبِمَا عُرِضَ ^(٢) عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ فِيهَا
 يَسْتَقْبِلُ مِنْ أَيَّامِهِ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ ^(٣) ، وَنَذَكَرَ الْآنَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى
 وَثَمَانِينَ فِي رَوَايَةِ أَبِي مَخْنَفٍ ، عَنْ أَبِي الْمُخَارِقِ .

ذَكَرَ هِشَامٌ عَنْ أَبِي مَخْنَفٍ قَالَ : قَالَ أَبُو الْمُخَارِقِ الرَّاسِبِيُّ : كُتِبَ
 الْحَجّاجُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِجَوَابِ كُتَابِهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ كُتَابَكَ أَتَانِي ، وَفَهَّمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ ، وَكُتَابُكَ كِتَابُ
 أَمْرٍ يُحِبُّ الْهَدَنَةَ ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْمَوَادَّةِ ، قَدْ صَانَعَ عَدُوًّا قَلِيلًا ذَلِيلًا ، قَدْ
 أَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ جُنْدًا كَانَ بِلَاؤُهُمْ حَسَنًا ، وَغَسَاؤُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ عَظِيمًا .
 لَسَعْمُكَ يَا بَنَ أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ لِأَنَّكَ حَيْثُ تَكْفُفُ عَنْ ذَلِكَ الْعَدُوِّ يُجَسِّدِي وَحْدَتِي

١٠٥٣/٢

لسخبي النفس عمن أصيب من المسلمين . إني لم أعدد رأيك الذي زعمت أنك رأيته رأى مكيدة ، ولكنني رأيت أنه لم يحملك عليه إلا ضعفك ، والتيات رأيك ، فامض لما أمرتك به من الغول في أرضهم ، والهدم لحصونهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسبى ذراريهم . ثم أردفه كتاباً فيه :

أما بعد ، فمر من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا ، فإنها دارهم حتى يفتحها الله عليهم . ثم أردفه كتاباً آخر فيه :

أما بعد ، فامض لما أمرتك به من الغول في أرضهم ، وإلا فإن إسحاق ابن محمد أخاك أمير الناس ، فخله وما وليته .

فقال حين قرأ كتابه : أنا أحمل ثقل إسحاق ، فعرض له ، فقال : لا تفعل ، فقال : ورب هذا - يعني المصحف - لن ذكرته لأحد لأقتلك . فظن أنه يريد السيف ، فوضع يده على قائم السيف ، ثم دعا الناس إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني لكم ناصح ، ولصلاحيكم محب ، ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر ، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأي استشرت فيه ذوى أحلامكم ، وأولى التجربة للحرب^(١) منكم ، فرضوه لكم رأياً ، ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحاً ، وقد كتبت^(٢) إلى أميركم الحجاج ، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ، ويأمرني بتعجيل الغول بكم في أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها^(٣) بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيت ، وآبى إذا أبيتم . فثار إليه الناس فقالوا : لا ، بل نأبى على عدو الله ، ولا نسمع له ولا نطيع .

قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة الكنانى أن أباه كان أول متكلم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد ، فإن الحجاج والله ما يرى بكم إلا ما رأى القائل الأول إذ قال

(١) ب ، ف : « منكم للحرب » . (٢) بعدها ب ، ف : « بذلك » .

(٣) ب ، ف : « فيها إخوانكم » .

لأخيه: أحمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك، وإن نجا فلك. إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهب والصبوب^(١)، فإن ظفرتهم فغنمتم أكمل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنهم، ولا يبق عليهم، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن، فلاني أشهدكم أنني أول خالع. فنادى الناس من كل جانب، فعلنا فعلنا، قد خلعتنا عدو الله، وقام عبد المؤمن بن شبيب بن ربيع التميمي ثانياً - وكان على شُرطته حين أقبل - فقال: عباد الله، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم، وجمتمكم تجمير فرعون الجنود، فإنه بلغني أنه أول من جمّر البعوث، ولن تعينوا الأحبة^(٢) فيما أرى أو يموت أكثركم^(٣). بايعوا أميركم، وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه، فقال: تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصرة لي وجهاده معي حتى ينفيته الله من أرض العراق. فبايعه الناس، ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء.

١٠٥٥/٢

قال أبو مخنف: حدثني عمر بن ذر القاص أن أباه كان معه هنالك، وأن ابن محمد كان ضربته وجبته لانتقاطه كان إلى أخيه القاسم بن محمد، فلمّا كان من أمره الذي كان من الخلاف دعاه فحملته وكساه وأعطاه، فأقبل معه فيمن أقبل، وكان قاصاً خطيباً.

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدي أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بسنت عياض ابن هميان البكري، من بني سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وعلى زرتج عبد الله بن عامر التميمي ثم الدارمي، ثم بعث إلى رتبيل، فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقي، وإن هزم فأراد أبلغه عنده.

(١) اللهب: جمع لب، وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه، والصبوب: جمع لصب، وهو مضيق الوادي. (٢-٢) ب، ف: «فما أرى أو يموت أكثرهم».

قال أبو مخنف : حدثني خُشَيْبَةُ بْنُ الْوَلِيدِ الْعَبْسِيُّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَمَّا خَرَجَ مِنْ سَجِسْتَانَ مَقْبِلًا إِلَى الْعِرَاقِ سَارِيَيْنَ يَدِيهِ الْأَعَشَى عَلَى فَرَسٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

شَطَّطْتُ نَوَى مِنْ دَارِهِ بِالْإِيوَانِ إِيوَانِ كِسْرَى ذِي الْقُرَى وَالرَّيْحَانِ (١)
مِنْ عَاشِقٍ أَمْسَى بِزَابُلِيسْتَانَ إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ
كَذَّابُهَا الْمَاضِي وَكَذَابُ ثَانِ أَمَكَنَّ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانِ
يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ إِنَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَّانِ
حِينَ طَغَى فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
سَارَ بِجَمْعٍ كَالدَّبْيِ مِنْ قَحْطَانَ (٢) وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ أَتَى أَبْنِ عَدْنَانَ
بِجَحْشَلِ جَمٍّ شَدِيدِ الْإِرْزَانِ (٣) فَقُلْ لِحِجَّاجٍ وَلِيَّ الشَّيْطَانِ
يَثْبُتُ لَجَمْعٍ مَذْجِجٍ وَهَمْدَانِ فَإِنَّهُمْ سَاقُوهُ كَأْسَ الدِّيْقَانِ

* وَمُلْحِقُوهُ بِقُرَى ابْنِ مَرْوَانَ *
١٠٥٧/٢

قال : وبعث على مقدمته عطية بن عمرو العنبري ، وبعث الحجاج إليه الخليل ، فجعل لا يلقاه خيلا إلا هزمتها ، فقال الحجاج : من هذا ؟ فقيل له : عطية ، فذلك قول الأعشى :

فَإِذَا جَعَلْتَ دُرُوبَ فَارِسٍ خَلْفَهُمْ دَرْبًا فَدَرْبًا (٤)
فَابْعَثْ عَطِيَّةً فِي الْخِيُولِ لِيُكَبِّهَنَّ عَلَيْكَ كَبًّا
ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَقْبَلَ يَسِيرُ بِالنَّاسِ ، فَسَأَلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبْعِيِّ ،
وَكَانَ قَدْ كَتَبَهُ فِي أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : أَنْتَ خَالِي ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَأْتِيهِ
فَقَدْ سَأَلَ عَنْكَ ! فَكَرِهَ أَنْ يَأْتِيَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى مَرَّ بِكَرْمَانَ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ خَرَّشَةَ
ابْنِ عَمْرِو التَّمِيمِيِّ ، وَنَزَلَ أَبُو إِسْحَاقَ بِهَا ، فَهَلَمَّ يَدْخُلُ فِي فِتْنَتِهِ حَتَّى كَانَتْ

(١) هو أعشى همدان ، وانظر الأغاني ٦ : ٥٩ ، ٦٠ ، فهناك رواية مخالفة .

(٢) الدبي : الجراد ، وفي الأغاني : « كالقطا » .

(٣) الإرزان : الفوضاء والجلبة .

الجماجم ، ولما دخل الناسُ فارسَ اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا :
إنا إذا خلعتنا الحجاجَ عاملَ عبد الملك فقد خلعتنا عبد الملك ، فاجتمعوا إلى
عبد الرحمن ، فكان أول الناس .

قال أبو مخنف فيما حدثني أبو الصلت التيمي : خلعَ عبد الملك بن
مروان تيحانُ بن أبجر من بني تيم الله بن ثعلبة ، فقام فقال : أيها الناس ،
إني خلعت أبا ذبَّانَ ^(١) كسخلني قميصي ، فخلعه الناسُ إلا قليلا منهم ،
ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه ، وكانت بيعته تُبايعون على كتاب الله وسنة
نبيه وخلع أئمة الضلالة ^(٢) وسهاد المحلدين ، فإذا قالوا : نعم بايع . فلما
بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن
الأشعث ، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه ، وبعث كتابه إلى عبد الملك
يتمثل في آخره بهذه الأبيات ، وهي للحارث بن وعلّة :

١٠٥٨/٢

سَائِلُ مُجَاوِرَ جَرَمٍ هَلْ جَنَيْتُ لَهُمْ حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجِيرَةِ الْخُلُطِ ^(٣)
وَهَلْ سَمَوْتُ بِجَرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ ^(٤) جَمَّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرْطِ ^(٥)
وَهَلْ تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْفِدْنَ بِالْغُبُطِ ^(٦)
وجاء حتى نزل البصرة . وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو
بسجستان ، فكتب إليه :

١٠٥٩/٢

أما بعد ، فإنك وضعت رجلك يا بن محمد في غَرَزٍ طَوِيلٍ الْغَيِّ عَلَى أُمَّةٍ
محمد صلى الله عليه وسلم . اللهَ اللهَ فانظر ^(٧) لنفسك لا تهلككها ؛ ودماء
المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبسعة فلا تسكنها ،
فإن قلت : أخاف الناسَ على نفسي فإلهُ أحقَّ أن تخافه عليها من الناس ،
فلا تعرّضها لله في سفك دم ، ولا استحلال محرّم والسلام عليك .

(١) أبو ذبّان ، كنيته عبد الملك بن مروان ؛ وكان يبرز بها . وانظر ثمار القلوب ٢٤٦

(٢) ب ، ف : « وعلى جهاد أهل الضلالة وخلقهم » .

(٣) الأغاني ١٩ : ١٤٠ . (٤) الأغاني : « أم هل علوت » .

(٥) الأغاني : « يغشى المحارم بين السهل والفرط » .

(٦) الأغاني : « حتى تركت » . (٧) ب ، ف : « انظر » .

وكتب المهلب إلى الحجاج :

أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السَّيْل المنحدر من عل ، وليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شِرةً في أوّل مخرجهم ، وصباة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردّهم حتى يسقطوا إلى أهلهم ، ويشمّوا أولادهم ، ثم واقفهم عندها ، فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله .

فلما قرأ كتابه قال : فعمل الله به وفعل ، لا والله ما لي نَظَر . ولكن لابن عمه نصّح . لما وقع كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، ودعاه فأقرأه الكتاب ، ورأى ما به من الجزع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان هذا الحدث من قبيل سجستان ، فلا تخفه ، وإن كان من قبيل خراسان تخوفته . قال : فخرج إلى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

١٠٦٠/٢

إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدري . اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سخطك . ثم نزل .

وأقام الحجاج بالبصرة وتجهّز ليلقَى ابن محمد ، وترك رأى المهلب وفرسان^(١) الشام يسقطون إلى الحجاج ، في كل يوم مائة وخمسون وعشرة وأقل على البرد من قبيل عبد الملك ، وهو في كل يوم تسقط إلى عبد الملك كتبه ورسله بخبر ابن محمد أي كورة نزل ، ومن أي كورة يرتحل ، وأي الناس إليه أسرع .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج أن مكتبه كان بكترمان ، وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فلما مرّ بهم ابن محمد بن الأشعث ، انجعلوا معه ، وعزم الحجاج رأيّه على استقبال ابن الأشعث ، فسار بأهل الشام حتى نزل تستر ، وقدم بين يديه مطهر بن حرّ العكيّ - أو الجُدائي - وعبد الله بن رُمَيْث الطائي ، ومطهر على الفريقين ، فجاءوا حتى انتهوا إلى دُجَيْل ، وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلاً له ،

(١) ب ، ف : « ومار » .

عليها عبد الله بن أبان الخارثي في ثلثمائة فارس - وكانت مسلحة له وللجُند - فلما انتهى إليه مطهر بن حرّ أمر عبد الله بن رُمَيْثَةَ الطائي فأقدم عليهم ، فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت إليه ، وحُرح أصحابه . ١٠٦١/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الزبير الهَمْداني ، قال : كنتُ في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثم قال : اعبروا إليه من هذا المكان ، فأفحم الناسُ خيولهم دَجِيل من ذلك المكان الذي أمرهم به ، فوالله ما كان بأسرع من أن عَبَرَ عَظُمُ خيولنا ، فها تكاملت حتى حملنا على مطهر بن حرّ والطائي فهزمناهما يوم الأضحى في سنة إحدى وثمانين وقتلناهم قَتْلًا ذريعًا ، وأصبنا عسكرهم ، وأنت الحجاج الهزيمة وهو يخطب ، فصعد إليه أبو كعب بن عبيد بن سرجيس فأخبره بهزيمة الناس ، فقال : أيها الناس ، ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتل وطعام ومادة ، فإن هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند . ثم انصرف راجعًا وتبعته خيول أهل العراق ، فكلما أدركوا منهم شاذًا قَتَلُوهُ ، وأصابوا ثِقْلًا حووه ، ومضى الحجاج لا يسلو على شيء حتى نزل الزاوية ، وبعث إلى طعام التجار بالكلاء (١) فأخذه فحمله إليه ، وخطى البصرة لأهل العراق . وكان عامله عليها الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي . وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة . وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصدمة وأقبل راجعًا دعا بكتاب المهلب ، فقرأه ثم قال : لله أبوه ! أي صاحب حرب هو ! أشار علينا بالرأي ، ولكننا لم نقبل .

* * *

وقال غير أبي مخنف : كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة ، وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط ، فسار الحجاج في جيشه حتى نزل رُسْتُقْبَاد وهي من دَسْتَوَى من كور الأهواز ، فعسكر بها ، وأقبل ابن الأشعث فتزل تُسْتَر ، وبينهما نهر ، فوجّه الحجاج مُطَهَّر ابن حرّ العسكي في ألني رجل ، فأوقعوا بمسلحة لابن الأشعث ، وسار ابن

١٠٦٢/٢

(١) الكلاء : سوق بالبصرة .

الأسعث مبادراً، فوافقتهم، وهي عشية عرفة من سنة إحدى، وثمانين فيقال :
إنهم قتلوا من أهل الشام ألفاً وخمسمائة ، وجاءه الباكون منهزمين ، ومعه
يومئذ مائة وخمسون ألف ألف، ففرقها في قوادده، وضمتهم إياها، وأقبل
منهزمًا إلى البصرة^١ وخطب ابن الأسعث أصحابه فقال : أما الحجاج فليس
بشيء ، ولكننا نريد غزو عبد الملك ، وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج ،
فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الحسير دونته ، فرشاه الحكيم
ابن أيوب مائة ألف ، فكف عنه . ودخل الحجاج البصرة ، فأرسل إلى
ابن عامر فانتزع المائة الألف منه . .

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي الزبير الهمداني .
فلما دخل عبد الرحمن بن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج ،
ونخلع عبد الملك جميع أهلها من قرائنها وكهولها ، وكان رجل من الأزد من
الجهنم يقيم له عقيقة بن عبد الغافر له صحابة ، فتزايغ^(١) عبد الرحمن
مستبصرًا في قتال الحجاج ، وخندق الحجاج عليه ، وخندق عبد الرحمن
على البصرة . وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة من سنة
إحدى وثمانين .

وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك ، كذا حدثني أحمد
ابن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك
قال الواقدي ، وقال : في هذه السنة وليد ابن أبي ذئب .

وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبان بن عثمان ، وعلى العراق
والمشرق الحجاج بن يوسف ، وعلى حرب خراسان المهلب ، وعلى خراجها
المغيرة بن مهلب من قبيل الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن
أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة .

(١) ب ، ف : « فرأى أن يبايع » .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

* * *

[خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية]

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية. ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني ١٠٦٤/٢ قال: كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة، واقتتلوا في المحرم من سنة اثنتين وثمانين، فتزاحفوا ذات يوم، فاشتد قتالهم. ثم إن أهل العراق هزموهم حتى انتهوا إلى الحجاج، وحتى قاتلوهم على خنادقهم، وانهزمت عامة قريش وشقيف، حتى قال عميد بن موهب مولى الحجاج وكتابه: فر البراء وابن عمه مضعب وفرت قريش غير آل سعيد ثم إنهم تزاحفوا في المحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق أهل الشام، فنكصت ميمنتهم وميسرتهم، واضطربت رماحهم، وتقوض صفئهم، حتى دنوا منّا، فلما رأى الحجاج (١) ذلك جثا على ركبتيه، وانتضى نحواً من شبر من سيفه، وقال: لله در مضعب! ما كان أكرمه حين نزل به ما نزل! فعلمت أنه والله لا يريد أن يفر. قال: فغمرت أبي بعيني ليأذن لي فيه فأضربه بسيفي، فغمرت غمرة شديدة، فسكنت (٢)، وحانت مني التفاتة، فإذا سفيان بن الأبرد الكلبي قد حمل عليهم فهزمهم من قبيل الميمنة، فقلت: أبشر أيها الأمير، فإن الله قد هزم العدو. فقال لي: قم فانظر، قال: فقم فنظرت، فقلت: قد هزمهم الله، قال: قم يا زياد فانظر، قال: فقام فنظر فقال: الحق أصلحك الله يقيناً (٣) قد هزموا، فخر ساجداً، فلما رجعت شتمني أبي وقال: أردت أن تهلكني وأهل بيتي.

(١) ب، ف: «فلما رأى ذلك الحجاج». (٢) س: «فسكنت».

(٣-٢) ب، ف: «أيها الأمير أصلحك الله».

وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عَوْسَجَة أَبُو سُفْيَانَ النُّهْمِيّ ، وقتل عقبة ابن عبد الغافر الأزديّ ثمّ الجهميّ ، في أولئك القراء في رِبْضَة (١) واحدة ، وقتل عبد الله بن رِزَام الحارثي ، وقتل المنذر بن الجارود ، وقتل عبد الله ابن عامر بن مِسمَع ، وأتى الحجاجُ برأسه ، فقال : ما كنتُ أرى هذا فارقي حتى جاءني الآن برأسه ؛ وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً يومئذ فقتله ، وزعموا أنه كان مولى للفضل (١) بن عباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، كان شجاعاً يُدعى نُصَيْرًا ، فلما رأى مشيته بين الصّفيّين ، وكان يلومه على مشيته قال : لا ألومه على هذه المشية أبداً .

وقتل الطفيل بن عامر بن وائلة ، وقد كان قال وهو بفارسَ يُقبل مع عبد الرحمن من كَرَمَانَ إلى الحجاج :

أَلَا طَرَقْتَنَا بِالْغَرِيَيْنِ بَعْدَمَا كَلَلْنَا عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ جُنُوبُ
أَتَوْكَ يَقْوَدُونَ الْمَنَايَا وَإِنَّمَا هَدَّهَا بِأَوَّلَانَا إِلَيْكَ ذُنُوبُ
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبُ
أَلَا أَبْلِغِ الْحَجَّاجَ أَنَّ قَدْ أَظْلَهُ عَذَابُ بَائِلِدَى الْمُؤْمِنِينَ مُصِيبُ
مَتَى نَهْبَطُ الْمَصْرِينَ يَهْرُبُ مُحَمَّدٌ وَلَيْسَ بِمُنْجَى ابْنِ اللَّعِينِ هُرُوبُ
قال : مَنِيَّتَنَا أَمْرًا كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّكَ أَوْلَى بِهِ ، فَعَجَّلَ لَكَ فِي الدُّنْيَا ، وهو معذبك في الآخرة . وانهزم الناسُ ، فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة ، وتسبّع أهلُ القوّة من أصحاب الخيل من أهل البصرة .

ولما مضى عبدُ الرحمن نحو الكوفة وثب أهل البصرة إلى عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل بهم خمسَ ليالٍ الحجاجُ أشدَّ قتالٍ رآه الناسُ ، ثمّ انصرف فلاحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة فلاحقوا به ، وخرج الحرّيش بن هلال السعديّ وهو من بني أنف الناقة — وكان جريحاً — إلى سَقَمَوَانَ فأت من جراحته ،

(١) الرِبْضَة بكسر الراء وسكون الباء ؛ مقتل كل قوم قتلوا في بقعة واحدة .

(٢) ط : « المفضل » ، تصحيف .

وقُتِلَ في المعركة زيادُ بنُ مقاتل بن مِسمَع من بني قيس بن ثعلبة ، فقامت
حَمِيْدَةُ ابنتُهُ تَسْدُبُهُ ، وكان على خُمس بكر بن وائل مع ابن الأشعث
وعلى الرجال ، فقالت :

١٠٦٧/٢

وحامى زيادُ على رايَتَيْهِ^(١) وفرَّ جُدىُّ بني العنبرِ
فجاء البِلَعُ السعدى فسمعها وهى تَسْدُبُ أباهَا ، وتعيب التميميَّ ، فجاء
وكان يبيع سَمْنًا بالميربند ، فترك سَمْنَهُ عند أصحابه ، وجاء حتى قام تحتها
فقال :

علامَ تَلومينَ من لم يُلِمَ تَطاولَ لَيْلُكَ من مُعْصِرِ !
فإنَّ كَانَ أَردى أَباكِ السَّنانُ فَقَدْ تَلَحَّقُ الْخَيْلُ بِالْمُدْبِرِ
وَقَدْ تَنْطَحُ الْخَيْلُ تَحْتَ الْعَجَا جَ غَيْرَ الْبَرَى وَلَا الْمُغْدِرِ
وَنَحْنُ مَنَعْنَا لَوَاءَ الْحَرِيشِ وَطاحَ لَوَاءُ بَنى جَحْدِرِ

فقال عامر بن وائلة يرضى ابنه طُفَيْلا :

خَلَى طُفَيْلٌ عَلَى الْهَمِّ فانشَعَبَا وَهَدَّ ذَلِكْ رُكْنِي هَدَّةً عَجَبَا^(٢)
وَابْتَنَى سُمَيَّةً لَا أَنْسَاهَا أَبَدًا فِيمَنْ نَسِيتُ وَكُلَّ كَانَ لِي نَصَبَا^(٣)
وَأَخْطَأْتَنِي الْمَنَايَا لَا تَطَالُعْنِي حَتَّى كَبِرْتُ وَلَمْ يَتْرُكْنِي لِي نَشَبَا
وَكُنْتُ بَعْدَ طُفَيْلٍ كَالَّذِي نَضَبْتُ عَنْهُ الْمَيَّاهُ وَفَاضَ الْمَاءُ فَانْقَضَبَا
فَلَا بَعِيرَ لَهُ فِي الْأَرْضِ يَرْكَبُهُ وَإِنْ سَعَى لِإِثْرٍ مَنْ قَدْ فَاتَهُ لَغَبَا
وَسَارَ مِنْ أَرْضِ خَاقَانَ الَّتِي غَلَبْتُ أَبْنَاءَ فَارِسٍ فِي أَرْبَائِهَا غَلَبَا
وَمَنْ سَجِسْتَانِ أَسْبَابُ تُزَيْنُهَا لَكَ الْمَنِيَّةُ حَيْنًا كَانَ مُجْتَلَبَا
حَتَّى وَرَدَتْ حِيَاضُ الْمَوْتِ فَاَنْكَشَفَتْ عَنْكَ الْكَتَائِبُ لَا تَخْفَى لَهَا عَقَبَا
وَعَادَرُوكَ صَرِيْعًا رَهْنُ مَعْرَكَةٍ تُرَى النُّسُورُ عَلَى الْقَتْلِ بِهَا عُصَبَا

١٠٦٨/٢

١٠٦٩/٢

(١) ط : « حامى » . (٢) الأغاني ١٥ : ١٥٣ ، مع اختلاف في الرواية .

(٣) الأغاني : « وصبا » .

تَعَاهَدُوا ثُمَّ لَمْ يُؤْفُوا بِمَا عَاهَدُوا وَأَسْلَمُوا لِلْعَدُوِّ السَّيِّئِ وَالسَّلْبَا
يَا سَوِّءَةَ الْقَوْمِ إِذْ تُسَبِّحُ نِسَاؤُهُمْ وَهُمْ كَثِيرٌ يَرَوْنَ الْخَزْيَ وَالْحَرْبَا

قال أبو مخنف : فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل
الثقفي أن الحجاج أقام بقيّة المحرم وأول صفر، ثم استعمل على البصرة أيوب
ابن الحكم بن أبي عقيل، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة، وقد كان الحجاج
خلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي، حليف حرب
ابن أمية على الكوفة .

قال أبو مخنف - كما حدثني يونس بن أبي إسحاق : إنه كان على أربعة
آلاف من أهل الشام .

قال أبو مخنف : فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهمي أنهم كانوا
ألفين ، وكان حنظلة بن الورد من بني رياح بن يربوع التميمي وابن عتاب
ابن ورقاء على المدائن ، وكان مطر بن ناجية من بني يربوع على المعونة ،
فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبل حتى دنا من الكوفة ، فتحصن ١٠٧٠/٢
منه ابن الحضرمي في القصر ، ووثب أهل الكوفة مع مطر بن ناجية بابن
الحضرمي ومن معه من أهل الشام فحاصروهم ، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلّوه
والقصر ، فصالحهم .

قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق أنه رأى يسنزلون من
القصر على العجل، وفتح باب القصر لمطر^(١) بن ناجية، فاردحتم الناس على
باب القصر، فزحم مطر على باب القصر، فاخترط سيفه، فضرب به جحفة فله
بغل من بغل أهل الشام وهم يخرجون من القصر ، فألقى جحفته ودخل
القصر ، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم . قال يونس : وأنا رأيتهما
تقسم بينهما ، وكان أبو السقر فيمن أعطيهما . وأقبل ابن الأشعث منهزمًا إلى
الكوفة ، وتبعه الناس إليها .

(١) ب ، ف : « لمطر » .

[وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث في قول بعضهم. قال الواقدي: كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة، وفي قول بعضهم: كانت في سنة ثلاث وثمانين. * ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الأشعث إلى دير الجماجم وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها:

ذكر هشام عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني ثم الأرحبي، قال: كنت قد أصابتني جراحة، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الأشعث حين أقبل، فاستقبلوه بعد ما جاز قنطرة زبارا^(١)، فلما دنا منها قال لي: إن رأيت أن تعدل عن الطريق - فلا يرى الناس جراحتك فلاني لا أحب أن يستقبلهم الجرحى - فافعل. فعدلتُ ودخل الناس، فلما دخل الكوفة مالَ إليه أهل الكوفة كلهم، وسبقتُ همدان إليه، فحفت به عند دار عمرو بن حريث إلا طائفة من نعيم ليسوا بالكثير قد أتوا مطر بن ناجية، فأرادوا أن يقاتلوا دونه، فلم يطبقوا قتال الناس. فدعا عبد الرحمن بالسلامة والعجل، فوضعت ليصعد الناس القصر، فصعد الناس القصر فأخذوه، فأتي به عبد الرحمن بن محمد، فقال له: استبقني فلاني أفضل فرسانك وأعظمهم عنك غناء، فأمر به فحبس، ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه. وبأيعه مطر، ودخل الناس إليه فبايعوه، وسقط إليه أهل البصرة، وتقدمت إليه المساليح والثغور، وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن ابن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وعرف بذلك، وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثاً، فبلغ ذلك عبد الملك ابن مروان، فقال: قاتل الله عدي الرحمن، إنه قد فر! وقاتل غلمان من غلمان قريش بعده ثلاثاً. وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البر حتى مر بين القادسية والعتيب، ومنعوه من نزول القادسية، وبعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصريين

(١) ب: «زبارا»، س: «ديارا».

فنعوه من نزول القادسية ، ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادي السباع ، ثم تسايروا حتى نزل الحجاج دير قرة ، ونزل عبد الرحمن بن العباس دير الجماج ، ثم جاء ابن الأشعث فنزل بدير الجماج والحجاج بدير قرة ، فكان الحجاج بعد ذلك يقول : أما كان عبد الرحمن يزجر الطير حيث رآني نزلت دير قرة ، ونزل دير الجماج !

واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدير الجماج والقراء من أهل المصرين ، فاجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج ، وجمعتهم عليه بغضهم والكراهية له ، وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليتهم . وجاءت الحجاج أيضاً أمداده^(١) من قبل عبد الملك من قبل أن ينزل دير قرة ، وقد كان الحجاج أراد قبل أن ينزل دير قرة أن يرتفع إلى هيت وناحية الجزيرة لإرادة أن يقترب من الشام والجزيرة فيأتيه المدد من الشام من قريب ، ويقترب من رفاغة سيعر الجزيرة ، فلما مر بدير قرة قال : ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين ، وإن الفلاليج وعين الثمر إلى جنبنا . فنزل فكان في عسكره مخند قنابا وابن محمد في عسكره مخند قنابا ، والناس يخرجون في كل يوم فيقتتلون ، فلا يزال أحدهما يئدني خندقه نحو صاحبه ، فإذا رآه الآخر خندقاً أيضاً ، وأذننى خندقه من صاحبه . واشتد القتال بينهم . فلما بلغ ذلك رموس قريش وأهل الشام قبيل عبد الملك ومواليه قالوا : إن كان إنما يرضى أهل العراق أن ينزع عنهم الحجاج ، فإن نزع الحجاج أيسر من حرب أهل العراق ، فأنزعه عنهم تخلص لك طاعتهم ، وتحقق به دمانا ودماءهم . فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه ، فاجتمعوا جميعاً عنده ؛ كلاهما في جنديهما ، فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم ، وأن يجري عليهم أعطيائهم كما تجرى على أهل الشام ، وأن ينزل ابن محمد أى بلد من عراق شاء ، يكون عليه والياً ما دام حياً ، وكان عبد الملك والياً ؛ فإن هم قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج ، وكان محمد بن مروان

(١) ب ، ف : « أمداد » .

أمير العراق ، وإن أبوا أن يقبلوا فالحجاج أمير جماعة أهل الشام وولى القتال ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك فى طاعته . فلم يأت الحجاج أمراً قط كان أشد عليه ولا أغبط له ولا أوجع لقلبه منه مخافة أن يقبلوا فيُعزل عنهم ، فكتب إلى عبد الملك :

يا أمير المؤمنين ، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لا يلبثون إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تر وتسمع بوئوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان ، فلما سأهم ما يريدون قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تتم لهم السنة . حتى ساروا إليه فقتلوه ! إن الحديد بالحديد يُفلسح . خار الله لك فيما ارتأيت . والسلام عليك . ١٠٧٤/٢

فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق لإرادة العافية من الحرب . فلما اجتمعوا مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال : يا أهل العراق ، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال التى ذكرنا . وقال محمد بن مروان : أنا رسول أمير المؤمنين إليكم ، وهو يعرض عليكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال . قالوا : نرجع العشية ، فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلا أتاها ، فحمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فقد أعطيتم أمراً انتهازكم اليوم إياه فرصة ، ولا آمن أن يكون على ذى الرأى غدا حسرة ، وإنكم اليوم على النصف وإن كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء ، والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون^(١) . فلا والله^(٢) لا زلتم عليهم بجرءاء ، ولا زلتم عندهم أعزاء ، إن أنتم قبلتم أبدا ما بقيتم . ١٠٧٥/٢

فوثب الناس من كل جانب ، فقالوا : إن الله قد أهللكم ، فأصبحوا فى

(١) ب : « متقصون » .

(٢) ب ، ف : « فوالله » .

الأزَل والضَنْك والمجاعة والقلة والذلة ، ونحن ذوو العدد الكثير ، والسعر الرقيق ^(١) والمادة القريبة ، لا والله لا نقبل .

فأعادوا خلعه ثانية . وكان عبد الله بن ذؤاب السلمى وعمير بن تبحان أول من قام بخلعه فى الجماسم ، وكان اجتماعهم على خلعه بالجماسم ^(٢) أجمع من خلعههم إياه بفارس .

فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالا : شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك ، فإننا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع ، فقال : قد قلتُ لكما : إنه لا يُراد بهذا الأمر غيرُكما ، ثم قال : إنما أقاتل لكما ، وإنما سلطاني سلطانُكما ، فكانا إذا لقياه سلَّما عليه بالإمرة ، وقد زعم أبو يزيد السكسكى أنه إنما كان أيضاً يسلم عليهما بالإمرة إذا لقيهما ، وخلَّياه والحرب فتولاها .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجماسم سمعتُ عبد الرحمن بن محمد وهو يقول : ألا إن بني مروان يغيرون بالزرقاء ، والله ما لهم نسبٌ أصح منه إلا أن بنى أبى العاص أعلاجٌ من أهل صفورية ، فإن يكن هذا الأمر فى قريش فعنتى ففتت ببيضة قريش ، وإن يلك فى العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس — ومدَّ بها صوته يُسمع الناس — وبترزوا للقتال ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن ابن سليم الكلبي ، وعلى ميسرته حمارة بن تميم اللخمي ، وعلى خيليه سُفَيان ١٠٧٦/٢ ابن الأبرد الكلبي ، وعلى رجاله عبد الرحمن ^(٣) بن حبيب ^(٤) الحكمي ، وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن جارية الخثعمي ، وعلى ميسرته الأبرد بن قرّة التميمي ، وعلى خيليه عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي ، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبى وقاص ، وعلى مجففته ^(٥) عبد الله بن رزام الحارثي ، وجعل على القرء جبيلة بن زحر بن قيس الجعفي ،

(١) السعر الرقيق : السهل . (٢) ب ، ف : « بدير الجماسم » .

(٣) ب ، ف : « الله » . (٤) ابن الأثير : « خبيب » .

(٥) الخيل المجففة : التى عليها التجفاف ، وهو ما جمل به من سلاح .

وكان معه خمسة عشر رجلاً من قريش ، وكان فيهم عامر الشعبي ، وسعيد ابن جبير ، وأبو البخترى الطائي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

ثم لأنهم أخذوا يتزاحفون في كل يوم ويقتتلون ؛ وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فيما شاءوا من خصبهم ، وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام في ضيق شديد ، قد غلت عليهم الأسعار ، وقتل عندهم ، الطعام ، وفقدوا اللحم ، وكانوا كأنهم في حصار ، وهم على ذلك يغادون أهل العراق ويروحونهم ، فيقتتلون أشد القتال ، وكان الحجاج يُدنى خندقه مرة وهؤلاء أخرى ، حتى كان اليوم الذي أصيب فيه جبلة بن زحر . ثم إنه بعث إلى كميل بن زياد النخعي وكان رجلاً ركيناً وقوراً عند الحرب ، له بأس وصوت في الناس ، وكانت كتيبته تُدعى كتيبة القراء ، يُحمل عليهم فلا يكادون يبرحون ، ويحملون فلا يكذبون ، فكانوا قد عرفوا بذلك ، فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون ، وخرج الناس ، فبعى الحجاج أصحابه ، ثم زحف في صفوفه ، وخرج ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض ، وبعى الحجاج لكتيبة القراء التي مع جبلة بن زحر ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي ، فأقبلوا نحوه .

١٠٧٧/٢

قال أبو مخنف : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أنا والله في الخيل التي عسيت لجبلة بن زحر ، قال : حملنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات ؛ كل كتيبة تحمل حملة ، فلا والله ما استنقصنا منهم شيئاً .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب]

وفي هذه السنة توفى المغيرة بن المهلب بخراسان .

ذكر علي بن محمد ، عن الفضل بن محمد ، قال : كان المغيرة بن المهلب خليفة أبيه بمرو على عمله كله ، فمات في رجب سنة اثنتين وثمانين ، فأقى الخبر يزيد ، وعلمته أهل العسكر فلم يُخبروا المهلب ، وأحب يزيد أن يبلغه ، فأمر النساء فصرخن ، فقال المهلب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة ،

فاسترجع ، وجزع حتى ظهر جزعه عليه ، فلا مة بعض خاصته ، فدعا يزيد فوجهته إلى مرو ، فجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تسحدر على لحيته . وكتب الحجاج إلى المهلب يعزیه عن المغيرة ، وكان سيداً ، وكان ١٠٧٨/٢ المهلب يوم مات المغيرة مقياً بكيس وراء النهر لحرب أهلها .

قال : فسار يزيد في ستين فارساً - ويقال : سبعين - فيهم مجاعة بن عبد الرحمن العتيكي ، وعبد الله بن معمر بن سمير اليشكري ، ودينار السجستاني ، والهيثم بن المنخل الجرهمي ، وغزوان الإسكافي صاحب زم - وكان أسلم على يد المهلب - وأبو محمد الزمي ، وعطية - مولى لعتيك - فلقبهم خمسمائة من الترك في سفارة نسف ، فقالوا : ما أنتم ؟ قالوا : تجار ، قالوا : فأين الأثقال ؟ قالوا : قد مناهنا ؛ قالوا : فأعطونا شيئاً ، فأبى يزيد ، فأعطاهم جماعة ثوباً وكرايس وقوساً ، فانصرفوا ثم غدرُوا وعادوا إليهم ، فقال يزيد : أنا كنت أعلم بهم فقاتلوهم ، فاشتد القتال بينهم ، ويزيد على فرس قريب من الأرض ، ومعه رجل من الخوارج كان يزيد أخذته ، فقال : استبقني ؛ فن عليه ، فقال له : ما عندك ؟ فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل رجلاً ، ثم كر فخالطهم حتى تقتلهم وقتل رجلاً ثم رجع^(١) إلى يزيد . وقتل يزيد عظيماً من عظمائهم . ورعى يزيد في ساقه ، واشتدت شوكتهم ، وهرب أبو محمد الزمي ، وصبر لهم يزيد حتى حاجز زوهم ، وقالوا : قد غدرنا ، ولكن لا ننصرف حتى نموت جميعاً أو تموتوا أو تعطونا شيئاً ، فحلف يزيد لا يعطيهم شيئاً ، فقال مجاعة : أذكرك الله ، قد هلك المغيرة ، وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه ، فأنشدك الله أن تصاب اليوم !

قال : إن المغيرة لم يعد أجله ، ولست أعدو أجلكي . فرمى إليهم جماعة بعمامة صفراء فأخذوها وانصرفوا ، وجاء أبو محمد الزمي بفوارس وطعام ، فقال له يزيد : أسلمتانيا أبا محمد ؛ فقال : إنما ذهبت لأجيثكم بمدد وطعام ، فقال الراجز :

يزيدُ يا سَيْفَ أَبِي سَعِيدٍ قد علمَ الأَقْوَامُ والجنودُ
والجمعُ يَوْمَ المجمعِ المشهودِ أنك يومَ التَّركِ صَلَبُ العودِ
وقال الأشقرى :

والتَّركُ تعلُّمٌ إذ لَاقَى جُمُوعَهُمْ أنْ قد لقوهُ شِهاباً يَفْرِجُ الظُّلَمَا
بِفِتْيَةٍ كَأَسْوَدِ الغابِ لم يَجِدُوا غيرَ النَّاسِي وغيرَ الصَّبرِ مُعْتَصِمَا
نرى شَرَائِجَ تَغْشى القومَ من علقِ وما أرى نبوةً منهم ولا كَرَمَا
وتحتَهُمْ قَرَحٌ يَرَكِبُنَ ما رَكِبُوا من الكَرِهَةِ حتى يَنْتَلَعْنَ دَمَا
فِي حَازَةِ المَوْتِ حتى جَنَّ لَيْلُهُمْ كِلَا الفَرِيقَيْنِ ما وَلَّى ولا انْهَزَمَا

١٠٨٠/٢

* * *

وفى هذه السنة صالَحَ المهلبُ أهلَ كِسٍّ^(١) على فِدْيَةٍ ، ورحلَ عنها
يريد مَرَّو .

ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كِسٍّ

ذكر على بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن المهلب اتهم قومًا من
مُضَرَ فحبسهم وقتل من كِسٍّ ونخلتهم ، ونخلت حرث بن قُطَيْبَةَ
مولى خُزَاعَةَ ، وقال : إذا استوفيت الفِدْيَةَ فَرُدَّ عليهم الرُّهْنُ . وقطع النَّهْرَ
فلما صار بَبْلَخَ أَقام بها وكتبَ إلى حُرَيْثَ : إني لستُ آمِنُ إن رددت
عليهم الرُّهْنُ أن يغيروا عليك ، فإذا قبضتَ الفِدْيَةَ فلا تخلِ الرُّهْنُ حتى
تقدم أرض بَلَخَ . فقال حُرَيْثُ للملك كِسٍّ : إنَّ المهلب كتب إلى أن
أحبس الرُّهْنُ حتى أقدم أرض بَلَخَ ، فإن عَجَلتَ لى ما عليك سلَّمتُ
إليك رهاثتك ، وسرت فأخبرته أن كتابه ورد ، وقد استوفيتُ ما عليكم ،
ورددتُ عليكم الرُّهْنُ ؛ فعجَّلَ لهم صلحتهم ، وردَّ عليهم من كان فى أيديهم
منهم . وأقبل فعرضَ لهم التَّركَ ، فقالوا : افدِ نفسك ومن معك ، فقد لقينا

(١) ط : « كَش » ، وكس مدينة تقارب سمرقند .

يزيد بن المهلب ففدّى نفسه. فقال حرّيث: ولدتني إذا أمّ يزيد! وقاتلتهم فقتلتهم، وأسرّ منهم أسرى ففدّوهم، فنّ عليهم وخلّاهم، وردّ عليهم الفداء. وبلغ المهلب قوله: ولدتني أمّ يزيد إذا، فقال: يأنف العبد أن تسلكه رَحِمُهُ! وغَضِبَ.

فلما قدم عليه بَلَخَ قال له: أين الرَّهْنُ؟ قال: قبضتُ ما عليهم وخلّيتهم، قال: ألم أكتب إليك ألا تخلّيتهم! قال: أتاني كتابك وقد خلّيتهم، وقد كُفِّيتُ ما خفتُ، قال: كذبتُ، ولكنك تقرّبت إليهم وإلى ملكهم فأطلعتّه على كتابي إليك. وأمّرَ بتجريده، فجَزَعَ من التجريد حتى ظنّ المهلب أن به برصاً، فجَرّده وضربَه ثلاثين سَوْطاً. فقال حرّيث: ودِدْتُ أنه ضربني ثلثمائة سَوْط ولم يجرّدني، أنفماً واستحياء من التجريد، وحلف ليقتلنّ المهلب.

فرَكِبَ المهلب يوماً ورَكِبَ حرّيث، فأمر غلامين له وهو يَسِيرُ خلفَ المهلب أن يضرباه، فأبى أحدهما وترّكه وانصرف، ولم يجترأ الآخر لما صار وحده أن يُقدّمَ عليه، فلما رجع قال لغلامه: ما منعك منه؟ قال: الإشفاق والله عليك، والله ما جزعْتُ على نفسي، وعلمتُ أنا إن قتلناه أنك ستُقتل وتقتل، ولكن كان نظري لك، ولو كنت أعلم أنك تسلم من القتل لقتلته.

قال: فترك حرّيث إتيانَ المهلب، وأظهر أنه وجيعٌ، وبلغ المهلب ١٠٨٢/٢ أنه تمارض وأنه يريد الفتك به، فقال المهلب لثابت بن قطبة: جنني بأخيك، فإنما هو كبعض ولدى عِنْدِي، وما كان ما كان مَنّي إليه إلا نظراً له وأدباً، ولربما ضربتُ بعضَ ولدى أودّ به. فأتى ثابت أخاه فناشده، وسأله أن يركبَ إلى المهلب، فأبى وخافه وقال: والله لا أجيبه بعد ما صنّع بي ما صنّع، ولا آمنه ولا يأمنني. فلما رأى ذلك أخوه ثابت قال له: أما إن كان هذا رأيك فاخرج بنا إلى موسى بن عبد الله بن خازم، وخاف ثابت أن يقتل حرّيث بالمهلب فيقتلون جميعاً، فخرجا في ثلثمائة من شاكريتهما والمنقطعين إليهما من العرب.

[خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفى المهلب بن أبي صفرة .

* ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته :

قال علي بن محمد : حدثني المفضل ، قال : مضى المهلب منصرفه من كسّ يريد مرو ، فلما كان بزاغول من مرو الروذ أصابته الشوصة — وقوم يقولون : الشوكة^(١) — فدعا حبيباً ومن حضره من ولده ، ودعا بسهام فحزمت ، وقال : أترونكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا : لا ، قال : أفترؤنكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فهكذا الجماعة ، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحيم ، فإن صلة الرحيم تنسي في الأجل ، وتشرى المال ، وتكثر العدد ، وأنهاكم عن القطيعة ، فإن القطيعة تعقب النار ، وتورث الذلة والقلّة ، فتحابوا وتواصلوا ، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا ، وتباروا بتجتمع أموركم ؛ إن بني الأم يختلفون ، فكيف ببني العلات ! وعليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعالكم أفضل من قولكم ، فإنني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه ، واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ، ويزل لسانه فيهلك . اعرفوا لمن يغشاكم حقه ، فكفي بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له ، وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب واصطنعوا العرف ، فإن الرجل من العرب تعدّه العدة فيموت دونك ، فكيف الصنيعة عنده ! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة ، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل : أتى الأمر من وجهه ، ثم ظفر فحُمد ، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل : ما فرط ولا ضيغ ، ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنن ، وأدب الصالحين ، وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفت عليكم يزيد ، وجعلت حبيباً على الجُشد حتى يقدم بهم على يزيد ، فلا تُخالفوا يزيد ، فقال له المفضل : لو لم تقدمه لقدّمناه .

١٠٨٣/٢

(١) في اللسان : «الشوصة : ريح تأخذ الإنسان في لحمه تجول مرة هنا ومرة هنا ، ومرة في الجنب ومرة في الظهر ومرة في الحواشي . وفيه أيضاً : «الشوكة داء كاطاعون» .

ومات المهلب وأوصى إلى حبيب، فصلّى عليه حبيب، ثم سار إلى مرو. وكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاء المهلب واستخلافه إياه، فأقره الحجاج^(١). ويقال: إنه قال عند موته ووصيته: لو كان الأمر إلىّ لوليت سيد ولدى حبيباً. قال: وتوفّي في ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين، فقال نهار بن توسعة التميمي:

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى	ومات الندى والجود بعد المهلب ^(٢)
أَقَامَا بِمَرَوِ الرُّوْذِ رَهْنَى ضَرِيحِهِ	وقد غيباً عن كلّ شرقٍ ومغربٍ
إِذَا قِيلَ أَيُّْ النَّاسِ أَوْلَىٰ بِنِعْمَةٍ	على الناس؟ قلناه ولم نتهيب
أَبَاحَ لَنَا سَهْلَ الْبِلَادِ وَحَزَنَهَا	بخيلٍ كآرسال القَطَا الْمُتَسَرِّبِ
يُعَرِّضُهَا لِلطَّعْنِ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا	يُجَلِّلُهَا بِالْأَرْجَوَانِ الْمُخْضَبِ
تُطِيفُ بِهِ فَحَطَانٌ قَدْ عَصَبَتْ بِهِ	وأحلافها من حيّ بكرٍ وتغليب
وَحَيًّا مَعْدٌ عُوْذٌ بِلِوَاتِهِ	يُفْدُونَهُ بِالنَّفْسِ وَالْأَمِّ وَالْأَبِ

* * *

وفي هذه السنة ولى الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب خراسان بعد موت المهلب.

وفيها عزّل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة؛ قال الواقدي: عزّله عنها لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة.

قال: وفيها ولّى عبد الملك هشام بن إسماعيل الخزومي المدينة. وعزّل هشام بن إسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفل بن مساحق العامري، وكان يحيى بن الحكم هو الذي استقضاه على المدينة، فلما عزّل يحيى وولّيه أبان ابن عثمان أقره على قضائها؛ وكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاث عشرة ليلة، فلما عزّل هشام بن إسماعيل نوفل بن مساحق عن القضاء ولّى مكانه عمرو بن خالد الزرقى.

(١) ابن الأثير: «فلما توفّي كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته، فأقر يزيد على خراسان».

(٢) البيت الأول والثاني في كتاب المعمرين ١٤٣.

وحسب الناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، كذلك حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكان على الكوفة والبصرة والمشرق الحجاج ، وعلى خراسان يزيد بن المهلب من قبل الحجاج .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

* * *

[خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم]

فما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم .
الجماجم .

* ذكر الخبر عن سبب انهزامه :

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني، قال: كنت في خيـل جبلة بن زحل، فلما حمـل عليه أهل الشام مرة بعد مرة، نادانا^(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال: يا معشر القراء، إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم؛ إني سمعتُ علياً^(٢) - رفع الله درجته في الصالحين، وأثابه^(٣) أحسن ثواب الشهداء والصدّيقين^(٤) - يقول يوم لقينا أهل الشام: أيها المؤمنون، إنه من رأى عدواناً يُعمَل به، ومُنكرّاً يُدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سَلِمَ وبِرئى، ومن أنكر بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليّة وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، ونور في قلبه اليقين^(٥). فقاتلوا هؤلاء المُحِلِّين المُحْدِثِينَ المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه، وعملوا بالعدوان فليس يُنكرونه.

وقال أبو البختري: أيها الناس، قاتلوهم على دينكم ودنياكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليُفسدُنَّ عليكم دينكم، وليَغْلِبُنَّ على دنياكم .
وقال الشعبي: يا أهل الإسلام، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم،

(١) ب: «نادى يا»، ابن الأثير: «نادى جبلة يا» .

(٢) ب: «على بن أبي طالب» . (٣-٣) ب: «ثواب الصديقين والشهداء» .

(٤) نهج البلاغة ٢: ٢٢٤ .

فوالله ما أعلم قومًا على بَسَاطَةِ الأرض أَعْمَلُ بِظُلْمٍ ، ولا أَجَوَرُ منهم في الْحُكْمِ^(١) ، فليكن بهم البدار .

١٠٨٧/٢

وقال سعيد بن جُبَيْر : قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنيةً و يقين ، وعلى آثامهم قاتلوهم على جَوَرِهِمْ في الْحُكْمِ ، وتَجَبَّرِهِمْ في الدين ، واستنذالِهِم الضَّعْفَاء ، وإماتتهم الصَّلَاة .

قال أبو مخنف ، قال أبو الزبير : فتهيأنا للحملة عليهم ، فقال لنا جبيلة : إذا حملتم عليهم فاحملوا حملةً صادقة ، ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفتهم . قال : فحملنا عليهم حملةً بجدةً منا في قتالهم ، وقوةً منا عليهم ، فضربنا الكتائب الثلاث حتى اشفرت^(٢) ، ثم مضينا حتى واقعنا صفتهم فضربناهم حتى أزلناهم عنه ، ثم انصرفنا ففرنا بجبيلة صريعًا لا ندرى كيف قُتِل .

قال : فهدنا ذلك وجبنا فوقفنا موقفنا الذي كنا به ، وإن قرأنا المتوافرون ، ونحن ننتساعى جبلة بن زحر بيننا ، كأنما فقد به كل واحد منا أباه أو أخاه ، بل هو في ذلك الموطن كان أشد علينا فتقدأ . فقال لنا أبو البختري الطائي : لا يستبينن فيكم قتل جبيلة بن زحر ، وإنما كان كرجل منكم أنته منيته ليمومها ، فلم يكن ليتقدم يومه ولا ليتأخر عنه ، وكلكم ذائق ما ذاق ، ومدعو فجيبي . قال : فنظرت إلى^(٣) وجوه القراء فإذا الكآبة على وجوههم بيئة ، وإذا ألسنتهم منقطعة ، وإذا الفشش فيهم قد ظهر ، وإذا أهل الشام قد سرروا وجدوا ، فنادوا^(٤) : يا أعداء الله ، قد هلككم وقد قتل الله طاغوتكم^(٥) .

١٠٨٨/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي أن جبيلة حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفنا ، وتبعونا ، واقتربت منا فرقة فكانت^(٦) ناحية ، فنظرنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابنا ، وقد وقف لأصحابه ليرجعوا إليه على

(١) ب : « بحكم » . (٢) اشفرت : افترت . (٣) ب : « في » . (٤) ب ، ف : « فنادونا » . (٥) ب ، ف : « طاغيتكم » . (٦) ب ، ف : « قامت » .

رأس رهوة ، فقال بعضنا ، هذا والله جبيلة بن زحر ، احملاوا عليه ما دام أصحابه مشاغلي بالقتال عنه لعلكم تصيبونه . قال : فحملنا عليه ، فأشهد ما ولّى ، ولكن حمل علينا بالسيف . فلما هبط من الرهوة ^(١) شجرناه بالرماح فأذريناه عن فرسه فوقع قتيلاً ، ورجع أصحابه ، فلما رأيناهم مقبلين تنحينا عنهم ، فلما رأوه قتيلاً رأينا من استرجاعهم وجزعهم ما قرت به أعيننا ، قال : فتبيننا ذلك في قتالهم إيانا وخرجهم إلينا .

* * *

قال أبو مخنف : حدثني سهم بن عبد الرحمن الجهمي ، قال : لما أصيب جبيلة هذ الناس مقتله ، حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني ، فشجع الناس مقدمه ، وقالوا : هذا يقوم مقام جبيلة ، فسمع هذا القول من بعضهم أبو البختري ، فقال : قُبِّحتم ! إن قتل منكم رجل ^(٢) واحد ظننتم أن قد أحيط بكم ، فإن قُتل الآن ابن مصقلة ألقستم بأيديكم إلى التهلكة ، وقتلتم : لم يبق أحد يقاتل معه ! ما أخلقكم أن يخلّف رجاؤنا فيكم ! وكان مقدم بسطام بن الرّي ، فالتقى هو وقيبة في الطريق ، فدعاه قتيبة إلى الحجاج وأهل الشام ، ودعاه بسطام إلى عبد الرحمن وأهل العراق ، فكلاهما أبى على صاحبه ، وقال بسطام : لأن أموت مع أهل العراق أحبّ إليّ من أن أعيش مع أهل الشام ، وكان قد نزل ماسبّدان ؛ فلما قدّم قال لابن محمد : أمرني على خيل ربيعة ؛ ففعل ، فقال لهم : يا معشر ربيعة ، إن في شرسفة عند الحرب فاحتملوها لي - وكان شجاعاً - فخرج الناس ذات يوم ليستقتلوا ، فحمل في خيل ربيعة حتى دخل عسكرهم ، فأصابوا فيهم نحواً من ثلاثين امرأة من بين أمة وسريّة ، فأقبل بهن حتى إذا دنا من عسكره ردّهن ، فجئن ودخلن عسكر الحجاج ، فقال : أولّتي لهم ! منع القوم نساءهم ، أما لولم يردّهن لسبيت نساؤهم غداً إذا ظهّرت . ثم اقتتلوا يوماً آخر بعد ذلك ، فحمل عبد الله بن مليل الهمداني في خيل له حتى دخل

(١) ب ، ف : « الرهو » ، والرهو : ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله .

(٢) ب ، ف : « رجل واحد منكم » .

عسكرهم فسبا ثمانى عشرة امرأة ، وكان معه طارق بن عبد الله الأسدي - وكان رامياً - فخرج شيخ من أهل الشام من فسطاطه ، فأخذ الأسدى يقول لبعض أصحابه : استر منى ^(١) هذا الشيخ لعلنى أرميه أو أحمل عليه فأطعنه ، فإذا الشيخ يقول رافعاً صوته : اللهم لمتنا ولآياتهم بعافية ؛ فقال الأسدى : ما أحب أن أقتل مثل هذا ، فركه ، وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد ؛ ثم خلتنى سبيلهن أيضاً ، فقال الحجاج مثل مقالته الأولى .

١٠٩٠/٢

قال هشام : قال أبى : أقبل الوليد بن نحيث الكلبي من بنى عامر فى كتيبة إلى جبلة بن زحر ، فانحط عليه الوليد من رابية - وكان جسيماً ، وكان جبلة رجلاً ربعة - فالتقىا ، فضربه على رأسه فسقط ، وانهزم أصحابه وجيء برأسه .

قال هشام : فحدثنى بهذا الحديث أبو مخنف وعوانة الكلبي ، قال : لما جىء برأس جبلة بن زحر إلى الحجاج حملاً على رحى ثم قال : يا أهل الشام ، أبشروا ؛ هذا أول الفتح ، لا والله ما كانت فتنة قط فخبست حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمسن ، وهذا من عظمائهم . ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه الحجاج ابن جارية ، فحمل عليه ، فطعنه فأذراه ، وحمل أصحابه فاستنقذوه ، فإذا هو رجل من خشم يقال له أبو الدرداء ، فقال الحجاج بن جارية : أما لئن لم أعرفه حتى وقع ، ولو عرفته ما بارزته ، ما أحب أن يصاب من قومي مثله . وخرج عبد الرحمن بن عوف الرؤاسى أبو حميد فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ابن عم له من أهل الشام ، فاضطربا بسيفيهما ، فقال كل واحد منهما : أنا الغلام الكلابى ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : من أنت ؟ فلما تساءلا تهاجزا . وخرج عبد الله بن رزام الحارثى إلى كتيبة الحجاج ، فقال : اخرجوا إلى رجلا رجلا ، فأخرج إليه رجل ، فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام ، يقتل كل يوم رجلاً ، حتى إذا كان اليوم الرابع

١٠٩١/٢

أقبل ، فقالوا : قد جاء لا جاء الله به ! فدعا إلى المبارزة ، فقال الحجاج للجراح : اخرج إليه ، فخرج إليه ، فقال له عبد الله بن رزام - وكان له صديقاً : ويحك يا جراح ! ما أخرجك إلى ! قال : قد ابتليت بك ، قال : فهل لك في خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : أنهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحسدك ، وأما أنا فإني أحتمل مقالة الناس في انهزامي عنك حبساً لسلامتك ، فإني لا أحب أن أقتل من قومي مثلك ؛ قال : فافعل ، فحمل عليه فأخذ يستعطر له - وكان الحارثي قد قطعت لسانه ، وكان يعطش كثيراً ، وكان به سقم له معه إداوة من ماء ، فكلما عطش سقاه الغلام - فاطرد له الحارثي ، وحمل عليه الجراح حملةً يجد لا يريد إلا قتله ، فصاح به غلامه : إن الرجل بجاد في قتلك ! فعطف عليه فضر به بالعمود على رأسه فصرعه ، فقال لغلامه : انضح على وجهه من ماء الإداوة ، واسقه ؛ ففعل ذلك به ، فقال : يا جراح ، بشما ما جزيتني ، أردت بك العافية وأردت أن تزيرني الميتة ! فقال : لم أرد ذلك ، فقال : انطلق فقد تركتلك للقرابة والعشيرة .

قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني ابن أبي سبيرة ، عن صالح بن كيسان ، قال : قال سعيد الحرشي : أنا في صف القتال يومئذ إذ خرج رجل من أهل العراق ، يقال له : قدامة بن الحريش التميمي ، فوقف بين الصفيين ، فقال : يا معشر جرأمة أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن أبيتم فليخرج إلى رجل ، فخرج إليه رجل من أهل الشام فقتله ، حتى قتل أربعة ، فلما رأى ذلك الحجاج أمر منادياً فنادى : لا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، قال : فكف الناس . قال سعيد الحرشي : فدنوت من الحجاج فقلت : أصلح الله الأمير ! إنك رأيت ألا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بأجلهم ، ولهذا الرجل أجمل ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فأذن لأصحابي الذين قد موأى فليخرج إليه رجل منهم ، فقال الحجاج : إن هذا الكلب لم يزل هذا (١) له عادة

(١) بعدها في ب ، ف : « الدعاء » .

وقد أَرعَبَ الناسَ ، وقد أَذْنَت لأصحابك ، فمن أَحَبَّ أن يقوم فليستقم .
 فرجع سعيد الحَرشيّ إلى أصحابه فأعلمهم ، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز بَرَزَ
 إليه رجل من أصحاب الحَرشيّ ، فقتله قدامه^(١) ، فشقّ ذلك على سعيد ، وثَقُلَ
 عليه لكلامه الحجاج ، ثم نادى قدامة : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فدنا سعيد من الحجاج ،
 فقال : أَصْلَحَ اللهُ الأمير ! ائذَنْ لِي فِي الخُرُوجِ إِلَى هَذَا الكَلْبِ ، فقال :
 وَعِنْدَكَ ذَلِكَ ؟ قال سعيد : نعم ، أنا كما تحب^(٢) ، فقال الحجاج : أَرِنِي
 سَيْفَكَ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فقال الحجاج : معي سيفٌ أَثْقَلُ مِنْ هَذَا ، فَأَمَرَ
 له بالسيف^(٣) ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فقال الحجاج - ونظر إلى سعيد فقال : ما أَجْوَدَ
 دِرْعَكَ وَأَقْوَى فِرْسَكَ ! ولا أَدْرِي كيف تكون مع هَذَا الكلب ! قال سعيد :
 أَرْجُو أن يُظْفِرَ نِي اللهُ بِهِ ، قال الحجاج : أخرج على بَرَكةِ اللهِ . قال سعيد :
 فخرَجْتُ إِلَيْهِ ، فلما دَنَوْتُ مِنْهُ ، قال : قَفْ يَا عَدُوَّ اللهِ ، فوَقَفْتُ ، فسرَرْتُ
 ذَلِكَ مِنْهُ ، فقال : اخْتَرِ إِمَّا أَنْ تُمَكِّنِي فَأُضْرِبَكَ ثَلَاثًا ، وإِمَّا أَنْ أُمَكِّنَكَ
 فَتُضْرِبَنِي ثَلَاثًا ، ثُمَّ تُمَكِّنِي . قلت : أُمَكِّنِي ، فَوَضَعَ صدره على قَرَبُوسه
 ثُمَّ قال : اضْرِبْ ، فجمَعْتُ يَدِي عَلَى سَيْفِي ، ثُمَّ ضَرَبْتُ عَلَى المِغْفَرِ
 مَتَمَكِّنًا ، فلم يصنع شيئًا ، فسأني ذَلِكَ من سِبْطِي وَمِنْ ضَرْبَتِي ، ثُمَّ أَجْمَعَ
 رَأْيِي أَنْ أَضْرِبَهُ عَلَى أَصْلِ العَاقِقِ ، فإِمَّا أَنْ أَقْطَعَ وإِمَّا أَنْ أُوْهِنَ يَدَهُ عَنْ ضَرْبَتِهِ ،
 فَضْرِبَتُهُ فلم أصنع شيئًا ، فسأني ذَلِكَ ومن غَابَ عَنِّي مَتْنٌ هُوَ فِي نَاحِيَةِ العِسْكَرِ
 حِينَ يَلْغَهُ مَا فَعَلْتُ ، وَالثَّالِثَةُ كَذَلِكَ . ثُمَّ اخْتَرْتُ سَيْفًا ثُمَّ قال : أُمَكِّنِي ،
 فَأُمَكِّنْتُهُ ، فَضْرَبَنِي ضَرْبَةً صَرَغَنِي مِنْهَا ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ فِرْسِهِ وَجَلَسَ عَلَى
 صَدْرِي ، وَانْتَزَعَ مِنْ خُفْيَتِهِ خِنْجَرًا أَوْ سَكِينًا فَوَضَعَهَا عَلَى حَلَقَتِي يَرِيدُ
 ذَبْحِي ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنشُدْكَ اللهُ ! فَإِنَّكَ لَسْتَ مُصِيبًا مِنْ قَتْلِ الشَّرَفِ
 وَالذِّكْرِ مِثْلَ مَا أَنْتَ مُصِيبٌ مِنْ تَرْمِكِي ، قال : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قلت : سعيد
 الحَرشيّ ، قال : أَوَّلِي يَا عَدُوَّ اللهِ ! فَأَنْطَلَقْتُ فَأَعْلِمَ صَاحِبَكَ^(٣) مَا لَقِيتُ .
 قال سعيد : فَاَنْطَلَقْتُ أَسْعَى حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الحَاجِجِ ، فقال : كيف

(٢) ب ، ف : « سيف » .

(١) ب ، ف : « كما يحب الأمير » .

(٣) ب ، ف : « أصحابك » .

رَأَيْتَ ! فَقُلْتُ : الْأَمِيرُ كَانَ أَعْلَمَ بِالْأَمْرِ (١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف ، عن أبي يزيد (٢) ، قال : وكان أبو البختري الطائي وسعيد بن جبشير يقولان : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلاً ... ﴾ (٣) إلى آخر الآية ، ثم يحملان حتى يواقعها الصف .

قال أبو المسخارق : قاتلناهم مائة يوم ستواء أعداءها عدداً . قال : نزلنا دير الجماجم مع ابن محمد غداة الثلاثاء ليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين ، وهزمنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد الضحى ومستوع النهار ، وما كنا قط أجراً عليهم ولا هم أهون علينا منهم في ذلك اليوم .

قال : خرجنا إليهم وخرجوا إلينا يوم الأربعاء ، لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة ، فقاتلناهم عامة النهار أحسن قتال قاتلناهم قطة ، ونحن آمنون من الهزيمة ، عالون للقوم ، إذ خرج سفيان بن الأبرد الكلبي في الخيل من قبيل ميمنة أصحابه ، حتى دنا من الأبرد بن قرة التميمي ، وهو على ميسرة عبد الرحمن بن محمد ، فوالله ما قاتله كبير قتال حتى انهزم ، فأنكرها الناس منه ، وكان شجاعاً ، ولم يكن الفرار له بعادة ، فظن الناس أنه قد كان أومين ، وصولج على أن ينهزم بالناس ، فلما فعلها ١٠٩٥/٢ تقوّضت الصفوف من نحوه ، وركب الناس وجوههم (٤) وأخذوا في كل وجه ، وصعد عبد الرحمن بن محمد المنبر ، فأخذ (٥) ينادي الناس : عباد الله ، إلى أنا ابن محمد ؛ فأثاه عبد الله بن رزام الحارثي ، فوقف تحت منبره ، وجاء عبد الله بن ذؤاب السلمي في خيل له (٦) ، فوقف منه قريباً ، وثبت حتى دنا منه أهل الشام ، فأخذت نبلهم تحوزة ، فقال : يا بن رزام ، احمل على هذه الرجال والخيل ، فحمل عليهم حتى أمعنوا . ثم جاء

(١) بعدها في ب ، ف : « منى » . (٢) أول الحديث ص ٣٥٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٤٥ . (٤) ب ، ف : « رؤسهم » .

(٥) ب ، ف : « وأخذ » . (٦) ب ، ف : « لم خيل » .

خيل لهم أخرى ورجالة ، فقال : احمل عليهم يا بن ذؤاب ، فحمل عليهم حتى أمعنوا ، وثبت لا يبرح منبره ، ودخل أهل الشام العسكر ، فكبروا^(١) ، فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي - وكانت ملسيكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن - فقال : انزل ، فإنى أخاف عليك إن لم تنزل أن تؤمس ، ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جسمعا يهلكهم الله به بعد اليوم . فنزل وخلّى أهل العراق العسكر ، وانهمزوا لا يلوون على شيء ، ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعدة بن هبيرة ومعه أناس من أهل بيته ، حتى إذا حاذوا قرية بنى جعدة بالفلوجة دعوا بمعبر ، فعبروا فيه ، فأنتهى إليهم بسطام بن مصقلة ، فقال : هل فى السفينة عبد الرحمن بن محمد ؟ فلم يكلموه ، وظن أنه فيهم ، فقال :

* لا وألّت نفس عليها تُحاذِر *

ضَرَمَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَا دَ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمْتَ أَجْذَمًا^(١) ١٠٩٦/٢

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح ، وهو على فرسه لم ينزل عنه ، فخرجت إليه ابنته فالتزمتها ، وخرج إليه أهله يبكون ، فأوصاهم بوصية وقال : لا تسبكوا ، رأيتم إن لم أترككم ، كم عسيتم أن أبقى معكم حتى أموت ! وإن أنا مت فإن الذى رزقكم الآن حتى لا يموت ، وسيرزقكم بعد وفانى كما رزقكم فى حياتى ؛ ثم ودّع أهله وخرج من الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب ، أنهم لما هزموا ارتفاع النهار حين امتدّ ومنتع ، قال : بجثّ أشدّ ومعى الرمح والسيف والثرس حتى بلغت أهلى من يومى ، ما ألقىت شيئاً من سلاحى ، فقال الحجاج : اتركوهم فليتبّدوا ولا تتبعوهم ، ونادى المنادى : من رجع فهو آمين . ورجع محمد بن مروان إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الوقعة ، وخلّى الحجاج والعراق ، وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة ، وأجلس مصقلة ابن كرب بن رقة العبدى إلى جنبه ، وكان خطيباً ، فقال : اشم كل

(١) س : «فكبروا» . (٢) من أبيات الربيع بن زياد ، ديوان الحماسة بشرح التبريزى ٢ : ٦١ .

امري بما فيه ممن كُنّا أحسنّا إليه، فاشتبهه بقلّة شكره، ولؤم عهده؛ ومن علمت منه عيباً فعيبه بما فيه، وصغّرُ إليه نفسه . وكان لا يبايعه أحدٌ إلّا قال له :
 ١٠٩٧/٢ أتشهد أنك قد كفرت ؟ فإذا قال : نعم ، بايعة وإلّا قتلتك ، فجاء إليه رجل من خشعهم قد كان معتزلاً للناس جميعاً من وراء الفُرات ، فسأله عن حاله فقال : ما زلتُ معتزلاً وراء هذه التطفة ، منتظراً أمرَ الناس حتى ظهرت ، فأنتيتك لأبايعك مع الناس ؛ قال : أتربّص ! أتشهد أنك كافر ؟ قال : بشسّ الرجل أنا إن كنتُ عبدتُ الله ثمانين سنة ثمّ أشهد على نفسي بالكفر ؛ قال : إذا أقتلُك ؟ قال : وإن قتلتني فوالله ما بقي من عمري إلّا ظيمٌ حمار ، وإني لأنتظر الموتَ صباحَ مساء ، قال : اضربوا عنقه ، فضربتُ عنقه ، فزعموا أنه لم يبق حوله قرشي ولا شامي ولا أحد من الخزبيين إلّا رحمه ورثي له من القتل .

ودعاً بكُميل بن زياد النخعي فقال له : أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين ؟ قد كنت أحبّ أن أجدَ عليك سبيلاً ، فقال : والله ما أدرى على أينّا أنت أشدّ غضباً ؟ عليه حين أقاد من نفسه ، أم على حين عفوت عنه ؟ ثمّ قال : أيّها الرجل من ثقيف ، لا تصرف على أنيابك ، ولا تهدم على تهدم الكشييب ، ولا تكسر كسيران الذئب ، والله ما بقي من عمري إلّا ظيمٌ الحمار ، فإنه يشرب غدوة ويموت عشية ، ويشرب عشية ويموت غدوة ، اقض ما أنت قاض ، فإن الموعد الله ، وبعد القتل الحساب . قال الحجاج : فإنّ الحجة عليك ، قال : ذلك إن كان القضاء إليك ، قال : بلى ، كنت فيمن قتل عثمان ، وخلعت أمير المؤمنين ، اقتلوه . ١٠٩٨/٢
 فقتلهم فقتل ، قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف ، ابن عم منصور بن جمهور .

وأتى بآخر من بعده ، فقال الحجاج : إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر ، فقال : أخادعي عن نفسي ! أنا أكفر أهل الأرض ، وأكفر من فرعون ذي الأوتاد ، فضحك الحجاج وخلق سبيله .
 وأقام بالكوفة شهراً ، وعزل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة .

[هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن]

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما انهزم من دير الجماجم .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن أبي يزيد السكسكي ، قال : خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن ، واجتمع إليه ناس كثير ، وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، ابن عم الحجاج ، فأخذها ، وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم البصرة وهو بها ، فاجتمع الناس إلى عبد الرحمن ونزل ، فأقبل عبيد الله حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث ، وقال له : إني لم أريد فراقك ، وإنما أخذتها لك . وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن ، فأقام عليها خمسة حتى هب الرجال في المعابر ، فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم إليهم خرجوا حتى لحقوا بابن الأشعث جميعاً . وأقبل نحوهم الحجاج ، فخرج الناس معه إلى مسكن على دجيل ، وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف ، وتلاؤم الناس على الفرار ، وبايع أكثرهم بسطام بن مصلح على الموت ، وخندق عبد الرحمن على أصحابه ، وبشق الماء من جانب ، فجعل القتال من وجه واحد ، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسري من خراسان في ناس من بعث الكوفة ، فاقتتلوا خمس عشرة ليلة^(١) من شعبان أشد القتال حتى قتل زياد بن غنيم القسبي ، وكان على مساليح الحجاج ، فهذه ذاك وأصحابه^(٢) هداً شديداً .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جهمم الأزدي ، قال : بات الحجاج ليلة كله يسير فينا يقول لنا : إنكم أهل الطاعة ، وهم أهل المعصية ، وأنتم تسعون في رضوان الله ، وهم يسعون في سخط الله ، وعادة الله عندكم فيهم

(١) ب : « خمسة عشر يوماً » .

(٢) ب : « وهذ أصحابه » .

حَسَنَةً ؛ ما صدقتموهم في موطن قطّ ولا صبرتم لهم إلّا أعقبتكم الله النصر عليهم والظفر بهم ؛ فأصبحوا إليهم عادين جادين ، فإنّي لست أشك في النصر إن شاء الله .

قال : فأصبحنا^(١) ، وقد عبأنا في السّحر ، فباكرناهم^(٢) فقاتلناهم أشدّ قتال قاتلناهم قطّ ، وقد جاءنا عبد الملك بن المهلب مجتفأ ، وقد كشفت نخيل سفيان بن الأبرد ، فقال له الحجاج : ضمّ إليك يا عبد الملك هذا النّشر^(٣) لعلّ أحمل عليهم ، ففعل ، وحمل الناس من كلّ جانب ، فانهزم أهل العراق أيضاً ، وقتل أبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقالوا قبل أن يقتلوا : إنّ الفِرار كلّ ساعة بنا لتبيح . فأصيبا . قال : ومشي بسطام بن مَصْقَلَة الشيباني في أربعة آلاف من أهل الحِفاظ من أهل المصريّين ، فكسّروا جفون السيوف ، وقال لهم ابن مَصْقَلَة : لو كنّا إذا فررنا بأنفسنا من الموت نجونا منه فررنا ، ولكنّا^(٤) قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل ، فأين المسّيح عما لا بدّ منه ! يا قوم إنكم مُحِقُونَ ، فقاتلوا على الحقّ ، والله لو لم تكونوا على الحقّ لكان موت في عزّ خيراً من حياة في ذلّ . فقاتل هو وأصحابه قتالا شديداً كَشَفُوا فيه أهل الشّام مراراً ، حتّى قال الحجاج : على بالرمّة لا يقاتلهم غيرهم ، فلما جاءتهم الرّماة وأحاط بهم الناس من كلّ جانب قُتِلُوا إلّا قليلاً ، وأخذ بكير بن ربيعة بن ثروان^(٥) الضّبيّ أسيراً ، فأتي به الحجاج فقتله .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الجهمّ ، قال : جثت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس ، فقال الحجاج : يا أهل الشّام ، إنه من صنّع الله لكم أن هذا غلام من الغلّمان جاء بفارس أهل العراق أسيراً ، اضرب عنقه ، فقتله .

قال : ومضى ابن الأشعث والفّل من المنهزمين معه نحو سجستان فأتبعهم الحجاج عمارة بن تميم اللّخميّ ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أمير

(١) بعدها في ب : « إليهم » . (٢) ب : « وباكرناهم » .

(٣) النّشر : القوم المنفردون لا يجمعهم رئيس . وفي ب : « البشر » .

(٤) ب : « لكنّا » . (٥) ط : « أبي ثروان » ، والصواب ما أثبتته .

على القوم؛ فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرحمن فأدركه بالسوس، فقاتلته ساعة من نهار، ثم إنه انهزم هو وأصحابه ففضوا حتى أتوا سابور، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكراد مع من كان معه من الفُلول، فقاتلهم عمارة بن تميم قتالا شديداً على العقبة حتى جرح عمارة وكثير من أصحابه، ثم انهزم عمارة وأصحابه وخلصوا لهم عن العقبة، ومضى عبد الرحمن حتى مر بكترمان.

قال الواقدي: كانت وقعة الزاوية بالبصرة في المحرم سنة ثلاث وثمانين.

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدي، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كترمان تلقاه عمرو بن لقيط العبدي - وكان عامله عليها - فهاهنا له نزل فتنزل، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل: والله لقد بئسنا عنك يا ابن الأشعث أن قد كنت جبباًناً، فقال عبد الرحمن: والله ما جببنت، والله لقد دلّفت الرجال بالرجال، ولففت الخيل بالخيول، ولقد قاتلت فارساً، وقاتلت راجلاً، وما انهزمت، ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجيد مقاتلاً ولا أرى معنى مقاتلاً، ولكني زاولت ملكاً مؤجلاً. ثم إنه مضى بمن معه حتى فوز في مفازة كترمان.

قال أبو مخنف: فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عتيق الثقفي، قال: لما مضى ابن محمد في مفازة كترمان وأتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصرًا في المفازة، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة اليشكري، وهي قصيدة طويلة:

أَيَا لَهْفًا وَيَا حَزَنًا جَمِيعًا	وَيَا حَرَّ الْفَوَادِ لِمَا لَقِينَا!
تَرْكْنَا الدِّينَ وَالْدُنْيَا جَمِيعًا	وَأَسْلَمْنَا الْحُلَاثِلَ وَالْبَيْنَا
فَمَا كُنَّا أَنْاسًا أَهْلَ دِينٍ	فَنَصْبِرَ فِي الْبَلَاءِ إِذَا ابْتَلَيْنَا
وَمَا كُنَّا أَنْاسًا أَهْلَ دُنْيَا	فَنَمْنَعَهَا وَلَوْ لَمْ نَرْجُ دِينَا

تركنا دُورنا لَطْغَامَ عَكْ وَأَنْبَاطِ الْقُرَى وَالْأَشْعَرِينَا^(١)

ثمَّ إنَّ ابنَ محمد مَضَى حتَّى خَرَجَ عَلَى زَرْئِجٍ مَدِينَةِ سَجِسْتَانَ ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَدْ كَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا ، يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ الْبَعَّارِ مِنْ بَنِي مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ١١٠٣/٢ مِنْهَزِمًا أَغْلَقَ بَابَ الْمَدِينَةِ دُونَهُ ، وَمَنْعَهُ دُخُولَهَا ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيَّامًا رِجَاءَ افْتِتَاحِهَا وَدُخُولِهَا . فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا خَرَجَ حَتَّى أَتَى بُسْتَ ، وَقَدْ كَانَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ يُقَالُ لَهُ عِيَاضُ بْنُ هِمِّيَّانَ أَبُو هِشَامِ بْنِ عِيَاضِ السُّدُوسِيِّ ، فَاسْتَقْبَلَهُ ، وَقَالَ لَهُ : انْزِلْ ، فَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ بِهِ ، وَانْتَظَرَ حَتَّى إِذَا غَفَلَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَثَبَّ عَلَيْهِ فَأَوْثَقَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْمَنَ بِهِاعِنْدَ الْحِجَاجِ ، وَيَتَّخِذَ بِهِاعِنْدَهُ مَكَانًا . وَقَدْ كَانَ رُتْبِيلُ سَمِعَ بِمَقْدَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ فِي جَنُودِهِ ، فَجَاءَ رُتْبِيلُ حَتَّى أَحَاطَ بِبُسْتَ ، ثُمَّ نَزَلَ وَبَعَثَ إِلَى الْبَكْرِىَ : وَاللَّهِ لَأَنْ آذِيَتَهُ بِمَا يُقْدِرُ عَلَيْهِ ، أَوْ ضَرَرْتَهُ بِبَعْضِ الْمَضَرَّةِ ، أَوْ رَزَأْتَهُ حَبِيلًا مِنْ شَعَرٍ لَا أَبْرَحُ الْعَرَصَةَ حَتَّى أَسْتَنْزِلَكَ فَأَقْتُلَكَ وَجَمِيعَ مَنْ مَعَكَ ، ثُمَّ أُسْبِيَ ذُرَارِيَتَكُمْ ، وَأَقْسَمَ بَيْنَ الْجُنْدِ أَمْوَالَكُمْ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْبَكْرِىَ أَنْ أَعْطَانَا أَمَانًا عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا ، وَنَحْنُ نَدْفَعُهُ إِلَيْكَ سَالِمًا ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ مُؤَقَّرًا . فَصَالَحَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَآمَنَهُمْ ، فَفَتَحُوا لَابْنَ الْأَشْعَثِ الْبَابَ وَخَلَوْا سَبِيلَهُ ، فَأَتَى رُتْبِيلُ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا كَانَ عَامِلًا عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، وَكُنْتُ حَيْثُ وَلِيَّتُهُ وَائْتِقَابُهُ ، مَطْمَئِنًّا إِلَيْهِ ، فَغَدَرَنِي وَرَكِبَ مِنِّي مَا قَدْ رَأَيْتَ ، فَأَذِنَ لِي فِي قَتْلِهِ ، قَالَ : قَدْ آمَنْتُهُ وَأَكْرَهَ أَنْ أَغْدِرَ بِهِ ، قَالَ : فَأَذِنَ لِي فِي دَفْنِهِ وَلَهْزِهِ^(٢) ، وَالتَّصْغِيرِ ١١٠٤/٢ بِهِ ، قَالَ : أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ . ففَعَلَ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى دَخَلَ مَعَ رُتْبِيلٍ بِلَادَهُ ، فَأَنْزَلَهُ رُتْبِيلُ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْفَلَّحِ كَثِيرٌ .

ثمَّ إنَّ عَظْمَ الْفُلُولِ وَجَمَاعَةَ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَنْ كَانَ لَا يَرْجُو

(٢) اللّهُز : الضَّرْبُ .

(١) انْظُرْ : الْأَغَانِي ١١ : ٣١٢ ، ٣١٣ .

الأمان؛ من الرعوس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الأشعث، ولم يتقبلوا أمان الحجاج في أول مرة، وجهدوا عليه الجهد كله، أقبلوا في أثر ابن الأشعث وفي طلبه حتى سقطوا بسجستان، فكان بها منهم ومن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحو من ستين ألفاً، ونزلوا على عبد الله بن عامر البعّار فحصروه، وكتبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدمهم وعددهم وجماعتهم، وهو عند رُتَيْبيل. وكان يصلى بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فكتبوا إليه: أن أقبل إلينا لعلنا نسير إلى خراسان، فإن بها منا جنوداً عظيماً، فلعلهم يبايعوننا على قتال أهل الشام، وهي بلاد واسعة عريضة، وبها الرجال والحصون. فخرج إليهم عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عامر البعّار حتى استنزلوه، فأمر به عبد الرحمن فضرب وعذب وحبس. وأقبل نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام، فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن: اخرج بنا عن سجستان فلندعها^(١) له ونأق خراسان، فقال عبد الرحمن بن محمد: على خراسان يزيد بن المهلب، وهو شاب شجاع صارم، وليس بتارك لكم سلطانته، ولو دخلتموها وجدتموه إليكم سريعاً، ولن يدع أهل الشام اتباعكم، فأكره أن يجتمع عليكم أهل خراسان وأهل الشام، وأخاف ألا تنالوا ما تطلبون^(٢)، فقالوا: إنما أهل خراسان منا، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر من يقاتلنا، وهي أرض طويلة عريضة ننتحي^(٣) فيها حيث شئنا، ونمكث حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك، أو نرى من رأينا. فقال لهم عبد الرحمن: سيروا على اسم الله.

فساروا حتى بلغوا هرة، فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكره عبّيد الله بن عبد الرحمن بن سمرّة القرشي في ألفين، ففارقته، فأخذ طريقاً سوى طريقهم، فلما أصبح ابن محمد قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإنني قد شهدتكم في هذه المواطن، وليس فيها مشاهد

(١) ب: «ولندعها». (٢) ب: «ألا تنالوا ما تطلبونه». (٣) ب: «ننتحي».

إِلَّا أَصْبِرْ لَكُمْ فِيهِ نَفْسِي حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ فِيهِ أَحَدٌ ، فَلَمَّا رَأَيْتُمْ أَنْكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ ، وَلَا تَصْبِرُونَ ، أَتَيْتُمْ مُلْجَأً وَمَأْمَنًا فَكُنْتُ فِيهِ ، فَجَاءَنِي كِتَابُكُمْ بِأَنْ أَقْبِلَ إِلَيْنَا ، فَإِنَّا قَدْ اجْتَمَعْنَا وَأَمَرْنَا وَاحِدٌ ، لَعَلَّنَا نَقَاتِلَ عَدُوَّنَا ، فَأَتَيْتُكُمْ فَأَرَيْتُمْ أَنَّ أَمْضَىَ إِلَيَّ خُرَّاسَانَ وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ مَجْتَمِعُونَ لِي ، وَأَنْكُمْ لَنْ تَفَرَّقُوا عَنِّي . ثُمَّ هَذَا عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ صَنَعَ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، فَحَسْبِي مِنْكُمْ يَوْمَ هَذَا فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ ، أَمَا أَنَا فَتَصْرِفْ إِلَى صَاحِبِي الَّذِي أَتَيْتُكُمْ مِنْ قَبْلِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي فَلْيَتَّبِعْنِي ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَذْهَبْ حَيْثُ أَحَبَّ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ .

فَتَفَرَّقَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، وَنَزَلَتْ مَعَهُ طَائِفَةٌ ^(١) ، وَبَقِيَ عَظُمُ الْعَسْكَرِ ، فَوُثِّبُوا إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ لَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، فَبَايَعُوهُ . ثُمَّ مَضَى ابْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى رُتْبِيلٍ وَمَضَوْا هُمْ إِلَى خُرَّاسَانَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى هَرَّاءَ ، فَلَقُوا بِهَا الرَّقَادَ الْأَزْدِيَّ مِنَ الْعَتِكِ ، فَقَتَلُوهُ ، وَسَارَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَدَائِنِيُّ فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ لَمَّا انْهَزَمَ مِنْ مَسْكِنٍ مَضَى إِلَى كَابُلَ ، وَأَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ أَتَى هَرَّاءَ ، فَذَمَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ وَعَابَهُ بِفِرَارِهِ ، وَأَتَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ سَجِسْتَانَ فَانْضَمَّ إِلَيْهِ فَلَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ ، فَسَارَ إِلَى خُرَّاسَانَ فِي جَمْعٍ يُقَالُ فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ^(٢) ، فَتَزَلَّ هَرَّاءَ وَلَقُوا الرَّقَادَ بْنَ عَبِيدِ الْعَتِكِ فَقَتَلُوهُ ، وَكَانَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُنْذَرِ بْنِ الْحَارُودِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : قَدْ كَانَ لَكَ فِي الْبِلَادِ مَتَّسِعٌ ، وَمَنْ هُوَ أَكْلٌ مِنِّي حَدًّا وَأَهْوَنُ شَوْكَةً ، فَارْتَحِلْ إِلَى بِلَدٍ لَيْسَ فِيهِ سُلْطَانٌ ، فَإِنِّي أَكْرَهُ قِتَالَكَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أَمِدَّكَ بِمَالٍ لِسَفَرِكَ أَعْتُكَ بِهِ ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : مَا نَزَلْنَا هَذِهِ الْبِلَادَ لِحَارِبَةٍ وَلَا لِمَقَامٍ ، وَلَكِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَرِيحَ ، ثُمَّ نَشْخَصَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَيْسَتْ بِنَا حَاجَةٌ إِلَى مَا عَرَضْتَ . فَانْصَرَفَ رَسُولُ يَزِيدَ إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ الْهَاشِمِيُّ عَلَى الْجَبَايَةِ ، وَبَلَغَ يَزِيدَ ، فَقَالَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يُرِيحَ ثُمَّ يَحْتَازَ لَمْ يَحْبِجِ الْحَرَاجَ ؛ فَقَدَّمَ الْمُفَضَّلُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ - وَيُقَالُ فِي سِتَّةِ آلَافٍ -

(١) ب : « طائفة معه » . (٢) كذا في ب .

ثم أتبعه في أربعة آلاف ، ووَزَنَ يزيدُ نفسه بسلاحه ، فكان أربع مائة رطل ، فقال : ما أراي إلا قد ثَقُلْتُ عن الحرب ، أي فرس يحملني ! ثم دعا بفرسه الكامل فركبه ، واستخلف على مرو خاله جُدَيْع بن يزيد ، وصير طريقته على مَرَو الرُّوذ ، فأتى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام ، وأعطى من معه مائة درهم مائة درهم ، ثم أتى هَرَاة فأرسل إلى الهاشمي : قد أرحمت وأسمنت وجببت ، فلك ما جببت ، وإن أردت زيادة زِدناك ، فاخرج فوالله ما أحب أن أقاتلك . قال : فأبى إلا القتال ومعه عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، ودس الهاشمي إلى جند يزيد يمسهم ويدعوهم إلى نفسه ، فأخبر بعضهم يزيد ، فقال : جعل الأمر عن العتاب ، أتغدي بهذا قبل أن يتعشني بي ؟ فسار إليه حتى تدانى العسكران ، وتأهبوا للقتال ، وألقى ليزيد كرسى فقعده عليه ، وولّى الحرب أخاه المفضل ، فأقبل رجل من أصحاب الهاشمي — يقال له خَلِيد عَيْنَيْنِ من عبد القيس — على ظهر فرسه ، فرفع صوته فقال (١) :

دَعْتُ يَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ دَعْوَةً لَهَا جَزَعٌ ثُمَّ اسْتَهَلْتُ عِيُونَهَا
وَلَوْ يُسْمِعُ (٢) الدَّاعِيَ النَّدَاءَ (٣) أَجَابَهَا بِصُحٍّ الْقَدَا وَالْبَيْضَ تُلْقَى جَفُونَهَا
وَقَدْ فَرَّ أَشْرَافُ الْعِرَاقِ وَغَادَرُوا بِهَا بَقَرًا لِلْحَيْنِ جُمًّا قُرُونَهَا (٤)

وأراد أن يحض يزيد ، فسكت يزيد طويلا حتى ظن الناس أن الشعر قد حرّكه ، ثم قال لرجل : نادِ وأسمِعهم ، جشتموهم ذلك ، فقال خَلِيد : لبس المنادي والمنوء باسمه يزيد إذا يدعى ليوم حفيظة فإني أراه عن قليل بنفسه فلا حرّة تبكيه لكن نوائح

(٢) ر : « تسمع » .

(١) ب : « وقال » .

(٤) ب : « بها نفر » .

(٣) ب : « يزيد » .

فقال يزيدُ للمفضل: قدّم خيلك ، فتقدّم بها ، وتهايسجوا فلم يكن بينهم كبيرُ قتال حتى تفرّق الناس عن عبد الرحمن ، وصبر وصبرت معه طائفةٌ من أهل الحِفاظ ، وصبر معه العبديّون ، وحمل سعد بن نجد القُرْدُوسيّ على حُلَيْسٍ^(١) الشيبانيّ وهو أمام عبد الرحمن ، فطعنه حُلَيْسٌ فأذراه عن فرسه ، وحماه أصحابه ، وكثّروا الناس فانكشفوا ، فأمر يزيدُ بالكفّ عن اتباعهم ، وأخذوا ما كان في عسكرهم ، وأسروا منهم أُسرَى ، فولى يزيدُ عطاءَ بنَ أبي السائب العسكر ، وأمره بضّم ما كان فيه ، فأصابوا ثلاث عشرة امرأة ، فأتوا بهنّ يزيدَ ، فدفعهنّ إلى مرةَ بن عطاءَ بن أبي السائب ، فحملهنّ إلى الطَبَسَيْنِ ، ثمّ حملهنّ إلى العراق . وقال يزيد لسعد بن نجد : من طعنك ؟ قال : حليس الشيبانيّ ، وأنا والله راجلا أشدّ منه وهو فارس . قال : فبلغ حليسا ، فقال : كذب والله ، لأنّا أشدّ منه فارسا وراجلا . وهرب عبد الرحمن بنُ منذر بن بيشر بن حارثة فصار إلى موسى بن عبد الله بن خازم . قال : فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعمرو بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، وعيش بن الأسود بن عوف الزهرّي والهلّقام بن نُعيم بن القَعَقَاع بن معبد بن زُرارة ، وفَيْرُوز حصين ، وأبو العليج مولّى عبّيد الله بن معمر ، ورجل من آل أبي عَقِيل ، وسوّار بن مروان ، وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَف ، وعبد الله بن فضالة الزهرانيّ . ولحق الهاشميّ بالسند ، وأتى ابنُ سَمُرَةَ مرو ، ثمّ انصرف يزيدُ إلى مرو وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سَبْرَةَ بن نَخَف بن أبي صُفْرَةَ ، ونخلى عن ابن طلحة وعبد الله بن فضالة ، وسعى قومُ بَعْبِيد الله بن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ ، فأخذوه يزيدَ فحبسه .

وأما هشام فإنه ذكر أنه حدّثه القاسم بن محمد الحضرميّ ، عن حفص ابن عمرو بن قبيصة ، عن رجلٍ من بني حنيفة يقال له جابر بن عمارة ، أن يزيدَ بن المهلب حبس عنده عبدَ الرحمن بن طلحة وأمنه ، وكان الطلحيّ قد آلى على يمينٍ ألا يَرى يزيدَ بن المهلب في موقفٍ إلّا أتاها حتى يقبّل يده شكراً لما أبلاه . قال : وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيدَ : أسألك

(١) ب : « حليس » .

بدعوة أبي لأبيك ! فخلّني سبيلَه . ولقول محمد بن سعد ليزيد : « أسألك بدعوة أبي لأبيك » حديث فيه بعض الطول .

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، قال : حدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عَقِيل الثقفي ، قال : بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسف ؛ بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، فقال : أنت صاحب شرطة عبد الرحمن ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! كانت فتنة شملت البرّ والفاجر ، فدخلنا فيها ، فقد أمكنك الله منا ، فإن عفوت ^(١) فبحلمك وفضلك ^(٢) ، وإن عاقبت عاقبت ظلمة مذنبين ، فقال ^(٣) الحجاج : أما قولك : « إنها شملت البرّ والفاجر » فكذبت ، ولكنها شملت الفُجَّارَ ، وعُوفى منها الأبرار ، وأما اعترافك بذنبك فعسى أن يستفعلك . فعزّل ، ورجا الناس له العافية حتى قدّم بالهلقام بن نعيم ، فقال له الحجاج : أخيرني عنك ، ما رجوت من إتياع عبد الرحمن بن محمد ؟ أرجوت أن يكون خليفة ؟ قال : نعم ، رجوت ذلك ، وطمعت ^(٤) أن يُنزَلنى منزلتك من عبد الملك ، قال : فغضب الحجاج وقال : اضربوا عنقه ، فقتل . قال : ونظر إلى موسى بن عمر بن عبيد الله بن معمر وقد نُحى عنه فقال : اضربوا عنقه ، وقتل بقيتهم . وقد كان آمن عمرو بن أبي قرّة الكندي ثمّ الحَجْرِيّ وهو شريف وله بيتٌ قديم ، فقال : يا عمرو ، كنت تُفضي إلىّ وتحدثني أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ، ثمّ تبع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ والله ما بك عن اتّباعهم رغبة ، ولا نعمة عين لك ولا كرامة .

قال : وقد كان الحجاج حين هُزِم الناس بالجمام نادى مناديه : مَنْ لِحِقْ بِقَتَيْبَةَ بن مسلم بالريّ فهو أمانه ، فلحق ناسٌ كثير بقتيبة ^(٥) ، وكان ^(٦) فيمن لِحِقْ به عامر الشعبي ، فذكر الحجاج الشعبي يوماً فقال : أين هو ؟ وما فعل ؟ فقال له يزيد بن أبي مسلم : بلغني أيها الأمير أنه لِحِقْ بِقَتَيْبَةَ بن مسلم بالريّ ، قال : فابعث إليه فلنؤت ^(٧) به ،

(١-١) ب : « فبفضلك وحلمك » . (٢) بعدها في ب : « له » .

(٣) ب : « فطمعت فيه » . (٤) ب : « بأرض قتيبة » .

(٥) ب : « فكان » . (٦) ر : « فليؤت » .

فَكَتَبَ الْحِجَّاجُ إِلَى قَتِيْبَةِ: أَمَّا بَعْدَ ، فَاْبَعَثْ إِلَى الشَّعْبِيِّ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي هَذَا ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ ؛ فَسُرِّحْ إِلَيْهِ .

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: فَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كُنْتُ لِابْنِ أَبِي مُسْلِمٍ صَدِيقًا ، فَلَمَّا قُدِمَ بِي (١) عَلَى الْحِجَّاجِ لَقِيْتُ ابْنَ أَبِي مُسْلِمٍ فَقُلْتُ: أَشِيرُ عَلَى؟ قَالَ: مَا أَدْرِي مَا أَشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ (٢) غَيْرَ أَنْ أَعْتَذِرَ مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ عَذْرِ (٣) ! وَأَشَارَ بِمِثْلِ ذَلِكَ عَلَى نَصْحَائِي وَإِخْوَانِي ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ رَأَيْتُ وَاللَّهِ غَيْرَ مَا رَأَوُا لِي ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْإِمْرَةِ (٤) ثُمَّ قُلْتُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَمَرُونِي أَنْ أَعْتَذَرَ إِلَيْكَ بِغَيْرِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ الْحَقُّ ، وَابْنُ اللَّهِ لَا أَقُولُ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا حَقًّا ، قَدْ وَاللَّهِ سَوَّدْنَا (٥) عَلَيْكَ ، وَحَرَضْنَا وَجْهَنَا عَلَيْكَ كُلَّ الْجَهْدِ ، فَمَا آلُونَا (٦) ، فَمَا كُنَّا بِالْأَقْوِيَاءِ الْفَسَجَرَةِ ، وَلَا الْأَتْقِيَاءِ (٧) الْبَرَّةِ ، وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ عَلَيْنَا ، وَأَظْفَرَكَ بِنَا ، فَإِنْ سَطَوْتَ فَبِذُنُوبِنَا وَمَا جَرَرْتَ إِلَيْهِ أَيْدِيَنَا ، وَإِنْ عَفَوْتَ عَنَّا فَبِحِلْمِكَ ، وَبَعْدَ الْحُجَّةِ (٨) لَكَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَّاجُ: أَنْتَ وَاللَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ قَوْلًا مِمَّنْ يَدْخُلُ عَلَيْنَا يَتَقَطَّرُ سَيْفُهُ مِنْ دِمَائِنَا ثُمَّ يَقُولُ: مَا فَعَلْتُ وَلَا شَهِدْتُ؛ قَدْ أَمِنْتَ عِنْدَنَا يَا شُعْبِيٌّ، فَانصَرَفَ. قَالَ: فَانصَرَفْتُ، فَلَمَّا مَشَيْتُ قَلِيلًا قَالَ: هَلُمَّ يَا شُعْبِيٌّ؛ قَالَ: فَوَجَّيْتُ لَذَلِكَ قَلْبِي، ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ: «قَدْ أَمِنْتُ يَا شُعْبِيٌّ»، فَاطْمَأْنَنْتُ نَفْسِي، قَالَ: كَيْفَ وَجَدْتَ النَّاسَ يَا شُعْبِيٌّ بَعْدَنَا؟ قَالَ: — وَكَانَ لِي مَكْرَمًا: فَقُلْتُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ! اكْتَحَلْتُ وَاللَّهِ بَعْدَكَ السَّهَرُ، وَاسْتَوْعَرْتُ الْجَنَابَ، وَاسْتَحْلَسْتُ الْخَوْفَ، وَفَقَدْتُ صَالِحَ الْإِخْوَانِ، وَلَمْ أَجِدْ مِنَ الْأَمِيرِ خَلْفًا. قَالَ: انصَرَفَ يَا شُعْبِيٌّ، فَانصَرَفْتُ.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ: قَالَ خَالِدُ بْنُ قَطَنِ الْحَارِثِيُّ: أَتَى الْحِجَّاجُ بِالْأَعَشِيِّ، أَعَشَى هَمْدَانَ، فَقَالَ: إِيهِ يَاعَدُوْا اللَّهَ! أَنْشِدْنِي قَوْلَكَ: «بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ

(١) ب: «قمت». (٢) ب: «عليك به». (٣) ب: «بعدر».

(٤) ر: «فلما دخلت عليه سلمت». (٥) ب: «تمردنا». (٦) ب: «وما آلونا».

(٧) ب: «ولا بالأتقياء».

(٨) ب: «فالحجة».

قيس»، أنفذ بيتك، قال: بل أنشدك ما قلت لك؛ قال: بل أنشدني هذه؛ فأنشده:

أبى الله إلا أن يتم نوره
ويظهر أهل الحق في كل موطن
ويُنزل ذلاً بالعراق وأهله ١١١٤/٢
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة (٣)
وما نكثوا من بيعة بعد بيعة
وجبناً حساه ربهم في قلوبهم
فلا صدق في قول ولا صبر عندهم
فكيف رأيت الله فرق جمعهم
فقتلهم قتلى ضلال وفتنة
ولما زحفنا لابن يوسف غداة (٦)
قطعنا إليه الخندقين وإنما ١١١٥/٢
فكافحنا الحجاج دون صفوفنا (٨)
بصف كأن البرق في حجراته
دلفنا إليه في صفوف كأنها
فما لبث الحجاج أن سل سيفه
وما زاحف الحجاج إلا رأيته

ويطغى نور الفاسقين فيخمد (١)
ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
لما نقضوا العهد الوثيق الموكدا (٢)
من القول لم تصعد إلى الله مصعدا (٤)
إذا ضمناها اليوم خاسوا بها عدا
فما يقربون الناس إلا تهددا
ولكن فخرا فيهم وتزييدا
ومزقهم عرض البلاد وشردا!
وحشهم أمسى ذليلا مطردا (٥)
وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطعنا وأفضينا إلى الموت مرصدا (٧)
كفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
إذا ما تجلّى بيضه وتوقدا
جبال شرورى لوتعان فتنها
علينا فولى جمعنا وتبددا
معاناً ملقى للفتوح معودا

(١) الأغاني ٦ : ٥٩ - ٦١ ، المسعودي ٣ : ١٦٢

(٢) الأغاني : « كما نقضوا » . (٣) المسعودي : « وضلالة » .

(٤) ابن الأثير : « لم يصعد » . (٥) ابن الأثير : « وحشهم أمسى » .

(٦) الأغاني : « ضلة » . (٧) مرصداً : مترقباً .

(٨) الأغاني : « فصادفنا الحجاج » .

وإنَّ ابنَ عباسٍ لقيَ مرجحَةً
فما شرَّعُوا رُمحاً ولا جَرَدُوا له
وكرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَرَّةً
وُسُفْيَانَ يَهْدِيهَا كَأَنَّ لَوَاءَهُ
كُهُولٌ وَمُرْدٌ مِنْ قُضَاعَةٍ حَوْلَهُ
إِذَا قَالَ شُدُّوا شِدَّةَ حَمَلُوا مَعًا
جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلُهُ
فِيهِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ
نَزَوْا يَشْتَكُونَ الْبَغْيَ مِنْ أَمْرَائِهِمْ
وَجَدْنَا بَنِي مروَانَ خَيْرَ أئِمَّةٍ
وَخَيْرَ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشٍ أَرْوَمَةٍ
إِذَا مَا تَدَبَّرْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِهِ
سَيُغْلِبُ قَوْمٌ غَالِبُوا اللَّهَ جَهْرَةً^(١)
كَذَاكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ
فَقَدْ تَرَكُوا الْأَهْلِينَ وَالْمَالَ خَلْفَهُمْ
يُنَادِيهِمْ مُسْتَعْبِرَاتٍ إِلَيْهِمْ
فَالَا تَنَاوِلُهُنَّ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ
أَنْكُثًا وَعِصْيَانًا وَغَدْرًا وَذِلَّةً
لَقَدْ شَامَ الْمِصْرَيْنِ فَرْخُ مُحَمَّدٍ

نُشِبُّهَا قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدَا
أَلَا رَبَّمَا لَاقَى الْجَبَانَ فَجَرَدَا ١١١٦/٢
بِفُرْسَانِهَا وَالسَّمْهَرَى مُقْصِدَا
مِنَ الطَّعْنِ سِنْدُ بَاتٍ بِالصَّبْغِ مُجَسَّدَا
مَسَاعِيرُ أَبْطَالٍ إِذَا التَّكْسُ عَرَدَا
فَأَنْهَلَ خِرْصَانَ الرِّمَاحِ وَأَوْرَدَا
وَسُلْطَانُهُ أَمْسَى عَزِيزًا مُوَيْدَا
عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا بُغَاةً وَحُسَدَا
وَكَانُوا هُمْ أَبْغَى الْبَغَاةِ وَأَعْنَدَا
وَأَفْضَلَ هَذِي النَّاسِ حِلْمًا وَسُودَدَا
وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدَا ١١١٧/٢
وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسَدَّدَا
وَإِنْ كَايَدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدَا
مَرِيضًا وَمَنْ وَالَى التَّفَاقَ وَالْحَدَا
وَبِيضًا عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبُ خُرَدَا
وَيُذَرِّينَ دَمْعًا فِي الْخُدُودِ وَإِثْمَدَا
يَكُنَّ سَبَايَا وَالْبُعُولَةُ أَعْبَدَا
أَهَانَ إِلَهِهُ مِنْ أَهَانَ وَأَبْعَدَا
بِحَقِّ وَمَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَا^(٢)

(١) الأغاني : « سينلب قوماً » .

(٢) رواية الأغاني :

فَظَلُّوا وَمَا لَاقُوا مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَا

لَقَدْ شِمَّتْ يَابْنَ الْأَشْعَثِ الْعَامِ مِصْرَنَا

١١١٨/٢ كما شأَمَ اللهَ النُّجَيْرَ وَأَهْلَهُ بَجْدٌ لَهُ قَدْ كَانَ أَشَقَى وَأَنْكَدَا

فقال أهل الشام: أحسن، أصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف ألا يكون ظهرك وظفير، وتحريضاً لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألناك، أنفذ لنا قولك:

* بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَاذَخٌ * (١)

فأنفذها، فلما قال:

* بَخْ بَخْ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُودِ *

قال الحجاج: لا والله لا تُبَخِّخَ بعدها لأحد أبداً، فقد صدقه فضرب عنهقه.

وقد ذكر من أمر هؤلاء الأسرى الذين أسرهم يزيد بن المهلب ووجههم إلى الحجاج ومن قُلول ابن الأشعث الذين انهزموا يوم مسكين أمر غير ما ذكره أبو مخنف عن أصحابه. والذي ذكر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابن الأشعث مضى هؤلاء مع سائر القمل إلى الرى، وقد غلب عليها عمر بن أبي الصلت بن كئارا مولى بني نصر بن معاوية، وكان من أفرس الناس، فانضموا إليه، فأقبل قتيبة بن مسلم إلى الرى من قبيل الحجاج وقد ولاه عليها. فقال النفر الذين (٢) ذكرت أن يزيد بن المهلب وجههم إلى الحجاج مقيدين وسائر قمل ابن الأشعث الذين صاروا إلى الرى لعمر بن أبي الصلت: نوليك أمرنا وتحارب بنا قتيبة؛ فشاور عمر أباه أبا الصلت، فقال له أبوه: والله يا بُنى ما كنت أبالي إذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تقتل من غد. فعقد لواءه، وسار فنهزم وهُزم أصحابه، وانكشفوا إلى سجستان، واجتمعت بها القلول، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رتبيل، ثم كان من أمرهم وأمر يزيد بن المهلب ما قد ذكرت.

(١) المسعودى ٣ : ١٦٣ .

(٢) ب : « النى » .

وذكر أبو عبيدة أن يزيد لما أراد أن يوجه الأسرى إلى الحجاج قال له أخوه حبيب : بأى وجه تنظر إلى اليانية وقد بعثت ابن طلحة ! فقال يزيد : هو الحجاج ، ولا يتعرض له ! وقال : وطن نفسك على العزل ، ولا ترسل به ، فإن له عندنا بلاء ، قال : وما بلاؤه ؟ قال لزم المهلب في مسجد الجماعة بمائتي ألف ، فأدّاها طلحة عنه . فأطلقه ، وأرسل بالباقيين ، فقال الفرزدق :
وجَد ابنُ طلحةَ يومَ لاقى قومه قحطانَ يومَ هَرَاةَ خيرَ المعشرِ

وقيل : إن الحجاج لما أتته بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه : إذا دعوتك بسيدهم فأتنى بفسيروز ، فأبرز سريره — وهو حينئذ بواسط القصب قبل أن تبني مدينة واسط — ثم قال لحاجبه : جنني بسيدهم ؛ فقال لفسيروز : قم ؛ فقال له الحجاج : أبا عثمان ، ما أخرجتك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمتك من الحومهم ، ولا دمتك من دمائهم ! قال : فتنة عمّت الناس ، فكنت فيها ، قال : اكتب لي أموالك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : اكتبها أول ؛ قال : ثم أنا أمين على دمي ؟ قال : اكتبها ، ثم أنظر ؛ قال : اكتب يا غلام ، ألف ألف ألف ، فذكر مالا كثيرا ، فقال الحجاج : أين هذه الأموال ؟ قال : عندي ، قال : فأدّاها ؛ قال : وأنا أمين على دمي ؟ قال : والله لتؤدّينها ثم لأقتلنك ؛ قال : والله لا تجمع مالى ودمي ، فقال الحجاج للحاجب : نسحه ، فنحاه .

ثم قال : اتنى بمحمد بن سعد بن أبي وقاص ، فدعاه ، فقال له الحجاج : إيه يا ظيل الشيطان أعظم الناس تيهًا وكبرًا ، تنأى بيعة يزيد بن معاوية ، وتشبه بحسين وابن عمر ، ثم صرت مؤذنا لابن كنار^(١) عبد بنى نصر — يعنى عمر بن أبى الصلت — وجعل يضرب بعود في يده رأسه حتى أدماه ؛ فقال له محمد : أيها الرجل ، ملكت فأسجج ! فكف يده ، فقال : إن رأيت أن تكتب إلى أمير المؤمنين فإن جاءك عفو كنت شريكًا في ذلك محموداً ، وإن جاءك غير ذلك كنت قد أعدرت . فأطرق ملياً ثم قال : اضرب عنقه ، فضربت عنقه .

(١) ط : « كنز » ، وانظر التصويبات .

١١٢١/٢

ثم دعا بعمر بن موسى فقال : يا عبد المرأة ، أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك^(١) ، وتشرب معه الشراب في حمام فارس ، وتقول المقالة التي قلت ! أين الفرزدق ؟ قم فأنشده ما قلت فيه ، فأنشده :

وَحَضَبْتَ أَيْرَكَ لِلزَّناءِ وَلَمْ تَكُنْ يَوْمَ الْهَيْجِ لِتَحْضِبِ الْأَبْطالَا
فَقَالَ : أما والله لقد رفعتك عن عقائل نساءك ، ثم أمر بضرب عنقه .
ثم دعا ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، فإذا غلام حدث ، فقال :
أصلح الله الأمير ! ما لي ذنب ، إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبي وأمي لا أمر لي ولا نهي ، وكنت معهما حيث كانا ، فقال : وكانت أمك مع أبيك في هذه الفتن كلها ؟ قال : نعم ، قال : على أبيك لعنة الله .

ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال : اجعل ابن الأشعث طائباً ما طلب ، ما الذي أملت أنت معه ؟ قال : أملت أن يملك فيوليني العراق كما ولاك عبد الملك . قال : قم يا حوشب فاضرب عنقه ، فقام إليه ، فقال له الهلقام : يا بن لقيطة^(٢) ، أتسكأ القرح ! فضرب عنقه .

ثم أتى بعبد الله بن عامر ، فلما قام بين يديه قال : لا رأيت عينك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع . قال : وما صنع ؟ قال :

لأنه كاس في إطلاق أسرته وقاد نحوك في أغلالها مضراً
وقى بقومك ورد الموت أسرته وكان قومك أدنى عنده خطراً
فأطرق الحجاج ملبياً ووقرت في قلبه ، وقال : وما أنت وذاك ! اضرب عنقه . فضربت عنقه . ولم تزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبس . ١١٢٢/٢

ثم أمر بفيروز فغذب ، فكان فيما عذب به أن كان يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ، ثم يجر عليه حتى يخرق جسده ، ثم ينضع عليه الخلل والملح ، فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يشكون أني قد قتلت ، ولي ودائع وأموال عند الناس ، لا تؤدني

(١) ابن الحائك ، هو محمد بن الأشعث ، وكان يعير بذلك .

(٢) كذا في ب ، س ، وفي ط : « لطيفة » .

إليكم أبدأ ، فأظهروني للناس ليعلموا أني حيّ فيؤدّوا المال . فأعلم
الحجاج ، فقال : أظهره ، فأخرج إلى باب المدينة ، فصاح في الناس : مَنْ
عرَفْتِي فقد عَرَفْتِي ، ومن أنكَرْتِي فأنا فيروزُ حصين ؛ إن لي عند أقوام
مالاً ، فمن كان لي عنده شيء فهو له ، وهو منه في حِلٍّ ، فلا يؤدين
منه أحد درهمًا ، ليُسَبِّغَ الشاهدُ الغائب . فأمر به الحجاج فقتل . وكان ذلك
مما رَوَى الوليدُ بنُ هشام بن قحزم ، عن أبي بكر الهذلي .

وذكر ضمرة بن ربيعة ، عن أبي شوذب ، أن عمّال الحجاج كتبوا إليه :
إن الخراج قد انكسر ، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار ،
فكتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها .
فخرج الناس فعتسكروا ، فجعلوا يبكون وينادون : يا محمداه يا محمداه!
وجعلوا لا . ون أين يذهبون ! فجعل قراء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنعين
فيكون لما يسمعون منهم ويرون . قال : فقدم ابن الأشعث على ١١٢٣/٢
تفسيته ذلك ، واستبصر قراء أهل البصرة في قتال الحجاج مع عبد الرحمن
ابن محمد بن الأشعث .

وذكر عن ضمرة بن ربيعة عن الشيباني ، قال : قتل الحجاج يوم
الزاوية أحد عشر ألفًا ، ما استحيّا منهم إلا واحدًا ، كان ابنه في كُتّاب
الحجاج ، فقال له : أتحب أن نغفوَ لك عن أبيك ؟ قال : نعم ، فتركه
لابنه ؛ وإنما خدعهم بالأمان ، أمر منادياً فنادى عند الهزيمة : ألا لا أمان
لفلان ولا فلان ، فسَمَّى رجالاً من أولئك الأشراف ، ولم يَقُل : الناس آمنون ،
فقاتل العامة : قد آمن الناس كلهم إلا هؤلاء النفر ، فأقبلوا إلى حُجْرته
فلما اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم ، ثم قال : لا آمن بكم اليوم رجال
ليس بينكم وبينه قرابة ، فأمر بهم عُمارَة بن تميم اللخمي فقتلهم .

وروى عن النضر بن شميل ، عن هشام بن حسان ، أنه قال : بلغ

ما قَتَلَ الحِجَّاجُ صَبْرًا مائةً وعشرين ، أو مائةً وثلاثين ألفًا .

وقد ذُكِرَ في هزيمة ابن الأشعث بِمَسْكِنٍ قولٌ غيرُ الذي ذكره أبو مخنف ؛ والذي ذُكِرَ من ذلك أن ابن الأشعث والحجاج اجتمعَا بِمَسْكِنٍ من أرض أبقياذ ، فكان عسكرُ ابن الأشعث على نهر يُدعى خدّاش مؤخّر النهر ، نهر تيرى ، ونزل الحجاج على نهر أفريد والعسكران جميعًا بين دجلة والسيب والكرخ ، فاقتتلوا شهرًا - وقيل : دون ذلك - ولم يكن الحجاج يَعْرِفُ إليهم طريقًا إلا الطريق الذى يَلْتَقُونَ فيه ، فأَتَى بِشَيْخٍ كان راعيًا يُدعى زورقًا ، فدله على طريق من وراء الكرخ طولُه ستّة فراسخ ، فى أجْمَةِ وضَحَضاح من الماء ، فانتخب أربعة آلاف من بِلَّةِ أهل الشام ، وقال لقائدهم : لِيَكُنْ هذا العِلْجُ أمامَكَ ، وهذه أربعة آلاف درهم معك ، فإن أقامَكَ على عسكرهم فادفع المَالَ إليه ، وإن كان كَسَدَ بًا فاضربْ عُنُقَهُ ، فإن رأيتَهُم فاحملْ عليهم فيمن معك ، وليكنْ شعارُكم : يا حِجَّاجُ يا حِجَّاجُ . فانطلق القائدُ صلاةَ العصر ، والتقى عسكرُ الحجاج وعسكرُ ابن الأشعث حين فَصَلَ القائدُ بمن معه ، وذلك مع صلاة العصر ، فاقتتلوا إلى الليل ، فانكشف الحجاج حتى عبر السَّيْبَ - وكان قد عقده - ودخل ابنُ الأشعث عسكره فانتَهَبَ ما فيه ، فقليل له : لو اتبعته ؟ فقال : قد تعيبتنا ونَصَبْنَا ، فَرَجَعَ إلى عسكره فألقى أصحابه السلاح ، وباتوا آمِنِينَ فى أنفُسِهِم لِمَ الظَّفَر . وهجم القومُ عليهم نصفَ الليل يصيحون بشعارهم ، فجعل الرجلُ من أصحاب ابن الأشعث لا يدرى أين يتوجّه ! دَجِيلٌ عن يساره ودجلة أمامه ، ولها جُرْفٌ منكّر ، فكان من غَرَقَ أكثر من قَتَلَ . وسمع الحجاج الصوتَ فعبر السَّيْبَ إلى عسكره ، ثم وجّه خيلَه إلى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الأشعث ، وانحازَ فى ثلثائه ، فضى على شاطئ دجلة حتى أتى دَجِيلًا فعبره فى السفن ، وعَقَرُوا دوابَّهُم ، وانحدروا فى السفن إلى البَصْرَةِ ، ودخل الحجاج عسكره فانتَهَبَ ما فيه ، وجعل يَقْتُلُ مَنْ وجد حتى قَتَلَ أربعة آلاف ؛ فيقال : إن فيمن قَتَلَ عبد الله

١١٢٤/٢

١١٢٥/٢

ابن شدّاد بن الهاد ؛ وقتل فيهم بسطام بن مَصْقَلَة بن هُبيرة ، وعمر ^(١) ابن ضُبَيْعَة الرقاشي ، وبشر بن المنذر بن الجارود والحكّمْ بن مخرمة العبديّين ، وبُكَيْر بن ربيعة بن ثَرْوان الضبيّ ؛ فأَتَى الحجاجُ برؤوسهم على تُرُس ، فجعل ينظرُ إلى رأس بسطام ويتمثل :

إذا مررتَ بوادي حَيَّةٍ ذَكَرٍ فاذهبْ ودَعْنِي أَقاسِي حَيَّةِ الوادي

ثم نظر إلى رأس بُكَيْر ، فقال : ما ألقى هذا الشقيّ مع هؤلاء . خذْ بأذنه يا غلام فألقه عنهم . ثم قال : ضَعْ هذا الترس بين يديّ مسمّع بن مالك ابن مِسمّع ، فوَضِع بين يديه ، فبكى ، فقال له الحجاج : ما أبكاك ؟ أحرزنا عليهم ؟ قال : بل جِزَعًا لهم من النار .

* * *

[ذكر خبر بناء مدينة واسط]

وفي هذه السنة : بنى الحجاج واسطاً ، وكان سبب بنائه ذلك — فيما ذُكِر — أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان ، فعسكروا بحمّام عُمر . وكان فتيّ من أهل الكوفة من بني أسد حديث عهد بعُرس بابنة عمّ له ، انصرف من العسكر إلى ابنة عمّه لَيْلًا ، فطرق الباب طارقٌ ودقّه دقّاً شديداً ، فإذا سكرانٌ من أهل الشام ، فقالت للرجل ابنة عمّه : لقد لقينا من هذا الشاميّ شرّاً ، يفعل بنا كلّ ليلة ما تَرى ، يريد المكروه ، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه ، وعَرَفُوا ذلك ^(٢) ، فقال : ائذّنوا له ، ففعلوا ، فأغلّق الباب ، وقد كانت المرأة نجّدت منزلها وطيبته ، فقال الشاميّ : قد آن لكم ، فاستقناه الأسديّ ، فأندَر رأسه ^(٣) ، فلما أذّن بالفجر جَرَّ خرج الرجل إلى العسكر وقال لامرأته : إذا صليت الفجر فابعثي إلى الشاميين أن أخرجوا صاحبكم ، فسيأتون بك الحجاج ، فاصدقيه الخبر على وجهه ؛

(١) ابن الأثير : « عمرو » .

(٢ - ٢) ابن الأثير : « فقال لها زوجها : ائذني له ، فأذنت له ، فقتله زوجها » . وفي

اللسان : « أقتأت الرجل : حملته على القتل » .

ففعلت ، ورُفِعَ القَتِيلُ إلى الحِجَاجِ ، وأدخلت المرأة عليه وعندده عثبسة ابن سعيد على سريريه ، فقال لها : ما خَطَبُكَ ؟ فأخبرته ، فقال : صدقتني . ثم قال لُولَاةَ الشامي : ادفنوا صاحبكم فإنه قَتِيلٌ اللهُ إلى النار ، لا قَوَدَ له ولا عَقْلٌ ، ثم نادى مناديه : لا يترلن أحدٌ على أحد ، واخرجوا فمَسْكروا . وبعث رُوَادًا يرتادون له مَنَزِلًا ، وأمعن ^(١) حتى نزل أطراف كَسَنَكِرَ ، فبينما هو في موضع واسِطٍ إذا راهبٌ قد أقبل على حمار له وعبر دِجْلَةَ ، فلما كان في موضع واسِطٍ تفاجت الأتان فبالت ، فنزل الراهب ، فاحتفر ذلك البول ، ثم احتسكه فرمى به في دِجْلَةَ ، وذلك بعين الحِجَاجِ ، فقال : على به ، فأتى به ، فقال : ما حَسَمَلك على ما صنعت ؟ قال : نجد في كُسْبِنَا أنه يُسَبَى في هذا الموضع مَسْجِدٌ يُعْبَدُ اللهُ فيه ما دام في الأرض أحدٌ يوحدده . فاختر الحِجَاجِ مدينةً واسِطَ ، وبَنَى المسجدَ في ذلك الموضع .

* * *

١١٢٧/٢

وفي هذه السنة عزلَ عبدُ الملك — فيما قال الواقدي — عن المدينة أَبَانَ بْنَ عُمَانَ ، واستعمل عليها هشامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِي . وحجَّ بالناس في هذه السنة هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حدثني بذلك أحمدُ ابنُ ثابت ، عن حدثه ، عن إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عن أَبِي مَعْشَر . وكان العمال في هذه السنة على الأماص سِوَى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها ، وأما المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها ^(٢) .

(١) ب : « فأبعد » .

(٢) ب : « فيها عليها » س : « عليها في السنة التي قبلها » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم ، ففتَح فيها المَصِيصَة ، كذلك ذَكَرَ الواقدي .

[خبر قتل الحجاج أيوب بن القريّة]

وفيها قَتَلَ الحجاجُ أيوبَ بنَ القِريّةِ ، وكان من كان مع ابن الأشعث ، وكان سبب قتله إياه - فيما ذُكر - أنه كان يدخل على حوشب بن يزيد بعد انصرافه من دِبرِ الجَمَاحِم - وحوشب على الكوفة عامل للحجاج ^(١) - فيقول حوشب : انظروا إلى هذا النواقف معي ، وغداً أو بعد غد يأتي ^(٢) كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذه ، فبينما هو ذات يوم واقف إذ أتاه كتاب من الحجاج : أما بعد ، فإنك قد صرت كَهَفًا مُنَافِقِي أَهْلِ العِراقِ ومُساوِي ، فإذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلى بابن القِريّة مشدودة يده إلى عنقه ، مع ثقة من قبلك .

فلما قرأ حوشب الكتاب رمى به إليه ، فقرأه فقال : سمعاً وطاعة ؛ فبعث به إلى الحجاج مُوثَقاً ، فلما دخل الحجاج قال له : يا ابن القِريّة ، ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : أصلح الله الأمير ! ثلاثة حروف كأنهن ركبٌ وقوف ، دنيا ، وآخرة ، ومعروف . قال : اخرج مما قلت ، قال : أفعل ، أما الدنيا فال حاضر ، يأكل منه البر والفاجر ، وأما الآخرة فيزيان عادل ، ومشهد ليس فيه باطل ، وأما المعروف فإن كان عليّ اعترفت ، وإن كان لي اغترفت . قال : إمّا لا فاعترف بالسيف إذا وقّع بك . قال : أصلح الله الأمير ! أقتلني عشري ، وأسغني ^(٣) ريتي ؛ فإنه ليس جوادٌ إلا له

(٢) ب : « يأتيني » .

(١) ب : « الحجاج » .

(٣) ط : « واسغني »

كَبَبُوءَ ، وَلَا شَجَاعٌ إِلَّا لَهُ هَبَبُوءٌ ^(١) . قَالَ الْحِجَّاجُ : كَلَّا وَاللَّهِ لَأُرِيَنَّكَ ^(٢) جَهَنَّمَ ، قَالَ : فَأَرِحْنِي أَجِدَ حَرًّا هَا ، قَالَ : قَدَمَهُ يَا حَرَسَى فَاضْرِبْ عُنُقَهُ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْحِجَّاجُ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَالَ : لَوْ كُنَّا تَرَكْنَا ابْنَ الْقَرِيَّةِ حَتَّى نَسْمَعَ مِنْ كَلَامِهِ ! ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ فَرُمِيَّ بِهِ .

قَالَ هِشَامُ : قَالَ عَوَانَةُ : حِينَ مَنَعَ الْحِجَّاجُ مِنَ الْكَلَامِ ابْنَ الْقَرِيَّةِ ، قَالَ لَهُ ابْنُ الْقَرِيَّةِ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ عَلَى السَّوَاءِ لَسَكُنَا جَمِيعًا ، أَوْ لَأَلْفَيْتَ مَنِيْعًا .

١١٢٦/٢

* * *

[فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس]

وفي هذه السنة فتَحَ يزيدُ بنُ المهلبِ قلعةَ نيزك ببِاذغيس .
* ذكر سبب فتحه إياها :

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : كَانَ نِيزَكَ يَنْزِلُ بِقَلْعَةِ بَاذْغَيْسٍ ، فَتَحَيْنَ يَزِيدُ غَزْوَهُ ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْعِيُونَ ، فَبَلَغَهُ خُرُوجُهُ ، فَخَالَفَهُ يَزِيدُ إِلَيْهَا ، وَبَلَغَ نِيزَكَ فَرَجَعَ ، فَصَالَحَهُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِ مَا فِي الْقَلْعَةِ مِنَ الْخَزَائِنِ ، وَيَرْتَحِلَ عَنْهَا بَعِيَالَهُ ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مُعَدَّانَ الْأَشْقَرِيُّ :

وَبَاذْغَيْسُ الَّتِي مَنَ حُلْ ذُرْوَتَهَا	عَزَّ الْمُلُوكَ فَإِنْ شَاءَ جَارٌ أَوْ ظَلَمَا
مَنْعَةً لَمْ يَكِدْهَا قَبْلَهُ مَلِكٌ	إِلَّا إِذَا وَاجَهَتْ جَيْشًا لَهُ وَجَمَا
تَخَالَ نِيرَانُهَا مِنْ بَعْدِ مَنَظَرِهَا	بَعْضَ النَّجُومِ إِذَا مَالِيلُهَا عَمَّا
لَمَّا أَطَافَ بِهَا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ	حَتَّى أَقْرَوْا لَهُ بِالْحُكْمِ فَاحْتَكَمَا
فَذَلَّ سَاكِنُهَا مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ	يُعْطَى الْجِزْيَ عَارِفًا بِالذَّلِّ مُهْتَضِمًا
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَيَّامًا نَعَدَدَهَا	وَقَبْلَهَا مَا كَشَفَتْ الْكَرْبَ وَالظَّلْمَا
أَعْطَاكَ ذَاكَ وَلِيُّ الرِّزْقِ يَقْسِمُهُ	بَيْنَ الْخَلَائِقِ وَالْمَحْرُومِ مِنْ حُرْمَا

١٢٣٠/٢

(١) البيان والتبيين ١ : ١١٢ ، ٣٥٠ . (٢) ابن الأثير : « لأزيرتك » .

يداك إحداهما تُسقى العدو بها
 فهل كَسَيْبِ يَزِيدَ أَوْ كَنَائِلِهِ
 ليسا بأجود منه حينَ مَدَّهِمَا
 وقال :

ثَنَائِي عَلَى حَيِّ الْعَتِيكِ بِأَنَّهَا
 إِذَا عَقَدُوا لِلجَارِ حُلًّا بِنَجْوَةٍ
 نَفَى نِيزَكَ عَنْ بَادَغَيْسٍ وَنِيزَكُ
 مُحَلَّقَةٌ دُونَ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
 وَلَا يَبْلُغُ الْأَرُوى شَمَارِيخَهَا الْعَلَا
 وَمَا خُوفْتُ بِالذُّبِّ وَلِدَانُ أَهْلَهَا
 تَمَنَيْتُ أَنْ أَلْقَى الْعَتِيكَ ذَوِي النُّهَى
 كَمَا يَتَمَنَّى صَاحِبُ الْحَرْثِ أُعْطِشَتْ
 فَاسْقَى بَعْدَ الْيَأْسِ حَتَّى تَحْيَرْتُ
 لَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ النُّوَى وَتَشَعَّبَتْ
 قَالَ : وَكَانَ نِيزَكَ يُعْظَمُ الْقَلْعَةُ إِذَا رَأَاهَا سَجَدَ لَهَا . وَكَتَبَ يَزِيدُ بْنُ
 الْمُهَلَّبِ إِلَى الْحِجَااجِ بِالْفَتْحِ ، وَكَانَتْ كُتِبَ يَزِيدُ إِلَى الْحِجَااجِ يَكْتُبُهَا
 يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ الْعَدَوَانِي ، وَكَانَ حَلِيفًا لَهُذَيْلَ ، فَكُتِبَ : إِنَّا لَقَيْنَا الْعَدُوَّ
 فَنَحْنَا اللَّهُ أَكْثَافَهُمْ ، فَقَتَلْنَا طَائِفَةً ، وَأَسْرُنَا طَائِفَةً ، وَلَحَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَعُوسِ
 الْجِبَالِ وَعَرَاعِرِ الْأَوْدِيَةِ ، وَأَهْضَمَ الْغَيْطَانِ وَأَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ^(١) ؛ فَقَالَ الْحِجَااجُ :
 مَنْ يَكْتُبُ لِيَزِيدَ ؟ فَقِيلَ : يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ ، فَكُتِبَ إِلَى يَزِيدَ فَحَمَلَهُ عَلَى
 الْبَرِيدِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ أَفْصَحُ النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ وَلِدْتُ ؟ قَالَ : بِالْأَهْوَازِ ؛
 قَالَ : فَهَذِهِ الْفَصَاحَةُ ؟ قَالَ : حَفِظْتَ كَلَامَ أَبِيي وَكَانَ فَصِيحًا^(٢) . قَالَ : مِمَّنْ

(١) العرة قلة الجبل ، وجمعا عراعر ، والأهضام : أحضان الأودية وأسافلها .

(٢) الفائق ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

هناك فأخبرني هل يَلَحِّن عنبسة بن سعيد؟ قال : نَعَمْ كثيراً ، قال : ففلان؟
 قال : نعم ، قال : فأخبرني عَنَى أَلَحَّن؟ قال : نعم تلحِّن لَحْنًا خَفِيًّا ،
 تزيد حرفاً وتَسْقِصُ حرفاً ، وتَجْعَلُ أنْ في موضع إنْ ، وإنْ في موضع أنْ .
 قال : قد أَجَلَّتْكَ ثلاثًا ، فإن أَجَدَّكَ بعد ثلاث بأرض العراق قَتَلْتُكَ .
 فَرَجَعَ إلى خُرَّاسَانَ .

* * *

وَحَجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إِسْمَاعِيلَ المَخْزُومِيَّ ، كذلك حَدَّثَنِي
 أَحْمَدُ بنُ ثَابِتٍ ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ إِسْحَاقَ بنِ عِمْسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ .
 وَكَانَتْ عَمَّالُ الْأَمْصَارِ فِي هذه السنة عَمَّالَهَا الَّذِينَ سَمَّيْتُ قَبْلُ فِي سنة
 ثلاث وثمانين .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث]

ففيها كان هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .
* ذكر السبب الذي به هلك ، وكيف كان :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : لما انصرف ابن الأشعث
من هرة راجعاً إلى رتبيل ^(١) كان معه رجل من أود يقال له علقمة بن
عمرو ، فقال له : ما أريد أن أدخل معك ، فقال له عبد الرحمن : لم ؟ قال :
لأنني ^(٢) أتخوف عليك وعلى من معك ، والله لكأني بكتاب الحجاج قد جاء ،
فوقع إلى رتبيل يرغبه ويرهبه ، فإذا هو قد بعث بك سلميماً أو قتيلاً .
ولكن ها هنا خمسمائة قد تباعدنا على أن ندخل مدينة فتتحصن ^(٣) فيها ، ونقاتل
حتى نعطى أماناً أو نموت كراماً . فقال ^(٤) له عبد الرحمن : أما لو دخلت
معي لآسيتك ^(٥) وأكرمتك ، فأبى عليه علقمة ، ودخل عبد الرحمن بن
محمد إلى رتبيل . وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودوداً النضري ، وأقاموا
حتى قدم عليهم عمارة بن تميم اللخمي فحاصروهم ، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى
آمنهم ، فخرجوا إليه فتوفي لهم .

قال : وتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في عبد الرحمن بن محمد أن ابعت
به إلى ، وإلا فولد لا إله إلا هو لأوطيئ أرضك ألف ألف مقاتل .
وكان عند رتبيل رجل من بني تميم ثم من بني يربوع يقال له عبيد بن
أبي سبيع ، فقال لرتبيل : أنا آخذ لك من الحجاج عهداً ليكفن الخراج

(١) بعد ما في ب : « ملك الترك » . (٢) س : « إلى » .

(٣) ب : « تتحصن » . (٤) ب : « قال » .

(٥) ب : « لآمتك » .

عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن بن محمد . قال رُتبيل لعبيد : فإن فعلت فإن لك عندي ما سألت .

فكتب إلى الحجاج يُخبره أن رُتبيل لا يعصيه ، وأنه لن يدع رُتبيل حتى يبعث إليه بعبد الرحمن بن محمد ، فأعطاه الحجاج على ذلك مالا وأخذ من رُتبيل عليه مالا ، وبعث رُتبيل برأس عبد الرحمن بن محمد إلى الحجاج ، وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه سبع سنين . وكان ^(١) الحجاج يقول : بعث إلى رُتبيل بعدو الله . فألقى نفسه من فوق إجمار فأت . ^(٢)

١١٣٤/٢

قال أبو مخنف : وحدثني سليمان بن أبي راشد . أنه سمع مُليكة ابنة يزيد تقول : والله كُلت عبد الرحمن وإن رأسه لعل فتخذي ، كان السل قد أصابه . فلما مات وأرادوا دفنه بعث إليه رُتبيل فحز رأسه ، فبعث به إلى الحجاج ، وأخذ ثمانية عشر رجلا من آل الأشعث فحبسهم عنده ، وترك جميع من كان معه من أصحابه . وكتب إلى الحجاج يأخذه الثمانية عشر رجلا من أهل بيت عبد الرحمن ، فكتب إليه : أن اضرب رقابهم ، وابعث إلى برءوسهم ، وكره أن يؤتى بهم إليه أحياء فيطلب فيهم إلى عبد الملك ، فيترك منهم أحدا .

وقد قيل في أمر بن أبي سبيع وابن الأشعث غير ما ذكرت عن أبي مخنف ، وذلك ما ذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنه كان يقول : زعم أن عُمار بن تميم خرج من كرمان فأتى سجستان وعليها رجل من بني العنبر يدعى مودودا ، فحصره ثم آمنه ، ثم استولى على سجستان ، وأرسل إلى رُتبيل . وكتب إليه الحجاج : أما بعد ، فإنني قد بعثت إليك عُمار بن تميم في ثلاثين ألفا من أهل الشام لم يخالفوا طاعة ، ولم يخلعوا خليفة ، ولم يتبعوا إمام ضلالة ، يُجرى على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم ، يستطيعون الحرب استطعاما ، يطلبون ابن الأشعث . فأبى رُتبيل أن يسلمه . وكان مع ابن الأشعث عبيد بن أبي سبيع التميمي قد خص به ،

١١٣٥/٢

(١) ب : « فكان » .

(٢) كذا في ط ، وانظر الصفحة التالية . والإجمار : سطح المنزل .

وكان رسوله إلى رُتبيل ، فخصّ رُتبيل أيضاً ، وخفّ عليه . فقال القاسم ابن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن : إني لا آمن غدرَ التميمي ، فاقتله ، فهسّم به ، وبلغ ابن أبي سبيع ، فخافه فوثق به إلى رُتبيل ، وخوفه الحجاج ، ودعاه إلى الغدر بابن الأشعث فأجابه ، فخرج سراً إلى عُمارة بن تميم ، فاستعجل في ابن الأشعث ، فجعل له ألف ألف ، فأقام عنده ، وكتبَ بذلك عُمارة إلى الحجاج ، فكتب إليه أن أعطَ عبيداً ورُتبيلَ ما سألاك واشترط^(١) ، فاشترط رُتبيلُ ألا تغزى بلاده عشر سنين ، وأن يؤدّى بعد العشر سنين في كل سنة تسعمائة ألف ، فأعطى رُتبيل وعبيداً^(٢) ما سألا ، وأرسل رُتبيل إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته ، وقد أعدّ لهم الجوامع والقيود ، فألقى في عنقه جماعة ، وفي عنق القاسم جماعة ، وأرسل بهم جميعاً إلى أدنى مسالِح عمارة منه ، وقال لجماعة من كان مع ابن الأشعث من الناس : تفرّقوا إلى حيث شئتم ، ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فأت ، فاحتز رأسه ، فألقى به وبالأسرى عمارة ، فضرب أعناقهم ، وأرسل برأس ابن الأشعث وبرءوس أهله وبامراته إلى الحجاج ، فقال في ذلك بعض الشعراء :

هيهات موضعُ جُثّةٍ من رأسها رأسٌ بمصرَ وجُثّةٌ بالرخج^(٣) ١١٣٦/٢

وكان الحجاج أرسل به إلى عبد الملك ، فأرسل^(٤) به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مصر .

وذكر عمر بن شبّة أن ابن عائشة حدّثه قال : أخبرني سعد بن عُبَيْد الله قال : لما أتى عبدُ الملك برأس ابن الأشعث أرسل به مع خصي إلى امرأة منهم كانت تحت رجل من قريش ، فلما وُضع بين يديها قالت : مرحباً بزائر لا يتكلّم ؛ ملك من الملوك طلب ما هو أهله فأبّت المقادير . فذهب الحَصِي يأخذ الرأس فاجتذبتَه من يده ، قالت : لا والله حتى أبلغ

(١) كذا في ب ، وفي ط : « فاشترط » . (٢) ر : « وعبيد الله » .

(٣) ر : « بالرخج » ، س : « بالرجح » . (٤) ب : « وأرسل » .

حاجتي ، ثم دعت بخطمي ففسدته وغلثته ثم قالت : شأنك به الآن .
فأخذه ، ثم أخبر عبد الملك ، فلما دخل عليه زوجها ، قال : إن استطعت
أن تصيب منها سخله .

وذكر أن ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هارب إلى بلاد
رتبيل فتمثل :

يطرده الخوف فهو تائه^(١) كذاك من يكره حرّ الجلال

منخرق الخفين يشكو الوجأ تنكبه أطراف مرو حداد

قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

فالتفت إليه فقال : يا لحيه ، هلاّ ثبتّ في موطن من المواطن فتموت
بين يديك ، فكان خيراً لك مما صرت إليه !

قال هشام : قال أبو مخنف : خرج الحجاج في أيامه تلك يسير ومعه
حميد الأرقط وهو يقول :

١١٣٧/٢

ما زال يبنى خندقاً ويهدمه^(٢) عن عسكر يقوده فيسلمه

حتى يصير في يديك مقسمة هيات من مصفه منهزمه

* إن أخا الكيظا من لا يسأله *

فقال الحجاج : هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان :

نُبئت أن بُنيّ يو سف خرّ من زلّقي فتباً

قد تبين له من زلّقي وتبّ ودحض فانكبّ ، وخاف وخاب ، وشكّ
وارتاب ؛ ورفع صوته فما بقي أحدٌ إلا فترع لغضبه ، وسكت الأرقط ، فقال
له الحجاج : عدّ فيما كنت فيه ، ما لك يا أرقط ! قال : إني جعلت
فداك أيتها الأمير وسلطان الله عزيز ، ما هو إلا أن رأيتك غضبت فأرعدت
خصائي ، واحزالت متفاصلي ، وأظلم بصري ، ودارت بي الأرض . قال له

(١) ب : « يطرده الخوف » . (٢) ر : « ويهدمه » .

الحجاج : أجل* ، إن سلطان الله عزيز ، عدو فيما كنت فيه ، ففعل .
وقال الحجاج وهو ذات يوم يسيرُ ومعه زياد بن جَرِير بن عبد الله البَجَلِيّ
وهو أعور ، فقال الحجاج للأريقط : كيف قلت لابن سَمُرَةَ ؟ قال : قلت :
يا أعور العين قدِيتُ العُوراً^(١) كنتَ حَسِبْتَ الخَنْدَقَ المحفُوراً
يرُدُّ عنكَ القَدَرُ المقدُوراً ودائرات السَّوءِ أن تدُورا
وقد قيل : إن مهلك عبد الرحمن بن محمد كان في سنة أربع وثمانين . ١١٣٨/٢

* * *

[عزل يزيد بن المهلب عن خراسان]

وفي هذه السنة عزّل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان
وولّاهما المفضل بن المهلب أخا يزيد .

* ذكر السبب الذي من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل :
ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن الحجاج وقد إلى
عبد الملك ، فرّ في مُنصرفه بدير فنزله ، فقبل له : إن في هذا الدّير
شيخاً من أهل الكُتُب عالمًا ، فدعا به فقال : يا شيخ ، هل تجدون في
كُتُبكم ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم ، نجد ما مضى من أمركم وما أنتم فيه
وما هو كائن ؛ قال : أفسمّي أم موصوفًا ؟ قال : كلّ ذلك ؛ موصوف بغير
اسم ، واسم بغير صفة ، قال : فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجده
في زماننا الذي نحن فيه ؛ ملك أقرع ، من يقيم لسبيله يُصرع ، قال : ثمّ
من ؟ قال : اسم رجل يقال له الوليد ، قال : ثمّ ماذا ؟ قال : رجل اسمه
اسمُ نبيّ يفتح به على الناس ، قال : أفتعرفني ؟ قال : قد أخبرت بك .
قال : أفتعلم ما ألي ؟ قال : نعم ، قال : فمن يليه بعدى ؟ قال : رجل
يقال له يزيد ، قال : في حياتي أم بعد موتي ؟ قال : لا أدري ، قال : أفتعرف
صفته ؟ قال : يغدر غُدرة ؛ لا أعرف غير هذا . ١١٣٩/٢

قال : فوقَعَ في نفسه يزيدُ بنُ المهلب ، وارتحل فسار سَبْعًا وهو
وَجِل من قولِ الشيخ ؛ وَقَدِمَ فَكَتَبَ إلى عبد الملك يَسْتَعْفِيهِ من العراق ،
فكتب إليه : يا بنَ أمِّ الحجاج ، قد علمتُ الذي تغزو ، وأنتَ تريد أن تَعْلَمَ
رأى فيك ، ولَعَمْرِي إِنِّي لأَرَى مكانَ نافع بنِ عِلْقَمَةَ ، فالهُ عن هذا
حتى يَأْتِيَ الله بما هوَ آت ؛ فقال الفرزدق يَتَذَكَّرُ مسيرَه :

لو أَنَّ طَيْرًا كُتِفَتْ مِثْلَ سَيْرِهِ إِلَى واسطٍ من إيلياء لَمَلَّتْ^(١)
سَرى بالمهاري من فَلَسْطِينَ بعدما دنا الليلُ من شمس النهار فَوَلَّتْ^(٢)
فما عاد ذاك اليومُ حتى أَنَاخَهَا بِمَيْسَانٍ قَدْ مَلَّتْ سُرَاهَا وَكَلَّتْ^(٣)
كَأَنَّ قُطَامِيًّا عَلَى الرَّحْلِ طَاوِيًّا إِذَا غَمَرَةُ الظُّلَمَاءِ عَنْهُ تَجَلَّتْ^(٤)
قال فبينما^(٥) الحجاج يومًا خال^(٦) إذ دعا عبيد^(٧) بنَ مَوْهَب ،
فدخل وهو يَسْكُتُ في الأرض ، فرفع رأسَه فقال : ويحك يا عبيد !
إِنَّ أَهْلَ الكُتُبِ يَتَذَكَّرُونَ أَنَّ ماتحت يدي يليه رجلٌ يُقال له يزيد ، وقد تَذَكَّرْتَ
يزيدَ بنَ أَبِي كَبْشَةَ ، ويزيدَ بنَ حُصَيْن بنِ نُمَيْر ، ويزيدَ بنَ دينار ، فليسوا
هناك ، وما هوَ إِنْ كانَ إِلَّا يزيدَ بنَ المهلب ؛ فقال عبيد : لقد شَرَفْتَهُمْ
وَأَعْظَمْتَ^(٨) وَلَايَتَهُمْ ، وَإِنْ لَمْ لَعَدَدًا وَجَلَدًا ، وَطَاعَةً وَحِطًّا ، فَأَخْلَقَ بِهِ .
فأَجْمَعَ على عَزْلِ يزيد فلم يَجِدْ لَهُ شَيْئًا حَتَّى قَدِمَ الْخِيَارَ بنَ أَبِي سَبْرَةَ بنِ
ذُؤَيْب بنِ عَرَفْجَةَ بنِ مُحَمَّد بنِ سَفْيَانَ بنِ مُجَاشِع — وَكَانَ مِنْ فُرْسَانَ المَهْلَبِ —
وَكَانَ مَعَ يَزِيدَ — فَقَالَ لَهُ الحجاج : أَخْبَرْنِي عَنْ يَزِيدَ ، قَالَ : حَسَنَ
الطَّاعَةِ ، لَيْسَ السَّيْرَةِ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، أَصَدَقَنِي عَنْهُ ، قَالَ : اللَّهُ أَجْلٌ وَأَعْظَمُ ،
قَدْ أَسْرَجَ وَلَمْ يُلْجِمَ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، وَاسْتَعْمَلَ الْخِيَارَ عَلَى عُثْمَانَ بَعْدَ
ذَلِكَ .

١١٤٠/٢

(١) ديوانه ١٣٧ .

(٢) الديوان : « دنا النوى » .

(٣) الديوان : « قد حلت عراها وملت » . (٤) بعده في الديوان :

وَقَدْ عِلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ ابْنَ يَوْسُفٍ قُطُوبٌ إِذَا مَا الْمَشْرِفِيَّةُ سُلِّتْ

(٥) ب : « خاليا » .

(٦) ب : « فبينما » .

(٧) ب : « وعظمت » .

(٨) ب : « بعبيد » .

قال : ثم كَتَبَ إلى عبد الملك يذمّ يزيدَ وآلَ المهلب بالزبيريّة ، فكتب إليه عبدُ الملك : إني لا أرى نَقْصًا بآلِ المهلب طاعتهم لآلِ الزبير ، بل أراه وفاء منهم لهم ، وإنّ وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي . فكَتَبَ إليه الحجاج يخوفه غدَرهم لما أخبره به الشيخ . فكتب إليه عبدُ الملك : قد أَكثَرَت في يزيدَ وآلِ المهلب ، فسمّ لي رجلاً يَصْلُحُ خُرَّاسانَ ؛ فسَمَّيْ له مُجَاعَةَ بنِ سَعْرِ السَّعْدِيّ ، فكتب إليه عبدُ الملك : إنّ رأيك الذي دعاك إلى استفساد آلِ المهلب هو الذي دعاك إلى مُجَاعَةَ بنِ سَعْرِ ، فانظر لي رجلاً صارماً ، ماضياً لأمرِك ، فسَمَّيْ قَتِيبةَ بنِ مسلم ، فكتب إليه : ولّه . وبلغ يزيد أن الحجاج عزَلَه ، فقال لأهل بيته : مَنْ ترون الحجاج يولى خُرَّاسانَ ؟ قالوا : رجلاً من ثَقِيف ، قال : كَلّا ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعَهْدَه ، فإذا قدمت عليه عزَلَه وولى رجلاً من قيس ، وأخْلِقَ بقتيبة ! قال : فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزْلِ يزيدِ كره أن يكتب إليه بعزله ، فكتب إليه أن استخلف المفضل وأقْبِل . فاستشار يزيدُ حُضَيْنَ بنَ المنذر ، فقال له : أقم واعتلّ ، فإنّ أميرَ المؤمنين حَسَنَ الرَّأْيِ فيك ، وإنما أتيتَ من الحجاج ، فإنّ أقمْتَ ولم تتعجل رجوتُ أن يكتب إليه أن يقرّ يزيدَ ، قال : إنّنا أهلُ بيت بُورِكَ لنا في الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ؛ فأخذ في الجَهَّازَ ، وأبطأ ذلك على الحجاج ، فكتب إلى المفضل : إني قد ولّيتُك خُرَّاسانَ ، فجعل المفضل يستحيّ يزيدَ ، فقال له يزيد : إنّ الحجاج لا يُفْرِكُ بعدي ، وإنما دعاه إلى ما صَنَعَ مخافةُ أن أمتنعَ عليه ، قال : بل حسدتنى ، قال يزيد : يا بنِ بهلّة ، أنا أحسدُك ! ستعلم . وخرج يزيدُ في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين . فعزل الحجاجُ المفضلَ ، فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لأُمّه :

يا بُنَيَّ بهلّة إنّما أَخْزَاكُمَا رَبِّي غَدَاةَ غَدَا الهُمَامُ الْأَزْهَرُ
أَحْقَرْتُمْ لَأَخِيكُمْ فَوْقَعْتُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَخُوهَا الْمُعْوَرُ
جُودُوا بِتَوْبَةٍ مُخْلِصِينَ فَإِنَّمَا يَأْبَى وَيَأْنِفُ أَنْ يَتُوبَ الْأَخْسَرُ

وقال حُضَيْن ليزيد :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَأَصْبَحْتَ مَسْلُوبَ الْإِمَارَةِ نَادِمًا
فَمَا أَنَا بِالْبَاكِي عَلَيْكَ صَبَابَةً وَمَا أَنَا بِالْدَّاعِي لَتَرْجِعَ سَالِمًا

فلما قدم قتيبة خراسان قال للحضين : كيف قلت ليزيد ؟ قال : قلت :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَانْفَسَكَ أَوَّلَ اللَّوْمِ إِنْ كُنْتَ لَا تَمَّا
فَلِنْ يَبْلُغِ الْحِجَاجَ أَنْ قَدْ عَصَيْتُهُ فَإِنَّكَ تَلْقَى أَمْرَهُ مُتَّفَقًا

قال : فإذا أمرته به فعصاك ؟ قال : أمرته ألا يدع صفراء ولا
بيضاء إلا حملتها إلى الأمير ، فقال رجل لعايض بن حضين : أما أبوك
فوجدته قتيبة حين فره قارحًا بقوله : « أمرته ألا يدع صفراء ولا بيضاء
إلا حملها إلى الأمير » .

قال علي : وحدثنا كلثيب بن خلف ، قال : كتب الحجاج إلى يزيد
أن اغزو خوارزم ، فكتب إليه : أيها الأمير ، إنها قليلة السلب ، شديدة
الكسب . فكتب إليه الحجاج : استخلف واقدم ، فكتب إليه : إني
أريد أن أغزو خوارزم . فكتب إليه : لا تغزها فإنها كما وصفت ؛ فغزا
ولم يطعمه ، فصالحه أهل خوارزم ، وأصاب سبيًا مما صالحوه ، وقتل
في الشتاء ، فاشتد عليهم البرد ، فأخذ الناس ثياب الأسرى فلبسوها ، فمات
ذلك السبي من البرد . قال : ونزل يزيد بلسانة ، وأصاب أهل مرو
الرؤذ طاعون ذلك العام ، فكتب إليه الحجاج : أن اقدم ، فقدم ، فلم يمر
ببلد إلا فرسوا له الرياحين . وكان يزيد ولي سنة اثنتين وثمانين ، وعزل سنة خمس
وثمانين ، وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ، وولى قتيبة .

١١٤٣/٢

وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر عن أبي مخنف في عزل الحجاج يزيد عن
خراسان سببًا غير الذي ذكره علي بن محمد ، والذي ذكر من ذلك عن
أبي مخنف أن أبا المخارق الراسبي وغيره حدثوه أن الحجاج لم يكن له حين
فرغ من عبد الرحمن بن محمد هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته - وقد

كان الحجاج أذلَّ أهلَ العراقَ كلَّهم إلا يزيد وأهل بيته ومنَ معهم من أهل
المِصْرَينَ بخُرَّاسانَ ، ولم يكن يتخوَّفُ بعدَ عبدِ الرحمن بن محمد بالعراق
غيرَ يزيد بن المهلب — فأخذ الحجاجُ في مواربة يزيد ليستخرجَه من خُرَّاسانَ ،
فكان يبعث إليه لِيأتيه ، فيعتلُّ عليه بالعدوِّ وحربِ خُرَّاسانَ ، فمكثَ
بذلك^(١) حتى كان آخرَ سلطان عبدِ الملك . ثمَّ إنَّ الحجاجَ كتب إلى عبد الملك
يشير عليه بعزلَ يزيد بن المهلب ، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير ،
وأَنه لا وفاءَ لهم ، فكتب إليه عبدُ الملك : إنِّي لا أرى تقصيراً بولائد المهلب
طاعتهم لآل الزبير ووفاءهم لهم ، فإنَّ طاعتهم ووفاءهم لهم ، هو دعاهم إلى
طاعتي والوفاء لي .

ثمَّ ذكرَ بقيَّةَ الخبرِ نحوَ الذي ذكره علي بن محمد .

* * *

[غزو المفضل باذغيس وآخرين]

وفي هذه السنة غزا المفضل باذغيس ففتنَّحها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذَكَرَ علي بنُ محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال : عزل الحجاج
يزيد ، وكتبَ إلى المفضل بولايتَه على خُرَّاسان سنة خمسَ وثمانين ، فولَّيَها
تسعةَ أشهر ، فغزا باذغيسَ ففتنَّحها وأصاب مغنماً ، فقسَّمه بين الناس ،
فأصاب كلَّ رجلٍ منهم ثمانمائة درهم ، ثمَّ غزا أخرون وشُومان ، فظنَّ قِصْرَ
وغيثِمْ ، وقسَّم ما أصاب بين الناس ، ولم يكن للمفضل بيت مال ، كان
يُعطي الناسَ كلِّما جاءه شيء ، وإن غم شيئاً قسَّمه بينهم ، فقال كعبُ
الأشقرى يمدح المفضل :

تري ذا الغنى والفقر من كلِّ معشِرٍ^(٢) عَصَائِبَ شَتَّى يَنْتَوُونَ المفضَّلا

فمن زائرٍ يرجو فَوَاضِلَ سَيِّبِهِ وَأَخَرَ يَقْضِي حَاجَةً قد تَرَحَّلَا^(٣)

(٢) ب : « نرى ذا الغنى » .

(١) ب : « كذلك » .

(٣) ب : « ترجلا » .

إذا ما انتويننا غير أرضك لم نجد
إذا ما عَدَدْنَا الأَكْرَمِينَ ذَوِي النُّهَى
لَعَمْرَى لقد صال المفضلُ صَوْلَةً
ويوم ابن عباس تناولت مثلها
صَفَتْ لك أخلاقُ المَهْلَبِ كُلُّهَا
أَبُوكَ الذي لم يسع ساعٍ كسعيه
بها منتوى خيراً ولا مُتَعَلِّلاً
وقد قدّموا من صالحٍ كنت أولاً
أَبَاحَتْ بِشُومَانِ المناهل والكلا
فكانت لنا بين الفريقين فيصلاً
وُسْرِبِلَتْ من مَسْعَاتِهِ ما تَسْرِبَلَا
فأورثَ مجداً لم يكن مُتَنَحِّلاً^(١)

١١٤٥/٢

* * *

[خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ]

وفي هذه السنة قُتِلَ موسى بن عبد الله بن خازم السُّلَمِيُّ بالترمذ .
* ذكر سبب قتله ومصيره إلى الترمذ حتى قُتِلَ بها :

«ذُكِرَ أن سبب مصيره إلى الترمذ كان أن أباه عبد الله بن خازم لما قَتَلَ مَنْ قَتَلَ من بني تميم بفرستنا - وقد مَضَى ذِكْرُ خَيْرِ قَتْلِهِ إِيَّاهُمْ - تفرَّقَ عنه عَظُمٌ من كان بقيَ معه منهم ، فخرج إلى نيسابور وخاف بني تميم على ثقله بَمَرَوْ ، فقال لابنه موسى : حوّل ثِقْلِي عن مَرَوْ ، واقطع نهرَ بَلَسْخَ حتى تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى^(٢) حصن تقيم^(٣) فيه . فشَخَصَ موسى من مَرَوْ في عشرين ومائتي فارس ، فأتى آمُلَ وقد ضوى إليه قومٌ من الصَّعَالِيك ، فصار في أربعمائة ، وانضمَّ إليه رجال من بني سُلَيْمٍ ، منهم زُرْعَةُ بن علقمة ، فأتى زَمْ فَقَاتَلُوهُ ، فظَفِرَ بهم وأصاب^(٤) مالا ، وقطع النهر ، فأتى بُخَارَى فسأل صاحبها أن يلجأ إليه ، فأبى وخافه ، وقال : رجل فاتك ، وأصحابه مثله أصحاب حَرَبٍ وشرٍّ ، فلا آمنه . وبعث إليه بصلة عين ودواب وكُسُوءة ، ونزل على عظيم من عظماء أهل بُخَارَى في نوقان ، فقال له : إنه

١١٤٦/٢

(٢) ب : « وإلى » .

(١) ب : « متخلا » .

(٣) ابن الأثير : « تقوم » .

(٤) ب : « فأصاب » .

لا خيرَ في المُقام في هذه البلاد ، وقد هبَّك القومُ وهم لا يأمَنونك . فأقام عند دَهقان نوقانَ أشهراً ، ثمَّ خرج يلتبس مَلِكاً يُلجأُ إليه أو حِصناً ، فلم يأت بلداً إلا كسَرِها مُقامه فيهم ، وسألوه أن يخرج عنهم .

قال عليّ بن محمد: فأتى سمرقند فأقام بها ، وأكرمته طرخونُ مَلِكُها ، وأذن له في المُقام ، فأقام ما شاء الله ، ولأهل الصغد مائدةٌ يوضع عليها لحم ودك^(١) وخُبْز وإبريق شراب ، وذلك في كلِّ عام يوماً ، يُجعل ذلك لفارس الصغد فلا يقرّبه أحد غيره ، هو طعامه في ذلك اليوم ، فإن أكل منه أحدٌ غيره بارزه فأَيُّهما قَتَلَ صاحبه فالمائدةُ له ، فقال رجلٌ من أصحاب موسى: ما هذه المائدة ؟ فأخبر عنها ، فسكت ، فقال صاحب موسى : لا كلن ما على هذه المائدة ، ولأبارزن فارس الصغد ، فإن قتلته كنت فارسهم . فجلس فأكل ما عليها ، وقيل لصاحب المائدة ، فجاء مُغضباً ، فقال : يا عربى ، بارزنى ، قال : نعم ، وهل أريدُ إلا المِبارزة ! فبارزه فقتله صاحب موسى ، فقال مَلِك الصغد : أنزلتكم وأكرمتمكم فقتلتم فارس الصغد ! لولا أنى أعطيتك وأصحابك الأمان لقتلتكم ، اخرجوا عن بلدى ، ووصله . فخرج موسى فأتى كِسَ فكتَّسب صاحبُ كِسَ إلى طرخون يستنصره ، فأتاه ، فخرج إليه موسى في سبعِمائة فقاتلهم حتى أمسوا ، وتَحابزوا وبأصحاب موسى جراحٌ كثيرة ، فلما أصبحوا أمرهم موسى فحلقوا رؤوسهم كما يصنع^(٢) الخوارج ، وقطعوا صَفِينات أخبيبتهم كما يصنع العَجَم إذا استأثوا . وقال موسى لِرُزْعة بن علقمة : انطلق إلى طرخون فاحتل له . فأتاه ، فقال له طرخون: لِمَ صَنَعَ أصحابك ما صنعوا ؟ قال : استقتلوا فما حاجتك إلى أن تَقْتل أيُّها الملك موسى وتَقْتل ! فإنك لا تصل إليه حتى يقتل مثل عدتهم منكم ، ولو قتلته وإياهم جميعاً ما نلت حظاً ، لأنَّ له قَدراً في العرب ، فلا يلي أحدٌ خراسانَ إلا طالبك بدمه ، فإن سلمت من واحد لم تسلم من آخر ؛ قال : ليس إلى تركِ كِسَ في يده سبيل ؛ قال : فكُف عنه حتى

(١) لحم ودك : فيه دسم .

(٢) ب : « تصنع » .

يَرْتَحِل ، فكف وأتى موسى الترميد وبها حصن يُشرف على النهر إلى جانب منه ، فنزل موسى على بعض دهاقين الترميد خارجاً من الحصن والدّهقان مُجَانِب ليرميدشاه ، فقال لموسى : إنَّ صاحب الترميد متكرّم شديدُ الحياء ، فإن أطففته^(١) وأهديت إليه أدخلك حصنه ، فإنه ضعيف ، قال : كلا ، ولكنني أسأله أن يُدخلي حصنه ، فسأله فأبى ، فأكراه موسى وأهدى له^(٢) وأطفته ، حتى لطف الذي بينهما ، وخرج فتصيّد معه ، وكثر اللطاف موسى له ، فصنّع صاحب الترميد طعاماً وأرسل إليه : إني أحب أن أكرمك ، فتغدّ عندي ، واثنى في مائة من أصحابك . فانتخب موسى من أصحابه مائة ، فدخلوا على خيولهم ، فلما صارت في المدينة تصاهلت ، فتطير أهل الترميد وقالوا لهم : انزلوا ، فنزلوا ، فأدخلوا بيتاً ، خمسين في خمسين ، وغدّوهم .

١١٤٨/٢

فلما فرغوا من الغداء اضطجع موسى ، فقالوا له : اخرج ، قال : لا أصيب منزلاً مثل هذا ، فليست بخارج منه حتى يكون بيتي أو قبوري . وقتلواهم في المدينة ، فقتل من أهل الترميد عدّة ، وهرب الآخرون فدخلوا منازلهم ، وغلب موسى على المدينة ، وقال ليرميد شاه : اخرج ، فإني لست أعرض لك ولا لأحد من أصحابك . فخرج المليك وأهل المدينة فأتوا الترك يستنصرونهم ، فقالوا : دخل إليكم مائة رجل فأخرجوكم عن بلادكم ، وقد قاتلناهم بيكس ، فنحن لا نقاتل هؤلاء . فأقام ابن خازم بالترميد ، ودخل إليه أصحابه ، وكانوا سبعمائة ، فأقام ، فلما قُتل أبوه انضم إليه من أصحاب أبيه أربعمائة فارس ، فقوى ، فكان يخرج فيُغير على من حوله . قال : فأرسل الترك قوماً إلى أصحاب موسى ليعلّموا علمه ، فلما قدّموا قال موسى لأصحابه : لا بدّ من مكيدة هؤلاء — قال : وذلك في أشدّ الحرّ — فأمر بنار فأجّجت ، وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء ، ولبسوا فوقها لبوداً ، ومدّوا أيديهم إلى النار كأنهم يصطلّون . وأذن موسى للترك فدخلوا ، ففزعوا ممّا رأوا ، وقالوا :

١١٤٩/٢

(١) ب : « لطفته » .

(٢) ب : « إليه » .

لِمَ صَنَعْتُمْ هَذَا ؟ قَالُوا : نَجِدُ الْبَرْدَ فِي هَذَا الْوَقْتُ ، وَنَجِدُ الْحَرَّ فِي الشِّتَاءِ ،
فَرَجَعُوا وَقَالُوا : جِنَّ لَا نُقَاتِلُهُمْ . قَالَ : وَأَرَادَ صَاحِبُ التُّرْكِ أَنْ يَغْزُوَ
مُوسَى ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ رُسُلًا ، وَبَعَثَ بِسَمِّ وَنُشَابٍ فِي مَسْكِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالسَّمِّ
أَنْ حَرِبَهُمْ شَدِيدَةً ، وَالنُّشَابَ الْحَرْبَ ، وَالْمَسْكَ السَّلْمَ ، فَاخْتَرَهُ الْحَرْبَ أَوْ السَّلْمَ ،
فَأَحْرَقَ السَّمَّ ، وَكَسَرَ النُّشَابَ ، وَنَثَرَ الْمَسْكَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : لَمْ يَرِيدُوا الصَّلَاحَ ،
وَأَخْبَرَ أَنْ حَرِبَهُمْ مِثْلَ النَّارِ ، وَإِنَّهُ يَكْسِرُنَا ، فَلَمْ يَغْزُهُمْ .

قَالَ : فَوَلَّى بُكَيْرُ بْنُ وَشَّاحٍ خُرَّاسَانَ فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ ، وَلَمْ يُوَجِّهْ إِلَيْهِ
أَحَدًا ، ثُمَّ قَدِمَ أُمِيَّةٌ ^(١) فَسَارَ بِنَفْسِهِ يَرِيدُهُ ، فَخَالَفَتْهُ بِكَبِيرٌ ، وَخَلَعَ ، فَرَجَعَ إِلَى
مَرْوٍ ، فَلَمَّا صَالَحَ أُمِيَّةٌ بِكَبِيرًا أَقَامَ عَامَهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي قَابِلٍ وَجَّهَ
إِلَى مُوسَى رَجُلًا مِنْ خُرَّازَةِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَعَادَ أَهْلُ التُّرْمَذِ إِلَى التُّرْكِ
فَاسْتَنْصَرُوهُمْ فَأَبَوْا ، فَقَالُوا لَهُمْ : قَدْ غَزَاهُمْ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَحَصَرُوهُمْ ، فَإِنْ أَعْنَاهُمْ
عَلَيْهِمْ ظَفِيرُنَا بِهِمْ . فَسَارَتِ التُّرْكُ مَعَ أَهْلِ التُّرْمَذِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَأُطَافَ
بِمُوسَى التُّرْكُ وَالْخُرَّازِيُّ ، فَكَانَ يُقَاتِلُ الْخُرَّازِيَّ أَوَّلَ النَّهَارِ وَالتُّرْكُ آخِرَ
النَّهَارِ ، فَقَاتَلَتْهُمْ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ ، فَقَالَ مُوسَى لِعَمْرُو بْنِ خَالِدِ بْنِ حَصِينٍ ^(٢)
الْكَلَابِيِّ - وَكَانَ فَارِسًا - قَدْ طَالَ أَمْرُنَا وَأَمْرُهُؤَلَاءِ ، وَقَدْ أَجْمَعْتُ أَنْ أُبَيِّتَ عَسْكَرَ
الْخُرَّازِيَّ ، فَإِنَّهُمْ لِلْبَيَاتِ آمِنُونَ ، فَمَا تَرَى ؟ قَالَ : الْبَيَّاتُ نِعْمًا هُوَ ،
وَلَيْكُنْ ذَلِكَ بِالْعَجَمِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ أَشَدَّ حَذَرًا ، وَأَسْرَعَ فِرَاعًا ، وَأَجْرًا
عَلَى اللَّيْلِ مِنَ الْعَجَمِ ، فَبَيَّتَتْهُمْ فَلَمَّا أَرَجُو أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ نَفَرَدَ
لِقِتَالِ الْخُرَّازِيَّ فَنَحْنُ فِي حِصْنٍ وَهُمْ بِالْعَرَاءِ ، وَلَيْسُوا بِأَوْلَى بِالصَّبْرِ ، وَلَا
أَعْلَمُ بِالْحَرْبِ مِنَّا . قَالَ : فَأَجْمَعَ مُوسَى عَلَى بَيَاتِ التُّرْكِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ
اللَّيْلِ ثُلُثُهُ خَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَالَ لِعَمْرُو بْنِ خَالِدٍ : أَخْرِجُوا بَعْدَنَا وَكُونُوا
مِنَّا قَرِيبًا ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا ، وَأَخِذْ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ حَتَّى ارْتَفَعَ فَوْقَ
العَسْكَرِ ، ثُمَّ أَخِذْ مِنْ نَاحِيَةِ كَفْتَانِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ جَعَلَ أَصْحَابُهُ
أَرْبَاعًا ، ثُمَّ قَالَ : أَطِيفُوا بِعَسْكَرِهِمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا ، وَأَقْبَلَ

(١) هُوَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ .

(٢) ب ، ر : « حِصْن » .

وقدّم عمرًا بين يديه ومشّوا خلفه ، فلما رأته أصحاب الأرصاد قالوا : من أنتم ؟ قالوا : عابري سبيل .

قال : فلما جازوا الرّصد تفرّقوا وأطافوا بالعسكر وكبّروا ، فلم يشعر الترك إلا بوقع السيوف ، فثاروا يقتل بعضهم بعضًا وولّوا ، وأصيب من المسلمين ستة عشر رجلاً ، وحوّوا عسكرهم وأصابوا سلاحًا ومالاً ، وأصبح الخزاعي وأصحابه قد كسرهم ذلك ^(١) ، وخافوا مثلها من البسات ، فتحدّثوا ^(٢) .

فقال لموسى عمرو بن خالد : إنك لا تظفر ^(٣) إلا بمكيدة ^(٤) ولهم أمداد وهم يكثر ، فدعني آتيهم لعلّي أصيب من صاحبهم فرصة ؛ إني ^(٥) إن خلوتُ به قتلته ، فتناولني بضرب ، قال : تتعجل الضرب وتعرض للقتل ! قال : أما تعرض للقتل فأنا كل يوم متعرّض له ، وأما الضرب فما أيسره في جَسَب ما أريد . فتناولته بضرب ، ضربه خمسين سوطًا ، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخزاعي مستأمنًا وقال : أنا رجل من أهل اليمّين كنتُ مع عبد الله بن خازم ، فلما قُتِل أُنيتُ ابنه فلم أزل معه ، وكنتُ أوّل من أتاه ، فلما قدمت اتهمني ، وتعصّب عليّ ، وتنكّر لي وقال لي : قد تعصّبت لعدونا ، فأنت عينٌ له ، فضربني ، ولم آمن القتل ، وقُلْتُ : ليس بعد الضرب إلا القتل ، فهربت منه ، فأمنه الخزاعي وأقام معه .

قال : فدخل يومًا وهو خال ولم يرَ عنده سلاحًا ، فقال كأنه ينصح له : أصلحك الله ! إن مثلك في مثل حالك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغير سلاح ، فقال : إنّ معي سلاحًا ، فرفع صدر فراشه فإذا سيفٌ منتصبٌ ، فتناوله عمرو وضرب به فقتله ، وخرج فركب فرسه ، ونذروا به بعد ما أمعن ، فطلبوه فقاتلهم ، فأتى موسى وتفرّق ذلك الجيش ، فقطع بعضهم النهر ، وأتى بعضهم موسى مستأمنًا ، فأمنه ، فلم يوجه إليه أُميّة أحدًا . قال : وعُزِل أُميّة ، وقدّم المهلب أميرًا ، فلم يعرض لابن خازم ،

(١) ب : « ذاك » . (٢) ب : « فتحرّزوا » .

(٣) ب : « إنكم لا تظفرون » . (٤) ب : « لمكيدة » .

(٥) ب : « فإني » .

١١٥٢/٢

وقال لبنيه : إياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون ولادة هذا الثغريما أقام هذا الثبط^(١) بمكانه ، فإن قُتل كان أول طالع عليكم أميراً على خراسان رجل من قيس . فمات المهلب ولم يوجه إليه أحداً ، ثم تولى^(٢) يزيد بن المهلب فلم يعرض له . وكان المهلب ضرب حرِيث بن قُطَيْبَة الخِزَاعِي ، فخرج هو وأخوه ثابت إلى موسى ، فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرَمَهما وقتل أخاهما لأُمهما ؛ الحارث بن مُنْقِذ ، وقتل صِهراً لهما كانت عنده أم حفص ابنة ثابت ، فبذلغهما ما صنع يزيد .

قال : فخرج ثابت إلى طَرْخُون فَشَسَّكَا إليه ما صنع به — وكان ثابت محبباً في العَجَم ، بعيد الصوت ، يعظمونه ويثقون به ، فكان الرجل منهم إذا أعطى عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يتغدر — فغضب له طَرْخُون وَجَمَعَ له نَسِيزُك والسَّيْل وأهل بخارى والصغانيان ، فقدموا مع ثابت إلى موسى بن عبد الله ، وقد سقط إلى موسى فكلَّ عبد الرحمن بن العباس من هرة ، وكلَّ ابن الأشعث من العراق ومن ناحية كابُل ، وقوم من بني تميم ممن كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل خراسان ، فاجتمع إلى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعه واليمن ، فقال له ثابت وحرِيث : سرّ تقطع النهر فتُخرج يزيد بن المهلب عن خراسان ؛ ونوليك ، فإن طَرْخُون ونيزك والسبل وأهل بخارى معك ، فهم أن يفعل ، فقال له أصحابه : إن ثابتاً وأخاه خائفان ليزيد ، وإن^(٣) أخرجت يزيد عن خراسان وأميناً تولياً الأمر وغلباك على خراسان ، فأقم مكانك . فقبل رأيهم ، وأقام بالترمذ . وقال لثابت : إن أخرجنا يزيد قدّم عامل لعبد الملك ، ولكننا نخرج عمال يزيد من وراء النهر مما يلينا ، وتكون هذه الناحية لنا نأكلها . فرضى ثابت بذلك ، وأخرج من كان من عمال يزيد من وراء النهر ، وحملت إليهم الأموال ، وقوى أمرهم وأمر موسى ، وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل إلى بلادهم ، وتدير الأمر لحرِيث وثابت ، والأمير موسى ليس له غير الاسم ،

١١٥٣/٢

(١) الثبط : الثقيل البطن ، أو الكوسج الذي عرى وجهه من الشعر .

(٢) ر : « ولي » ، س : « نزل » . (٣) ب : « فإن » .

فقال لموسى أصحابه : لسا نرى من الأمر فى يدك شيئاً أكثر من اسم
الإمارة ، فأما التدبير فليحريث وثابت ، فاقتلنهما وتول الأمر . فأبى وقال :
ما كنت لأغدر بهما وقد قويا أمرى ، فحسدوهما وألحوا على موسى فى
أمرهما حتى أفسدوا قلبه ، وخوفوه غدرهما ، وهم بمتابعتهم على الوثوب
بثابت وحرث . واضطرب أمرهم ؛ فإنهم لى ذلك إذ خرجت عليهم الهياطلة
والثببت والترك ، فأقبلوا فى سبعين ألفاً لا يعدون الخاسر ولا صاحب بيضة
جماء ، ولا يعدون إلا صاحب بيضة ذات قونس . قال : فخرج ابن
خازم إلى ربض المدينة فى ثلثائة راجل وثلثين مجففاً ، وألقى له كرسى
فقعده عليه . قال : فأمر طرخون أن يثلم ^(١) حائط الربض ، فقال موسى :
دعوه ، فهدموا ودخل أوائلهم ، فقال : دعوهم يكثر ، وجعل يقلب
طبرزينا بيده ، فلما كثروا قال : الآن امنعوه ، فركب وحمل ^(٢) عليهم
فقاتلهم حتى أخرجهم عن الثلثة ، ثم رجع فجلس على الكرسى وذمر
الملك أصحابه ليعودوا ، فأبوا ، فقال لفرسانه : هذا الشيطان ، من سره أن
ينظر إلى رسم فلينظر إلى صاحب الكرسى ، فن أبى فليقدم عليه . ثم
تحولت الأعاجم إلى رستاق كفتان . قال : فأغاروا على سرح موسى ، فاغتم
ولم يطعم ، وجعل يبعث بلحيته ، فسار ليلاً على نهر فى حافتيه ^(٣)
نبات لم يكن فيه ماء ، وهو يفضى إلى خند قهم ، فى سبعمائة ، فأصبحوا عند
عسكرهم ، وخرج السرح فأغار عليه فاستاقه ، وأتبعه قوم منهم ، فعطف
عليه سوار ، مولى لموسى ، فطعن رجلاً منهم فصرعه ، فرجعوا عنهم وسلم
موسى بالسرح . قال : وغاداهم العجم القتال ، فوقف ملكهم على تل فى
عشرة آلاف فى أكمل عدة ، فقال موسى : إن أزلتم هؤلاء فليس الباقون
بشيء . فقصدهم حرث بن قنطبة فقاتلهم صدر النهار ، وألح عليهم حتى
أزالهم عن التل ، ورعى يومئذ حرث بنشابة فى جبهته ، فتعاجزوا ، فبيستهم
موسى ، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شمة ملكهم ،

١١٥٤/٢

(٢) ب : « وركب فحمل » .

(١) ب : « يستلم » .

(٣) ب : « ناحيته » .

فوجاً رجلاً منهم بقسيبة^(١) سيفه ، فطعن فرسه . فاحتمله فألقاه في نهر
بلسخ فغرق ، وعليه درعان ، فقتل العجم قتيلاً ذريعاً ، ونجا منهم من
نجا بشر ، ومات حُرَيْث بن قطبة بعد يومين ، فدُفن في قبته .

١١٥٥/٢

قال : وارتحل موسى ، وحملوا الرعوس إلى الترمذ ، فبنوا من تلك الرعوس
جسوسين ، وجعلوا الرعوس يقابل بعضها بعضاً . وبلغ الحجاج خبر الواقعة ،
فقال : الحمد لله الذي نصّر المنافقين على الكافرين ، فقال أصحاب موسى :
قد كُفينا أمر حُرَيْث ، فأرحنا من ثابت ، فأبى وقال : لا . وبلغ ثابتاً بعض
ما يخوضون فيه ، فدس محمد بن عبد الله بن مرثد الخزاعي ، عم نصير بن
عبد الحميد عامل أبي مسلم على الرّي — وكان في خدمة موسى بن عبد الله — وقال
له : إياك أن تتكلم بالعربية ، وإن سألك من أين أنت ! فقل : من سبى
البايان^(٢) ، فكان يخدم موسى وينقل إلى ثابت خبرهم ، فقال له :
تحفظ ما يقولون . وحذر ثابت فكان لا ينام حتى يرجع الغلام ، وأمر قوماً
من شاكريته يحرسونه ويبيتون عنده في داره ، ومعهم قوم من العرب ،
وألح القوم على موسى فأصجروه ، فقال لهم ليلة : قد أكثرتم على ، وفيم تريدون
هلاكمكم ، وقد أبرمتموني ! فعلى أي وجه تفتكون به ، وأنا لا أغدر به ! فقال
نوح بن عبد الله أخو موسى : خلّنا وإياه ، فإذا غدا إليك غدوة عدلنا به
إلى بعض الدّور ، فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل إليك ، قال : أمّا والله
إنه لهلاككم ، وأنتم أعلم — والغلام يسمع — فأتى ثابتاً فأخبره ، فخرج من
ليلته في عشرين فارساً ، ففضى ، وأصبحوا وقد ذهب فلم يندروا من أين أوتوا ،
وفقدوا الغلام ، فعلموا أنه كان عينا له عليهم ، ولحق ثابت بحشورا فنزل
المدينة ، وخرج إليه قوم كثير من العرب والعجم ، فقال موسى لأصحابه :
قد فتحتكم على أنفسكم باباً فسدوه ، وسار إليه موسى^(٣) ، فخرج إليه ثابت
في جمع كثير فقاتلهم ، فأمر موسى بإحراق السور ، وقتلهم حتى أبلّثوا
ثابتاً وأصحابه إلى المدينة ، وقتلهم عن المدينة .

١١٥٦/٢

(١) القبيصة : ما يكون على طرف مقبض السيف ، تكون من فضة أو حديد .

(٢) ر : « البايان » .

(٣) ب : « موسى إليه » .

فأقبل رقية بن الحر العنبري حتى اقتحم النار^(١)؛ فأنتهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقف يحمي أصحابه، فقتله، ثم رجع فخاص النار وهي تلتهب، وقد أخذت بجوانب النمط عليه، فرمى به عنه ووقف، وتحصن ثابت في المدينة، وأقام موسى في الربض، وكان ثابت حين شخّص إلى حشورا أرسل إلى طرخون، فأقبل طرخون معيناً له، وبلغ موسى مجيء طرخون، فرجع إلى الترمذ، وأعانه أهل كيس ونسّف وبخاري، فصار ثابت في ثمانين ألفاً، فحصر موسى وقطعوا عنه المادة حتى جاهدوا.

قال: وكان أصحاب ثابت يعبرون نهراً إلى موسى بالنهار—ثم يرجعون بالليل إلى عسكرهم، فخرج يوماً رقية— وكان صديقاً لثابت، وقد كان ينتهي أصحاب موسى عما صنعوا— فنادى ثابتاً، فبرز له— وعلى رقية قباء خنز— فقال له: كيف حالك يا رقية؟ فقال: ما تسأل عن رجل عليه جبة خنز في حمار القسيظ! وشكا إليه حالهم، فقال: أنتم صنعتم هذا بأنفسكم، فقال: أما والله ما دخلت في أمرهم، ولقد كرهت ما أرادوا، فقال ثابت: أين تكون حتى يأتيك ما قدّر لك؟ قال: أنا عند المحل الطفاوي— رجل من قيس من يعصّر— وكان المحل شيخاً صاحب شراب— فنزل رقية عنده.

١١٥٧/٢

قال: فبعث ثابت إلى رقية بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر الخزاعي، وقال: إن لنا تجاراً قد خرجوا من بلخ، فإذا بلغك أنهم قد قدّموا فأرسل إلى تأتيك حاجتكم. فأتى علي باب المحل، فدخل فإذا رقية والمحل جالسان بينهما جفنة فيها شراب، وخوان عليه دجاج وأرغفة، ورقية شعث الرأس، متوشح بمِلْحفة حمراء، فدفع إليه الكيس، وأبلغته الرسالة وما كلمه، وتناول الكيس وقال له بيده، اخرج، ولم يكلمه. قال: وكان رقية جسيماً كبيراً، غائر العينين، نائى الوجنتين، مفلج، بين كل سنين له موضع سن، كأن وجهه ترس.

قال : فلما أضايق أصحابُ موسى واشتدَّ عليهم الحصارُ قال يزيدُ بنُ هزِيل : إنما مقامُ هؤلاء مع ثابتٍ والقَتْلُ أحسنُ من الموتِ جُوعاً ، والله لأفتكنَّ بثابتٍ أو لأموتنَّ . فخرج إلى ثابتٍ فاستأمنته ، فقال له ظهير : أنا أعرفُ بهذا منك ، إنَّ هذا لم يأتِكَ رغبةٌ فيكَ ولا جَزَعاً لك ، ولقد جاءكَ بغدرةٌ ، فاحذره وخسكتي وإياه ، فقال : ما كنتُ لأقدم على رجلٍ أتاني ، لا أدري أكذلك هو أم لا . قال : فدعني أرتهن منه رهناً ، فأرسل ثابتٌ إلى يزيدٍ فقال : أما أنا فلم أكن أظنَّ رجلاً يتقدَّر بعد ما يسأل الأمان ، وابنُ عمِّك أعلم بك مني ، فانظر ما يعاملك عليه ، فقال يزيد لظهير : أبيت يا أبا سعيد إلا حَسَدًا قال : أما يكفيلك ما تترى من الدُّلِّ ! تشردتُ عن العراق وعن أهلي ، وصرتُ بخُرَّاسان فيما ترى ، أفما تعطفك الرَّحْمُ ! فقال له ظهير : أما والله لو تُركتُ ورأيي فيكَ لما كان هذا ، ولكن أرهنا ابنينك قدامة والضحاك . فدفعهما ^(١) إليهم ، فكانا في يدي ظهير .

١١٥٨/٢

قال : وأقام يزيدُ يكتسِم غيرةَ ثابتٍ ، لا يتقدَّر منه على ما يريد ، حتى مات ابنُ لزياد القصير الخُزاعي ، أتى أباه نعيته من مَرَوْ ، فخرج متفضلاً إلى زياد ليعزيه ، ومعه ظهير ورهطٌ من أصحابه ، وفيهم يزيد بن هزِيل ، وقد غابت الشمس ، فلما صار على نهر الصَّغَايِيان تأخَّر يزيدُ بن هزِيل ورجلان معه ، وقد تقدم ظهير وأصحابه ، فدنا يزيد من ثابتٍ فضربه فعضَّ السيف برأسه ، فوصل إلى الدماغ . قال : ورى يزيد وصاحبه بأنفسهم في نَهْر الصَّغَايِيان ، فرمَوْهم ، فنجَّا يزيدُ سباحةً وقَتْل صاحبه ، وحُمِل ثابتٌ إلى منزله ، فلما أصبح طَرَحُون أرسَلَ إلى ظهير : اثني بابنَي يزيد ، فأتاها بهما ، فقدَّم ظهيرُ الضَّحَاك بنَ يزيدٍ فقتله ، ورى به وبرأسه في النهر ، وقدَّم قدامةً ليقبله ، فالتفت فوقَّع السيف في صدره ، ولم يسبن ، فألقاه في النهر حياً فغرق ، فقال طَرَحُون : أبوهما قتلها وغدره . فقال يزيد بن هزِيل : لأقتلنَّ يابنَي كلِّ خُزاعي بالمدينة ، فقال له عبدُ الله بنُ بُدَيْل بن عبد الله بن بُدَيْل بنِ وَرْقَاء — وكان ممن أتى موسى من قُلَّ ابن الأشعث :

لورُمتَ ذاكَ من خُزاعةٍ لَصْعُبٍ عَلَيْكَ . وعاشَ ثابتَ سبعةِ أَيامٍ ثُمَّ ماتَ . وكانَ يزيدُ بنُ هزِيلٍ سَخِيًّا شجاعًا شاعرًا ، ولى أَيْتَامَ ابنِ زيادَ جزيرةَ ابنِ كاوانَ ، فقال :

١١٥٩/٢

قد كنتُ أدعو اللهَ في السرِّ مخلصًا لِيُمكننِي من جزيرةٍ ورجالٍ^(١)
فأتُركُ فيها ذِكْرَ طَلْحَةَ خاملًا ويُحمَدُ فيها نائِلِي وفِعالِي

قال : فقام بأمرِ العَجَمِ بعد موتِ ثابتِ طَرْنُخُونِ ، وقام ظُهَيْرُ بأمرِ أصحابِ ثابتِ ، فقاما قيامًا ضعيفًا ، وانتَشَرَ أمرُهُم ، فأُجمعَ موسى على بَيَاتِهِم ، فجاءَ رجلٌ فأخبرَ طَرْنُخُونِ ، فضَحِكَ وقالَ : موسى يَستَعِزُّ أنْ يدخلَ متوضَّأه ، فكيف يبييتنا ! لقد طار قلبُك ، لا يحرسنَ الليلةَ أحدٌ العَسْكَرَ . فلما ذهبَ من الليلِ ثلثُهُ خرجَ موسى في ثمانمائةٍ قد عبَّأهم من النهارِ ، وصيَّرتهم^(٢) أرباعًا . قالَ : فصيَّرتُ على رُبْعِ رَقَبَةِ بنِ الحرِّ وعلى رُبْعِ أخاهِ نُوحِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خازمِ ، وعلى رُبْعِ يزيدَ بنِ هزِيلِ ، وصارَ هو في ربيعٍ ، وقالَ لهمَ : إذا دخلتم^(٣) عسكرَهُم فنفروا ، ولا يَمُرَّنَ أحدٌ منكم بشيءٍ إلا ضربه ، فدخلوا عسكرَهُم من أربعِ نواحي لا يَمُرُّونَ بدابةٍ ولا رجلٍ ولا خيابةٍ ولا جوالقٍ إلا ضَرَبُوهُ . وسمعَ الوجبةُ نَيْزَكَ فلبسَ سلاحَه ، ووقفَ في ليلةٍ مظلمةٍ ، وقالَ لعلِّي بنِ المُهاجرِ الخُزاعيَّ : انطلقِ إلى طَرْنُخُونِ فأعلمِه مَوَاقِفِي ، وقلْ له : ما تَرَى أعملُ به ، فأتى طَرْنُخُونُ ، فإذا هو في فَاةٍ^(٤) قاعدٌ على كرسِيٍّ وشاكِرِيتهُ قد أوقدوا النيرانَ بينَ يديه ، فأبلغه رسالةَ نَيْزَكَ ، فقالَ : اجلسْ ، وهو طامحٌ ببصره نحوَ العسكرِ والصَّوتِ ، إذا أقبلَ حَمِيَّةُ السُّلَاميِّ وهو يقولُ : «حم لا يَنْصُرُونِ» ، فنفَرَ في الشاكِرِيَّةِ ، ودخلَ حَمِيَّةَ الفَاةِ ، وقامَ إليه طَرْنُخُونُ فصدَّره فصدَّره ، فلم يَغْنِ شيئًا ، قالَ : وطعنَه طَرْنُخُونُ بذيْبابِ السيفِ في صدرِهِ فصدَّره فصدَّره ، ورجعَ إلى الكرسِيِّ فجلسَ عليه ، وخرجَ حَمِيَّةُ يَعدُّو .

١١٦٠/٢

(١) ب ، ر : « حربه وحلالى » . (٢) ب : « وبهم » .

(٣) ب : « ادخلوا » . (٤) الفَاةُ : مظلةٌ تمدُّ بمسود .

قال : ورجعت الشاكرية ، فقال لهم طرخون : فررتم من رجل ! أرايتم لو كان ناراً هل كانت تحرق منكم أكثر من واحد ! فما فرغ من كلامه حتى دخل لجواريه الفازة ، ونحرج الشاكرية هرباً ، فقال للجواري : اجلسن ، وقال لعل بن المهاجر : قم ، قال : فخرجنا فإذا نوح بن عبد الله ابن خازم في السرداق ، فتجاوآ ساعة ، واختلسا ضربتين ، فلم يصنعا شيئاً ، وولّى نوح وأتبعه طرخون ، فطعن فرس نوح في خاصرته فشرب ، فسقط نوح والفرس في نهر الصغانيان ، ورجع طرخون وسيفه يسقط دماً ، حتى دخل السرداق وعلى بن المهاجر معه ، ثم دخلا الفازة .

وقال طرخون للجواري : ارجعن ، فرجعن إلى السرداق ؛ وأرسل طرخون إلى موسى : كفف أصحابك ؟ فلما نزلنا إذا أصبحنا ، فرجع موسى إلى عسكره ، فلما أصبحوا ارتحل طرخون والعجم جميعاً ، فأتى كل قوم بلادهم . قال : وكان أهل خراسان يقولون : ما رأينا مثل موسى ابن عبد الله بن خازم ، ولا سمعنا به ، قاتل مع أبيه سنتين ، ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملكاً فغلبه على مدينته وأخرجته منها ، ثم سارت إليه الجند من العرب والترك فكان يقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار ، وأقام في حصنه خمس عشرة سنة ، وصار ما وراء النهر لموسى ، لا يعاذه فيه أحد .

١١٦١/٢

قال : وكان بقوميس رجل يقال له عبد الله ، يجتمع إليه فتيان يتنادمون عنده في مؤونته ونفقتة ، فلزمه دين ، فأتى موسى بن عبد الله ، فأعطاه أربعة آلاف ، فأتى بها أصحابه ، فقال الشاعر يعاتب رجلاً يقال له موسى :

فما أنت موسى إذ يناجى إلهه ولا واهب القينات موسى بن خازم
قال : فلما عزل يزيد وولّى المفضل خراسان أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله ، فأخرج عثمان بن مسعود - وكان يزيد حبسه - فقال : إني أريد أن أوجهك إلى موسى بن عبد الله ، فقال : والله لقد وترتني ، وإني لثائر بابن عمي ^(١) ثابت وبالحجازي ، وما يد أبليك

وأخيك عندي وعند أهل بيتي بالحسنة ، لقد حبستموني وشردتم بني عمي ، واصطفيتهم أموالهم . فقال له المفضل : دَعْ هذا عنك ، وسِرْ فأدرك بئارك ، فوجهه في ثلاثة آلاف ، وقال له : مُرْ منادياً فليُناد : مَنْ لحق بنا فله ديوان ، فنادى بذلك في السوق ، فسارع إليه الناس . وكتب المفضل إلى مدرك وهو بسلخ أن يسير معه ، فخرج ، فلما كان ببليخ خرج ليلة يطوف في العسكر ، فسمع رجلاً يقول : قتلته والله ، فرجع إلى أصحابه ، فقال : قتلْتُ موسى ورب الكعبة !

١١٦٢/٢

قال : فأصبح فسار من بليخ وخرج مدرك معه مُستاقلاً ، فقطع النهر فنزل جزيرةً بالترمذ يقال لها اليوم جزيرة عثمان — لنزول عثمان بها في خمسة عشر ألفاً — وكتب إلى السبيل وإلى طرخون فقدّموا عليه ، فحصرُوا موسى ، فضيقوا عليه وعلى أصحابه ، فخرج موسى ليلاً فأتى كفتان ، فامتار منها ، ثم رجع فمكث شهرين في ضيق ، وقد خشد عثمان وحذر البيئات ، فلم يتقدّر موسى منه على غيرة ، فقال لأصحابه : حتى متى ! اخرجوا بنا فاجعلوا يومكم ؛ إما ظفرتُم وإما قُتِلتم . وقال لهم : اقصدوا للصغد والترك ، فخرج وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة ، وقال له : إن قُتِلْتُ فلا تدفن المدينة إلى عثمان ، وادفعها إلى مدرك بن المهلب . وخرج فصير ثلث أصحابه بإزاء عثمان وقال : لا تهايجوه إلا أن يقاتلكم ، وقصد لطرخون وأصحابه ، فصدهقهم ، فانهزم طرخون والترك ، وأخذوا عسكرهم فجعلوا ينقلونه ، ونظر معاوية بن خالد بن أبي برزة إلى عثمان وهو على بردون لخالد بن أبي برزة الأسلمي ، فقال : انزل أيها الأمير ، فقال خالد : لا تنزل فإن معاوية مشوم . وكرت الصغد والترك^(١) راجعةً ، فحالوا بين موسى وبين الحصن ، فقَاتلهم ، فعقير به فسقط ، فقال لمولى له : احملي ، فقال : الموتُ كبريه ، ولكن ارتدِف ، فإن نجونا نجونا جميعاً ، وإن هلكنا هلكنا جميعاً . قال : فارتدِف ، فنظر إليه عثمان حين وُثِب فقال : وثبةُ موسى ورب الكعبة ! وعليه مغفر له مؤشّي بخز أحمر

١١٦٣/٢

في أعلاه^(١) يا قوتة اسما نَجْوَنيَّةً ، فخرج من الخندق فكششوا أصحاب موسى .
فقصده لموسى ، وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه ، فابتدروا فأنطوا
عليه فقتلوه ، ونادى منادى عثمان : لا تقتلوا أحداً ، من لقيتموه فخذوه
أسيراً .

قال : فتفرق أصحاب موسى ، وأسیر منهم قومٌ ، فعرضوا على عثمان ،
فكان إذا أتى بأسير من العرب قال : دماؤنا لكم حلال ، ودماؤكم علينا
حرام ! ويأمر بقتله ، وإذا أتى بأسير من الموالى شتمه ، وقال : هذه العرب
تقاتلني ، فهلاً غضبت لي ! فيأمر به فيشده . وكان فظاً غليظاً ، فلم
يسلم عليه يومئذ أسيراً إلا عبد الله بن بُدَيْل بن عبد الله بن بُدَيْل بن
ورقاء ؛ فإنه كان مولاه ، فلما نظر إليه أعرض عنه وأشار بيده أن يخلوا عنه ،
ورقبة بن الحر لما أتى به نظر إليه وقال : ما كان من هذا إلينا كبير ذنب ،
وكان صديقاً لثابت ، وكان مع قوم فتوى لهم ، والعجب كيف أسرتموه !
قالوا : طعن فرسه فسقط عنه في وهدة فأسير ؛ فأطلقه وحملته ، وقال
لخالد بن أبي برزة : ليكن عندك . قال : وكان الذي أجهز على موسى
ابن عبد الله وأصيل بن طيسلة العنبري .

ونظر يومئذ عثمان إلى زُرعة بن علقمة السلمي والحجاج بن مروان
وسنان الأعرابي ناحية فقال : لكم الأمان ، فظن الناس أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه .
قال : وبقيت المدينة في يدى النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم ، فقال :
١١٦٤/٢ لا أدفعها إلى عثمان ، ولكني أدفعها إلى مُدرك ، فدفعها إليه وأمنه ، فدفعها
مُدرك إلى عثمان . وكتب المفضل بالفتوح إلى الحجاج ، فقال الحجاج : العجب
من ابن بهلة ! أمره بقتل ابن سمرة فيكتب إلى أنه لما به ويكتب إلى : إنه
قتل موسى بن عبد الله بن خازم ؛ قال : وقتل موسى سنة خمس وثمانين ،
فذكر البحرى أن مغراء بن المغيرة بن أبي صفرة قتل موسى فقال :

وقد عركت بالثرمد الخيل خازماً ونوحاً وموسى عركة بالكلاكل

قال : فضرب رجل من الجند ساقَ موسى ، فلما ولّى قتيبة أخبِر عنه فقال :
ما دعاك إلى ما صنعتَ بقتى العرب بعد موته ! قال : كان قَتَلَ أخى ،
فأمَرَ به قُتِيبة فقتل بين يديه .

* * *

[عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز]

وفي هذه السنة أراد عبدُ الملك بنُ مروانَ خلعَ أخيه عبدِ العزيز بنِ
مروان .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه :

ذكرَ الواقدي أن عبدَ الملك همَّ بذلك ، فنَهَاه عنه قبيصةُ بنُ ذؤيب ،
وقال : لا تفعلْ هذا ، فإنك باعْتَ على نفسك صوتَ نَعَارٍ ، ولعلَّ الموتَ
يأتيه فتستريحُ منه ! فكفَّ عبدُ الملك عن ذلك ونفسه تُنازِعُه إلى أن يخلعه .
ودخل عليه رَوْح بنُ زِنْبَاع الجُدَامِي - وكان أجلَّ الناسِ عندَ عبدِ الملك -
فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لو خلعتَه ما انتطَطح فيه عُنْزَان ، فقال : ترى
ذلك يا أبا زُرْعَة ؟ قال : إى والله ، وأنا أولُ من يُجيبُكَ إلى ذلك ؛ فقال :
نَصِيحٌ^(١) إن شاء الله . قال : فبينما هو على ذلك وقد نامَ عبدُ الملك ورَوْح
ابنُ زِنْبَاع إذ دخل عليهما قبيصةُ بنُ ذؤيب طرِوقاً ، وكان عبدُ الملك قد
تقدّم إلى حُجَّابِه فقال : لا يُحجب عني قبيصةُ أى ساعة جاءَ من ليل أو نهار ،
إذا كنتَ خالياً أو عندى رجل واحد ، وإن كنتَ عند النساءِ أدخلِ المجلسَ
وأعلِمتُ بمكانه فدخلَ ، وكان الخاتَمُ إليه ، وكانت السكّةُ إليه ، تأتيه الأخبارُ
قبل عبدِ الملك ، ويقرأ الكتبَ قبله ، ويأتى بالكتاب إلى عبدِ الملك مَسْشُوراً
فيقرؤه ، أعظماً لقبيصة - فدخل عليه فسلم عليه وقال : أجرك الله يا أميرَ المؤمنين
فى أخيك عبدِ العزيز ! قال : وهل تُوفى ؟ قال : نعم ، فاسترجع
عبدُ الملك ، ثمَّ أقبلَ على رَوْح فقال : كفانا الله أبا زُرْعَة ما كنّا نريد
وما أجمَعُنّا عليه ، وكان ذلك مخالفاً لك يا أبا إسحاق ، فقال قبيصة :
ما هو ؟ فأخبره بما كان ؛ فقال قبيصة : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ الرأى كله

١١٦٥/٢

(١) ابن الأثير : « عار » . (٢) ابن الأثير : « نصيح » .

في الأناة، والعجلة فيها ما فيها ، فقال عبدُ الملك : ربما كان في العَجَلَة خَيْرٌ كثير ، رأيتَ أمرَ عمرو بنِ سعيد ، ألم تكن العَجَلَة فيه خيراً من التأني !

* * *

[خبر موت عبد العزيز بن مروان]

وفي هذه السنة تُوَفِّيَ عبدُ العزيز بنُ مروانَ بمصرَ في جُمادى الأولى ، فضمَّ عبد الملكَ حملَه إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وولَّاه مصرَ .

١١٦٦/٢

وأما المدائني فإنه قال في ذلك ما حدثنا به أبو زيد عنه ، أن الحجاجَ كَتَبَ إلى عبد الملك يزيِّن لهبيعةَ الوليد ، وأوفدَ وفداً في ذلك عليهم عمرانُ ابن عِصامَ للعَسَزَى ، فقام عمرانُ خطيباً ، فتكلَّم وتكلَّم الوفد وحشوا عبد الملك ، وسألوه ذلك ، فقال عمران بنُ عِصام :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نُهْدِي	عَلَى النَّأْيِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ ^(١)
أَجِبْنِي فِي بَنِيكَ يَكُنْ جَوَابِي	لَهُمْ عَادِيَّةٌ وَلَنَا قِوَامَا
فَلَوْ أَنَّ الْوَلِيدَ أَطَاعَ فِيهِ	جَعَلْتَ لَهُ الْخُلَافَةَ وَالذُّمَامَا ^(٢)
شَبِيهَكَ حَوْلَ قُبْتِهِ قَرِيشُ	بِهِ يَسْتَمِطِرُ النَّاسُ الْغَمَامَا
وَمِثْلِكَ فِي الثَّقَى لَمْ يَصْبُ يَوْمًا	لَدُنْ خَلَعَ الْقَلَائِدَ وَالتَّمَامَا
فَإِنْ تُؤَثِّرُ أَخَاكَ بِهَا فَإِنَّا	وَجَدَكَ لَا نَطِيقُ لَهَا اتِّهَامَا
وَلَكِنَّا نُحَازِرُ مِنْ بَنِيهِ	بَنَى الْعَلَاتِ مَأْذَرَةً سَمَامَا
وَنَخْشَى إِنْ جَعَلْتَ الْمُلْكَ فِيهِمْ	سَحَابًا أَنْ تَعُودَ لَهُمْ جَهَامَا
فَلَإِيكَ مَا حَلَبْتَ غَدًا لِقَوْمٍ	وَبَعْدَ غَدٍ بَنُوكَ هُمُ الْعِيَامَا
فَأَقْسِمُ لَوْ تَخَطَّأَنِي عِصَامُ	بِذَلِكَ مَا عَذَرْتُ بِهِ عِصَامَا
وَلَوْ أَنِّي حَبَوْتُ أَخَاكَ بِفَضْلٍ	أُرِيدُ بِهِ الْمَقَالَةَ وَالْمَقَامَا

(١) الأغاني ١٦ : ٥٨ (سأسى) وفيه : « على الشحط » .

(٢) الأغاني : « جعلت له الإمامة » .

١١٦٧/٢

لَعَقَبَ فِي بَنِيَّ عَلَى بَنِيهِ كَذَلِكَ أَوْ لَرُمْتُ لَهُ مَرَامًا^(١)
فَمَنْ يَكُ فِي أَقَارِبِهِ صُدُوع فَصَدْعُ الْمَلِكِ أَبْطُوهُ التَّثَامَا
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا عِمْرَانُ ، إِنَّهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، قَالَ : احْتَسِلْ لَهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ عَلَى : أَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ بَيْعَةَ الْوَلِيدِ قَبْلَ أَمْرِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، لِأَنَّ
الْحِجَّاجَ بَعَثَ فِي ذَلِكَ عِمْرَانَ بْنَ عَصَامٍ ، فَلَمَّا أَبَى عَبْدُ الْعَزِيزِ أَعْرَضَ عَبْدُ الْمَلِكِ
عَمَّا أَرَادَ حَتَّى مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلَعَ أَخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَيُبَايِعَ
لِابْنِهِ الْوَلِيدَ كَتَبَ إِلَى أَخِيهِ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَصِيرَ هَذَا الْأُمْرَ لِبْنِ أَخِيكَ ! فَأَبَى ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ : فَاجْعَلْهَا لِي مِنْ بَعْدِكَ ، فَإِنَّهُ أَعَزَّ الْخَلْقِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَكَتَبَ
إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ : إِنِّي أَرَى فِي أَبِي بَكْرٍ عَبْدَ الْعَزِيزِ مَا تَرَى فِي الْوَلِيدِ ،
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ قَطَعَنِي فَاقْطَعْنِي . فَكَتَبَ إِلَيْهِ
عَبْدُ الْمَلِكِ : احْمِلْ خَرَجَ مَصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي
وَلِيَّائِكَ قَدْ بَلَغْنَا سِنًا لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَّا كَانَ بَقَاؤُهُ قَلِيلًا ،
وَلِيَّيْ لَا أَدْرَى وَلَا تَنْدَرِي^(٢) أَيُّنَا يَأْتِيهِ الْمَوْتُ أَوَّلًا ! فَإِنْ رَأَيْتَ أَلَّا تَغْثُثَ^(٣) عَلَى
بَقِيَّةِ عَمْرِي فَافْعَلْ .

١١٦٨/٢

فَرَّقَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ : لَعَمْرِي لَا أَغْثُثُ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ عُمْرِهِ ، وَقَالَ
لِابْنَتِهِ : إِنْ يَرُدَّ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيَكُمْوهَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ عَلَى رَدِّ ذَلِكَ .
وَقَالَ لِابْنَتِهِ : الْوَلِيدُ وَسْلِيمَانٌ : هَلْ قَارَفْتُمَا حَرَامًا قَطْ ؟ قَالَا : لَا وَاللَّهِ ،
قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، نِلْتُمَاهَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ !

قَالَ : فَلَمَّا أَبَى عَبْدُ الْعَزِيزِ أَنْ يُجِيبَ عَبْدَ الْمَلِكِ إِلَى مَا أَرَادَ ، قَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ قَدْ قَطَعَنِي فَاقْطَعْنِي ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ أَهْلُ
الشَّامِ : رَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَهُ ، فَدَعَا عَلَيْهِ ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ .

قَالَ : وَكَتَبَ الْحِجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَشِيرُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَكْتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ
الْأَنْصَارِيَّ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنْ أَرَدْتَ رَجُلًا مُؤْمِنًا فَاضْلًا عَاقِلًا وَدِيْعًا مُسْلِمًا

(١) ب : « أَوْ لَزِمْتُ » . (٢) ب : « وَلَا أَرَى » . (٣) لَا تَغْثُثُ عَلَى ، أَيْ لَا تَفْسُدُ .

كَتَبُوا تَتَّخِذْهُ لِنَفْسِكَ، وَتَضَعْ عِنْدَهُ سِرَّكَ، وَمَا لَا تَحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ، فَاتَّخِذْ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ : اَحْمِلْهُ إِلَى . فَحَسَمَلَهُ ، فَاتَّخِذْهُ عَبْدُ الْمَلِكِ كَاتِبًا . قَالَ مُحَمَّدٌ : فَلَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِ كِتَابٌ إِلَّا دَفَعَهُ إِلَيَّ ، وَلَا يَسْتَرُ شَيْئًا إِلَّا أَخْبَرَنِي بِهِ وَكَتَبَهُ النَّاسَ ، وَلَا يَكْتُبُ إِلَى عَامِلٍ مِنْ عَمَالِهِ إِلَّا أَعْلَمَنِيهِ ، فَلَئِنْ جُلُوسٌ يَوْمًا نِصْفَ النَّهَارِ إِذَا بِبَرِيدٍ قَدْ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ ، فَقَالَ : الْإِذْنَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قُلْتُ : لَيْسَتْ هَذِهِ سَاعَةٌ لِذَنْ ، فَأَعْلَمَنِي مَا قَدْ قَدِمَتْ لَهُ ، قَالَ : لَا . قُلْتُ : فَإِنْ كَانَ مَعَكَ كِتَابٌ فَادْفَعْهُ إِلَيَّ . قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَبْلَغَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَخَرَجَ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قُلْتُ : رَسُولٌ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ ، قَالَ : فَخُذْ الْكِتَابَ ، قُلْتُ : زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ كِتَابٌ ، قَالَ : فَسَلِّهُ عَمَّا قَدِمَ لَهُ ، قُلْتُ : قَدْ سَأَلْتُهُ فَلَمْ يُخْبِرْنِي ، قَالَ أَدْخِلْهُ ، فَأَدْخَلْتُهُ ، فَقَالَ : آجَرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ ! فَاسْتَرْجِعْ وَبِسْكَتَى وَوَجَّهْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ ! مَضَى وَاللَّهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ لَشَأْنِهِ ، وَتَرَكْنَاهُ وَمَا نَحْنُ فِيهِ ، ثُمَّ بَكَى النِّسَاءُ وَأَهْلُ الدَّارِ ، ثُمَّ دَعَانِي مِنْ غَدٍّ ، فَقَالَ : إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَلَا بَدْءَ لِلنَّاسِ مِنْ عِلْمِهِ وَقَائِمٌ يَقُومُ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي ، فَمَنْ تَرَى ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَيِّدَ النَّاسِ وَأَرْضَاهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : صَدَقْتَ وَفَقَلْتُكَ اللَّهُ ! فَمَنْ تَرَى أَنْ يَكُونَ بَعْدَهُ ^(١) ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْنَ تَسْعُدُهَا عَنْ سُلَيْمَانَ فَتَتَى الْعَرَبَ ! قَالَ : وَفَقْتُ ، أَمَا إِنَّا لَوُتْرَكْنَا الْوَلِيدَ وَإِيَّاهَا لَجَعَلْنَاهَا لِبْنِيهِ ، اكِتُبْ عَهْدًا لِلْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَكُتِبَتْ بَيْعَةُ الْوَلِيدِ ثُمَّ سُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ . فَغَضِبَ عَلَى الْوَلِيدِ فَلَمْ يُؤَلِّنِي شَيْئًا حِينَ أَشْرْتُ بِسُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ .

قَالَ عَلِيٌّ ، عَنْ ابْنِ جُعْدَةَ ^(٢) : كُتِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِيِّ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ لِبَيْعَةِ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ ، فَبَايعُوا غَيْرَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، فَإِنَّهُ أَبِي ، وَقَالَ : لَا أَبَايَعُ وَعَبْدَ الْمَلِكِ حَتَّى ؛ فَضَرَبَهُ هِشَامُ ضَرْبًا

(١) ب : « ثم من » ، ر : « ثم قال من » .

(٢) ب : « ابن جملة » . ر : « عن أبي جمدة » .

مُبْرَحًا وَأَلْبَسَهُ الْمُسُوحَ ، وَسَرَّحَهُ إِلَى ذَبَابٍ - ثَنِيَّةٍ بِالْمَدِينَةِ كَانُوا يُقْتَلُونَ عِنْدَهَا وَيُصَلَّبُونَ فَظَنَّ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ رَدَّوهُ ، فَقَالَ : لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَا يَصْلُبُونِي مَا لَبَسْتُ سُرَاوِيلَ مُسُوحٍ ، وَلَكِنْ قُلْتُ : يَصْلُبُونِي فَيَسْتَرْنِي . وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْخَبْرُ ، فَقَالَ : قَبِحَ اللَّهُ هَشَامًا ! إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَإِنْ أُنِيَ يَضْرِبُ عُنُقَهُ ، أَوْ يَكْفُ عَنْهُ .

١١٧٠/٢

* * *

[بَيْعَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِابْنَيْهِ : الْوَلِيدِ ثُمَّ سُلَيْمَانَ]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَايَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنَيْهِ : الْوَلِيدَ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِسُلَيْمَانَ ، وَجَعَلَهُمَا وَلِيَّيْنِ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُتِبَ بِبَيْعَتِهِ لِهَمَا إِلَى الْبُلْدَانِ ، فَبَايَعَ النَّاسُ ، وَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، فَضْرَبَهُ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ - وَهُوَ عَامِلُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ - وَطَافَ بِهِ وَحَبَسَهُ ، فَكُتِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هَشَامٍ يُلَوِّمُهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَالَ ضَرْبَهُ سَتِينَ سَوَاطٍ ، وَطَافَ بِهِ فِي ثُبَّانٍ ^(١) شَعَرَ حَتَّى بَلَغَ بِهِ رَأْسَ الثَّنِيَّةِ .

وَأَمَّا الْحَارِثُ فَإِنَّهُ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو الْوَاقِدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا : اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفِ الزَّهْرِيِّ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : لَا ، حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَضْرَبَهُ سَتِينَ سَوَاطٍ ، فَتَلَبَّغَ ذَلِكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ إِلَى جَابِرٍ يُلَوِّمُهُ ، وَقَالَ : مَا لَنَا وَلِسَعِيدٍ ، دَعَا !

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرِو أَخْبَرَهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ عَبْدِ الْعَزِيزَ بْنَ مَرْوَانَ تَوَفَّى بِمَحْصَرٍ فِي جُمَادَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، فَعَقَّدَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنَيْهِ الْوَلِيدَ وَسُلَيْمَانَ الْعَهْدَ ، وَكُتِبَ بِالْبَيْعَةِ لِهَمَا إِلَى الْبُلْدَانِ ، وَعَامِلُهُ يَوْمَئِذٍ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِجِيُّ ،

١١٧١/٢

(١) الثَّبَّانُ : سُرَاوِيلٌ صَغِيرٌ يَسْتُرُ الْعُورَةَ .

فدعا الناس إلى البَيْعَة ، فبايَعَ الناسُ ، ودعا سعيد بن المسيَّب أن يبايع
لهما ، فأبى وقال : لا حتى أنظر ، فضربَه هشام بن إسماعيل سَتِينَ سَوَاطًا ،
وطاف به في تَبَّانٍ شَعَرٍ حتى بلغ به رأسَ الثَّنيَّةِ ، فلما كروا به قال : أين
تَسْكُرُونَ^(١) بى ؟ قالوا : إلى السَّجْنِ ؛ قال : والله لولا أنى^(٢) ، ظننتُ أنه
الصَّلْبُ لما لَبِستُ هذا التَّبَّانَ أبدًا. فردّه^(٣) إلى السَّجْنِ ، وحَبَسَه^(٤) وكتبَ
إلى عبد الملك يُخْبِرُه بِخِلافه^(٥) ، وما كان من أمره ، فكتب إليه عبدُ الملك
يُسلِّمُه فيما صَنَعَ ويقول : سعيدٌ والله كان أَحْوَجَ أن تَصِلَ رحمته من أن
تَضْرِبَه ، وإنا لنعلم ما عنده من شِقَاقٍ ولا خِلاف .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بن إسماعيل الخزومي ، كذلك حدثنا
أحمدُ بنُ ثابتٍ عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحمَّان بن يوسف .

(١) ر : « تكرر » . (٢) ب : « إننى » .

(٣) ب : « فردّه » . (٤) ب : « فحبسه » .

(٥) ب : « بخبر خلافته » .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر وفاة عبد الملك بن مروان]

فمما كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان، وكان مهلكه في النصف من شوال منها . حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال : توفي عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين^(١)، فكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر^(٢).

وأما الحارث فإنه حدثني عن ابن سعد، عن محمد بن عمر، قال : حدثني شريحيل بن أبي عوف، عن أبيه، قال : أجمع^(٣) الناس على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين .

قال ابن عمر : وحدثني أبو معشر نجيع، قال : مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين، فكانت^(٤) ولايته منذ^(٥) يوم بؤيع إلى يوم توفى إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً، كان^(٦) تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير، ويسلم عليه بالخلافة بالشأم، ثم بالعراق بعد مقتل مصعب، وبقى بعد مقتل عبد الله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال .

وأما علي بن محمد المدائني، فإنه - فيما حدثنا أبو يزيد عنه - قال : مات عبد الملك سنة ست وثمانين بدمشق، وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً .

(١) بعدها في س : « بدمشق » . (٢) بعدها في س : « وذلك بعد موت ابن الزبير » .

(٣) ب : « اجتمع » . (٤) ب : « وكانت » .

(٥) ب : « من يوم بؤيع » . (٦) ب : « وكان » .

ذكر الخبر عن مبلغ سنّهُ يومَ توفّي

اختلف أهلُ السِّيَر في ذلك، فقال أبو معشر فيه — ما حدثني الحارثُ عن ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بنُ عمر، قال: حدثني أبو معشر نَجِيج. قال: مات عبدُ الملك بنُ مروانَ وله ستون سنة. قال الواقدي: وقد روي لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة. قال: والأول أثبت. وهو على مولده، قال: وولد سنة ست وعشرين في خلافة عثمان ابن عفّان رضى الله عنه، وشهيد يوم الدار مع أبيه وهو ابنُ عشر سنين. وقال المدائني على بن محمد — فيما ذكر، أبو زيد عنه: مات عبدُ الملك وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنة.

ذكر نسبه وكنيته

أمّا نسبه، فإنه عبدُ الملك بنُ مروانَ بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة ابن عبد شمس بن عبد مناف. وأمّا كنيته فأبو الوليد. وأمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة، وله يقول ابن قيس الرقيّات:

أَنْتَ ابْنُ عَائِشَةَ الَّتِي فَضَلْتَ أَرْوَمَ نَسَائِهَا^(١)
لَمْ تَلْتَفِتْ لِلِدَانِهَا وَمَضَتْ عَلَى غُلُوثِهَا

* * *

ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر — درج^(٢) — وعائشة؛ أمّهم ولادة بنت العباس بن جَزء بن الحارث بن زهير بن جندبمة بن رَوَاحَة بن

(٢) درج، أي مات صغيراً.

(١) ديوانه ١١٧.

ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيْبَة بن عَبْس بن بَخِيض .
 ويزيد ، ومروان ، ومعاوية — درَج — وأمّ كلثوم ، وأمّهم عائكة بنت
 يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
 وهشام ، وأمّه أمّ هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن
 المغيرة المخزومي . وقال المدائني : اسمها عائشة بنت هشام .
 وأبو بكر ، واسمُه بكار ، أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله ،
 والحكم — درَج — أمّه أمّ أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان .
 وفاطمة بنت عبد الملك ، أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص
 ابن هشام بن المغيرة .
 وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنيسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج ؛ لأمهات
 أولاد .

* * *

قال المدائني : وكان له من النساء — سوى من ذكرنا — شقراء بنت سلمة
 ابن حلبس الطائي ، وابنة لعل بن أبي طالب عليه السلام ، وأمّ أبيها بنت
 عبد الله بن جعفر .

وذكر المدائني ، عن عوانة وغيره أن سلمة بن زيد بن وهب بن ثباتة
 الفهمي دخل على عبد الملك فقال له : أيّ الزمان أدركت أفضل ؟ وأيّ
 الملوك أكمل ؟ قال : أما الملوك فلم أرَ إلاّ ذاماً وحامداً ؛ وأما الزمان فيترفع
 أقواماً ويضع أقواماً ، وكلهم يندّم زمانه لأنه يُبلى جديدهم ، ويُسهرم صغيرهم ،
 وكلّ ما فيه منقطع غير الأمل ؛ قال : فأخبرني عن فهمهم ، قال : هم
 كما قال من قال :

١١٧٥/٢

درَج الليل والنهارُ على فه
 وَخَلَّتْ دَارُهُمْ فَأَضَحَتْ يَبَاباً
 مَـ بن عمرو فَأَصْبَحُوا كَالرَّمِيمِ
 بَعْدَ عَزٍّ وَثَرَوَةٍ وَنَعِيمِ
 سَ وَتَبَقَّى دِيَارُهُمْ كَالرُّسُومِ
 كَذَلِكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بَالِنَا

قال : فمن يقول منكم ^(١) :

رَأَيْتُ النَّاسَ مَذْخُلُقُوا وَكَانُوا يُحِبُّونَ الْغَنَىَّ مِنَ الرِّجَالِ
وَإِنْ كَانَ الْغَنَىُّ قَلِيلَ خَيْرٍ بَخِيلًا بِالْقَلِيلِ مِنَ النِّوَالِ
فَمَا أَذْرَى عَلَامَ وَفِيمَ هَذَا وَمَاذَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْبِخَالِ ^(٢) !
أَلِدُنْيَا ؟ فَلَيْسَ هُنَاكَ دُنْيَا وَلَا يُرْجَى لِحَادَثَةِ اللَّيَالِي

قال : أنا .

قال عليّ : قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْيَظٍ
لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :

نَبِّئْتُ أَنَّ أَبْنَ الْقَلَمْسِ عَابَنِي وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الصَّحِيحُ الْمُسْلِمُ ^(٣) !
فَأَبْصَرَ سُبُلَ الرُّشْدِ سَيِّدُ قَوْمِهِ وَقَدْ يُبْصِرُ الرُّشْدَ الرَّئِيسُ الْمَعْمُومُ
فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ هَا خَبَرُونَا مَنْ أَنْتُمْ ؟ وَقَدْ جَعَلْتَ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ مِثْلَنَا يَقَالُ لَهُ : مَنْ أَنْتُمْ ! أَمَا
وَاللَّهِ لَوْلَا مَا تَعَلَّمْتُ لَقُلْتُ قَوْلًا أَحْقَمُ بِأَصْلِكُمُ الْخَبِيثَ ، وَلَضَرَبْتُكَ حَتَّى
تَمُوتَ .

وقال عبدُ الله بنُ الْحَجَّاجِ الثُّعْلُبِيُّ لِعَبْدِ الْمَلِكِ :

يَا بْنَ أَبِي الْعَاصِ وَيَا خَيْرَ فَتَى أَنْتَ سِدَادُ الدِّينِ إِنْ دِينَ وَهَى ^(٤)
أَنْتَ الَّذِي لَا يَجْعَلُ الْأَمْرَ سُدَى جِيئَتْ قَرِيشٌ عَنْكُمْ جَوْبَ الرَّحَى
إِنَّ أَبَا الْعَاصِي وَفِي ذَاكَ أَعْتَصَى أَوْصَى بَنِيهِ فَوَعَوْا عَنْهُ الْوَصَى
إِنْ يَسْعَرُوا الْحَرْبَ وَيَأْبُوا مَا أَبِي الطَّاعِنِينَ فِي النُّحُورِ وَالْكُلَى
شَزْرًا وَوَضَلًا لِلسُّيُوفِ بِالْخُطَا إِلَى الْقِتَالِ فَحَوُوا مَا قَدْ حَوَى

(١) ب : « فيكم » . (٢) البخال : جمع بخيل ، مثل كريم وكرام .

(٣) الأغاني ١ : ٣٤ ، والقلمس : الرجل الداهية . (٤) الأغاني ١٣ : ١٦٩ ، مع

اختلاف في الرواية .

وقال أعشى بنى شَيْبَان :

عرفتُ قَرِيْشُ كُلُّهَا لِبَنِي أَبِي العاصِ الإمارة
لأَبْرُهَا وَأَحَقُّهَا عند المَشُورَةِ بالإِشارة
المانعين لِمَا وَلُوا والنافعين ذَوِي الضَّرارة
وَهُمْ أَحَقُّهُمْ بِهَا عند الحلاوة والمرارة

وقال عبد الملك : ما أعلم مكانَ أحدٍ أقوى على هذا الأمر مني ، وإنَّ
ابنَ الزَّبير لطويلُ الصَّلَاة ، كثيرُ الصِّيَام ، ولكنَّ لبخله لا يَصْلُح أن
يكون سائسًا .

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة بُويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فسُدَّ كِرْأُهُ لما دَفِنَ أباه وانصرف عن قَبْرِهِ، دَخَلَ المسجد فصعد المنبرَ، واجتَمَعَ إليه الناسُ، فَخَطَبَ فقال : إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! واللهُ المستعان على مصيبتنا بموتِ أميرِ المؤمنين، والحمدُ لله على ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا من الخلافة . قَوْمُوا فَبَايَعُوا . فكان أولُ مَنْ قامَ لِبَيْعَتِهِ عبدُ الله بن هَمَّام السَّلُولِيّ، فإنه قام وهو يقول :

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا وقد أَرَادَ الْمُحَدِّثُونَ عَوَاقِبَهَا
عَنْكَ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا سَوْفَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلَّدُوكَ طَوَاقِبَهَا
فَبَايَعَهُ ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى الْبَيْعَةِ .

١١٧٨/٢

وأما الواقدي فإنه ذَكَرَ أَنَّ الوليدَ لما رَجَعَ من دَفْنِ أَبِيهِ، ودَفِنَ خَارِجَ بابِ الجابية ، لم يَدْخُلْ مَنْزِلَهُ حَتَّى صَعَدَ عَلَى مِنبَرٍ دِمَشْقَ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثُمَّ قَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَ اللَّهُ ، وَلَا مُؤَخَّرَ لِمَا قَدَّمَ اللَّهُ ، وقد كَانَ من قَضَاءِ اللَّهِ وَسَابِقِ عِلْمِهِ وَمَا كَتَبَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَحَمَلَةِ عَرْشِهِ الْمَوْتُ . وقد صَارَ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ وَلِيَ هَذِهِ الْأُمَّةَ الَّذِي يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنَ الشَّدَةِ عَلَى الْمُرِيبِ، وَالَّذِينَ لِأَهْلِ الْحَقِّ وَالْفَضْلِ، وَإِقَامَةِ مَا أَقَامَ اللَّهُ مِنْ مَسَارِ الْإِسْلَامِ وَأَعْلَامِهِ؛ مِنْ حَسَجِ هَذَا الْبَيْتِ ، وَغَزْوِ هَذِهِ الثُّغُورِ ، وَشَنْ هَذِهِ الْغَارَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ ، فلم يكن عاجزاً ولا مُفْرِطاً . أَيُّهَا النَّاسُ ، عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَرْدِ . أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ أَبْدَى لَنَا ذَاتَ نَفْسِهِ ضَرْبَنَا الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ ، وَمَنْ سَكَتَ مَاتَ بِدَأْتِهِ .
ثُمَّ نَزَلَ ، فَتَنَظَّرَ إِلَى مَا كَانَ مِنْ دَوَابِّ الْخِلَافَةِ فَحَازَهُ ، وَكَانَ جِبَاراً عَنِيداً .

[ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج]

وفي هذه السنة قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج ، فذكر علي بن محمد أن كليب بن خلعف ، أخبره عن طفيل ابن مرداس العمي^(١) والحسن بن رشيد ، عن سليمان بن كثير العمي ، قال : أخبرني عمي قال : رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان في سنة ست وثمانين ، فقدم والمفضل يعرض الجند ، وهو يريد أن يغزو آخرون وشومان ، فخطب الناس قتيبة ، وحثهم على الجهاد ، وقال :

إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ، ويدب بكم عن الحرمات ، ويزيد بكم المال استفاضة ، والعدو وقماً^(٢) ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق ، وكتاب ناطق ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(٣) . ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب ، وأعظم الذخر عنده فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤) . ثم أخبر عن قتيل في سبيله أنه حتى مرزوق ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٥) . فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأقصى ألم ، وإيتاي والهويني .

* * *

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة

ثم عارض قتيبة الجند في السلاح والكراع ، وسار واستخلف بمرو على حربها إياس بن عبد الله بن عمرو ، وعلى الخراج عثمان بن السعدي^(٦) ، فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلسخ وبعض عظمائهم فساروا معه ، فلما قطع النهر تلقاه نيش^(٧) الأعور ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من

(١) ب : « العمي » . (٢) الوقم : الذل . (٣) سورة الصف : ٩ .

(٤) سورة التوبة : ١٢٠ ، ١٢١ . (٥) سورة آل عمران : ١٦٩ .

(٦) ابن الأثير : « عثمان السعدي » . (٧) ط : « بيش » .

ذهب ، فدعاه إلى بلاده ، فأثابه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ، ودعاه إلى بلاده ، فمضى مع بيش إلى الصغانيان ، فسلم إليه بلاده ، وكان ملك أخرون وشومان قد أساء بجوار تيش وغزاه وضيّق عليه ، فسار قتيبة إلى أخرون وشومان - وهما من طخارستان ، فجاءه غشتاسبان^(١) فصالحه على فدية أداها إليه ، فقبلها قتيبة ورضى ، ثم انصرف إلى مرو ، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ، وتقدم جنده فسبقهم إلى مرو ، وفتح صالح بعد رجوع قتيبة بأسارا ، وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ ، فوهب له قرية تدعى تنجانه ، ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ .

قال : وأما الباهليّون فيقولون : قدّم قتيبة خراسان سنة خمس وثمانين فعرض الجند ، فكان جميع ما أحصوا من الدروع في جند خراسان ثلثمائة وخمسين درعاً ، فغزا أخرون وشومان ، ثم قفل فركب السفن فانحدَرَ إلى أمل ، وختلف الجند ، فأخذوا طريق بلسخ إلى مرو ، وبلغ الحجاج ، فكتب إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند ، وكتب إليه : إذا غزت فكن في مقدّم الناس ، وإذا قفلت فكن في أخرياتهم وساقبتهم .

وقد قيل : إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر في هذه السنة على بلسخ ، لأن بعضها كان منتقضا عليه ، وقد ناصب المسلمين ، فحارب أهلها ، فكان من سبى امرأة برمك ، أبي خالد بن برمك - وكان برمك على النوبهار - فصارت لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير ، أخى قتيبة بن مسلم ، فوقع عليها ، وكان به شيء من الجذام . ثم إن أهل بلسخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة ، فأمر قتيبة برد السبى ، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم : يا تازى ، إني قد علفت منك . وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة ، فأوصى أن يلحق به ما في بطنها ، وردت إلى برمك ، فذكر أن ولد عبد الله بن مسلم جاءوا أيام المهدي حين قدّم الرى إلى خالد ، فادعوه ، فقال لهم مسلم بن قتيبة : إنه لا بد لكم إن

(١) ط : « غيلستان » .

استلحققتهموه ففعل من أن تزوجوه ، فتركوه وأعرضوا عن دعواهم .
وكان برمك طبيبا ، فداوى بعد ذلك مسلمة من علة كانت به .

* * *

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم .
وفيها حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب ، وعزل حبيب بن
المهلب عن كرمان ، وعبد الملك بن المهلب عن شرطته .

١١٨٢/٢

* * *

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزوي ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف . وعلى
الصلالة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل . وعلى الحرب بها من قبل
الحجاج زياد بن جرير بن عبد الله . وعلى البصرة أيوب بن الحكم . وعلى
خراسان قتيبة بن مسلم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزّل الوليدُ بنُ عبد الملك هشامَ بنَ إسماعيل عن المدينة ،
ووردَ عزله عنها - فيما ذكر - ليلة الأحد لسبع ليال خلّون من شهر
ربيع الأول سنة سبع وثمانين . وكانت إمرته ^(١) عليها أربع سنين غير شهر
أو نحوه .

* * *

[خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة]

وفي هذه السنة ولّى الوليدُ عمرَ بنَ عبد العزيز المدينة . قال الواقدي :
قدّمها والياً في شهر ربيع الأول ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وولد
سنة اثنتين وستين .

قال : وقدّم على ثلاثين بعيراً ، فتنزل دار مروان . قال : فحدثني
عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : لما قدّم عمر بن عبد العزيز
المدينة ونزل دار مروان دخل عليه الناس فسلموا ، فلما صلى الظهر دعا
عشرة من فقهاء المدينة : عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ،
وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة ^(٢) ، وسليمان بن
يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله
ابن عمرو ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زييد ، فدخلوا عليه
فجلسوا ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

إني إنما دعوتكم لأمرٍ توجرون عليه ، وتكونون فيه أعواناً على الحق ،
ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضّر منكم ، فإن رأيتم أحداً

(١) ساقطة من ب .

(٢) ط : « خيشمة » ، وانظر الفهرس .

يتعدى ، أو بلغتكم عن عامل لى ظلامه ، فأحرج الله على من بلغه ذلك إلا بلغنى .

فخرجوا يُجزونه خيراً ، وافترقوا .

قال : وكتب الوليدُ إلى عمرَ يأمره أن يقف هشامَ بنَ إسماعيلَ للناس ، وكان فيه سيئُ الرأي .

قال الواقدي : فحدثني داودُ بن جُبَيْر ، قال : أخبرتني أمّ ولد سعيد بن المسيّب أن سعيداً دعا ابنه ومواليه فقال : إن هذا الرجل يُوقف للناس - أو قد وقف - فلا يتعرض له أحدٌ ولا يؤذيه بكلمة ، فإننا سنترك ذلك لله وللرحيم ، فإن كان ما علمتُ لسيئُ النظر لنفسه ، فأما كلامه فلا أكلّمه أبداً .

قال : وحدثني محمد بنُ عبد الله بن محمد بن عمر ، عن أبيه ، قال : كان هشامُ بنُ إسماعيلَ يسيء جوارنا ويؤذي بنا ، ولقي منه على بنُ الحسين أذى شديداً ، فلما عزل أمر به الوليدُ أن يُوقف للناس ، فقال : ما أخاف إلا من عليّ بن الحسين . فمر به عليّ وقد وقف عند دار مروان ، وكان عليّ قد تقدّم إلى خاصته ألاّ يتعرض له أحد منهم بكلمة ؛ فلما مرّ ناداه هشامُ بنُ إسماعيلَ : الله أعلم حيث يعمل رسالاته .

١١٨٤/٢

* * *

[خبر صلح قتيبة ونيزك]

وفي هذه السنة قدّم نيزك على قتيبة ، وصالح قتيبة أهل بادغيس على ألاّ يدخلها قتيبة .

* ذكر الخبر عن ذلك :

* ذكر عليّ بن محمد أن أبا الحسن الجُشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان ، وجبله بن فروخ عن محمد بن المثنى ، أن نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين ، وكتب إليه قتيبة حين صالح مملوك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يُطلقهم ، ويهدده^(١) في كتابه ،

(١) ب : « وتهده » .

فخافه^(١) نيزك ، فأطلقت الأسرى ، وبعث بهم إلى قتيبة ، فوجه إليه قتيبة
سليماً الناصح مولى عبید الله بن أبي بكرة يدعو إلى الصلح وإلى أن يؤمنه ،
وكتب إليه كتاباً يحلف فيه بالله : لئن لم يقدم عليه ليغزوته ، ثم ليطلبته حيث
كان ، لا يطلع عنه حتى يتظفر به أو يموت قبل ذلك . فقدّم سليم على
نيزك بكتاب قتيبة — وكان يستنصحه — فقال له : يا سليم ، ما أظنّ عند صاحبك
خيراً ، كتّبت إلى كتاباً لا يُكتّبت إلى مثلي ! قال له سليم : يا أبا
الهيّاج ، إن هذا رجل شديد في سلطانه ، سهّل إذا سُوهِل ، صعب إذا
عُوسِر ، فلا يمنحك منه غلظة كتابه إليك ، فما أحسن حالك عنده وعند
جميع مُضَر ! فقدّم نيزك مع سليم على قتيبة ، فصالحه أهلُ باذغيس
في سنة سبع وثمانين على ألاّ يدخل باذغيس .

* * *

[خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم]

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، ومعه يزيد بن
جبّير ، فلحقى الروم في عدد كثير بسوسة من ناحية المصيصة .
قال الواقدي : فيها لاقى مسلمة ميموناً الجرّجمانى ومع مسلمة نحو
من ألف مقاتل من أهل أنطاكية عند طوّانة ، فقتل منهم بشراً كثيراً ،
وفتّح الله على يديه حصوناً .

وقيل : إن الذى غزاه الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ،
ففتّح الله على يديه حصن بولق وحصن الأخرم وحصن بولس وقمقم ،
وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل ، وسبى^(٢) ذراريهم ونساءهم .

* * *

[خبر غزو قتيبة بيكند]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بيكند .

* ذكر الخبر عن غزوته هذه :

١١٨٦/٢

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ أَبَا الذِّيَالِ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ إِيَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حُسَيْنٍ ^(١) بْنِ مُجَاهِدِ الرَّازِيِّ وَهَارُونَ بْنِ عَيْسَى، عَنْ يُونُسِ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقٍ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّ قُتَيْبَةَ لَمَّا صَالَحَ نِيزَكَ أَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْغَزْوِ، ثُمَّ غَزَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ - سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ - بِيكَنْدَ، فَسَارَ مِنْ مَرْوَ وَأَتَى مَرْوَ الرَّوْذَ، ثُمَّ أَتَى آمُلَ آثَمَ مَضَى إِلَى زَمٍّ فَقَطَعَ النِّهْرَ، وَسَارَ إِلَى بِيكَنْدَ - وَهِيَ أَدْنَى مَدَائِنِ بُخَارَى إِلَى النِّهْرِ، يُقَالُ لَهَا مَدِينَةُ التِّجَارِ عَلَى رَأْسِ الْمَفَازَةِ مِنْ بُخَارَى - فَلَمَّا نَزَلَ بَعَثُوا تَهْمَ اسْتَنْصَرُوا الصُّغُنْدَ، وَاسْتَمَدُّوا مَنْ حَوْلَهُمْ، فَأَتَوْهُمْ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَأَخَذُوا بِالطَّرِيقِ، فَلَمْ يَنْفِذْ لِقُتَيْبَةَ رَسُولٌ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ رَسُولٌ، وَلَمْ يَجِرْ لَهُ خَبَرٌ شَهْرَيْنِ، وَأَبْطَأَ خَبَرُهُ عَلَى الْحِجَّاجِ، فَأَشْفَقَ الْحِجَّاجُ عَلَى الْخُنْدِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالِدَّعَاءِ لَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمْصَارِ وَهُمْ يَتَقَتِّلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ.

قَالَ : وَكَانَ لِقُتَيْبَةَ عَيْنٌ يُقَالُ لَهُ تَنْذَرُ ^(٢) مِنَ الْعَجَمِ، فَأَعْطَاهُ أَهْلُ بُخَارَى الْأَعْلَى مَالًا عَلَى أَنْ يَتَفَشَّأَ عَنْهُمْ قُتَيْبَةَ؛ فَأَتَاهُ، فَقَالَ : أَخْلَنِي، فَتَهْتَضُّ النَّاسُ وَاحْتِسَبَسَ قُتَيْبَةُ ضِرَارَ بْنَ حَصِينِ الضَّبِّيِّ، فَقَالَ تَنْذَرُ : هَذَا عَامِلٌ يَتَقَدَّمُ عَلَيْكَ، وَقَدْ عَزَلَ الْحِجَّاجُ، فَلَوْ انصَرَفْتَ بِالنَّاسِ إِلَى مَرْوَ ! فَدَعَا قُتَيْبَةَ سَيَّاهَ مَوْلَاهُ، فَقَالَ : اضْرِبْ عُنُقَ تَنْذَرٍ، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَضِرَّارَ : لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَعْلَمُ هَذَا الْخَبَرَ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، وَإِنِّي ^(٣) أَعْطَى اللَّهَ عَهْدًا إِنْ ظَهَرَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى تَنْقُضِيَ حَرْبُنَا هَذِهِ لِأَلْحَقَنَّاكَ بِهِ، فَاْمْلِكْ لِسَانَكَ، فَإِنْ ائْتَشَرَ هَذَا الْحَدِيثُ يَتَفَتَّ فِي أَعْضَادِ النَّاسِ. ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ.

١١٨٧/٢

قَالَ : فَدَخَلُوا، فَارَاعَهُمْ قَتَلُ تَنْذَرٍ، فَوَجَسُوا وَأَطْرَقُوا، فَقَالَ قُتَيْبَةُ : مَا يَرَوِعُكُمْ مِنْ قَتْلِ عَبْدٍ أَحَاذَنَةِ اللَّهِ ! قَالُوا : إِنَّا كُنَّا نَظُنُّهُ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ، قَالَ : بَلْ كَانَ غَاشِيًا ^(٤) فَأَحَاذَنَةِ اللَّهِ بِذَنْبِهِ، فَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ، فَاغْدُوا عَلَى

(٢) ر : « تَنْذَرُ » .

(١) ب : « وَحَصِينِ » .

(٤) بعدها في ب : « لَمْ » .

(٣) ب : « فَإِنِّي » .

قتال عدوّكم ، والقوّهم بغير ما كنتم تسلقونهم به . فغدا الناس متأهّبين ، وأخذوا مصافّهم ، ومشّى قتيبة فحضر أهل الرايات ، فكانت بين الناس مشاورة^(١) ، ثم تراحقوا^(٢) ، وأخذت السيوف مأخذها ، وأنزل الله على المسلمين الصبر ، فقاتلوهم حتى زالت الشمس ، ثم منّح الله المسلمين أكتافهم ، فانهمزوا يريدون المدينة ، واتبعهم المسلمون فشغلوهم عن الدخول فنفروا ، وركبهم المسلمون قتيلاً وأسرّاً كيف شاءوا ، واعتصم من دخل المدينة بالمدينة ، وهم قليل ، فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليتهدمها ، فسأله الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم رجلاً من بني قتيبة .

وارتحل عنهم يريد الرجوع ، فلما سار مرحلة أوثنتين ، وكان منهم على خمسة فراسخ نفضوا وكفروا ، فقتلوا العامل وأصحابه ، وجدّعوا أنفسهم وأذانهم ، وبلغ قتيبة فرجع إليهم ، وقد تحصّنوا ، فقاتلهم شهراً ، ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها^(٣) بالخشب ، وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتهدم ، فسقط الحائط وهم يعلقونه ، فقتل أربعين من الفعلة ، فطلبوا الصلح ، فأبى وقاتلهم ، فظفر بهم عسوة ، فقتل من كان فيها من المقاتلة ، وكان فيمن أخذوا في المدينة رجُل أعور كان هو الذي استجاش التّرك على المسلمين ، فقال لقتيبة : أنا أفدي نفسي ، فقال له سلّم الناصح : ما تبدّل ؟ قال : خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف ، فقال قتيبة : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن فداءه زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كَيْد هذا ! قال : لا والله لا تُروّع بك مسلمة أبداً ، وأمر به فقتل .

قال عليّ : قال أبو الذّيال ، عن المهلب بن إياس ، عن أبيه والحسن ابن رُشيد ، عن طُغَيْل بن مِرْدَاس ، أن قتيبة لما فتح بيكنند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يُحصى ، فولى الغنائم والقسم عبد الله بن وألان العدويّ أحد بني مَلَكان - وكان قتيبة يسميه الأمين ابن الأمين - وإياس بن

(١) ب : « مساواة » . والمشاورة : القتال بالرمح . (٢) ب : « تراجعوا » .

(٣) ب : « فعلقها » .

بَيْتِهِسَ الْبَاهِلَى ، فَأَذَابَا الْآنِيَةَ وَالْأَصْنَامَ فَرَفَعَاهُ إِلَى قَتِيْبَةٍ ، وَرَفَعَا إِلَيْهِ خَبِيْثَ مَا أَذَابَا ، فَوَهَبَهُ لَهَا ، فَأَعْطِيَا بِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَأَعْلَمَاهُ فَرَجَعَ فِيهِ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَذِيْبَاهُ فَأَذَابَاهُ ، فَخَرَجَ مِنْهُ خَمْسُونَ وَمِائَةُ أَلْفٍ مِثْقَالٍ - أَوْ خَمْسُونَ أَلْفَ مِثْقَالٍ - وَأَصَابُوا فِي بَيْكَنْدَ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَصَارَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيْكَنْدَ شَيْءٌ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهُ بِخُرَاسَانَ . وَرَجَعَ قَتِيْبَةُ إِلَى مَرَوْ ، وَقَوِيَ الْمُسْلِمُونَ ، فَاشْتَرَوْا السِّلَاحَ وَالْخَيْلَ ، وَجَلَبَتْ إِلَيْهِمُ الدَّوَابُّ ، وَتَنَافَسُوا فِي حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَالْعُدَّةِ ، وَغَالَتُوا بِالسِّلَاحِ حَتَّى بَلَغَ الرَّمْحُ سَبْعِينَ ؛ وَقَالَ الْكُفُمِيَّةُ :

١١٨٩/٢

وَيَوْمَ بَيْكَنْدَ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَمَا بُخَارَاءُ مِمَّا أَخْطَأَ الْعَدَدُ

وَكَانَ فِي الْخَزَائِنِ سِلَاحٌ وَآلَةٌ مِنْ آلَةِ الْحَرْبِ كَثِيرَةٌ ، فَكَتَبَ قَتِيْبَةُ إِلَى الْحِجَاجِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي دَفْعِ ذَلِكَ السِّلَاحِ إِلَى الْجُنُودِ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَخْرَجُوا مَا كَانَ فِي الْخَزَائِنِ مِنْ عُدَّةِ الْحَرْبِ وَآلَةِ السَّفَرِ ، فَقَسَسَهُ فِي النَّاسِ ، فَاسْتَعْدُّوا ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الرَّبِيعِ نَدَبَ النَّاسَ وَقَالَ : إِنِّي أَغْزِيَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا إِلَى حَمَلِ الزَّادِ ، وَأَنْتَقِلَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا إِلَى الْإِدْفَاءِ ؛ فَسَارَ فِي عُدَّةِ حَسَنَةٍ مِنَ الدَّوَابِّ وَالسِّلَاحِ ، فَأَتَى آمُلَ ؛ ثُمَّ عَبَرَ مِنْ زَمٍّ إِلَى بُخَارَى ، فَأَتَى نَوْمُشْكُكْثَ - وَهِيَ مِنْ بُخَارَى - فَصَالَحُوهُ .

قَالَ عَلِيٌّ : حَدَّثَنَا أَبُو الذِّيَالِ ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، أَنَّ مُسْلِمًا الْبَاهِلِيَّ قَالَ لِيُوْالَانَ : « إِنِّي عِنْدِي ^(١) مَالًا أَحَبُّ أَنْ أَسْتَوْدِعَ عِنْدَكَ ، قَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا أَوْ لَا تَكْرَهُ أَنْ يَعْلَمَهُ النَّاسُ ؟ » قَالَ : « أَحَبُّ أَنْ تَكْتُمَهُ » ؛ قَالَ : « ابْعَثْ بِهِ مَعَ رَجُلٍ تَشِيقُ بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، وَمُرَّهُ إِذَا رَأَى رَجُلًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَنْ يَضَعُ مَا مَعَهُ وَيَنْصَرِفُ » ؛ قَالَ : « نَعَمْ ، فَجَعَلَ مُسْلِمُ الْمَالَ فِي خُرْجٍ ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى بَغْلٍ وَقَالَ لِمَوْلَى لَهُ : انْطَلِقْ بِهَذَا الْبَغْلَ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا جَالِسًا فَخُلِّ عَنْ الْبَغْلِ وَانْصَرِفْ . فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ بِالْبَغْلِ ، وَقَدْ كَانَ وَالَانَ أَتَى الْمَوْضِعَ لِمِيعَادِهِ ،

١١٩٠/٢

فأبطأ عليه رسولُ مسلم ، ومضى الوقتُ الذي وعدّه ، فظنَّ أنه قد بدا له ، فانصرف ، وجاء رجلٌ من بني تغلبَ فجلس في ذلك الموضع ، وجاء مولَى مسلم فرأى الرجلَ جالسًا ، فخذلَّ عن البغل ورجعَ ، فقام التغلبيُّ إلى السبغل ، فلما رأى المال ولم يرمع البسغل أحدًا قاده البسغل إلى منزله ، فأخذ البسغلَ وأخذَ المالَ ، فظنَّ مسلم أن المال قد صار إلى ولّان ، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه ، فليقيته فقال : مالى ! فقال : ما قبضت شيئًا ، ولا لك عندى مال . قال : فكان مسلم يشكوه ويتنقصه . قال : فأتى يومًا مجلس بني ضُبَيْعَةَ فشكاه والتغلبى جالسًا ، فقام إليه فخلّا به وسأله عن المال ، فأخبره ، فانطلسق به إلى منزله ، وأخرج الخُرْج فقال : أتعرفه ؟ قال : نعم ، قال : والحاتم ؟ قال : نعم ، قال : قبض مالك ، وأخبره الخبر ، فكان مسلم يأتى الناسَ والقبائلَ التى كان يشكو إليهم ولّان فيعذّره ويخبرهم الخبر ، وفي ولّان يقول الشاعر :

وَلَسْتُ كَوَلّانَ الَّذِي سَادَ بِالتُّقَى وَلَسْتَ كَعَمْرانٍ وَلَا كَالْمُهَلَّبِ ١١٩١/٢
وعمرانُ : ابنُ الفصيل البرنجُمى .

وحجّ بالناس في هذه السنة — فيما حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر — عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة .

وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبيلِ ثُمَر بن عبد العزيز .

وكان على العراق والمشرق كلّهُ الحجاج بن يوسف ، وخليفته على البصرة في هذه السنة — فيما قيل — الجراح بن عبد الله الحكّسى . وعلى قضائها عبد الله ابن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جريّر بن عبد الله ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

* * *

[خبر فتح حصن طُوانة من بلاد الروم]

فمن ذلك ما كان من فَتْحِ الله على المسلمين حصنًا من حصون الروم يُدعى طُوانة في جُمادى الآخرة ^(١) ، وشتوا بها ، وكان على الجيش مُسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك .

فذكر محمد بن عمر الواقدي أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال : كان فَتْحُ طُوانة على يَدَي مُسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وهَزَمَ المسلمون العدو يومئذ هزيمةً صاروا إلى كنيستهم ، ثم رَجَعُوا فانْهَزَمَ الناس حتى ظَنُّوا ألا يجتبروها أبدًا ، وبقي العباس معه نُفَيْرٌ منهم ابن مُحَيْرِيز الجُمَحِيّ ، فقال العباس لابن مُحَيْرِيز : أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابن مُحَيْرِيز : نادهم يأتوك ؛ فنَادَى العباس : يا أهل القرآن ! فَأَقْبَلُوا جَمِيعًا ، فهَزَمَ الله العدو حتى دخلوا طُوانة .

١١٩٢/٢

وكان الوليد بن عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة . فذكر محمد بن عمر ، عن أبيه ، أن مَخْرَمَةَ بن سليم الوالبي قال : ضرب عليهم بعث ألفين . وأنهم تجاععوا فخرج ألف وخمسمائة ، وتخلّف خمسمائة ، فغزوا الصائفة مع مُسلمة والعباس ، وهما على الجيش . ولأنهم شتوا بطُوانة وافتتحوها .

* * *

وفيها وَلِدَ الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

* * *

(١) ب وابن الأثير : « الأولى منها » .

[ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم]

وفيهما أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد ، فذكر محمد بن عمر ، أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال : رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قديماً في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، قدم مستعجراً ، فقال الناس : ما قدم به الرسول ! فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله ، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له : قدم القبلة إن قدرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك ، فإنهم لا يخالفونك ، فمن أبي منهم فرأى أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل ، ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان ، فإن لك في ذلك سلف صدق ، عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده ، فأجاب القوم إلى الثمن ، فأعطاهم إياه ، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد ، فلم يمكن إلا يسيراً ^(٢) حتى قدم الفعلة ، بعث بهم الوليد . قال محمد بن عمر : وحدثنى موسى بن يعقوب ، عن عمه ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس : القاسم ، وسالم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن عبد الله بن عمر ، يرونه أعلاماً في المسجد ويقدرونه ، فأسسوا أساسه .

قال محمد بن عمر : وحدثنى يحيى بن النعمان الغفاري ، عن صالح بن كيسان ، قال : لما جاء كتاب الوليد من دمشق وسار ^(٣) خمس عشرة بهدم المسجد ، تجرد عمر بن عبد العزيز . قال صالح : فاستعملني على هدمه وبناءه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد .

(١) ب : « رسول الله » . (٢) ب : « قليلا » .

(٣) ط : « سار » .

قال محمد : وحدثنى موسى بن أبي بكر ، عن صالح بن كيسان ، قال : ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر من سنة ثمان وثمانين ، وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يعينه فيه ، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب ، وبعث إليه بمائة عامل ، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً ، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت ، فبعث بها إلى الوليد ، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز .
وفي هذه السنة ابتدأ عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد .

* * *

وفيها غزاً أيضاً مسلمة الروم ، ففتح على يديه حصون ثلاثة : حصن قسطنطينية ، وغزاة ، وحصن الأخرم . وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سببي الذرية وأخذ الأموال .

* * *

[ذكر غزو قتيبة نومشكت وراميشنه]

وفي هذه السنة غزا قتيبة نومشكت وراميشنه .

* ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه :

ذكر علي بن محمد ، أن المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حيان ، عن مولى لهم أدرك ذلك ، أن قتيبة غزا نومشكت في سنة ثمان وثمانين ، واستخلف على مرو بشار بن مسلم ، فتلقاه أهلها ، فصالحهم ، ثم صار إلى راميشنه فصالحه أهلها ، فأنصرف عنهم ^(١) وزحف إليه الترك ، معهم ^(٢) السغد وأهل فرغانة ، فاعترضوا المسلمين في طريقهم ، فلاحقوا عبد الرحمن ابن مسلم الباهلي وهو على الساقة ، بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل ، فلما قربوا منه أرسل رسولاً إلى قتيبة يخبره ، وغشيه الترك فقاتلوه ، وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس ، فانتهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم ، وقد كاد

١١٩٥/٢

(٢) ب : « ومعهم » .

(١) ب : « عنها » .

الترك يستعملونهم، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا، وقاتلوهم إلى الظهر، وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة، فهزم الله الترك، وفض جمعهم، ورجع قتيبة يريد مرو، وقطع النهر من الترمذ يريد بلخ، ثم أتى مرو. وقال الباهليون: لقي الترك المسلمين عليهم كور مغانون^(١) التركي ابن أخت ملك الصين في مائتي ألف، فأظهر الله المسلمين عليهم.

* * *

[ذكر ما عمل الوليد من المعروف]

وفي هذه السنة كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البُلدان.

قال محمد بن عمر: حدثني ابن أبي سبرة، قال: حدثني صالح بن كيسان، قال: كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة، وخرجت كتبه إلى البُلدان بذلك، وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله بذلك. قال: وحبس المحدثين عن أن يخرجوا على الناس، وأجرى عليهم أرزاقًا، وكانت^(٢) تُجرى عليهم.

وقال ابن أبي سبرة، عن صالح بن كيسان؛ قال: كتب الوليد إلى عمر ابن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم، فعملها عمر وأجرى ماءها، فلما حج الوليد وقف عليها، فنظر إلى بيت الماء والفوارة، فأعجبته، وأمر لها بقوام يتقوّمون عليها، وأن يستقي أهل المسجد منها، ففعل ذلك.

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز في رواية محمد بن عمر. ذكر أن محمد بن عبد الله بن جبير - مولى لبني العباس - حدثه عن صالح بن كيسان، قال: خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة - يعني سنة ثمان وثمانين - بعدة من قرش، أرسل إليهم بصلات وظهر للحُمولة، وأحرموا معه من ذى الحليفة، وساق معه بُدُنًا، فلما كان بالتنعيم لقيهم نقر

(٢) ب: « فكانت ».

(١) ط: « كور بغانون ».

من قريش، منهم ابن أبي مُسَيْكَةَ وغيره ، فأخبروه أنَّ مَكَّةَ قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاجِّ العَطَشَ ، وذلك أنَّ المطر قلَّ ، فقال عمر : فَاَلْمَطْلَبُ هَاهُنَا بَيِّنٌ ، تعالوا نَدْعُ اللَّهَ . قال : فرَأَيْتُهُمْ دَعَوْا ودعا معهم ، فألْحَقُوا فِي الدَّعَاءِ . قال صالح : فلا^(١) والله إن وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل ، وَسَكَبَتِ السَّمَاءُ ، وجاء سَيْلُ الوَادِي ، فجاء أَمْرٌ خَافَهُ أَهْلُ مَكَّةَ ، ومُطِرَتْ عَرَفَةُ وَمِيَّ وَجُمُعٌ ؛ فَمَا كَانَتْ إِلَّا عُسْبَرًا ، قال : وَنَبِتَتْ مَكَّةَ تِلْكَ السَّنَةُ لِلْخِصْبِ .

وَأَمَّا أَبُو مَعَشَرٍ فَإِنَّهُ قَالَ : حَجَّ بِالنَّاسِ سَنَةُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ عُمَرُ بْنُ الْوَلِيدِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ إِسْحَاقَ ابْنِ عِيسَى عَنْهُ .

وَكَانَتِ الْعُمَّالُ عَلَى الْأُمُصَارِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْعُمَّالُ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا عُمَّالَهَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ .

(١) ب : « فَوَاللَّهِ » ، س : « وَلَا وَاللَّهِ » .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

* * *

[خبر غزو مسلمة أرض الروم]

فمن ذلك افتتاح المسلمين في هذه السنة حصن سوريّة ، وعلى الجيش مسلمة بن عبد الملك ، زعم الواقدي أن مسلمة غزا في هذه السنة أرض الروم ، ومعه العباس بن الوليد ودخلها جميعاً ثم تفرقوا ، فافتتح مسلمة حصن سوريّة ، وافتتح العباس أذوليّة ، ووافق من الروم جمعاً فهزمهم .
وأما غير الواقدي فإنه قال : قصد مسلمة عمورية فوافق بها للروم جمعاً كثيراً ، فهزمهم الله ، وافتتح هرقلة وقمودية .
وغزا العباس الصائفة من ناحية البغدندون .

* * *

[خبر غزو قتيبة بخارى]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بخارى ، ففتح راميشته . ذكر علي بن محمد عن الباهليين أنهم قالوا ذلك ، وأن قتيبة رجع بعد ما فتحها في طريق بلخ ، فلما كان بالفارياب أتاه كتاب الحجاج : أن ردد وردان خذاه . فرجع قتيبة سنة تسع وثمانين ، فأتى زم ، فقطع النهر ، فليقيه السغد وأهل كيس ونسّف في طريق المفازة ، فقاتلوه ، فظفر بهم ومضى إلى بخارى ، فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان ، فلقوه بجمع كثير ، فقاتلهم يومين ولياليتين ، ثم أعطاه الله الظفر عليهم ، فقال نهار بن توسعة : وباتت لهم منا بخرقان ليلة وليلتنا كانت بخرقان أطولا
قال علي : أخبرنا أبو الذّيال عن المهلب بن إياس ، وأبو العلاء عن

١١٩٩/٢

إدريس بن حنظلة ، أن قتيبة غزا ورْدانَ حَذَاهُ (١) ملك بُخَارَى سنة تسع وثمانين فلم يُطِيقَهُ ، ولم يَظْفِر من البلد بشيء ، فرجع إلى مرو ، وكَتَبَ إلى الحجاج بذلك ، فكَتَبَ إليه الحجاج : أن صَوَّرَهَا لي ، فبعث إليه بصورتها ، فكَتَبَ إليه الحجاج : أن ارجع إلى مَرَاغِتِكَ (٢) فتُبُّ إلى الله مما كان منك ، وأتِها من مكان كذا وكذا .

وقيل : كَتَبَ إليه الحجاج أن كِيسَ بكسٍ وانسفَ نَسَفٍ ورِدَ ورْدانَ ، وإيَّاكَ والتحويط (٣) ، ودَعَنِي من بُنَيَاتِ الطريق (٤) .

* * *

[خبر ولاية خالد القسري على مكة]

وفي هذه السنة وليَّ خالد بن عبد الله القسريَّ مَكَّةَ فيما زعم الواقدي ، وذكرَ أن عُمَرَ بن صالح حَدَّثَهُ عن نافع مولى بني مخزوم ، قال : سمعت خالدَ بن عبد الله يقول على منبرِ مَكَّةَ وهو يخطب :

أيُّها الناس ، أيُّهما أعظم ؟ أخليفةُ الرَّجُلِ على أهله ، أم رسولُه إليهم ؟ والله لو لم تَعْلَمُوا فَضْلَ الخليفةِ ، إلا أن إبراهيمَ خليلَ الرَّحْمَنِ استَسْقَى فسقاه ملجأً أجاباً ، واستسقاه (٥) الخليفةُ فسقاه عَذَاباً فَرَاتاً ، بئراً حَفَرَها الوليد بن عبد الملك بالشَّيْثَيْنِ - ثُنَيَّة طوى وثُنَيَّة الحَجُونِ (٦) - فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جَسَنب زمزم ليُعرف فضله على زمزم .

١٢٠٠/٢

قال : ثم غارت البئر فذهبت فلا يُدرى أين هي اليوم .

(١) ب : « خداه » .

(٢) المراجعة في الأصل : متمرغ الدابة ؛ أراد بها بخارى أي أن يفتحها ويتخذها مقلا يتقلب فيه كما تتقلب الدابة في مراعتها .

(٣) حوَّط حول الأمر ، أي دار ، وأصله من حوط كرمه تحويطاً ، أي بنى حوله حائطاً ؛ يريد : إيَّاكَ والدوران في القول وكثرة المراجعة فيه .

(٤) بُنَيَاتِ الطريق : الطرق الصغار تنشعب من الجادة ، أي اسلك الطريق المستقيم الذي لا تمرّج فيه .

(٥) ب : « واستسقى » .

(٦) ابن الأثير : « ثنية طوى في ثنية الحجون » .

* * *

وفيها غمزا مَسْلُمة بن عبد الملك التُّركَ حتى بلغ البابَ من ناحية
أذُرْبَيْجان ، ففتَحَ حُصُونًا ومدائنَ هنالك .

* * *

وحجَّجَ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز ، حدَّثني بذلك أحمدُ
ابنُ ثابت ، عمَّن ذَكَرَهُ ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعَشَرٍ .
وكال العمال في هذه السنة على الأمصار العمال في السنة التي قَبِلَها ،
وقد ذكرناهم قَبْلَ .

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

ففي هذه السنة غزا مسلمة أرض الروم - فيما ذكر محمد بن عمر - من ناحية سورية ، ففتحت الحصون الخمسة التي بسورية .

وغزا فيها العباس بن الوليد ؛ قال بعضهم : حتى بلغ الأرز ؛ وقال بعضهم : حتى بلغ سورية . وقال محمد بن عمر : قول من قال : حتى بلغ سورية أصح .

وفيهما قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صصة ملك السند ، وهو على جيش من قبل الحجاج بن يوسف .

وفيهما استعمل الوليد قرّة بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك .

وفيهما أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك .

١٢٠١/٢

* * *

[خبر فتح بخارى]

وفيهما فتحت قتيبة بخارى ، وهزم جموع العدو بها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علي بن محمد أن أبا الديال أخبّره عن المهلب بن إياس ؛ وأبا العلاء عن إدريس بن حنظلة ؛ أن كتب الحجاج لما ورد على قتيبة يأمره بالنتوبة مما كان ، من انصرافه عن وردان خذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير إليه ، ويعرفه الموضع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه ، خرج قتيبة إلى بخارى في سنة تسعين غازياً ، فأرسل وردان خذاه إلى السغد والتشرك ومن حولتهم

يستنصرونهم^(١)، فأتوهم وقد سبقت إليها قتيبة فحصرهم، فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم، فقالت الأزد: اجعلوا لنا على حدة^(٢)، وخلعوا بيننا وبين قتالهم. فقال قتيبة: تقدّموا؛^(٣) فتقدّموا يقاتلونهم^(٤) وقتيبة جالس، عليه رداء أصفر فوق سلاحه، فصبروا جميعاً ملياً، ثم جال المسلمون، وركبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكتين، فكروا راجعين، وانطوت مجنبتنا المسلمين على الترك، فقاتلوهم حتى ردّوهم إلى مواضعهم، فوقف الترك على ١٢٠٢/٢ نشتر، فقال قتيبة: من يزيلهم لنا عن هذا الموضع^(٥)؟ فلم يقدم عليهم أحد،^(٥) والأحياء كلّها وقوف^(٥).

فشى قتيبة إلى بني تميم، فقال: يا بني تميم، إنكم أنتم بمنزلة الحطمية، فيوم كأيامكم، أبي^(٦) لكم الفداء! قال: فأخذ وكيع اللواء بيده، وقال: يا بني تميم، أتسلمونني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرف - وهريم بن أبي طلحة المجاشعي على خيل بني تميم وكيع رأسهم، والناس وقوف - فأحجموا جميعاً، فقال وكيع: يا هريم، قدّم^(٧)، ودفع إليه الراية، وقال: قدّم خيلك فتقدّم هريم، ودب وكيع في الرجال، فأنتهى هريم إلى نهر بينه وبين العدو فوقف، فقال له وكيع: أقحم يا هريم؛ قال: فنظر هريم إلى وكيع نظر الجمل الصّول^(٨) وقال: أنا أقحم^(٩) خيلي هذا النهر، فإن انكشفت كان هلاكها! والله إنك لأحمق؛ قال: يا بن اللّخناء، ألا أراك تردّ أمرى! وحذّفه بعسود كان معه، فضرب هريم فرسه فأقحمه، وقال: ما بعد هذا أشدّ من هذا، وعبر هريم في الخيل، وانتهى^(١٠) وكيع إلى النهر، فدعا بخشب؛ فتسار النهر وقال لأصحابه: من وطن منكم نفسه على الموت فليعبّر، ومن لا فليستب مكانه؛ فما عبّر معه إلا ثمانمائة

(١) ب: «يستنصرونهم فأتوهم».

(٣-٣) ب: «فقاتلوهم».

(٥-٥) ب: «والأحياء من العرب كلهم وقوف».

(٧) ابن الأثير: «قدم خيلك».

(٩) ابن الأثير: «أقحم».

(٢) ب: «ناحية».

(٤) ب: «الموقف».

(٦) ر: «إني».

(٨) ب: «الهائج».

(١٠) ب: «فانتهى».

راجل^(١)، فذبّ فيهم حتى إذا أعيوا^(٢) أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدو ، فجعل^(٣) الخيل مجنبتين ، وقال لهريم : إني مُطاعن القوم ، فاشغلهم عنا بالخيل ، وقال للناس : شدّوا ، فحملوا فما انثنوا حتى خالطوهم ، وحمل هرّيم خيلَه عليهم فطاعنهم بالرّماح ، فما كفّوا عنهم حتى حدّروهم عن موقفهم ، ونادى قتيبة : أما ترون العدوّ منهزمين ! فما عبر أحدٌ ذلك النهر حتى ولّى العدوّ منهزمين ، فأتبعهم الناسُ ، ونادى قتيبة : من جاء برأس فله مائة .

١٢٠٣/٢

قال : فزعّم موسى بن المتوكل القرّيعي ، قال : جاء يومئذ أحد عشر رجلاً من بني قرّيع ، كلّ رجل يجيء برأس ، فيقال له : من أنت ؟ فيقول : قرّيعي . قال : فجاء رجل من الأزد برأس فألقاه ، فقالوا له : من أنت ؟ قال : قرّيعي ؛ قال : وجههم بن زحرّ قاعد ، فقال : كذب والله أصلحك الله ! إنه لابن عمّي ؛ فقال له قتيبة : ويحك ! ما دعاك إلى هذا ؟ قال : رأيتُ كلّ من جاء قرّيعي : فظننتُ أنه ينبغي لكلّ من جاء برأس أن يقول : قرّيعي . قال : فضحك قتيبة .

قال : وجرح^(٤) يومئذ خاقان وابنه ، ورجع قتيبة إلى مرو ، وكتب إلى الحجاج : إني بعثتُ عبد الرحمن بن مسلم ، ففتح الله على يديه .

قال : وقد كان شهد الفتح مولّي للحجاج ، فقَدِم فأخبره الخبر ، فغضب الحجاج على قتيبة ، فاغتم^(٥) لذلك ، فقال له الناس . ابعثْ وقْدأ من بني تميم وأعطهم وأرضهم يسخروا الأمير أن الأمر على ما كتبت ، فبعث رجلاً فيهم عُرّام بن شُتير الضبيّ ، فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعاتبهم ودعا بالحجّام بيده مقرّاض فقال : لأقطعنّ ألسنتكم أو لتصدّقنّني ، قالوا : الأمير قتيبة ، وبعث عليهم عبد الرحمن ، فالفتح^(٦) للأمير والرأس الذي يكون على الناس ، وكلّمه بهذا عُرّام بن شُتير ، فسكن الحجاج .

١٢٠٤/٢

(٢) ب : « عبروا » .

(١) ب : « رجل » .

(٤) ب ، ر : « وخرج » .

(٣) ب : « وجعل » .

(٦) ب : « بالفتح » .

(٥) ب : « كذلك » .

[خبر صلح قتيبة مع السُّغْد]

وفي هذه السنة بجدد قتيبة الصلح بينه وبين طَرْنُخُون مَلِكِ السُّغْد .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال عليّ : ذَكَرَ أَبُو السَّرِيِّ عَنْ الْجَهْمِ الْبَاهِلِيِّ ، قَالَ : لَمَّا أَوْقَعَ قَتِيبَةُ بِأَهْلِ بُخَارَى فَفَضَّ جَمْعَهُمْ هَابَةً أَهْلُ السُّغْد ، فَرَجَعَ طَرْنُخُونُ مَلِكُ السُّغْد وَمَعَهُ فَارِسَانٌ حَتَّى وَقَفَ قَرِيبًا مِنْ عَسْكَرِ قَتِيبَةَ ، وَبَيْنَهُمَا نَهْرٌ بُخَارَى ، فَسَأَلَ أَنْ يَسْبِغَ إِلَيْهِ رَجُلًا يَكَلِّمُهُ ، فَأَمَرَ قَتِيبَةُ رَجُلًا فَدَنَا مِنْهُ .

وَأَمَّا الْبَاهِلِيُّونَ فَيَقُولُونَ : نَادَى طَرْنُخُونُ حَيَّانَ النَّبْطِيِّ فَأَتَاهُ ، فَسَأَلَهُ الصَّلَاحَ عَلَى فِدَايَةٍ يُؤَدِّيَهَا إِلَيْهِمْ ، فَأَجَابَهُ قَتِيبَةُ إِلَى مَا طَلَبَ ، وَصَالَحَهُ ، وَأَخَذَ مِنْهُ رَهْنًا حَتَّى يَسْبِغَ إِلَيْهِ بِمَا صَالَحَهُ عَلَيْهِ ، وَانْصَرَفَ طَرْنُخُونُ إِلَى بِلَادِهِ ، وَرَجَعَ قَتِيبَةُ وَمَعَهُ نَيْرُكُ .

* * *

[غدر نيزك]

وفي هذه السنة غَدَرَ نَيْرُكُ ، فَنَقَضَ الصَّلَاحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَامْتَنَعَ بِقَلْعَتِهِ ، وَعَادَ حَرْبًا ، فَغَزَاهُ قَتِيبَةُ .

* ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظَّفَرِ بِهِ :

قال عليّ : ذَكَرَ أَبُو الذِّيَالِ ، عَنْ الْمُهَلَّبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَالْمُفَضَّلِ الضَّبِّيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَعَلَى بْنِ مُجَاهِدٍ وَكُثَيْبِ بْنِ خَلَّافٍ الْعُمِّيِّ ، كُلٌّ قَدْ ذَكَرَ شَيْئًا فَأَلْفَتُهُ ؛ وَذَكَرَ الْبَاهِلِيُّونَ شَيْئًا فَأَلْحَقْتُهُ فِي خَبَرِ هَؤُلَاءِ وَأَلْفَتُهُ ؛ أَنَّ قَتِيبَةَ فَصَلَ مِنْ بُخَارَى وَمَعَهُ نَيْرُكُ وَقَدْ ذَعَرَهُ مَا قَدْ رَأَى مِنَ الْفُتُوحِ ، وَخَافَ قَتِيبَةَ ، فَقَالَ : لِأَصْحَابِهِ وَخَاصَّتِهِ : مُتَّهِمُونَ أَنَا مَعَ هَذَا ، وَلَسْتُ أَمْسَنُهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْكَلْبِ ؛ إِذَا ضَرَبْتَهُ نَبَسَ ، وَإِذَا أَطْعَمْتَهُ بَصْبَسَ وَاتَّبَعَكَ ، وَإِذَا غَزَوْتَهُ ثُمَّ أَعْطَيْتَهُ شَيْئًا رَضِيَ ، وَنَسِيَ مَا صَنَعْتَ بِهِ ، وَقَدْ قَاتَلَنَاهُ طَرْنُخُونُ مَرَارًا ، فَلَمَّا أَعْطَاهُ فِدَايَةً قَبِلَهَا وَرَضِيَ ، وَهُوَ شَدِيدُ السَّطْوَةِ فَاجِرٌ

فلو استأذنت^(١) رجعتُ كان الرأي ، قالوا : استأذنه . فلما كان قتيبة بأمثل استأذنته في الرجوع إلى تخارستان ، فأذن له ، فلما فارق عسكره متوجهًا إلى بلكخ قال لأصحابه : أغذُّوا السَّيرَ ؛ فساروا^(٢) سيرًا شديدًا حتى أتوا التَّوْبَهَارَ^(٣) ، فذَكَرَ يَصْلَى فيه وتبرَّك به . وقال لأصحابه : إني لا أشك أن قتيبة قد ندِم حين فارقنا عسكره على إذنه لي ، وسيقدم الساعة رسوله عن المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسني ، فأقيموا ربيثةً تنظر ، فإذا رأيتم الرسولَ قد تجاوز المدينة وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البروقان حتى نبلي تخارستان ، فيبعث المغيرة رجلاً فلا يُدركنا حتى ندخل شعب خلم ؛ ففعلوا .

قال : وأقبل رسولٌ من قبيل^(٤) قتيبة إلى المغيرة يأمره بحبس نيزك . فلما مرَّ الرسول إلى المغيرة وهو بالبروقان - ومدينة بلكخ يومئذ خراب - ركب نيزك وأصحابه فمضوا ، وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه في طلبه ، فوجَّهه قد دخل شعب خلم ، فانصرف المغيرة ، وأظهر نيزك الخلع ، وكتب إلى أصبهيد بلكخ وإلى باذام ملك مَرُورُود ، وإلى سهراب^(٥) ملك الطالقان ، وإلى ترسل ملك الفارياب ، وإلى الجوزجان ملك الجوزجان يدعوهم إلى خلع قتيبة ، فأجابوه ، وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة . وكتب إلى كابل شاء يستظهر به ، وبعث إليه بشقلمه وماله ، وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمنه في بلاده ، فأجابته إلى ذلك وضمَّ ثقله .

قال : وكان جبغويه ملك تخارستان ضعيفًا ، واسمه الشد ، فأخذه نيزك فقيده بقييد من ذهب مخافة أن يشغب عليه - وجبغويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده - فلما استوثق منه وضع عليه الرقباء ، وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه ، وكان العامل محمد بن سليم الناصح ، وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء ، وقد تفرَّق الجند فلم يسبق مع قتيبة إلا أهل مَرُور ، فبعث عبد الرحمن أخاه إلى بلكخ في اثني عشر ألفًا إلى البروقان ، وقال : أقم بها ،

١٢٠٦/٢

١٢٠٧/٢

(١) ب : « استأذنته » . (٢) ب : « وسار » .

(٣) ب : « التوبهار » . (٤) ب : « عند » .

(٥) ط : « سهراب » ، وانظر الطبري ٢ : ١٥٦٦ ، ١٥٦٩ (أوربا) .

ولا تُحدِث شيئاً ، فإذا حَسَسَ الشتاء فَعَسَّكَرَ وَسِرَّ نَحْوَ تَخَارِستان ، واعلم
أني قريب منك ، فسار عبدُ الرحمن فنزل البروقان ، وأمهلك قتيبة حتى
إذا كان في آخر الشتاء كَتَبَ إلى أبرشهر وبيورْد وسَرَخْس وأهل هَرَاة
ليقدّموا قبل أوّانهم الذي كانوا يقدّمون عليه فيه .

[خبر فتح الطالقان]

وفي هذه السنة ، أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان — فيما قال بعض
أهل الأخبار — فقتل من أهلها مقتلةً عظيمة ، وصلب منهم سَمَاطِينُ أربعة
فراسخ في نظام واحد .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك — فيما ذكر — أن نيزك طرخان لما غدر وخسَعَ قتيبة
وعَزَمَ على حربِهِ ، طابَقَهُ على حربِهِ مَلِكُ الطالقان ، وواعَدَهُ المصيرَ
إليه مَنْ استجَابَ للنهوض معه من الملوك لحرب قُتَيْبَةَ ، فلما هَرَبَ نيزك من
قُتَيْبَةَ ودخل شِيعَ خُلُمَ الذي يأخذ إلى طُخَارِستان عَليهم أنه لا طاقةَ له
بقُتَيْبَةَ ، فهَرَبَ ، وسار قُتَيْبَةُ إلى الطالقان فأوقع بأهلها ، ففعل ما ذكرتُ فيما قبل .
وقد خُوِّلِفَ قائلُ هذا القول فيما قال من ذلك ، وأنا ذاكرُهُ في أحداث
سنة إحدى وتسعين .

١٢٠٨/٢

وحجَّجَ بالنَّاسِ في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز ، كذلك حدثني أحمد
ابن ثابت عَمَّنْ ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعَشَرٍ . وكذلك
قال محمد بن عمر .

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز في هذه السنة عاملَ الوليد بن عبد الملك على
مَكَّةَ والمدينة والطائف . وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف ، وعامل
الحجاج على البَصْرَةِ الجراح بن عبد الله . وعلى قضاها عبد الرحمن بن أذينة ،
وعلى الكوفة زياد بن جسرير بن عبد الله . وعلى قضاها أبو بكر بن أبي موسى .
وعلى خراسان قتيبة بن مُسْلِم . وعلى مصر قُتْرَةَ بن قُتْرَةَ بن شَرِيك .

[هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجاج]

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم، فلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج ابن يوسف، والوليد بن عبد الملك.

* ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم إلى سليمان :

قال هشام : حدثني أبو مخنف، عن أبي المخارق الراسبي، قال : خرج الحجاج إلى رُستَقْبَاز للبعث، لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس، فخرج بيزيد وإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم رُستَقْبَاز، فجعلهم في عسكريه، وجعل عليهم كهَيْثَةَ الحنْدُق، وجعلهم في فسطاط قريباً من حُجْرته، وجعل عليهم حرساً من أهل الشام، وأغرمهم ستة آلاف ألف، وأخذ يعذبهم، وكان يزيد يصبر صبراً حسناً، وكان الحجاج يغيظه ذلك، فقبل له : إنه رمى بنشابة فشبت نصلها في ساقه، فهو لا يمسه شيء إلا صاح، فإن حركت أدنى شيء سمعت صوته، فأمر أن يعذب ويُدْهَق^(١) ساقه، فلما فعل ذلك به صاح، وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج، فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت، فطلقتها. ثم إنه كف عنهم، وأقبل يستأديهم، فأخذوا يؤدون وهم يعملون في التخلص من مكانهم، فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو بالبصرة بأمره أن يضمهم لهم الخيل، ويرى الناس أنه إنما يريد بيعها ويعرضها على البيع، ويغلي بها لئلا تشتري فتكون لنا عُدَّة إن نحن قدرنا على أن ننجو مما هاهنا. ففعل ذلك مروان، وجيب بالبصرة^(٢) يعذب أيضاً، وأمر يزيد بالجرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا، وأمر بشراب فسقوا، فكانوا متشاغلين به، وليس يزيد ثياب طبأخه، ووضع على لحيته الحية

١٢٠٩/٢

(٢) ب : « يعذب بالبصرة » .

(١) الالهق : شد الساق بخشبتين .

بَيْضَاءَ ، وخرج فراه بعضُ الحرس فقال : كأنَّ هذه مِشْيَةُ يَزِيد ! فجاء حتى استعرض وجهه ليلاً ، فرأى بياضَ اللَّحْيَةِ ، فانصرف عنه ، فقال : هذا شيخ . وخرج المفضل على أثره ، ولم يَنْفُطَنَّ له ، فجاءوا إلى سَفْنِهِمْ وقد هَيَّئُوهَا فِي الْبَطَائِحِ ، وبينهم وبين البصرة ثمانية عشرَ فَرَسًا ، فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبدُ الملك وشُغِلَ عنهم ، فقال يزيد للمفضل : اركب بنا فإنه لاحقٌ ، فقال المفضل - وعبد الملك أخوه لأُمِّه - وهى بهلة ، هندية : لا والله ، لا أبرح حتى يَجِيءَ ولو رجعتُ إلى السجن . فأقام يزيدُ حتى جاءهم عبد الملك ، وركبوا عند ذلك السفنَ ، فساروا ليلتهم حتى أصبحوا ، ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم ، فرفع ذلك إلى الحجاج ، وقال الفرزدق في خروجه (١) :

فَلَمْ أَرِ كَالرُّهْطِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا عَلَى الْجِدْعِ وَالْحِرَاسِ غَيْرُ نِيَامٍ
مَضَوْا وَهُمْ مُسْتَيْقِنُونَ بِأَنَّهُمْ إِلَى قَدَرِ آجَالِهِمْ وَحِمَامٍ
وَلِنْ مِنْهُمْ إِلَّا يُسَكِّنُ جَاشُهُ (٢)
فَلَمَّا التَّقَوْا لَمْ يَلْتَقُوا بِمُنْفَعِهِ (٣) كَبِيرٍ وَلَا رَخِصِ الْعِظَامِ غِلَامٍ
بِمِثْلِ أَبِيهِمْ حِينَ تَمَّتْ لِدَاتُهُمْ لَخْمِسِينَ قُلُوفِ جُرْأَةٍ وَتَمَامِ

ففرغ له الحجاج ، وذهب وهمه أُنْتَهُمْ ذَهَبُوا قِبَلَ خُرَّاسَانَ ، وبعث البريدَ إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ، ويأمره أن يستعدَّ لهم ، وبعث إلى أمراء الثغور والكُؤُور أن يرصدوهم ، ويستعدوا لهم ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يُخَبِّره بِهَرَبِهِمْ ، وأنه لا يراهم أَرَادُوا إِلَّا خُرَّاسَانَ . ولم يزل الحجاج يظنُّ بيزيدَ ما صنع ، كان يقول : إني لأظنه يحدثُ نفسه بِمِثْلِ الَّذِي صَنَعَ ابْنُ الْأَشْعَثِ .

ولمَّا دَنَا يَزِيدُ مِنَ الْبَطَائِحِ ، مِنْ مَوْقُوعِ (٤) اسْتَقْبَلَتْهُ الْخَيْلُ ، قَدْ هَيَّيْتُ لَهُ وَإِخْوَتَهُ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهَا وَمَعَهُمْ دَلِيلٌ لَّهُمْ مِنْ كَتْلَبٍ يَقَالُ لَهُ : عَبْدُ الْجُبَّارِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الرَّبْعَةِ ، فَأَخَذَ بِهِمْ عَلَى السَّمَاءِ ، وَأَتَى الْحَجَّاجَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ ، فَقِيلَ

(١) ديوانه ٨١٦ - ٨١٧ . (٢) الديوان : « وما منهم » .

(٣) كذا في ب والديوان ، والمنفَع : الضعيف من العلة . وفي ط : « بمنفَع » .

(٤) مَوْقُوع : ماء بِنَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ .

له : إنما أخذ الرجل طريقَ الشام ، وهذه الخيلُ حَسْرَى في الطريق ، وقد أتى من رآهم موجَّهين في البرِّ ، فبعث إلى الوليد يُعلِّمه ذلك ، ومضَى يزيدُ حتى قَدِمَ فِلَسْطِينَ ، فَنَزَلَ على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي - وكان كريمًا على سليمان - وأنزل بعضَ ثِقَلِهِ وأهْلِهِ على سُفْيَان بن سليمان الأزدي ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان ، فقال : هذا يزيدُ بن المهلب ، وإخوته في منزلي ، وقد أتوك هُرَّابًا من الحجاج متعوذين بك ؛ قال : فأتني بهم فهم آمنون لا يُوصَل إليهم أبدًا وأنا حي . فجاء بهم حتى أدخلتهم عليه ، فكانوا في مكان آمين . وقال الكلبي ^(١) دليلهم في مسيرهم :

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ	فدَاءً على ما كان لابن المهلب
لَنِعْمَ الْفَتَى يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ أَسْعَفَتْ	رِكَابُكُمْ بِالوَهْبِ شَرِّ قِيٍّ مَنَقَبِ ^(٢)
عَدْلُنْ يَمِينًا عَنْهُمْ رَمْلُ عَالِجٍ	وَذَاتِ يَمِينِ الْقَوْمِ أَعْلَامُ غُرَبِ ^(٣)
فَإِلَّا تُصَبِّحْ بَعْدَ خَمْسِ رِكَابِنَا	سُلَيْمَانَ مِنْ أَهْلِ اللَّوَى تَتَأَوَّبِ ^(٤)
تَقَرُّ قَرَارِ الشَّمْسِ مِمَّا وَرَاءَنَا ^(٥)	وَتَذْهَبُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْهَبِ
بِقَوْمٍ هُمْ كَانُوا الْمُلُوكَ هَدَيْتُهُمْ ^(٦)	بِظُلْمَاءٍ لَمْ يُبْصَرْ بِهَا ضَوْءُ كَوْكَبِ
وَلَا قَمَرٍ إِلَّا ضَضِيلًا كَأَنَّهُ	سِوَارُ حَنَاءِ صَائِغِ السُّورِ مُذْهَبِ

قال هشام : فأخبرني الحسن بن أبان العليمي ، قال : بينا عبد الجبار ابن يزيد بن الرِّبْعَةِ يسري بهم فسقطت عمامة يزيد ، ففقدوها فقال : يا عبد الجبار ، ارجع فاطلبها لنا ، قال : إن مثلي لا يؤمر بهذا ، فأعاد ؛ فأبى ، فتناولته بالسوط ، فانتسب له ، فاستحيا منه ، فذلك قوله :

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ فدَاءً على ما كان لابن المهلب

-
- (١) ب : « وقد قال ابن » .
 (٢) ب : « عزب » ، ر : « عرب » .
 (٣) ب : « بقوم من أبناء الملوك » .
 (٤) ب : « ركا بهم بالوهد » .
 (٥) ب : « نفر فرار » .
 (٦) ب : « ب » : « بقوم من أبناء الملوك » .

وكتب الحجاج: إن آل المهلب خانوا مال الله وهرّبوا منّي ولحقوا بسليمان، وكان آل المهلب قدّموا على سليمان، وقد أمر الناس أن يحصلوا ليسرّحوا إلى خراسان، لا يترّون إلا أن يزيد توجه إلى خراسان ليستقن من بها. فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان هوّن عليه بعض ما كان في نفسه، وطار غضباً للمال الذي ذهب به. وكتب سليمان إلى الوليد: إن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنته، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدّوا ثلاثة آلاف ألف، وبقي ثلاثة آلاف ألف، فهيّ على. فكتب إليه: لا والله لا أؤمّنه حتى تبعث به إلى. فكتب إليه: لئن أنا بعثت به إليك لأجيينّ معه، فأشدك الله أن تفضّحنى ولا أن تُخفّرنى. فكتب إليه: والله لئن جئتني لا أؤمّنه. فقال يزيد: ابعثنى إليه، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوةً وحرباً، ولا أن يتشاءم بي لكما الناس، ابعث إليه بي^(١)، وأرسل معي ابنك، واكتب إليه بالطف ما قدرت عليه. فأرسل ابنه أيوب معه. وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق، فبعث به إليه، وقال لابنه: إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة ثم ادخلا جميعاً على الوليد، ففعل ذلك به حين انتهيا إلى الوليد، فدخلا عليه، فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة، قال: والله لقد بلغنا من سليمان! ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمّه وقال: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك! لا تخفر ذمة أبي، وأنت أحق من منعها، ولا تقطع من رجاء من رجاء السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تُدّل من رجاء العزّ في الانقطاع إلينا لعزنا بك. وقرأ الكتاب:

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك. أما بعد يا أمير المؤمنين، فوالله إن كنت لأظنّ لو استجار بي عدوّ قد نابتك وجاهدك فأنزله وأجرته أنك لا تُدّل تجاري، ولا تخفر جوارى، بله لم أجبر إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثت به إليك، فإن كنت إنما تغزو قطيعتي والإخفار لدمتي، والإبلاغ في مسأعتي، فقد

(١) ب: «بينه وبينك».

(٢) ب: «بي إليه».

١٢١٥/٢

قدرت إن أنت فعلت . وأنا أعيدك بالله من احتراد^(١) قَطيعتي ، وانتهاك حرمتي
 وترك برّي وصلتي ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تسدري ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى
 يفرق الموت بيني وبينك ! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ألا يأتي
 علينا أجل الوفاة إلا وهولى واصل ، ولحقى مؤد ، وعن مساعى نازع ، فليفعّل .
 والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر
 منى برضاك وسرورك . وإن رضاك مما ألتحس به رضوان الله ، فإن كنت
 يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرتى وصلتي وكرامتى وإعظام حقى
 فتجاوز لى عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على .

فلما قرأ كتابه ، قال : لقد شققنا على سليمان ! ثم دعا ابن أخيه فأدناه
 منه . وتكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيته صلى الله عليه وآله
 وسلم ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فن ينس ذلك فلسنا
 ناسيه ، ومن يكفر فلسنا كافريه ، وقد كان من بلاتنا أهل البيت فى
 طاعتكم والطعن فى أعين أعدائكم فى المواطن العظام فى المشارق والمغارب
 ما إن المنة علينا فيها عظيمة .

فقال له : اجلس ، فجلس فأمسته وكف عنه ، ورجع إلى سليمان وسعى
 إخوته فى المال الذى عليه ، وكتب إلى الحجاج :
 إني لم أصِل إلى يزيد ، وأهل بيته مع سليمان ، فاكف عنهم ، والله عن
 الكتاب إلى فيهم .

١٢١٦/٢

فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم . وكان أبو عبيدة بن المهلب عند
 الحجاج عليه ألف ألف درهم ، فتركها له ، وكف عن حبيب بن المهلب .
 ورجع يزيد إلى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يعلمه الهدية ، ويصنع
 له طيب الأطعمة ، ويهدي له^(٢) الهدايا العظام . وكان من أحسن الناس
 عنده منزلة ، وكان لا تأتى يزيد بن المهلب هدية إلا بعث بها إلى سليمان ،
 ولا تأتى سليمان هدية إلا فائدة إلا بعث بنصفها إلى يزيد بن المهلب ،

(١) الاحتراد : من الخرد ؛ وهو القصد ، وفى ابن خلكان ٢ : ٢٧٠ : « اختيار » .

(٢) ب : « إليه » .

وكان لا تُعجبه جاريةٌ إلا بعث بها إلى يزيدٍ إلا خطيئة الجارية . فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك ، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعري ، فقال : انطلق إلى سليمان فقل له : يا خالفةَ أهل بيته ، إن أمير المؤمنين قد بلغه ^(١) أنه لا تأتيك هدية ولا فائدةٌ إلا بعثت إلى يزيدٍ بنصفها ، وإنك تأتى الجارية من جواريك فلا يستقضى ^(٢) طهرها حتى تسبعث بها إلى يزيد ، وقبّح ذلك عليه ، وعيّر به ، أترك مبلغاً ما أمرتك به ؟ قال : طاعتك طاعة ، وإنما أنا رسول ؛ قال : فأنته فقل له ذلك ، وأقيم عنده ، فإنى باعته إليه بهدية فادفعها إليه ، ونخذ منه البراءة بما تدفع إليه .

ثم أقبلَ فمضى حتى قدّم عليه وبين يديه المصحف ، وهو يقرأ ، فدخل عليه فسلم ، فلم يردّ عليه السلام حتى فرغ من قراءته ، ثم رفع رأسه إليه فكلّمه ^(٣) بكلّ شيء أمره به الوليد ، فتمعر وجهه ، ثم قال : أما والله لئن قدرتُ عليك يوماً من الدهر لأقطعن منك طابقاً ! فقال له : إنما كانت على الطاعة .

ثم خرج من عنده . فلما أتى بذلك الذى بعث به الوليد إلى سليمان ، دخل عليه ^(٤) الحارث بن ربيعة الأشعري وقال له : أعطينى البراءة بهذا الذى دفعتُ إليك ، فقال : كيف قلت لى ؟ قال : لا أعيدُه علماً أبداً ^(٥) ، إنما كان على الطاعة . فسكّن ، وعلم أن قد صدقه الرجل ، ثم خرج وخرجوا معه ، فقال : خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الأسفاط ^(٦) وابعنوا بها إلى يزيد ^(٧) .

قال : فعلم الرجل أنه لا يطيع فى يزيد أحد ، ومكث يزيد بن المهلب عند سليمان تسعة أشهر .
وتوفى الحجاج سنة خمس وتسعين فى رمضان لتسع بقين منه فى يوم الجمعة .

(١) ب : « إنه قد بلغ أمير المؤمنين » .

(٢) ب : « يقضى » .

(٣) ب : « وكله » .

(٤) ب : « له » .

(٥) ر : « إليك أبداً » .

(٦) ب : « ونصف هذه الأسفاط » .

(٧) ب : « يزيد بن المهلب » .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا — فيما ذكر محمد بن عمر وغيره — الصائفة عبد العزيز بن الوليد ، وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك .

وفيها غزا أيضاً مسلمة الترك ؛ حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتّح على يديه مدائن وحصون .

وفيها غزا موسى بن نصير الأندلس ، ففتّح على يديه أيضاً مدائن وحصون .

* * *

وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان .

١٢١٨/٢

* * *

[تتمّة خبر قتيبة مع نيزك]

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظنّ قتيبة به حتى قتله . ولما قدم من كان قتيبة كتّبت إليه يأمره بالقدوم عليه من أهل أبرش شهر وبيورد ودرنجس وهراة على قتيبة ، سار بالناس إلى مرو وروذ واستخلف على الحرب حماد بن مسلم ، وعلى الخراج عبد الله بن الأهم . وبلغ مَرزبان مرو وروذ إقباله إلى بلاده ، فتهرب إلى بلاد الفرس . وقدم قتيبة مرو وروذ فأخذ ابنين له فقتلتهما وصلبتهما ، ثم سار إلى الطالقان فقام صاحبها ولم يحاربته ، فكف عنه ، وفيها اصوص ، فقتلهم قتيبة وصلبهم ، واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم ، ومضى إلى الفارياب ، فخرج إليه ملك الفارياب مُدْعِياً مَقْرَأَ بطاعته ، فرضى عنه ، ولم يقتل بها أحداً ، واستعمل عليها رجلاً من باهلة . وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم ، فترك أرضه وخرج إلى الجبال هارباً ، وسار قتيبة إلى الجوزجان فلقية أهلها سامعين مطيعين ،

فَقَبِيلَ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَقْتُلْ فِيهَا ^(١) أَحَدًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَامِرَ بْنَ مَالِكِ الْحِمَّانِيَّ ، ثُمَّ أَتَى بَلَخَ فَلَقِيَهُ الْأَصْبَهَبِيُّ فِي أَهْلِ بَلَخَ ، فَدَخَلَهَا فَلَمْ يُقِيمْ بِهَا إِلَّا يَوْمًا وَاحِدًا .

١٢١٩/٢ ثُمَّ مَضَى يَتَّبِعُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ حَتَّى أَتَى شَعْبَ خُلُمٍ ، وَقَدْ مَضَى نِيزَكَ فَعَسَاكَرُ بِيْعْغَلَانَ ، وَخَلْفَ مُقَاتِلَةٍ عَلَى فِمْ الشَّعْبِ وَمَضَائِقِهِ يَمْنَعُونَهُ ^(٢) ، وَوَضَعَ مُقَاتِلَةً فِي قَلْعَةِ حَصِينَةٍ مِنْ وَرَاءِ الشَّعْبِ ، فَأَقَامَ قَتِيْبَةً أَيَّامًا يِقَاتِلُهُمْ عَلَى مَضِيْقِ الشَّعْبِ لَا يَقْدِرُ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دُخُولِهِ ، وَهُوَ مَضِيْقٌ ، الْوَادِي يَجْرِي وَسَطُهُ ، وَلَا يَعْرِفُ طَرِيقًا يُفْضِي بِهِ ^(٣) إِلَى نِيزَكَ إِلَّا الشَّعْبُ أَوْ مَفَازَةٌ لَا تَحْتَمِلُ الْعَسَاكِرَ ، فَبَقِيَ مُتَلَدِّدًا يَلْتَمِسُ الْحَيْلَ .

قال : فهو في ذلك إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ الرَّؤْبُ خَانَ مَلِكِ الرَّؤْبِ وَسِمِنْجَانَ ، فَاسْتَأْمَنَهُ عَلَى أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَدْخَلِ الْقَلْعَةِ الَّتِي وَرَاءَ هَذَا الشَّعْبِ ، فَأَمَنَهُ قَتِيْبَةً ، وَأَعْطَاهُ مَا سَأَلَهُ ، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا لَيْلًا ، فَانْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْقَلْعَةِ الَّتِي مِنْ وَرَاءِ شَعْبِ خُلُمٍ ، فَطَرَقُوهُمْ وَهُمْ آمِنُونَ فَفَتَكُوهُمْ ، وَهَرَبَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ وَمَنْ كَانَ فِي الشَّعْبِ ، فَدَخَلَ قَتِيْبَةُ وَالنَّاسُ الشَّعْبَ ، فَأَتَى الْقَلْعَةَ ثُمَّ مَضَى إِلَى سِمِنْجَانَ وَنِيزَكَ بِيْعْغَلَانَ بَعَيْنَ تَدْعَى فَتَنْجُ جَاهُ ، وَبَيْنَ سِمِنْجَانَ وَبِيْعْغَلَانَ مَفَازَةٌ لَيْسَتْ بِالشَّدِيدَةِ

١٢٢٠/٢ قال : فَأَقَامَ قَتِيْبَةُ بِسِمِنْجَانَ أَيَّامًا ، ثُمَّ سَارَ نِيزَكَ ، وَقَدِمَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَبَلَغَ نِيزَكَ فَارْتَحَلَ مِنْ مَنَزَلِهِ حَتَّى قَطَعَ وَادِي فَرَّغَانَةَ ، وَوَجَّهَ ثِقَلَانَهُ وَأَمْوَالَهُ إِلَى كَابِلْ شَاهٍ ، وَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْكَرْزُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُسْلِمٍ يَتَّبِعُهُ ، فَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَخَذَ بِمَضَائِقِ الْكَرْزِ ، وَنَزَلَ قَتِيْبَةُ أَسْكِمِشَتْ بَيْنَهُ ^(٤) وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَرَّسَخَانَ . فَتَحَرَّزَ نِيزَكَ فِي الْكَرْزِ وَلَيْسَ إِلَيْهِ مَسَلَكٌ إِلَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَذَلِكَ الْوَجْهُ صَعْبٌ لَا تُطِيقُهُ الدَّوَابُّ ، فَحَصَرَهُ قَتِيْبَةُ شَهْرَيْنِ حَتَّى قَلَّ مَا فِي يَدِ نِيزَكَ مِنَ الطَّعَامِ ، وَأَصَابَهُمُ الْجُدْرَى وَجُدُّرٌ جَبْغَوِيَّةٌ ، وَخَافَ قَتِيْبَةُ الشِّتَاءَ ، فَدَعَا مُسْلِمًا النَّاصِحَ ، فَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى نِيزَكَ

(٢) ر : « يَمْنَعُونَ » .

(١) ب : « وَلَمْ يَقْتُلْ بِهَا » .

(٤) ب : « وَبَيْنَهُ » .

(٣) ب : « فِيهِ » .

واحتسبَ لأنْ تأتيَنِي به بغيرِ أمان ، فإنْ أعياكَ وأبَى فآمنِه ، واعلمْ أني إن عاينتُكَ وليس هو معك صلبتُكَ ؛ فاعملْ لنفسك . قال : فاكتبْ لي إلى عبد الرحمن لا يُخالفني ؛ قال : نعم . فكتبْ له إلى عبد الرحمن فقدِم عليه ، فقال له : ابعثْ رجالاً فليكونوا على فمِ الشعب ، فإذا خرجت أنا ونيزك فليعطِفُوا من ورائنا فيَحْضُوا بيننا وبين الشعب . قال : فبعث عبدُ الرحمن خَبيلاً فكانوا حيث أمرهم سليم ، ومَضَى سليم وقد حمل معه من الأطعمة التي تبقى أياماً والأخبِصة أوقاراً ، حتى أتى نيزك ، فقال له نيزك : خذلتني يا سليم ، قال : ما خذلتُكَ ، ولكنك عصيتني وأسأت بنفسك ، خلعتَ وغدرتَ ، قال : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن تأتيَنِي فقد أحكمته^(١) ، وليس ببارح موضعه هذا ، قد اعترم على أن يَشْتُو بمكانه^(٢) ؛ هلك أوسلم ؛ قال : آتِه^(٣) على غيرِ أمان ! قال : ما أظنه يؤمنك لما في قلبه عليك ، فإنك قد ملأته غيظاً ، ولكني أرى ألا يعلم بك حتى تَضَع يدك في يده ، فلاني أرجو إن فعلتَ ذاك أن يستحيَ ويعفو عنك ، قال : أترى ذلك^(٤) ؟ قال : نعم ؛ قال : إن نفسي لتأبى هذا ، وهو إن رآني قتلتني ، فقال له سليم : ما أتيتُكَ إلا لأشيرَ عليك بهذا ، ولو فعلتَ لرجوتُ أن تسلمَ وأن تعودَ^(٥) حالُك عنده إلى ما كانت ؛ فأما إذْ أبيتَ فلاني منصرف . قال : فنغدُيك^(٦) إذا ، قال : إني لأظنكم في شغل عن تهئية الطعام ، ومعنا طعامٌ كثير .

١٢٢١/٢

قال : ودعا سليم بالغداة فجاءوا بطعام كثير لا عهدَ لهم بمثله منذ حصروا ، فانتهبه الأتراك ، فغمَّ ذلك نيزك ، وقال سليم : يا أبا الهيثاج ، أنا لك من الناصحين ، أرى أصحابك قد جُهِدوا ، وإن طال بهم الحصار وأقمتَ على حالك لم آمنهم أن يستأمنوا بك ، فانطلق وأت قتيبة ، قال : ما كنتُ لآمنه على نفسي ، ولا آتِه على غير^(٧) أمان ؛ فإن ظني به أنه

(١) المحك : الغضب والمشاركة . (٢) ب : « مكانه » .

(٣) ب : « آتاه » . (٤) ب : « ذاك » .

(٥) ب : « ويعود » . (٦) ب : « فيغديك » .

(٧) ب : « بغير » .

قاتلي وإن آمنني ، ولكنّ الأمان أعذر لي وأرجى ، قال : فقد آمنك أفتتهمني ! قال : لا ، قال : فانطلق معي ، قال له أصحابه : اقبل قول سليم ، فلم يكن ليقول إلا حقاً ، فدعا بدوابه وخرج مع سليم ، فلما انتهى إلى الدرجة التي يهبط منها إلى قرار الأرض قال : يا سليم ، من كان لا يعلم متى يموت فإني أعلم متى أموت ، أموت إذا عاينت قتيبة ؛ قال : كلاً أقتلك مع الأمان ! فركب ومضى معه جبنويه - وقد برأ من الجندري - وصول وعثمان ابنا أخي نيزك - وصول طرخان خليفة جبنويه ، وخنس طرخان صاحب شرطه ^(١) - قال : فلما خرج ^(٢) من الشعب عطفت الخيل التي خلفها سليم على فوهة ^(٣) الشعب ، فحالوا بين الأتراك وبين الخروج ، فقال نيزك لسليم : هذا أول الشر ؛ قال : لا تفعل ، تخلف هؤلاء عنك خير لك . ١٢٢٢/٢

وأقبل سليم ونيزك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم ، فأرسل رسولاً إلى قتيبة يعلمه ، فأرسل قتيبة عمرو بن أبي ميهزم إلى عبد الرحمن : أن اقدم بهم عليّ ، فقدم بهم عبد الرحمن عليه ، فحبس أصحاب نيزك ، ودفع نيزك إلى ابن بسام اللثي ، وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك ، فجعل ابن بسام نيزك في قبسته ، وحفر حول القبة خندقاً ، ووضع عليه حرساً . ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة العلّيمي ، فاستخرج ما كان في الكُرز من متاع ومن كان فيه ، وقدم به على قتيبة ، فحبسهم ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب إليه ، فأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً يأمره بقتل نيزك . قال : فدعا به فقال : هل لك عندي عقد أو عند عبد الرحمن أو عند سليم ؟ قال : لي عند سليم ؛ قال : كذبت ، وقام فدخل ورد نيزك إلى حبسه ، فكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس . قال : فقام ^(٤) المهلب ابن إلياس العدوي ، وتكلم في أمر نيزك ، فقال بعضهم : ما يحل له أن يقتله ، وقال بعضهم : ما يحل له تركه ، وكثرت الأقاويل فيه .

(١) ب : « شرطه » . (٢) ب : « خرجوا » .

(٣) ب : « فم الشعب » . (٤) ب : « خرجوا » .

(٥) كذا في ر ، وفي ط : « فقال » .

وخرج قتيبة اليوم الرابع فجلس وأذن للناس، فقال: ما ترون في قَتْل نيزك؟
فاختلَفوا، فقال قائل: «اقتله»، وقال قائل: «أعطيتُه عَهْدًا فلا تَقْتله»
وقال قائل: «ما نأمنه»^(١) على المسلمين. ودخل ضرار بن حصين الضبِّي فقال:
«ما تقول يا ضرار؟» قال: «أقول: إلى سمعتك تقول: أعطيتُ اللهَ عَهْدًا إنْ
أمكنَكَ منه أن تَقْتله، فإن لم^(٢) تفعل لا ينصرك»^(٢) الله عليه أبدأ. فأطرق
قتيبةً طويلاً، ثم قال: «والله لو لم يبقَ من أجلى إلا ثلاث كلمات لقلتُ:
اقتلوه، اقتلوه، اقتلوه؛ وأرسل إلى نيزك فأمر بقتله وأصحابه»^(٣) فقتل مع
سبعائة.

١٢٢٣/٢

وأما الباهلييُّون فيقولون: لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم، فلما أراد قتله دعا به
ودعا بسيف حنفي فانتصاه^(٤) وطولَ كميته^(٥) ثم ضرب عنقه بيده، وأمر
عبد الرحمن فضربَ عنقَ صول، وأمر صالحاً فقتلَ عثمان — ويقال:
شُقْران ابن أخى نيزك — وقال لبكر بن حبيب السهمي من باهليَّة: هل
بك قوة؟ قال: نعم، وأريد — وكانت في بكر أعرابيَّة — فقال: «دونك
هؤلاء الدهاقين». قال: «وكان إذا أتىَ برجل ضربَ عنقه» وقال: «أوردوا
ولا تُصدروا»، فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفاً في قول الباهلييِّين، وصلب
نيزك وابني أخيه في أصل عين تُدعى وخش خاشان في أسكيمشت، فقال
المغيرة بن حَبِشَاء^(٦) يذكُر ذلك في كلمة له طويلة:

لَعَمْرِي لِنِعْمَتِ غَزْوَةِ الْجُنْدِ غَزْوَةٌ قَضَيْتُ نَحْبَهَا مِنْ نِيزِكٍ وَتَعَلَّتْ

قال علي: «أخبرنا مصعب بن حنَّان، عن أبيه، قال: بعث قتيبة برأس
نيزك مع محفَن بن جَزء الكلابي، وسوار بن زَهْدَم الجَحْرَمي، فقال
الحجاج: «إن كان قتيبةَ لحقيقاً أن يبعثَ برأسِ نيزك مع وكندِ مُسلم،
فقال سوار:

١٢٢٤/٢

(٢ - ٢) ب: «يفعل فلا ينصرك».

(١) ب: «تأمنه».

(٤) ب: «فانتضى».

(٣) ب: «قتل وقتل أصحابه».

(٦) ابن الأثير: «نهار بن تومة».

(٥) ب: «كنه».

أَقُولُ لِمُحَفَّنٍ وَجَرَى سَنِحٌ وَآخَرُ بَارِحٍ مِنْ عَنِّ يَمِينِي
وَقَدْ جَعَلْتُ بَوَائِقُ مِنْ أُمُورٍ تَرْقَعُ حَوْلَهُ وَتَكْفُ دُونِي
نَشَدْتُكَ هَلْ يَسُرُّكَ أَنَّ سَرَجِي وَسَرَجَكَ فَوْقَ أَبْغُلٍ بَاذِينَ
قال : فقال مُحَفَّنٌ : نعم وبالصَّيْنِ .

قال علي : أَخْبَرَنَا حمزة بن إبراهيم وعلي بن مجاهد ، عن حَسْبَلِ بْنِ
أَبِي حَرِيدَةَ ؛ عن مَرْزَبَانَ قَهْشْتَانَ وغيرهما ، أَنَّ قَتِيْبَةَ دَعَا يَوْمًا بَنِيْزَكَ
وهو محبوبس ، فقال : مَا رَأَيْتُكَ فِي السَّبِيلِ وَالشَّدَّ ؟ أَتَرَاهُمَا يَأْتِيَانِ إِنْ أُرْسِلْتُ
إِلَيْهِمَا ؟ قال : لَا ؛ قال : فَأُرْسَلُ إِلَيْهِمَا قَتِيْبَةَ فَقَدِمَا عَلَيْهِ ، وَدَعَا نِيْزَكَ
وَجَبْغُوِيَه فَدَخَلَا ، فَإِذَا السَّبِيلُ وَالشَّدَّ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى كَرْسِيَيْنِ ، فَجَلَسَا بِإِزَائِهِمَا ،
فَقَالَ الشَّدَّ لِقَتِيْبَةَ : إِنْ جَبْغُوِيَه — وَإِنْ كَانَ لِي عَدُوًّا — فَهُوَ أَسَنُّ مِنِّي ، وَهُوَ
الْمَلِكُ وَأَنَا كَتَعَبِيْهُدُ ، فَأَذِنَ لِي أَدْنُ مِنْهُ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَنَا مِنْهُ ، فَقَبِلَ يَدَهُ
وَسَجَدَ لَهُ ، قَالَ : ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي السَّبِيلِ ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَنَا مِنْهُ فَقَبِلَ يَدَهُ ،
فَقَالَ نِيْزَكَ لِقَتِيْبَةَ : أَتَذِنَ لِي أَدْنُ مِنَ الشَّدَّ ، فَإِنِّي عَبِيْدُهُ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَنَا مِنْهُ
فَقَبِلَ يَدَهُ ، ثُمَّ أَذِنَ قَتِيْبَةَ لِلْسَّبِيلِ وَالشَّدَّ^(١) فَانْصَرَفَا إِلَى بِلَادِهِمَا ، وَضَمَّ إِلَى
الشَّدَّ الْحِجَّاجَ الْقَتِيْبِيَّ ، وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ . وَقَتْلَ قَتِيْبَةَ نِيْزَكَ ، فَأَخَذَ
الزَّبِيرُ مَوْلَى عَابِسِ الْبَاهِلِيَّ خُفْمًا لِنِيْزَكَ فِيهِ جَوْهَرٌ ، وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ فِي
بِلَادِهِ مَالًا وَعَقَارًا ؛ مِنْ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ الَّذِي أَصَابَهُ فِي خُفِّهِ . فَسَوَّغَهُ إِيَّاهُ قَتِيْبَةَ ،
فَلَمْ يَزَلْ مُوسِرًا حَتَّى هَلَسَكَ بِكَابُلَ فِي وَلايَةِ أَبِي دَاوُدَ .

قال : وَأَطْلَقَ قَتِيْبَةَ جَبْغُوِيَه وَمَنْ عَلَيْهِ ، وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَلَمْ يَزَلْ
بِالشَّامِ حَتَّى مَاتَ الْوَلِيدُ . وَرَجَعَ قَتِيْبَةَ إِلَى مَرْوَ ، وَاسْتَعْمَلَ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
عَلَى بَلْخُ ، فَكَانَ الذَّاسُ يَقُولُونَ : غَدَرَ قَتِيْبَةَ بَنِيْزَكَ ، فَقَالَ ثَابِتُ قُطْنَةَ :

لَا تَحْسَبَنَّ الْغَدَرَ حَزْمًا فَرُبَّمَا تَرَقَّتْ بِهِ الْأَفْدَامُ يَوْمًا فَزَلَّتْ
وقال : وَكَانَ الْحِجَّاجُ يَقُولُ : بَعَثْتُ قَتِيْبَةَ فَتَيَّ غِرًّا فَا زَدْتُهُ ذِرَاعًا إِلَّا

زادني باعاً .

قال عليّ : أخبرنا حمزة بن إبراهيم ، عن أشياخ من أهل خراسان ، وعليّ بن مجاهد ، عن حسن بن أبي حريصة ، عن مَرْزُبَان قَهْسْتَان وغيرهما ، أن قتيبة بن مسلم لما رجع إلى مَرَوَ وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان - وكان قد هرب عن بلاده - فأرسل يطلب الأمان ، فأمنه على أن يأتيه فيصالحه ، فطلب رهناً يكونون في يديه ويعطى رهائن ، فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته ، فخلّف ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض^(١) حصونه ، وقدّم على قتيبة فصالحه ، ثم رجع فأتى بالطالقان . فقال أهل الجوزجان : سمّوه ، فقتلوا حبيباً ، وقتل قتيبة الرهّن الذين كانوا عنده ، فقال نهار بن تَوْسِعة لقتيبة :

١٢٢٦/٢

أراك الله في الأتراك حُكماً كحُكْمٍ في قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ
قضاءً من قتيبة غير جور به يشفى الغليل من الصدور
فإن ير نيزك خزيًا وذلاً فكم في الحرب حُمق من أمير!
وقال المغيرة بن حُبَنَّاء يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول ابن أخى نيزك وعثمان - أو شقران :

لَمَن الدِّيارُ عَفَتْ بِسَفْحِ سَنَامٍ إِلَّا بَقِيَّةَ أَيْصَرَ وَثَمَامٍ
عَصَفَ الرِّيحُ ذُبُولَهَا فَمَحَوْنَهَا وَجَرَيْنَ فَوْقَ عِرَاصِهَا بَتَمَامٍ
دَارَ لِحَارِيَةٍ كَأَنَّ رُضَابَهَا مِسْكُ يُشَابُ مَزَاجَهُ بِمُدَامٍ
أَبْلَغَ أَبَا حَفْصٍ قُتَيْبَةَ مِدْحَتِي وَاقْرَأْ عَلَيْهِ نَحِيَّتِي وَسَلَامِي
يَا سَيْفُ أْبْلِغْهَا فَإِنَّ ثَنَاءَهَا حَسَنٌ وَإِنَّكَ شَاهِدٌ لِمَقَامِي
يَسْمُو فَتَنْصَعُ الرِّجَالُ إِذَا سَمَا لِقُتَيْبَةَ الْحَايِ حِمَى الْإِسْلَامِ

لَا غَرْمٌ مُنْتَجِبٌ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ
مَضَى إِذَا هَابَ الْجَبَانُ وَأَحْمِشَتْ^(٢)
تُرَوَّى الْقَنَاطَةُ مَعَ اللِّوَاءِ أَمَامَهُ
وَالْهَامُ تَفْرِيقُهُ السُّيُوفُ كَأَنَّهُ
وَتَرَى الْجِيَادَ مَعَ الْجِيَادِ ضَوَامِرًا
وَبَهَنٌ أَنْزَلَ نِيزَكًا مِنْ شَاهِقٍ
وَأَخَاهُ شَقْرَانًا سَقَيْتَ بِكَأْسِهِ^(٥)
وَتَرَكْتَ صَوْلًا حِينَ صَالَ مُجَدَّلًا
نَحْرٌ يَبَاحُ بِهِ الْعُدُوُّ لُهَامٌ^(١)
حَرْبٌ تَسْعَرُ نَارُهَا بِضُرَامٍ
تَحْتَ اللِّوَامِ وَالنَّحُورُ دَوَامٌ^(٣)
بِالْقَاعِ حِينَ تَرَاهُ قَيْضُ نَعَامٍ^(٤)
بِفَنَائِهِ لِحَوَاثِ الْأَيَّامِ
وَالْكَرْزِ حَيْثُ يَرُومُ كُلُّ مَرَامٍ
وَسَقَيْتَ كَأْسَهُمَا أَخَا بَادَمٍ
يَرْكَبْنَهُ بَدَوَابِرَ وَحَوَامٍ

* * *

(خبر غزو قتيبة شومان وكس ونسف)

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وتسعين - غزا قتيبة شومان وكس^(٦)
ونسف غزواته الثانية وصالح طوخان .

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال علي : أخبرنا بشر بن عيسى عن أبي صفوان ، وأبو السري
وجبلة بن فروخ عن سليمان بن مجالد ، والحسن بن رشيد عن طفيل بن
ميرداس العمي ، وأبو السري المروزي عن عمه ، وبشر بن عيسى وعلي
ابن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريدة عن مرزبان قهستان ، وعياش
ابن عبد الله الغنوي ، عن أشياخ من أهل خراسان ، قال : وجدتني ظفري -
كل قد ذكر شيئا ، فألفته ، وأدخلت من حديث بعضهم في حديث بعض -
أن قيل سنشيب باذق - وقال بعضهم : قيسبستان^(٧) ملك شومان - طرد عامل
قتيبة ومنع الفدية التي صالح عليها قتيبة ، فبعث إليه قتيبة عياشا الغنوي
ومعه رجل من نساك أهل خراسان يدعوان ملك شومان إلى أن يؤدي الفدية

١٢٢٨/٢

(١) النحر : الماقل المجرب .

(٢) ب : « وأحمت » .

(٣) ب : « دواي » .

(٤) ر : « يفيض نعام » .

(٥) ر : « وأخوه شقرانا سقيت » .

(٦) ط : « طرخان » .

(٧) ط : « قيسلستان » .

على ما صالح عليه قتيبة، فقد ما البلد، فخرجوا إليهما فرموهما، فانصرف الرجل وأقام عياش الغنوي فقال: أما ها هنا مسلم! فخرج إليه رجل من المدينة فقال: أنا مسلم، فما تريد؟ قال: تعينني على جهادهم، قال: نعم، فقال له عياش: كن خلقي لئلا تمنع لي ظهري، فقام خلفه - وكان اسم الرجل المهلب - فقاتلهم عياش، فحمل عليهم، فتفرقوا عنه، وحمل المهلب على عياش من خلفه فقتله، فوجدوا به ستين جراحة، فغصمهم قتله، وقالوا: قتلنا رجلاً شجاعاً.

وبلغ قتيبة، فسار إليهم بنفسه، وأخذ^(١) طريق بلخ، فلما أتاها قدم أخاه عبد الرحمن، واستعمل على بلخ عمرو بن مسلم، وكان ملك شومان صديقاً لصالح بن مسلم، فأرسل إليه صالح رجلاً يأمره بالطاعة، ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح، فأبى وقال لرسول صالح: ما تخوفني به من قتيبة، وأنا أمتنع الملوك حصناً أرى أعلاه، وأنا أشد الناس قوساً وأشد الناس رمياً^(٢)، فلا تبلغ نسابتي نصف حصني، فإخاف من قتيبة! فضى قتيبة من بلخ فعبّر النهر، ثم أتى شومان وقد تحصن ملكها فوضع عليه الخبائيق، ورعى حصنه فهشمه، فلما خاف أن يظهر عليه، ورأى ما نزل به جمع ما كان له من مال وجواهر فرمى به في عين في وسط القلعة لا يدرك قعرها.

قال: ثم فتح القلعة وخرج إليهم فقاتلهم فقتل، وأخذ قتيبة القلعة عنوة، فقتل المقاتلة وسبى الذرية^(٣)، ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كس ونسيف، وكتب^(٤) إليه الحجاج، أن كس بكس وانسيف ونسيف^(٥)، وإياك والتحويط. ففتح كس ونسيف، وامتنع عليه فرياب^(٦) فحرقها فسميت المحترقة. وسرح قتيبة من كس ونسيف أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السغد^(٧)، إلى طرخون، فسار حتى نزل بمرج قريباً منهم، وذلك في وقت

١٢٢٩/٢

(٢) كذا في ب، وفي ط: «أشده».

(٤) ب: «فكتب».

(٦) ب: «قريات».

(١) ب: «فأخذ».

(٣) ب: «من فيها».

(٥) ب: «نسفا».

(٧) ب: «الصند».

العَصْر ، فانتَبَه الناسُ وشَرَبوا حتى عبثوا وعاثوا وأفسدوا ، فأمر عبدُ الرحمن أبا مرضية - مولى لهم - أن يَمْنَعَ الناسَ من شُرْب العَصِير ، فكان يضربهم ويكسر آنيةَهم ويصبّ نبيذَهم ، فسال في الوادي ، فسُمِّي مَرَجَ النَبِيذِ ، فقال بعضُ شعرائهم :

أَمَّا النَّبِيذُ فَلَسْتُ أَشْرِبُهُ أَخْشَى أبا مرضيةَ الْكَلْبِ
مُتَعَسِّفًا يَسْعَى بِشِكَاكِهِ يَتَوَثَّبُ الْحِيطَانُ لِلشُّرْبِ

فَقَبَضَ عبدُ الرحمن من طرخون شيئاً كان قد صالحه عليه قتيبة ، ودفع إليه رهناً كانوا معه ، وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو ببُخَارَى ، فرجعوا إلى مَسْرُو ، فقالت السُّغْد لَطَرخون : إنك قد رضيتَ بالذلِّ واستطبتَ^(١) الجزية ، وأنت شيخٌ كبيرٌ فلا حاجةَ لنا بك^(٢) . قال : فولّوا من أحببتهم . قال : فولّوا غوزك^(٣) ، وحسبوا طرخون ، فقال طرخون : ليس بعد سَلْبِ الْمُلْكِ إلّا القتل ، فيكون ذلك بيدي أحبّ إلىّ من أن يليه مني غيري ، فاتّكأ على سيفه حتى خرج من ظَهْرِهِ . قال : وإنما صنعوا بطرخون ٢٣٠ / ٢ هذا^(٤) حين خرج قتيبة إلى سَجِسْتَان وولوا غوزك .

وأما الباهليّون فيقولون : حَصَرَ قتيبةُ ملكَ شومان ، ووَضَعَ على قَلْعَتِهِ المِجَانِيْقَ ، ووَضَعَ منجنيقاً كان يسميها الفَحْجَاء ، فرمى بأولِ حَجَرٍ فأصاب الحائط ، ورمى بأخَرٍ فوقع في المدينة ، ثمّ تتابعت الحجارةُ في المدينة فوقعَ حَجَرٌ منها في مجلسِ الْمَلِكِ ، فأصاب رجلاً فقتلته ، ففتح القلعة عَنَوَةً ، ثمّ رجع إلى كَسٍّ ونَسَفَ ، ثمّ مضى إلى بُخَارَى فنزلَ قريةً فيها بيتُ نارٍ وبيتُ آلهةٍ ، وكان فيها طواويس ، فسمّوه مَسْنَل الطَّوَاوِيسَ ، ثمّ سار إلى طرخون بالسُّغْد ليقبضَ منه ما كان صالحه عليه ، فلما أشرَف على وادي السُّغْد فرأى حُسْنَهُ تمثّل :

(٢) ب : « فيك » .

(١) ر : « وأعطيت » .

(٤) ب : « هذا بطرخون » .

(٣) ويقال . « غوزك » .

وَإِذْ خَصِيبٌ عَشِيبٌ ظَلَّ يَمْنَعُهُ مِنَ الْأَنْبِيسِ حِذَارُ الْيَوْمِ ذِي الرَّهَجِ ^(١)
 وَرَدَّتُهُ بَعْنَانِيَجٍ مُسْنَمَةٍ يَرْدِينَ بِالشُّعْثِ سَفَاكِينَ لِلْمُهَجِ ^(٢)
 قال : فَقَبِضَ مِنْ طَرَحُونٍ صَلَاحَهُ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بُخَارَى فَتَلَكَ بِبُخَارَى
 خُذَاهُ غَلَامًا حَدَثًا ، وَقَتَلَ مِنْ خَافَ أَنْ يُضَادَّهُ ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى أَمَلٍ
 ثُمَّ أَتَى مَرَوْ .

قال : وذكر الباهليّون عن بشار بن عمرو ، عن رجل من باهليّة ، قال :
 لم يَفْرُغِ النَّاسُ مِنْ ضَرْبِ أَنْبِيتِهِمْ حَتَّى افْتَتَحَتِ الْقَلْعَةُ .

[ولاية خالد بن عبد الله القسريّ على مكة]

وفي هذه السنة ولّى الوليدُ بنُ عبد الملك مكة خالد بن عبد الله القسريّ
 فلم يزلْ والياً عليها إلى أن مات الوليد . فذكر محمد بن عمر الواقدي أن إسماعيلَ
 بن إبراهيم بن عُقْبَةَ حَدَّثَهُ عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى بَنِي تَخْزُومَ ، قَالَ : سَمِعْتُ
 خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ :

يَأْتِيهَا النَّاسُ ، إِنْكُمْ بِأَعْظَمِ بِلَادِ اللَّهِ حُرْمَةً ، وَهِيَ الَّتِي اخْتَارَ اللَّهُ مِنْ
 الْبُلْدَانِ ، فَوَضَعَ بِهَا بَيْتَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَى عِبَادِهِ حُجَّةً مِنْ اسْتِطَاعِ إِلَيْهِ
 سَبِيلًا . أَيُّهَا النَّاسُ ، فَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالشَّبَهَاتِ ،
 فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَوْتَى بِأَحَدٍ يَطْعَمَنَ عَلَى إِمَامِهِ إِلَّا صَلَبْتُهُ فِي الْحَرَمِ . إِنْ اللَّهَ
 جَعَلَ الْخِلَافَةَ مِنْهُ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي جَعَلَهَا ، فَسَلِّمُوا وَأَطِيعُوا ، وَلَا تَقُولُوا كَيْفَ
 وَكَيْفَ . إِنَّهُ لَا رَأْيَ فِيمَا كَتَبَ بِهِ الْخَلِيفَةُ أَوْ رَأَاهُ إِلَّا إِمَاضَاؤُهُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ
 بَلَّغَنِي أَنْ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ يَقْدَمُونَ عَلَيْكُمْ ، وَيَقِيمُونَ فِي بِلَادِكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ
 أَنْ تُتَزَلُّوا أَحَدًا مِنْهُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ زَائِعٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا مِنْهُمْ
 فِي مَنْزِلٍ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَّا هَدَمْتُ مَنْزِلَهُ ^(٣) ، فَانْظُرُوا مِنْ تَنْزَلُونَ فِي مَنَازِلِكُمْ ،
 وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنَّ الْفُرْقَةَ هِيَ الْبَلَاءُ الْعَظِيمُ .

قال محمد بن عمرو : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ

(١) ب : « الموت والرهج » . (٢) المناجيح : جمع عنجوج ؛ وهي الخيل النجيبة .

(٣) ب : « هدمته » .

عن أبي حسيبة ، قال : اعتمرتُ فَنَزَلْتُ دُورَ بَنِي أَسَدٍ فِي مَنَازِلِ الزَّيْبِرِ ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِهِ يَدْعُونِي ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتِ ؟ قُلْتُ : مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؛ قَالَ : مَا أَنْزَلْتُكَ ^(١) فِي مَنَازِلِ الْمُخَالِفِ لِلطَّاعَةِ ! قُلْتُ : إِنَّمَا مُتَقَامِي إِنْ أَقَمْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَهُ ، ثُمَّ أَرْجِعْ إِلَى مَنَزِلِي وَلَيْسَ عِنْدِي خِلَافٌ ، أَنَا مِمَّنْ يُعْظَمُ أَمْرُ الْخِلَافَةِ ، وَأَزْعُمُ أَنْ مِنْ جَوَدِهَا فَقَدْ هَلَكْتَ . قَالَ : فَلَا عَلَيْكَ ١٢٣٢/٢ مَا أَقَمْتُ ، إِنَّمَا يَنْكَرُهُ ^(٢) أَنْ يُقِيمَ مَنْ كَانَ زَارِيًّا عَلَى الْخَلِيفَةِ ، قُلْتُ : مَعَاذَ اللَّهِ !

وسمعتُهُ يَوْمًا يَقُولُ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْوَحْشَ الَّتِي تَأْمَسُ فِي الْحَرَمِ لَوْ نَطَقَتْ لَمْ تَقِرَّ بِالطَّاعَةِ لِأَخْرَجَتْهَا مِنَ الْحَرَمِ . إِنَّهُ لَا يَسْكُنُ حَرَمَ اللَّهِ وَأَمْنَهُ مُخَالَفٌ لِلْجَمَاعَةِ ، زَارٍ عَلَيْهِمْ . قُلْتُ : وَفَقِيَ اللَّهُ الْأَمِيرَ .

* * *

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ ، قَالَ : حَجَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ .

وَكَذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو : حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ كَثِيرٍ ، قَالَ : لَمَّا حَضَرَ قُدُومُ الْوَلِيدِ أَمْرَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَشْرِينَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يَخْرُجُونَ مَعَهُ ، فَيَتَلَقَمُونَ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَخَرَجُوا حَتَّى بَلَغُوا السَّوْدَاءَ ، وَهُمْ مَعَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - وَفِي النَّاسِ يَوْمَئِذٍ دَوَابٌّ وَخَيْلٌ - فَلَقُوا الْوَلِيدَ وَهُوَ عَلَى ظَهْرٍ ، فَقَالَ لَهُمُ الْحَاجِبُ : انْزِلُوا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَنَزَّلُوا ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ فَرَكِبُوا ، فَدَعَا بِعَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَسَايَرَهُ حَتَّى نَزَلَ بِذِي خُشْبٍ ، ثُمَّ أَحْضَرُوا ، فَدَعَاهُمْ رَجُلًا رَجُلًا ، فَسَلَمُوا عَلَيْهِ ، وَدَعَا ^(٣) بِالْعَدَاءِ ، فَتَعَدَّوْا عِنْدَهُ ، وَرَاحَ مِنْ ذِي خُشْبٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ إِلَى بَنَائِهِ ، فَأَخْرَجَ النَّاسَ مِنْهُ ، فَمَا تَرَكَ

(٢) ر : « نَكَرَهُ » .

(١) ب : « فَا أَنْزَلْتُكَ » .

(٣) ب : « ثُمَّ دَعَا » .

١٢٣٣/٢

فيه أحدٌ ، وبقى سعيد بن المسيّب ما يجترئ أحد من الحرّس^(١) أن يخرج به ، وما عليه إلا رِبْطَتان ما تساويان إلا خمسة دراهم في مُصَلَّاه ، فقيل له : لو قمّت ! قال : والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه . قيل : فلو سلّمت على أمير المؤمنين ! قال : والله لا أقوم إليه . قال عمر بن عبد العزيز : فجعلتُ أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة ، فقال : من ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيّب ؟ فجعل عمر يقول : نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ... ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . قال الوليد : قد علمتُ حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه ، فدار في المسجد حتى وقّف على القبر ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فوالله ما تحرّك سعيد ولا قام ، فقال : بخير والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ قال الوليد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقيّة الناس ، فقلت : أجل يا أمير المؤمنين .

قال : وقسّم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً عجبتماً بين الناس ، وآنية من ذهب وفضّة ، وأموالاً وخطّاب بالمدينة في الجمعة وصلى بهم .

قال محمد بن عمر : وحدّثني إسحاق بن يحيى ، قال : رأيتُ الوليد يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عام حجّ ، قد صَفّ له جُنْدُه صَفّين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد ، في أيديهم الجِرَزَة وعُمد الحديد على العواتق ، فرأيتُه طلّع في دُرّاعة وقلنسُوة ، ما عليه رداء ، فصعد المنبر ، فلما صعد سلم ثم جلس فأذن^(٢) المؤذّنون ، ثم سكتوا ، فسخطب الخطبة الأولى وهو جالس ، ثم قام فسخطب الثانية قائماً ، قال إسحاق : فلقيتُ رجاء بن حيوة وهو معه ، فقلت : هكذا يصنعون^(٣) ! قال : نعم ، وهكذا صنع معاوية فهلهم جرساً ، قلت : أفلا تكلمه ؟ قال : أخبرني قبيصة بن ذؤيب أنه كَلِمَ عبد الملك بن مروان

١٢٣٤/٢

(٢) ب : « وجلس وأذن » .

(١) ر : « الناس » .

(٣) ابن الاثر : « تصنمون » .

فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ ؛ وَقَالَ : هَكَذَا خَطَبَ عُمَانُ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا خَطَبَ هَكَذَا ، مَا خَطَبَ عُمَانُ إِلَّا قَائِمًا . قَالَ رَجَاءُ : رُويَ لِي هَذَا فَأَخَذُوا بِهِ . قَالَ إِسْحَاقُ : لَمْ نَرِ مِنْهُمْ أَحَدًا أَشَدَّ تَجَبُّرًا مِنْهُ .

قال محمد بن عمر : وَقَدِمَ بِطَيْبِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَجْمَرِهِ وَبِكِسْوَةِ الْكَعْبَةِ فَنَشَرَتْ وَعُلِقَتْ عَلَى حَبَالٍ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ دِيْبَاجٍ حَسَنٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ قَطُّ ، فَنَشَرَهَا يَوْمًا وَطُرِي^(١) وَرَفَعَ .
قال : وَأَقَامَ الْحَجَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وكانت عمّال الأمصار في هذه السنة هم العمّال الذين كانوا عمالها في سنة تسعين ، غير مكة فإنّ عاملها كان في هذه السنة خالد بن عبد الله القسريّ في قول الواقديّ .

وقال غيره : كانت ولاية مكة في هذه السنة أيضًا إلى عمر بن عبد العزيز .

(١) ب : « ثم طوى » .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففي ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ،
ففتح على يدي مسلمة حصون ثلاثة ، وجلا أهل سُوسنة إلى جوف
أرض الروم .

* * *

[فتح الأندلس]

وفيه غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني
عشر ألفاً ، فلقى ملك الأندلس - زعم الواقدي أنه يقال له أدرينوق ، وكان
رجلاً من أهل أصبهان ، قال : وهم ملوك عجم الأندلس - فزحف
له طارق بجميع من معه ، فزحف الأدرينوق في سرير الملك ، وعلى
الأدرينوق تاجه وفتارزه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك ،
فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الله الأدرينوق ، وفتح الأندلس سنة
اثنتين وتسعين .

* * *

وفيه غزاً - فيما زعم بعض أهل السير - قتيبة سجيستان يريد رتبيل
الأعظم والزابل ، فلما نزل سجيستان تلقته رسل رتبيل بالصلح ،
فقبل ذلك وانصرف ، واستعمل عليهم عبد ربّه بن عبد الله بن عمير
الليثي .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلتها .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، فتفتح الله على يديه سمسطينية .

وفيهما كانت أيضاً غزوة مروان بن الوليد الروم ، فبلغ خنجرية .
وفيهما كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، فافتتح ماسة
وحصن الحديد وغزالة وبرجمة من ناحية ملطية .

* * *

[صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد]

وفيهما قتل قتيبة ملك خام جرد ، وصالح ملك خوارزم صلحاً مجدداً .
* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس
والحسن بن رشيد ، عن طنبيل بن مرداس العنسي وعلي بن مجاهد ، عن حنبل
ابن أبي حريذة ، عن ممرزبان قهستان وكليب بن خليف والباهليتين
وغيرهم — وقد ذكر بعضهم ما لم يذكر بعض فالفقه — أن ملك خوارزم
كان ضعيفاً ، فغلبه أخوه خرزاد على أمره — وخرزاد أصغر منه — فكان إذا
بلغه أن عند أحد من هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعاً فآخرأ
أرسل فأخذه ، أو بلغه أن لأحد منهم بنتاً أو أختاً أو امرأة جميلة أرسل
إليه فغصبه ، وأخذ ما شاء ، وجس ما شاء ، لا يمنع عليه أحد ، ولا يمنعه
الملك ، فإذا قيل له ، قال : لا أقوى عليه ، وقد ملأه مع هذا غيظاً ، فلما
طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعو إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه ،
وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم ، ثلاثة مفاتيح من ذهب ، واشترط عليه أن
يسدق إليه أخاه وكل من كان يضاده ، يحكم فيه بما يرى . وبعث في
ذلك رسلاً ، ولم يطلع أحداً من مرازمته ولا دهاقينه على ما كتب به

إلى قتيبة ، فتقدمت رسله على قتيبة في آخر الشتاء ووقت الغزو ، وقد تهيأ للغزو ، فأظهر قتيبة أنه يريد السغد ، ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يحب من قبيل قتيبة ، وسار واستخلف على ممر وثابتاً الأعور مولى مسلم . قال : فجمع ملوكه وأخباره ودهاقينه فقال : إن قتيبة يريد السغد ، وليس بغازيكم ، فهل نتنعم في ربيعنا هذا . فأقبلوا ^(١) على الشرب ^(٢) ، والتنعم ، وأمنوا عند أنفسهم الغزو .

قال : فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزازرسب دون النهر ، فقال خوارزم شاه لأصحابه : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نقاتله ^(٣) ، قال : لكني لا أرى ذلك ، قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ؛ ولكني أرى أن نصرفه بشيء نوديه إليه ، فنصرفه عامنا ^(٤) هذا ، ونرى رأينا . قالوا : ورأينا رأيك . فأقبل خوارزم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر . قال : ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد ، فمدينة الفيل أحصنهن ، فنزلها خوارزم شاه — وقتيبة في هزازرسب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ — فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ومستاع ، وعلى أن يعينه على ملك خام جرد ، وأن يبقى له بما كتب إليه ، فقبل ذلك منه قتيبة ، ووفى له . وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد ، وكان يعادي خوارزم شاه ، فقاتلته ، فقتلته عبد الرحمن ، وغلب على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير ، فقتلهم ، وأمر قتيبة لما جاءه بهم ^(٥) عبد الرحمن بسريره فأخرج وبرز للناس . قال : وأمر بقتل الأسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخلف ظهره ألف . قال : قال المهلب بن إياس : أخذت يومئذ سيوف الأشراف فضرب بها الأعناق ، فكان فيها ما لا يقطع ولا يتجرح ، فأخذوا سيوفهم فلم يضرب به شيء إلا أبانه ، فحسستني بعض آل قتيبة ، فغمز الذي يضرب أن أصفح به ، فصفح به قليلا ، فوقع في ضرس المقتول فمات . قال أبو الذيال : والسيف عندي . قال : ودفع قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه

١٢٣٨/٢

١٢٣٩/٢

(١) ب : « فهلما » . (٢) ر : « الشرب » . (٣) ب : « نقاتل » .

(٤) ب : « عامتنا » . (٥) كذا في ب ، وفي ط : « لما جاءه بهم أخاه عبد الرحمن » .

ومن كان يخالفه فقتلهم ، واصطفى أمهاتهم فبعث بها إلى قتيبة ،
ودخل قتيبة مدينة فيل ، فقبيل من خوارزم شاه ما صالحه عليه ، ثم رجع
إلى هزاسب . وقال كعب الأشقر :

رَمَتَكَ فِيلٌ بما فيها وما ظَلَمَتْ ورامها قبلك الفجفاجة الصلِفُ^(١)
لا يُجْزِي الثَّغَرُ خَوَّارُ القَنَاةِ وَلَا هَشُّ المَكاسِرِ والقلبُ الذي يَعْجَفُ
هل تَذْكُرُونَ ليالى التُّركِ تَقْتُلُهُمْ ما دون كازة والفجفاجُ مُلْتَحِفُ
لم يَرْكَبُوا الخيلَ إِلَّا بعد ما كَبَرُوا فَهَمْ يُقَالُ على أَكْثافِها عُنْفُ
أنتم شباس ومرداذان محتقر وبسخراء قبور حشوها القُلْفُ^(٢) ١٢٤٠/٢
إني رأيتُ أبا حفص تَفَضَّلُهُ أيامُهُ ومَساعِي الناسِ تَخْتَلِفُ
قيس صريح وبعض الناس يجمعُهُمْ قُرَى وريف فمنسوبٌ ومُقْتَرَفُ
لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقْتَسَمُوا سبعين ألفاً وعزُّ السُّغْدِ مُوتِنِفُ
وفي سمرقند أخرى أنت قاسِمُها لئن تأخر عن حوْبائك التَّلَفُ
ما قَدَّمَ الناسُ من خيرٍ سبقت به ولا يَفُوتُك مما خلَّفُوا شَرَفُ
قال : أنشدني علي بن مجاهد :

* رَمَتَكَ فِيلٌ بما دون كاز ... *

قال : وكذلك قال الحسن بن رشيد الخوزجاني ؛ وأما غيرُهما فقال :

* رمتك فيلٌ بما فيها *

وقالوا : فيلٌ مدينة سمرقند ؛ قال : وأثبتها عندي قولُ علي بن مجاهد .

قال : وقال الباهليون : أصاب قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس . قال :

وكان خاصّة قتيبة كلموه سنة ثلاث وتسعين وقالوا : الناس كانوا قدِموا ١٢٤١/٢

(١) الأغاني ١٤ : ٢٩٩ ، ياقوت ٦ : ٤١٤ . والفجفاجة : الكثير الكلام .

(٢) رواية البيت في الأغاني :

منهم شناس ومرداذاء نعرفه وفسخراء قبور حشوها القُلْفُ

قال في شرحه « : شناس اسم أبي صفرة ، فغيره وتسمى ظالماً ، ومرداذاء : أبو أبي صفرة ، وسموه
بسراق لما تعربوا . وفسخراء : جده وهم قوم من الخوز من أعمال أهل عمان ، نزلوا الأزدي ثم ادعوا
أنهم صليبة صرحاء منهم » .

من سَجِسْتَانٍ فَأَجْمَعَهُمْ عَامَتَهُمْ هَذَا، فَأَبَى. قَالَ: فَلَمَّا صَالَحَ أَهْلَ خُوارِزْمَ سَارَ إِلَى السُّغْدِ، فَقَالَ الْأَشْقَرِيُّ:

لَوْ كُنْتُ طَاوَعْتُ أَهْلَ الْعِجْزِ مَا أَقْتَسَمُوا سَبْعِينَ أَلْفًا وَعِزُّ السُّغْدِ مُؤْتَنَفٌ

[فتح سمرقند]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ مَنْصُوفَةً مِنْ خُوارِزْمَ سَمَرْقَنْدَ، فَافْتَتَحَهَا.

* ذكر الخبر عن ذلك:

قد تقدّم ذكرى الإسناد عن القوم الذين ذكر على بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالح قتيبة صاحب خوارزم، ثم ذكر مدبرجا في ذلك أن قتيبة لما قبض صلح خوارزم قَامَ إِلَيْهِ الْمُجَشَّرُ^(١) بْنُ مُزَاهِمِ السُّلَمِيِّ فَقَالَ: إِنَّ لِي حَاجَةً، فَأَخْلِنِي، فَأَخْلَاهُ، فَقَالَ: إِنْ أَرَدْتَ السُّغْدَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ فَالْآنَ، فَإِنَّهُمْ آمَنُونَ مِنْ أَنْ تَأْتِيَهُمْ مِنْ عَامِلِكَ هَذَا، وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَشْرَةُ أَيَّامٍ. قَالَ: أَشَارَ بِهَذَا عَلَيْكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَعْلَمْتَهُ أَحَدًا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَاللَّهِ لَنْ تَكَلِّمَ بِهِ أَحَدًا لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ. فَأَقَامَ يَوْمَهُ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مِنَ الْغَدِ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: سِرْ فِي الْفُرْسَانَ وَالْمُرَّامِيَةَ، وَقَدْ تَمَّ الْأَثْقَالُ إِلَى مَرَوْ، فَوُجِّهَتِ الْأَثْقَالُ إِلَى مَرَوْ، وَوَضِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَّبِعُ الْأَثْقَالَ يَرِيدُ مَرَوْ يَوْمَهُ كُلَّهُ، فَلَمَّا أَمْسَى كَتَبَ إِلَيْهِ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَوِجِّهِ الْأَثْقَالَ إِلَى مَرَوْ وَسِرْ فِي الْفُرْسَانَ وَالْمُرَّامِيَةَ نَحْوَ السُّغْدِ، وَاكْتُمُ الْأَخْبَارَ، فَلَمَّا بِالْأَمْرِ.

١٢٤٢/٢

قال: فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الأثقال أن يمشوا إلى مَرَوْ، وسار حيث أمره، وخطب قتيبة الناس فقال:

إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ لَكُمْ هَذِهِ الْبَلَدَ فِي وَقْتِ الْغَزْوِ فِيهِ مُمْكِنٌ، وَهَذِهِ^(٢) السُّغْدُ شَاغِرَةٌ بِرِجْلِهَا، قَدْ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا، مِنْعُونَا مَا كُنَّا

(١) ط: «المجر»، تحريف. (٢) ب: «هذه».

صَالَحْنَا عَلَيْهِ طَرَحُونَ ، وَصَنَعُوا بِهِ مَا بَلَّغَكُمْ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَنَانِمَا بِنَكَثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ ^(١) ، فَسِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خُورَازْمُ وَالسُّغُنْدُ كَالنَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ ^(٢) .

قال : فَأَتَى السُّغُنْدُ وَقَدْ سَبَقَتْهُ إِلَيْهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ قَتِيبَةً فِي أَهْلِ خُورَازْمٍ وَبُخَارَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ مِائِنِ نَزُولِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِهِمْ ، فَقَالَ : إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَذَرِّينَ ﴾ ^(٣) . فَحَصَرَهُمْ شَهْرًا ، فَقَاتَلُوا فِي حِصَارِهِمْ مِرَارًا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . وَكَتَبَ أَهْلُ السُّغُنْدِ وَخَافُوا طَوْلَ الْحِصَارِ إِلَى مَلِكِ الشَّاشِ وَإِخْشَادَ فَرَّ غَانَةَ : إِنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا ظَفَرُوا بِنَا عَادُوا ^(٤) عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ مَا أَتَوْنَا بِهِ ، فَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ . فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْتُوهُمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : أَرْسِلُوا مَنْ يَشْغَلُهُمْ حَتَّى نَبِيتَ عَسْكَرَهُمْ .

قال : وَانْتَخَبُوا فُرْسَانًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمَرَّازِيَةِ وَالْأَسَاوِرَةِ وَالْأَشْدَاءِ الْأَبْطَالِ ١٢٤٣/٢ فَوَجَّهَهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبِيتُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَجَاءَتْ عِيُونُ الْمُسْلِمِينَ فَأَخْبَرَوْهُمْ . فَانْتَخَبَ قَتِيبَةُ ثَلَاثَةً أَوْ سِتًّا مِنْ أَهْلِ النَّجْدَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ ^(٥) عَلَيْهِمْ صَالِحَ ابْنِ مُسْلِمٍ ، فَصَيَّرَهُمْ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَخَافُ أَنْ يُؤْتِيَ مِنْهُ . وَبَعَثَ صَالِحٌ عِيُونًا يَأْتُونَهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، وَنَزَلَ عَلَى فَرَسَيْنِ مِنْ عَسْكَرِ الْقَوْمِ ، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ عِيُونُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهِمْ يَصِلُونَ إِلَيْهِ مِنْ لَيْلَتِهِمْ ، فَفَرَّقَ صَالِحٌ خَيْلَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ ؛ فَجَعَلَ كَمَيْنًا فِي مَوْضِعَيْنِ ، وَأَقَامَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَطَرَفَهُمُ الْمُشْرِكُونَ لَيْلًا ، وَلَا يَعْلَمُونَ بِمَكَانِ صَالِحٍ ، وَهُمْ آمِنُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُمْ أَحَدٌ دُونَ الْعَسْكَرِ ، فَلَمْ يَعْلَمُوا بِصَالِحٍ حَتَّى غَشَوْهُ . قَالَ : فَشَدَّوْا عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا اخْتَلَفَتْ الرِّمَاحُ بَيْنَهُمْ خَرَجَ الْكَمَيْنَانِ فَاقْتَتَلَا . قَالَ : وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِمِ : حَصَرْتُهُمْ فَمَا رَأَيْتُ قِطْعًا قَوْمًا كَانُوا أَشَدَّ قِتَالًا مِنْ أَبْنَاءِ أَوْلَئِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَصْبَرَ ، فَقَتَلْنَاهُمْ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرُ ، وَحَوَيْنَا

(١) سورة الفتح: ١٠ . (٢) سورة الفتح: ٢١ . (٣) سورة الصافات: ١٧٧ .

(٤) ب : « أَغَارُوا » . (٥) ب : « فَاسْتَعْمَلَ » .

سلاحهم ، واحتزّزنا رءوسهم ، وأسّرنا منهم أسرى ، فسألناهم عمّن قتلنا ، فقالوا : ما قتلتم إلا ابن ملك ، أو عظيماً من العظماء ، أو بطلاً من الأبطال ؛ ولقد قتلتم رجالاً إن كان الرجل ليُعدّل بمائة رجل . فكتبنا على أذانهم ، ثمّ دخلنا العسكر حين أصبحنا وما منا رجل إلا معلق رأساً معروفاً باسمه ، وسلبنا من جيّد السلاح وكريم المتاع ومناطق الذهب ودوابّ فرّهة ، فنقلنا قتيبة ذلك كله . وكسّر ذلك أهل السُغد ، ووضع قتيبة عليهم المجانيق ، فرماهم بها ، وهوى ذلك يُقاتلهم لا يُقلع عنهم ، وناصحته من معه من أهل بُخارى وأهل خوارزم ، فقاتلوا قتالا شديداً ، وبذلوا أنفسهم .

١٢٤٤/٢

فأرسل إليه غوزك : إنما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي من العجم ، فأخرج إلى العرب ، فغضب قتيبة ودعا الجدلّي فقال : اعرض الناس ، وميّز ، أهل البأس فجمعتهم ، ثمّ جلس قتيبة يعرضهم بنفسه ، ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل . فيقول : ما عندك ؟ فيقول العريف : شجاع ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : مختصر ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : جبان ، فسمى قتيبة الحبّساء الأثنان ، وأخذ خيلهم وجيّد سلاحهم فأعطاه الشجعان والمختصرين ، وترك لهم رثّ السلاح ، ثمّ زحف بهم فقاتلهم بهم فرساناً ورجالاً ، ورمى المدينة بالمجانيق ، فشكّم فيها ثلثة فسدّوها بغرائر الدخن ، وجاء رجل حتى قام على الثلثة فشتم قتيبة ، وكان مع قتيبة قوم رُماة ، فقال لهم قتيبة : اختاروا منكم رجلين ، فاختاروا ، فقال : أيكما يرمى هذا الرجل ، فإن أصابه فله عشرة آلاف ، وإن أخطأه قُطعت يده ؟ فتلكأ أحدهما وتقدّم الآخر ، فرماه فلم يُخطئ عينه ، فأمر له بعشرة آلاف .

قال : وأخبرنا الباهليّون ، عن يحيى بن خالد ، عن أبيه خالد بن باب مولى مُسلم بن عمرو ، قال : كنتُ في رُماة قتيبة ، فلما افتتحنا المدينة صعدتُ السور فأتيتُ مقام ذلك الرجل الذي كان فيه فوجدته ميتاً على الحائط ، ما أخطأت النشاب عينه حتى خرجتُ من قفاه ، ثمّ أصبحوا من

١٢٤٥/٢

غد فرموا المدينة ، فثَلَمُوا فيها . وقال قتيبة : أَلَحُوا عليها حتى تَعَبُرُوا الثَّلْثَةَ ، فقاتلوهم حتى صاروا على ثَلْثَةِ المدينة ، ورماهم السَّغْد بالنشاب ، فوَضَعُوا تَرَسْتَهُمْ ^(١) فكان الرجل يضعُ ترسَهُ على عَيْنِهِ ، ثمَّ يَحْمِلُ ^(٢) حتى صاروا على الثَّلْثَةِ ، فقالوا له : انصِرِفْ عَنَّا اليومَ حتى نصالحك غداً .

فأما باهلة فيقولون : قال قتيبة : لانصالحهم إلا ورجالنا على الثَّلْثَةِ ، ومجانيقنا تَسْخِطِرُ على رؤوسهم ومدينتهم .

قال : وأما غيرُهم فيقولون : قال قتيبة : جَزَعَ العبيدُ ، فانصرفوا على ظفرِ كُمٍ ، فانصرفوا ، فصالحهم من الغد على أَلْفٍ وَاثْنَيْ أَلْفٍ ^(٣) في كلِّ عامٍ ، على أن يُعْطَوْهُ تلكَ السنة ثلاثين ألفَ رأسٍ ، ليس فيهم صبيٌّ ولا شَيْخٌ ولا عيبٌ ، على أن يُخْلُوا المدينةَ لِقُتَيْبَةٍ فلا يكونَ لهم فيها مُقَاتِلٌ ، فيُسَبِّحُ له فيه مسجدٌ فيدخل ويصلي ، ويُوَضِّعُ له فيها مِنبَرَ فيسُخِطُ ، ويتغدَّى ويخرج .

قال : فلما تمَّ الصَّلحُ بعث قتيبةُ عشرةً ، من كلِّ خُمُسٍ برجلين ، فقَبَضُوا ما صالحوهم عليه ، فقال قتيبة : الآنَ ذَلُّوا حينَ صارَ إِخْوَانُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ في أيديكم . ثمَّ أَخْلَوْا المدينةَ وبنَوْا مسجدًا ووَضَعُوا مِنبَرًا ، ودخلوها في أربعة آلاف انتخبهم ، فلما دخلوها أتى المسجدَ فصلَّى وخطبَ ثمَّ تَغَدَّى ، وأرسل إلى أهل السَّغْد : من أراد منكم أن يأخذَ مَتَاعَهُ فليأخذْهُ ؛ فإني لستُ خارجًا منها ، وإنما صنعتُ هذا لكم ، ولستُ آخذُ منكم أكثرَ مما صالحتُكم عليه ، غيرَ أنَّ الجُنْدَ يقيمون فيها .

قال : أما الباهليون فيقولون : صالحهم قتيبةُ على مائة ألف رأسٍ ، وبيوت النيران وحلية الأصنام ، فقَبَضَ ما صالحهم عليه ، وأتى بالأصنام فسُلِّبَتْ ؛ ثمَّ وُضِعَتْ بين يديه ، فكانت كالقَصْرِ العظيم حينَ جُمِعَتْ ، فأمرَ بتحريقها ، فقالت الأعاجم : إنَّ فيها أصنامًا مَنَ حرقها هَلَكَ ، فقال قتيبة . أنا أحرقها بيدي ، فجاء غوزك ، فجثا بين يديه وقال :

(١) ب : « ترسم » . (٢) ب : « يحمل » . (٣) بعدها في ب : « مثقال » .

أيها الأمير ، إن شكرك على واجب ، لا تعرض لهذه الأصنام ؛ فلدعا قتيبة بالنار وأخذ شُعْلَةً بيده ، وخرج فكبر ، ثم أشعلها ، وأشعل الناس فاضطرمت ، فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال .

* * *

قال : وأخبرنا مَخْلَدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ بَيْضٍ ، عن أبيه ، قال : حدثني من شهد قتيبة وفسح سمرقند أو بعض كُور خراسان فاستخرجوا منها قدورا عظاما من نحاس ، فقال قتيبة لحضين : يا أبا ساسان ، أتري رقاش كان لها مثل هذه القدور ؟ قال : لا ، لكن كان لعيلان قدير مثل هذه القدور ، فضحك قتيبة وقال : أدركت بثأرك .

قال : وقال محمد بن أبي عيسى لسلم بن قتيبة بين يدي سليمان بن علي : إن العجم ليعيرون قتيبة الغدر إنه غدر بخوارزم وسمرقند .

قال : فأخبرنا شيخ من بني سُدُوسَ عن حمزة بن بيض قال : أصاب قتيبة بخراسان بالسغد جارية من ولد يزدجرد ، فقال : أترون ابن هذه يكون هجينا ؟ فقالوا : نعم ، يكون هجينا من قبل أبيه ، فبعث بها إلى الحجاج ، فبعث بها الحجاج إلى الوليد ، فولدت له يزيد ابن الوليد .

١٢٤٧/٢

قال : وأخبرنا بعض الباهليين ، عن نَهْشَلِ بْنِ يَزِيدَ ، عن عمه — وكان قد أدرك ذلك كله — قال : لما رأى غوزك الحاح قتيبة عليهم كتب إلى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة وخاقان : إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب ، فإن وصل إلينا كنتم أضعف وأذل ، فهما كان عندكم من قوة فابذلوها ، فنظروا في أمرهم فقالوا : إنما نؤتي من سفلسنا ، وإنهم لا يجيدون كسجندنا ، ونحن معشر الملوك المعنيون بهذا الأمر ، فانتخبوا أبناء الملوك وأهل النجدة من فتيان ملوكهم ، فليخرجوا حتى يأتوا عسكر قتيبة فليبيت ، فإنه مشغول بحصار السغد ، ففعلوا ، ولوا عليهم ابنا لخاقان ، وساروا وقد

أَجْمَعُوا أَنْ يَبِيتُوا الْعَسْكَرَ ، وَبَلَغَ قَتِيبَةُ فَأَنْتَخَبَ أَهْلَ التَّجَنُّدِ وَالْبَاسِ وَوُجُوهَ النَّاسِ ، فَكَانَ شُعْبَةُ بْنُ ظَهِيرٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حِسَّانٍ فَيَمِنْ انْتِخَبَ ، فَكَانُوا أَرْبَعُمِائَةٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ عَدُوَّكُمْ قَدْ رَأَوْا بَلَاءَ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاكُمْ فِي مُزَاحِفَتَيْكُمْ وَمُكَائِثَتَيْكُمْ ، كُلُّ ذَلِكَ يُفْلِجُكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَحْتَصِلُوا غِرَّتَيْكُمْ وَبِيَاتَكُمْ ، وَاخْتَارُوا دَهَاقِينَهُمْ وَمُسْلُوكَهُمْ ، وَأَتَمَّ دَهَاقِينَ الْعَرَبِ وَفَرَسَاتِهِمْ ، وَقَدْ فَضَّلَكُمْ اللَّهُ بِدِينِهِ ، فَأَبْلُوا اللَّهَ بِلَاءً حَسَنًا تَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الثَّوَابَ ، مَعَ الذَّبِّ عَنْ أَحْسَابِكُمْ .

١٢٤٨/٢

قال : وَوَضَعَ قَتِيبَةُ عِيُونًا عَلَى الْعَدُوِّ حَتَّى إِذَا قَرَّبُوا مِنْهُ قَدَرًا مَا يَصِلُونَ إِلَى عَسْكَرِهِ مِنَ اللَّيْلِ أَدْخَلَ الَّذِينَ انْتَخَبَهُمْ ، فَكَلَّمَهُمْ وَحَضَّهُمْ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ صَالِحُ بْنُ مُسْلِمٍ ، فَخَرَجُوا مِنَ الْعَسْكَرِ عِنْدَ الْمَغْرَبِ ، فَسَارُوا ، فَتَزَلُّوا عَلَى فَرَسَتَيْنِ مِنَ الْعَسْكَرِ عَلَى طَرِيقِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَفُوا لَهُمْ ، فَفَرَّقَ صَالِحُ خَيْلَهُ ، وَأَكْنَحَ كَمِينًا عَنْ يَمِينِهِ ، وَكَمِينًا عَنْ يَسَارِهِ ، حَتَّى إِذَا مَضَى نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلَاثُهُ ، جَاءَ الْعَدُوُّ بِاجْتِمَاعٍ وَإِسْرَاعٍ وَصَمْتٍ ، وَصَالِحٌ وَقَفَ فِي خَيْلِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ شَدُّوا عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا اخْتَلَفَتِ الرِّمَاحُ شَدَّ الْكَمِينَانِ عَنْ يَمِينٍ وَعَنْ شِمَالٍ ، فَلَمْ نَسْمَعْ إِلَّا الْإِعْتِزَاءَ ، فَلَمْ نَرَ قَوْمًا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ .

قال : وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِمِ : حَدَّثَنِي زُهَيْرُ أَوْ شُعْبَةُ قَالَ : إِنَّا لَنَخْتَلِفُ عَلَيْهِمْ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ إِذْ تَبَيَّنَتْ تَحْتَ اللَّيْلِ قَتِيبَةُ ، وَقَدْ ضَرَبْتُ ضَرْبَةً أَعْجَبَتْنِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى قَتِيبَةٍ ، فَقُلْتُ : كَيْفَ تَرَى بِأَبَى أَنْتَ وَأُمِّي ! قَالَ : اسْكُتْ دَقَّ اللَّهُ فَاك ! قَالَ : فَقَتَلْنَاهُمْ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ ، وَأَقَمْنَا نَحْوِي الْأَسْلَابَ وَنَحْتَزُّ الرُّعُوسَ حَتَّى أَصْبَحْنَا ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا إِلَى الْعَسْكَرِ ، فَلَمْ أَرِ جَمَاعَةً قَطُّ جَاءُوا بِمِثْلِ مَا جِئْنَا بِهِ ، مَا مِنْنا رَجُلٌ إِلَّا مَعْلُوقٌ رَأْسًا مَعْرُوفًا بِاسْمِهِ ، وَأُسِيرَ فِي وَثَاقِهِ .

١٢٤٩/٢

قال : وَجِئْنَا قَتِيبَةَ بِالرُّعُوسِ ، فَقَالَ : جَزَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ خَيْرًا . وَأَكْرَمَنِي قَتِيبَةُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بَاحٍ لِي بِشَيْءٍ ، وَقَرْنَ بِي فِي الصَّلَاةِ وَالْإِكْرَامِ حِسَّانَ الْعَدَوِيِّ وَحُلَسِيَّ الشَّيْبَانِيَّ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ رَأَى مِنْهُمَا مِثْلَ الَّذِي رَأَى

مَنى ، وكسر ذلك أهل السُّغَد ، فطلبوا الصِّلح ، وعَرَضُوا الفِدْيَةَ فَأَبَى ، وقال : أنا نائر بدم طَرَحُون ، كان مولاي وكان من أهل ذمتي .

قالوا : حَدَّثَ عُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عن أبيه ، قال : أطال قُتَيْبَةُ الْمُقَامَ ، وثُلُمَتِ الثُّلَمَةُ فِي سَمَرْقَنْدٍ . قال : فنادى مناد فصيح . بالعربية يَسْتَمُّ قُتَيْبَةَ ؛ قال : فقال عمرو بن أبي زَهْدَم : ونحنُ حَوْلَ قُتَيْبَةَ ، فحين سمعنا الشَّمَّ نخرجنا مسرعين ، فمَكَشْنَا طويلاً وهو مُسْلِحٌ بِالشَّمِّ ، ففَجِئْتُ إِلَى رِوَاقٍ قُتَيْبَةُ فَاطْلَعَتْ ، فإذا قُتَيْبَةُ مُحْتَبَبٌ بِشَسْلَةٍ يَقُولُ كَالْمَنَاجِي لِنَفْسِهِ : حَتَّى مَتَى يَا سَمَرْقَنْدُ يَعْشَشُ فِيكَ الشَّيْطَانُ ! أما والله لئن أَصْبَحْتُ لَأَحَاوِلَنَّ مِنْ أَهْلِكَ أَقْصَى غَايَةٍ ، فانصرفتُ إِلَى أَصْحَابِي ، فقلت : كم من نفس أُبَيَّة سَمَوَتْ غَدَاً مِنَّا ومنهم ! وَأَخْبَرْتُهُمُ الْخَبَرَ .

قال : وَأَمَّا بَاهِلَةٌ يَقُولُونَ : سَارَ قُتَيْبَةُ فُجِعَلَ النَّهْرَ بِمَيْنَه حَتَّى وَرَدَ بُخَارَى ، فَاسْتَنْهَضَهُمْ مَعَهُ ، وَسَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَدِينَةِ أَرْبِنْجَنَ ، وَهِيَ الَّتِي تُجَلِّبُ مِنْهَا اللَّبُودُ الْأَرْبِنْجَنِيَّةَ ، لَقِيَهُمْ غُوزُكَ صَاحِبُ السُّغَدِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنَ التُّرْكِ وَأَهْلِ الشَّاشِ وَفَرَّغَانَةَ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقَائِعٌ مِنْ غَيْرِ مُرَاحِفَةٍ ، كُلٌّ ذَلِكَ يَظْهَرُ الْمُسْلِمُونَ ، وَيَسْتَحَاجِرُونَ حَتَّى قَرَّبُوا مِنْ مَدِينَةِ سَمَرْقَنْدٍ ، فَتَرَاخَفُوا يَوْمَئِذٍ ، فَحَمَلَ السُّغَدُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَمَلَةً حَطَطُوهُمْ حَتَّى جَازَوْا عَسْكَرَهُمْ ، ثُمَّ كَرَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى رَدُّوهُمْ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَقَتَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمَشْرُكِينَ عَدَدًا كَثِيرًا ، وَدَخَلُوا مَدِينَةَ سَمَرْقَنْدٍ فَصَالَحُوهُمْ .

١٢٥٠/٢

قال : وَأَخْبَرَنَا الْبَاهِلِيُّونَ عَنْ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَغِيرَةَ ؛ قَالَ : رَأَيْتُ خِيَلًا يَوْمَئِذٍ تُطَاعِنُ خِيَالَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ أَمَرَ يَوْمَئِذٍ قُتَيْبَةُ بِسَرِيرِهِ فَأَبْرَزَ ، وَقَعَدَ عَلَيْهِ ، وَطَاعَنُوهُمْ حَتَّى جَازَوْا قُتَيْبَةَ ، وَإِنَّهُ لَمُسَحَّتَبٌ بِسَيْفِهِ مَا حَلَّ حَبَبُوتَهُ ، وَانْطَوَتْ مَجْنِبَتَا الْمُسْلِمِينَ عَلَى الَّذِينَ هَزَمُوا الْقَتْلَبَ ، فَهَزَمُوهُمْ حَتَّى رَدُّوهُمْ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَقَتَّلَ مِنَ الْمَشْرُكِينَ عَدَدًا كَثِيرًا ، وَدَخَلُوا مَدِينَةَ سَمَرْقَنْدٍ فَصَالَحُوهُمْ . وَصَنَعَ غُوزُكَ طَعَامًا وَدَعَا قُتَيْبَةَ ، فَأَتَاهُ فِي عَدَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا تَغَدَّى اسْتَوْهَبَ مِنْهُ سَمَرْقَنْدُ ، فَقَالَ لِلْمَسْلِكِ : انْتَقِلْ عَنْهَا ، فَانْتَقَلَ عَنْهَا ، وَتَلَا قُتَيْبَةُ :

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَنَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ (١) .

قال : وأخبرنا أبو الذّيال ، عن عمر بن عبد الله التميمي ، قال : حدثني الذي سرحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند ، قال : قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام ، فقدمتها فدخلت مسجدها ، فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنبى رجل ضري ، فسألته عن شيء من أمر الشام ، فقال : إنك ١٢٥١/٢ لغريب ، قلت : أجل ؛ قال : من أى بلد أنت ؟ قلت : من خراسان . قال : ما أقدم لك ؟ فأخبرته ؛ فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما افترضتموها إلا غدرًا ، وإنكم يا أهل خراسان لتلذذين تسلبون بنى أمية ملكهم ، وتسقضون دمشق حجرًا حجرًا .

قال : وأخبرنا العلاء بن جرير ، قال : بلغني أن قتيبة لما فتح سمرقند وقف على جبلها فنظر إلى الناس متفرقين في مروج السغد ، فتمثل قول طرفة :

وَأَرْتَعَ أَقْوَامٌ وَلَوْلَا مَحَلُّنَا بِمَخْشِيَةٍ رَدُّوا الْجَمَالَ فَقَوَّضُوا

قال : وأخبرنا خالد بن الأصم ، قال : قال الكميت : كانت سمرقند أحقاباً يمانية فالיום تنسبها فيسية مضر قال : وقال أبو الحسن الجشمي : فدعا قتيبة نهار بن توسعة حين صالح أهل السغد ، فقال : يا نهار ، أين قولك :

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلْغَنَى وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمَهْلَبِ
أَقَامَا بِمِرْوِ الرُّودِ رَهْنَ ضَرِيحِهِ وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
أَفْغَزُوْهُ هَذَا يَا نَهَارُ ؟ قَالَ : لَا ، هَذَا أَحْسَنُ ^(١) ، وَأَنَا الَّذِي أَقُول :

وَمَا كَانَ مُدُّ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِيمَا بَعَدَنَا كَابْنُ مُسْلِمٍ
أَعَمَّ لِأَهْلِ التُّرْكِ قَتْلًا بِسَيْفِهِ وَأَكْثَرَ فِينَا مَقْسِمًا بَعْدَ مَقْسِمِ

(١) في الشعر والشعراء ٥٢٣ : « إن الذي أنت فيه ليس بالغزو ولكنه الحرب » .

قال : ثم ارتحل قتيبة راجعاً إلى مرو ، واستخلف على سمرقند عبد الله ابن مسلم ، وخلف عنده جنداً كثيفاً ، وآلة من آلة الحرب كثيرة ، وقال : لا تدعني مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد ، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله ، وإن وجدت معه حديدة ؛ سيكيناً فما سواه فاقتله ، وإن أغلقت الباب ليلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقتله ، فقال كعب الأشقرى - ويقال رجل من جعفي :

كُلُّ يَوْمٍ يَخْوِي قَتِيْبُهُ نَهْبًا وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَالًا جَدِيدًا
 بَاهِلِيٌّ قَدْ أَلْبَسَ التَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ مَفَارِقُ كَنْ سُوْدَا
 دَوَّخَ السُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ السُّغْدَ بِالْعِرَاءِ قُعُودًا
 فَوَلِيدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مُوجِعٌ يُبْكِي الْوَلِيدَا
 كُلَّمَا حَلَّ بِلَدَةٍ أَوْ أَتَاهَا تَرَكْتُ خَيْلُهُ بِهَا أَخْذُودَا
 قال : وقال قتيبة : هذا العداء لا عداة عيرين ، لأنه فتسح خوارزم وسمرقند في عام واحد ؛ وذلك أن الفارس إذا صرع في طلق واحد عيرين قيل : عادى بين عيرين . ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرو .

* * *

وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو على حربها ، وكان ضعيفاً . وكان على خراجها عبید الله بن أبي عبید الله مولی بنی مسلم . قال : فاستضعف أهل خوارزم إياساً ، وجسمعوا له ، فكاتب عبید الله إلى قتيبة ، فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً ، وقال : اضرب إياس بن عبد الله وحيثان النبطي مائة مائة ، واحلقهما ، وضم إليك عبید الله بن أبي عبید الله ، مولی بنی مسلم ، واسمع منه فإن له وفاء . فضى حتى إذا كان من خوارزم على سكة ، فدس إلى إياس فأنذره ففتحني ، وقدم فأخذ حيّان فضربه مائة وحلقه .

قال : ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود إلى خوارزم ، فبسلخهم ذلك ، فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم

نحوارزم شاه، وقالوا: لا نعينك، فتهرب إلى بلاد الترك. وقدِم المغيرة فسبى وقتل، وصالحه الباقر، فأخذ الجزية. وقدِم على قتيبة، فاستعمله على نيسابور.

* * *

[فتح طليطلة]

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس ووجهه إلى مدينة طليطلة.

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر محمد بن عمر أن موسى بن نصير غَضِبَ على طارق في سنة ثلاث وتسعين، فشحَصَ إليه في رجب منها، ومعه حبيب بن عتبة بن نافع الفهري، واستخلف حين شحَصَ على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى بن نصير، وعيّن موسى إلى طارق في عشرة آلاف، فتلّقاه، فرفضاه فرفضَ عنه، وقبيل منه عذره، ووجهه منها إلى مدينة طليطلة - وهي من عظام مدائن الأندلس، وهي من قرطبة على عشرين يوماً^(١) - فأصاب فيها مائدة سليمان بن داود، فيها من الذهب والحوهر ما الله أعلم به.

١٢٥٤/٢

* * *

قال: وفيها أجذب أهل إفريقية جنداً شديداً، فخرج موسى بن نصير فاستسقى، ودعا يومئذ حتى انتصف النهار، وخطب الناس، فلما أراد أن ينزل قيل له: ألا تدعو لأمر المؤمنين! قال: ليس هذا يوم ذاك، فسقوا سقياً كفاهم حيناً.

* * *

[خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز]

وفيها عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة.

* ذكر سبب عزل الوليد إياه عنها :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حق ولا جناية، وأن ذلك بلغ الحجاج، فاضطغنه على عمر، وكتب إلى الوليد: إن من قبلي من مرّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلسوا عن

(١) بعدها في ابن الأثير: «فتحتها».

العراق ، ولجئوا إلى المدينة ومكة ، وإنّ ذلك وهن .
فكتب الوليد إلى الحجاج : أن أشر على برجلين ، فكتب إليه يشير عليه
بعثمان بن حيان ونخالد بن عبد الله ، فولى نخالداً مكة وعثمان المدينة ، وعزل
عمر بن عبد العزيز .

قال : محمد بن عمر : خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة فأقام
بالسويداء وهو يقول لمزاحم : أتخاف أن تكون ممن نعتته طيبة !

* * *

وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد
إتياء ، وصب على رأسه قربة من ماء بارد . ذكر محمد بن عمر ، أن أبا المليح
حدثه عن حضر عمر بن عبد العزيز حين جلس خبيب بن عبد الله بن
الزبير خمسين سوطاً ، وصب على رأسه قربة من ماء في يوم شات ،
ووقفه على باب المسجد ، فمكث يومه ثم مات .

١٢٥٥/٢

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، حدثني
بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها ، إلا ما كان من
المدينة ، فإن العامل عليها كان عثمان بن حيان المرمي ، وليها - فيما قيل -
في شعبان سنة ثلاث وتسعين .

وأما الواقدي فإنه قال : قدّم عثمان المدينة لليلتين بقيتا من شوال
سنة أربع وتسعين .

وقال بعضهم : شخّص عمر بن عبد العزيز عن المدينة معزولاً في
شعبان من سنة ثلاث وتسعين وغزاً فيها ، واستخلف عليها حين شخّص
عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري . وقدّم عثمان بن
حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، فقليل : إنه
فتَح فيها أنطاكية .

وفيها غَزَا - فيما قيل - عبدُ العزيز بنُ الوليد أرضَ الروم حتى بلغَ غَزَاة .
وبلغ الوليد بن هشام المعيطي أرضَ بُرْج الحسام ، ويزيد بن أبي كَبْشَة
أرضَ سُوْرِيَة .

وفيها كانت الرَّجْفَةُ ^(١) بالشَّام ^(٢) .
وفيها افتتَح القاسمُ بنُ محمد الثقفي أرضَ الهِنْد .

* * *

[غزو الشام وفرغانة]

وفيها غَزَا قُتَيْبَةُ شَاش وفرْغَانَة حتى بلغ خُجَنْدَة وكَاشَان ؛ مَدِينَتِي
فرْغَانَة .

* ذكر الخبر عن غزوة قُتَيْبَة هذه :

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ؛ أَنَّ أَبَا الْفَوَارِسِ التَّمِيمِيَّ ، أَخْبَرَهُ عَنْ مَاهَانَ وَيُونُسَ
ابنِ أَبِي إِسْحَاقَ ، أَنَّ قُتَيْبَةَ غَزَا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ . فَلَمَّا قَطَعَ النَّهْرَ فَرَضَ عَلَى
أَهْلِ بُخَارَى وَكَسْ وَنَسَفَ وَخُوارِزْمَ عَشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ . قَالَ : فَسَارُوا
مَعَهُ إِلَى السَّغُنْدِ ، فَوَجَّهُوا إِلَى الشَّاشِ ، وَتَوَجَّهَ هُوَ إِلَى فَرْغَانَةِ ، وَسَارَ حَتَّى أَتَى
خُجَنْدَةَ ، فَجَمَعَ لَهُ أَهْلُهَا . فَلَقَوْهُ فَاقْتَتَلُوا مَرَارًا ، كُلٌّ ذَلِكَ يَكُونُ الظَّفَرُ
لِلْمُسْلِمِينَ . فَفَرَّغَ النَّاسُ يَوْمًا فَرَكَبُوا خِيُولَهُمْ ، فَأَوْفَى رَجُلٌ عَلَى نَشْرٍ
فَقَالَ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ غَزَاةً ، لَوْ كَانَ هَيْسَجُ الْيَوْمِ وَنَحْنُ عَلَى مَا أَرَى

(١) ب : « الزحفة » .

(٢) ابن الأثير : « وفيها كانت الزلازل بالشام ، ودامت أربعين يوماً ، فخرت البلاد ؛ وكان
عظم ذلك في أنطاكية » .

من الانتشار لكانت الفضيحة ، فقال له رجل إلى جنبه : كلا ، نحن كما قال عتوف بن الحرير :

نؤمّ البلادَ لحُبِّ اللّقا ولا ننتقى طائراً حيث طاراً
سنيحاً ولا جارياً بارحاً على كلِّ حالٍ نُلَاقِي اليساراً^(١)

وقال سحبان وائل يذكر قتالهم بخيـجندة :

فَسَلَّ الفَوَارِسُ فِي خُجَنْدَ لَدَّةَ تَحْتَ مُرْهَفَةِ العَوَالِي
هَلْ كُنْتُ أَجْمَعُهُمْ^(٢) إِذَا هُزِمُوا وَأَقْدِمُ فِي قِتَالِي
أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَةً أَلِ مَاثِي^(٣) وَأَصْبِرُ لِلْعَوَالِي
هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعُ قَيْ سِ كَلِّهَا ضَخْمُ النَّوَالِ
وَفَضَلْتَ قَيْسًا فِي النَّدَى وَأَبُوكَ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِي
وَلَقَدْ تَبَيَّنَ عَدْلُ حُكِّ مَكَ فِيهِمْ فِي كُلِّ مَالِ
تَمَّتْ مَرُوءَتُكُمْ وَنَا غَى عِزُّكُمْ غُلْبَ الْجِبَالِ

قال : ثمّ أتى قتيبة كاشانَ مدينةَ فرغانة ، وأتاه الجنودُ الذين وجّههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكثرها ، وانصرف قتيبةُ إلى مرو . وكتبَ الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن وجه من قبيلك من أهل العراق إلى قتيبة ، ووجه إليهم جهنم بن زحر بن قيس ، فإنه في أهل العراق خير منه في أهل الشام . وكان محمد واداً لجهنم بن زحر ، فبعث سليمان بن صعصعة وجهنم بن زحر ، فلما ودّعه جهنم بكى وقال : يا جهنم ، إنه لتنفراق ، قال : لا بدّ منه .

قال : وقدم على قتيبة سنة خمس وتسعين .

* * *

(١) ر : « اليسار » . (٢) ب : « أحيم » . (٣) ب : « الماني » .

[ولاية عثمان بن حيان المرّي على المدينة]

وفي هذه السنة قدّم عثمانُ بنُ حَيَّانَ المرّي المدينةَ واليًّا عليها من قِبَلِ ١٢٥٨/٢
الوليد بن عبد الملك .

* ذكر الخبر عن ولايته :

قد ذكرنا قبلُ سببَ عزَلِ الوليدِ عمرَ بنَ عبد العزيز عن المدينة ومكة
وتأثيره على المدينة عثمان بن حيان ، فزعم محمد بنُ عمر أن عثمان قدم المدينة
أميراً عليها للثلاثين بقيّةً من شوال سنة أربع وتسعين ، فنزل بها دارَ مروان
وهو يقول : محلة والله مطعانٌ ، المغرور من غرّ بك . فاستقضى أبا بكر بن حزم .

قال محمد بنُ عمر : حدثني محمد بنُ عبد الله بن أبي حرة ، عن عمه
قال : رأيتُ عثمانَ بنَ حَيَّانَ أخذَ رِياحَ بنَ عبيد الله ومُنِقِداً العِراقَ فحبسَهم
وعاقبَهم ، ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف ، ولم يترك بالمدينة
أحدًا من أهل العراق تاجرًا ولا غير تاجر ، وأمر بهم أن يُسَخَّرَ جِوا من كلِّ
بلد ، فرأيتُهم في الجوامع ، وأتبع أهل الأهواء ، وأخذ هَيْئَصًا فقطعه ، ومنحورًا—
وكان من الخوارج — قال : وسمعتُه يخطُبُ على المنبر يقول بعد حمد الله :

أيها الناس ، إنا وجدناكم أهلَ غشٍّ لأمير المؤمنين في قديم الدهر
وحديثه ، وقد ضَوّى إليكم من يزيدكم خبالًا . أهلُ العراق هم أهلُ
الشقاق والنفاق ، هم والله عَشْرُ النفاق وبَيَّضَتِ التي تفلقت عنه . والله ما

١٢٥٩/٢ جَرَبْتُ عِراقِيًّا قطًّا إلا وجدتُ أفضَلَهُم عند نفسه الذي يقول في آل
أبي طالب ما يقول ، وما هم لهم بشيعة ، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم ، ولكن لما
يريد الله من سَفَلِك دمائهم فإني والله لا أوتى بأحدٍ آوَى أحدًا منهم ، أو
أكثره مَسْرًا ، ولا أنزَلَه ، إلا هدمتُ منزله ، وأنزلتُ به ما هو أهلُه . ثم إنَّ
البلدانَ لما مصَّرها عُمر بنُ الخطاب وهو مجتهد على ما يَصْلِح رعيته جعل
يُمرّ عليه من يريد الجهاد فيستشيره : الشام أحب إليك أم العراق ؟ فيقول :
الشام أحب إلي . إني رأيتُ العراقَ داءً عَضَالًا ، وبها فرخ الشيطان . والله

لقد أعضلوا^(١) بي ، وإني لأراني سأفرقهم في البُلْدان ، ثم أقول : لو فرقتهم لأفسدوا من دخلوا عليه بجدل وحجاج ، وكيف ؟ ولِمَ ؟ وسُرعة وجيف في الفتنة ، فإذا خبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل^(٢) . لم يصلحوا على عثمان ، فلقى منهم الأمرين^(٣) ، وكانوا أول الناس فشق هذا الفشق العظيم ، ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة ، وأنزلوا^(٤) البُلْدان . والله إني لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومساذهبهم . ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فدامسهم^(٥) فلم يصلحوا عليه ، وليهم رجل الناس^(٦) . جلدأ فبسط عليهم السيف ، وأخافهم ، فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا ، وذلك أنه خسرهم وعرفهم .

أيها الناس ، إنا والله ما رأينا شيعاراً قط مثلاً الأمن ، ولا رأينا حليلاً^(٧) قط شراً من الخوف ، فالزموا الطاعة ، فإن عندى يا أهل المدينة خيرة من الخلاف . والله ما أنتم بأصحاب قتال ، فكوزوا من أحلاس بيوتكم ، وعصوا على النواجد ، فإني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيبلغني عنكم . إنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم ، فندعوا عيب الولاة ، فإن الأمر إنما يُنقَضُ شيئاً شيئاً حتى تكون الفتنة وإن الفتنة من البلاء . والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد .

قال : يقول القاسم بن محمد : صدق في كلامه هذا الأخير ، إن الفتنة لهكذا .

قال محمد بن عمر : وحدثنى خالد بن القاسم ، عن سعيد بن عمرو الأنصاري ، قال : رأيت منادى عثمان بن حيان ينادى عندنا : يا بني أمية بن زيد ، برئت ذمة من آوى عراقياً - وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل

(١) عضل به الأمر وأعضل : اشتد . (٢) الطائل والطائلة والطول : الفضل والقدرة .

(٣) الأمران : الفقر والحرم ، وهما كناية عن اشتداد الأمر .

(٤) أنزلوا : أفسدوا ، من نزل الأديم إذا فسد في الدباغ ، وأنزله : أفسده .

(٥) دامسهم : واقفهم ؛ من المدامجة وهي مثل المداجة . (٦) رجل الناس ، يريد الحجاج .

(٧) الحلس في الأصل : كساء على ظهر بعير يوضع تحت رحله ؛ والمراد لزوم الشيء .

يقال له أبو سَوَادَةَ، من العُبَاد — فقال: والله ما أحب أن أدخل عليكم مكرهاً، بلغوني^(١) مَأْمَنِي؛ قلت: لا خير لك في الخروج، إن الله يبدففع عنا وعنك. قال: فأدخلته بيتي، وبلغ عثمان بن حِثَّانَ فبَعَثَ أحرأساً فأخرجته إلى بيت أخِي، فما قدروا على شيء، وكان الذي سَعَى بي عدوًّا، فقلت للأُمير: أصالح الله الأمير! يؤتني بالباطل فلا تُعاقب عليه. قال: فضرب الذي سَعَى بي عشرين سوطاً. وأخبر حِثَّانَ العِراقِيَّ، فكان يصلّي معنا ما يغيّب يوماً واحداً، وحَدِّبَ عليه أهلُ دارِنَا، فقالوا: نموت دونك! فما برح حتى عزّل الحبيث.

قال محمد بنُ عمر: وحدّثنا عبدُ الحَكيم^(٢) بن عبد الله بن أبي فَرَوَةَ، قال: إنما بَعَثَ الوليدُ عثمانَ بنَ حِثَّانَ إلى المدينة لإخراج مَنْ بها من العِراقِيَّينَ ١٢٦١/٢ وتفرّق أهلُ الأهواء ومن ظنّه^(٣) عليهم أو علا بأمرهم^(٤)، فلم يبعثه والياً، فكان لا يصعد المنبَر ولا يخطُب عليه، فلما فعل في أهلِ العراق ما فعل. وفي منحوور وغيره أثبتته على المدينة، فكان يصعد على المنبَر.

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جُبَيْر]

وفي هذه السنة قَتَلَ الحجاجُ سعيدَ بنَ جُبَيْرٍ.

» ذكر الخبر عن مقتله:

وكان سبب قتل الحجاج إياه خروجه عليه مع مَنْ خَرَجَ عليه. مع عبدِ الرحمن بنِ محمد بنِ الأشعث، وكان الحجاج جعله على عطاء الجُنُود حين وجّه عبدَ الرحمن إلى رُتَبِيل لِقَتالِهِ، فلما خلع عبدُ الرحمن الحجاج كان سعيد فيمن خَلَّعَهُ معه، فلما هَزِمَ عبدُ الرحمن وهَرَبَ إلى بلاد رُتَبِيل هَرَبَ سعيد.

فحدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا أبو بكر بن عياش، قال: كتب الحجاج إلى فلان وكان على أصبهان — وكان سعيد، قال الطبري: أظنه أنه لما هَرَبَ

(١) ب: «بلغوني». (٢) ط: «الحكم»، تصحيف.

(٣) ب: «طن». (٤) ب: «عاب أمرهم».

من الحجاج ذهب إلى أصبهبان فكتب إليه - : إن سعيداً عندك فخذْه .
فجاء الأمر إلى رجل تحرج ، فأرسل إلى سعيد : تحول عني ، فتنحى عنه ،
فأتى أذربيجان ، فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون ، واعتسرت
فخرج إلى مكة فأقام بها ، فكان أناس من ضربه يستخفون فلا يخبرون
بأسمائهم . قال : فقال أبو حصين " وهو يحدثنا هذا : فبكتنا أن فلاناً قد أمر
على مكة ، فقلت له : يا سعيد ، إن هذا الرجل لا يؤمن ، وهو رجل
سوء ، وأنا أتقيه عليك ، فاطعن واشخص ، فقال : يا أبا حصين ، قد
والله فررت حتى استحييت من الله ! سيجيئني ما كتب الله لي . قلت :
أظنك والله سعيداً كما سميتك أمك . قال : فقدم ذلك الرجل إلى مكة ،
فأرسل فأخذه فلان له وكلمه ، فجعل يديره .

١٢٦٢/٢

وذكر أبو عاصم عن غنم بن قيس ، قال : كتب الحجاج إلى
الوليد : إن أهل النفاق والشقاق قد لجأوا إلى مكة ، فإن رأى
أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم ! فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري ،
فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار ،
فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلوا لأنهما مكيتان ، وأما الآخرون فبعث بهم
إلى الحجاج ، فأت طلق في الطريق ، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج ،
وقتل سعيد بن جبير .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا الأشجعي ،
قال : لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبير نزل منزلاً قريباً من الربذة ،
فانطلق أحد الحرسيين في حاجته وبقي الآخر ، فاستيقظ الذي عنده ،
وقد رأى رؤيا ، فقال : يا سعيد ، إني أبرأ إلى الله من دمك ! إني رأيتُ
في منامي ، فقيل لي : ويلك ! تبرأ من دم سعيد بن جبير . اذهب
حيث شئت لا أطلبك أبداً ، فقال سعيد : أرجو العافية وأرجو ، وأبي حتى

١٢٦٣/٢

(١) هو أبو حصين عثمان بن عاصم ، روى عنه أبو بكر بن عياش ، وانظر الجزء الأول

جاء ذاك؛ فتزلا من الغد، فأرى مثلها، فقيل: أبرأ من دم سعيد. فقال: يا سعيد، اذهب حيث شئت، إني أبرأ إلى الله من دمك، حتى جاء به. فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه، حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه، جرى به مقيداً فدخل عليه قراء أهل الكوفة. قلت: يا أبا عبد^(١) الله، فحدثكم؟ قال: إني والله وبضحك، وهو يحدثنا، وبُنيّة له في حجبته، فنظرت نظرة فابصرت القيّد فبكمت، فسمعتة يقول: أي بُنيّة لا تطيرى، إياك - وشقّ والله عليه - فاتبعناه نسيه، فانتبهينا به إلى الجسر، فقال الحرسيان: لا نعبر به أبداً حتى يعطينا كفيلاً، نخاف أن يغرق نفسه. قال: قلنا: سعيد يغرق نفسه! فما عبروا حتى كفلنا به.

قال وهب بن جرير: حدثنا أبي، قال: سمعت الفضل بن سويد قال: بعثني الحجاج في حاجة، فجاء بسعيد بن جبّير، فرجعت فقلت: لا نظرنّ ما يصنع، فقمّت على رأس الحجاج، فقال له الحجاج: يا سعيد، ألم أشرّكك في أمانتي! ألم أستعملك! ألم أفعل! حتى ظننت أنه يخلى سبيله؟ قال: بلى، قال: فما حمّلك على خروجك عليّ؟ قال: عزيم عليّ، قال: فطار غضباً وقال: هيه! رأيت لعزّة عدوّ الرحمن عليك حقاً، ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لى عليك حقاً! اضربا عنقه، فضربت عنقه، فسند رأسه عليه كمة بيضاء لا طية صغيرة.

وحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، قال: سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال: لما قُتل سعيد بن جبّير فنذر رأسه لله، هلك ثلاثاً: مرة يُفصّح بها، وفي الثنتين يقول. مثل ذلك فلا يُفصّح بها. وذكر أبو بكر^(٢) الباهلي، قال: سمعت أنس بن أبي شريح، يقول: لما

(١) أبو عبد الله كنية يزيد بن أبي زياد. تهذيب التهذيب.

(٢) ط: «بكورة»، وانظر الفهرس.

أتى الحجاج بسعيد بن جبير ، قال : لعن الله ابن النصرانية - قال : يعنى خالداً القسرى ، وهو الذى أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ! بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة . ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ، ما أخرجك على ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! إنما أنا امرؤ من المسلمين يُخطئ مرة ويصيب مرة ، قال : فطابت نفس الحجاج ، وتطلق وجهه ، ورجا أن يتخلص من أمره ، قال : فعاودة فى شيء ، فقال له : إنما كانت له بيعة فى عنتى ؛ قال : فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرفيه رداً عن منكبيه ، فقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ، ثم أخذت (١) بيعة أهلها ، وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ! قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة ، فأخذت ببيعتك له ثانية ! قال : بلى ؛ قال : فستنكث (٢) بيعتين لأمر المؤمنين ، وتنفى بواحدة للحائك ابن الحائك ! اضربا عنقه ؛ قال : فإياه عنتى جرير بقوله :

١٢٦٥/٢

يأرب ناكث بيعتين تركته وخضاب لحيته دم الأوداج (٣)

وذكر عتاب بن بشير ، عن سالم الأفطس ، قال : أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب ، وقد وضع إحدى رجله فى الفرز - أو الركاب - فقال : والله لا أركب حتى تنبوء مقعدك من النار ، اضربوا عنقه . فضربت عنقه ، فالتبس مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه قال : القيود التى على سعيد بن جبير ، فقتلوه من أنصاف ساقبيه وأخذوا القيود .

قال محمد بن حاتم : حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن هلال بن خبيب (٤) قال : جىء بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : أكتبته إلى مصعب ابن الزبير ؟ قال : بلى كتب إلى مصعب ؛ قال : والله لأقتلنك ؛ قال :

(١) ب : « وأخذت » . (٢) ب : « فنكثت » .

(٣) ديوانه ٩٠ . (٤) ط : « جناب » ، وانظر الفهرس .

لأتى إذا لسعيد كما ستمنى أمى! قال : فقتله ؛ فلم يلبث بعده إلاّ نحواً من أربعين يوماً ، فكان إذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجاميع ثوبه فيقول : يا عدو الله ، لِمَ قتلتنى ؟ فيقول : مالى ولسعيد بن جببير! مالى ولسعيد ابن جببير!

* * *

قال أبو جعفر: وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء، مات فيها عامة فقهاء أهل المدينة، مات فى أولها على بن الحسين عليه السلام^(١)، ثم عروة بن الزبير، ثم سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

واستقضى الوليد فى هذه السنة بالشأم سليمان بن حبيب . واختلف فيمن أقام الحج للناس فى هذه السنة ، فقال أبو معشر - فيما حدثنى أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عنه - قال : حج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة أربع وتسعين .

وقال الواقدي : حج بالناس سنة أربع وتسعين عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك - قال : ويقال : مسلمة بن عبد الملك .

وكان العامل فيها على مكة خالد بن عبد الله القسرى ، وعلى المدينة عثمان بن حيان المرمى ، وعلى الكوفة زياد بن جريز ، وعلى قضائها أبو بكر ابن أبى موسى . وعلى البصرة الجراح بن عبد الله . وعلى قضائها عبد الرحمن ابن أذينة . وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى مصر قرّة بن شريك ، وكان العراق والمشرق كله إلى الحجاج^(٢) .

(١) ب : «على بن الحسين بن علي صلى الله عليه» .

(٢) بعده فى ب : « بن يوسف » .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم ، ففتَح اللهُ على يديه ثلاثةَ حصُونٍ فيما قيل ، وهى : طولس ، والمرزبانين ، وهِرَقْلَة . وفيها فتح آخر الهند إلا الكَسِيرَجَ والمَسْدَل . وفيها بُسِيت واسط القَصَب في شهر رمضان . وفيها انصرف موسى بن نُصَيْر إلى إفريقية من الأندلس ، وضَحَى بقَصَر الماء - فيما قيل - على ميل من القَسِير وان .

* * *

[بقية الخبر عن غزو الشاش]

وفيها غزا قتيبة بن مُسْلِم الشاش .

* ذكر الخبر عن غزوته هذه :

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد ، قال : وبعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين ، فغزا ، فلما كان بالشاش - أو بكُشْمَاهَمَن - أتاه موتُ الحجاج في شوال ، فغمَّه ذلك ، وقَفَلَ راجعاً إلى مَرَوَ ، وتمثل :

أَعْمَرِي لِنِعَمِ الْمَرْءِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ بِحَوْرَانَ أَمْسَى أَعْلَقَتْهُ الْحَبَائِلُ^(١)
فَإِنْ تَخَى لَا أَمَلٌ لِحَايَا وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
قال : فرجع بالناس ففرقهم ، فَخَلَّفَ في بخارى قوماً ، ووجهه قوماً إلى كَسْ وَنَسَسَف ، ثم أتى مَرَوَ فأقام بها ، وأتاه كتابُ الوليد : قد عَرَفَ أميرُ المؤمنين بلاءَكَ وَجِدَكَ^(٢) في جهادِ أعداء المسلمين ، وأميرُ المؤمنين^(٣)

١٢٦٨/٢

(١) للخطبة ، ديوانه ١٠٠ ، وذكروا أنه خرج يريد علقمة بن علاثة وهو بحوران ، فات علقمة قبل أن يصل إليه الخطبة ، فقال أبياتاً منها هذان البيتان . (٢) ب : « وجهادك » .

(٣) ب : « المسلمين » .

رافعك وصانع بك كالذى يجب لك ، فالتم متغازيك ، وانتظر ثواب ربك ، ولا تغيب^(١) عن أمير المؤمنين كتبك ؛ حتى كأنى أنظر إلى بلادك^(٢) والثغر الذى أنت به^(٣) .

* * *

وفيهما مات الحجاج بن يوسف فى شوال - وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل : ابن ثلاث وخمسين سنة - وقيل : كانت وفاته فى هذه السنة لخمس ليال بقرين من شهر رمضان .

وفيهما استخلف الحجاج لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج . وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما قال الواقديّ عشرين سنة . وفى هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين .

وفيهما قتل الوضاحى بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه .

وفيهما - فيما ذكر - ولد المنصور عبد الله بن محمد بن على .

وفيهما ولّى الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبى كعبشة على الحرب والصلاة بالمصريين^(٤) : الكوفة والبصرة ، ولّى خراجهما يزيد بن أبى مسلم .

وقيل : إن الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب البلدين والصلاة بأهلهم يزيد بن أبى كعبشة ، وعلى خراجهما يزيد بن أبى مسلم ، فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه . وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم ، أقرهم بعده على أعمالهم التى كانوا عليها فى حياته .

* * *

ومحج بالناس فى هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك ، حدثني

(٢) ب : « بلادك » .

(١) ب : « تغيب » .

(٣) ب : « فيه » .

(٤) ب : « على المصريين » .

بذلك أحمدُ بنُ ثابتٍ عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

* * *

وكان عُمالُ الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة
التي قبلها ، إلا ما كان من الكوفة والبصرة ، فإنهما ضُمَّتا إلى مَنْ
ذكرتُ بعد موتِ الحجاج .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت - فيما قال الواقدي - غزوة بيشر بن الوليد الشامية ،
فقتل وقد مات الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك]

وفيهما كانت وفاة الوليد بن عبد الملك ، يوم السبت في النصف من
جمادى الآخرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السير .
واختلف في قدر مدة خلافته ، فقال الزهري في ذلك - ما حدثت
عن ابن وهب عن يونس عنه : مَلَكَ الوليدُ عشرَ سنين إلا شهراً .
وقال أبو معشر فيه ، ما حدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ،
عن إسحاق بن عيسى : عنه : كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر .
وقال هشام بن محمد : كانت ولاية^(١) الوليد ثمان سنين وستة^(٢) أشهر .
وقال الواقدي : كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليتين .
واختلف أيضاً في مبلغ عمره ، فقال محمد بن عمر : توفي بدمشق
وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر .

وقال هشام بن محمد : توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة .
وقال علي بن محمد : توفى وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر .
وقال علي : كانت وفاة الوليد بدير مَرَّان ، ودُفِنَ خارج باب الصغير .
ويقال : في مقابر الفراديس .

ويقال : إنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة .
وقيل : صلى عليه عمر بن عبد العزيز .

(١) ب : « خلافة » .

(٢) ب : « ثمانية » .

وكان له - فيما قال علي - تسعة عشر ابنًا: عبدالعزيز، ومحمد، والعباس، وإبراهيم، وتمّام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشر، ومسرور، وأبو عبيدة، وصدقة، ومنصور، ومروان، وعنيسة، وعمر، وروح، وبشر، ويزيد، ويحيى؛

أم عبد العزيز ومحمد وأم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان، وأم أبي عبيدة فزارية، وسائرهم لأمهات شتى.

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره :

حدثني عمر، قال: حدثني علي، قال: كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل جلائقهم، بنى المساجيد مسجد دمشق ومسجد المدينة، ووضع المنار، وأعطى الناس، وأعطى المجتدين، وقال: لا تسألوا الناس. وأعطى كل مقنع خادمًا، وكل ضريّر قائدًا. وفتح في ولايته فتوح عظام؛ فتح موسى بن نصير الأندلس، وفتح قتيبة كاشغر، وفتح محمد بن القاسم الهند.

١٢٧١/٢

قال: وكان الوليد يمرّ بالبقال فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفلس؛ فيقول: زد فيها.

قال: وأتاه رجل من بني مخزوم يسأله في دينه، فقال: نعم، إن كنت مستحقًا لذلك، قال: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقًا لذلك مع قرابتي! قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادن مني، فدنا منه، فنزع عمامته بقتضيب كان في يده، وقراه قرعات بالقتضيب، وقال للرجل: ضم هذا إليك، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن، فقام إليه عثمان ابن يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: يا أمير المؤمنين، إن علي دينا، فقال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات من الأنفال، وعشر آيات من براءة، فقرأ، فقال: نسعم، نسقمضي^(١) عنكم، ونصّل أرحامكم على هذا.

١٢٧٢/٢

(١) ب - « يقضى ».

قال : ومَرَضَ الوليدُ فرهقته غَشِيَتْهُ ، فمكثَ عامَةً يوميه عندَهم مَيْتًا ، فبُكِيَ عليه ، وخرجتَ البُرْدُ بِمَوْتِهِ ، فقدمَ رسولُ على الحجاج ، فاسترجع ، ثمَّ أمرَ بِجَلِّ فُشِدَتْ في يديه ، ثمَّ أوثقَ إلى أسطوانة ، وقال : اللهم لا تسلطَ علىَّ من لا رحمةَ له ، فقد طالما سألتُك أن تجعلَ منيتي قبلَ منيته ! وجعلَ يدعُو ، فإنه لَكَذلكَ إذ قدَّم عليه يريدُ بإفاقته .

قال عليّ : ولما أفاق الوليدُ قال : ما أحدٌ أسرَّ بعافيةِ أميرِ المؤمنين ^(١) من الحجاج ؛ فقال عمرُ بنُ عبد العزيز : ما أعظمَ نعمةَ الله علينا بعافيتك ، وكأني بكتابِ الحجاج قد أتاكَ يذكُرُ فيه أنه لما بلغه برؤُك خَرَّ لله ساجداً ، وأعتقَ كلَّ مملوكٍ له ، وبعثَ بقوارير من أنسجَ الهِنْد . فما لبثَ إلا أياماً حتى جاء الكتابُ بما قال .

قال : ثمَّ لم يَمُتِ الحجاجُ حتى ثَقُلَ على الوليد ، فقال خادِمُ الوليد : إني لأوضيُّ الوليدَ يوماً للغداء ، فدَّ يدَه ، فجعلتُ أصبُ عليه الماء ، وهو ساهٍ والماءُ يَسِيلُ ولا أستطيعُ أن أتكلَّم ، ثمَّ نَضَحَ الماءَ في وَجْهِي ، وقال : أنا عَسُ أنتَ ! ورَفَعَ رأسه إلى وقال : ما تَدْرِي ما جاء الليلة ؟ قلتُ : لا ؛ قال : وَيَحْصَلُكَ ! ماتَ الحجاج ! فاسترجعتُ . قال : اسكُتْ ما يُسرَّ مولاك أن في يده تَفاحَةٌ يَسْمُها .

قال عليّ : وكان الوليد صاحبَ بناءٍ واتَّخَذَ للمصانع والضِّياع ، وكان الناسُ يلتقون في زمانه ، فلَمَّا يسألُ بعضهم بعضاً عن البِناءِ والمَصْنَعِ . فولى ١٢٧٣/٢ سليمان ، فكان صاحبَ نكاحٍ وطعام ، فكان الناسُ يسألُ بعضهم بعضاً عن التزويجِ والجنَاحِ . فلما ولَّى عمرُ بنُ عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجلُ للرجل : ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظُ من القرآن ؟ ومتى تختمُ ؟ ومتى ختمتَ ؟ وما تصومُ من الشهر ؟ ورثي جريرَ الوليدَ فقال :

يا عَيْنَ جُودِي بِدَمْعٍ هَاجَهُ الذِّكْرُ فما لدَمْعِكَ بَعْدَ اليومِ مُدْخَرُ ^(١)

(١) س : « الوليد » .

(٢) ديوانه ٢٩٦ .

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شَمَائِلَهُ غِبْرَاءُ مُلْحَدَةً فِي جُولِيهَا زَوْرُ^(١)
أَصْحَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النَّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا جَمِيعًا فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عَمْرُ^(٢)

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حج الوليد بن عبد الملك، وحج محمد بن يوسف من اليممن، وحمل هدايا للوليد، فقالت أم البنين للوليد: يا أمير المؤمنين، اجعل لي هدية محمد بن يوسف، فأمر بصرفها إليها، فجاءت رسل أم البنين إلى محمد فيها، فأبى وقال: ينظر إليها أمير المؤمنين فيترى رأيه - وكانت هدايا كثيرة - فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت بهدايا محمد أن تصرف إلى، ولا حاجة لي بها، قال: ولم؟ قالت: بلغني أنه غصبها الناس، وكلّفهم عملها، وظلمهم. وحمل محمد المتاع إلى الوليد، فقال: بلغني أنك أصبتها غصبًا، قال، معاذ الله! فأمر فاستحلف بين الركن والمقام خمسين يمينًا بالله ما غصب شيئًا منها، ولا ظلم أحدًا، ولا أصابها إلا من طيب، فتمحلف، فقبلها الوليد ودفعها إلى أم البنين، فمات محمد بن يوسف باليممن، أصابه داء تقطع منه.

١٢٧٤/٢

وفي هذه السنة كان الوليد أراد الشخوص إلى أخيه سليمان لخلعه، وأراد البيعة لابنه من بعده، وذلك قبل مرضته التي مات فيها. حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: كان الوليد وسليمان ولي عهد عبد الملك، فلما أفضى الأمر إلى الوليد، أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلفه سليمان، فأبى سليمان، فأراده على أن يجعله له من بعده، فأبى، فعرض عليه أموال كثيرة، فأبى، فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز،

(١) الديوان: «غبراء ملحودة». وأجوال البئر: نواحيها. والزور: الاعوجاج.

(٢) بعده في الديوان.

وخالد لو أراد الدهر فديته أغلوا مخاطرة لو يقبل الخطر
قد شفني روعة العبايس من فزع لما أتاه بدير القسطل الخبر

ودعا الناس إلى ذلك ؛ فلم يُجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخوَّاص من الناس . فقال عبَّاد بن زياد : إنَّ الناس لا يُجيبونك إلى هذا ، ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابتك ، فاكْتَبُ إلى سليمان فليقدم عليك ، فإنَّ لك عليه طاعة ، فأردَّه على البَيْعَة لعبد العزيز من بعده ، فإنه لا يتقدَّر على الامتناع وهو عندك ، فإنَّ أبى كان الناسُ عليه .

فكتب الوليدُ إلى سليمان يأمره بالقدوم ^(١) ، فأبطأ ، فاعتزَم الوليدُ على المسير إليه وعلى أن يخلَّعه ، فأمر الناس بالتأهب ، وأمر بحُجْرته فأُخْرِجَتْ ، ففرض ، ومات قبل أن يسير ^(٢) وهو يريد ذلك .

قال عمر : قال عليٌّ : وأخبرنا أبو عاصم الزيادي عن الهِلْوَث الكلبي ، قال : كنا بالهِنْد مع محمد بن القاسم ، فقتَلَ الله داهراً ^(٣) ، وجاءنا كتابٌ من الحجاج أن اخلَّعوا سليمان ، فلما ولي سليمانُ جاءنا كتابُ سليمان ، أن ازرعوا واحرثوا ، فلا شأَمَ لكم ، فلم نزلْ بتلك البلاد حتى قام عمرُ بنُ عبد العزيز فأقفلنا .

قال عمر : قال عليٌّ : أراد الوليد أن يبنَى مَسْجِدَ دمشق ، وكانت فيه كنيسة ، فقال الوليد لأصحابه : أقسمتُ عليكم لمَّا أتاني كلَّ رجلٍ منكم بِلِسِينَةٍ ، فاجعل كلَّ رجلٍ يأتيه بِلِسِينَةٍ ، ورجلٌ من أهل العراق يأتيه بِلِسِينَتَيْنِ ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق ؛ قال : يا أهل العراق ، تُفَرِّطون في كلِّ شيءٍ حتى في الطاعة ! وهدموا الكنيسةَ وبنوها مسجداً ، فلما ولي عمر بنُ عبد العزيز شكَّوا ذلك إليه ، فقيل : إنَّ كلَّ ما كان خارجاً من المدينة افتُتِحَ عَنُوةً ، فقال لهم عمر : ردُّ عليكم كنيسةَكم ونهْدم من كنيسة توماً ، فإنها فُتِحَتْ عَنُوةً ، نبنينا مسجداً ، فلما قال لهم ذلك قالوا : بل نَدَع لكم هذا الذي هَدَمَه الوليد ، ودَعُوا لنا كنيسةَ توما . ففَعَلَ عمرُ ذلك .

(١) بعدها في ب : « عليه » .

(٢) بعدها في ب : « إليه » .

(٣) داهر ، ملك مكران .

[فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين]

وفي هذه السنة افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر ، وغزى الصين .

* ذكر الخبر عن ذلك :

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبل . قال : ثم غزا قتيبة في سنة ست وتسعين ، وحتمل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يحرز عياله في سمرقند خوفاً من سليمان ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواله يقال له الخوارزمي على مسقطع النهر ، وقال : لا يجوزن أحد إلا بجواز ، ومضى إلى فترغانة ، وأرسل إلى شعب عصام من يستهل الطريق إلى كاشغر ، وهي أدنى مدائن الصين ، فأتاه موت الوليد وهو بفرغانة .

١٢٧٦/٢

قال : فأخبرنا أبو الذيال عن المهلب بن إياس ، قال : قال إياس بن زهير : لما عبر قتيبة النهر أتيتُه فقلت له : إنك خرجت ولم أعلم رأيك في العيال فأتخذ أهبة ذلك ، وبني الأكابر معي ، ولئى عيال قد خلقتهم وأم عجوز ، وليس عندهم من يقوم بأمرهم ، فإن رأيت أن تكتب لى كتاباً مع بعض بنى أوجته فيقدم على أهلى ! فكتب ، فأعطانى الكتاب فأنتهيت إلى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخر ، فألويت بيدي ، فجاء قوم فى سفينة فقالوا : من أنت ؟ أين جوازك ؟ فأخبرتهم ، ففعد معى قوم ورد قوم السفينة إلى العامل ، فأخبروه . قال : ثم رجعوا إلى فحملونى ، فأنتهيت إليهم وهم يأكلون وأنا جائع ، فرميت بنفسى ، فسألنى عن الأمر ، وأنا آكل لا أجيبه ، فقال : هذا أعرابى قد مات من الجوع ، ثم ركب فضيت فأتيت مرو ، فحملت أمى ، ورجعت أريد العسكر ، وجاءنا موت الوليد ، فانصرفت إلى مرو .

وقال : وأخبرنا أبو مخنف ، عن أبيه ، قال : بعث قتيبة كثير بن فلان إلى كاشغر ، فسبى منها سببياً ، فحتم أعناقهم مما أفاء الله على قتيبة ، ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد .

قال : وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمدانى عن أشياخ من أهل خراسان

والحكيم بن عثمان ، قال : حدثني شيخ من أهل خراسان . قال : وغلب قتيبة حتى قرب ^(١) من الصين . قال : فكاتب إليه ملك الصين أن ابعث إلينا رجلاً من أشرف من معكم يُخبرنا عنكم ، ونسأله عن دينكم . فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً - وقال بعضهم : عشرة - من أفناء القبائل ، لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس ، بعد ما سأل عنهم فوجدتهم من صالح من هم منه . فكلمتهم قتيبة ، وفاطنتهم فرأى عقولا وجمالاً ، فأمرهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الحرّ والوشى واللين من البياض والرقيق ^(٢) والنعال ^(٣) والعطر ، وحملتهم على خيول مطهّسة تُقاد معهم ، ودواب يتركبونها ^(٤) . قال : وكان هُبيرة بن المشمرج الكلبي مفوهاً بسيطاً اللسان ، فقال : يا هُبيرة ، كيف أنت صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ! قد كُفيت الأدب وقل ما شئت أقله . وأخذ به ، قال : سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق . لا تَضَعُوا العمامَ عنكم حتى تقدموا البلاد ، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجني خراجهم .

قال : فساروا ، وعليهم هُبيرة بن المشمرج ، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعوه ، فدخلوا الحمام ، ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاً ^(٥) تحتها الغلائل ، ثم مسسوا الغالية ، وتدخنوا ^(٥) ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه وعنده عظماء أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا ، فقال الملك لمن حضّره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قومًا ما هم إلا نساء ، ما بقي منا أحد حين رأهم ووجد رائحتهم إلا انتشر ما عنده .

قال : فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشى وعمائم الحرّ والمطاريف ، وغدوا عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا ، فقال لأصحابه : كيف

(٢) ب : « الرقاق » .

(١) ب : « بلغ قرب » .

(٤) ب : « يربطونها » .

(٣) ب : « والبغال » .

(٥) في اللسان : « الدخنة » بخور يدخن به الثياب أو البيت ، وقد تدخن بها ودخن غيره .

(٦) ط : « بياضاً » .

رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْهَيْئَةَ ؟ قَالُوا : هَذِهِ الْهَيْئَةُ أَشْبَهُ بَهَيْئَةِ الرِّجَالِ مِنْ تِلْكَ الْأُولَى ، وَهُمْ أَوْلَتْكَ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَشَدَّوْا عَلَيْهِمْ سِلَاحَهُمْ ، وَلَبَسُوا الْبَيْضَ وَالْمَغَافِرَ ، وَتَقَلَّدُوا السِّيفَ ، وَأَخَذُوا الرَّمَاحَ ، وَتَنَكَّبُوا الْقَسِيَّ ، وَرَكِبُوا خَيْولَهُمْ ، وَغَدَّوْا فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُ الصِّينِ فَرَأَى أَمْثَالَ الْجِبَالِ مُتَقَبِّلَةً ، فَلَمَّا دَنَوْا رَكَزُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَهُمْ مُشْعَرِينَ ، فَقِيلَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا : ارْجِعُوا ، لِمَا دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْ خَوْفِهِمْ .

قال : فَاَنْصَرَفُوا فَرَكِبُوا خَيْولَهُمْ ، وَاخْتَلَسَ جَوَارِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ دَفَعُوا خَيْولَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَنْطَارِدُونَ بِهَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ تَرَوْنَهُمْ ؟ قَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ قَطُّ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ ، أَنْ ابْعَثُوا إِلَى زَعِيمِكُمْ وَأَفْضَلِكُمْ رَجُلًا ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ : قَدْ رَأَيْتُمْ (١) عَظِيمَ مُلْكِي ، وَلَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَمْنَعُكُمْ مِنِّي ، وَأَنْتُمْ فِي بِلَادِي ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضِ فِي كَفِّي . وَأَنَا سَائِلُكَ (٢) عَنْ أَمْرِ فُلَانٍ لَمْ تَصْدُقْنِي (٣) قَتَلْتُكُمْ . قال : سَلْ ، قال : لِمَ صَنَعْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ مِنَ الزَّيِّ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثِ ؟ قال : أَمَا زَيْنَا الْأَوَّلُ فَلِبَاسُنَا فِي أَهَالِينَا (٤) وَرَبِحْنَا عِنْدَهُمْ ، وَأَمَا يَوْمُنَا الثَّانِي فَلِإِذَا أَتَيْنَا أَمْرَاءَنَا ، وَأَمَا الْيَوْمُ الثَّلَاثُ فَزَيْنَا لَعْدُونَا ، فَلِإِذَا هَاجَسْنَا هَيْجَ وَفَزَعٍ (٥) كُنَّا هَكَذَا . قال : مَا أَحْسَنَ مَا دَبَرْتُمْ دَهْرَكُمْ ! فَاَنْصَرَفُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ فَقَالُوا لَهُ : يَنْصَرِفُ ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حِرْصَهُ وَقِلَّةَ أَصْحَابِهِ ، وَإِلَّا بَعَثْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ يُهْلِكُكُمْ وَيُهْلِكُهُ ، قَالَ لَهُ : كَيْفَ يَكُونُ قَلِيلُ الْأَصْحَابِ مَنْ أَوَّلَ خِيَلِهِ فِي بِلَادِكَ وَأَخِيرَهَا فِي مَنَابِتِ الزَّيْتُونِ ! وَكَيْفَ يَكُونُ حَرِيصًا مَنْ خَلَفَ الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَيْهَا وَغَزَاكَ ! وَأَمَا تَخْوِيفُكَ إِيَّانَا بِالْقَتْلِ فَإِنَّ لَنَا آجَالًا إِذَا حَضَرَتْ فَأَكْرَمَهَا الْقَتْلُ ، فَلَسْنَا نَكْرَهُهُ وَلَا نَخَافُهُ ، قَالَ : فَا الَّذِي يُرْضِي صَاحِبَكَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَدْ حَلَفَ أَلَّا يَنْصَرِفَ حَتَّى يَطَّأَ أَرْضَكُمْ ، وَيَخْتَمَ مَلُوكَكُمْ ، وَيُعْطَى الْجِزْيَةَ ، قَالَ : فَإِنَّا نَخْرِجُهُ مِنْ يَمِينِهِ ، نَبْعَثُ إِلَيْهِ

١٢٧٩/٢

(٢) ب : « سَائِلُكَ » .

(٤) ب : « أَهْلُنَا » .

(١) ب : « رَأَيْتُمْ » .

(٣) ب : « تَصْدُقْنِي » .

(٥) ب : « أَوْ فَزَعٍ » .

بتراب من تراب أرضنا فيطوّه ، ونسبعت ببعض أبنائنا فيختمهم ، ونبعث إليه
بجزية يرضاها . قال : فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحريز
وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم ،
فساروا فقدّموا بما بعث به ، فقبّل قتيبة الجزية ، وختم الغلّة وردّهم ،
ووطئ التراب ، فقال سودة بن عبد الله السلولي :

لا عيب في الوفد الذين بعثتهم
للسين إن سلكوا طريق المنهج
كسروا الجفون على القذى خوف الردى
حاشا الكريم هبيرة بن مشمرج
لم يرض غير الختم في أعناقهم
ورهاثني دفعت بحمل سمرج
أدّى رسالتك التي استرعيت
وأناك من حنث اليمين بمخرج
قال : فأوفد قتيبة هبيرة إلى الوليد ، فمات بقرية^(١) من فارس ، فترثاه
سودة ، فقال :

لله قبر هبيرة بن مشمرج
وبديهة يعيا بها أبنائها
كان الربيع إذا السنون تتابعت
عند احتفال مشاهد الأقوال
فسقت بقرية حيث أمسى قبره
والليث عند تكعكع الأبطال
بكت الجياد الصافنات لفقده
غر يرحن بمسبل هطال
وبكته شعث لم يجدن مواسيا
وبكاه كل مثقف عسال
قال : وقال الباهليّون : كان قتيبة إذا رجع من غزاته كل سنة اشترى
اثنى عشر فرسا من جياد الخيل ؛ واثنى عشر هجيناً ، لا يُجاوز بالفرس أربعة
آلاف ، فيقام عليها إلى وقت الغزو ، فإذا تأهب للغزو وعسكر قيّدت
وأضميرت ، فلا يقطع نهراً بخيل حتى تخف لحومها ، فيحمل عليها
من يحملها في الطلائع . وكان يبعث في الطلائع الفرسان من الأشراف ،
ويبعث معهم رجالا من العجم من يستنصيح على تلك الهجن ، وكان إذا بعث

(١) قرية : اسم موضع .

بطليعة^(١) أمر بلتوح فنقيش ، ثم يشقه شقتين فأعطاها شقة ، واحتبس شقة ، لثلاث يمثل مثلها ، وأمره أن يدفنها في موضع يصفه له من^(٢) مخاضة معروفة ، أو تحت شجرة معلومة ، أو خربة ، ثم يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادق في طليعته أم لا .

وقال ثابت قُطْنة العتسكى يذكر من قُتيل من ملوك الترك :

أَقْرَّ الْعَيْنَ مَقْتَلُ كَارِزْنِكِ وَكَشْبِيزِ وَمَا لَأَقَى بِيَارِ

وقال الكُمَيْتُ يَذْكُرُ غَزْوَةَ السُّغْدِ وَخُورَزْمَ :

وبعد في غزوة كانت مباركة
نال غمامتها فيلاً بوابلها
إذ لا يزال له نهب يُنفله
تلك الفتوح التي تُدلى بحجبتها
لم تشن وجهك عن قوم غزوتهم
لم ترض من حصنهم إن كان ممتنعاً
تردى زراعة أقوام وتحتصد
والسغد حين دنا شوئبؤها البرد
من المقاسم لا وخش ولا نكد
على الخليفة إنا معشر حشد
حتى يُقال لهم : بعداً وقد بعدوا
حتى يُكبر فيه الواحد الصمد

(١) ب : « طليعة » .

(٢) ب : « في » .

خلافة سليمان بن عبد الملك

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بُويج سليمان بن عبد الملك بالخلافة ، وذلك في اليوم الذي تُوُفِّي فيه الوليد بن عبد الملك ، وهو بالرَّمْلَة .

وفيهما عَزَلَ سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة ، ذكره محمد بن عمر ، أنه نَزَعَه عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ست (١) ١٢٨٢/٢ وتسعين .

قال : وكان عمله على المدينة ثلاث سنين . وقيل : كانت إمرته عليها سنتين غير سَبْع (٢) ليال .

قال الواقدي : وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم قد استأذن عثمان أن ينام في غَد ، ولا يجلس للناس ليقوم ليلة إحدى وعشرين ، فأذن له . وكان أيوب بن سلمة المخزومي عنده ، وكان الذي بين أيوب بن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حَزْم سَيِّئًا ، فقال أيوب لعثمان : ألم تر إلى ما يقول هذا ؟ إنما هذا منه رِثاء ؛ فقال عثمان : قد رأيتُ ذلك ، ولست لأبى إن أرسلتُ إليه غُدوةً ولم أجده جالسًا لأجلدنه مائة ، ولأحلقن رأسه ولحيته .

قال أيوب : فجاءني أمرٌ أحبه ، فَعَجَلْتُ من السحر ، فإذا شَمْعَةٌ في الدار ، فقلتُ : عَجَلُ المرءِ ، فإذا رسولُ سليمان قد قَدِم على أبي بكر بتأميره وعَزَلَ عثمان وحده .

قال أيوب : فدخلتُ دارَ الإمارة ، فإذا ابنُ حَيَّان جالس ، وإذا بأبي بكر على كرسيٍّ يقول للحدَّاد : اضرب في رِجُل هذا الحديد ، ونظر إلى عثمان فقال (٣) :

أَبُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ كُشْفًا وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ

(١) ب : « في سنة » .

(٢) ط : « سبعة » ، والصواب ما أثبتته من ب .

(٣) بعدها في ب : « مثملاً » .

وفي هذه السنة عَزَلَ سليمانُ يزيدَ بنَ أبي مسلمٍ عن العراق ، وأمرَ عليه
يزيدَ بنَ المهلب ، وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخِراج ، وأمره أن
يقتُل آلَ أبي عقيل ويَسْطِطَ عليهم العذاب . فحدثني عمرُ بنُ شَبَّه ،
قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قَدِمَ صالحُ العراقَ على الخِراج ،
وزيدُ على الحرب ، فبعثَ يزيدَ زيادَ بنَ المهلب على عُمان ، وقال له :
كاتبُ صالحاً ، وإذا كتبتَ إليه فابدأ باسمه ، وأخذ صالحُ آلَ أبي عقيل
فكان يُعَذِّبهم ، وكان يلي عذابَهم عبدُ الملك بن المهلب . ١٢٨٣/٢

* * *

[خبر مقتل قتيبة بن مسلم]

وفي هذه السنة قُتِلَ قتيبة بنُ مسلمٍ بخُرَّاسان .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز
ابن الوليد وليَّ عهده ، ودسَّ في ذلك إلى القواد والشعراء ، فقال جرير
في ذلك :

إذا قيلَ أَى الناس خيرُ خليفة؟ أشارت إلى عبد العزيز الأصابع^(١)
رَأَوْهُ أَحَقَّ الناس كُلِّهم بها وما ظلموا ، فبايعوه وسارَعُوا^(٢)

وقال أيضاً جرير يحضُّ الوليد على بسِعة عبد العزيز :

إلى عبد العزيز سَمَتَ عيونُ الرِّ عِيَّةَ إذ تَحَيَّرَتِ الرُّعَاءُ^(٣)
إليه دَعَتْ دَوَاعِيهِ إذا مَا عِمَادُ المُلْكِ خَرَّتِ والسَّمَاءُ
وقال أولو الحكومة من قُرَيْشٍ علينا البيعُ إن بلغ الغلاء^(٤)

(١) ديوانه ٣٥٧ .

(٢) ب : « إذ بايعوه وسارَعُوا » ، ر : « فبايعوه وسارَعُوا » .

(٣) ديوانه ٩ .

(٤) الديوان : « إذ بلغ الغلاء » .

رَأَوْا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَلِيَّ عَهْدٍ وما ظلموا بذلك ولا أَسَاءُوا
فَمَاذَا تَنْظُرُونَ بِهَا وَفِيكُمْ جُسُورٌ بِالْعِظَامِ وَاعْتِلَاءُ!
فَزَحْلِفُهَا بِأَزْمَلِهَا إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَشَاءُ^(١)
فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ مَدُّوا إِلَيْهِ أَكْفَهُمْ وَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ
ولو قد بايعوك وليَّ عَهْدٍ لِقَامِ الْوِزْنِ وَاعْتَدَلَ الْبِنَاءُ^(٢) ١٢٨٤/٢
فَبَايَعَهُ عَلَى خَلْعِ سُلَيْمَانَ الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسُفَ وَقَتِيْبَةَ ، ثُمَّ هَلَكَ الْوَلِيدُ
وَقَامَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَخَافَهُ قَتِيْبَةُ .

قال علي بن محمد : أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ عَيْسَى وَالْحَسَنُ بْنُ رُشَيْدٍ وَكُلَيْبُ بْنُ خَلِيفَ ، عَنْ طُفَيْلِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، وَجَبَلَةَ بْنِ فَرَّوْخَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزِ الْكِنْدِيِّ ، وَجَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ^(٣) وَمُسْلِمَةَ بْنِ مَحَارِبَ ، عَنْ السَّكِينِ بْنِ قَتَادَةَ ؛ أَنَّ قَتِيْبَةَ لَمَّا أَتَاهُ مَوْتُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقِيَامُ سُلَيْمَانَ ، أَشْفَقَتْ مِنْ سُلَيْمَانَ لِأَنَّهُ كَانَ يَسْعَى فِي بَيْعَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ مَعَ الْحِجَاجِ ، وَخَافَ أَنْ يُوَلِّيَ سُلَيْمَانُ يُزَيْدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ خُرَّاسَانَ . قَالَ : فَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُنْهِيهِ بِالْخِلَافَةِ ، وَيُعِزِّيهِ عَلَى الْوَلِيدِ ، وَيُعَلِّمُهُ بِلَاءَهُ وَطَاعَتَهُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدِ ، وَأَنَّهُ لَهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ لَهَا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ إِنْ لَمْ يَعَزِلْهُ عَنْ خُرَّاسَانَ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا آخَرَ يُعَلِّمُهُ فِيهِ فَتُوْحَهُ وَنِكَايَتَهُ وَعَظَمَ قَدْرَهُ عِنْدَ مُلُوكِ الْعَجَمِ ، وَهَيْبَتَهُ فِي صُدُورِهِمْ ، وَعَظَمَ صَوْتَهُ فِيهِمْ ، وَيَذِمُّ الْمُهَلَّبَ وَآلَ الْمُهَلَّبِ ، وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ لَنْ اسْتَعْمَلَ يُزَيْدَ عَلَى خُرَّاسَانَ لِيُخْلِعَنَّهُ . وَكَتَبَ كِتَابًا ثَالِثًا فِيهِ خَلْعُهُ ، وَبَعَثَ بِالْكِتَابِ الثَّلَاثَةِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةَ^(٤) ، وَقَالَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ كَانَ يُزَيْدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ حَاضِرًا ، فَقَرَأْهُ ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيْهِ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ قَرَأَهُ وَأَلْقَاهُ إِلَى يُزَيْدَ فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ قَرَأَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يَدْفَعْهُ إِلَى يُزَيْدَ فَاحْتَبِسِ الْكِتَابَيْنِ الْآخَرَيْنِ .

(١) زحلّفها إليه ، أى ادفعها . وقوله : « بأزملها » ، أى بأجمعها .

(٢) الديوان : « لِقَامِ الْقِسْطِ » . (٣) ط : « حوَاد » ، تحريف . (٤) ب : « أهله » .

قال : فقدّم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب ، فمدّفع إليه الكتاب ، فقرأه ، ثم ألقاه إلى يزيد ، فمدّفع إليه كتاباً آخر فقرأه ، ثم رمى به إلى يزيد ، فأعطاه الكتاب الثالث ، فقرأه فتمعرّ لونه (١) ، ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده .

* * *

وأما أبو عبيدة سمعمر بن المثنى ، فإنه قال — فيما حدثت عنه : كان في الكتاب الأول وقية في يزيد بن المهلب ، وذكر غدره وكفره وقلة شكره ، وكان في الثاني ثناء على يزيد ، وفي الثالث : لئن لم تُقرّني على ما كنت عليه وتؤمّنني لأخلعنك خلع النمل ، ولأملأنتها عليك خبيلاً ورجلاً . وقال أيضاً : لما قرأ سليمان الكتاب الثالث وضعه بين مثاليين من المشغل التي تحته ولم يحير في ذلك مرجوعاً .

* * *

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد . قال : ثم أمر — يعني سليمان — برسول قتيبة أن ينزل ، فحوّل إلى دار الضيافة ، فلما أمسى دعا به سليمان ، فأعطاه صرة فيها دنانير ، فقال : هذه جائزتك ، وهذا عهد صاحبك على خراسان فسر ، وهذا رسولي معك بعهدك . قال : فخرج الباهلي ، وبعث معه سليمان رجلاً من عبد القيس ، ثم أحد بنى ليث يقال له صمصعة — أو مصعب — فلما كان بحلوان تلقاهم الناس بخلع قتيبة ، فرجع العبدى ، ودفع العهد إلى رسول قتيبة ، وقد خلع ؛ واضطرب الأمر ، فمدّفع إليه عهدك ، فاستشار إخوته ، فقالوا : لا يثق بك سليمان بعد هذا .

١٢٨٦/٢

قال علي : وحدثني بعض العنبريين ، عن أشياخ منهم ، أن توبة ابن أبي أسيد العنبري ، قال : قدّم صالح العراق ، فوجهني إلى قتيبة ليطلعني (٢) طلع ما في يده ، فصحبني رجل من بني أسد ، فسألني عما خرجت فيه ، فكاتمته أمرى ، فإذا لنسير إذ سمع لنا سائح ؛ فنظر إلى رفيق

(١) تمعر لونه ، أى تغير .

(٢) ب : « لطلع » .

فقال : أراك في أمر جسيم وأنت تكتمني ! فضيت ، فلما كنت بحلوان تلقاني الناسُ بقتل قتيبة .

قال عليّ : وذكر أبو الذّيال وكُليب بن خديف وأبو عليّ الجوزجاني عن طفيل بن مرداس ، وأبو الحسن الجشمي ومصعب بن حيّان ^(١) عن أخيه مقاتيل بن حيّان ، وأبو مخنف وغيرهم ، أن قتيبة لما هم بالخلع استشار إخوته ، فقال له عبد الرحمن : اقطع بعثاً فوجه فيه كل من تخافه ، وجه قوماً إلى مرو ، وسرّ حتى تنزل سمرقند ، ثم قل لمن معك : من أحبّ المقام فله المواساة ، ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا متبوع بسوء ، فلا يقيم معك إلا مناصح . وقال له عبد الله : اخضع مكانك ، وادع الناس إلى خلعهم ، فليس يختلف عليك رجالان . فأخذ برأى عبد الله ، فخلع سليمان ، ودعا الناس إلى خلعهم ، فقال للناس :

إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضمت الأخ إلى أخيه ، والولد إلى أبيه ، وقسمت بينكم فينكم ، وأجريت عليكم أعطياتكم غير مكثرة ولا مؤخره ، وقد جريتم الولاة قبلي ، أناكم أمية ^(٢) فكتب إلى أمير المؤمنين إن خراج خراسان لا يقوم ^(٣) بمطبخي ، ثم جاءكم أبو سعيد ^(٤) فدوم بكم ^(٥) ثلاث سنين لا تدرون أي طاعة أنتم أم في معصية ! لم يحب فيئاً ، ولم ينكأ عدواً ، ثم جاءكم بؤوه بعده ، يزيد ، فحل تبارى إليه النساء ، وإنما خليفتمكم يزيد بن ثروان هبةً القيسية ^(٦) .

قال : فلم يجبه أحد ، فغضب فقال : لا أعز الله من نصرتم ، والله لو اجتمعتم على عثر ما كسرتم قرنهما ، يا أهل السافلة — ولا أقول أهل العالية — يا أوباش الصدقة ، جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب . يا معشر بكر بن وائل ، يا أهل النفخ والكذب والبخل ، بأيّ

(١) ط : « حبان » ، تحريف . (٢) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ، عامل عبد الملك على خراسان حتى سنة ٧٨ . (٣) ط : « لا يقيم » ، وفي البيان : « لو كان في مطبخه لم يكفه » . (٤) أبو سعيد كنية المهلب بن أبي صفرة . (٥) ب : « فرزم فيكم » .

(٦) هو يزيد بن ثروان بن هبة ذو الودعات القيسي ، المضروب به المثل في الحق .

يَوْمَئِذٍ تَفْخَرُونَ ؟ بِيَوْمِ حَرْبِكُمْ ، أَوْ بِيَوْمِ سَلَامِكُمْ ! فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ مِنْكُمْ . يَا أَصْحَابَ مُسَيْلَمَةَ ، يَا بَنِي ذَمِيمٍ - وَلَا أَقُولُ تَمِيمٍ - يَا أَهْلَ الْخَوَرِ ^(١) وَالْقَصَفِ وَالْغَدَرِ ، كُنْتُمْ تَسْمَوْنَ الْغَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ ^(٢) . يَا أَصْحَابَ سَجَّاحَ ، يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ الْقُسَاةَ ، تَبَدَّلْتُمْ بِأَبْرِ النَّحْلِ ^(٣) أَعْنَةَ الْخَيْلِ . يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، تَبَدَّلْتُمْ بِقُلُوسِ ^(٤) الْسَفَنِ أَعْنَةَ الْخَيْلِ الْحُصْنِ ^(٥) ، إِنَّ هَذَا لِبِدْعَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ! وَالْأَعْرَابُ ، وَمَا الْأَعْرَابُ ! لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَعْرَابِ ! يَا كُنَاسَةَ الْمَصْرِيِّينَ ، جَمْعُكُمْ مِنْ مَنَابِتِ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ وَمَنَابِتِ الْقَلْقَلِ ^(٦) ، تَرْكَبُونَ الْبَقَرَ وَالْحُمْرَ فِي جَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ ، حَتَّى إِذَا جَمَعْتُمْ كَمَا تُجْمَعُ قَرْعَ الْخَرِيفِ ^(٧) قُلْتُمْ كَيْتَ وَكَيْتَ ! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَابْنُ أَبِيهِ ! وَأَخُو أَخِيهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَا عَصْبَتَكُمْ عَصَبَ السَّلَامَةِ . إِنَّ حَوَّلَ الصَّلِيَّانِ الزَّمْزَمَةَ ^(٨) . يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ، هَلْ تَدْرُونَ مَنْ وَلِيَّكُمْ ؟ وَلِيَّكُمْ يَزِيدُ بْنُ نَوْثَرَانَ . كَأَنِّي بِأَمِيرٍ مَزْجَاءَ ^(٩) ، وَحَكَمْتُمْ قَدْ جَاءَكُمْ فَتَغْلِبَكُمْ عَلَى فَيْتِكُمْ وَأُظْلَلِكُمْ . إِنَّهَا هُنَا نَارًا أَرْمُوهَا أَرْمُ مَعَكُمْ ، أَرْمُوا غَرَضَكُمْ الْأَقْصَى . قَدْ اسْتُخْلِفَ عَلَيْكُمْ أَبُو نَافِعٍ ذُو الْوَدَاعَاتِ . إِنَّ الشَّامَ أَبٌ مَبْرُورٌ ، وَإِنَّ الْعِرَاقَ أَبٌ مَكْفُورٌ . حَتَّى مَتَى يَتَبَطَّحُ ^(١٠) أَهْلُ الشَّامِ بِأَفْنِيَّتِكُمْ وَظِلَالِ دِيَارِكُمْ ! يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ، انْسَبُونِي تَسْجُدُونِي عِرَاقِي الْأُمِّ ، عِرَاقِي الْأَبِ ، عِرَاقِي الْمَوْلِدِ ، عِرَاقِي الْهَوَى وَالرَّأْيِ وَالِدِينِ ^(١١) ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ الْيَوْمَ فِيمَا تَرَوْنَ مِنَ الْأَمْنِ وَالْعَافِيَةِ قَدْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الْبِلَادَ ، وَأَمِنْ سُبُلِكُمْ ، فَالظَّعِينَةَ تَخْرُجُ مِنْ مَرَوْ إِلَى بَلَخَ بِغَيْرِ جَمَازٍ ،

- (١) ب : « الجور » .
 (٢) البيان : « وأما هذا الحى من تميم ، فإنهم كانوا يسمون الغدر كيسان » .
 (٣) أبر النحل : إصلاحه ، وفى ب : « تأبير » .
 (٤) القلوس : جمع قلس ؛ وهو جبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرها من قلوس سفن البحر .
 (٥) الحصن : جمع حصان .
 (٦) الشَّيْخ وَالْقَيْصُوم وَالْقَلْقَل : من منابت البادية .
 (٧) ط : « قَرْع » تحريف : والقَرْع : كل شيء يكون قطعاً متفرقاً ؛ ومنه قطع السحاب .
 (٨) الصليان : نبت من أفضل المرعى ، يختلج للخيال التي لا تفارق الحى . والزَمْزَمَةُ ، يعنى صوت الفرس إذا رآه ؛ وهو مثل يضرب للرجل يخدم لثروته . قال الميداني ١ : ٢٠٦ : « ويرى : « حول الصليان الزَمْزَمَةُ » ؛ جمع صليب ، والزَمْزَمَةُ : صوت عابديها ؛ يضرب لمن يحوم حول الشيء لا يظهر مرأه » .
 (٩) مزجاء للمطى ، أى كثير الإزجاء لها ، زجاءها وأزجاءها : ساقها .
 (١٠) س : « يتنطح » .
 (١١) ب : « الرأى والهوى » .

فاحمدوا الله على النعمة ، وسلكوه الشكرَ والمزيد^(١) .

قال : ثم نزل فدخل منزله ، فأناه أهل بيته فقالوا : ما رأينا كاليوم قط ، والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك وديئارك ، حتى تناولت بكراً وهم أنصارك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت تمياً وهم إخوانك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم يدك ! . فقال : لما تكلمت فلم يجبني أحدٌ غضبت ، فلم أدر ما قلت ؛ إن أهل العالية كإبل الصدقة قد جمعت من كل أوب ، وأما بكراً فإنها أمة لا تمنع يد لاميس ، وأما تميم فجعل أجرب ، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه ، وأما الأزد فأعلاج ، شرار من خلقت الله ، لو ملكت أمرهم لوسمتهم .

قال : فغضب الناس وكثرها خلعت سليمان ، وغضبت القبائل من شتم قتيبة ، فأجمعوا على خلافه وخلعه ، وكان أول من تكلم في ذلك الأزد ، فأتوا حُضَيْن بن المنذر فقالوا : إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلعت الخليفة ، وفيه فساد الدين والدنيا ، ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا ، فما ترى يا أبا حفص ؟ وكان يُكْتَسَى في الحرب بأبي ساسان ، ويقال : كُنْيتَه أبو محمد - فقال لهم : حُضَيْن : مُضَرُّ بخُرَّاسان تعدل هذه الثلاثة الأخماس ؛ وتميم أكثر الخمسين ، وهم فُرسانُ خُرَّاسان ، ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مُضَر ، فإن أخرجتموهم من الأمر أعانوا قتيبة ؛ قالوا : إنه قد وتر بنى تميم بقتل ابن الأهم ، قال : لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصبون للمُضَرَّة ، فانصرفوا رادين لرأى حُضَيْن ، فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حوْذان الجَهْضَمِي ، فأبى ، وتدافعوها ، فرجعوا إلى

حُضَيْن ، فقالوا : قد تدافعنا الرياسة ، فنحن نوليكَ أمرنا ، وربيعة لا تخالفك ، قال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ؛ قالوا : ما ترى ؟ قال : إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تم أمركم ، قالوا : فمن ترى من تميم ؟ قال : ما أرى أحداً غير وكيع ، فقال حيَّان مولى بنى شيبان : إن أحداً لا يتقلد هذا الأمر فيصلى بحره ، ويسبذ دمه ، ويتعرض للقتل ، فإن قدِم أمير

(١) أورد الجاحظ خطبة قتيبة في ثلاث خطب متفرقة ، في البيان والتبيين ٢ : ١٣٢ - ١٣٥ .

أَخَذَهُ بِمَا جَسَسَى وَكَانَ الْمُهْنَأُ لغيره إِلَّا هَذَا الْأَعْرَابِيَّ وَكَيْعٌ ؛ فَإِنَّهُ مَقْدَامٌ لَا يُبَالِي مَا رَكِبَ ، وَلَا يَنْظُرُ فِي عَاقِبَةٍ ، وَلَهُ عَشِيرَةٌ كَثِيرَةٌ تَطِيعُهُ ، وَهُوَ مَوْتُورٌ يَطْلُبُ قَتِيلَةً بِرِيَاسَتِهِ الَّتِي صَرَفَهَا عَنْهُ وَصَيَّرَهَا لِضِرَارِ بْنِ حُصَيْنِ بْنِ زَيْدِ الْفُؤَارِسِ بْنِ حُصَيْنِ بْنِ ضِرَارِ الضَّبِّيِّ . فَشَتَّى النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ سِرًّا ، وَقِيلَ لِقَتِيلَةٍ : لَيْسَ يُفْسِدُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَيَّانٌ ، فَأَرَادَ أَنْ يَغْتَالَهُ - وَكَانَ حَيَّانُ يَلَاطِفُ حَشَمَ الْوَلَاةِ فَلَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا - قَالَ : فِدَعَا قَتِيلَةً رَجُلًا فَأَمَرَهُ بِقَتْلِ حَيَّانَ ، وَسَمِعَهُ بَعْضُ الْخُدَمِ ، فَأَتَى حَيَّانَ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ ، فَحَذِرَ وَتَمَارَضَ ، وَأَتَى النَّاسُ وَكَيْعًا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِهِمْ ؛ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَتَمَثَّلَ قَوْلَ الْأَشْهَبِ بْنِ رُمَيْلَةَ :

سَأَجْنِي مَا جَنَيْتَ وَإِنْ رُكِنِي لِمُعْتَمِدٍ إِلَى نَصِيدِ رَكِينِ

قَالَ : وَبِخُرَاسَانَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ أَهْلِ الْعَالِيَةِ تِسْعَةَ آلَافٍ ، وَبَسَكِرَ سَبْعَةَ آلَافٍ ، وَرَئِيسُهُمُ الْخُصَيْنِ بْنِ الْمَنْذَرِ ، وَتَمِيمَ عَشْرَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنِ الضَّبِّيِّ ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلُوَانَ عَوْذَى ^(١) ، وَالْأَزْدُ عَشْرَةَ آلَافٍ رَأْسُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ حَوْذَانَ ، وَمِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ سَبْعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ بَجِيْهِمْ بْنُ زَحَرَ - أَوْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ - وَالْمَوَالِي سَبْعَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ حَيَّانُ - وَحَيَّانُ يَقَالُ إِنَّهُ مِنَ الدَّيْلَمِ ، وَيَقَالُ : إِنَّهُ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ نَبَطِيٌّ لِلْكِنْتَةِ - فَأَرْسَلَ حَيَّانُ إِلَى وَكَيْعٍ : أَرَأَيْتَ إِنْ كَفَفْتُ عَنْكَ وَأَعْنَشْتُكَ تَجْعَلَ لِي جَانِبَ نَهْرٍ بَلَسْخَ وَخَرَجْتَهُ مَا دَمْتُ حَيًّا ، وَمَا دَمْتُ وَالِيًّا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ لِلْعَجَمِ : هَؤُلَاءِ يِقَاتِلُونَ عَلَيَّ غَيْرَ دِينٍ ، فِدَعُوهُمْ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؛ قَالُوا : نَعَمْ ، فَبَايَعُوا وَكَيْعًا سِرًّا ، فَأَتَى ضِرَارُ بْنُ حُصَيْنِ قَتِيلَةً ، فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ إِلَى وَكَيْعٍ ، وَهُمْ يُبَايِعُونَهُ - وَكَانَ وَكَيْعٌ يَأْتِي مَنَزَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الْفَقِيرِ فَيَشْرَبُ عَنْدهُ - فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذَا يَحْسُدُ وَكَيْعًا ، وَهَذَا الْأَمْرُ بَاطِلٌ ، هَذَا وَكَيْعٌ فِي بَيْتِي يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ وَيَسْلَحُ فِي ثِيَابِهِ ؛ وَهَذَا يَزْعَمُ أَنَّهُمْ يَبَايِعُونَهُ . قَالَ : وَجَاءَ وَكَيْعٌ إِلَى قَتِيلَةٍ فَقَالَ : احْذَرُ ضِرَارًا فَلَمَنِ

١٢٩١/٢

لا آمنه عليك ، فأنزل قتيبة ذلك منهما على التحاسد . وتمازص وكيع .
ثم إن قتيبة دس ضرار بن سنان الضبي إلى وكيع فبايعه سرّاً ، فتبين لقتيبة
أن الناس يبايعونه ، فقال لضرار : قد كنت صدقتني ، قال : إني لم أخبرك
إلا بعلم ، فأنزلت ذلك مني على الحسد ، وقد قضيت الذي كان عليّ ، قال : ١٢٩٢/٢
صدقت . وأرسل قتيبة إلى وكيع يدعوه ^(١) فوجده رسول قتيبة قد طلى
على رجله مغرة ، وعلى ساقه ^(٢) خرزاً وودعاً ، وعنده رجلان من
زهران يرقيان رجله ، فقال له : أجب الأمير ، قال : قد ترى ما برجلي ،
فرجع الرسول إلى قتيبة فأعاده إليه ، قال : يقول لك : اثنتي محمولاً على
سري ، قال : لا أستطيع . قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلي أحد
بنى وائل — وكان على شرطته — ورجل من غنيّ انطلقا إلى وكيع فأتيا به ،
فلنّ أبي فاضربا عنقه ، ووجهه معهما خيلاً ، ويقال : كان على شرطته
بخراسان ورقاء بن نصر الباهلي .

قال عليّ : قال أبو الذّيال : قال ثمامة بن ناجذ العديّ : أرسل قتيبة
إلى وكيع من يأتيه به ، فقلت : أنا آتيك به أصلحك الله ! فقال : اثنتي
به ، فأتيت وكيعاً — وقد سبق إليه الخبر أن الخيل تأتيه — فلما رأي قال :
يا ثمامة ، ناد في الناس ، فناديت ، فكان أول من أتاه هريّم بن
أبي طحمة في ثمانية .

قال : وقال الحسن بن رشيد الجوزجانيّ : أرسل قتيبة إلى وكيع ،
فقال هريّم : أنا آتيك به ، قال : فانطلق . قال هريّم : فركبت برذوني
مخافة أن يردني ، فأتيت وكيعاً وقد خرج .

قال : وقال كليب بن خليف : أرسل قتيبة إلى وكيع شعبة بن ظهير
أحد بني صخر بن نهشل ، فأتاه ، فقال : يا بن ظهير :

* لبث قليلاً تلحق الكتاب *

ثم دعا بسكين فقطع خرزاً كان على رجله ، ثم لبس سلاحه . وتمثل : ١٢٩٣/٢

شدوا على سرتي لا تنقليف يوم لهمدان ويوم للصديف

(١ - ١) ب : « فوجده قد طلى رجله بمغرة وعلق على رأسه » . والمغرة : طين أحمر يصنع به .

وخرج وحده ، ونظر إليه نسوة فقلن : أبو مطرف وحده ؛ فجاء هُرَيم بن أبي طَحْصَمَة في ثمانية ، فيهم عميرة البريد بن ربيعة العُجَينِي . قال حمزة بن إبراهيم وغيره : إن وكيعاً خرج فتلقاته رجل . فقال : ممن أنت ؟ قال : من بني أسد ؛ قال : ما اسمك ؟ قال : ضِرْغامة ؛ قال : ابنُ مَن ؟ قال : ابن لَيْث ، قال : دونك هذه الراية .

قال الفضل بن محمد الضبي : ودفع وكيع رايته إلى عتبة بن شهاب المازني ؛ قال : ثم رجع إلى حديثهم ، قالوا : فخرج وكيع وأمر غلمانته ، فقال : اذهبوا بثقتي إلى بني العَم ، فقالوا : لا نعرف موضعهم ، قال : انظروا رُمُحِينَ مجموعين أحدهما فوق الآخر ، فوقهما مخللة ، فهم بنو العَم . قال : وكان في العسكر منهم خمسمائة ؛ قال : فنادى وكيع في الناس ، فأقبلوا أرسالا من كل وجه ، فأقبل في الناس يقول :

قَرْمٌ إِذَا حُمِلَ مَكْرُوهَةٌ شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمُ^(١)
وقال قوم : تمثل وكيع حين خرج :

أَنخَنَ بِلِقَمَانِ بْنِ عَادٍ فَجُسْنَهُ أَرِينِي سِلَاحِي لِنِ يَطِيرُوا بِأَعْزَلِ
واجتمع إلى قتيبة أهل بيته ، وخواص من أصحابه وثقاته ، فيهم إياس ابن بَيْهَس بن عمرو ، ابن عم قتيبة دُنْيَا ، وعبد الله بن وألان العدوي ، وناس من رهطه ، بني وائل . وأتاه حِيَّان بن إياس العدوي في عشرة ، فيهم عبد العزيز بن الحارث ، قال : وأتاه ميسرة الجدلي - وكان شجاعاً - فقال : إن شئت أتيتك برأس وكيع ، فقال : قف مكانك . وأمر قتيبة رجلا ، فقال : ناد في الناس ، أين بنو عامر ؟ فنادى : أين بنو عامر ؟ فقال محض بن بَزْرَةَ الكلابي - وقد كان جفاهم : حيث وضعتهم ؛ قال : ناد أذكركم الله والرحيم ! فنادى محض : أنت قطعتهما ، قال : ناد لكم العُتْبِي ، فناداه محض أو غيره : لا أقالسا الله إذا ، فقال قتيبة :

يَا نَفْسُ صَبِرًا عَلَى مَا كَانَ مِنَ أَلَمٍ إِذْ لَمْ أَجِدْ لِفُضُولِ الْقَوْمِ أَقْرَانًا

(١) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . والحزيم : موضع الحزام من الصدر والظهر .

ودعا بعمامة كانت أمه بعثت بها إليه ، فاعتم بها ، كان يعتم بها في الشدائد ، ودعا ببرذون له مدرّب ، كان يتطيّر إليه في الزحوف ، فتقرّب إليه ليتركّبه ، فجعل يتميص حتى أعياه . فلما رأى ذلك عاد إلى سريره ففقد عليه وقال : «دعوه» ، فإن هذا أمرٌ يراد . وجاء حيّان النبطي في العجم ، فوقف وقتيبة واجداً عليه ، فوقف معه عبد الله بن مسلم ، فقال عبد الله حيّان : أحمل على هذين الطّرفين ، قال : لم يأن لذلك ، فغضب عبد الله ، وقال : ناوِ لني قنوسى ، قال حيّان : ليس هذا يوم قوس ، فأرسل وكيع إلى حيّان : أين ما وعدتني ؟ فقال حيّان لابنه : إذا رأيتني قد حولت قنوسوتي ، ومضيت نحو عسكر وكيع ، فإل بمن معك في العجم إلى . فوقف ابن حيّان مع العجم ، فلما حول حيّان قنوسوته مالت الأعجام إلى عسكر وكيع ، فكبر^(١) أصحابه . وبعث قتيبة أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجل من بنى ضبّة يقال له سليمان الزنجيرج — وهو الخرنوب ، ويقال : بل رماه رجل من بلسعم فأصاب هامته — فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل ، فوضع في مضلّاه ، فتحول قتيبة فجلس عنده ساعة ، ثم تحوّل إلى سريره .

قال : وقال أبو السرى الأزدي : رى صالحاً رجلاً من بنى ضبّة فأثقله ، وطمعته زياد بن عبد الرحمن الأزدي ، من بنى شريك بن مالك .

قال : وقال أبو مخنف : حمل رجل من غنى على الناس فرأى رجلاً مجففاً فشبهه بجهنم بن زحر بن قيس فطمعته ، وقال :

إِنَّ غَنِيًّا أَهْلُ عِزٍّ وَمَصْلَقٍ إِذَا حَارَبُوا وَالنَّاسُ مُفْتَتِنُونَ

فإذا الذى طعين عالج . وتهايج الناس . وأقبل عبد الرحمن بن مسلم نحوهم ، فرماه أهل السوق والغوغاء . فقتلوه ، وأحرق الناس موضعاً كانت فيه إبل لقتيبة ودوابه ، وكدوا منه ، فقاتل عنه رجل من باهلة من بنى وائل ، فقال له قتيبة : انج بنفسك ، فقال له : بش ما جزيتك إذا ،

وقد أطعمتني الجردق^(١) وألبستني النمرق^(٢) !

قال : فدعا قتيبةً بدابته ، فأتى بيبرذون فلم يقر ليركبه ، فقال : إن له لشأنًا ؛ فلم يركبه . وجلس وجاء الناس حتى بلغوا الفسسطاط ، فخرج إياس بن بيهس وعبد الله بن وآلان حين بلغ الناس الفسسطاط وتركوا قتيبة . وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمرًا — أو عمر — فلقية الطائي فحذره ، ووجد ابنه فأردفه . قال : وفطين قتيبة للهيم بن المنخل وكان ممن يعين عليه ، فقال :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

قال : وقتل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ، بنو مسلم ، وقتل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ، ونجا أخوه ضرار ، استنقذه أخواله ، وأمه غراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زُرارة . وقال قوم : قتل عبد الكريم بن مسلم بقروين . وقال أبو عبيدة : قال أبو مالك : قتلوا قتيبة سنة ست وتسعين ، وقتل من بني مسلم أحد عشر رجلًا ، فصلبهم وكعب . سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم : قتيبة ، وعبد الرحمن ، وعبد الله الفقير ، وعبيد الله ، وصالح ، وبشار ، ومحمد بنو مسلم . وكثير بن قتيبة ، ومغلس بن عبد الرحمن ، ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو — وكان عامل الجوزجان — وضرار ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن زُرارة ، فجاء أخواله فدفعوه حتى نحوه ، ففي ذلك يقول الفرزدق :

عَشِيَّةَ مَا وَدَّ أَبْنُ غَرَّةَ أَنَّهُ لَه مِنْ سِوَانَا إِذْ دَعَا أَبَوَانِ^(٢)

وضرب إياس بن عمرو — ابن أخي مسلم بن عمرو — على ترقوته فعاش . قال : ولما غشى القوم الفسسطاط قطعوا أطنا به . قال زهير : فقال جهم ابن زحر لسعد : انزل ، فحز رأسه ، وقد أثخن جراحًا ، فقال : أخاف

(١) الجردق : الرغيف ، بالفارسية . والنمرق : اللين ، وهو فارسي أيضًا . وفي ب : « النمرق » .

(٢) ديوانه ٨٧٢ .

أَنْ تَجُولَ الْخَيْلُ ، قَالَ : تَخَافُ وَأَنَا إِلَى جَنْبِكَ ! فَنَزَلَ سَعْدٌ فَشَقَّ صَوْقَةً (١) الْفُسْطَاطَ ؛ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ ، فَقَالَ حُضَيْيْنُ بْنُ الْمُنْذَرِ :

وَلِإِنَّ ابْنَ سَعْدٍ وَابْنَ زَحْرٍ تَعَاوَرَا بِسَيْفَيْهِمَا رَأْسَ الْهُمَامِ الْمُتَوَجِّجِ
عَشِيَّةً جِئْنَا بِابْنِ زَحْرٍ وَجِئْتُمْ بِأَدْعَمَ مَرْقُومِ الذَّرَاعَيْنِ دَيْرِجِ
أَصَمَّ غُدَائِي كَأَنَّ جَبِينَهُ لَطَاخَةً نَقَسَ فِي أَدِيمٍ مُمَجْمَعِ

قال : فلما قتل مسلمةُ يزيدَ بنَ المهلبِ استُعْمِلَ على خُرَاسَانَ سَعِيدُ بْنُ خُذَّيْمَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، فَجَبَسَ عَمَالَ يَزِيدَ ، وَجَبَسَ فِيهِمْ جَنَّهُمْ بَنَ زَحْرَ الْجُعْنَى ، وَعَلَى عَذَابِهِ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةَ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا قَاتِلُ قَتِيْبَةٍ ، فَقَتَلَهُ فِي الْعَذَابِ ، فَلَامَهُ سَعِيدٌ ، فَقَالَ : أَمَرْتَنِي أَنْ أُسْتَخْرِجَ مِنْهُ الْمَالَ فَعَذَّبْتَهُ فَأَتَى عَلَى أَجَلِهِ .

قال : وَسَقَطَتْ عَلَى قَتِيْبَةٍ يَوْمَ قَتْلِ جَارِيَةٍ لَهُ خُورَازْمِيَّةٌ ، فَلَمَّا قُتِلَ ٢/٢٩٨ هـ خَرَجَتْ ، فَأَخَذَهَا بَعْدَ ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ ، فَهِيَ أُمُّ خُلَيْدَةٍ .

قال عليّ : قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليقظان : لما قُتِلَ قَتِيْبَةُ صَعِدَ عُمَارَةُ بْنُ جَنْيَةَ الرِّيَاحِيُّ الْمُنْبَرَفَتُكَلِّمَ فَأَكْثَرَ ، فَقَالَ لَهُ وَكِيعٌ : دَعْنَا مَنْ قَتَلَكَ وَهَذَا رَكٌّ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ وَكِيعٌ فَقَالَ : مَسَّلَى وَمَسَّلَى قَتِيْبَةَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

* مِنْ يَنِكَ الْعَيْرَ يَنِكَ نَبَاكَ *

أَرَادَ قَتِيْبَةُ أَنْ يَقْتُلَنِي وَأَنَا قَتَّالٌ .

قَدْ جَرَّبُونِي ثُمَّ جَرَّبُونِي مِنْ غُلُوتَيْنِ وَمِنْ الْمِثْنِ
حَتَّى إِذَا شَبْتُ وَشَبَّيُونِي خَلُّوا عِنَانِي وَتَسَكَّبُونِي
أَنَا أَبُو مَطْرَفٍ .

قال : وَأَخْبَرَنَا أَبُو معاوية ، عن طلحة بن إياس ، قال : قال وكيعٌ يوم قتل قَتِيْبَةَ :

(١) صَوْقَةُ الْفُسْطَاطِ ، أَيْ أَعْلَاهُ .

أَنَا ابْنُ خِنْذِفَ تَنْمِينِي قَبَائِلُهَا لِلصَّالِحَاتِ وَعَمِّي قَيْسُ عِيْلَانَا
ثُمَّ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ ثُمَّ قَالَ :

شَيْخُ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ

وَاللَّهُ لَا قِتْلَانَ ، ثُمَّ لَا قِتْلَانَ ، وَلَا صِلَانَ ، ثُمَّ لَا صِلَانَ ، إِنِّي وَالْعَدَمُ دَمًا ، إِنْ
مَرَّرْتُ بَانِكُمْ هَذَا ابْنُ الزَّانِيَةِ قَدْ أَغْلَى عَلَيْكُمْ أَسْعَارَكُمْ ، وَاللَّهُ لَيُصَيِّرَنَّ الْقَفِيزُ
فِي السُّوقِ غَدًا بِأَرْبَعَةٍ أَوْ لِأَصْلَبَنِهِ ، صَلُّوا عَلَى نَبِيِّكُمْ . ثُمَّ نَزَلَ .

قال علي : وَأَخْبَرَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَشَيْخُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، وَمُسْلَمَةُ بْنُ
مُحَارِبٍ ، قَالُوا : طَلَبَ وَكَيْعَ رَأْسِ قُتَيْبَةَ وَخَاتَمَهُ ، فَقَبِلَ لَهُ : إِنْ الْأَزْدُ أَخَذَتْهُ ،
فَخَرَجَ وَكَيْعٌ وَهُوَ يَقُولُ : دُهُ دُرَيْنَ ، سَعْدُ الْقَتَيْنِ :

فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَ أَيُّومَ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمَ قُدِرَ
لَا خَيْرَ فِي أَحْزَمِ جِيَادِ الْقَرَعِ فِي أَيِّ يَوْمٍ لَمْ أَرِغْ وَلَمْ أَرِغْ

وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا أَبْرَحَ حَتَّى أُوْتَى بِالرَّأْسِ ، أَوْ يُذْهَبَ بِرَأْسِي
مَعَ رَأْسِ قُتَيْبَةَ . وَجَاءَ بِخَشَشٍ فَقَالَ : إِنْ هَذِهِ الْخَيْلُ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ فُرْسَانٍ —
يَتَهَدَّدُ بِالصَّلْبِ — فَقَالَ لَهُ حُضَيْنٌ : يَا أَبَا مِطْرَفَ ، تَوَقَّى بِهِ فَمَا سَكُنَ . وَأَنَّى
حُضَيْنُ الْأَزْدِ فَقَالَ : أَحْمَقُنِي أَنْتُمْ ! بَابِعْنَاهُ وَأَعْطَيْنَاهُ الْمَقَادَةَ ، وَعَرَضَ
نَفْسَهُ ، ثُمَّ تَأْخُذُونَ الرَّأْسَ ! أَخْرِجُوهُ لَعَنَهُ اللَّهُ مِنْ رَأْسٍ ! فَجَاءُوا بِالرَّأْسِ
فَقَالُوا : يَا أَبَا مِطْرَفَ ، إِنَّ هَذَا هُوَ احْتَرَّه ، فَاشْكُمُهُ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَأَعْطَاهُ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَبَعَثَ بِالرَّأْسِ مَعَ سَلِيطِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْحَنْسَقِيِّ وَرِجَالٍ
مِنَ الْقَبَائِلِ وَعَلَيْهِمْ سَلِيطٌ ، وَلَمْ يَبْعَثْ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَحَدًا .

قال : قال أبو الذَّيَالِ : كَانَ فِيمَنْ ذَهَبَ بِالرَّأْسِ أَنْسِيفُ بْنُ حَسَّانٍ أَحَدُ
بَنِي عَدَى .

قال أبو مُخَنَّفٍ : وَقَفَى وَكَيْعَ لِحْيَانِ النَّبِطِيِّ بِمَا كَانَ أَعْطَاهُ . قَالَ :
قال خُرَيْمُ بْنُ أَبِي يَحْيَى ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَيْسٍ ، قَالُوا : قَالَ سَلِيمَانُ لِلْهَيْدِيلِ ١٣٠٠ / ٢

ابن زُفَرٍ حين وُضِعَ رَأْسُ قُتَيْبَةَ ورءوسُ أَهْلِ بَيْتِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ : هل ساءَ لك هذا يا هُذَيْل ؟ قال : لو ساءَ لِي ساءَ قومًا كثيرًا ؛ فكلَّمتُهُ خُزَيْمَ بْنَ عَمْرٍو والقَعَقَاعَ ابنَ خُلَيْدٍ ، فقال : ائذِّنْ في دَفْنِ رءوسِهِمْ ، قال : ضم ، وما أردتَ هذا كله . قال عليّ : قال أبو عبد الله السلمي ، عن يزيد بن سُوَيْدٍ ، قال : قال رجلٌ من عَجَمٍ أَهْلَ خُرَّاسَانَ : يا معشرَ العَرَبِ . قَتَلْتُمُ قُتَيْبَةَ ، والله لو كان قُتَيْبَةُ مِنَّا مَاتَ فِينَا جَعَلْنَاهُ فِي تَابُوتٍ فَكُنَّا نَسْتَفْتِحُ بِهِ إِذَا غَزَوْنَا ، وما صنعَ أَحَدٌ قَطُّ بِخُرَّاسَانَ ما صنعَ قُتَيْبَةَ ، إلا أَنَّهُ قَدْ غَدَرَ ، وذلك أَنَّ الحِجَاجَ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ اخْتَلَهُمْ وَاقْتَلَهُمْ فِي اللَّهِ .

قال : وقال الحسن بن رُشَيْدٍ : قال الإصْبَهَيْسِيُّ لِرَجُلٍ : يا معشرَ العَرَبِ ، قَتَلْتُمُ قُتَيْبَةَ وَيَزِيدَ وَهَمَا سَيِّدَا الْعَرَبِ ! قال : فَأَيُّهُمَا كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَكُمْ وَأَهْيَبَ ؟ قال : لو كان قُتَيْبَةُ بِالْمَغْرِبِ بِأَقْصَى جُبْحَرٍ بِهِ فِي الْأَرْضِ مَكْبَلًا بِالْحَدِيدِ ، وَيَزِيدٌ مَعَنَا فِي بِلَادِنَا وَإِلَيْنَا لَكَانَ قُتَيْبَةُ أَهْيَبَ فِي صُدُورِنَا وَأَعْظَمَ مِنْ يَزِيدٍ .

قال عليّ : قال المفضل بن محمد الضبيّ جاء رجلٌ إلى قُتَيْبَةَ يَوْمَ قُتِلَ وَهُوَ جَالِسٌ ، فقال : اليومَ يُقْتَلُ ملكُ العَرَبِ — وَكَانَ قُتَيْبَةُ عِنْدَهُمْ مَلِكًا الْعَرَبِ — فقال له : اجْلِسْ .

قال : وقال كُتَيْبُ بْنُ خَلَفٍ : حدثني رجلٌ من كان مع وكيع حين قُتِلَ قُتَيْبَةَ ، قال : أَمَرَ وكيعٌ رَجُلًا فَنَادَى : لَا يُسَاسِينَ قَتِيلَ ، فَمَرَّ ابْنُ عُبَيْدِ الْمَسْجَرِيِّ عَلَى أَبِي الْحَجَرِ الْبَاهِلِيِّ فَسَلَّاهُ ، فَبَاسَعَ وَكَيْعًا فَضَرَبَ عُنُقَهُ . قال أبو عبيدة : قال عبد الله بن عمر ، من تَبِعَ اللاتِ : رَكِبَ وَكَيْعَ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَأَتَوْهُ بِسُكْرَانَ ، فَأَمَرَ بِهِ فُقُتِلَ ، فَقِيلَ لَهُ : لَيْسَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ ، إِنَّمَا عَلَيْهِ الْحَدُّ ، قال : لَا أَعَاقِبُ بِالسَّيَاطِ ، وَلَكِنِّي أَعَاقِبُ بِالسَّيْفِ ، فقال تَهَارُ بْنُ تَوْسِيعَةَ :

وَكُنَّا نُبَكِّى مِنَ الْبَاهِلِيِّ فَبَهَذَا الْغَدَائِي شَرُّ وَشَرُّ

وقال أيضاً :

ولما رأينا الباهليّ ابنَ مسلمٍ
وقال الفرزدق يذكّر وقعةً وكيع :

ومنا الذي سلّ السيوف وشامها
عشيّة لم تمنع بنيها قبيلة
عشيّة ما ودّ ابنُ غراء أنه
عشيّة لم تستر هوازن عامر
عشيّة ودّ الناس أنهم لنا
رأوا جبلا يعلو الجبال إذا التقت
رجال على الإسلام إذ ما تجالدوا
وحتى دعا في سور كلّ مدينة
سيجزى وكيعاً بالجماعة إذ دعا
جزاء بأعمال الرجال كما جرى
وقال الفرزدق في ذلك أيضاً :

أتاني ورخلى بالمدينة وقعة
وقال عليّ : أخبرنا خريم بن أبي يحيى ، عن بعض عمومته قال : أخبرني
شيوخ من غسان قالوا : إنا لبشينة العقاب إذ نحن برجل يشبه الفيسوج (٣) معه
عصاً وجرباب ، قلنا : من أين أقبلت ؟ قال : من خراسان ، قلنا : فهل
كان بها من خير ؟ قال : نعم ، قُتل قتية بن مسلم أمّس ، فتعجبنا
لقوله ، فلما رأى إنكارنا ذلك قال : أين ترونني الليلة من إفريقية ؟ ومضى
واتبعناه على خيولنا ، فإذا شيء يسبق الطرّف . وقال الطرّمّاح :
لولا فوارس مذحج ابنة مذحج
والأزد زعزع واستبيح العسكر

(١) ديوانه ٨٧٢ .

(٢) ديوانه ٨٥٣ .

(٣) الفيسوج : جمع فيج وهو رسول السلطان .

وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْبِلَادُ وَلَمْ يَسُوبْ
وَأَسْتَضْلَعَتْ عَقْدُ الْجَمَاعَةِ وَازْدَرَى
قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا قُتَيْبَةَ عَدُوَّةً
بِالْمَرْجِ مَرْجَ الصَّيْنِ حَيْثُ تَبَيَّنَتْ
إِذْ خَالَفَتْ جَزْعًا رِبِيعَةً كُلِّهَا
وَتَقَدَّمَتْ أَزْدُ الْعِرَاقِ وَمَذْجُ
قَحْطَانٍ تَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ مَذْجٍ
وَالْأَزْدُ تَعْلَمُ أَنَّ تَحْتَ لَوَائِمِهَا
فَبِعِزَّتِنَا نَصَرَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

مِنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مُخْبِرٌ
أَمْرُ الْخَلِيفَةِ وَاسْتَحِيلَ الْمُنْكَرُ
وَالْخَيْلُ جَانِحَةٌ عَلَيْهَا الْعِثِيرُ
مُضَرُّ الْعِرَاقِ مِنَ الْأَعَزِّ الْأَكْبَرِ !
وَتَفَرَّقَتْ مُضَرٌّ وَمَنْ يَتَمَضَّرُ
لِلْمَوْتِ يَجْمَعُهَا أَبُوهَا الْأَكْبَرُ
تَحْمِي بِصَانِرُهُنَّ إِذْ لَا تَبْصُرُ
مُلُكًا قُرَاسِيَّةً وَمَوْتَ أَحْمَرُ
وَبِنَا تَثَبَّتَ فِي دِمَشْقَ الْمُنِيرُ

وقال عبد الرحمن بن جُمَانَةَ الْبَاهِلِيُّ :

كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قُتَيْبَةَ لَمْ يَسِرْ
وَلَمْ تَخْفِقِ الرَّايَاتُ وَالْقَوْمُ حَوْلَهُ
دَعْتُهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ
فَمَا رُزِيَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
- يَعْنِي أُمَّ وَلَسَدَ لَهُ .

بَجِيشٍ إِلَى جِيْشٍ وَلَمْ يَعْلُ مِنْبَرًا
وَقُوفٌ وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عَسْكَرًا
وَرَا حَ إِلَى الْجَنَّاتِ عَفَا مُطَهَّرًا
بِمَثَلِ أَبِي حَفْصٍ فَبِكَيْهِ عَبَّهَرَا

وقال الْأَصَمُّ بْنُ الْحَجَّاجِ يَرْثِي قُتَيْبَةَ :

أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَحْيَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا لَنَا
نَقُودُ تَمِيمًا وَالْمَوَالِي وَمَذْجِجًا
نَقَتْلُ مَنْ شَتْنَا بَعِزَّةً مُلْكَنَا
سُلَيْمَانَ كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ قَدْ حَوَتْ لَكُمْ
وَكَمْ مِنْ حَصُونٍ قَدْ أَبْخَنَا مَنِيعَةً
وَمِنْ بِلَدَةٍ لَمْ يَغْزُهَا النَّاسُ قَبْلَنَا

بَلَى نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
وَأَزْدَ وَعَبْدَ الْقَيْسِ وَالْحَيَّ مِنْ بَكْرِ
وَنَجْبَرُ مَنْ شَتْنَا عَلَى الْخَسْفِ وَالْقَسْرِ
أَسْتَنْتَنَا وَالْمُقَرَّبَاتُ بِنَا تَجْرِي
وَمِنْ بِلَدٍ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَغَيْرِ
غَزَوْنَا نَقُودُ الْخَيْلِ شَهْرًا إِلَى شَهْرِ

مرَّ عَلَى الغزو الجرور ووقرت
وحتى لو أَنَّ النارَ شُبَّتْ وأكرهتْ
تلاعبُ أطرافَ الأَسِنَّةِ والقنسا
بهنَّ أبخنا أهلَ كلِّ مدينةٍ
ولو لم تُعَجِّلنا المنايا لجاوزتْ
ولكنَّ آجالاً قُضِينَ ومُدَّةً
على النَّفْرِ حتى ما تُهالُ من النَّفْرِ
على النارِ خاضتْ في الوغى لهبَ الجمرِ
بلبائِها والموتِ في لججِ خضرِ
من الشركِ حتى جاوزتْ مطلعَ الفجرِ
بنارَ دَمَ ذِي القرنينِ ذا الصُّخْرِ والقَطْرِ
تَنَاهَى إِلَيْها الطَّيْبُونَ بنو عمرو

وفي هذه السنة عَزَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ
عن مَكَّةَ ، وولَّاهَا طَلْحَةَ بْنَ دَاوُدَ الْحَضْرَمِيَّ . ١٢٠٥/٢

وفيها غزا مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرْضَ الرُّومِ الصَّائِفَةَ ، ففَتَحَ حِصْنًا
يَقَالُ لَهُ حِصْنُ عَوْفٍ .

وفي هذه السنة تُوفِّيَ قُرَّةُ بْنُ شَرِيكٍ الْعَبْسِيُّ وهو أَمِيرُ مِصْرَ في صَفْرِ في
قول بعض أهل السِّيَرِ .

وقال بعضهم : كان هلاكُ قُرَّةَ في حياة الوليد في سنة خمس وتسعين
في الشهر الذي هلك فيه الحُجْجَاجُ .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ الْأَنْصَارِيُّ ،
كَذَلِكَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ . عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ
أَبِي مَعْشَرٍ . وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ .

وكان الأَمِيرُ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي هذه السنة أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ
حَزْمٍ ، وَعَلَى مَكَّةَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، وَعَلَى حَرَّابِ
الْعِرَاقِ وَصَلَاتُهَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، وَعَلَى خَرَّابِهَا صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .
وَعَلَى الْبَصْرَةِ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيُّ مِنْ قِبَلِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَعَلَى
قِصَاءِ الْبَصْرَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَذِينَةَ ، وَعَلَى قِصَاءِ الْكُوفَةِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي مُوسَى ،
وَعَلَى حَرَّابِ خُرَّاسَانَ وَكَيْعُ بْنُ أَبِي سُودٍ .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية واستعماله ابنته داود بن سليمان على الصائفة ، فافتتح حصن المرأة .
وفيها غزا — فيما ذكر الواقدي — مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح الحصن الذي كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية .
وفيها غزا عمر^(١) بن هبيرة القزاري في البحر أرض الروم ، فشتا بها .
وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس ، وقدم برأسه على سليمان حبيب بن أبي عبيد القهري .

[ولاية يزيد بن المهلب على خراسان]

وفيها ولي سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان

* ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان :

وكان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة إليه ولي يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة وخراجها .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن يزيد نظر لما ولّاه سليمان ما ولّاه من أمر العراق في أمر نفسه ، فقال : إن العراق قد أخرجها الحجاج ، وأنا اليوم رجاؤه أهل العراق ، ومضى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعدت بهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب ، وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها ، ومضى لم آت سليمان بمثل ما سبأ به الحجاج لم يقبل مني . فأتى يزيد سليمان فقال : أدلتك على رجل يصير بالخراج توليه إياه ، فتكون أدت تأخذ به ؟ صالح بن عبد الرحمن ، مولى بني تميم . فقال له : قد قبلنا رأيك ، فأقبل يزيد إلى العراق .

١٣٠٧/٢

(١) ط : « عمرو » ، تصحيح .

وحدثني عمر بن شبة، قال : قال علي : كان صالح قدِم العراق قبل قدوم يزيد ، فنزل واسطاً . قال علي : فقال عباد بن أيوب : لما قدم يزيد خرج الناس يلتقونه ، فقبل لصالح : هذا يزيد ، وقد خرج الناس يلتقونه ، فلم يخرج حتى قُرب يزيد من المدينة ، فخرج صالح ، عليه دراعة ودبوسية صفراء صغيرة ، بين يديه أربعمائة من أهل الشام ، فلقى يزيد فسايرته ، فلما دخل المدينة قال له صالح : قد فرغت لك هذه الدار — فأشار له إلى دار — فنزل يزيد ، ومضى صالح إلى منزله . قال : وضيّق صالح على يزيد فلم يملكه شيئاً ، واتخذ يزيد ألف خوان يطعم الناس عليها ، فأخذها صالح ، فقال له يزيد : اكتب ثمنها علي ، واشترى متاعاً كثيراً ، وصك صكاً كائناً إلى صالح لباعته^(١) منه ، فلم ينفذه ، فرجعوا إلى يزيد ، فغضب وقال : هذا عملي بنفسي ، فلم يلبث أن جاء صالح ، فأوسع له يزيد ، فجلس وقال ليزيد : ما هذه الصكوك ؟ الخراج لا يقوم لها ، قد أنفدت لك منذ أيام صكاً بمائة ألف ، وعجّلت لك أرزاقك ، وسألت مالا للجند ، فأعطيتك ، فهذا لا يقوم له شيء ، ولا يرضى أمير المؤمنين به ، وتؤخذ به ! فقال له يزيد : يا أبا الوليد ، أجز هذه الصكوك هذه المرة ، وضاحكته . قال : فإني أجزها ، فلا تكثرن علي ، قال : لا^(٢) .

١٣٠٨/٢

قال علي بن محمد : حدثنا مسلمة بن محارب وأبو العلاء التميمي والطفيل بن مِرْدَاس العمي وأبو حفص الأزدي عمن حدثه عن جبهتهم ابن زحر بن قيس ، والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير ، وأبو الحسن الخراساني عن الكترماني ، وعامر بن حفص وأبو مخنف عن عثمان ابن عمرو بن محصن الأزدي وزهير بن هنيد وغيرهم — وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض ، فألفت ذلك — أن سليمان بن عبد الملك ولي يزيد ابن المهلب العراق ولم يولّه خراسان ، فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك ابن المهلب وهو بالشام ويزيد بالعراق : كيف أنت يا عبد الملك إن وليتكم خراسان ؟ قال : يجِدني أمير المؤمنين حيث يُحب ، ثم أعرض سليمان عن

(١) ابن خلكان : «ليباعها» . (٢) الخبر في ابن خلكان ٢ : ٢٧١ ، نقله عن الطبري .

ذلك . قال : وكتب عبدُ الملك بنُ المهلب إلى جرير بن يزيد الجهمي وإلى رجال من خاصته : إن أمير المؤمنين عرّض على ولاية خراسان . فبلغ الخبرُ يزيد بنَ المهلب ، وقد ضَجِرَ بالعراق ، وقد ضَيّقَ عليه صالح ابنُ عبد الرحمن ، فليس يتصل معه إلى شيء ، فدعا عبد الله بن الأهم فقال : إني أريدك لأمر قد أهمّني ، فأحب أن تَكفينيهِ ، قال : مُرّني بما أحببت ، قال : أنا فيما ترى من الضيق ، وقد أضجرتني ذلك ، وخراسان شاذرةٌ برجلها ، وقد بسّغني أن أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب ، فهل من حيلة ؟ قال : نعم ، سرّحني ^(١) إلى أمير المؤمنين ، فإني أرجو أن آتيك بعهدك عليها ، قال : فاكم ما أخبرتكم به . وكتب إلى سليمان كتابين : أحدهما يذكر له فيه أمر العراق ، وأثنى فيه على ابن الأهم وذكر له علمه بها ، ووجه ابن الأهم وحمله على البريد ، وأعطاه ثلاثين ألفاً . فسار سبعةً ، فتقدّم بكتاب يزيد على سليمان . فدخل عليه وهو يتغدّى ، فجلس ناحيةً ، فأتى بدجاجتين فأكلتهما .

قال : فدخل ابنُ الأهم فقال له سليمان : لك مجلسٌ غيرُ هذا تعود ^(٢) إليه . ثم دعا به بعد ثلاثة ، فقال له سليمان : إن يزيد بنَ المهلب كتب إلى يذكر علمك بالعراق وبخراسان ، ويشتني عليك ، فكيف علمك بها ؟ قال : أنا أعلم الناس بها ؛ بها ولدتُ ، وبها نشأتُ ، فلي بها وبأصلها خبر وعلم . قال : ما أحوج أمير المؤمنين إلى مثلك يُشاوره في أمرها ! فأشر على برجل أوليه خراسان ؛ قال : أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولى ، فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأى فيه ، هل يتصلح لها أو لا ؛ قال : فسمي سليمان رجلاً من قریش ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، ليس من رجال خراسان ، قال : فعبدُ الملك بنُ المهلب ، قال : لا ، حتى عدد رجالاً ، فكان في آخر مَنْ ذكر وكيع بن أبي سُود ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وكيع رجلٌ شجاعٌ صارمٌ بشّيس ^(٣) مقدام . وليس بصاحبها ^(٤) مع هذا ، إنه لم

(١) ب : « ترحني » . (٢) ابن خلكان : « نعود » .

(٣) ب : « رئيس » . والبشيس : الشديد . (٤) ب : « لصاحبها » .

يقبض ثلثمائة قطّ فرأى^(١) لأحد عليه طاعة . قال : صدقت ويحك ، فن لها !
 قال : رجل أعلمه لم تسمه^(٢) ، قال : فن هو ؟ قال لا أبوح باسمه إلا
 أن يتضمن لي أمير المؤمنين ستر ذلك ، وأن يجيرني منه إن علم ؛ قال :
 نعم ، سمه من هو ؟ قال : يزيد بن المهلب ؛ قال : ذاك بالعراق ، والمقام
 بها أحب إليه من المقام بخراسان ، قال : قد علمت يا أمير المؤمنين ، ولكن
 تكرهه على ذلك ، فيستخلف على العراق رجلا ويسير ؛ قال : أصبت
 الرأي . فكاتب عهد يزيد على خراسان ، وكتب إليه كتاباً : إن ابن
 الأهم كما ذكرت في عقله ودينه وفضله ورأيه . ودفع الكتاب وعهد يزيد إلى
 ابن الأهم ، فسار سبباً ، فقدم على يزيد فقال له : ما وراءك ؟ قال :
 فأعطاه الكتاب ، فقال : ويحك ! أعينك خير ؟ فأعطاه العهد ، فأمر
 يزيد بالجهاز للمسير من ساعته ، ودعا ابنه محمداً فقدمه إلى خراسان . قال :
 فسار من يومه ، ثم سار يزيد واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله
 الحكيمي ، واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابي . وصير مروان
 ابن المهلب على أمواله وأموره بالبصرة ، وكان أوثق إخوته عنده ، ولمروان
 يقول أبو البهاء الإيادي :

رَأَيْتُ أَبَا قَبِيصَةَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْعَلَاتِ أَكْرَمَهُمْ طِبَاعًا
 إِذَا مَا هُمْ أَبَوًا أَنْ يَسْتَطِيعُوا جَسِيمَ الْأَمْرِ يَحْمِلُ مَا اسْتَطَاعَا
 وَإِنْ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ بِأَمْرِ فَضَلَّتْهُمْ بِذَلِكَ نَدَى وَبَاعَا

١٣١١/٢

* * *

وأما أبو عبيدة مسعمر بن المثنى فإنه قال في ذلك : حدثني أبو مالك أن
 وكيع بن أبي سود بعث بطاعته وبرأس قتيبة إلى سليمان ، فوقع ذلك من
 سليمان كل موقع ، فجعل يزيد بن المهلب لعبد الله بن الأهم مائة ألف
 على أن ينقر^(٤) وكيعاً عنده ، فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! والله ما أحد

(١) ب : « ولا رأى » .

(٢) ب : « لم يسمه أمير المؤمنين » .

(٣) ب : « ينقر » ، س : « ييقر » ويقال : نفر الرجل ينقره ، أي عابه ووقع فيه .

أَوْجَبَ شُكْرًا ، وَلَا أَعْظَمَ عِنْدِي يَدًا مِنْ وَكَيْعٍ ، لَقَدْ أَدْرَكَ بِشَأْرِي ، وَشَفَانِي مِنْ عَدُوِّي ، وَلَكِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمُ وَأَوْجَبُ عَلَيَّ حَقًّا ، وَإِنَّ النَّصِيحَةَ تَلَزَمُنِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ وَكَيْعًا لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ مِائَةُ عِثَانٍ قَطًّا إِلَّا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِغَدْرِهِ ؛ خَامِلٌ فِي الْجَمَاعَةِ ، نَابِهٌ فِي الْفِتْنَةِ ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِذَا مِنْ نَسْتَعِينُ بِهِ — وَكَانَتْ قَيْسٌ تَزْعُمُ أَنَّ قَتِيْبَةً لَمْ يَخْلَعْ — فَاسْتَعْمَلَ سُلَيْمَانُ يُزِيدُ ابْنَ الْمُهَلَّبِ عَلَى حَرْبِ الْعِرَاقِ ، وَأَمَرَهُ إِنْ أَقَامَتْ قَيْسٌ الْبَيْتَةَ أَنَّ قَتِيْبَةً لَمْ يَخْلَعْ فَيَنْزِعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ ، أَنْ يُقْتَدَ وَكَيْعًا بِهِ . فَغَدَرَ يُزِيدُ ، فَلَمْ يُعْطِ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الْأَهْمِ مَا كَانَ ضَمِنَ لَهُ ، وَوَجَّهَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ يُزِيدٍ إِلَى وَكَيْعٍ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَلِيٍّ . قَالَ عَلِيٌّ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ مَخْذَفٌ عَنْ عُمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُحْصَنٍ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْخُرَّاسَانِيَّ عَنْ الْكُرْمَانِيِّ ، قَالَ : وَجَّهَ يُزِيدُ ابْنَهُ مُحَمَّدًا إِلَى خُرَّاسَانَ فَقَدِمَ مُحَمَّدٌ عَمْرٍو بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانَ ١٣١٢/٢ الْعَبَّاسِيَّ ، ثُمَّ الصَّنَّاعِيَّ (١) ، حِينَ كُنَّا مِنْ مَرَّوٍ ، فَلَمَّا قَدِمَهَا أُرْسِلَ إِلَى وَكَيْعٍ أَنَّ الْقَسِيَّ ، فَأَبَى ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ عَمْرٍو ، يَا أَعْرَابِيَّ أَحْمَقَ جَافِيًا ، أَنْطَلِقْ إِلَى أَمِيرِكَ فَتَلْقَهُ . وَخَرَجَ وَجْهًا مِنْ أَهْلِ مَرَّوٍ يَتَلَقَّوْنَ مُحَمَّدًا ، وَتَثَاقَلَ وَكَيْعٌ عَنْ الْخُرُوجِ ، فَأَخْرَجَهُ عَمْرٍو الْأَزْدِيُّ ، فَلَمَّا بَلَغُوا مُحَمَّدًا نَزَلَ النَّاسُ كُلَّهُمْ غَيْرَ وَكَيْعٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ حَمْرَانَ السَّعْدِيُّ وَعَبَادُ بْنُ لَقِيْطٍ أَحَدُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَأَنْزَلُوهُمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ مَرَّوٍ حَبَسَ وَكَيْعًا فَعَذَّبَهُ ، وَأَخَذَ أَصْحَابَهُ فَعَذَّبَهُمْ قَبْلَ قُدُومِ أَبِيهِ .

قَالَ عَلِيٌّ عَنْ كُتَيْبِ بْنِ خَلَّافٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِدْرِيسُ بْنُ حَنْظَلَةَ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ مُحَمَّدُ الْخُرَّاسَانَ حَبَسَنِي ، فَجَاءَنِي ابْنُ الْأَهْمِ فَقَالَ لِي : أَتُرِيدُ أَنْ تَنْجُوَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَخْرَجَ الْكُتُبَ الَّتِي كَتَبَهَا الْقَعْقَاعُ بْنُ خَلْسِيدٍ الْعَبَّاسِيُّ وَخَزَرِيمُ بْنُ عَمْرٍو الْمَرِّيَّ إِلَى قَتِيْبَةٍ فِي خَلْعِ سُلَيْمَانَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا ابْنَ الْأَهْمِ ،

إِيَّاي تَسْخَدُ عَنْ دِينِي ! قَالَ : فِدَعَا بِطُومَارٍ وَقَالَ : إِنَّكَ أَحْمَقُ . فَكَتَبَ كُتُبًا عَنْ لِسَانِ الْقَمْعَقَاعِ وَرِجَالٍ مِنْ قَيْسٍ إِلَى قُتَيْبَةَ ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ مَاتَ ، وَسَلِيَانُ بَاعَثَ هَذَا الْمَزُونِيَّ عَلَى خُرَاسَانَ فَاخْلَعَهُ . فَقُلْتُ : يَا بَنَ الْأَهَمِّ ، تُهْلِكُ وَاللَّهِ نَفْسَكَ ! وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ لِأَعْلَمَنَّهُ أَنَّكَ كَتَبْتَهَا .

* * *

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ شَخَّصَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى خُرَاسَانَ أَمِيرًا عَلَيْهَا ، فَذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي السَّرِيِّ الْمُرُوزِيِّ الْأَزْدِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : وَلِيَ وَكِيعُ خُرَاسَانَ بَعْدَ قَتْلِ قُتَيْبَةَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ عَشْرَةَ . وَقَدِمَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ .

١٢١٣/٢

قَالَ عَلِيٌّ : فَذَكَرَ الْمُفَضَّلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَدْنَى يَزِيدُ أَهْلَ الشَّامِ وَقَوْمًا مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، فَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسِيعَةَ :

وَمَا كُنَّا نُوْمِلُ مِنْ أَمِيرٍ	كَمَا كُنَّا نُوْمِلُ مِنْ يَزِيدٍ
فَأَخْطَأَ ظَنُّنَا فِيهِ وَقَدِمًا	زَهْدُنَا فِي مَعَاشِرَةِ الزَّهِيدِ
إِذَا لَمْ يُعْطِنَا نَصْفًا أَمِيرٌ	مَشِينَا نَحْوَهُ مِثْلَ الْأُسُودِ
فَمَهْلًا يَا يَزِيدُ أَنْتَبُ إِلَيْنَا	وَدَعْنَا مِنْ مَعَاشِرَةِ الْعَبِيدِ
نَجِيءُ فَلَا نَرَى إِلَّا صُدُودًا	عَلَى أَنَا نُسَلِّمُ مِنْ بَعِيدِ
وَنَرْجِعُ خَائِبِينَ بِلَا نَوَالٍ	فَمَا بَالُ التَّجَهُُّمِ وَالصُّدُودِ !

قَالَ عَلِيٌّ : أَخْبَرَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ ، عَنْ غَالِبِ الْقَطَّانِ ، قَالَ : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَاقِفًا بِعَرَافَاتٍ فِي خِلَافَةِ سَلِيْمَانَ ، وَقَدْ حَسَّجَ سَلِيْمَانَ عَامِثًا وَهُوَ يَقُولُ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ : الْعَجَبُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، اسْتَعْمَلَ رِجَالًا عَلَى أَفْضَلِ ثَغَرِ الْمُسْلِمِينَ ! فَقَدْ بَلَغَنِي عَمَّنْ يَقْدَمُ مِنَ التَّجَارِ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ أَنَّهُ يُعْطَى الْجَارِيَةَ مِنْ جَوَارِيهِ مِثْلَ سَهْمِ أَلْفِ رَجُلٍ . أَمَّا وَاللَّهِ

ما الله أراد بولايته - فعرفت أنه يعني يزيدَ والجهنية - فقلتُ: يشكر بلاءَهم أيامَ الأزارقة .

قال : ووَصَلَ يزيدُ عبدَ الملك بنَ سلام السَّوْلَى فقال :

ما زال سيِّبك يا يزيدُ بحوبتي حتى آرتويتُ وجودكم لا يُنكرُ
أنتَ الربيع إذا تكونَ خصاصةً عاش السَّقيم به وعاش المُقْتِرُ
عمتْ سحابتهُ جميعَ بلادكم فرووا وأغْدَقَهُم سحابُ مُمطر ١٣١٤/٢
فسفأك ربك حيثُ كنتَ مخيلةً ريثاً سحائبها تروحُ وتُبْكِرُ^(١)

* * *

وفي هذه السنة حجَّ بالناس سليمانُ بنُ عبد الملك ، حدثني بذلك أحمدُ ابن ثابت عن كذَّره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وفيهما عزَّل سليمانُ طلحةَ بن داودَ الحَضْرَمِيَّ عن مكة ، قال الواقدي : حدثني إبراهيمُ بنُ نافع ، عن ابن أبي مُسَيْبَةَ ، قال : لما صدَّر سليمانُ ابنُ عبد الملك من الحجِّ عزَّل طلحةَ بنَ داودَ الحَضْرَمِيَّ عن مكة ، وكان عمَلُهُ عليها ستة أشهر ، وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وكانت عُمَّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان ، فإن عاملها على الحرب والخرَّاج والصَّلاة يزيدُ بنُ المهلب .

وكان خليفته على الكوفة - فيما قيل - حَرَمْلَةُ بن عُمَيْر اللَّخْمِيَّ أشهراً ، ثمَّ عزَّله وولَّاهَا بشير بن حسان النَّهْدِيَّ .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية]

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى القسطنطينية ، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه ، فشسابها وصاف . فذكر محمد بن عمر أن ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى ، قال : لما دنا مسلمة من قسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدين (١) من طعام حتى يأتي به القسطنطينية ، فأمر بالطعام فألقى في ناحية مثل الجبال ، ثم قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئاً ، أغبروا في أرضهم ، وازدروا (٢) . وعمل بيوتاً من خشب ، فشتا فيها ، وزرع الناس ، ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكتنه شيء ، والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات ، ثم أكلوا من الزرع ، فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهراً لأهلها ، معه وجوه أهل الشام : خالد بن معدان ، وعبد الله بن أبي زكرياء الخزاعي ، ومجاهد بن جبر ، حتى أتاه موت سليمان فقال القائل :

* تحمّل مدينتي ومديني مسلمة *

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : لما ولي سليمان غزاة الروم فنزل دابق ، وقد تم مسلمة فهابه الروم ، فشخص إليون من أرمينية ، فقال لمسلمة : ابعث إلى رجل يكلمني ، فبعث ابن هبيرة ، فقال له ابن هبيرة : ما تعدون الأحمق فيكم ؟ قال : الذي يملأ بطنه من كل شيء يحبه ، فقال له ابن هبيرة : إننا أصحاب دين ، ومن ديننا طاعة

(١) المدي : مكيال ضخم لأهل الشام ومصر .

(٢) ازدروا ، أي اتخنوا لأنفسكم زرعاً لكم ، وفي ب : « وازدروا » .

أمرائنا ؛ قال : صدقت ، كنا وأتَمُّ نُقَاتِلِ على الدين ونَغْضَبَ له ، فأما اليومَ فلما نُقَاتِلِ على الغَلَبَةِ والمُلْكِ ، نُعْطِيكَ عن كلِّ رأسٍ ديناراً . ١٣١٦/٢
فرجع ابنُ هُبَيْرَةَ إلى الرومِ من غَدِهِ ، وقال : أبى أن يَرْضَى ، أتيتهُ وقد تغدَّى وملاً بطنه ونامَ ، فانتَبَهَ وقد غَلَبَ عليه البلغمُ ، فلم يدرِ ما قلتُ .
وقالت البطارقة لإليون : إن صرفت عنا مَسَلَمَةَ مَلِكِنَاكَ . فوثقوا له ، فَأَتَتِي مَسَلَمَةُ فقالت : قد عَلِمَ القومُ أنك لا تَصْدُقُهُم القتال ، وأنتك تُطاولهم ما دام الطعام عندك ، ولو أحرقت الطعامَ أعطوا بأيديهم ، فأحرقته ، فقوى العدو ، وضاق المسلمون حتى كادوا يسهلكون ، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان . قال : وكان سليمانُ بنُ عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عَهْدَهُ ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية .

قال : وهلك ملك الروم ، فأتاه إليون فأخبره ، وضمن له أن يدفع إليه أرضَ الروم ، فوجه معه مسلمة حتى نزل بها ، وجمع كلَّ طعام حولها وحصر أهلها (١) وأتاهم إليون فلكوه (٢) ، فكتب إلى مَسَلَمَةَ يُخبره بالذي كان ، ويسأله أن يدخل من الطعام مما يعيش به القوم ، ويصدقونه بأن أمره وأمر مَسَلَمَةَ واحد ، وأنهم في أمان من السبأ والخروج من بلادهم ، وأن يأذن لهم ليلةً في حمل الطعام ، وقد هبأ إليون السفن والرجال ، فأذن له ، فما بقي في تلك الحظائر إلا ما لا يُذكر ؛ حمل في ليلة ، وأصبح إليون محارباً ، وقد خدعه خديعة لو كان امرأةً لعب بها ، فلقى الجند ما لم يَلْتَقَ جيشٌ ؛ حتى إن كان الرجلُ لَيَخَافُ أن يخرج من العسكر وحده ، وأكلوا الدوابَّ والجُلُودَ وأصولَ الشجر والورق ، وكلَّ شيء غير التراب ، ١٣١٧/٢
وسليمان مقيمٌ بدابق ، ونزل الشتاء فلم يقدر يُعيدهم حتى هلك سليمان .

* * *

[مبايعة سليمان لابنه أيوب ولياً للعهد]

وفي هذه السنة بايع سليمانُ بنُ عبد الملك لابنه أيوبَ بن سليمان وجعلته ولياً عهدِهِ ، فحدثني عمر بن شبة ، عن علي بن محمد ، قال : كان عبدُ الملك أحمداً على الوليد وسليمان أن يبايعا لابن عاتكة وطران بن عبد الملك

(١) ب : « حصرم » . (٢) ب : « فلكوه » .

من بعده ، قال : فحدثني طارقُ بنُ المبارك ، قال : مات مروانُ بنُ عبد الملك في خلافة سليمانَ منصوره من مكة ، فبايع سليمان حين مات مروانُ لأيوبَ ، وأمسك عن يزيدَ وترَبَّصَ به ، ورَجَا أن يهلك ، فهلك أَيْوبُ وهو وليَّ عهده .

* * *

وفي هذه السنة فُتِحَتْ مَدِينَةُ الصَّقَالِبَةِ ، قال محمد بنُ عمر : أغارت بُرْجَانُ في سنة ثمان وتسعين على مَسْلَمَةَ بن عبد الملك وهو في قِلَّةٍ مِنَ النَّاسِ ، فَأَمَدَّهُ سُلَيْمَانُ بنُ عبد الملك بِمَسْعُودَةٍ - أَوْ عَمْرُو بن قَيْسٍ - فِي جَمْعٍ فَكَثُرَتْ بِهِمُ الصَّقَالِبَةُ ، ثُمَّ هَزَمَهُمُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا شَرَّاحِيلَ بن عبد ابن عُبَيْدَةَ (١) .

وفي هذه السنة - فيما زعم الواقدي - غَزَا الْوَلِيدُ بنُ هِشَامٍ وَعَمْرُو بنُ قَيْسٍ ، فَأَصِيبَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ إِنْطَاكِيَّةَ ، وَأَصَابَ الْوَلِيدُ نَاسًا مِنْ ضَوَاحِي الرُّومِ وَأَسْرَمَنَهُمْ بِشَرًّا كَثِيرًا .

* * *

[غزو جرجان وطبرستان]

وفي هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلب جُرجَانَ وَطَبْرِسْتَانَ ، فَذَكَرَ هِشَامُ بن محمد ، عن أبي مخنف ، أَنَّ يَزِيدَ بن المهلب لما قدم خُرَّاسَانَ أَقَامَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ أَوْ أَرْبَعَةً ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى دِهِيْسْتَانَ وَجُرجَانَ ، وَبَعَثَ ابْنَهُ مَخْلَدًا عَلَى خُرَّاسَانَ ، وَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ بَدَهِسْتَانَ ، وَكَانَ أَهْلُهَا طَائِفَةً مِنَ التُّرْكِ ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا ، وَحَاصَرَ أَهْلَهَا ، مَعَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَهْلُ الشَّامِ وَوُجُوهُ أَهْلِ خُرَّاسَانَ وَالرَّيِّ ، وَهُوَ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ سِوَى الْمُسَوِّلِيِّ وَالْمَسْمَالِيكِ وَالْمَنْطُوعِينَ ، فَكَانُوا يَخْرُجُونَ فَيُقَاتِلُونَ النَّاسَ ، فَلَا يُلْبِثُهُمُ النَّاسُ أَنْ يَهْزِمُوهُمْ فَيَدْخُلُونَ حَصْنَهُمْ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ أحيانًا فَيُقَاتِلُونَ فَيَشْتَدُّ قِتَالُهُمْ . وَكَانَ جِهَنَّمُ وَجَمَالُ ابْنَا زَحْرَ مِنْ يَزِيدَ بِمَكَانٍ ، وَكَانَ يُكْرِمُهُمَا ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بن عبد الرحمن بن أَبِي سَبْتَةَ الْجُعْفَى لَهُ لِسَانٌ وَبَاسٌ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُفْسِدُ نَفْسَهُ بِالشَّرَابِ ، وَكَانَ لَا يُكْثِرُ غِشِيَانِ يَزِيدَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَكَانَهُ

١٣١٨/٢

(١) ط : « شراحيل بن عبدة » ، والصواب ما أثبتته ، وهو أبو عامر الشعبي .

أَيْضًا حَجَزَهُ^(١) عَنْ ذَلِكَ مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ أَثَرِهِمْ عَلَى ابْنِ زَحَرٍ جَهَنَّمَ وَجَمَالٍ . وَكَانَ إِذَا نَادَى الْمُنَادِي : يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي وَأَبْشِرِي كَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ يَسْبِرُ^(٢) إِلَى مَوْقِفِ الْيَأْسِ عِنْدَ الرُّوْعِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، فَتَوَدَّى ذَاتَ يَوْمٍ فِي النَّاسِ ، فَبَدَرَ^(٣) النَّاسُ ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ ، فَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى تَكَلُّمٍ لَإِذْ مَرَّ بِهِ عُثْمَانُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ ، مَا قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَسْبِقَكَ إِلَى الْمَوْقِفِ قَطُّ ، فَقَالَ : وَمَا يُغْنِي ذَلِكَ عَنِّي ، وَأَنْتُمْ تُرْشِحُونَ غُلَمَانَ مَذْحِجٍ ، وَتَسْجَهُلُونَ حَقَّ ذَوِي الْأَسْنَانِ وَالتَّجَارِبِ وَالْبَلَاءِ ! فَقَالَ : أَمَا إِنَّكَ لَوْ تَرِيدَ مَا قَبَلْنَا لَمْ نَعْدِلْ^(٤) عَنْكَ مَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ .

قَالَ : وَخَرَجَ النَّاسُ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَحَمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ عَلَى تَرْكِيٍّ قَدْ صَدَّ النَّاسَ عَنْهُ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَثَبَّتَ سَيْفُ التَّرْكِيٍّ فِي بَيْضَةِ ابْنِ أَبِي سَبْرَةَ ، وَضَرَبَهُ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ فَفَقَعَتْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ وَسَيْفُهُ^(٥) فِي يَدِهِ يَقَطُرُ دَمًا ، وَسَيْفُ التَّرْكِيٍّ فِي بَيْضَتِهِ ، فَنَظَرَ النَّاسُ إِلَى أَحْسَنَ مَسْظَرٍ رَأَوْهُ مِنْ فَارِسٍ ، وَنَظَرَ يَزِيدُ إِلَى ائْتِلَاقِ السَّيْفَيْنِ وَالْبَيْضَةِ وَالسَّلَاحِ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، فَقَالَ : لِلَّهِ أَبُوهُ ! أَيْ رَجُلٌ هُوَ لَوْلَا إِسْرَافُهُ عَلَى نَفْسِهِ !

وَخَرَجَ يَزِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمًا وَهُوَ يَرْتَادُ مَكَانًا يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَى الْقَوْمِ ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ التُّرُكِ — وَكَانَ مَعَهُ وَجُوهُ النَّاسِ وَفُرْسَانُهُمْ ، وَكَانَ فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَالْعَدُوُّ فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ — فَقَاتَلَتْهُمْ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالُوا لِيَزِيدُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، انْصَرِفْ وَنَحْنُ نُقَاتِلُ عَنْكَ ، فَأَبَى أَنْ يَتَّعَلَّ ، وَغَشَى الْقِتَالَ يَوْمُئِذٍ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَ كَأَحَدِهِمْ ، وَقَاتَلَ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ وَابْنَا زَحَرَ وَالْحِجَّاجَ بْنَ جَارِيَةَ^(٦) الْحِشْعَمِيَّ وَجُلَّ أَصْحَابِهِ ، فَأَحْسَنُوا الْقِتَالَ ، حَتَّى إِذَا أَرَادُوا الْانْصِرَافَ جَعَلَ الْحِجَّاجُ بْنُ جَارِيَةَ عَلَى

(١) ب : « فكَانَهُ إِنْ مَا كَانَ يَحْجِزُهُ » .

(٢) ب : « فَبَادَرَ » .

(٣) ب : « مَا عَدَلْنَا » .

(٤) ب : « سِيفُهُ » بِلَوْنٍ وَآو .

(٥) ب : « سَارِيَّة » .

(٦) ب : « يَنْهَد » .

الساقة ، فكان يُقاتِل مَنْ وراءه حتى انتهى إلى الماء ، وقد كانوا عطشوا فشرَبوا ، وانصرف عنهم العدو ، ولم يظفروا منهم بشيء ، فقال سُفْيَانُ ابن صفوان الحشعَمي :

١٣٢٠/٢ لولا ابنُ جاريةِ الأغرِّ جبينُهُ لَسَقَيْتَ كأساً مُرَّةَ المُتَجَرِّعِ

وحَمَاكَ في فُرْسَانِهِ وخِيُولِهِ حتى وَرَدَتِ الماءَ غَيْرَ مُتَتَعِّعِ

ثم إنه ألح عليها^(١) وأنزل الجنود^(٢) من كلِّ جانبِ حولها ، وقَطَعَ عنهم المواد ، فلمَّا جُهِدوا^(٣) ، وعَجَزوا عن قتالِ المسلمين ، واشتدَّ عليهم الحصار والبلاء ، بعث صُؤْل دِهقان دِهستانَ إلى يزيدَ : إني أصالحك على أن تؤمِّنني على نفسي وأهل بيتي ومالي ، وأدفع إليك المدينة وما فيها وأهلها . فصالحه ، وقبِل منه ، ووفَّى له ، ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الأموال والكنوز ومن السبي شيئاً لا يُحصى ، وقتل أربعةَ عشر ألف تُركي صَبِراً ، وكتبَ بذلك إلى سليمانَ بن عبد الملك .

ثم خرَّج حتى أتى جُرْجَانَ ، وقد كانوا يُصالحون أهلَ الكوفة على مائة ألف ، ومائتي ألف أحياناً ، وثلاثمائة ألف ، وصالحوهم عليها ، فلما أتاها يزيدُ استقبلوه بالصلح ، وهابوه وزادوه ، واستخلف عليهم رجالاً من الأزد يقال له : أسدُ بنُ عبد الله ، ودخل يزيدُ إلى الإصبيهد في طَبَرِستانَ فكان معه الفعلة يقطعون الشجر ، ويصلحون الطرق ، حتى انتهوا إليه ، فنزل به فحصره^(٤) وغلب على أرضه ، وأخذ الإصبيهد يعرض على يزيدَ الصلح ويريده على ما كان يؤخذ منه ، فيابى رجاء^(٥) افتتاحهما . فبعث ذاتَ يوم أخاه أبا عيينة في أهلِ المِصرين^(٦) ، فأصعد في الجبل إليهم ، وقد بعث الإصبيهد إلى الديلم ، فاستجاش بهم ، فاقتتلوا ، فحازهم المسلمون ساعةً وكشفوهم ، وخرج رأسُ الديلم يسألُ المُبارزةَ ، فخرج إليه ابن أبي سبرة فقتله ، فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون إلى فَمِ الشَّعبِ ؛

١٣٢١/٢

(١) ب : « عليهم وعليها » .

(٢) ب : « أجهدوا » .

(٣) ب : « وحصره » .

(٤) ب : « المسكر » .

(٥) ب : « رجال » .

(٦) ب : « الخيول » .

فَدَاهَبُوا لِيَصْعَدُوا فِيهِ ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوّ يَرْشُقُونَهُمْ بِالنَّشَابِ ،
وَيَرْمُونَهُمْ بِالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ مِنْ فِتْمَةِ الشَّعْبِ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ قِتَالٍ
وَلَا قُوَّةَ مِنْ عَدُوِّهِمْ عَلَى إِتْبَاعِهِمْ وَطَلَبِهِمْ ، وَأَقْبَلُوا يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،
حَتَّى أَخَذُوا يَتَساقَطُونَ فِي اللَّهْوِ ، وَتَدَهَّدَى الرَّجُلُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ حَتَّى
نَزَلُوا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ لَا يَعْبَثُونَ بِالشَّرِّ شَيْئًا .

وَأَقَامَ يَزِيدُ بِمَكَانِهِ عَلَى حَالِهِ ، وَأَقْبَلَ الْإِصْبَهَيْدَ يَكْتُبُ أَهْلَ جَرْجَانٍ
وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَسْبُوا بِأَصْحَابِ يَزِيدَ ، وَأَنْ يَتَقَطَّعُوا عَلَيْهِ مَا دَتَهُ وَالطَّرِيقَ فِيمَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْعَرَبِ ، وَيَعِدُّهُمْ أَنْ يَكْفِيَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَوَثَّقُوا بِمَنْ كَانَ يَزِيدُ
خَلْفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَمَتَّلُوا مِنْهُمْ مَنْ قَتَلُوا عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ بِقِيَّتِهِمْ
فَتَحَصَّنُوا فِي جَانِبِ ، فَلَمْ يَزَالُوا فِيهِ حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ ، وَأَقَامَ يَزِيدُ عَلَى
الْإِصْبَهَيْدِ فِي أَرْضِهِ حَتَّى صَالَحَهُ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ
نَقْدًا وَمِائَتِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ حِمَارٍ مَوْقَرَةٍ زَعْفَرَانًا ، وَأَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ ،
عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ بُرْنُسٌ ، عَلَى الْبُرْنُسِ طَيِّلَسَانٌ وَلِجَامٌ مِنْ فِضَّةٍ
وَسَرَقَةٌ ^(١) مِنْ حَرِيرٍ ، وَقَدْ كَانُوا صَالِحُوا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى مِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ .
ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا يَزِيدُ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّهُمْ قَتَلُوا ، وَلَوْلَا مَا صَنَعَ أَهْلُ جَرْجَانٍ
لَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَبَرِ سَتَانَ حَتَّى يَفْتَتَحَهَا .

١٢٢٢/٢

وَأَمَّا غَيْرُ أَبِي مَخْنَسَفٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَمْرِ يَزِيدَ وَأَمْرِ أَهْلِ جَرْجَانٍ مَا حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ كَلِيبِ بْنِ خَلَسَفٍ وَغَيْرِهِ ؛ أَنَّ
سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ صَالِحَ أَهْلِ جَرْجَانٍ ، ثُمَّ امْتَنَعُوا وَكَتَفُوا ، فَلَمْ يَأْتِ
جَرْجَانُ بَعْدَ سَعِيدِ أَحَدٍ ، وَمَنَعُوا ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَلَمْ يَسْكُنْ يَسْلُوكَ طَرِيقَ
خُرَّاسَانَ مِنْ نَاحِيَةِ أَحَدٍ إِلَّا عَلَى وَجْهِ خَوْفٍ مِنْ أَهْلِ جَرْجَانٍ ؛ كَانَ
الطَّرِيقُ إِلَى خُرَّاسَانَ مِنْ فَارَسَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَأَوَّلَ مَنْ صَيَّرَ الطَّرِيقَ مِنْ
قَوْمِ قُشَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ حِينَ وَلِيَ خُرَّاسَانَ . ثُمَّ غَزَا مَصْقَلَةَ خُرَّاسَانَ أَيَّامَ
مَعَاوِيَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَأَصِيبَ وَجَنْدَهُ بِالرُّوْيَانِ ، وَهِيَ مَتَاخِمَةُ طَبَرِ سَتَانَ

(١) السَّرَقَةُ : شَقَّةُ الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ .

فهلكوا في وادي من أوديتها ، أخذ العدو عليهم بمضايقه ، فقتلوا جميعاً ، فهو يُسمى وادي مصقلة .

قال : وكان يُضرب به المشكل حتى يرجع مصقلة من طبرستان ، قال علي ، عن كليب بن خديف العمي ، عن طفيل بن مرداس العمي وإدريس بن حسنطة : إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ، فكانوا يجيئون أحياناً مائة ألف ، ويقولون : هذا صلحنا ، وأحياناً مائتي ألف ، وأحياناً ثلاثمائة ألف ؛ وكانوا ربما أعطوا ذلك ، وربما منعه ، ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجاً ، حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها ، فلما صالح صول وفتح البُحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص . ١٣٢٣/٢

حدثني أحمد ، عن علي ، عن كليب بن خديف العمي ، عن طفيل بن مرداس ، وبشر بن عيسى عن أبي^(١) صفوان ، قال علي : وحدثني أبو حفص الأزدي عن سليمان بن كثير ، وغيرهم ، أن صولا التركي كان ينزل دِهستان والبُحيرة - جزيرة في البحر بين دِهستان خمسة فراسخ ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم - فكان صول يُغير على فيروز بن قول ، مرزبان جرجان ، وبينهم خمسة وعشرون فرسخاً ، فيصيب من أطرافهم ثم يرجع إلى البُحيرة ودهستان ، فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المرزبان مُنازعة ، فاعتزله المرزبان ، فنزل البياسان ، فخاف فيروز أن يُغير عليه الترك ، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخراسان ، وأخذ صول جرجان ، فلما قدم على يزيد بن المهلب قال له : ما أقدمك ؟ قال : خفت صولا ، فهربت منه ، قال له يزيد : هل من حيلة لِقْتاله ؟ قال : نعم ، شيء واحد ، إن ظفرتُ به قتلته ، أو أعطى^(٢) بيده ، قال : ما هو ؟ قال : إن خرج من جرجان حتى يستزل^(٣) البُحيرة ، ثم أتيتهُ ثم فحاصرته بها ظفرتُ به ، فاكتب إلى الإصبهذ كتاباً تسأله فيه أن يحتال

(١) ساقطة من ط (٢) ب : « وأعطى » . (٣) ب : « يترك » .

لصول حتى يقيم بجرجان ، واجعل له على ذلك جُعلًا ، ومنه ، فإنه يبعث بكتابك إلى صول يتقرب به إليه لأنه يعظمه ، فيتحول عن جرجان ، فيتنزل البُحيرة .

فكتب يزيد بن المهلب إلى صاحب طبرستان : إني أريد أن أغزو صولا وهو بجرجان ، ففخت إن بَلَغَه أني أريد ذلك أن يتحول إلى البُحيرة فينزلها ، فإن تحول إليهما لم أقدر^(١) عليه ؛ وهو يسمع منك^(٢) ويستنصحك ، فإن حبسته العام بجرجان فلم يأت البُحيرة حملت إليك خمسين ألف مثقال ؛ فاحتل له حيلة ؛ تحبسه بجرجان ، فإنه إن أقام بها ظفرت به . فلما رأى الإصبيهدُ الكتاب أراد أن يتقرب إلى صول ، فبعث بالكتاب إليه ، فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل إلى البُحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها . وبَلَغَ يزيد أنه قد سار من جرجان إلى البُحيرة ، فاعتزم على السير إلى الجرجان ، فخرج في ثلاثين ألفًا ، ومعه فيروز ابن قول ، واستخلف^(٣) على خراسان محمد بن يزيد ، واستخلف على سمرقند وكيس ونسيف وبخاري ابنه معاوية بن يزيد ، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وأقبل حتى أتى جرجان - ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال مُحيطَةٌ بها ، وأبوابٌ ونخارم ، يقوم الرجل على باب منها فلا يتقدم عليه أحدٌ - فدخلها يزيد لم يعازه أحد ، وأصاب أموالاً ، وهرب المرزبان ، وخرج يزيد بالناس إلى البُحيرة ، فأناخ على صول ، وتمثل حين نزل بهم :

فخرَّ السيفُ وارْتَعَشَتْ يَدَاهُ وَكَانَ بِنَفْسِهِ وَفَيْتَ نَفُوسُ

قال : فحاصرهم ، فكان يخرج إليه صول في الأيَّام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه ، ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة . ثم ذكر من قصة جهنم ابن زحر وأخيه محمد نحوًا عما ذكره هشام ، غير أنه قال في ضربة التركي ١٣٢٥/٢ ابن أبي سبرة : فَنَشَبَ سَيْفُ التُّرْكِيِّ فِي دَرَقَةِ ابْنِ أَبِي سَبْرَةَ .

(١) ب : « لم يقدر عليه » . (٢) ب : « منا » .

(٣) ب : « واستعمل » .

قال علي بن محمد ، عن علي بن مجاهد ، عن عَنَسْبَةَ ، قال : قاتَلَ محمد بن أبي سَبْرَةَ التركَ فأحاطوا به واعتسروهُ بأسيا ففهم ، فانقطع في يده ثلاثة أسياف .

ثم رَجَعَ إلى حديثهم ؛ قال : فكثوا بذلك - يعني الترك - محصورين يَخْرُجُونَ فَيَقْتَاتِلُونَ ، ثم يَرْجِعُونَ إلى حِصْنِهِمْ ستة أشهر ، حتى شربوا ماءَ الأَحْصَاءِ ، فأصابهم داءٌ يسمَّى السَّوَادَ ^(١) ، فَوَقَعَ فِيهِمُ الْمَوْتُ ، وأرسل صُولُ في ذلك يَطْلُبُ الصَّلَحَ ، فقال يزيدُ بنُ المهلب : لا ، إلا أن يَسْتَرِلَ على حُكْمِي ، فأبى . فأرسل إليه : إني أصالِحُكَ على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصتي ، على أن تؤمّنني فتنتزل البُحَيْرَةُ . فأجابته إلى ذاك يزيدُ ، فخرج بماله وثلاثمائة من أَحَبِّ ، وصار مع يزيدَ ، فقتَلَ يزيدُ من الأتراك أربعةَ عشر ألفاً صَبْرًا ، ومنَ على الآخرَين فلم يَقْتُلْ منهم أحدًا . وقال الجُنْدُ ليزيدَ : أعطنا أرزاقنا ، فدعا إدريس بن حنظلة العمي ، فقال : يا بن حنظلة ، أخص لنا ما في البُحَيْرَةِ حتى نُعْطِيَ الجندَ ، فدخّلها إدريسُ ، فلم يَقْدِرْ على إحصاء ما فيها ، فقال ليزيد : فيها ما لا أَسْتَطِيعُ إحصاءه ، وهو في ظُروف ، فنُحْصِي الجواليق ونعلم ما فيها ، ونقول للجند : ادْخُلُوا فخذُوا ، فن أخذَ شيئًا عرفنا ما أخذَ من الحنطة والشعير والأرز والسَّمِمْ ^(٢) والعَسَل . قال : نعم ما رأيت ، فأحصوا الجواليق عند دَأْ ، وعلموا كلَّ جوالق ^(٣) ما فيه ، وقالوا ^(٤) للجند : خذُوا ، فكان الرجلُ يَخْرُجُ وقد ^(٥) أخذ ثيابًا ^(٦) أو طعامًا أو ما حَمَلَ ^(٧) من شيء فيكْتَسِبُ على كلِّ رجلٍ ما أخذَ ، فأخذوا شيئًا كثيرًا .

١٣٢٦/٢

قال علي : قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب ، فرفعوا عليه أنه أخذَ خَريطةً ، فسأله يزيدُ عنها ، فأثابه بها ، فدعا يزيدُ الذي رَفَعَ عليه فشتمه ؛ وقال لشهر : هي لك ، قال : لا حاجة لي فيها ، فقال القُطامي الكَلبي - ويقال : سنان بن مكمل التميمي :

(١) في القاموس : « السَّوَاد » كغراب : داء يأخذ الإنسان والإبل والغنم من شرب الماء المالح .

(٢) ب : « والسمن » . (٣) ب : « على جوالق » .

(٤) ب : « وقال » . (٥) ر : « قد » . (٦-٦) ب : « وطعامًا وما » .

لَقَدْ بَاعَ شَهْرٌ دِينَهُ بِخَرِيطَةٍ فَمَنْ يَأْمَنُ الْقُرَاءَ بَعْدَكَ يَا شَهْرُ؟
أَخَذَتْ بِهِ شَيْئاً طَفِيفاً وَبِعَتْهُ مِنْ ابْنِ جُونُبُوذَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْغَدْرُ
وقال مرة النّسخيّ لشهْر :

يَا بَنَ الْمُهْلَبِ مَا أَرَدْتَ إِلَى أَمْرِي لَوْلَاكَ كَانَ كَصَالِحِ الْقُرَاءِ

قال عليّ : قال أبو محمد الثّقفيّ : أصاب يزيدُ بنُ المهلب تاجاً بجُرْجَانٍ فيه جَوْهَرٌ ، فقال : أترَوْن أحدًا يزهد في هذا التاج ؟ قالوا : لا ، فدعا محمد بن واسع الأزديّ ، فقال : خذْ هذا التاج فهو لك ؛ قال : لا حاجة لي فيه ، قال : عزمتُ عليك ، فأخذه ، وخرج فأمر يزيدُ رجلاً ينظر ما يصنع به ، فلقى سائلاً فدفعه إليه ، فأخذ الرجلُ السائل ، فأتى به يزيدُ ١٣٢٧/٢ وأخبره الخبر ، فأخذ يزيدُ التاج ، وعوّض السائل مالا كثيرا .

قال عليّ : وكان سليمانُ بن عبد الملك كلما افتتح قتيبةً ففتحاً قال ليزيد بن المهلب : أما ترى ما يصنع الله على يدَي قتيبة ؟ فيقول ابنُ المهلب : ما فعلتْ جُرْجَانُ التي حالت بين الناس والطريق الأعظم ، وأفسدت قُوميسَ وأبرشهر ! ويقول : هذه الفتوح ليست بشيء ، الشأنُ في جُرْجَان . فلما ولي يزيدُ بنُ المهلب لم يكن له همة غير جُرْجَان . قال : ويقال : كان يزيدُ بنُ المهلب في عشرين ومائة ألف ، معه من أهل الشام ستون ألفاً .

قال عليّ في حديثه ، عمّن ذكرَ خبَرَ جُرْجَانِ عنهم : وزاد فيه عليّ ابن مجاهد ، عن خالد بن صبيح أن يزيدَ بن المهلب لما صالح صولاً طمع في طبرستان أن يفتحها ، فاعتزم على أن يسير إليها ، فاستعمل عبد الله بن المعتمر اليشكريّ على البساسان ودهستان ، وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أداني جُرْجَانِ مما يلي طبرستان ، واستعمل على أندريستان أسد ابن عمرو — أو ابن عبد الله بن الرّبعة — وهي مما يلي طبرستان ، وخلفه في أربعة آلاف ، ودخل يزيدُ بلادَ الإصبيهنّ ، فأرسل إليه يسأله الصّلح ،

١٣٢٨/٢

وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ طَبَرَسْتَانَ ، فَأَبَى يَزِيدُ وَرَجَا أَنْ يَفْتَحَهَا ، فَوَجَّهَ أَخَاهُ أَبَا عُسَيْبَةَ مِنْ وَجْهِهِ ، وَخَالِدَ بْنَ يَزِيدَ ابْنَهُ مِنْ وَجْهِهِ ، وَأَبَا الْجَهْمِ الْكَلْبِيَّ مِنْ وَجْهِهِ ، وَقَالَ : إِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَأَبُو عُسَيْبَةَ عَلَى النَّاسِ . فَسَارَ أَبُو عُسَيْبَةَ فِي أَهْلِ الْمَصْرَيْنِ وَمَعَهُ هُرَيْرُ بْنُ أَبِي طَحْمَةَ . وَقَالَ يَزِيدُ لِأَبِي عُسَيْبَةَ : شَاوِرْ هُرَيْرًا فَلَمَّا نَاصِحٌ . وَأَقَامَ يَزِيدُ مَعْسُكْرًا .

قَالَ : وَاسْتَجَاشَ الْإِصْبَهَيْدُ بِأَهْلِ جِيلَانَ وَأَهْلَ الدَّيْلَمِ ، فَأَتَوْهُ فَالْتَمَعُوا فِي سَنَدِ جَبَلٍ ، فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى قِمِّ الشَّعْبِ فَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ ، فَصَعَدَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْجَبَلِ ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَرَمَاهُمُ الْعَدُوُّ بِالنَّشَابِ وَالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو عُسَيْبَةَ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَركَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَتَسَاقَطُونَ مِنَ الْجَبَلِ ، فَلَمْ يَشَبْتُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ ، وَكَسَفَ الْعَدُوُّ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ ، وَخَافَتَهُمُ الْإِصْبَهَيْدُ ، فَكُتِبَ إِلَى الْمَرْزُبَانَ بْنِ عَمٍّ فَيُرِزُ بْنُ قَوْلٍ وَهُوَ بِأَقْصَى جُرْجَانَ مِمَّا يَلِي الْبِيَّاسَانَ : إِنَّا قَدْ قَتَلْنَا يَزِيدَ وَأَصْحَابَهُ فَاقْتُلْ مَنْ فِي الْبِيَّاسَانَ مِنَ الْعَرَبِ . فَخَرَجَ إِلَى أَهْلِ الْبِيَّاسَانَ وَالْمُسْلِمُونَ غَارُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِمْ ، فَقَتَلُوا جَمِيعًا فِي لَيْلَةٍ ، فَأَصْبَحَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَمَّرِ مَقْتُولًا وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي الْعَمِّ خَمْسَمِائُونَ رَجُلًا ؛ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَإِسْمَاعِيلُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شِمَّاسٍ . وَكَتَبَ إِلَى الْإِصْبَهَيْدِ بِأَخْذِ الْمَضَائِقِ ^(١) وَالطَّرِيقِ . وَبَلَغَ يَزِيدَ قَتْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعَمَّرِ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَعْظَمُوا ذَلِكَ ، وَهَالَتْهُمْ ، فَفَرَّغَ يَزِيدُ إِلَى حَيَّانِ النَّبْطِيِّ . وَقَالَ : لَا يَمْنَعُكَ مَا كَانَ مَتْنِي إِلَيْكَ مِنْ نَصِيحَةِ الْمُسْلِمِينَ ، قَدْ جَاءَنَا عَنْ جُرْجَانَ مَا جَاءَنَا ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا بِالطَّرِيقِ ، فَأَعْمَلْ فِي الصَّلَاحِ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَتَى حَيَّانُ الْإِصْبَهَيْدَ فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ ، وَإِنْ كَانَ الدِّينُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَإِنِّي لَكُمْ ^(٢) نَاصِحٌ ، وَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَزِيدَ ، وَقَدْ بَعَثَ يَسْتَمِدُّ ، وَأَمْدَادُهُ مِنْهُ قَرِيبَةٌ ، وَإِنَّمَا أَصَابُوا مِنْهُ طَرَفًا ، وَلَسْتُ آمِنٌ أَنْ يَأْتِيكَ مَا لَا تَقُومُ لَهُ ، فَأَرْحُ نَفْسَكَ مِنْهُ ، وَصَالِحَهُ

١٣٢٩/٢

(١) ب : « المضائق » .

(٢) كذا في ب ، وفي ط : « فأنا لك » .

فإنك إن صالحته صيرَ حدةً على أهل جرجان ، بغدرهم وقتلهم من قتلوا ، فصالحه على سبعمائة ألف — وقال على بن مجاهد : على خمسمائة ألف — وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العيس ، وأربعمائة رجل ، على كل رجل برنس وطيسان ، ومع كل رجل جام فضة وسرقة خنز وكسوة .

ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال : ابعث من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه ، قال : من عندهم أو من عندنا ؟ قال : من عندهم . وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا ، ويرجع إلى جرجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيان ، وانصرف إلى جرجان ، وكان يزيد قد غرم حياناً مائتي ألف ، فخاف ألا ينصحه .

والسبب الذي له أغرم حيان فيه ما حدثني علي بن مجاهد ، عن خالد بن صبيح ، قال : كنت مؤدباً لوليد حيان ، فدعاني فقال لي : اكتب كتاباً إلى مخلد بن يزيد — ومخلد يومئذ ببسج ، ويزيد بمرو — فتناولت القيرطاس ، فقال : اكتب : من حيان مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيد ، فغمرني مقاتل ابن حيان ألا تكتب ، وأقبل على أبيه فقال : يا أبت تكتب إلى مخلد وتبدأ بنفسك ! قال : نعم يا بني ، فإن لم يرص لقي ما لقي قتيبة . ثم قال لي : اكتب ، فكتبت ، فبعث مخلد بكتابه إلى أبيه ، فأغرم يزيد حيان مائتي ألف درهم .

* * *

[فتح جرجان]

وفي هذه السنة فتح يزيد جرجان الآخر بعد غدرهم بمجنده ونقضهم العهد ، قال علي ، عن الرهط الذين ذكر أنهم حذّوه بخبر جرجان وطبرستان : ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان ، فأعطى الله عهداً ؛ لأن ظفر بهم ألا يقلع عنهم ، ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ، ويختبر من ذلك الطحين ، ويأكل منه ،

فلما بلغ المرزبان أنه قد صالح الإصبيهد وتوجه إلى جرجان ، جتمع أصحابه وأتى وجاه ، فتحصن فيها ، وصاحبها لا يحتاج إلى عُدّة من طعام ولا شراب . وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها ، وحولها غياض فليس يُعرف لها إلا طريق واحد ، فأقام بذلك سبعة أشهر لا يتقدر منهم على شيء ، ولا يعرف لهم مآتي إلا من وجه واحد ، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونهم ويرجعون إلى حصنهم ، فببيناهم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع يزيد يتصيدُ ومعه شاكريّة له .

١٣٣١/٢

وقال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : فخرج رجل من عسكره من طيئ يتصيد ، فأبصر وعيلاً يرقى في الحبيل ، فاتبعه ، وقال لمن معه : قفوا مكانكم ، ووقل في الحبيل يقتص الأثر ، فاشعر بشيء حتى هجم على عسكرهم ، فرجع يريد أصحابه ، فخاف ألا يهتدى ، فجعل يُخرق قباءه ويعقّد على الشجر علامات ، حتى وصل إلى أصحابه ، ثم رجع إلى العسكر . ويقال : إن الذي كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس ، وكان منهوماً بالصيد ، فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أيمن الواشجي صاحب شرطة يزيد ، فسعوه من الدخول ، فصاح : إن عندى نصيحة .

وقال هشام عن أبي مخنف : جاء حتى رفع ذلك إلى ابني زحر بن قيس ، فانطلق به ابنا زحر حتى أدخلاه على يزيد ، فأعلمه ، فضمن له بضمان الجهنية - أم ولد كانت ليزيد - على شيء قد ساء .

وقال علي بن محمد في حديثه عن أصحابه : فدعا به يزيد فقال : ما عندك ؟ قال : أتريد أن تدخل وجاه بغير قتال ؟ قال : نعم ، قال : جعالتى ؟ قال : احتسبكم ، قال : أربعة آلاف ، قال : لك دية ، قال : عجلوا لي أربعة آلاف ، ثم أنتم بعد من وراء الإحسان . فأمر له بأربعة آلاف ، وندب الناس ، فانتدب ألف وأربعمائة ، فقال : الطريق لا يحمل هذه الجماعة لالتفاف الغياض ، فاختر منهم ثلثائة ، فوجههم ، واستعمل عليهم جهنم بن زحر .

١٣٣٢/٢

وقال بعضهم : استعمل عاينهم ابنه خالد بن يزيد ، وقال له : إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت ، وإياك أن أراك عندى منهزماً ، وضم إليه جتهم بن زحر ، وقال يزيد للرجل الذى ندب الناس معه : متى تصل إليهم ؟ قال : غداً عند العصر فيما بين الصلاتين ، قال : امضوا على بركة الله ؛ فإنى سأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر . فساروا ، فلما قارب انتصاف النهار من غد أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار فى حطاب كان جمعه فى حصاره إياهم ، فصيره أكاماً ، فأضرموه ناراً ؛ فلم تنزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران ، ونظر العدو إلى النار ، فهالتهم ما رأوا من كثرتها ، فخرجوا إليهم . وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلوا ، فجمعوا بين الصلاتين ، ثم زحفوا إليهم فاقتتلوا ، وسار الآخرون بقيّة يومهم والغد ، فهجموا على عسكر الترك قبيل العصر ، وهم آمنون من ذلك الوجه ، ويزيد يقاتل من هذا الوجه ، فهاشعروا إلا بالتكبير من ورائهم ، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم ، وركبهم المسلمون ، فأعطوا بأيديهم ، ونزلوا على حكم يزيد ، فسبى ذراريهم ، وقتل مقاتلتهم ، وصلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندرهز - وادى جرجان - وقال : من طلبهم بثأر فليقتل ، فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة فى الوادى ، وأجرى الماء فى الوادى على الدّم ، وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ، ولتبر يمينه ، فطحن واختبر وأكل وبسنى مدينة جرجان . وقال بعضهم : قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفاً ، ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جتهم بن زحر الجعفى .

١٣٣٣/٢

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبى مخنف أنه قال : دعا يزيد جهم ابن زحر فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا فى المكان الذى دلّوا عليه وقد أمرهم يزيد فقال : إذا وصلتم إلى المدينة فانتظروا ، حتى إذا كان فى السحر فكسبروا ، ثم انطلقوا نحو باب المدينة ، فإنكم تجدونى وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها ؛ فلما دخل ابن زحر المدينة أمهل حتى إذا كانت

الساعة التي أمره يزيد أن ينهض فيها مشى بأصحابه، فأخذ لا يستقبل من أحراسهم أحداً إلا قتله . وكثير، ففزع أهل المدينة فزعاً لم يدخلهم مثله قط فيما مضى ، فلم يترعهم إلا المسلمون معهم في مدينتهم يكبرون فدُهِشوا ، فألقى الله في قلوبهم الرعب ، وأقبلوا لا يدرون أين يتوجهون ! غير أن عصابة منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جثهم بن زحر ، فقاموا ساعة ، فدقت يد جثهم ، وصبر لهم هو وأصحابه ، فلم يلبثوا أن قتلهم إلا قليلاً . وسمع يزيد بن المهلب التكبير ، فوثب في الناس إلى الباب ، فوجدوهم قد شغلهم جثهم بن زحر عن الباب ، فلم يجد عليه من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع ، ففتتح الباب ودخلها من ساعته ، فأخرج من كان فيها من المقاتلة ، فنصب لهم الجذوع فرسوخين عن يمين الطريق ويساره ، فصلبتهم أربعة فراسخ ، وسبى أهلها ، وأصاب ما كان فيها .

١٣٣٤/٢

قال علي في حديثه ، عن شيوخه ، الذين قد ذكرت أسماءهم قبل ، وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك :

أما بعد ، فإن الله قد فتتح لأمر المؤمنين فتحاً عظيماً ، وصنع للمسلمين أحسن الصنع ، فليربنا الحمد على نعمة وإحسانه ، أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان ، وقد أعيا ذلك سابور ذا الأكتاف وكسرى بن قباد وكسرى بن هرمز ، وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله ، حتى فتتح الله ذلك لأمر المؤمنين ، كرامة من الله له ، وزيادة في نعمة عليه . وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفتي والغنيمة ستة آلاف ألف ، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله .

فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرّة مولى بنى سدوس : لا تسكتب بتسمية مال ، فإنك من ذلك بين أمرين : إما استكثره فأمرك بحمله ، وإما سخّيت نفسه لك به فسوّغك فستكلف الهدية ، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقبله ، فكأن بك قد استغرقت ما سميت

١٣٣٥/٢

ولم يقع منه موقعاً ، ويبقى المال الذي سميت مخلصاً عندهم عليك في دواوينهم ، فإن وليّ والٍ بعده أخذك به ، وإن وليّ من يتحامل عليك لم يرض منك بأضعافه ، فلا تمض كتابك ، ولكن اكتب بالفتح ، سلكه القُدم فتشافه بما أحبت مُشافهته ، ولا تقصر ، فإنك إن تقصر عما أحبت أحرى من أن تكثر .
فأبى يزيد وأمضى . وقال : بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك ، فحدثت عن عليّ بن محمد ، قال : حدثنا عليّ بن مجاهد ، عن شيخ من أهل الرّي أدرك يزيد ، قال : أتى يزيد بن المهلب الرّي حين فرغ من جرجان ، فبلغه وفاة أيوب بن سليمان وهو يسير في باغ أبي صالح على باب الرّي ، فارتجز راجز بين يديه فقال :

إِنْ يَكْ أَيُّوبُ مَضَى لَشَانِهِ فَإِنَّ دَاوُدَ لَفِي مَكَانِهِ

* يقيم ما قد زال من سُلْطَانِهِ *

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقلية .

وفيهما غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح حصن المرأة مما يلي مَلَطِيَّةَ .

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، ١٣٣٦/٢
عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبعمائة ، وقد ذكرناهم قبل ، غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة في هذه السنة كان — فيما قيل — سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنْدِيُّ .

تم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[وفاة سليمان بن عبد الملك]

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك، توفّي - فيما حدثت عن هشام، عن أبي مخنف - بـدأ ببق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بـقين من صفر، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام.

وقد قيل: توفّي لعشر ليال مضين من صفر. وقيل: كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل: سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وقد حدث الحسن بن حماد، عن طلحة أبي محمد، عن أشياخه، أنهم قالوا: استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين. وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

وحدثني أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: توفّي سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين، فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر.

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره :

١٣٢٧/٢

حدثت عن علي بن محمد، قال: كان الناس يقولون: سليمان مفتاح الحسير، ذهب عنهم الحجاج، فولى سليمان، فأطلق الأسارى، وخلص أهل السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز، فقال ابن بيض:

حاز الخلافة والداك كلاهما من بين سُخْطَةِ سَاخِطِ أَوْطَاعِ
أَبَوَاكَ ثُمَّ أَخُوكَ أَصْبَحَ ثَالِثًا وَعَلَى جَبِينِكَ نَوْرُ مُلْكِ الرَّابِعِ
وقال علي: قال المفضل بن المهلب: دخلت على سليمان بدأ ببق يوم

جمعة ، فدعا بثياب فلبسها ، فلم تُعجبه ، فدعا بغيرها بثياب خُضِرَ
سُوسِيَّةَ بَعَثَ بها يزيدُ بن المهلب ، فلبسها واعتم وقال : يا بن المهلب ،
أعجبتك ؟ قلتُ : نعم ، فحَسَسَر عن ذِراعِيهِ ثم قال : أنا المَلِكُ الفَتِيّ ،
فصلّى الجمعة ، ثم لم يُجمِع بعدها ، وكتب وصيّته ، ودعا ابن أبي نُعَيْمٍ
صاحب الخاتم فحَسَسَمَه .

قال عليّ : قال بعضُ أهل العِلْم : إن سليمانَ لبس يوماً حُلّة خضراءَ
وعمامةً خضراءَ ونظَرَ في المرأة فقال : أنا المَلِكُ الفَتِيّ ، فعاشرَ بعد
ذلك إلا أسبوعاً .

قال عليّ : وحدّثنا سُحَيْمُ بنُ حَفْص ، قال : نظرتُ إلى سليمانَ جاريةً
له يوماً ، فقال : ما تنظرين ؟ فقالت :

أَنْتَ خَيْرُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيهَا عِلْمُهُ فَيْكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَا ن ١٣٣٨/٢
فَنَقَضَ عِمَامَتَهُ .

قال عليّ : كان قاضي سليمانَ سليمانُ بنُ حَبِيبِ المحاربيّ ، وكان
ابن أبي عُبَيْدَةَ يُقَصُّ عِنْدَهُ .

وحدّثتُ عن أبي عُبَيْدَةَ ، عن رُوْبَةِ بن العَجَاج ، قال : حجّ^(١) سليمانُ بنُ
عبد الملك ، وحجّ الشعراءُ معه ، وحججتُ معهم ، فلما كان بالمدينة راجعاً
تَلَقَّوْهُ بنحو من أربعمئة أسير من الرّوم ، فقعد سليمانُ ، وأقرَّبهم منه مجلساً
عبدُ الله بنُ الحَسَنِ بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلّوات الله
عليهم ،^(٢) فقدّمَ بِطَرِيقَهُمْ فقال : يا عبد الله ، اضرب عنقه^(٣) ، فقام فما أعطاه
أحدٌ سَيْفًا حتّى دَفَعَ إِلَيْهِ حَرَسِي سَيْفَهُ فاضْرَبَهُ فَأَبَانَ الرَّأْسَ ، وأُظِنَ
السَّاعِدَ^(٤) ، فقال سليمانُ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا مِنْ جَوْدَةِ السَّيْفِ

(١) الخبر في الأغاني ١٥ : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، بسنده عن قتادة ، عن أبي عبيدة في كتاب
النقائض ، عن رُوْبَةِ بن العجّاج ؛ وهو أيضاً في النقائض ٣٨٣ .

(٢-٢) الأغاني : « وعليه ثوبان ممران ، وهو أقرَّبهم منه مجلساً ، فأدْنُوا إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِمْ
وهو في جامعة ، فقال لعبد الله بن الحسن : قم فاضرب عنقه » . (٣) أظنه : قطعه .

جَادَتِ الضَّرْبَةَ ، وَلَكِنْ لِحَسَبِهِ ^(١) ، وَجَعَلَ يَدْفَعُ الْبَقِيَّةَ إِلَى الْوَجْهِ وَإِلَى
النَّاسِ يَقْتُلُونَهُمْ حَتَّى دَفَعَ إِلَى جَرِيرِ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَدَسَّتْ إِلَيْهِ بَنُو عَبْسٍ
سَيْفًا فِي قِرَابِ أَبِيضٍ ، فَضَرَبَهُ فَأَبَانَ رَأْسَهُ ، وَدَفَعَ إِلَى الْفَرَزْدَقِ أُسِيرًا
فَلَمْ يَجِدْ سَيْفًا ، فَدَسَّوْا لَهُ سَيْفًا دَدَانًا ^(٢) مَثْنِيًا ^(٣) لَا يَتَقَطَعُ ، فَضَرَبَ بِهِ
الْأُسِيرَ ضَرْبَاتٍ ، فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَالْقَوْمُ ، وَشَمِتَ
بِالْفَرَزْدَقِ بَنُو عَبْسٍ أَخْوَاعَ سُلَيْمَانَ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ وَأَنشَأَ يَقُولُ ، وَيَعْتَذِرُ
إِلَى سُلَيْمَانَ ، وَيَأْتِسِي بِنُبُوِّ سَيْفٍ وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ :

١٣٣٩/٢

إِنْ يَكُ سَيْفُ خَانَ أَوْ قَدْرُ أَتَى بِتَأْخِيرِ نَفْسٍ حَتْفُهَا غَيْرُ شَاهِدٍ ^(٤)
فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَأَ بَيْدَى وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ
كَذَاكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ

وَوَرَقَاءَ هُوَ وَرَقَاءُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ جَنْدِيَّةَ الْعَبْسِيِّ ، ضَرَبَ خَالِدَ بْنَ
جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ ، وَخَالِدٌ مُكَبٌّ عَلَى أَبِيهِ زُهَيْرٍ ، قَدْ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ وَصَرَّعَهُ ،
فَأَقْبَلَ وَرَقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ فَضَرَبَ خَالِدًا ، فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، فَقَالَ وَرَقَاءُ
ابْنَ زُهَيْرٍ :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا نَحْتَ كُلِّكَ خَالِدُ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ ^(٥)
فَشَلَّتْ عَيْنِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيُخَصِّنُهُ مِنِّي الْحَدِيدُ الْمَظَاهِرُ ^(٦)

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ :

أَيَعَجَبُ النَّاسُ أَنْ أَضْحَكَتْ خَيْرَهُمْ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ ^(٧)
فَمَا نَبَأَ السَّيْفُ عَنْ جُبْنٍ وَلَا دَهْشٍ عِنْدَ الْإِمَامِ وَلَكِنْ آخِرُ الْقَدَرِ

(١) فِي الْأَغَانِي : « فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : اجْلِسْ ، فَوَاللَّهِ مَا ضَرَبْتَهُ بِسَيْفِكَ ، وَلَكِنْ بِحَسْبِكَ » ،
وَفِي النِّقَاطِ : « وَاللَّهِ مَا هُوَ مِنْ جُودَةِ السَّيْفِ أَجَادَ الضَّرْبَةِ ، وَلَكِنْ بِجُودَةِ حَسْبِهِ وَشَرَفِ مَرْكَبِهِ » .

(٢) الدَّدَانُ ، السَّيْفُ الْكَلِيلُ : وَفِي الْأَغَانِي : « فَدَسْتُ إِلَيْهِ الْقَيْسِيَّةَ سَيْفًا كَلِيلًا » .

(٣) ط : « مَثْنِيًا » . (٤) دِيَوَانُهُ ١٨٦ .

(٥) الْأَغَانِي ١١ : ٧٤ . (٦) الْأَغَانِي : « وَيَجْنَعُهُ مِنِّي الْحَدِيدُ » .

(٧) النِّقَاطِ ٣٨٤ ، الْأَغَانِي ١٥ : ٣٤٤ . وَفِيهِ : « أَيَضْحَكَ النَّاسُ »

ولو ضربتُ على عمرو مقلدَهُ لخرَّ جُثمانُهُ ما فوقه شِعْرُ^(١)
وما يُعَجِّلُ نفساً قبلَ مِيتَتِهَا^(٢) جمعُ الديدن ولا الصنصامة الذكْرُ ١٣٤٠/٢
وقال جرير في ذلك :

بسيْفِ أبي رَغَوَانَ سيفِ مجاشعٍ ضربتُ ولم تضرب بسيف ابن ظالم^(٣)
ضربتُ به عند الإمام فأرْعِشتُ يداك ، وقالوا مُحدثٌ غيرُ صارِم

حدثني عبدُ الله بنُ أحمد ، قال : حدثني ، أبي قال : حدثني سليمان
قال : حدثني عبد الله بن محمد بن عيسى ، قال : أخبرني أبو بكر بنُ
عبد العزيز بن الضمحاك بن قيس ، قال : شهد سليمانُ بنُ عبد الملك جنازةً
بدايق ، فدُفنت في حقل ، فجعلَ سليمانُ يأخذ من تلك التربة فيقول :
ما أحسنَ هذه التربة ! ما أطيبَها ! فما أتى عليه جمعةٌ - أو كما قال - حتى دُفن
إلى جنب ذلك القبر .

(١) لم يرد في النقاظ . وفي الأغاني : « ولو ضربت به عمراً مقلده » .

(٢) الأغاني : « وما يقدم » .

(٣) الأغاني ١٥ : ٣٤٣ ، وروى : « أن الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هب لي
هذا الأسير ، فوجه له فأعتقه ، وقال الأبيات التي تقدم ذكرها . ثم أقبل على رواته وأصحابه وقال :
كأنى بأبن المراغة وقد بلغه خبري ، فقال - وذكر البيتين - قال : فلا لبشنا غير مدة يسيرة حتى جاءتنا
القصيدة وفيها هذان البيتان ، فمعجبنا من فطنة الفرزدق » .

خلافة عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة استُخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم .

* ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني الهيثم بن واقد ، قال : استُخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة تسع وتسعين .

قال محمد بن عمر : حدثني داود بن خالد بن دينار ، عن سهيل بن أبي سهيل قال : سمعت رجاء بن حيوة ، يقول : لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خَزَّ ، ونظر في المرأة ، فقال : أنا والله الملك الشاب ، فخرج إلى الصلاة ^(١) فصلّى بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى وعك ، فلما ثقل ^(٢) عهد في كتاب كتبه لبعض بنيهِ وهو غلام ولم يبلغ فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح . فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر فيه . ولم أعزم عليه ؛ قال : فكث يوماً أو يومين ، ثم خرّقه ، فدعاني ، فقال : ما ترى في داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحى هو أم ميت ! فقال لي : فمن ترى ؟ قلت : رأيك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أنظر من يذكر ، قال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً ؛ فقال : هو والله على ذلك ، ثم قال : والله لئن وليته ولم أزل أحداً سواه لتكونن فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده ، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم ، قال : فيزيد ابن عبد الملك أجعله ^(٣) بعده ، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به ؛ قلت : رأيك . قال : فكتب .

١٣٤١/٢

١٣٤٢/٢

(١) ر : « مصله » .

(٢) ثقل ، أى اشتد مرضه .

(٣) بعدها في ب : « يومئذ » .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعُمَرَ بن عبد العزيز^(١) ، إني قد وليتُك الخلافةَ من بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ؛ فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمعَ فيكم . وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسيّ صاحب شُرطه فقال : مرُّ أهلَ بيتي فليجتمعوا ؛ فأرسل كعب إليهم^(٢) أن يجمعوا فاجتمعوا ، ثم قال سليمانُ لرجاء بعد اجتماعهم : اذهبْ بكتابي هذا إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي ، وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه ؛ ففعل رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا : ندخل فنسلمُ على أمير المؤمنين؟ قال : نعم ؛ فدخلوا فقال لهم سليمانُ في هذا الكتاب - وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء ابن حسيوة - عهدى ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميتُ في هذا الكتاب ، فبايعوه رجلاً رجلاً ، ثم خرج بالكتاب محتوماً في يد رجاء بن حسيوة .

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون هذا أسنداً إلى شيئاً من هذا الأمر ، فأنشدك الله وحُرمتي ومودّتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ! قال رجاء : لا والله ما أنا بمُخبرك حرقاً ؛ قال : فذهب عمر غضبان .

قال رجاء : لقيني هشام بن عبد الملك ، فقال : يا رجاء ، إن لي بك حرمةً ومودةً قديمةً ، وعندى شكر ، فأعلمني هذا الأمر ، فإن كان إلى علمتُ ، وإن كان إلى غيري تكلّمتُ ، فليس مثلي قصّر به ، فأعلمني فلك الله على ألا أذكر من ذلك شيئاً أبداً . قال رجاء : فأبيت فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسيرَ إلى .

قال : فانصرف هشام وهو قد يئس ، ويضرب^(٤) بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول : فإلى من إذا نُحِيتُ غنى ؟ أخرج من بني عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلتُ على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلتُ إذا أخذته السكرة من

(١) بعدها في س : « ابن مروان » . (٢) ب : « شرطه » .

(٣) ب : « إليهم كعب » . (٤) ب : « وهو يضرب » .

سَكَرَاتِ الْمَوْتِ حَرَفْتُهُ إِلَى الْقَبْلَةِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ حِينَ يُفْطِقُ : لَمْ يَأْنِ لَذَلِكَ بَعْدُ يَا رَجَاءُ ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ قَالَ : مِنْ الْآنَ يَا رَجَاءُ إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ شَيْئًا ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . قَالَ : فَحَرَفْتُهُ وَمَاتَ ؛ فَلَمَّا غَمَضَتْهُ سَجَّيْتُهُ بِقَطِيفَةِ خَضِرَاءَ ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ . وَأَرْسَلْتُ إِلَى زَوْجَتِهِ تَقُولُ : كَيْفَ أَصْبَحَ ؟ فَقُلْتُ : نَأْتُمْ ، وَقَدْ تَغَطَّيْتُ ، فَظَنَرَ الرَّسُولُ إِلَيْهِ ^(١) مَغْطًى بِالْقَطِيفَةِ ، فَرَجَعَ فَأَخْبَرَهَا فَقَبِلَتْ ذَلِكَ ، وَظَنَّتْ أَنَّهُ نَأْتُمْ ، قَالَ رَجَاءُ : وَأَجْلَسْتُ عَلَى الْبَابِ مِنْ أَتَقَى بِهِ ، وَأَوْصَيْتُهُ إِلَّا يَبْرَحَ حَتَّى آتِيَهُ ، وَلَا يَدْخُلَ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَحَدٌ .

١٣٤٤/٢

قَالَ : فَخَرَجْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ حَامِدِ الْعَبْسِيِّ ، فَجَمَعَ أَهْلَ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ دَابِيقَ ، فَقُلْتُ : يَا بَايَعُوا ، فَقَالُوا : قَدْ بَايَعْنَا مَرَّةً وَبَايَعِ أُخْرَى ! قُلْتُ : هَذَا عَهْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبَايَعُوا عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ وَمِنْ سَمِيٍّ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْخُتُومَ ، فَبَايَعُوا الثَّانِيَةَ رَجُلًا رَجُلًا . قَالَ رَجَاءُ : فَلَمَّا بَايَعُوا بَعْدَ مَوْتِ سُلَيْمَانَ رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ أَحْكَمْتُ الْأَمْرَ ، قُلْتُ : قُومُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ فَقَدْ مَاتَ ، قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! وَقَرَأْتُ الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى ذِكْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَادَى هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : لِأَتْبَاعِهِ أَبَدًا ، قُلْتُ : أَضْرِبْ وَاللَّهِ عُنُقَكَ ، قُمْ فَبَايِعْ ، فَقَامَ يَجْرُ رَجُلِيهِ .

قَالَ رَجَاءُ : وَأَخَذْتُ بِضَبْعَتِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَجْلَسْتُهُ لَمَّا وَقَعَ فِيهِ وَهْشَامُ يَسْتَرْجِعُ عَلَى الْمَنِيرِ وَهُوَ يَسْتَرْجِعُ لَمَّا أَخْطَأَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى هِشَامُ إِلَى عُمَرَ قَالَ عُمَرَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! حِينَ صَارَتْ إِلَى لِكْرَاهَتِهِ [إِيَّاهَا] ^(٢) ، وَالْآخِرُ يَقُولُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، حَيْثُ نَحْيَيْتُ عَنْهُ .

قَالَ : وَغُسِّلَ سُلَيْمَانُ وَكُفِّنَ وَصَلَّتْ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ قَالَ رَجَاءُ : فَلَمَّا فَرِغَ مِنْ دَفْنِهِ أَتَيْتُ بِمَرَكَبِ الْخُلَافَةِ : الْبِرَازِينَ وَالْحَلِيلَ وَالْبَغَالِ وَلِكُلِّ دَابَّةٍ سَائِسٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ! قَالُوا : مَرَكَبُ ^(٣) الْخُلَافَةِ ، قَالَ :

(١) ب : « إلیہ الرسول » .

(٢) من ب .

(٣) ب : « مراکب » .

دأبني أوفتق لي ، وركب دأبته . قال : فصُرفت تلك الدواب^(١) ، ثم أقبل سائراً ، فقيل : منزل الخلافة ، فقال : فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا ، فأقام في منزله حتى فرّغوه بعدُ ؛ قال رجاء : فلما كان المساء من ذلك اليوم قال : يا رجاء ، ادعُ لي كاتباً ، فدعوتُه وقد رأيتُ منه كلَّ ما سرتني^(٢) ، صَنَعَ في المراكب ما صَنَعَ ، وفي منزل سليمان ؛ فقلتُ : كيف يصنع الآن في الكتاب ؟ أيصنع نُسخاً ، أم ماذا ؟ فلما جلس الكاتب أملتُ عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نُسخة ، فأملتُ أحسنَ إملاء وأبلغه وأوجزه ، ثمَّ أمر بذلك الكتاب أن يُنسخ إلى كلِّ بلد .

وبلغ عبد العزيز بن الوليد — وكان غائباً — موتُ سليمان بن عبد الملك ، ولم يعلم ببينة الناس عُمر بن عبد العزيز ، وعهد سليمان إلى عمر ، فعقد لواء ، ودعا إلى نفسه ، فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان ، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : قد بلغني أنك كنتَ بايعتَ من قبيلك ، وأردتَ دخولَ دمشق ، فقال : قد كان ذاك ، وذلك أنه بلغني أن الخليفة سليمان لم يكن عتقَ لأحد ، فخفت على الأموال أن تُستهب ، فقال عمر : لو بويعتَ وقمتَ بالأمر ما نازعتك ذلك ، ولقعدتُ في بيتي ، فقال عبد العزيز : ما أحبُّ أنه ولي هذا الأمر غيرك . وباع عمر بن عبد العزيز . قال : فكان بُرجي لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده .

وفي هذه السنة وجّه عمر بن عبد العزيز إلى مَسَلَمَة وهو بأرض الروم وأمّره بالقُفول منها بمن معه من المسلمين ، ووجّه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً ، وحسّت الناس على معونتهم ، وكان الذي وجّه إليه الخيل العِتاق — فيما قيل — خمسمائة فرس .

وفي هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان ، فقتلوا من المسلمين جماعةً ، ونالوا منهم ، فوجّه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ،

(٢) ب : « يرس » .

(١) ر : « الخيل » .

فقتل أولئك الترك ، فلم ^(١) يُفلت منهم إلا اليسير ، فقدم منهم على عمرَ
بُخناصرةَ بخمسين أسيراً .

وفيها عزل عمرُ يزيدَ بن المهلب عن العراق ، ووجه على البصرة وأرضها
عدى بن أوطاة الفزاري ، وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب الأعرج القرشي ، من بني عدى بن كعب ، وضم إليه
أبا الزناد ، فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعث عدى
في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوحيه الحميري .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل
عمر على المدينة .

وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله
ابن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن ،
وعلى البصرة وأرضها عدى بن أوطاة ، وعلى خراسان الجراح بن عبد الله .
وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرّة المُرّني ، وقد ولى فيما ذكر قبله
الحسن بن أبي الحسن ، فشكا ^(٢) ، فاستقصى إياس بن معاوية .

وكان على قضاء الكوفة - في هذه السنة فيما قيل - عامر الشعبي . وكان
الواقدي يقول : كان الشعبي على قضاء الكوفة أيامَ عمر بن عبد العزيز
من قبيل عبد الحميد بن عبد الرحمن ، والحسن بن أبي الحسن البصري على
قضاء البصرة من قبيل عدى بن أوطاة ، ثم إن الحسن استعفى من القضاء
عديّاً ، فأعفاه وولّى إياساً .

(١) ابن الأثير « ولم » .

(٢) ر : « فشكى » .

ثم دخلت سنة مائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الحارثة التي خرجت على عمر بن عبدالعزيز بالعراق .

* ذكر الخبر عن أمرهم :

ذكر محمد بن عمر أن ابن أبي الزناد حدثه ، قال : خرجت حرورية بالعراق ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عامل العراق يأمره أن يدعوهم إلى العتسل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فلما أعذر في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشاً ١٣٤٨/٢ فهزمتهم الحرورية ، فبلغ عمر ، فبعث إليهم مسلماً بن عبد الملك في جيش من أهل الشام جهزهم من الرقة ، وكتب إلى عبد الحميد : قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء ، وقد بعثت مسلماً بن عبد الملك ، فخل بينه وبينهم . فلقبهم مسلماً في أهل الشام ، فلم ينشأ أن أظهره الله عليهم .

* * *

[خبر خروج شوذب الخارجي]

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الذي خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب — واسمه بسطام من بني يشكر — فكان أخرجه بجوخي في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد : ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دمًا ، أو يفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فحُلْ بينهم وبين ذلك ، وانظر رجلاً صلياً حازماً فوجهه إليهم ، ووجهه معه جنداً ، وأوصه بما أمرتك به . فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين من أهل الكوفة ، وأمره بما أمره به عمر ، وكتب عمر إلى بسطام يدعو ويسأله عن أخرجه ، فقدم كتاب عمر عليه ، وقد قدم عليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لا يحركه

ولا يهتجه ، فكان في كتاب عمر إليه : إنه بلغني أنك خرجت غَضَبًا لله ولنبيه ،
ولست بأولى بذلك مني ، فلهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل
فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا . فلم يحرك بسطام شيئاً ، وكتب
إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك — قال
أبو عبيدة : أحد الرجلين اللذين بعثتهما شوذب إلى عمر تمزوج مولى بني
شيبان ، والآخر من صليبة بني يشكُر — قال : فيقال : أرسل نَفَرَ فيهم
هذان ، فأرسل إليهم عمر : أن اختاروا رجلين ، فاختراهما ، فدخلتا
عليه فناظراه ، فقالا له : أخبرنا عن يزيد لِمَ تَقْرَهُ خليفة بعدك ؟ قال :
صيرته غيرة ، قالوا : أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلمته إلى غير مأمون
عليه ، أترأى كنت أدب الأمانة إلى من ائتمنتك ! قال : فقال : أنظرائي
ثلاثاً ، فخرجوا من عنده ، وخاف بنو مروان أن يُخرج ما عندهم وفي أيديهم
من الأموال ، وأن يتخلع يزيد ، فدرسوا إليه من سقاه سُمًّا ، فلم يلبث
بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثاً حتى مات .

* * *

وفي هذه السنة أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المصنطى وعمر
ابن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة .
وفيهما شخص عمر بن هُبيرة الفزاري إلى الجزيرة عاملاً لعمر عليها .

* * *

[خبر القبض على يزيد بن المهلب]

وفي هذه السنة حُمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر بن عبد العزيز .
* ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه :

١٣٥٠/٢

اختلف أهل السير في ذلك ، فأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن
أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب فنزل واسطاً ،
ثم ركب السفن يريد البصرة ، بعث عدى بن أرطاة إلى البصرة أميراً ، فبعث
عدى موسى بن الوجيه الحميري ، فلحقه في نهر معقل عند الجسر ، جسر

البصرة فأوثقه ، ثم بعث به إلى عمر بن عبد العزيز ، فقَدِم به عليه موسى ابن الوجيه ، فدعا به عمر بن عبد العزيز — وقد كان ^(١) عمر يَبْغِضُ يزيدَ وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جَبَابِرَة ، ولا أَحَبُّ مِثْلَهُمْ ، وكان يزيد بن المهلب يَبْغِضُ عمرَ ويقول : إني لأظنه مرائياً ، فلما ولي عمر عرف يزيدُ أن عمرَ كان من الرياء بعيداً . ولما دعا عمر يزيدَ سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبتُ إلى سليمان لأستمع الناسَ به ، وقد علمتُ أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجَدُ في أمرِكَ إلا حبسَكَ ، فاتقِ الله وأدِّ ما قبيلَكَ ، فإنها حقوقُ المسلمين ، ولا يَسْعَى تَرْكُهَا ، فَرَدَّه إلى محبسه ^(٢) ، وبعث إلى الجراح بن عبد الله الحَكَمي فسرَّحه إلى خُرَّاسان ، وأقبل مَخْلَدُ بن يزيدَ من خُرَّاسان يُعْطِي الناسَ ، ولا يَمُرُّ بِكُورَةٍ إلا أعطاهم فيها أموالاً عظيماً . ثم خرج حتى قدم ^{١٣٥١/٢} على عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يا أمير المؤمنين صَنَعَ لهذه الأمة بولايَتِكَ عليها ، وقد ابتليتنا بك ، فلا نكن أشقى الناسِ بولايَتِكَ ، عَلَّامٌ تَحْبِسُ هذا الشيخَ ! أنا أتحمل ما عليه ، فصالحني على ^(٣) ما إياه تسأل ، فقال عمر : لا . إلا أن تحمل جميعَ ما نسأله إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك بيئَةٌ فخذُ بها ، وإن لم تكن بيئَةٌ فصَدِّقْ مقالَةَ يزيد ، وإلا فاستحلفه ، فإن لم يفعل فصالحه . فقال له عمر : ما أجَدُ إلا أخذَه بجميعِ المال . فلما خرج مَخْلَدُ قال : هذا خيرٌ عندي من أبيه ، فلم يَلْبَثْ مَخْلَدُ إلا قليلاً حتى مات ، فلما أبى يزيد أن يؤدِّيَ إلى عمرَ شيئاً ألبسه جُبَّةً من صوف ، وحسَّلتَه على جَمَلٍ ، ثم قال : سيروا به إلى دَهْلَسَك ، فلما أخرج فُرَّ به على الناس أخذ يقول : ما لي عشيرة ، ما لي يَنْدَهَبُ بي إلى دَهْلَسَك ! إنما يَنْدَهَبُ إلى دَهْلَسَك بالفاسق المُريب الخارب ، سبحان الله ! أما لي عشيرة ! فدخل على عمر سلامة بن نعيم

(١) س : « وكان » . (٢) ب ، س : « مجلسه » .

(٣) س : « عما إياه » .

الخولاني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ارددُ يزيد إلى محبسه ؛ فإنني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه^(١) ؛ فإنني قد رأيت قومه غَضِبوا له . فردّه إلى محبسه ، فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر . ١٣٥٢/٢

وأما غير أبي مخنف فإنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى ابن أرتاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ، ودفعه إلى مَنْ بعين الثمر من الجند ، فوجهه عدى بن أرتاة مع وكيع بن حسان بن أبي سُود التميمي مغلولاً مقيداً في سفينة ، فلما انتهى به إلى نهر أبان ، عرض لو كيع ناس من الأزدي لينتزعوه منه ، فوثب وكيع فانقضى سيفه ، وقطع قلنس السفينة ، وأخذ سيف يزيد ابن المهلب ، وحلّفت بطلاق امرأته ليضربن عنقه إن لم يتفرقا ، فناداهم يزيد بن المهلب ، فأعلمهم يمين وكيع ، فتفرقوا ، ومضى به حتى سلّمه إلى الجند الذين بعين الثمر ، ورجع وكيع إلى عدى بن أرتاة ، ومضى الجند الذين بعين الثمر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز ، فحبسه في السجن .

* * *

[عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان ، ولولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيري^(٢) ، فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر ، قدمها سنة تسع وتسعين ، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مائة .

* ذكر سبب عزل عمر إياه :

وكان سبب ذلك — فيما ذكر علي بن محمد عن كليب بن خلف ، عن إدريس بن حنظلة ، والمفضل عن جدّه ، وعلي بن مجاهد عن خالد ابن عبد العزيز ؛ أن يزيد بن المهلب ولّى جهنم بن زحر جرجان حين شخص عنها ، فلما كان من أمر يزيد ما كان وجهه عامل العراق من العراق والياً على جرجان ، فقدم الولى عليها من العراق ، فأخذه جهنم فقيده وقيّد

(١) ب : « أهله » .

(٢) هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الأزدي ، وانظر ص ٥٦١ .

رهطاً قدموا معه ، ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجراح بخراسان ، فأطلق أهل جرجان عاملهم ، فقال الجراح لجهم : لولا أنك ابن عمي لم أسوِّغك هذا ، فقال له جهم : ولولا أنك ابن عمي لم آتتك - وكان جهم سليف الجراح من قبل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمه ، لأن الحكم وجعني ابناً سعد - فقال له الجراح : خالفت إمامك ، وخرجت عاصياً ، فاغزُ لعلك أن تظفر ، فيصلح أمرك عند خليفتك . فوجهه إلى الختل ، فخرج ، فلما قرب منهم سارمتكراً في ثلاثة ، وخلف في عسكره ابن عمه القاسم بن حبيب - وهو ختانه على ابنته أم الأسود - حتى دخل على صاحب الختل فقال له : أخلصني ، فأخلاه ، فاعتري ، فنزل صاحب الختل عن سريه وأعطاه حاجته - ويقولون : الختل مولى النعمان - وأصاب مغماً ، فكتب الجراح إلى عمر : وأوفد وفداً رجلين من العرب ، ورجلاً من المولى من بني ضبة ، ويكنى أبا الصيدا ، واسمه صالح بن طريف ، كان فاضلاً في دينه . وقال بعضهم : المولى سعيد أخو خالد أو يزيد^(١) النحوي . فتكلم العربيان والآخر جالس ، فقال له ١٣٥٤/٢ عمر : أما أنت من الوفد ؟ قال : بلى ، قال : فما يمنعك من الكلام ! قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفاً من المولى يتغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالجراح ، وأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا ، فيقول : أتيتكم حفيماً ، وأنا اليوم عصبي ! والله لرجل من قومي أحب إلي من مائة من غيرهم . وبلغ من جفائه أن كُفَّ درعه ببلغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والعدوان . فقال عمر : إذن مثلك فليوفد .

وكتب عمر إلى الجراح : انظر من صلتى قبيلتك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية . فسارع الناس إلى الإسلام ، فقليل للجراح : إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام ، وإنما ذلك نفوراً من الجزية ، فامتحنهم بالختان .

فكتب الجراح بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه داعياً ولم يبعثه خاتناً . وقال عمر : ابغوني رجلاً صدوقاً ،

أسأله عن خراسان ، فقليل له : قد وجدته ، عليك بأبي مجلّز . فكتب إلى الجراح : أن أقبل وأحمل أبا مجلّز وخلّف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي^(١) . وعلى جزيتها عبيد الله - أو عبد الله - بن حبيب .

فخطب الجراح فقال : يا أهل خراسان ، جئكم في ثيابي هذه التي على وعلى فرسي ، لم أصب من مالكم إلا حلية سيفي - ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه ، وبغلة قد شاب وجهها ؛ فخرج في شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم ، فلما قدم^(٢) قال له عمر : متى خرجت ؟ قال : في شهر رمضان ، قال : قد صدق من وصفك بالهفاء ، هلاً أقمت حتى تفتطير ثم تخرج ! وكان الجراح يقول : أنا والله عصبي عقي - يريد من العصبية . وكان الجراح لما قدم خراسان كتب إلى عمر : إني قدمت خراسان فوجدت قومًا قد أبطرتهم الفتنة فهم يسنّون فيها نزواً ، أحبّ الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حقّ الله عليهم ، فليس يكفّهم إلا السيف والسوط ، وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك . فكتب إليه عمر :

يا بن أمّ الجراح ، أنت أحرص على الفتنة منهم ؛ لا تضربن مؤمنًا ولا معاهدًا سوطًا إلا في حقّ ، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتقرأ كتابًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

ولما أراد الجراح الشخوص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفًا . وقال بعضهم : عشرة آلاف من بيت المال . وقال : هي على سلفًا حتى أؤديها إلى الخليفة ، فقدم على عمر ، فقال له عمر : متى خرجت ؟ قال : لأيام بقيين من شهر رمضان ، وعلى دين فاقضه ، قال : لو أقمت حتى تفتطير ثم خرجت قضيت عنك . فأدى عنه قومه في أعطياتهم^(٣) .

(١) ب : « العامري » .

(٢) ب : « خرج » .

(٣) ب : « وأعطى أعطياتهم » .

١٢٥١/٢

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم
وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان

وكان سبب ذلك — فيما ذكر لي — أن الجراح بن عبد الله لما شكى،
واستقدمه عمر بن عبد العزيز، فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل.
ثم إن عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان، قال — فيما ذكر على —
ابن محمد عن خارجة بن مصعب الضبعي وعبد الله بن المبارك وغيرهما: ابغوني
رجلا صدوقا أسأله عن خراسان، فقبل له: أبو مجلز لاحق بن حميد،
فكتب فيه، فقدم عليه — وكان رجلا لا تأخذه العين — فدخل أبو مجلز على
عمر في جفّة^(١) الناس، فلم يشبته^(٢) عمر، وخرج مع الناس فسأل عنه فقبل:
دخل مع الناس ثم خرج، فدعا به عمر فقال: يا أبا مجلز، لم أعرفك، قال:
فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني! قال: أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال:
يكافي الأكفاء، ويعادي الأعداء، وهو أمير يفعل ما يشاء، ويقدم إن وجد
من يساعده. قال: عبد الرحمن بن نعيم، قال: ضعيف ليس يحب العافية،
وتأتى له، قال: الذي يحب العافية وتأتى له أحب إلى، فولاه الصلاة والحرب،
ولتى عبد الرحمن القشيري، ثم أخذ بنى الأعور بن قشير الخراج، وكتب إلى
أهل خراسان: إني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله
على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار، إلا ما أخبرت عنهما: فإن
كانا على ما تحبون فاحمدوا الله، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله،
ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٢٥٧/٢

قال علي: وحديثنا أبو السري الأزدي، عن إبراهيم الصائغ، أن عمر
ابن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم:
أما بعد، فكن عبداً ناصحاً لله في عباده، ولا يأخذك في الله لومة لائم؛
فإن الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم، فلا تولين شيئاً من أمر
المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيما استُرعى،

(١) جفّة الناس: جماعتهم. (٢) لم يشبته: لم يعرفه حق المعرفة.

وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق ، فإن الله لا تتخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهباً ؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه .

قال عليّ ، عن محمد الباھليّ وأبي نھيك بن زياد وغيرهما : إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشيّ ، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك حتى قُتل يزيد بن المهلب ، ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف ، وليتها في شهر رمضان من سنة مائة ، وعزل سنة اثنتين ومائة ، بعد ما قتل يزيد بن المهلب .

قال عليّ : كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان سنة عشر شهراً .

* * *

أول الدعوة

١٣٥٨/٢

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة مائة - وجه محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة ميسرة إلى العراق ، وجهه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج - وهو أبو محمد الصادق - وحيّان العطار خال إبراهيم ابن سلمة إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي من قبيل عمر بن عبد العزيز ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ، ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن عليّ ، فدفعوها إلى ميسرة ، فبعث بها ميسرة إلى محمد بن عليّ ، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن عليّ اثني عشر رجلاً ، نقيباً^(١) ، منهم سليمان ابن كثير الخزاعيّ ، ولاهز بن قريظ التميمي ، وقحطبة بن شبيب الطائي ، وموسى بن كعب التميمي ، وخالد بن إبراهيم أبو داود ، من بني عمرو بن شيان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن إسماعيل أبو النجم ، مولّي لآل أبي مغيط ومالك بن الهيثم الخزاعيّ وطلحة ابن رزيق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى الخزاعة . وشبّل بن طهمان أبو عليّ الهروي ، مولّي لبني حنيفة ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ، واختار سبعين رجلاً ، فكتب إليهم محمد بن عليّ كتاباً ليكون لهم مثالا وسيرة يسرون بها .

(١) س : « نقيباً » .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، حدثني ١٣٥٩/٢
 بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر .
 وكذلك قال الواقدي .

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم
 قبل ما خلا عامل خراسان ؛ فإنّ عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نعيم
 على الصلّاة والحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هرب يزيد المهلب من سجنه]

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز .

* ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عمر بن عبد العزيز لما كلم في يزيد بن المهلب حين أراد نفيه إلى دهلوك ، وقيل له : إنا نخشى أن ينتزعه قومه ، رده إلى محبسه . فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل بعد في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك ؛ لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عقيل — كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك ، فولدت له الوليد بن يزيد المقتول — فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لأن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقاً فكان يخشى ذلك ، فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه ، فأعدوا له إبلا ؛ وكان مرض عمر في ديار سمعان ، فلما اشتد مرض عمر أمر بإبله ، فأتى بها ، فلما تبين له أنه قد ثقل نزل من محبسه ، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه ؛ فلم يجدهم جاءوا ، فجزع أصحابه وضجروا ، فقال لأصحابه : أتروني أرجع إلى السجن ! لا والله لا أرجع إليه أبداً . ثم إن الإبل جاءت ، فاحتمل ، فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات ابن معاوية العامرية من بني البكاء في شق الحمل ، ففضى .

١٣٦٠/٢

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسى ؛ ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك . فقال عمر : اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً فاكفهم شره ، واردد كيده في نحره . ومضى يزيد بن المهلب حتى مرّ بحدث الزقاق ، وفيه الهذيل بن زفر معه قيس ،

فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مرّ بهم ، فأصابوا طرّفاً من ثَنَقَلِه وغِلْمِه من وصفائه ، فأرسل الهذيل بن زُفَرٍ في آثارهم ، فردّهم فقال : ما تطلبون ؟ أخبروني ، أنطلبون يزيد بن المهلب أو أحداً من قومه بتَبَبُل ؟ فقالوا : لا ، قال : فما تريدون ؟ إنما هو رجل كان في إَسَارٍ ، فخاف على نفسه فهرب . وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر .

* * *

[خبر وفاة عمر بن عبد العزيز]

وفي هذه السنة توفّي عمر بن عبد العزيز ، فحدّثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : توفّي عمر بن عبد العزيز الخميس ليالٍ بقيّين من رجب سنة إحدى ومائة .

وكذلك قال محمد بن عمر ، حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني عمرو بن عثمان ، قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليالٍ بقيّين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقال هشام عن أبي مخنف : مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقيّين من رجب بدير سمعان في سنة إحدى ومائة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر . ومات بدير سمعان .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني عمّي الهيثم بن واقد ، قال : ولدت سنة سبع وتسعين ، واستخلف عمر بن عبد العزيز بدائي يوم الجمعة لعشر بقيّين من صفر سنة تسع وتسعين ، فأصابني من قسمه ثلاثة دنائير ، وتوفّي بخُصْاصرة يوم الأربعاء لخمس ليالٍ بقيّين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكان شكّوه عشرين يوماً ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، ودفن بدير سمعان .

وقد قال بعضهم : كان له يوم توفّي تسع وثلاثون سنة ، وخمسة أشهر .

وقال بعضهم : كان له أربعون سنة .

وقال هشام : توفي عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر ، وكان يكنى أبا حفص وله يقول عوف القوافي . وقد حضره في جنازة شهدها معه :

أَجْبَنِي أَبَا حَفْصٍ لَقِيتَ مُحَمَّدًا عَلَى حَوْضِهِ مُسْتَبْشِرًا وَرَأَى كَأَنَّ
فَأَنْتَ امْرُؤٌ كَلَّمْنَا يَدِيكَ مُفِيدَةً شِمَالَكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ
وَأُمِّهِ أُمٌّ عَاصِمٌ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : أَشَجُّ
بَنِي أُمِيَّةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ دَابَّةَ مَنْ دَوَابَّ أَبِيهِ كَانَتْ شَجَّتَهُ فَقِيلَ لَهُ : أَشَجُّ بَنِي أُمِيَّةَ .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا سليمان بن حرب ،
قال : حدثنا المبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال : كنتُ
أسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعري مَنْ هذا الذي مِنْ وَلَدِ عُمَرَ ، فِي
وَجْهِهِ عَلَامَةٌ ، يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا !

وحدثت عن منصور بن أبي مزاحم ، قال : حدثنا مروان بن شجاع ،
عن سالم الأفطس ، أن عمر بن عبد العزيز رحمه (٢) دابة وهو غلام بدهش ،
فأتيت به أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضمته إليها ،
وجعلت تمسح الدم عن وجهه (٣) . ودخل أبوه عليها على تلك الحال ، فأقبلت
عليه تعذله وتلومه ، وتقول : ضيعت ابني ، ولم تضم إليه خادماً ولا حاضناً (٤)
يحفظه من مثل هذا ! فقال لها : اسكتي يا أم عاصم ، فطوباك إذ كان أشج
بني أمية !

١٣٦٣/٢

* * *

ذكر بعض سيره

ذكر علي بن محمد أن كليب بن خلف حدثهم عن إدريس بن حنظلة ،
والمفضل ، عن جده ، وعلي بن مجاهد عن خالد : أن عمر بن عبد العزيز كتب
حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب :

(١) الأغاني ١٧ : ١١٠ . (٢) س : « وضحته » .

(٣) ب : « من وجهه » . (٤) ب : « حاضناً ولا خادماً » .

أما بعد ، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني ، ويزيد بن عبد الملك من بعدى إن كان ، وإن الذى ولّانى الله من ذلك وقد رلى ليس على بهيّن ، ولو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج واعتقاد^(١) أموال ، كان فى الذى أعطانى من ذلك ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليتُ به حساباً شديداً ، ومسألة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم ، وقد بايع من قَبِلْنَا فبايع من قَبِلَكَ .

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ، ألقاه إلى أبى عيينة ، فلما قرأه قال : لستُ من عمّاله ، قال : ولم ؟ قال : ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته ، وليس يريد أن يسلك مسلكهم . فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا^(٢) .
قال : ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان ، وأقبل ، فاستخلف ابنه مخلداً .

قال على : وحدّثنا على بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن منصور ، عن ميمون بن مهران ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن العَمَل والعلم قريبان ، فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان علمهم عليهم وبالاً .

قال وأخبرنا مصعب بن حيّان ، عن مقاتل بن حيّان ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن :

أما بعد ، فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين .

قال على : أخبرنا كليب بن خلف ، عن طفيل بن مرداس ، قال : كتب عمر إلى سليمان بن أبى السرى ، أن اعمل خانات فى بلادك فن مرّ بك من المسلمين فاقروهم يوماً وليلة ، وتعهدوا دوابّهم ، فن كانت به علة فاقروهم يومين وليلتين ، فإن كان منقطعاً به فقوّه بما يصل به إلى بلده .

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان : إن قتيبة غدر بنا ، وظلمنا وأخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف ، فائذن لنا فليغدر^(٣) منا وقد

(١) ب وابن الأثير : « اعتقال » . (٢) ب : « فبايعوه » .

(٣) ب : « فليقدم » .

إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا ، فإن كان لنا حق أعطيناها ، فإن بنا إلى ذلك حاجة . فأذن لهم ، فوجهوا منهم قوماً ، فقدموا على عمر ، فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبي السرى :

١٣٦٥/٢

إن أهل سمرقند قد شكوا إلى ظلماً أصابهم : وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي ، فلي نظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة .

قال : فأجلس لهم سليمان جُستَيع بن حاصر القاضي الناجي ، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء ، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوةً ، فقال أهل السغد : بل نرضى بما كان ، ولا نجدُ دُحرباً . وتراضوا بذلك ، فقال أهل الرأي : قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم ، وأمنونا وأمناهم ، فإن حُكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر . وإن لم يكن لنا كُنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة . فتركوا الأمر على ما كان ، ورضوا ولم ينازعا .

قال : وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال مَنْ وراء النهر من المسلمين بذراريهم . قال : فأبوا وقالوا : لا يسعنا مَرَوْ . فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه عمر : اللهم إني قد قضيت الذي على ، فلا تغزُ بالمسلمين ، فحسبُهم الذي قد فتح الله عليهم .

قال : وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائي وكان قد ولّاه الخراج بعد القُشَيْرِي : إنَّ للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها ، فالوأي رُكنٌ ، والقاضي ركنٌ ، وصاحب بيت المال ركنٌ ، والركن الرابع أنا ، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهمَّ إلى ، ولا أعظم عندى من ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزَه في غير ظلم ، فإن يك كُفافاً لأعطياتهم فسييل ذلك ، وإلا فاكتب إلى حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم .

١٣٦٦/٢

قال : فقدم عُقْبَةُ فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم ، فكتب إلى

عمر فأعلمه ، فكتب إليه عمر : أن أقسم الفضل في أهل (١) الحاجة .
 وحدثنى عبد الله بن أحمد بن شَبْوَةَ ، قال : حدثني أبي ، قال :
 حدثني سليمان ، قال : سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة ، عن داود
 ابن سليمان الجعفي ، قال : كتب عمر بن عبد العزيز (٢) :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد ، سلام عليك ؛ أما بعد ؛
 فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة
 استنّها (٣) عليهم عمال السوء ، وإن قوام الدين العدل والإحسان ، فلا يكوننَّ
 شيء أهمَّ إليك من نفسك ؛ فإنه لا قليل من الإثم ، ولا تحمل خراباً على
 عامر ، ولا عامراً على خراب ، انظر الخراب (٤) ، فخذ منه ما أطاق ، وأصلحه
 حتى يعمر ، ولا يؤخذ (٥) من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل
 الأرض ، ولا تأخذنَّ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور
 الضرابين ، ولا هدية الثيروز والمهرجان (٦) ، ولا ثمن الصحف ، ولا أجور
 الفيوج (٧) ، ولا أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح ، ولا خراج على من أسلم من
 أهل الأرض : فاتبع في ذلك أمرى ؛ فإني قد وليتكَ من ذلك ما ولاني الله ،
 ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب ؛ حتى تراجعني فيه ، وانظر من أراد من
 الذرية أن يحج ، فعجل له مائة يحج بها ، والسلام .

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبْوَةَ ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا
 سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن شهاب بن شريعة المجاشعي ، قال :
 ألحق عمر بن عبد العزيز ذراري الرجال الذين في العطايا (٨) أقرع بينهم ، فمن

(١) ب : « ذوى » .

(٢) بعدها في ب : « كتاباً » .

(٣) ابن الأثير : « سنّها » ، وفي ط « استنّها » ، تحريف .

(٤) ب : « إلى الخراب » . (٥) ب : « ولا يؤخذ » .

(٦) الثيروز : اسم أول يوم في السنة ؛ وهو عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل ،
 وعند القبط أول توت ، معرب « نوروز » ، أي اليوم الجديد . والمهرجان : عيد للفرس عند نزول الشمس
 أول الميزان .

(٧) الفيوج : جمع فيج ؛ وهو رسول السلطان الذي يسمى بالكتب .

(٨) س : « العطاء » .

أصابته القرعة جعله في المائة ، ومن لم تُصِبه القرعة جعله في الأربعين ، وقسم في فقراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم ؛ فأعطى الرَّمَى خمسين خمسين . قال : وأراه رزق القَظْمِ ^(١) .

حدثني عبد الله ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الفضيل ، عن عبد الله قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشام :

سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد ؛ فإنه من أكثر ذكر الموت قل كلامه ، ومن علم أن الموت حق رضى باليسير ، والسلام ^(٢) .

١٣٦٨/٢

قال علي بن محمد : وقال أبو مجلز لعمر : إنك وضعتنا بمنقطع التراب ، فاحمل إلينا الأموال . قال : يا أبا مجلز : قلبت الأمر ، قال : يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك ؟ قال : بل هو لكم إذا قَصَّرَ خراجكم عن أعطياتكم ، قال : فلا أنت تحمله إلينا ، ولا نحمله إليك ، وقد وضعت بعضه على بعض . قال : أحمله إليكم إن شاء الله .

ومرض من ليلته فات من مرضه . وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيممة الليثي ، ويكنى أبا الوليد ، وهو ابن تسع وسبعين .

زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر

إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهْمِي ، قال : حدثنا رجل في مسجد الجُنَابِذ ، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخُصَاصِرة ، فقال : أيها الناس ، إنكم لم تُخْلَقُوا عَبَثًا ، وَلَنْ تُتْرَكُوا سُدًى ؛ وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحُرِّمَ الجنة التي عرضها السموات والأرض . ألا واعلموا

(٢) ب : « السلام عليكم » .

(١) ب : « القَطْر » .

أَمَّا الْأَمَانُ غَدًا لَمَنْ حَذَرَ اللَّهَ وَخَافَهُ ، وَبَاعَ نَافِدًا^(١) بَاقٍ ، وَقَالِيلاً بِكَثِيرٍ ، ١٣٦٩/٢
 وَخَوْفًا بِأَمَانٍ . أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ ، وَسَيُخَلِّفُهَا بَعْدَكُمْ الْبَاقُونَ
 كَذَلِكَ حَتَّى تَرُدَّ^(٢) إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ ! وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَشِيعُونَ غَادِيًا وَرَائِحًا إِلَى
 اللَّهِ قَدْ قَضَى نَجْبَتَهُ ، وَانْقَضَى أَجَلُهُ ، فَتَغِيبُونَهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ تَدْعُوهُ
 غَيْرَ مُوسِّدٍ وَلَا مِمَّهَّدٍ ، قَدْ فَارَقَ الْأَحِبَّةَ ، وَخَلَعَ الْأَسْبَابَ ، فَسَكَنَ التُّرَابَ
 وَوَاجَهَ الْحِسَابَ ، فَهُوَ مَرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ ، فَقِيرٌ إِلَى مَا قَدَّمَ ، غَنَى عَمَّا تَرَكَ .
 فَاتَّقُوا اللَّهَ قَبْلَ نَزُولِ الْمَوْتِ وَانْقِضَاءِ مَوَاقِعِهِ . وَإِيْمَ اللَّهِ إِنِّي لَأَقُولُ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ،
 وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنَ الذَّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي ؛ فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ .
 وَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ تَبْلُغُنَا عَنْهُ حَاجَةٌ إِلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ أَسَدَّ مِنْ حَاجَتِهِ مَا قَدَرْتُ
 عَلَيْهِ ، وَمَا مِنْكُمْ أَحَدٌ يَسْغُو مَا عِنْدَنَا إِلَّا وَدَدْتُ أَنَّهُ سَدَّ آيَ^(٣) وَلِحِمَّتِي ، حَتَّى
 يَكُونَ عَيْشُنَا وَعَيْشُهُ سَوَاءً . وَإِيْمَ اللَّهِ أَنْ لَوْ أَرَدْتُ غَيْرَ هَذَا مِنَ الْغَضَارَةِ وَالْعَيْشِ ؛
 لَكَانَ اللِّسَانُ مِنِّي بِهِ ذُلُولًا عَالِمًا بِأَسْبَابِهِ ، وَلَكِنَّهُ مَضَى مِنَ اللَّهِ كِتَابَ نَاطِقٍ
 وَسَنَةِ عَادِلَةٍ ، يَدُلُّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَيَنْهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ .
 ثُمَّ رَفَعَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَكَى حَتَّى شَهِقَ وَأَبْكَى النَّاسَ حَوْلَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ فَكَانَتْ
 إِيَّاهَا لَمْ يَخْطُبْ بَعْدَهَا حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤) .

رَوَى خَلْفُ بْنُ تَمِيمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : ١٣٧٠/٢
 بَلَغَنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَاتَ ابْنُ^١ لَهُ ، فَكُتِبَ عَامِلٌ لَهُ يَعْزِيهِ عَنْ ابْنِهِ ،
 فَقَالَ لِكَاتِبِهِ : أَجِبْهُ عَنِّي ، قَالَ : فَأَخَذَ الْكَاتِبُ يَبْرِي الْقَلَمَ ، قَالَ : فَقَالَ
 لِلْكَاتِبِ : أَدِقِ الْقَلَمَ ، فَإِنَّهُ أَبْقَى لِلْقُرْطَاسِ ، وَأَوْجَزَ لِلْحُرُوفِ ، وَاكْتُبْ :
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرُ قَدْ كُنَّا وَطَنًا أَنْفُسَنَا
 عَلَيْهِ ، فَلَمَّا نَزَلَ لَمْ نَنْكَرْهُ^(٥) ، وَالسَّلَامُ .

رَوَى مَنْصُورُ بْنُ مَزَاحِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ - يَعْنِي ابْنَ صَفْوَانَ -
 عَنْ ابْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ وَصَلَ أَخَاهُ
 بِنَصِيحَةٍ لَهُ فِي دِينِهِ ، وَنَظَرَهُ فِي صَلَاحِ دُنْيَاهُ ، فَقَدْ أَحْسَنَ صَلَاتَهُ ، وَأَدَّى وَاجِبَ

(١) الْبَيَانُ وَالتَّيْسِينَ : « فَاثْنَا » . (٢) الْبَيَانُ : « تَرُدُّوْا » .

(٣) ط : « سَاوَانِي » . الْبَيَانُ : « إِنْ يَدُهُ مَعَ يَدِي ، وَلِحِمَّتِي الَّذِينَ يَلُونِي » .

(٤) الْبَيَانُ وَالتَّيْسِينَ ٢ : ١٢١ . (٥) ط : « نَذَكْرُهُ » .

حقه ؛ فاتقوا الله ، فإنها نصيحة لكم في دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة منجية في العواقب فالزموها . الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له ، فأجملوا في الطلب ، فإن في القنوع سعة وبلغة وكفافاً ، إن أجل الدنيا في أعناقكم ، وجهم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكأن لم يكن ، وكل أموات عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق ؛ وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون : قد فرغ رحمه الله ! وعايينتم تعجيل إخراجهم ، وقسمة ترائه ووجهه مفقود ، وذكره منسى ، وبابه مهجور ، وكأن لم يخاطب إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، فاتقوا هول يوم لا تحقرفيه مثقال ذرة في الموازين .

روى سهل بن محمود ؛ قال : حدثنا حرملة بن عبد العزيز ، قال : حدثني أبي ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز ، قال : أمرنا عمر أن نشتري موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب ، قال : فقال بعض الشعراء (١) :

١٣٧١/٢

أَقُولُ لِمَا نَعَى النَّاعُونَ لِي عَمْرًا لَا يَبْعَدَنَّ قِوَامُ الْعَذْلِ وَالذِّينِ
قَدْ غَادَرَ الْقَوْمُ بِاللَّحْدِ الَّذِي لَحَدُوا بِدَيْرِ سَمْعَانَ قَسْطَاسَ الْمَوَازِينِ

روى عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومُعَوَّل المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) .

وقدم كتابه على عبد الرحمن بن نعيم :

لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ، ولا تحددن كنيسة ولا بيت نار ، ولا تجر الشاة إلى مذبحها ، ولا تحددوا الشفرة على رأس الذبيحة ، ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عذر .

١٣٧٢/٢

روى عفان بن مسلم ، عن عثمان بن عبد الحميد ، قال : حدثنا أبي ،

(١) ابن الأثير : « فقال كثير عزة » . وهما من ثلاثة أبيات في الكامل ٢ : ٢٧٧ غير نسبة .

(٢) سورة الزمر : ١٠ .

قال : بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت : اشتدّ علزّه ^(١) ليلة ، فسهر وسهرنا معه ، فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد ، فقلت له : يا مرثد ، كن عند أمير المؤمنين ، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه . ثم انطلقنا فضر بنا برءوسنا لطول سهرنا ، فلما انفتح النهار استيقظت فتوجهت إليه ، فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائماً ، فأيقظته فقلت : يا مرثد ، ما أخرجك ؟ قال : هو أخرجني ، قال : يا مرثد ، أخرج عني ! فوالله إني لأرى شيئاً ما هو بالإنس ولا جان ، فخرجت فسمعت يتلو هذه الآية : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) ، قال : فدخلت عليه فوجدته قد وجه نفسه ، وأغمض عينيه ، وإنه لميت . رحمه الله ^(٣) .

(١) في اللسان : « العلز : شبه رعدة تأخذ المريض أو الحريص على الشيء ، كأنه لا يستقر في مكانه من الوجع » .

(٢) سورة القصص : ٨٣ .

(٣) في حاشية ب : « تم الفصل من الزيادة وعاد ترتيب أبي جعفر من ها هنا » .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيهما ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكنيته أبو خالد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد ؛ ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، ولأها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، فقدمها - فيما زعم الواقدي - يوم الأربعاء لليال بقيين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي .

١٣٧٣/٢

وذكر محمد بن عمر أن عبد الجبار بن عمار حدثه عن أبي بكر بن حزم ، أنه قال : لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلي ، دخلت عليه ، فسلمت فلم يقبل علي ، فقلت : هذا شيء لا تملكه قریش للأنصار^(١) ، فرجعت إلى منزلي وخففته - وكان شاباً مقدماً - فإذا هو يبلغني عنه أنه يقول : ما يمنع ابن حزم أن يأتيي إلا الكبير ، وإلى لعالم بخيانتة ؛ فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه ، فقلت للذي جاءني بهذا : قل له : ما الحياة لي بعادة ، وما أحب أهلها ، والأمير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه ، كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرّاً ! فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة .

فلم يزل الأمر يترق بينهما ، حتى خاصم إليه رجل من بني فيهروا آخر من بني النجار - وكان أبو بكر قضى للنجاري على الفهري في أرض كانت بينهما نصفين ، فدفع أبو بكر الأرض إلى النجاري - فأرسل الفهري إلى النجاري وإلى أبي بكر بن حزم ، فأحضرهما ابن الضحاك ، فتظلم الفهري من أبي بكر بن حزم ، وقال : أخرج مالي من يدي ، فدفعه إلى هذا النجاري ، فقال أبو بكر : اللهم غفراً ! أما رأيتني سألت أياماً في أمرك وأمر صاحبك ، فاجتمع لي على إخراجها من يدك ، وأرسلتك^(٢) إلى من أفتاني بذلك : سعيد بن المسيب وأبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسألتهما ؟ فقال الفهري : بلبي ،

١٣٧٤/٢

(١) كذا في ب ، وفي ط : « الأنصار » .

(٢) ب : « فأرسلك » .

وليس يلزمني قولهما . فانكسر ابن الضحاك فقال : قوموا ، فقاموا ، فقال للفهرى :
تقرر له أنك سألت مَنْ أفتاه بهذا ، ثم تقول رُدّها عليّ ! أنت أزعن ، اذهب
فلاحقّ لك ؛ فكان أبو بكر يتقيه ويخافه ، حتى كلم ابن حِيّان^(١) يزيد أن
يُقَيِّده من أبي بكر ؛ فإنه ضربه حدّين ، فقال يزيد : لا أفعل ، رجل اصطنعه
أهل بيتي ؛ ولكنّي أوكّيك المدينة . قال : لا أريد ذلك ، لو ضربته بسلطاني
لم يكن لي قوَدًا . فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتابًا :

أما بعد ، فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حِيّان ، فإن كان ضربه في أمر
بين فلا تلتفت إليه ، وإن كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه ،
فإن كان ضربه في أمر غير ذلك فأقده منه .

فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحّاك ، فقال عبد الرحمن :
١٣٧٥/٢ ما جئت بشيء ، أترى ابن حزم ضربك في أمر لا يختلف فيه ! فقال
عثمان لعبد الرحمن : إن أردت أن تحسن أحسنت ، قال : الآن أصبت
المطلب ، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم فضربه حدّين في مقام واحد ، ولم
يسأله عن شيء . فرجع أبو المغراء^(٢) بن حِيّان وهو يقول : أنا أبو المغراء بن
الحِيّان ، والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يوم
هذا ، واليوم أقرب النساء !

* * *

[مقتل شوذب الخارجي]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قُتِلَ شوذب الخارجي .

* ذكر الخبر عن مقتله :

قد ذكرنا قبل الخبر عمّا كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز
لمناظرته في خلافه عليه ، فلما مات عمر أحبّ — فيما ذكر معمر بن المشتّى —
عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يحطّي عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب إلى

(١) هو عثمان بن حيان المروّ

(٢) ط : « المغزا » .

محمد بن جرير يأمره بمحاربة^(١) شَوْذِب وأصحابه ، ولم يرجع رسولا شوذب ، ولم يعلم بموت عمر ، فلمّا رأوا محمد بن جرير يستعدّ للحرب : أرسل إليه شوذب : ما أعجلك^(٢) قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم ! أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب ! فأرسل إليهم محمد : إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة - قال غير أبي عبيدة : فقالت الخوارج : ما فعل هؤلاء هذا^(٣) إلا وقد مات الرجل الصالح .

١٣٧٦/٢

قال معمر بن المثنى : فبرز لهم شوذب ، فاقتتلوا ، فأصيب من الخوارج نفر ، وأكثروا في أهل القبلة القتل ، وتولوا منهزمين ، والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة ، ولبثوا إلى عبد الحميد ، وجرح محمد بن جرير في استه ، ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه ، فجاءاه فأخبراه بما صار عليه عمر ، وأنّ قد مات . فأقرّ يزيد عبد الحميد على الكوفة ، ووجه من قبله تميم بن الحبيب في ألفين ، فراسلهم وأخبرهم أنّ يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر ، فلعنوه ولعنوا يزيد ، فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه ، فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد ، فوجه إليهم نجدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه ، وهزموا أصحابه ، فوجه إليهم الشحّاج بن وداع في ألفين ، فراسلهم وراسلوه ، فقتلوه ، وقتل منهم نفراً فيهم هُدْبة الشكريّ ، ابن عمّ بَسطام - وكان عابداً - وفيهم أبو شُبَيْل مقاتل ابن شيان - وكان فاضلاً عندهم - فقال أبو ثعلبة أيوب بن خَوْلّ يريثهم :

١٣٧٧/٢

تَرَكْنَا تَمِيمًا فِي الْغُبَارِ مُلَحِبًا تُبَكِّى عَلَيْهِ عِرْسُهُ وَقَرَائِبُهُ
وَقَدْ أَسْلَمْتَ قَيْسٌ تَمِيمًا وَمَالِكًا كَمَا أَسْلَمَ الشَّحَّاجُ أَمْسِ أَقَارِبُهُ
وَأَقْبَلَ مِنْ حَرَّانَ يَحْمِلُ رَايَةً يَغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبُهُ
فَيَاهُذِبْ لِلْهَيْجَا ، وَيَاهُذِبْ لِلْنَدَى ، وَيَاهُذِبْ لِلْخَضِيمِ الْأَلَدِّ يُحَارِبُهُ !
وَيَاهُذِبْ كَمَنْ مَلَحِمٌ قَدْ أُجِبْتَهُ^(٥) وَقَدْ أَسْلَمَتْهُ لِلرَّمَا حِ جَوَالِبُهُ

(١) ابن الأثير : « بمناجزة » . (٢) اب : « ما أعجلكم » . (٣) ر : « ما فعلوا » .

(٤) ط : « صادراً » . ب : « صاراً » . (٥) ابن الأثير : « كم من ملجم » .

وكان أَبُو شَيْبَانَ خَيْرَ مُقَاتِلٍ يُرْجَى وَيَخْشَى بِأَسْهُ مِنْ يَحَارِبُهُ
فَفَازَ وَلَاقَى اللَّهَ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ وَخَذَمَهُ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ ضَارِبُهُ
تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعًا وَمِغْفَرًا وَعَضْبًا حُسَامًا لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهُ
وَأَجْرَدَ مَحْبُوكَ السَّرَاقِ كَأَنَّهُ إِذَا انْقَضَى وَافِيَ الرِّيشِ حُجْنٌ مَخَالِبُهُ

١٣٧٨/٢

فلما دخل مسلمة الكوفة شكّا إليه أهلها مكانَ شَوْذَبَ ، وخوفهم منه
وما قد قتل منهم ، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرثيَّ - وكان فارساً - فعقد
له على عشرة آلاف ، ووجهه إليه ^(١) وهو مقيم بموضعه ، فأتاه ما لا طاقة له به .
فقال شَوْذَبَ لأصحابه : مَنْ كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ، وَمَنْ كان
إنما خرج للدنيا فقد ذهب الدنيا ، وإنما البقاء في الدّار الآخرة ؛ فكسروا
أعماد السيوف ^(٢) وحملوا ، فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً ؛ حتى خاف الفضيحة
فدَمَّرَ أصحابه ، وقال لهم : آمِنُوا هذه الشرذمة لا أبا لكم تَفْرُونَ ! يا أهل
الشَّامِ يوماً كأيامكم !

قال : فحملوا عليهم ، فطحنوهم ^(٣) طحناً لم يبقوا منهم أحداً ، وقتلوا بسطاماً
وهو شَوْذَبَ وفرسانه ، منهم الرِّيان بن عبد الله البشكريّ ، وكان من المحبّتين ^(٤) ،
فقال أخوه شِمِر بن عبد الله يرثيه :

وَلَقَدْ فَجِئْتُ بِسَادَةٍ وَقَوَارِسَ لِلْحَرْبِ سُعْرٍ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ
إِغْتَاقَهُمْ رَيْبُ الزَّمَانِ فَغَالَهُمْ وَتُرَكْتُ فَرْدًا غَيْرَ ذِي إِخْوَانٍ
كَالنَّارِ مِنْ وَجْدٍ عَلَى الرِّيَانِ كَمِداً تَجَلْجَلُ فِي فَوَادِي حَسْرَةٍ
مِنْ يَشْكُرُ عِنْدَ الْوَعَى فَرْسَانِ وَقَوَارِسَ بَاعُوا الْإِلَهَ نَفْسَهُمْ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ جَعْفَرٍ يَرِثُهُمْ :

يَا عَيْنُ أَذْرَى دُمُوعاً مِنْكَ تَسْجَامًا وَابْكِي صَحَابَةَ بِسْطَامٍ وَيَسْطَامًا
فَلَنْ تَرَى أَبَدًا مَا عِشْتَ مِثْلَهُمْ أَتَقَى وَأَكْمَلَ فِي الْأَحْلَامِ أَحْلَامًا

(٢) ب : « سيوفهم » .

(١) س : « إليهم » .

(٤) ط : « المحبّين » . وأُخِبت إلى ربه ،

(٣) ط : « فطحنهم » ، وما أثبتته من ب .

أي اطمأن .

١٣٧٩/٢ بِسَيِّئِهِمْ قَدْ تَأَسَّوْا عِنْدَ شِدَّتِهِمْ وَلَمْ يُرِيدُوا عَنِ الْأَعْدَاءِ إِحْجَامًا
حَتَّى مَضَوْا لِلَّذِي كَانُوا لَهُ خَرَجُوا فَأَوْرَثُونَا مَنَارَاتٍ وَأَعْلَامًا
إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّ قَدْ أُنْزِلُوا غُرَفًا مِنَ الْجَنَانِ وَنَالُوا ثُمَّ خُدَّامًا
أَسْقَى إِلَهُهِ بِلَادًا كَانَ مَضْرُوعُهُمْ فِيهَا سَحَابًا مِنَ الْوَسْمَى سَجَامًا

* * *

[خبر خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة ، فغلب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدى بن أرتاة الفزاري ، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة :

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذي كان عمر بن عبد العزيز حبسه فيه ، ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه في هذه السنة — أعني سنة إحدى ومائة .

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه عمر ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله ، وكتب إلى عدى بن أرتاة يعلمه هربه ، ويأمره أن يتبها لاستقباله ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عدى بن أرتاة أخذهم وحبسهم ، وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب ، وأقبل يزيد بن المهلب حتى مر بسعيد بن عبد الملك بن مروان ، فقال يزيد لأصحابه : ألا نعرض لهذا فنأخذه فنذهب به معنا ! فقال أصحابه : لا بل امض بنا ودعه . وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القُطْقُطَانَةِ ، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام ابن مساحق بن عبد الله بن مخزومة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبد ود بن

نصر بن مالك بن حيسل بن عامر بن لؤي القرشي ، في ناس من أهل الكوفة من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة ، فقال له : انطلق حتى تستقبله فإنه اليوم يمر بجانب العذيب . فمشى هشام قليلا ، ثم رجع إلى عبد الحميد ، فقال : أجيئك به أسيراً أم آتيك برأسه ؟ فقال : أى ذلك ما شئت ، فكان يعجب لقلوبه ذلك من سمعه ، وجاء هشام حتى نزل العذيب ، ومرّ يزيد منهم غير بعيد ، فاتقوا الإقدام عليه ، ومضى يزيد نحو البصرة ، ففيه يقول الشاعر :

وسارَ ابنُ المهلبِ لم يُعرجْ وعرسَ ذو القطيفةِ من كِنَانِهِ
وياسرَ والتّياسرُ كان حَزماً ولم يقربْ قُصُورَ القُطُطَانَةِ

ذو القطيفة هو محمد بن عمرو^(١) ، وهو أبو قطيفة بن الوليد بن عتبة بن أبي معيط ، وهو أبو قطيفة ، وإنما سمي ذا القطيفة ، لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر . ومحمد يقال له ذو الشامة .

١٣٨١/٢

فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد ، ومضى يزيد إلى البصرة ، وقد جمع عدى بن أرطاة إليه أهل البصرة وخندق عليها ، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي . وكان عدى بن أرطاة رجلاً من بني فزارة . وقال عبد الملك بن المهلب لعدى بن أرطاة : خذ ابني حميداً فاحبسه مكاني ، وأنا أضمن لك أن أردّ يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس ، ويطلب لنفسه الأمان^(٢) . ولا يقربك^(٣) فأبى عليه ، وجاء يزيد ومعه أصحابه^(٤) الذين أقبل فيهم^(٥) ، والبصرة محفوفة بالرجال ، وقد جمع محمد بن المهلب - ولم يكن من حيس - رجالاً وفتية من أهل بيته وناساً من مواليه ، فخرج حتى استقبله ، فأقبل في كتية تهول من رآها ، وقد دعا عدى أهل البصرة ، فبعث على كل خمس من أحماسها رجلاً ، فبعث على خمس الأزد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي ، وبعث على خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر ، وعلى خمس بكر بن وائل عمران بن عامر

(١) وهو ، أى عمرو ، وفي ط : « وأبو قطيفة » ، وهو خطأ .

(٢) ب : « الأمان لنفسه » . (٣) ب : « ولا يغربك » .

(٤) س : « وجاء يزيد وأصحابه » . (٥) س : « بهم » .

ابن مسمع من بنى قيس بن ثعلبة. فقال أبو منقر - رجل من قيس بن ثعلبة - :
إن الراية لا تصلح إلا في بنى مالك بن مسمع ، فدعا عدى نوح بن شيبان
ابن مالك بن مسمع ، فعقد له على بكر بن وائل ، ودعا مالك بن المنذر بن
الجارود ، فعقد له على عبد القيس ، ودعا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر
القرشي ، فعقد له على أهل العالية - والعالية قریش وكنانة والأزد وبجيلة وخنم
وقيس عيّلان كلها ومزينة - وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربّع أهل المدينة
وبالبصرة ^(١) خمس أهل العالية ، وكانوا بالكوفة أحماساً ، فجعلهم زياد بن
عبيد أربعاً .

١٣٨٢/٢

قال هشام عن أبي مخنف : وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر بخيل من خيلهم
ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحّوا له عن السبيل ^(٢) حتى يمضي ، واستقبله المغيرة
ابن عبد الله الثقفي في الخيل ، فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل ، فأفرج
له عن الطريق هو وأصحابه ، وأقبل يزيد حتى نزل داره ، واختلف ^(٣) الناس
إليه ، وأخذ يبعث إلى عدى بن أرطاة أن ادفع ^(٤) إلى إخوتي وأنا أصالحك
على البصرة ، وأخليك وإيتاها حتى آخذ لنفسى ما أحب من يزيد بن عبد الملك ،
فلم يقبل منه ، وخرج ^(٥) إلى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن
المهلب ، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري وعمر بن
يزيد ^(٦) الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته ، وأخذ يزيد بن المهلب
يعطي من أتاه من الناس ، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة ، قال
الناس إليه ، ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطاً على عدى بن أرطاة
حين نزع منه رايته ، راية بكر بن وائل ، وأعطاه ابن عمه ، ومالت إلى يزيد
ربعة وبقيّة تميم وقيس وناس بعد ناس ^(٧) ؛ فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع
ومعه ناس من أهل الشام ، وكان عدى لا يعطي إلا درهمين درهمين ، ويقول :

١٣٨٣/٢

(٢) ابن الأثير : « عن طريقه » .

(١) س : « والبصرة » .

(٤) ب وابن الأثير : « أن أبعث » .

(٣) ابن الأثير : « فاختلف » .

(٦) ب : « زيد » .

(٥) ب : « فسار » .

(٨) ب : « من الناس » .

لا يحلّ لي أن أعطيكم من بيت المال درهمًا إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ،
ولكن تبلغوا بهذا^(١) حتى يأتي الأمر في ذلك^(٢) . فقال الفرزدق في ذلك :
أَظُنُّ رِجَالَ الدَّرَهَمَيْنِ يَسُوقُهُمْ إِلَى الْمَوْتِ آجَالُ لَهُمْ وَمَصَارِعُ^(٣)
فَأَحْزَمُهُمْ مَنْ كَانَ فِي قَعْرِ بَيْتِهِ^(٤) وَأَيَقُنَ أَنَّ الْأَمْرَ لَا شَكَّ وَاقِعُ^(٥)
وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى ، فنزلوا المربد ، فبعث
إليهم يزيد بن المهلب مولًى له يقال له دارس ؛ فحمل عليهم فهزمهم ، فقال
الفرزدق في ذلك :

تَفَرَّقَتِ الْحَمَرَاءُ إِذْ صَاحَ دَارِسُ وَلَمْ يَصْبِرُوا تَحْتَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ^(٦)
جَزَى اللَّهُ قَيْسًا عَنْ عَدَى مَلَامَةً أَلَا صَبِرُوا حَتَّى تَكُونَ مَلَاحِمُ
وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس . حتى نزل جبانة بني يشكر
— وهو المنصف^(٧) فيما بينه وبين القصر — وجاءته بنو تميم وقيس^(٨) وأهل الشام ،
فاقتتلوا هنيئَةً ، فحمل عليهم محمد بن المهلب ، ف ضرب مسُور بن عباد
الحبَطَى بالسيف فقطع أنف البيضة ، ثم أسرع السيف إلى أنفه^(٩) ، وحمل
على هُرَيم بن أبي طلحة من بني نهشل بن دارم . فأخذ بمنطقته ، فحذفه عن
فرسه^(١٠) ؛ فوقع فيما بينه وبين الفرس ، وقال : هيهات هيهات ! عمك أثقل من
ذلك . وانهزموا ، وأقبل يزيد بن المهلب إثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر ،

(١) ابن الأثير : « هذه » . (٢) ب : « بذلك » .

(٣) ديوانه ٥١٦ ، وروايته : « إلى قدر آجالهم » .

(٤) الديوان : « من قرّ في قعر بيته » .

(٥) الديوان : « وأيقن أن العزم لا بد واقع » .

(٦) ديوانه ٧٧٨ ، والر وأية فيه :

تَصَدَّعَتِ الْجَعْرَاءُ إِذْ صَاحَ دَارِسُ وَلَمْ يَصْبِرُوا عِنْدَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
جَزَى اللَّهُ قَيْسًا عَنْ عَدَى مَلَامَةً وَخَصَّ بِهَا الْأَدْنَيْنِ أَهْلَ الْمَلَاوِمِ
هُمْ قَتَلُوا مَوْلَاهُمْ وَأَمِيرَهُمْ وَلَمْ يَصْبِرُوا لِلْمَوْتِ عِنْدَ الْمَلَاوِمِ

(٧) ابن الأثير : « النصف » . (٨) ابن الأثير : « فلقية قيس و تميم » .

(٩) ب : « في أنفه » . (١٠) حذفه عن فرسه ، أى رماه عنه .

فقاتلوهـم وخرج إليه عدى بنفسه فقتل من أصحابه الحارث بن مصرف الأودى - وكان من أشرف أهل الشام وفرسان الحجاج - وقتل موسى بن الوجيه الحميرى ثم الكلاعى ، وقتل راشد المؤذن ، وانهزم أصحاب عدى ، وسمع إخوة يزيد وهم فى محبس عدى الأصوات تدنو ، والنشاب تقع فى القصر ، فقال لهم عبد الملك : إني أرى النشاب تقع فى القصر ، وأرى الأصوات تدنو ، ولا أرى يزيد إلا قد ظهر ، وإني لا آمن من مع عدى من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار ، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثياباً . ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عمر^(١) ، وكان على حرس عدى - فجاء يشتد إلى الباب هو وأصحابه ، وقد وضع بنو المهلب متاعاً على الباب ، ثم اتكوا عليه ، فأخذ الآخرون يعالجون الباب ، فلم يستطيعوا الدخول ، وأعجلهم الناس فخلّوا عنهم .

١٣٨٥/٢

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلم بن زياد بن أبي سفيان إلى^(٢) جانب القصر^(٣) ، وأتى بالسلالم ، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر ، وأتى بعدى ابن أرطاة ، فجىء به وهو يتبسّم ، فقال له يزيد : لم تضحك ؟ فوالله إنه لينبغى أن يمنعك من الضحك خصلتان : إحداهما الفرار من القتل الكريمة حتى أعطيت بيدك إعطاء المرأة بيدها ، فهذه واحدة ، والأخرى أنى أتيت بك تكل كما يتل^(٤) العبد الآبق إلى أربابه ، وليس معك منى عهد ولا عقد ، فما يؤمنك أن أضرب عنقك ! فقال عدى : أما أنت فقد قدرت على ، ولكنى أعلم أن بقائى بقاؤك ، وأن هلاكى مطلوب به من جرته يده ، إنك قد رأيت جنود الله بالمغرب ، وعلمت بلاء الله عندهم فى كل موطن من موطن الغدر والنكث ، فتدارك فلك تشك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة ، قبل أن يرمى إليك البحر بأمواله ، فإن طلبت الاستقالة حينئذ لم تقبل ، وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعدين ، وما لم يشخص القوم إليك فلم

(١) ط : « عامر » ، وانظر الفهرس .

(٢) ط : « سالم » ، وانظر الفهرس .

(٣) ب وابن الأثير : « إلى جنب » .

(٤) يتل ، أى يقاد .

يمنعوك شيئاً طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك .

فقال له يزيد : أما قولك : إن بقاءك بقائى ؛ فلا أبقانى الله حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقينى إلا بقاءك ؛ وأما قولك : إن هلاكك مطلوب به من جرت يده ؛ فوالله لو كان فى يدي من أهل الشام عشرة آلاف إنسان ليس فيهم^(١) رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم ، ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد ، لكان فرأى إيتاهم وخلافى عليهم أهول عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ، ثم لو شئت أن تهد رلى دماؤهم ، وأن أحكم فى بيوت أموالهم ، وأن يجوزوا لى عظيماً من سلطانهم ، على أن أضع الحرب فيما بينى وبينهم لفعلوا ؛ فلا يخفين عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أخبارنا إليهم ، وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم ، لا يذكر ونك ولا يحلفون بك . وأما قولك : تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل ؛ فوالله ما استشرتك ، ولا أنت عندى بواد ولا نصيح ؛ فما كان ذلك منك إلا عجزاً وفضلاً ؛ انطلقوا به ، فلما ذهبوا به ساعة قال : ردوه ، فلما رد قال : أما إن حبسى إياك ليس إلا لحبسك بنى المهلب وتضييقك عليهم فيما كنا نسألك التسهيل فيه عليهم ، فلم تكن تألوما عسرت وضيقت وخالفت ؛ فكانه لهذا القول حين سمعه أمين على نفسه ، وأخذ عدى يحدث به كل من دخل عليه .

وكان رجل يقال له السמידع الكندى من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عُمان يرى رأى الخوارج ، وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدى مصطفون فاعتزل ومعه ناس من القرءاء ، فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدى : قد رضينا بحكم السِّمِيدِع . ثم إن يزيد بعث إلى السِّمِيدِع فدعاه إلى نفسه ، فأجابه ، فاستعملوا يزيد على الأبلّة ، فأقبل على الطيب والتخلق والتعيم ، فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رعوس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر ، فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشام ، فقال الفرزدق :

(١) س : « مهم » .

فدائِ لِقَوْمٍ مِنْ تَمِيمٍ تَتَابَعُوا إِلَى الشَّامِ لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ السَّيِّدِ ع^(١)
أَحْكُمُ حُرُورِي مِنَ الدِّينِ مَارِقِ أَضْلُ وَأَغْوَى مِنْ حِمَارٍ مُجَدِّعِ
فأجابه خليفةُ الأقطع .

وَمَا وَجَّهَهَا نَحْوَهُ عَنْ وِفَادَةٍ وَلَا نُهْزَةٍ يُرْجَى بِهَا خَيْرٌ مَطْمَعِ
وَلَكِنَّهُمْ رَاحُوا إِلَيْهَا وَأَذْلَجُوا بِأَقْرَعِ أَسْتَاهِ تَرَى يَوْمَ مَقْرَعِ
وَهُمْ مِنْ حِذَارِ الْقَوْمِ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ لَهُمْ نَزْلَةٌ فِي كُلِّ خَمْسٍ وَأَرْبَعِ
وخرج الحواري^(٢) بن زياد بن عمرو العتكيّ يُريد يزيد بن عبد الملك
هارباً من يزيد بن المهلب ، فلقى خالد بن عبد الله القسريّ وعمر بن يزيد
الحكيميّ ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن
عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب ، وكلّ شيء أراداه ، فاستقبلهما ، فسألاه عن
الخبر ، فخلا بهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك ، فقال : أين تريدان ؟
فقالا : يزيد بن المهلب ، قد جئناه بكلّ شيء أراداه ، فقال : ما تصنعان بيزيد
شيئاً ، ولا يصنعه بكما ؟ قد ظهر على عدوّه عدوّ بن أوطاة ، وقتل القتلى
وحبس عدوّاً ، فارجعا أيّها الرجلان . ويمرّ رجل من باهلة يقال له مسلم بن
عبد الملك ، فلم يقف عليهما ، فصاحجه وساءلاه ، فلم يقف عليهما ، فقال
القسريّ : ألا تردّه فتجلده مائة جلدة ! فقال له صاحبه : غرّبه عنك ،
وأمتلاً لينصرف .

١٣٨٨/٢

ومضى الحواريّ بن زياد إلى يزيد بن عبد الملك ، وأقبلا بحميد بن عبد الملك
معهما ، فقال لهما حميد : أنشدكما الله أن تخالفا أمر يزيد ما بُعثتما به ! فإنّ
يزيد قابلٌ منكما ؛ وإنّ هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء ، فأنشدكما الله أن
تقبلا مقالته ؛ فلم يقبلا قوله ، وأقبلا به حتى دفعاه إلى عبد الرحمن بن سليم^(٣)
الكلبيّ ، وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه إلى خُرَاسان عاملاً عليها . فلما
بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب إليه : إنّ جهاد من خالفك أحبُّ إلىّ

(١) ديوانه ٥٠٨ ، وفيه : « فدى لرهوس من تميم » .

(٢) ابن الأثير : « المغيرة » . (٣) ط : « سليمان » ، وانظر الفهرس .

من عملي على خُرَاسان ، فلاحاجة لي فيها ، فاجعلني ممن توجهني إلى يزيد بن المهلب ، وبعث بجميد بن عبد الملك إلى يزيد ، ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب ، وهو بالكوفة وعلى حمّال بن زحر الجعفي ، وليسأ ممن كان ينطق بشيء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بني المهلب ، فأوثقهما وسرّحهما^(١) إلى يزيد بن عبد الملك ، فحبسهما جميعاً ، فلم يفارقوا السجن حتى هلكوا فيه . وبعث يزيد بن عبد الملك رجلاً من أهل الشام إلى الكوفة يسكتونهم ، ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويمسّونهم الزيادات منهم القُطاميّ بن الحصين ، وهو أبو الشرقي ، واسم الشرقي الوليد ، وقد قال القُطاميّ حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب :

لَعَلَّ عَيْنِي أَنْ تَرَى يَزِيدًا يَقُودُ جَيْشًا جَحْفَلًا شَدِيدًا
تَسْمَعُ لِلأَرْضِ بِهِ وَثِيدًا لَا بَرَمًا هِدًا وَلَا حَسُودًا
وَلَا جَبَانًا فِي الْوَعْيِ رَعِيدًا تَرَى ذَوِي التَّاجِ لَهُ سُجُودًا
مُكْفَرِينَ خَاشِعِينَ قُودًا وَآخِرِينَ رَحْبُوبًا وَفُودًا
لَا يَنْقُضُ الْعَهْدَ وَلَا الْمَعْهُودَا مِنْ نَفَرٍ كَانُوا هِجَانًا صِيدَا
تَرَى لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِيدَا مِنَ الْأَعَادِي جَزَرًا مَقْصُودَا

ثم إن القُطاميّ سار بعد ذلك إلى العتقر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك ، فقال يزيد بن المهلب : ما أبعد شعر القُطاميّ من فعله !

ثم إن يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد في أربعة آلاف فارس ؛ ١٣٩٠/٢
جريدة خيل ، حتى وافوا الحيرة يبادر إليها يزيد بن المهلب ، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشام ، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات ، فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب ، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكِرمّان ، عليها الجراح بن عبد الله الحكميّ حتى انصرف إلى عمر بن

(١) ابن الأثير : « وسيرهما » .

عبد العزيز ، وعبد الرحمن بن نعيم الأزدي فكان على الصلاة . واستخلف
يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن القشيري على الحسراج ، وجاء مُدْرِكُ بن المهلب
حتى انتهى إلى رأس المفازة ، فدرس عبد الرحمن بن نعيم إلى بني تميم أن
هذا مدرك بن المهلب يريد أن يلتقي بينكم الحرب ، وأنتم في بلاد عافية وطاعة
وعلى جماعة ، فخرجوا ليلاً يستقبلونه ، وبلغ ذلك الأزدي ، فخرج منهم نحو
من ألقى فارس حتى لحقوهم قبل أن ينتهوا إلى رأس المفازة ، فقالوا لهم : ما جاء بكم ؟
وما أخرجكم إلى هذا المكان ؟ فاعتلوا عليهم بأشياء ، ولم يُقِرُّوا لهم أنهم خرجوا
ليتلّفوا مدرك بن المهلب ، فقال لهم الآخرون ، بل قد علمنا أن تخرجوا لتلّقى
صاحبنا ، وما هو ذا قريب ؟ فما شتم .

ثم انطلقت الأزدي حتى تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة ، فقالوا
له : إنك أحب الناس إلينا ، وأعزهم علينا ، وقد خرج أخوك ونابذه ، فإن يظهره
الله فلنما ذلك لنا ، ونحن أسرع الناس إليكم أهل البيت وأحقه بذلك ؛ وإن
تكن الأخرى فوالله مالك في أن يغشانا ما يعرنا فيه من البلاء راحة . فعزم له
رأيه على الانصراف ، فقال ثابت قُطنة ، وهو ثابت بن كعب ، من الأزدي من
العتيك :

١٣٩١/٢

ألم ترَ دَوْسَرًا مَنَعَتْ أَخَاهَا	وقد حَشَدَتْ لِتَقْتُلَهُ تَمِيمٌ
رَأَوْا مِنْ دُونِهِ الزُّرْقَ الْعَوَالِي	وَحَيًّا مَا يُبَاحُ لَهُمْ حَرِيمٌ
شَنُومَتَا وَعِمْرَانُ بْنُ حَزْمٍ	هَنَّاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسْبُ الصَّمِيمُ
فَمَا حَمَلُوا وَلَكِنْ نَهَنَّهُتُهُمْ	رِمَاحُ الْأَزْدِ وَالْعَزُّ الْقَدِيمُ
رَدَدْنَا مُدْرِكًا بِمَرْدٍّ صِدْقٍ	وَلَيْسَ بِوَجْهِهِ مِنْكُمْ كُلوْمٌ
وَحَيْلٍ كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ	لَدَى أَرْضِ مَغَانِيهَا الْجَمِيمُ
عَلَيْهَا كُلُّ أَصَيْدٍ دَوْسَرِيٍّ	عَزِيزٌ لَا يَفِرُّ وَلَا يَرِيمُ
بِهِمْ تُسْتَعْتَبُ السَّفَهَاءُ حَتَّى	تَرَى السَّفَهَاءَ تَرُدُّعَهَا الْحُلُومُ

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرة ، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحث على الجهاد ، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم .

قال : فدخلت أنا والحسن البصري وهو واضح يده على عاتقي ، وهو يقول : انظر هل ترى وجه رجل تعرفه ؟ قلت : لا والله ، ما أرى وجه رجل أعرفه ، قال : فهؤلاء والله الغناء^(١) ، قال : ففضينا حتى دنونا من المنبر . قال : فسمعت يذكّر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم رفع صوته^(٢) ، فقال : والله لقد رأيتكم والياً ومولئ^(٣) عليكم ، فما ينبغي لك ذلك . قال : فوثبنا عليه ، فأخذنا بيده وفه وأجلسناه ، فوالله ما نشك أنه سمعه ؛ ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته .

قال : ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد ، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس ابن مالك يقول : يا عباد الله ، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ! فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتوه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز ، فقال الحسن : سبحان الله ! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضاً .

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدثني المثني بن عبد الله أن الحسن البصري مرّ على الناس وقد اصطفوا صفيين ، وقد نصبوا الرايات والرماح ، وهم ينتظرون خروج يزيد ، وهم يقولون : يدعوننا يزيد إلى سنة العُمَريين ، فقال الحسن : إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم يسرّح بها إلى بني مروان ، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم . فلما غضب غضبة نصب قصباً ، ثم وضع عليها خيراً ، ثم قال : إني قد خالفتهم فخالفوه . قال هؤلاء : نعم . وقال : إني أدعوكم إلى سنة العُمَريين ، وإن من سنة العُمَريين أن يوضع قيد في رجله ، ثم يردّ إلى محبس عمر الذي فيه حبسه ، فقال له ناس من أصحابه

(١) ط : « الأعتاء » ، والصواب ما في الأصول .

(٢) ابن الأثير : « وكان حسن البصري يسمع ، فرفع رأسه » .

(٣) ط : « موليا » تحريف .

من سمع قوله : والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام ، فقال : أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرحهم ! أليس هم الذين أحلوا حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقتلون أهله ثلاثة أيام^(١) وثلاث ليال ! قد أباحوهم^(٢) لأتباعهم وأقباطهم ، يحملون الحرائر ذوات الدين ، لا يتناهون عن انتهاك حرمة . ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام ، فهدموا الكعبة ، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها ، عليهم لعنة الله وسوء الدار !

١٣٩٣/٢

قال : ثم إن يزيد خرج من البصرة ، واستعمل عليها مروان بن المهلب ، وخرج معه بالسلح وبيت المال ، فأقبل حتى نزل واسطاً ، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط ، فقال : هاتوا الرأي ، فإن أهل الشام قد نهضوا إليكم ، فقال له حبيب ، وقد أشار عليه غير حبيب أيضاً فقالوا : نرى أن تخرج وتنزل بفارس ، فتأخذ بالشعاب وبالعقاب ، وتدنو من خراسان ، وتطاول القوم ، فإن أهل الجبال ينفضون إليك وفي يدك القلاع والحصون . فقال : ليس هذا برأى ، ليس يوافقني هذا ؛ إنما تريدون أن تجعلوني طائراً على رأس جبل . فقال له حبيب : فإن الرأي الذي كان ينبغي أن يكون في أوّل الأمر قد فات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة ، فإنما هو^(٣) عبد الحميد بن عبد الرحمن ، مرت به في سبعين رجلاً فعجز عنك ؛ فهو عن خيلك أعجز في العدة ، فنسبق إليها أهل الشام وعظماء أهلها يرون رأيك ، وأن تلى عليهم أحب إلى جلسهم من أن يلى عليهم أهل الشام ، فلم تطعني ، وأنا أشير الآن برأى ؛ سرح مع أهل بيتك خيلاً من خيلك عظيمة فتأق الجزيرة ، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصناً من حصونها^(٤) ، وتسير في أثرهم ، فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جنداً من جنودك بالجزيرة ، ويقبلون إليك فيقيمون عليهم ، فكانهم حابسهم عليك^(٥) حتى تأتيهم فيأتيك من الموصل من قومك ، وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور ، وتقاتلهم في أرض ربيعة^(٦) السمر ، وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك ،

١٣٩٤/٢

(٢) ابن الأثير : « أباحوها » .

(١) ابن الأثير : « ثلاثاً » .

(٤) ابن الأثير : « حصونهم » .

(٣) ابن الأثير : « بها » .

(٦) ابن الأثير : « ربيعة » . وفي ط :

(٥) ابن الأثير : « فيحبسونهم عنك » .

فقال : إني أكره أن أقطع جيشي وجندي . فلما نزل واسِطًا أقام بها أيامًا يسيرة .

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحّاك ابن قيس الفهريّ ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال محمد بن عمر .

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد . وكان على الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن ، وعلى قضائها الشّعبيّ ، وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد ابن المهلب ، وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

[ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث]

فمن ذلك ما كان فيها من مَسِير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إليهما لحربه .

١٣٩٥/٢

وفيهما قتل يزيد بن المهلب ، في صفر .

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام ، عن أبي مخنف : أن مُعَاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخصوس عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنه معاوية ، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأُسرَاء ، وقَدَّم بين يديه أخاه عبد الملك ، ثم سار حتى مرَّ بَقَمِ النَّبِيل ^(١) ، ثم سار حتى نزل العَتَقَر . وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار ، ثم عقد عليها الجسر . فعبر من قبَل قرية يقال لها فارط ، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب ، وقد قدَّم يزيد أخاه نحو الكوفة ، فاستقبله العباس بن الوليد بسُورًا ، فاصطفوا ، ثم اقتتل القوم ، فشَدَّ عليهم أهل البصرة شدة كشفوهم فيها ، وقد كان معهم ناس من بني تميم وقيس ممن انهزم من يزيد بالبصرة ، فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس ، فيهم هُرَيم بن أبي طَحْصَمَة المجاشعي . فلما انكشف أهل الشام تلك الانكشاف ، ناداهم هُرَيم بن أبي طَحْصَمَة : يا أهل الشام ، اللهَ اللهَ أن تُسَلِّمُونَا ! وقد اضطهرهم أصحاب عبد الملك إلى نَهْرٍ ^(٢) فأخذوا ينادونه : لا بأسَ عليك ؛ إن لأهل الشام جَوْلَة في أول القتال ، أتاك الغوث .

١٣٩٦/٢

(١) ابن الأثير : « وسار على قم النيل » .

(٢) ابن الأثير : « النهر » .

قال : ثم إنَّ أهل الشام كروا عليهم ، فكُشف أصحاب عبد الملك وهُزموا ، وقتل المنتوف من بكر بن وائل ، مولى لهم ، فقال الفرزدق يحرّض بكر بن وائل :

تُبَكِّي على المنتوف بكر بن وائل وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما^(١)
غلامين شبّا في الحروب وأدركا كرام المساعي قبل وصل لحاهما^(٢)
ولو كان حيّا مالك وابن مالك إذا أوقدوا نارين يعلو سنَاهما
وابنا مسمع : مالك وعبد الملك ابنا مسمع ، قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب فأجابه الجعد بن درهم مولى من همدان^(٣) :

نُبَكِّي على المنتوف في نصر قومه ولَسْنَا نُبَكِّي الشائدين أباهما
أَرَادَ فَنَاءَ الْحَيِّ بكر بن وائل فِعْزٌ تَمِيمٌ لو أُصِيبَ فَنَاهُما
فلا لِقِيَا رَوْحاً مِنَ اللَّهِ سَاعَةً ولا رَفَأتَ عَيْنَا شَجِيٍّ بكاهما
أَفِي الْغُشِّ نُبَكِّي إِنْ بَكَيْنَا عليهما وقد لقيا بالغُشِّ فينا رَدَاهما ١٣٩٧/٢

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعقر ، وأمر عبد الله ابن حيّان العبدى ، فعبر إلى جانب الصّرة الأقصى — وكان الجسر بينه وبينه — ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد ، وخندق عليه ، وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الحرشي ، ويقال : عبر إليهم الوضاح ، فكانوا بإزائهم . وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة^(٤) كثير ، ومن الجبال ، وأقبل إليه ناس من الثغور ، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه ورُبّع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وبعث على رُبّع كندة وربيعة محمد

(١) الكامل للمبرد ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) الكامل : « غلامان » ، وبعده في الكامل :

ولو قُتِلَا من جذم بكر بن وائل لكان على الناعي شديدا بُكاهما

(٣) كذا في ط ، وفي ابن القيسراني ٣١ : « والجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة » .

(٤) ابن الأثير : « من أهل الكوفة » .

ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وبعث على ربيع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي ، وجمعهم جميعاً مع المفضل بن المهلب .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : حدثني العلاء بن زهير ، قال : والله إنا بالجلوس عند يزيد ذات يوم إذ قال : ترون أن في هذا العسكر ألف سيف يُضرب به ؟ قال حنظلة بن عتاب : إى والله وأربعة آلاف سيف ، قال : إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قط ، والله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفاً ، والله لوددت أن مكانهم الساعة معى من بخراسان من قومي .

١٣٩٨/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : ثم إنه قام ذات يوم فحرّضنا ورغبنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله : إن هؤلاء القوم لن يتردّهم عن غيهم إلا الطعن في عيونهم ، والضرب بالمشرفيّة على هامهم . ثم قال : إنه قد ذُكر لي أن هذه الجراذه الصفراء - يعنى مسلمة بن عبد الملك - وعافر ناقة ثمود ؛ يعنى العباس ابن الوليد ، وكان العباس أزرق أحمر ، كانت أمه رومية - والله لقد كان سليمان أراد أن ينفية حتى كلمته فيه فأقرّه على نسبه ؛ فبلغني أنه ليس همتها إلا التماسي في الأرض ، والله لو جاء أهل الأرض جميعاً وليس إلا أنا ، ما برحت العرصة حتى تكون لي أو لهم . قالوا : نخاف أن تعنينا كما عنانا عبد الرحمن ابن محمد ، قال : إن عبد الرحمن فضح الذمار ، وفضح حسبه ، وهل كان يعدو أجله ! ثم نزل .

قال : ودخل علينا عامر بن العَمَيْشَل - رجل من الأزد - قد جمع جموعاً فأتاه فبايعه ؛ فكانت بيعة يزيد : تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى آلّا تطأ الجنود بلادنا ولا بيضتنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ، فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومن أبى جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، ثم يقول : تبايعونا ؟ فإذا قالوا : نعم ، بايعهم .

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة ، وبعث إلى المياه فبشّقها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب ، لئلا يصل إلى الكوفة ، ووضع على الكوفة مناظر وأرصداً لتحبس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد ، وبعث

١٣٩٩/٢

عبد الحميد بعثاً من الكوفة عليهم سيف بن هانيّ الهمدانيّ حتى قدموا على مسلمة ، فألطفهم مسلمة ، وأثنى عليهم بطاعتهم ، ثم قال : والله لقلّ ما جاءنا من أهل الكوفة . فبلغ ذلك عبد الحميد ، فبعث بعثاً هم أكثر من ذلك ، وبعث عليهم سبيرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزديّ ، فلما قدم أثنى عليه ، وقال : هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء ، ضمّوا إليه من كان ها هنا من أهل الكوفة . وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله ، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة — وهو ذو الشامة — مكانه . فدعا يزيد بن المهلب رءوس أصحابه فقال لهم : قد رأيتُ أن أجمع اثني عشر ألف رجل ، فأبعثهم مع محمد ابن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبل لدفن خندقهم ، فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقيّة ليلتهم ، وأمّده بالرجال حتى أصبح ، فإذا أصبحتُ نهضتُ إليهم أنا بالناس ، ففناجزهم ، فإنّي أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم .

قال السّمّيدع : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ، ولا نريد لهم بسوء حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا .

قال أبو روبة — وكان رأس طائفة من المرجئة ، ومعه أصحاب له : ١٤٠٠/٢ صدّق ، هكذا ينبغي . قال يزيد : ويحكم ! أتصدّقون بني أمية ، أنهم يعملون بالكتاب والسنة ، وقد ضيّعوا ذلك منذ كانوا ! إنهم يقولون لكم : إنا نقبل منكم ، وهم يريدون ألاّ يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمروهم به ، وتدعونهم إليه ، لكنهم أرادوا أن يكفّوكم عنهم ، حتى يعملوا في المكر ، فلا يسبقوكم إلى تلك ، ابدءوهم بها ، إني قد لقيت بني مروان فوالله ما لقيت رجلاً هو أكر ولا أبعد غوراً من هذه الجراداة الصفراء — يعني مسلمة — قالوا : لا نرى أن نفعل ذلك ، حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا . وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحثّ الناس على حرب أهل الشام ، ويسرّح الناس إلى يزيد ، وكان الحسن البصريّ يثبّط الناس عن يزيد ابن المهلب .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الحميد البصري ، أن الحسن البصري كان يقول في تلك الأيام :

أيها الناس ، الزموا رجالكم ، وكفّوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة ، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباقي ، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براص ؛ إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء ، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التقي ، فمن كان منكم خفياً فليزِم الحق ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا ، فكفاه الله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً ؛ وكفى له بها (١) من الدنيا خلة ؛ ومن كان منكم معروفاً شريفاً ، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا لإرادة الله بذلك ، فوهاً لهذا ! ما أسعده وأرشدّه وأعظم أجره وأهدى سبيله ! فهذا غداً — يعني يوم القيامة — التقرير عيناً ، الكريم عند الله مآباً . فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيباً كما يقوم ، فأمر الناس بالجد والاحتشاد ، ثم قال لهم :

١٤٠١/٢

لقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي — ولم يسمه — يشبّط الناس ، والله لو أن جاره نزع من خُصّ داره قَصْبَةً لظلّ يرعُف أنفه ؛ أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا (٢) ، وأن ننكر مظلمتنا ! أما والله لسيكُفّن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سقّاط (٣) الأبلّة وعلّوج فُرات البصرة — قوماً ليسوا من أنفسنا ، ولا من جرت عليه النعمة من أحدنا — أولأنحين عليه ميسراً خشناً .

فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه : لو أردك ثم شئت لمنعتك ، فقال لهم : فقد خالفتمكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه ! آهركم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيرى ، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دوني ! فبلغ ذلك مروان بن المهلب ، فاشتدّ عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرّقوا . ولم يدع الحسن كلامه ذلك ، وكفّ عنه مروان بن المهلب .

(١) ط : « به » . (٢) ط : « خيرنا » .

(٣) سقاط : جمع ساقط ؛ وهو اللّثيم في حبه ونسبه .

وكانت إقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع هو ومسلمة ثمانية أيام ، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر ، بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر ، ففعل . وخرج مسلمة فعبى جنود أهل الشام ، ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب ، وجعل على ميمنته جبلة بن مخزومة الكندي ، وجعل على ليسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري ، وجعل العباس على ميمنته سيف بن هاني الهمداني ، وعلى ليسرته سويد بن القعقاع التميمي ومسلمة على الناس ، وخرج يزيد بن المهلب ، وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى ليسرته المفضل بن المهلب ، وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم ، ومعه خيل لربيعه معها عدد حسن ، وكان مما يلي العباس بن الوليد .

قال أبو مخنف : فحدثني الغنوي — قال هشام : وأظن الغنوي العتلاء ابن المنهال — أن رجلاً من الشام خرج فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد ، فبرز له محمد بن المهلب ، فحمل عليه ، فاتقاه الرجل بيده ، وعلى كفه كف من حديد ، فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف في كفه ، واعتنق فرسه ، وأقبل محمد يضربه ، ويقول : المنجل أعود عليك . قال : فذكر لي أنه حينئذ التبتطي .

قال : فلما دنا الوضاح من الجسر أهب فيه النار ، فسطع دخانه ؛ وقد اقتتل^(١) الناس ونشبت الحرب ، ولم يشتد القتال ، فلما رأى الناس الدخان ، وقيل لهم : أحرق الجسر انهزموا ، فقالوا ليزيد : قد انهزم الناس . قال : ومم انهزموا ؟ هل كان قتال ينهزم من مثله ! فقبل له : قالوا : أحرق الجسر فلم يثبت أحد ، قال : قبهم الله ! بتق دُخن عليه فطار . فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه ، فقال : اضربوا وجوه من ينهزم ، ففعلوا ذلك بهم ، حتى كثروا عليه ، فاستقبلهم منهم مثل الجبال ، فقال : دعوهم ، فوالله إني لأرجو ألا يجمعني الله وإياهم في مكان واحد أبداً ؛ دعوهم يرحمهم الله ، غنم عدا في نواحيها الذئب ، وكان

(١) ابن الأثير : « وقد أقبل » .

يزيد لا يحدث نفسه بالفرار ، وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص — وأمه ابنة الزبير بن السعدى — أتاه وهو بواسط قبل أن يصل إلى العقفر ، فقال ^(١) :
 إِنَّ بَنِي مَرْوَانَ قَدْ بَادَ مُلْكُهُمْ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ فَاشْعُرْ
 قال يزيد : ما شعرت . قال : فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفى :
 فَعِشْ مُلْكاً أَوْ مُتْ كَرِيماً وَإِنْ تَمَتَّ ^(٢) وَسَيْفُكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تُعْذِرُ
 قال : أما هذا فعسى .

١٤٠٤/٢

ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة ، فقال : يَاسْمِيدَ ،
 أَرَأَيْتَ أَمْ رَأَيْتَ ؟ أَلَمْ أَعْلَمْكَ مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ ! قال : بلى والله ، والرأى كان رأيتك ،
 وأناذا معك لأزايك ، فمرنى بأمرك ؛ قال : إمتا لا فانزل ، فنزل فى أصحابه ،
 وجاء يزيد بن المهلب جاء فقال : إن حبيباً قد قتل .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثنى ثابت مولى زهير بن سلمة
 الأزدي ، قال : أشهد أنى أسمع حين قال له ذلك ، قال : لا خير فى العيش
 بعد حبيب ! قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة ؛ فوالله ما ازددت له
 إلا بغضاً ، امضوا قدماً . فعلمنا والله أن قد استقتل ؛ فأخذ من يكره القتال
 ينكص ، وأخذوا يتسللون ، وبقيت معه جماعة حسنة ، وهو يزدلف ، فكلما
 مرّ بخيّل كشفها ، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه ،
 فجاء أبو روبة المرجى ، فقال : ذهب الناس — وهو يشير بذلك إليه وأنا
 أسمعه — فقال : هل لك أن تنصرف إلى واسط ؛ فإنها حصن فتترها ويأتيتك
 مدد أهل البصرة ، ويأتيتك أهل عُمان والبحرين فى السفن ، وتضرب خندقاً ؟
 فقال له : قبّح الله رأيك ! ألى تقول هذا ! الموت أيسر على من ذلك ، فقال
 له : فإنى أتخوّف عليك لما ترى ، أما ترى ما حولك من جبال الحديد ! وهو
 يشير إليه ، فقال له : أما أنا فما أباليها ؛ جبال حديد كانت أم جبال نار ،
 اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالاً معنا . قال : وتمثّل قول حارثة بن بدر الغدأتى
 — قال أبو جعفر أخطأ هذا ؛ هو للأعشى — :

(١) ابن الأثير : « فقال له » . (٢) ابن الأثير : « فمش » .

١٤٠٥/٢

أَبِالْمَوْتِ خَشَّنتْنِي عُبَادُ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ مَنَايَا النَّاسِ يَشْتَقِي ذَلِيلُهَا
فَمَا مَيِّتَةٌ إِنْ مُتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غَوْلُهَا

وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب ، فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره ؛ حتى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب ، فعطف عليه خيول أهل الشام ، وعلى أصحابه ، فقتل يزيد بن المهلب ، وقتل معه السَّمِيدَع ، وقتل معه محمد بن المهلب . وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير بن جناب الكلبى يقال له القَحْلُ بن عِيَّاش لما نظر إلى يزيد قال : يا أهل الشام ، هذا والله يزيد ، والله لأقتلنه أو ليقتلننى ، وإن دونه ناساً ، فمن يحمل معى يكفينى أصحابه حتى أصل إليه ؟ فقال له ناس من أصحابه : نحمل نحن معك ، ففعلوا ، فحملوا بأجمعهم ، واضطربوا^(١) ساعةً ، وسطع الغبار ، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً ، وعن القَحْلُ بن عِيَّاش بآخر رمق . فأوى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد ؛ يقول لهم : أنا قتلته ، ويوى إلى نفسه إنه هو قتلنى . ومر مسلمة على القحل بن عياش صريعاً إلى جنب يزيد ، فقال : أما إني أظن هذا هو الذى قتلنى . وجاء برأس يزيد مولى لبني مُرَّة ، فقيل له : أنت قتلته ؟ فقال : لا ، فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر ، فقال له الحواري بن زياد ابن عمرو العتكى : مر برأسه فليغسل ثم ليعمم ، ففعل ذلك به ، فعرفه ، فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط .

١٤٠٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ثابت مولى زهير ، قال : لقد قتل يزيد وهزم الناس ، وإن المفضل بن المهلب ليقاتل أهل الشام ما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس ؛ وإنه لعلى برذون شديد قريب من الأرض ، وإن معه لحففة أمامه ، فكلما حمل عليها نكصت وانكشفت وانكشف ، فيحمل فى ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه ، وكان لا يرى منا ملتفتاً إلا أشار إليه بيده ألا يلتفت ليُقبِل القومُ بوجوههم على عدوهم ، ولا يكون لهم همٌّ غيرهم .

(١) ابن الأثير : « فافتتلوا » .

قال : ثم اقتتلنا ساعة ؛ فكأنى أنظر إلى عامر بن العَـمَـيْشَل الأزدى وهو يضرب بسيفه ، ويقول :

قد عَلِمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّ المولود أَننى بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ رَغْدِيدٍ
قال : واضطربنا والله ساعة ، فانكشفت خيل ربيعة ؛ والله ما رأيتُ عند
أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال ، فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم : أى
معشر ربيعة ، الكرة الكرة ! والله ما كنتم بكُشف ولا لثام ، ولا هذه لكم بعادة ،
فلا يؤتِبن أهل العراق اليوم من قبلكم . أى ربيعة ، فدَتكم نفسى ، اصبروا
ساعة من النهار .

قال : فاجتمعوا حوله ، وثابوا إليه ^(١) ، وجاءت كُؤَيْفَتُك ^(٢) .

قال : فاجتمعنا ونحن نريد الكرة عليهم ، حتى أتى ، فقيل له :
ما تصنع ها هنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد ، وانهزم الناس منذ طويل ؟
وأخبر الناس بعضهم بعضاً ، فتفرقوا ومضى المفضل ، فأخذ الطريق إلى واسط ،
فما رأيت رجلاً من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه ، ولا أضرب
بسيفه ، ولا أحسن تعبئة لأصحابه منه .

١٤٠٧/٢

قال أبو مخنف : فقال لى ثابت مولى زهير : مررت بالحنديق ، فإذا عليه
حائط ، عليه رجال معهم النبل ، وأنا مجففٌ ، وهم يقولون : يا صاحب
التجفاف ، أين تذهب ؟ قال : فما كان شىء أثقل على من تجفافي ،
قال : فما هو إلا أن جُرْتُهم ، فنزلت فألقيته لأخفف عن دابتي . وجاء أهل
الشام إلى عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم أبو رؤبة صاحب المرجثة ساعة
من النهار حتى ذهب عظمهم ، وأسر أهل الشام نحواً من ثلثمائة رجل ،
فسرحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم . وكان على شرطه
العُريان بن الهيثم . وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو :
أن اضرب رقاب الأسراء ، فقال للعُريان بن الهيثم : أخرجهم عشرين عشرين ،
وثلاثين ثلاثين . قال : فقام نحواً من ثلاثين رجلاً من بني تميم ، فقالوا :

(١) ابن الأثير : « فرجعوا إليه » .

(٢) كذا فى ط .

نحن انهزمنا بالناس ، فاتقوا الله وابدعوا بنا ، أخرجونا قبل الناس ، فقال لهم العُريان : اخرجوا على اسم الله ، فأخرجهم إلى المصطبة ، وأرسل إلى محمد بن عمرو يخبره بإخراجهم ومقاتلتهم ، فبعث إليه أن اضرب أعناقهم .

قال أبو مخنف : فحدثني نَجِيسُحُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى زُهَيْر ، قال : والله إني لأنظر إليهم يقولون : إنا لله ! انهزمنا بالناس ، وهذا جزاؤنا ، فما هو إلا أن فرغ منهم ، حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الأسراء والنهي عن قتلهم ، فقال حاجب بن ذُيَّان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم :

لَعَمْرِي لَقَدْ خَاضَتْ مَعِيْطُ دِمَاءَنَا بِأَسْيَافِهَا حَتَّى انْتَهَى بِهِمُ الْوَحْلُ
وَمَا حُمِلَ الْأَقْوَامُ أَعْظَمَ مِنْ دَمٍ حَرَامٍ وَلَا دَخَلَ إِذَا التَّمَسَّ الدَّخْلُ^(١)
حَقَنْتُمْ دِمَاءَ الْمُصْلَتَيْنِ عَلَيْكُمْ^(٢) وَجُرَّ عَلَى فُرْسَانِ شِيعَتِكَ الْقَتْلُ
وَقَى بِهِمُ الْعُرْيَانُ فُرْسَانَ قَوْمِهِ فَيَا عَجَبًا أَيْنَ الْأَمَانَةُ وَالْعَدْلُ!

وكان العُريان يقول : والله ما اعتمدتهم ولا أردتهم حتى قالوا : ابندُ بنا ، أخرجنا ، فما تركت حين أخرجتهم أن أعلمتُ المأمور بقتلهم ، فما يتقبل حُجَّتَهُمْ ، وأمر بقتلهم ، والله على ذلك ما أحبّ أن قتل من قومي مكانهم رجل ، ولئن لاموني ما أنا بالذي أحفل لأمتهم ، ولا تكبر عليّ .

وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة ، فأتى بنحو من خمسين أسيراً ، ولم يكونوا فيمن بعث به إلى الكوفة ، كان أقبل بهم معه ، فلما رأى الناس أنه يريد أن يضرب رقابهم ، قام إليه الحصين بن حماد الكلبي فاستوهبه ثلاثة : زياد بن عبد الرحمن القشيري ، وعتبة بن مسلم ، وإسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود ، فوهبهم له ، ثم استوهب بقيتهم أصحابه ، فوهبهم لهم ، فلما جاءت هزيمة يزيد إلى واسط ، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا

(١) في الحاشية : « الدحل بالذال معجمة : الحقد ، وبغير معجمة : الخمر في الأرض » .

في يده ، فضرب أعناقهم : منهم عدى بن أرطاة ، ومحمد بن عدى بن أرطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عَزْرَة البصرى ، وعبد الله بن وائل ، وابن أبى حاضِر التميمي من بني أسيد بن عمرو بن تميم ، وقد قال له القوم : ويحك ! إنا لا نراك إلا نقتلنا ؛ إلا أن أباك قد قتل ، وإن قتلنا ليس بنافع لك في الدنيا ، وهو ضارك في الآخرة ؛ فقتل الأسارى كلَّهم غير ربيع بن زياد بن الربيع ابن أنس بن الرِّبَّان ، تركه ، فقال له ناس : نسيته ؟ فقال : ما نسيته ؛ ولكن لم أكن لأقتله ؛ وهو شيخ من قومي له شرف ومعروف وبيت عظيم ، ولست أتهمه في ود ، ولا أخاف بغيته . فقال ثابت قطنة في قتل عدى بن أرطاة :

مَا سَرَّنِي قَتْلُ الْفَزَارِيِّ وَابْنِهِ عَدَى وَلَا أَخْبَيْتُ قَتْلَ ابْنِ مِصْمَعٍ
وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مُعَاوِيَّ زَلَّةً وَضَعْتُ بِهَا أَمْرِي عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ

١٤١٠/٢

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن ، وجاء الفضل بن المهلب ، واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة ، وقد كانوا يتخوفون الذي كان من يزيد ، وقد أعدوا السفن البحرية ، وتجهزوا بكل الجهاز ، وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حميد الأزدى على قسندابيل أميراً ، وقال له : إني سائر إلى هذا العدو ، ولو قد لقيتهم لم أبرح السَّعرصة حتى تكون إلى أولهم ، فإن ظفرت أكرمتك ، وإن كانت الأخرى كنت بقسندابيل حتى يقدم عليك أهل بيتي ، فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً ، أما إني قد اخترتك لأهل بيتي من بين قومي ؛ فكن عند حسن ظني ، وأخذ عليه أيماناً غلاظاً ليسناصحن أهل بيته ، إن هم احتاجوا ولبثوا إليه ، فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ، ثم لجسجوا في البحر حتى مروا بهرم ابن القرار العبدى - وكان يزيد استعمله على البحرين - فقال لهم : أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم ، فإن ذلك هو بقاءكم ، وإني أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخطفكم الناس ، وأن يتقربوا بكم إلى بني مروان . فمضوا حتى إذا كانوا بجبال كرمان خرجوا من سفنهم ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب .

١٤١١/٢

وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزائن وبيت المال ؛ فكأنه أراد أن يتأمر عليهم ، فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل : أنت أكبرنا وسيّدنا ، وإنما أنت غلام حديث السن كبعض فتیان أهلِكَ ، فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كسرّ مان ، وبكرمان فلول كثيرة ، فاجتمعوا إلى المفضل ، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضبّ الكلبيّ في طلب آل المهلب وفي أثر الفلّ^(١) . فأدرك مدرك المفضل بن المهلب ، وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتبعهم ، فأدركهم في عَقَبَةٍ ، فعطفوا عليه ، فقاتلوه واشتدّ قتالهم إِيَّاه ، فقتل مع المفضل بن المهلب النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعيّ ومحمد بن إسحاق ابن محمد بن الأشعث ، وأُخِذ ابن صُول ملك قهسْتان أسيراً ، وأُخِذت سُرّية المفضل العالية ، وجُرّح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة ، وهرب حتى انتهى إلى حُلوان ، فدُلّ عليه ، فقتل وحُمِل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ، ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب ، فطلبوا الأمان ، فأومِنوا ؛ منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعديّ من تميم ، وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد موطنه وأَيَّامه كلها ، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عمّه وابنة مسلمة تحته — فأَمَنته ، فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتّمه قائماً ، فقال : صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونِفَار في كلّ فتنة ، مرّة مع جاثك كندة ، ومرّة مع ملاح الأزْد ؛ ما كنت بأهل أن تؤمّن ؛ قال : ثم انطلق . وطلب الأمان للمالك بن إبراهيم بن الأشتر الحسن بن عبد الرحمن بن شراحيل — وشراحيل يلقّب رستم الحضرميّ — فلما جاء ونظر إليه ، قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرميّ : هذا مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، قال له : انطلق ، قال له الحسن : أصلحك الله ! لم تشتمه كما شتّم صاحبه ! قال : أجلتكم عن ذلك ، وكنتم أكرم على من أصحاب الآخروأحسن طاعة . قال : فإنه أحب إلينا أن تشتمه ، فهو والله أشرف أباً وجدّاً ، وأسوأ أثراً من أهل الشام من الورد بن عبد الله ؛ فكان الحسن يقول بعد أشهر : ما تركه إلا حسداً من أن يعرف

١٤١٢/٢

(١) الفل : الجماعة المهزومون .

صاحبنا ، فأراد أن يُرينا أنه قد حقره . ومضى آل المهلب ومن سقط منهم من الفُلول حتى انتهوا إلى قنديل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضب الكلابي فردّه ، وسرح في أثرهم هلال بن أحوز التميمي ، من بني مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقنديل ، فأراد آل المهلب دخول قنديل ، فنعمهم وداع بن حميد . وكانت به هلال بن أحوز ، ولم يباين آل المهلب ^(١) فيفارقه ، فتبين لهم فراقه لما التقوا وصدقوا ، كان وداع بن حميد على الميمنة ، وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدى ، فرفع لهم راية الأمان ، قال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك ابن هلال ، وارفض عنهم الناس فخذوهم . فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء ، فقال له الفضل : أين تريد ؟ قال : أدخل إلى نسائنا فأقتلن ، لئلا يصل إليهن هؤلاء الفساق ، فقال : ويحك ! أتقتل أخواتك ونساء أهل بيتك ! إنا والله ما نخاف عليهن منهم . قال : فردّه عن ذلك ، ثم مشوا بأسيا فلهم ، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم ^(٢) ، إلا أبا عينة ابن المهلب ، وعثمان بن الفضل فإنهما نَجّوا ، فلحقا بخاقان ورتبيل ، وبعث بنسائهم ^(٣) وأولادهم إلى مسلمة بالحيرة ، وبعث برؤسهم إلى مسلمة ، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك ، وبعث ^(٤) بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وهو على حلب ، فلما نُصّبوا خرج لينظر إليهم ، فقال لأصحابه : هذا رأس عبد الملك ، هذا رأس الفضل ، والله لكانه جالس معي يحدثني .

١٤١٣/

وقال مسلمة : لأبيعن ذريتهم وهم في دار الرزق ، فقال الجراح بن عبد الله ^(٥) : فأنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك ، فاشتراهم منه بمائة ألف ، قال : هاتهما ، قال : إذا شئت فخذها ، فلم يأخذ منه شيئا ، وتخلّى سبيلهم ، إلا تسعة فتية

١٤١٤/

(١) ابن الأثير : « وكان هلال بن أحوز لم يباين آل المهلب » .

(٢) أضاف ابن الأثير : « وهم الفضل وعبد الملك وزيد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية ابن يزيد بن المهلب ، والمنهال بن أبي عينة بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رؤسهم وفي أذن كل واحد رقعة فيها اسمه » .

(٣) ابن الأثير : « وبعث هلال بن أحوز بنسائهم » .

(٤) ابن الأثير : « فسيرهم » .

(٥) بعدها في ابن الأثير : « الحكى » .

منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فقدم بهم عليه ، فضرب رقابهم ، فقال ثابت قُطْنَةُ^(١) حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه :

وَعَادَ قَصِيرُهُ لَيْلًا تَمَامًا	أَلَا يَا هِنْدَ طَالَ عَلَى لَيْلِي
سُقِيتُ لُعَابَ أَسْوَدَ أَوْ سَمَامًا	كَأَنِّي حِينَ حَلَقَتِ الثَّرِيَّاءَ
مِنْ الْأَيَّامِ شَيْبَنِي غَلَامًا	أَمَرٌ عَلَى حُلُوِّ الْعَيْشِ يَوْمٌ
فَلَمْ أَشْهَدْهُمْ وَمَضُوا كَرَامًا	مُصَابُ بَنِي أَبِيكَ وَغَيْبُ عَنْهُمْ
وَلَا الْقَتْلَى الَّتِي قُتِلَتْ حَرَامًا	فَلَا وَاللَّهِ لَا أَنْسَى يَزِيدًا
يَزِيدًا أَوْ أَبَوَهُ بِهِ هِشَامًا	فَعَلَى أَنْ أَبُو بَأَخِيكَ يَوْمًا
شَوَازِبَ ضَمَرًا تَقْصُصُ الْإِكَامَا	وَعَلَى أَنْ أَقْوَدَ الْخَيْلَ شُعْنًا
وَعَكًّا أَوْ أَرْغَ بِهِمَا جُدَامَا	فَأَصْبَحَهُنَّ حِمِيرَ مَنْ قَرِيبَ
مَنْ الدِّفَّانِ أَنْفَاسًا قَوَامَا	وَنَسَقِي مَذْحِجًا وَالْحَيَّ كَلْبًا
تَجْرُبُنَا زَكَا عَامًا فَعَامًا	عَشَائِرُنَا الَّتِي تَبْغِي عَلَيْنَا
لَأَصْبَحَ وَنُطْنَا مَلِكًا هُمَامَا	وَلَوْلَاهُمْ وَمَا جَلَبُوا عَلَيْنَا

وقال أيضًا يرثي يزيد بن المهلب :

وَهَاجَ لَكَ الْهَمُّ الْفُؤَادَ الْمُتَيْمًا	أَبَى طُولُ هَذَا اللَّيْلِ أَنْ يَتَصَرَّمَا
وَقَدْ أَرَقْتُ عَيْنَايَ حَوْلًا مُجَرَّمَا	أَرَقْتُ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِيَ أُمُّ خَالِدَ
دَعْتَهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ وَسَلَّمَا	عَلَى هَالِكِ هَذِهِ الْعَشِيرَةِ فَقَدُهُ
كُتَابُهُ وَاسْتَوْرَدَ الْمَوْتَ مُعْلِمَا	عَلَى مَلِكٍ يَا صَاحِبَ الْعَقْرِ جُبْنَتَ

(١) في ابن الأثير : « قطنه ؛ بالنون ؛ وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكي الأزدي ، أصيبت عينه بخراسان ، فجعل عليها قطنه ، فعرف بذلك ؛ وهو يشبه بثابت قطبة ، بالباء الموحدة ، وهو خزاعي ، وذلك عتكي » .

أَصِيبَ وَلَمْ أَشْهَدْ وَلَوْ كُنْتُ شَاهِدًا
 وَفِي غَيْرِ الْأَيَّامِ يَا هِنْدُ فَأَعْلَمِي
 فَعَلَّتِي إِنْ مَالَتْ بَنَى الرِّيحَ مَيْلَةً
 أَمْسَلَمَ إِنْ يَقْدِرُ عَلَيْكَ رِمَاحُنَا
 وَإِنْ نَلَقَ لِلْعَبَّاسِ فِي الدَّهْرِ عَشْرَةٌ
 قِصَاصًا وَلَا نَعْدُو الَّذِي كَانَ قَدْ أَتَى
 سَتَعْلَمُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ النَّعْلُ زَلَّةً
 مِنَ الظَّالِمِ الْجَانِي عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ
 وَإِنَّا لَعَطَّافُونَ بِالْحِلْمِ بَعْدَ مَا
 وَإِنَّا لَحَلَّالُونَ بِالشُّغْرِ لَا نَرَى
 نَرَى أَنَّ لِلْجِيرَانِ حَاجًا وَحُسْرَمَةً
 وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الذَّرَى
 وَرَاحَتِ بَصْرَادٍ مُلِثٌ جَلِيدُهُ
 أَبُونَا أَبُو الْأَنْصَارِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
 وَقَدْ كَانَ فِي غَسَّانَ مَجْدٌ يَعُدُّهُ

١٤١٦/٢

* * *

[ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان]

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حَرْبِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، جَمَعَ لَهُ (٢)
 يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْيَاةِ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةَ وَخُرَّاسَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَلَمَّا وَلَّاهُ
 يَزِيدَ ذَلِكَ ، وَلَّى مُسْلِمَةَ الْكُوفَةَ ذَا الشَّامَةِ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ بْنَ
 أَبِي مَعِيْطٍ ، وَقَامَ بِأَمْرِ الْبَصْرَةِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهَا آلُ الْمُهَلَّبِ - فِيمَا قِيلَ -
 شَيْبُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ ، فَضَبَطَهَا ، فَلَمَّا ضُمَّتْ إِلَى مُسْلِمَةَ بَعَثَ عَامِلًا

١٤١٧/٢

(٢) ابن الأثير : « له أخوه » .

(١) ابن الأثير : « أحضرت » .

عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى شُرطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميمي ، فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة ، وأفشى ذلك إلى عمر بن يزيد ، فقال له عمر : أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تَمْنُ حصناً بكوفة ، وتدخل من تحتاج إليه ! فوالله لو رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوّفت أن يقتلونا ؛ ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك . ووجه رسولا إلى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن ، فوجّه مسلمة عبد الملك ابن بشر بن مروان على البصرة ، وأقرّ عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث .

* * *

[ذكر استعمال مسلمة سعيد خدينة على خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجّه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبدالعزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، وهو الذي يقال له سعيد خُدينة — وإنما لقب بذلك — فيما ذكر — أنه كان رجلاً ليناً سهلاً متنعماً^(١) ، قدم خراسان على بختيّه معلقاً سكيناً في منطقتة^(٢) ، فدخل عليه^(٣) ملك أبغزر، وسعيد متفضّل في ثياب مصبّغة ، حوله^(٤) مرافق مصبّغة ، فلما خرج^(٥) من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خدينية ، لمّته سُكينية ؛ فلقب خدينة وخدينة هي الدهقانة ربّة البيت ، وإنما استعمل مسلمة سعيد خدينة على خراسان لأنه كان ختّنه على ابنته ، كان سعيد متزوجاً بابنة مسلمة .

ولما ولي مسلمة سعيد^(٦) خدينة خراسان ، قدم إليها قبل شخصه سَوْرَة ابن الحرّ من بني دارم ، فقدمها قبل سعيد — فيما ذكر — بشهر ، فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سَمَرْقند ، فخرج إليها في خمسة وعشرين رجلاً من أهل بيته ، فأخذ على آمّس ، فأتى بخارى ، فصحبه منها مائتا رجل ، فقدم

(١) ف : « منما » .

(٢) ب : « منطقة » .

(٣) ح : « على » .

(٤) ابن الاثير : « وحوله » .

(٥) ح : « خرجوا » .

(٦) ب : « سعيدا » .

السَّغْد ، وقد كان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامديّ ، ووليها ثمانية عشر شهراً ، ثم عادوا إلى الصُّلح ، فخطب شعبة أهل السَّغْد ، ووبَّخ سكانها من العرب وعيَّرتهم بالجُبْن ، فقال (١) : ما أرى فيكم جريحاً ، ولا أسمع فيكم أنةً . فاعتذروا إليه بأن جبَّسوا عاملهم علباء بن حبيب العبدى ، وكان على الحرب . ثم قدم سعيد ، فأخذ عمَّال عبد الرحمن بن عبد الله القشيريّ الذين ولَّوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ، فكلَّمه فيهم عبد الرحمن بن عبد الله (٢) القشيريّ ، فقال له سعيد : قد رُفِعَ عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج . قال : فأنا أضمنه ، فضمن عنهم (٣) سبعمائة ألف ، ثم لم يأخذه بها .

١٤١٩/٢

ثم إنَّ سعيداً رفع إليه - فيما ذكر على بن محمد - أن جهم بن زحر الجعفيّ وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيديّ والمتجع بن عبد الرحمن الأزديّ والقعقاع الأزديّ ولَّوا ليزيد بن المهلب وهم ثمانية (٤) ، وعندهم أموال قد اختانوها من فيء المسلمين . فأرسل إليهم ، فحبسهم في قهَّندز مَرَو ، فقيل له : إن هؤلاء لا يؤدُّون إلا أن تبسط عليهم . فأرسل إلى جهم بن زحر ، فحمل على حمار من قهَّندز مَرَو ، فمروا به على الفيض بن عمران ، فقام إليه فوجاً أنفه ، فقال له جهم : يا فاسق ، هلاّ فعلت هذا حين أتوتني بك سكران قد شربت الخمر ، فضربتك حدّاً ! فغضب سعيد على جهم فضربه مائتي سوط ، فكبَّر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر ، وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا في السجن فدُفِعوا (٥) إلى وراق بن نصر الباهليّ ، فاستغفاه فأعفاه .

١٤٢٠/٢

وقال عبد الحميد بن دثار - أو عبد الملك بن دثار - والزبير بن نسيط مولى باهلة ، وهو زوج أم سعيد خديجة : ولَّنا محاسبتهم ، فولاهم فقتلوا في العذاب جهماً ، وعبد العزيز بن عمرو والمتجع ، وعذبوا القعقاع وقوماً حتى أشرفوا على الموت . قال : فلم يزالوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السَّغْد ، فأمر سعيد بإخراج

(١) ابن الأثير : « وقال » . (٢) ب : « عبد الله بن عبد الرحمن » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ابن الأثير : « في ثمانية نفر » .

(٥) ب : « فرفعوا » ، ابن الأثير : « فسلموا » .

مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ ، فكان سعيد يقول : قَبَّحَ اللَّهُ الزُّبَيْرَ ، فإنه قتلَ جَهِماً !

وفي هذه السنة غزا المسلمون السُّغْدَ والتُّركَ ، فكان فيها الوقعة بينهم بقصر الباهليّ .

وفيها عزل سعيد خديجة شعبة بن ظُهَيْر عن سمرقند .

ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شُعْبَةَ وسبب هذه الوقعة وكيف كانت :

ذكر عليّ بن محمد ، عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم ، أن سعيد خديجة لما قدم خراسان ، دعا قوماً من الدّهاقين ، فاستشارهم فيمن يوجهه إلى الكُور ، فأشاروا إليه بقوم من العرب ، فولّاهم ، فشكوا إليه ، فقال للناس يوماً وقد دخلوا عليه : إني قدمت البلد ، وليس لي علم بأهله ، فاستشرت فأشاروا^(١) علىّ بقوم ، فسألتُ عنهم فحمّدوا ، فولّيتهم ، فأخرجَ عليكم لما أخبرتموني عن عمّالي . فأثنى عليهم القوم خيراً ، فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيريّ : لو لم تُخرج^(٢) علينا لكففتُ^(٣) ، فأما إذ حرّجتَ علينا فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم^(٤) ، فهذا علمنا فيهم .

١٤٢١/٢

قال : فاتكأ سعيد ثم جلس ، فقال : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، قوموا .

قال : وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السُّغْدَ ، وولّى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشَّخِير ، وولّى الخراج سليمان بن أبي السَّريّ مولى بني عُوَافَةَ ، واستعمل على هَرّاة معقل بن عروة القشيريّ ، فسار إليها . وضعف الناس سعيداً وسمّوه خديجة ، فطمع فيه الترك ، فجمع له خاقان الترك ،

(٢) ح : « تخرج » .

(١) ب : « فأشار » .

(٣) ب : « للكففتنا » .

(٤) ب : « ولا بأشباههم » .

ووجههم إلى السَّغْد ، فكان على الترك كورصول ، وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي .

وقال بعضهم : أراد عظيم من عظماء الدَّهَّاقين أن يتزوج امرأة من باهلة ، وكانت في ذلك القصر ، فأرسل إليها يخطبها ، فأبت ، فاستعجاش ورجا أن يسبوا من في القصر ، فيأخذ المرأة ، فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر ، وفيه مائة أهل بيت بذراريهم ، وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله^(١) وخافوا أن يبطئ عنهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً ، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة ، وندب عثمان بن عبد الله الناس ، فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، فقال شعبة بن ظهير : لو كان ها هنا خيول خراسان ما وصلوا إلى غايتهم^(٢) .

١٤٢٢/٢

قال : وكان فيمن انتدب من بني تميم شُعْبَةُ بن ظُهَيْر النهشلي وبلعاء بن مجاهد العنزي ، وعميرة بن ربيعة أحد بني العُجَيْف - وهو عميرة الثريد - وغالب بن المهاجر الطائي - وهو عم أبي العباس الطوسي - وأبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وثابت قُطْنَة ، وأبو المهاجر بن دارة من غطفان ، وحُلَيْس^(٣) الشيباني ، والحجاج بن عمرو الطائي ، وحسان بن مَعْدَان الطائي ، والأشعث أبو حطامة وعمرو بن حسان الطائيان . فقال المسيب بن بشر لما عسكروا : إنكم تقدمون على حَلَبَةِ الترك ، حلبة خاقان وغيرهم ، والعِوَضُ إن صبرتم الجنة ، والعقاب النار إن فررتم ، فمن أراد الغزو والصبر فليقدم .

فانصرف عنه ألف وثلثمائة ، وسار في الباقين ، فلما سار فرسخاً قال للناس مثل مقالته الأولى ، فاعتزل ألف ، ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل ذلك ، فاعتزل ألف ، ثم سار - وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الحنظلي - حتى إذا كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قبي فقال : إنه لم يبق ها هنا دِهْقَان إلا وقد بايع الترك غيري ، وأنا في ثلثمائة مقاتل فهم معك ، وعندى الخبر ، قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفاً ، فأعطوهم سبعة عشر رجلاً ؛ ليكونوا رَهْنًا

١٤٢٣/٢

(١) بعدها في ب : « ابن مطرف » .

(٢) ب : « إغاثتهم » .

(٣) ط : « جليس » ، بالجيم ، تحريف .

في أيديهم^(١) حتى يأخذوا صلحتهم ؛ فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك من كان في أيديهم من الرهائن .

قال : وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلي فنجنا لم يقتل ، والأشهب بن عبيد الله الحنظلي ، وميعادهم أن يقاتلوهم^(٢) غداً أو يفتحوا القصر ، فبعث المسيب رجلين : رجلاً من العرب ورجلاً من العجم من ليلته على خيولهم ، وقال لهم : إذا قرئتم فشدوا دوابكم بالشجر ، واعلموا علم القوم . فأقبلا في ليلة مظلمة ؛ وقد أجرت^(٣) الترك الماء في نواحي القصر ؛ فليس يصل إليه أحد ، ودنوا من القصر ؛ فصاح بهما الربيفة ، فقالا : لا تصح وادع لنا عبد الملك ابن دثار ، فدعاه فقالا له : أرسلنا المسيب ، وقد أتاكم الغياث ، قال : أين هو ؟ قال : على فرسخين ؛ فهل عندكم امتناع ليلتك وغداً ؟ فقال : قد أجمعنا على تسليم^(٤) نساننا وتقديمهم للموت أمامنا ؛ حتى نموت جميعاً غداً . فرجعنا إلى المسيب ، فأخبراه فقال المسيب للذين معه : إني سائر إلى هذا العدو ، فن أحب أن يذهب فليذهب ، فلم يفارقه أحد ؛ وبايعوه على الموت .

١٤٢٤/٢

فسار وقد زاد الماء الذي أجروه حول المدينة^(٥) تحصيناً ، فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل ، فأجمع على بيأتهم ؛ فلما أمسى أمر الناس فشدوا على خيولهم ، وركب فحثهم على الصبر ، ورغبهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب والصبر ، وما لهم في الدنيا من الشرف والغنيمة إن ظفروا ، وقال لهم : اكعموا^(٦) دوابكم وقودوها^(٧) ، فإذا دنوتم من القوم فاركبوها ، وشدوا شدة صادقة وكبروا ، وليكن شعاركم : يا محمد ؛ ولا تتبعوا مولياً ، وعليكم بالدواب فاعقروها ، فإن الدواب إذا عقرت كانت أشد عليهم منكم ، والقليل الصابر خير من الكثير الفشل ؛ وليست بكم قليلة ، فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهله .

(١) ب : « بأيديهم » . (٢) ح : « يقاتلوهم » ، ابن الأثير : « يقاتلوا » .

(٣) ب وابن الأثير : « أخذت » .

(٤) ح : « تسليح » ، ابن الأثير : « على تقديم نساننا إلى الموت » .

(٥) ح : « الذي أحرفه للمدينة » .

(٦) الكعام : شيء يجعل على فم البعير ؛ وكم البعير : شد فاه بالكعام في هياجه لئلا يعض أو يأكل .

(٧) كذا في ب ، وفي ط : « قودوها » .

قال : وعبأهم وجعل على الميمنة كثير بن الدَّبُوسَى ، وعلى الميسرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قُطْطَنَة ، وساروا حتى إذا كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك في السحر ، وثار الترك ، وخالط المسلمون العسكر ، فعمقوا الدواب ، وصابرهم الترك ، فجال المسلمون وانهزموا حتى صاروا إلى المسيب ، وتبعهم الترك وضربوا عَجَزُ دابة المسيب فترجل رجال من المسلمين ، فيهم البسخريّ أبو عبد الله المرائي ، ومحمد بن قيس الغنويّ - ويقال : محمد بن قيس العنبري - وزيد الأصهباني ، ومعاوية بن الحجاج ، وثابت قطنة . فقاتل البسخريّ فقطعت ^(١) يمينه ، فأخذ السيف بشماله فقطعت ، فجعل يذب بيديه حتى استشهد . واستشهد أيضاً محمد بن قيس العنبريّ أو الغنويّ وشبيب بن الحجاج الطائيّ .

١٤٢٥/٢

قال : ثم انهزم المشركون ، وضرب ثابت قُطْطَنَة عظيماً من عظمائهم ، فقتله ، ونادى منادى المسيب : لا تتبعوهم ^(٢) ؛ فإنهم لا يدرون من الرعب ، اتبعتموهم أم لا ! واقصدوا القصر ، ولا تحملوا شيئاً من المتاع إلا المال ، ولا تحملوا من يقدر على المشي .

وقال المسيب : مَنْ حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حِسْبَتَهُ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَبَى فَلَهُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا ، وَإِنْ كَانَ فِي الْقَصْرِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَهْدِكُمْ فَاحْمِلُوهُ . قال : فقصدوا جميعاً القصر ، فحملوا مَنْ كَانَ فِيهِ ، وانتهى رجلٌ مِنْ بَنِي فُقَيْمٍ إِلَى امْرَأَةٍ ، فَقَالَتْ : أَغِثْنِي أَغَاثَكَ اللَّهُ ! فَوَقَفَ وَقَالَ : دُونَكَ وَعَجَزَ الْفَرَسُ ، فَوُثِبَتْ فَإِذَا هِيَ عَلَى عَجَزِ الْفَرَسِ ؛ فَإِذَا هِيَ أَفْرَسٌ مِنْ رَجُلٍ ، فَتَنَاولَ الْفَقِيمِيُّ بِيَدِ ابْنَتِهَا ، غَلَامًا صَغِيرًا ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَتَوَا تَرَكَ خَاقَانَ ، فَأَنْزَلَهُمْ قَصْرَهُ وَأَتَاهُمْ بِطَعَامٍ ، وَقَالَ : الْحَقُّوا بِسَمْرِ قَسْتَدٍ ، لَا يَرْجِعُوا فِي آثَارِكُمْ . فَمَخَرَجُوا نَحْوَ سَمْرِ قَسْتَدٍ ، فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ ؟ قَالُوا : هَلَالُ الْحَرِيرِيِّ ، قَالَ : لَا أَسَاحُهُ ، فَأَتَاهُ وَبِهِ بَضْعٌ وَثَلَاثُونَ جِرَاحَةً ، فَاحْتَمَلَهُ ، فَبَرَأَ ، ثُمَّ أَصِيبَ يَوْمَ الشَّعْبِ مَعَ الْجَنِيدِ .

قال : فرجع الترك من الغد ، فلم يروا في القصر أحداً ، ورأوا

(٢) ط : « تتبعهم » ، وما أثبت من ب .

(١) ب : « حتى قطعت » .

قتلاهم ، فقالوا : لم يكن الذين جاءوا من الإنس ، فقال ثابت قطنة :

فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِنْ تَمِيمٍ غَدَاةَ الرَّوْعِ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ
فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ أَكْنَفُونِي عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهَجِ الْقَتَامِ
بِقِصْرِ الْبَاهِلِيِّ وَقَدْ رَأَوْنِي أَحَامِي حَيْثُ ضَنَّ بِهِ الْمُحَامِي^(١)
بَسِيقِ بَعْدَ حَظْمِ الرُّمَحِ قُدَمَاءُ أَذُوهُمْ بِذِي شُطْبِ جُسَامِ
أَكْرُ عَلَيْهِمُ الْيَحْمُومَ كَرًّا كَكَرَّ الشَّرْبِ آتِيَةَ الْمُدَامِ
أَكْرُ بِهِ لِلدَى الْغَمَرَاتِ حَتَّى تَجَلَّتْ لَا يَضِيقُ بِهَا مَقَامِي
فَلَوْلَا اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَضَرْبِي قَوْنَسَ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
إِذَا لَسَعَتْ نِسَاءُ بَنِي دِثَارٍ أَمَامَ التَّرِكِ بَادِيَةَ الْخِذَامِ
فَمَنْ مِثْلُ الْمَسِيبِ فِي تَمِيمٍ أَبِي بِشْرِ كَقَادِمَةِ الْحَمَامِ

وقال جرير يذكر المسيب :

لَوْلَا حِمَايَةُ يَرْبُوعٍ نِسَاءَكُمْ كَانَتْ لَغَيْرِكُمْ مِنْهُمْ أَطْهَارُ^(٢)
حَامِي الْمَسِيبُ وَالْخِيلَانُ فِي رَهَجٍ إِذْ مَازَنُ ثُمَّ لَا يُحْمَى لَهَا جَارُ^(٣)
إِذْ لَا عِقَالُ يُحَامِي عَنْ ذِمَارِكُمْ وَلَا زُرَّارَةٌ يَحْمِيهَا وَوَزَارُ

قال : وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وشلت يده ، وقد كان ولي ولاية قبيل سعيد ، فخرج عليه شيء مما كان بقي عليه ، فأخذ به ، فدفعه سعيد إلى شداد بن خليل الباهلي ليحاسبه ويستأديه^(٤) فضيق عليه شداد ، فقال : يا معشر قيس ، سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البطش ، حديد البصر ؛ فعورت وشلت يدي ، وقاتلت مع من قاتل

(١) ابن الأثير : « حيث ضربه » . (٢) ديوانه ١٩٨ .

(٣) الديوان : « أزمان شبة لا يحمي ونعار » . (٤) ابن الأثير : « ويستأذنه » .

حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا^(١) على القتل والأسر والسبي ، وهذا^(٢) صاحبكم يصنع بي ما يصنع^(٣) ، فكفّفوه عني ، فخلّاه .

قال : وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصص الباهليّ قال : كنا في القصر ، فلما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من همّهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل .

١٤٢٨/٢

[ذكر الخبر عن غزو سعيد خدينة السّغند]

وفي هذه السنة قطع سعيد خدينة نهر بلخ وغزا السّغند^(٤) ، وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين .

* ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه الغزوة :
وكان سبب غزو^(٥) سعيد هذه الغزوة — فيما ذكر — أن الترك عادوا إلى السّغند ، فكلم الناس سعيداً وقالوا : تركت الغزو ، فقد أغار الترك ، وكفر أهل السّغند ، فقطع النهر ، وقصد للسّغند ، فلقية الترك وطائفة من أهل السّغند فهزّمهم المسلمون ، فقال سعيد : لا تتبعوهم ؛ فإن السّغند بستان أمير المؤمنين وقد هزمتوهم ؛ أفتريدون بوارهم ! وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أباروكم^(٦) !

وسار المسلمون ، فانتهوا إلى وادٍ بينهم وبين المرج ، فقال عبد الرحمن ابن صبح : لا يقطعن هذا الواديّ مجفّف ولا راجل ، وليعبر من سواهم . فعبروا^(٧) ، ورأتهم الترك ، فأكنوا كميناً ، وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم ، فانهاز الترك فأتبعوهم حتى جازوا الكمين ، فخرجوا عليهم ، فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادي ، فقال لهم عبد الرحمن بن صبح : سابقوهم ، ولا تقطعوا فإنكم إن قطعتم أبادوكم . فصبروا لهم حتى انكشفوا عنهم ، فلم يتبعوهم ، فقال

١٤٢٩/٢

(١) ب وابن الأثير : « ما أشرفوا » .

(٢) ب : « فهذا » .

(٣) ح : « صنع » .

(٤) ب وابن الأثير : « الصّند » .

(٥) ح : « غزوة » .

(٦) ابن الأثير : « أبادوكم » .

(٧) ب : « فساروا » .

قوم : قُتِلَ يومئذ شُعْبَةُ بن ظُهَيْرٍ وأصحابه ، وقال قوم : بل انكشف الترك منهم يومئذ منهزمين ، ومعهم جمع من أهل السُّغْد . فلما كان الغد ، خرجت مسلحة للمسلمين - والمسلحة يومئذ من بني تميم - فها شعروا إلا بالترك معهم ، خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بني تميم شعبة بن ظُهَيْر ، فقاتلهم شعبة فقتل ؛ أعجلوه عن الركوب . وقتل رجل من العرب ، فأخرجت جاريته حياءً ، وهي تقول : حتى متى أعد لك مثل هذا الخضاب ، وأنت مختضب بالدم ! مع كلام كثير ، فأبكت أهل العسكر . وقتل نحو من خمسين رجلاً ، وانهزم أهلُ المسلحة ، وأتى الناس الصَّريخ ، فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوي : كنت أنا أول من أتاها لما أتانا الخبر ، وتحتي فرس جواد ، فإذا عبد الله بن زهير إلى جنب شجرة كأنه قُنْفُذ من النشأ ؛ وقد قتل ، وركب الخليل بن أوس العبشمي - أحد بني ظالم ، وهو شاب - ونادى : يا بني تميم ، أنا الخليل ؛ إلى ! فانضمت^(١) إليه جماعة - فحمل بهم على العدو ، فكفّوهم ووزعوهم عن الناس حتى جاء الأمير والجماعة ، فانهزم العدو ، فصار الخليل على خيل بني تميم يومئذ ، حتى ولى نصر بن سيار ؛ ثم صارت رياسة بني تميم لأخيه الحكم بن أوس .

وذكر علي بن محمد ، عن شيوخه ؛ أن سورة بن الحرّ قال لحِيَّان : انصرف ١٤٣٠/٢ يا حيَّان ، قال : عقيرة الله أدعها وأنصرف قال : يا نبطي قال : أنبط الله وجهك !

قال : وكان حيَّان النبطي يكنى في الحرب أبا الهياج ، وله يقول الشاعر :

إِنَّ أبا الهَيَّاجَ أَرِيحِيُّ لِلرَّيْحِ فِي أَثْوَابِهِ دَوِيُّ

قال : وعبر سعيد النهر مرتين ، فلم يجاوز سمرقند ، نزل في الأولى بإزاء العدو ، فقال له حيَّان مولى مصقلة بن هبيرة الشيباني : أيها الأمير ، ناجز أهل السُّغْد ، فقال : لا ، هذه بلاد أمير المؤمنين ، فرأى دخاناً ساطعاً ، فسأل عنه ف قيل له : السُّغْد قد كفروا ومعهم بعض الترك . قال : فناوشهم ، فانهزموا

(١) ابن الأثير : « فاجتمع » .

فألحوا في طلبهم ، فنادى منادى سعيد : لا تطلبوهم ؛ إنما السَّغْد بستان
أمير المؤمنين ، وقد هزمتوهم ، أفتريدون بوارهم ! وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم
أمير المؤمنين غير مرة ، فعفا عنكم ولم يستأصلكم ورجع ، فلما كان العام المقبل
بعث رجالاً من بني تميم إلى ورغسّر ، فقالوا : ليتنا نلقى العدو فنطاردهم
— وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا^(١) وسبوا ردّ ذراري السبي
وعاقب السريّة ، فقال الهجري وكان شاعراً :

١٤٣١/٢ سرّيت إلى الأعْداء تلهو بلعبة وأثرك مسلولٌ وسيفك مُعمدٌ
وأنتَ لِمَن عاديتَ عِرْسُ خَفِيَّةٌ وَأَنْتَ عَلَيْنَا كَالْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ
فللهِ دَر السَّغْدِ لما تَحَزَّبُوا^(٢) وَيَا عَجَباً من كَيْدِكَ الْمُتَرَدِّدِ !

قال : فقال سورة بن الحرّ لسعيد — وقد كان حفظ عليه ، وحقد عليه
قوله : «أنبط الله وجهك» — : إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال ، وهو
أفسد خراسان على قتيبة بن مسلم ، وهو واثب بك ، مفسد عليك خراسان ؛
ثم يتحصن^(٣) في بعض هذه القلاع . فقال : يا سورة^(٤) لا تُسمعن هذا
أحدًا . ثم مكث أيامًا ، ثم دعا في مجلسه بلبس ، وقد أمر بذهب فسحق ،
والتقى في إناء حَيَّان فشربه ، وقد خلط بالذهب ، ثم ركب ، فركب الناس أربعة
فراسخ إلى باركث ؛ كأنه يطلب عدوًّا ، ثم رجع فعاش حَيَّان أربعة أيام ومات
في اليوم الرابع ، فتقلّ سعيد على الناس وضعفه ، وكان رجل من بني أسد
يقال له إسماعيل منقطعاً إلى مروان بن محمد ، فدُكر لإسماعيل عند خُذَيْنَةَ
ومودته لمروان ، فقال سعيد : وما ذاك المِلَط ! فهجاه إسماعيل ، فقال :

زَعَمْتَ خُذَيْنَةَ أَنَّنِي مِلَطٌ.^(٥) لِحُذَيْنَةَ الْمَرَأَةُ وَالْمُشْطُ
وَمَعَامِرٌ وَمَكَاحِلٌ جُعِلَتْ وَمَعَاذُفٌ وَبِخْذَهَا نُقْطُ

(١) ابن الأثير : «أوغنموا» .

(٢) ح : «تحرّبوا» .

(٣) ب : «تتحصن» .

(٤) ابن الأثير : «فقال سعيد : لا أسمعن هذا أحدًا» .

(٥) المِلَط : الذي لا يعرف له نسب ولا أب .

أَفْذَاكَ أَمْ زَغَفُ مُضَاعَفَةٌ وَمُهَنْدٌ مِنْ شَأْنِهِ الْقَطُّ
لِمُقَرِّسٍ ذَكَرٍ أَحَى ثِقَةٍ لَمْ يَغْذُهُ التَّائِيثُ وَاللَّقَطُّ
أَغْضِبْتَ أَنْ بَاتَ ابْنُ أُمِّكُمْ بِهِمْ وَأَنْ أَبَاكُمْ سَقَطُ
إِنِّي رَأَيْتُ نِبَالَهُمْ كُسِيتُ رِيَشُ اللُّوَامِ وَنَبْلُكُمْ مُرْطُ
وَرَأَيْتُهُمْ جَعَلُوا مَكَاسِرَهُمْ عِنْدَ النَّدَى وَأَنْتُمْ خِلْطُ

[عزل مسلمة عن العراق وخراسان]

وفي هذه السنة عُزِلَ مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام .

* ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك :

وكان سبب ذلك — فيما ذكر على بن محمد — أن مسلمة لما ولي ما ولي من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً ، وأن يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحيا منه ، وكتب إليه أن استخلف على عمله ، وأقبل .

١٤٣٣/٢

وقد قيل إن مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخوص إلى ابن عاتكة ليزوره ، فقال له : أمن ^(١) شوق بك إليه ! إنك لطرُوب ، وإن عهدك به لقريب ، قال : لا بد من ذلك ، قال : إذاً لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه ، فشخص ؛ فلما بلغ دُورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس ^(٢) من دواب البريد ، فدخل عليه ابن هبيرة ، فقال : إلى أين يابن هبيرة ؟ فقال : وجهنى أمير المؤمنين في حيازة أموال بنى المهلب . فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاءه ، فقال : هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى ، قال : قد أنبأتك ، قال : فإنه إنما وجهه لحيازة أموال بنى المهلب ، قال : هذا ^(٣) أعجب من الأوّل ؛ يصرف عن الجزيرة ، ويوجه في حيازة أموال

(٢) ح : « في خمسين » .

(١) ف : « من » .

(٣) ب : « فإن هذه » .

بنى المهلب ، قال : فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق :

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الرِّكَابُ مُودَّعَا فَارَعَى فَرَازَةَ لَا هُنَاكَ الْمَرْتَعُ^(١)
عُزَلَ ابْنُ بَشْرِ بْنِ عَمْرِو قَبْلَهُ وَأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ^(٢)
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَثْنُ فَرَازَةَ أُمِّرَتْ أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ مَا هُمْ وَلِمِثْلِهِمْ فِي مِثْلِ مَا نَالَتْ فَرَازَةُ يَطْمَعُ^(٣)

يعنى^(٤) بابين بشر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وبابن عمرو محمداً ذا الشامة بن عمرو بن الوليد ، وبأخي هراة سعيد خذينة بن عبد العزيز ، كان عاملاً لمسلمة على خراسان .

وفي هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية ، فهزمهم وأسر منهم بشراً كثيراً قيل سبعمائة أسير .

[بدء ظهور الدعوة]

وفيها وجهه — فيا ذكر ميسرة — رسالته من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة^(٥) بها ، فجاء رجل من بني تميم يقال له عمرو بن بحير بن ورقاء السعدي إلى سعيد خذينة ، فقال له : إن ها هنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح ، فبعث إليهم سعيد ، فأقْبَى بهم ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : أناس من التجار ؟ قال : فما هذا الذي يحكي عنكم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : جنم دعاة ؟ فقالوا :

(١) ديوانه ٥٠٩ ، وفيه : « وضعت لمسلمة » .

(٢) الديوان : « نزع ابن بشر » .

(٣) موضعه في الديوان :

إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ دَنَتْ أَشْرَاطُهَا حَتَّى أُمِّيَّةٌ عَنْ فَرَازَةَ تَنْزِعُ

(٥) ب : « فظهر أمر الدعاة » .

(٤) ف : « ويعنى » .

إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا ، فقال : مَنْ يعرف هؤلاء ؟ فجاء أناس من أهل خراسان ، جلسَهم ربيعة واليمن ، فقالوا : نحن نعرفهم ، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه ، فخلّى سبيلهم .

[ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية]

وفيها - أعنى سنة اثنتين ومائة - قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وهو وال عليها . ١٤٣٥/٢

* ذكر الخبر عن سبب قتله :

وكان سبب ذلك أنه كان - فيما ذكر - عزم أن يسير بهم ^(١) بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السّواد من أهل الذّمة ، فأسلم بالعراق ممن ردّهم إلى قراهم ^(٢) ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم ^(٣) على ذلك تأمروا في أمره ، فأجمع ^(٤) رأيهم - فيما ذكر - على قتله فقتلوه ، ولوا على أنفسهم الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم ؛ وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ؛ ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى ^(٥) الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملك . فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم ، وأقرّ محمد بن يزيد على إفريقية .

وفي هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن معيّة بن سكين بن خلدّيج بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة على العراق وخراسان . وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضمحاك ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدي .

(١) ب وابن الأثير : « فيهم » . (٢) ف : « قرارهم » .

(٣) ح : « عزموا » ، ابن الأثير : « فلما عزم يزيد » .

(٤) ب : « وأجمع » . (٥) ب وابن الأثير : « يرضاه » .

وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضحّاك ، وعلى مكة عبد العزيز
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة ،
وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى البصرة
عبد الملك بن بشر بن مروان ، وعلى خراسان سعيد خُذينة ، وعلى مصر أسامة
ابن زيد .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[عزل سعيد خذينة عن خراسان]

فيمّا كان فيها من ذلك عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان ، وكان سبب عزله عنها — فيما ذكر علي بن محمد عن أشياخه — أن المجشّر بن مزاحم السّلميّ وعبد الله بن عُمر اللّبيّ قدّما على عمر بن هبيرة ، فشكواه فعزله ، واستعمل سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك بن كعب بن وقّدان بن الحرّيش ^(١) بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وخذينة غاز ^(٢) بباب سمرقند ، فبلغ الناس عزله ، فقفّل خذينة ، وخلف بسمّر قسند ألف فارس ، فقال نهار بن تَوْسِعة :

فمن ذا مُبلغُ فتیان قومي ^(٣) بأنّ النّبلَ ريشَتُ كُلِّ ريش
بأنّ الله أبَدَل من سعيدٍ سعيداً لا المُخَنَّث من قريش
قال : ولم يعرض سعيد الحرّشيّ لأحدٍ من عمال خذينة ، فقرأ رجل عهده فلحن فيه ، فقال سعيد : صه ، مهما سمعتم فهو من الكاتب ، والأمير منه برىء ، فقال الشاعر يضعف الحرّشيّ في هذا الكلام :

تَبَدَّلْنَا سَعِيداً مِنْ سَعِيدٍ لَجَدَّ السُّوءَ وَالْقَدَرِ الْمُتَاحِ

قال الطبريّ : وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة ^(٤) يقال لها رسة .

وفيهما أغارت الترك عن اللان .

(١) ب : « فدان بن الحرّيش » . (٢) ابن الأثير : « كان » .
(٣) ب وابن الأثير : « فهل من مبلغ » . (٤) بعدها في ف : « منها » .

وفيهما ضُمَّت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، فجمعت له مع المدينة .

وفيهما ولي عبد الواحد بن عبد الله النضري ، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة .

وفيهما أمر عبد الرحمن بن الضحاك أن يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيان المري ، وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، كذلك قال أبو معشر والواقدي .

١٤٣٨/٢

وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك ، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري^(١) . وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشي من قبيل عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى .

[استعمال ابن هبيرة سعيداً الحرشي على خراسان]

وفيهما استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان .

* ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرشي على خراسان :

ذكر علي بن محمد عن أصحابه أن ابن هبيرة لما ولي العراق ، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلت يوم العقر ، ولم يذكر الحرشي ، فقال يزيد بن عبد الملك : لم يذكر الحرشي ؟ فكتب إلى ابن هبيرة : ول الحرشي خراسان . فولاه ، فقدم الحرشي على مقدمته الحبيش بن مزاحم السلمي سنة ثلاث ومائة ، ثم قدم الحرشي خراسان ، والناس يازاء العدو ، وقد كانوا نكبوا ، فخطبهم وحشهم على الجهاد ، فقال : إنكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة

(١) ب : « البصري » ، ف : « النضري » .

ولا بعدة ، ولكن بنصر الله وعز الإسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .
وقال :

فَلَسْتُ لِعَامرٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنِي أَمَامَ الْخَيْلِ أَطَعَنْ بِالْعَوَالِي^(١)
فَأَضْرِبُ هَامَةَ الْجَبَارِ مِنْهُمْ بَعْضُ الْحَدِّ حُدُوثَ الصَّقَالِ^(٢)
فَمَا أَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاوَلَةَ الرِّجَالِ
أَبَى لِي وَالِدِي مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَخَالِي فِي الْحَوَادِثِ خَيْرُ خَالٍ
إِذَا خَطَرْتُ أَمَامِي حَيْثُ كَعْبٌ وَزَافَتْ كَالْجِبَالِ بَنُو هِلَالٍ

[ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة]

وفي هذه السنة ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو
الحَرَشيّ فلهقوا بفرغانة ، فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين .

* ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة :

ذكر عليّ بن محمد عن أصحابه ، أن السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام
خُذْبِينَةَ ، فلما وليهم الحَرَشيّ خافوا على أنفسهم ، فأجمع عظماءهم على
الخروج عن بلادهم ، فقال لهم ملكهم : لا تفعلوا ، أقيموا واحملوا إليه خراج
ما مضى ، واضمنوا له خراج ما تستقبلون ، واضمنوا له عمارة أرضيكم^(٣) والغزو
معه إن أراد ذلك : واعتدروا مما كان منكم ، وأعطوه رهائن يكونون في يديه .
قالوا : نخاف ألا يرضى ، ولا يقبل منا ، ولكننا نأتي خُجْسَنْدَةَ ، فنستجير
ملكها ، فيرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا ، ونوثق له ألا يرى أمراً
يكرهه ، فقال : أنا رجل منكم ، وما أشرتُ به عليكم كان خيراً لكم ، فأبوا ،
فخرجوا إلى خُجْسَنْدَةَ ، وخرج كارزنج وكشّين وبسيار كُثْ وثابت بأهل
إِسْتِيخَنْ ، فأرسلوا إلى ملك فرغانة الطار يسألونه أن يمنعهم وينزلهم

(١) ابن الأثير : « نطن » . (٢) حودث ، أى جلى .

(٣) ح : « أرضكم » ، ابن الأثير : « الأرض » .

مدينته. فهم أن يفعل، فقالت له أمه: لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك، ولكن فرغ لهم رستاقاً يكونون فيه، فأرسل إليهم: سمو لي رستاقاً^(١) أفرغه لكم، وأجأوني أربعين يوماً - ويقال: عشرين يوماً - وإن شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهلي - وكان قتيبة خلفه فيهم - فقبلوا شعب عصام - فأرسلوا إليه^(٢): فرغه لنا، قال: نعم، وليس لكم على^(٣) عقد ولا جوار حتى تدخلوه؛ وإن أتتكم العرب قبل أن تدخلوه لم أمنعكم، فرضوا؛ ففرغ لهم الشعب.

وقد قيل: إن ابن هُبيرة بعث إليهم قبل أن يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا، ويستعمل عليهم من أحبوا، فأبوا وخرجوا إلى خُجَسَنْدَة وشعب عصام من رُستاق أسفرة - وأسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بلاذا، وببلاذا أنوجور ملكها.

وقيل: قال لهم كارزنج: أخيركم ثلاث خصال، إن تركتموها هلكتم: إن سعيداً فارس العرب، وقد وجه على مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيري^(٤) في حماة أصحابه، فيبتئوه فاقتلوه؛ فإن الحرشي إذا أتاه خبره لم يغزكم، فأبوا عليه، قال: فاقطعوا نهر الشاش، فساوهم ماذا تريدون؟ فإن أجابوكم وإلا مضيتم إلى سوياب، قالوا: لا، قال: فأعطوهم.

قال: فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قبي، وأبار بن ماخون وثابت بأهل إشتيخن، وارتحل أهل بياركت وأهل سَسَكْت بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بُزُماجِن، فارتحل الديواشني بأهل بُسْجِيَكْت إلى حصن أبغَر، ولحق كارزنج وأهل السَّغْد بخُجَسَنْدَة.

تم الجزء السادس من تاريخ الطبري

ويليه الجزء السابع، وأوله: ذكر حوادث سنة أربع ومائة

(١) بعدها في ابن الأثير: «تكونون فيه حتى»، (٢) ب: «وقالوا له».

(٣) ح: «على». (٤) ب، ح: «القشري».